

الذخيرة في عجائب هذا الجبرية

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشبنتري (١٥٤٢)

القسم الثاني - المجلد الأول

تصحيح
الدكتور احسان عباس

دار الشقافة
بيروت - لبنان





الدخيرة في محاسن أهل الجزيرة

١٤٤١هـ - ١٩٩٧م

مقدمة التحقيق

هذا هو القسم الثاني من الذخيرة وهو يشمل تراجم أدباء الجانب الغربي من الأندلس ، أي أهل حضرة إشبيلية وما اتصل بها من بلاد ساحل المحيط الرومي ، وقد اعتمدت في تحقيقه على أربع مخطوطات^١ يمكن أن تمثل فئتين - تضم الفئة الأولى :

(١) مخطوطة الخزانة العامة بالرباط (رقم : D 1324) وقد رمزت لها بالحرف (ط) ومجموع ورقاتها ١٥٧ ورقة ، وهي مكتوبة بخط أندلسي جميل محلي بشكل جزئي ، وعدد السطور في الصفحة الواحدة ثلاثون سطراً ، ومعدل الكلمات في السطر الواحد اثنتا عشرة كلمة ، ومسطرتها ٢٧ × ١٩,٥ وعلى هوامشها قراءات من نسخة أخرى ، وتعليقات بعضها بخط الناسخ نفسه ، وبعضها بخط متأخر في الزمن مختلف عن خط الناسخ ، وقد أثبت من القراءات المقارنة ما رمز إليه الناسخ بالحرف (خ) ، وحذفت ما صرح الناسخ بأنه ليس من أصل الذخيرة ، كما حذفت التعليقات والإضافات المتأخرة .

وقد فرغ الناسخ من كتابة هذا القسم من الذخيرة في زوال يوم الأربعاء ٢٤ ذي القعدة عام ١٠٠٥ ، وهو الذي قام بنسخ القسم الأول والثالث من هذا الكتاب أيضاً ، واسمه أحمد بن الحاج علي بن الحاج أبي القاسم بن محمد بن سودة الأندلسي . ولما كانت هذه النسخة هي خير النسخ التي حصلت عليها ضبطاً ودقة فقد أثبت أرقام أوراقها في سياق هذه الطبعة . ومع أنها

١ هناك نسخة مغربية خامسة إلا أنني استبعدتها لأنها غير واضحة .

- نسبياً - متأخرة في الزمن ، فإنها تعدّ من أقدم النسخ المتيسرة من الذخيرة وهذه مشكلة لم أستطع التغلب عليها ، فأنا - حتى اليوم - لم أستطع العثور على نسخ تتمتع بقدم واضح ، أو حتى على الأصل الذي أخذت عنه (ط) أياً كان تاريخه .

(٢) مخطوطة بغداد ، وقد رمزت لها بالحرف (د) وتحتوي ٣٣١ صفحة ، مكتوبة بخط نسخي مشرقى حديث وعدد السطور في الصفحة الواحدة ٢٩ سطراً ومعدل الكلمات في السطر الواحد إحدى عشرة كلمة ، ومسطرتها ٢٥ × ١٤,٥ ، وقد كتب على الصفحة الأخيرة منها : « نجز والله الحمد تسويد هذا الجزء من الذخيرة لابن بسام عليه الرحمة على نسخة قديمة بخط مغربي مغلط ، وقد اجتهدت بتصحيحها حسب الإمكان ، والله المستعان . وقد وافق ذلك اليوم الحادي والعشرين من شهر المحرم سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية ، على يد أفقر الوري للطف ربّه المنان : عبد اللطيف ثيان ، في بغداد المحمية ، صانها الله عن كل بلية ، آمين » .

إذن فهذه النسخة حديثة جداً ، وقد صرّح ناسخها بأنه نقلها عن أصل مغربي ، ولا ندري حتى اليوم من أمر هذا الأصل شيئاً ، ولكنني أستطيع أن أقول إنّ (د) منقولة عن أصل يشبه (ط) للتماثل الدقيق بين القراءات حتى في الخطأ ، وللتطابق التام في طول كل ترجمة ، وفيما نقص من تراجم كاملة أو أجزاء من ترجمات ، كما سيأتي بيانه بعد قليل ، وكل الفرق بين النسختين أنّ ناسخ (د) حاول أن يجتهد في بعض القراءات ، التي عدّها خطأ في الأصل ، ولم يسلم من إضافة أخطاء جديدة ، مما قد يلحق الناسخ عن طريق السهو .

وتضم الفئة الثانية من المخطوطات :

(٣) مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط (رقم : ٩١٤٤) وقد رمزت لها بالحرف (م) ، وتقع في ٢٤٥ ورقة ، وهي مكتوبة بخط أندلسي ، ومسطرتها

١٩,٥ × ٢٣ ، وعدد السطور في الصفحة الكاملة ٢٢ سطراً ، ولكن هذا لا يطرد لأن الناسخ يراوح كثيراً بين الكتابة بخط ذي حجم عادي والكتابة بخط كبير جداً حتى ان عدد الأسطر في الصفحة الواحدة لا يزيد عن أحد عشر سطراً . وهذه الكتابة بالخط الكبير لا تقتصر على عنوانات الفصول بل تشمل كل ما ظنه الناسخ بداية فقرة جديدة . وتظهر في هذه النسخة آثار الأرضية بكثرة ، وفيها خروم ضاعت بسببها أوراق كثيرة كما تنبهم الفوارق فيها بين عدد من الحروف المتقاربة في صورها ، وهي لا تشمل كلّ القسم الثاني ، وإنما تنتهي عند أوائل ترجمة ابن عبدون ثم نجىء في خاتمتها صورة تملك على هذا النحو : « الحمد لله : تملك هذا الكتاب عبده تعالى أبي [كذا] بكر بن أحمد بن علي أعانه الله على طاعته » . إلا أنها لا تحمل تاريخاً .

ورغم ما في هذه المخطوطة من عيوب فقد كانت ذات دور هام في ما قدمته من عون أثناء تحقيق هذا القسم ، لانفرادها عن (ط) واعتمادها على أصل آخر ، وهذا ما جعلها تحفل بزيادات غير موجودة في (ط) وقرينتها (د) ومنها زيادة في ترجمة عبد الجليل بن وهبون وأخرى في ترجمة أبي بكر ابن عبد العزيز كما أنها تفرد إذا قورنت بالنسختين السابقتين بإيراد ترجمة ابن مرزقان .

(٤) نسخة المكتبة الوطنية بباريس رقم : ٣٣٢٢ (ورمزها : س) ، وهي منسوخة عن نسخة عدد أوراقها ٢٢٢ ورقة مثبتة أرقامها على هوامش الصفحات ، وتقع (س) في ٢٦٥ ورقة ، وعدد السطور في كل صفحة عشرون سطراً ، ومعدل الكلمات في السطر الواحد ١٢ كلمة ، وخطها نسخي حديث ، ويبدو أن كاتبها أجنبي ، يدلّ على ذلك نوع الخط ، ومحاولة رسم الكلمات دون إدراك لمعناها ، وكثرة الأخطاء في الصفحة الواحدة ، وقد تمّ نسخها في ١١ أكتوبر سنة ١٨٨٤ .

ولا ريب في أن الأصل الذي نقلت عنه (س) قريب الشبه بالنسخة (م) وقد احتفظت النسخة الباريسية أيضاً بالزيادات التي جاءت في نسخة الخزانة الملكية بالرباط ؛ وكان لا بدّ من الاعتماد على (س) لأنّ قرينتها (م) غير كاملة ، فاستطاعت نسخة باريس أن تمدنا بترجمة لم ترد في مخطوطات الفئة الأولى وأعني بذلك ترجمة الأعمى التطيلي . أما فيما عدا ذلك فأنه ليس في مقدور أيّ محقق أن يثبت جميع الفروق التي تتمتع بها (س) لأنّ أكثرها قائم على الخطأ المحض ، وإنّما كان أكثر الاعتماد عليها استثناساً بطبيعة السياق ، وترجيحاً إن أمكن الترجيح .

وبعد : فقد كان هذا القسم من الذخيرة معدّاً للنشر في النصف الأول من سنة ١٩٧٥ ، بعد الانتهاء من طبع القسم الثالث ولكن كان يمنعني من دفعه إلى المطبعة لإحساسي بأنّ هناك شيئاً ينقصه ويتمثل هذا في مواطن :

١ - ترجمة أبي الوليد الباجي ، فقد كتب في هامش ط أن الترجمة لا يزال ينقصها ورقة ونصف الورقة ، وهو شيء لم أستطع العثور عليه في (م) أو (س) رغم انتمائهما إلى فئة مختلفة .

٢ - إن ترجمة الوزير أبي عبيد البكري لا يمكن أن تكون كاملة ، فإنّ ابن بسام لم يورد شيئاً من نثره أو شعره .

٣ - إنّ فهرست الذخيرة (في صدر القسم الأول) ينصّ على وجود ترجمة لمن اسمه « الوزير الخطيب الأديب أبو عمر ابن حجاج » تقع بعد ترجمة أبي عبيد البكري ولا وجود لها في المخطوطات الأربع ، أليس من المعقول أن تكون موجودة في مخطوطة أو مخطوطات أخرى ؟ وفي هامش (ط) ما ينبئ بأنّها ناقصة ، وكاتب هذا التعليق بخط متأخر ، ربما فعل ذلك لأنّه رآها في مخطوطة أخرى .

٤ - إن الزيادات التي وردت في نسختي (م) و (س) قد تشير

إلى أن استكشاف مخطوطات أخرى قد يتيح العثور على زيادات جديدة .

لهذا كاه آثرت التريث ؛ وغادرت بيروت في سبتمبر (أيلول) ١٩٧٥ إلى جامعة برنستون ، واشتدت وطأة الأحداث المؤسفة في أثناء ذلك على لبنان ، وكان أن سعى بعض أصدقائي - جزاهم الله خيراً - إلى تصوير مسودة القسم الثاني ، كما تركتها محققة ، وإرسالها لتودع عند صديقي العلامة يوسف فان اس ، بجامعة توبنجن بألمانيا ، ولم أستطع رؤية هذا القسم من الذخيرة إلا بعد عودتي إلى بيروت في حزيران (يونيه) ١٩٧٧ ؛ وفي أثناء هذه الغيبة صدر من هذا القسم قطعة تستغرق حتى آخر ترجمة أبي العلاء بن زهر ، قام بتحقيقها الدكتور لطفي عبد البديع^١ ، ولما قارنتها بما كنت حقيقته وجدت مصداق بعض ما قدرته فقد احتوت تلك القطعة (اعتماداً على النسخة الكتانية) ما تفتقده النسخ من ترجمة أبي الوليد الباجي ، ولعلّ هذه النسخة الفريدة (أعني الكتانية) أن تكون قد احتفظت أيضاً بكل ما قدرته من نقص في النسخ التي تسرت لي ، أو بمعظمه .

إنني أحنّب هذه المقدمة ، وقد قطع هذا القسم شوطاً غير قليل في المطبعة ، ولهذا رأيت أن أضيف إليه ما جاء من زيادة في ترجمة الباجي مستمداً من القطعة التي حققها الدكتور عبد البديع ، وأن أصنع لترجمة البكري تحشية مما ورد في المصادر من شعره ونثره ، أميزها عما عداها لأنها ليست من أصل الذخيرة ، راجياً إذا أتيج لي الاطلاع على النسخة الكتانية - وهو شيء لا أظنه سهلاً - أو غيرها من النسخ ، أن أثبت الزيادات وفروق القراءات في نهاية هذا الجزء .

لقد كنت أظن أن الصعوبات ستصبح مذلة لإخراج هذا القسم على نحو أكثر تحقيقاً للرضى ، ولكنني حين اعتبر هذه الفترة الطويلة التي مضت على

١ الهيئة المصرية العامة للكتاب : ١٩٧٥ .

الذخيرة - ولعلها أن تكون أهم مصدر من مصادر الأدب الأندلسي - دون أن تيسر للقراء والدارسين ، أحس أن إخراجها على هذا النحو خير من التمادي في تأخير احتجائها حتى تكتمل جميع الوسائل .

ولقد كان العيب في هذا القسم - كما كان في القسمين السابقين : الأول والثالث - يستترف موفر الطاقة ، ومدخور الجهد ، فالذخيرة لا يمثل نصاً سهلاً ، يتفق كل الناس على قراءته - وبخاصة للتباعد بين المخطوطات - ولا يمكن الاسراف فيه في ناحية على حساب ناحية أخرى ؛ بل لا بد من الموازنة بين الشرح والتعليق والتخريج وتزجيج القراءات ، والاقتصار على الضروري ، مع مراعاة الربط بين الذخيرة والمصادر الأندلسية (وأحياناً غير الأندلسية) الأخرى . وقد تلقيت العون في تحقيق هذا القسم من اثنين يستحقان كل شكر وتقدير وهما الدكتور و داد القاضي التي لم تأل جهداً في تدقيق الملازم الطباعية ، وتوجيه بعض القراءات التي أعياني أمرها ، والإشراف على الفهارس المفصلة الدقيقة ، والدكتور ألبير مطلق ، الذي بذل جهداً طيباً في معاونتي على مقارنة النسخ ، والتضحية بوقته في تقديم كل ما يعين على إنجاز هذا القسم .

فإليهما مرة أخرى ، تقدير عارف بمدى ما بذلاه من جهد مخلص ، والله يوفقنا جميعاً إلى ما فيه الخير .

احسان عباس

بيروت في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صل الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله

فصل ١ في ذكر الأعيان المشاهير ، من أرباب صناعة المنظوم
والمنثور ، بحضرة إشبيلية ونواحيها ، وما يصاقبها ويدانيها ،
من بلاد ساحل البحر المحيط الرومي ، وهو الجانب الغربي
من جزيرة الأندلس ، وإيراد ما بلغني من غرر أشعارهم ،
ومستطرف أخبارهم ، مع ما يتعلق بها ، ويذكر بسببها

قال ابن بسام : وحضرة إشبيلية على قديم الدهر كانت قاعدة هذا
الجانب الغربي من الجزيرة ، وقرارة الرياسة ومركز الدول المتداولة ،
ومنها مهدت البلاد ، وانبتت الجياد ، عليها الفرسان ، كأنها العقبان ،
وبهذا الأفق نزل جند حمص من المشرق فسُميت حمص ، ولما كانت
دار الأعزة والأكابري ، ثابت فيها الخواطر ، وصارت مجمعا لصبوب العقول
وذوب العلوم ، وميدانتي فرسان المنثور والمنظوم ، لا سيما من أول المائة
الخامسة من الهجرة حين فرح كل حزب بما لديه ، وغلب كل رئيس

.....

١ نشر دوزي هذا الفصل من الذخيرة الخاص ببيبي عباد ، في المجموع الذي ضم ما جاء من هذه
الأسرة في المصادر العربية ، وذلك في الجزء الأول ص ٢٠١ - ٢٢٣ .

على ما في يديه ، بعد الدولة العامرية ، فأضحّت أقطارُ الجزيرةِ يومئذٍ كبنِي
الأعيان ، وأهلها كما قال أخو بني عدوان^١ :

عذيرَ الحيّ من عدوا نَ كانوا حيّة الأرضِ
بني^٢ بعضهمُ بعضاً فلم يُبْغوا على بعض

فاشتمل هذا القطرُ الغربيُّ لأول تلك المدّة على بيئتي حسب ،
وجمهوري أدب ، مملكتان من لحمٍ وتُجيب ، مَصْرَتا بلادَه ، وأكثرتا
رؤادَه ، فأتاه العلمُ من كلِّ فجٍّ عميق ، وتبادرَه العلماءُ من بين سابق
ومسبوق ، وكلّما نشأ من هذين البيتين أميرٌ كان إلى العلمِ أطلب ، وفي أهله
أرغب ، والسلطانُ سوقٌ يُجلبُ إليه ، ما ينفقُ لديه ، حتى اجتمع
في الجانب الغربيّ على ضيقِ أكنافِهِ ، وتَحْيِيفِ العدوِّ قصمه الله لأطرافِهِ ،
ما باهى الأقاليمَ العراقية ، وأنسى بلغاءَ الدولةِ الدبلوماسية ، فقلّما رأيتَ
فيه نائراً غيرَ ماهر ، ولا شاعراً غيرَ قاهر ، دَعَوَا حُرَّ الكلامِ فلتبّي ،
وأرادوه فما تأبّي ، وطريقتهُهمُ في الشعرِ الطريقةُ المثلّي التي^٣ هي طريقة
البحري في السلاسةِ والمتانةِ ، والعذوبةِ والرصانةِ .

وأنا أورد في هذا القسم بعضَ ما انتهى إليّ من حُرِّ كلامهم ، في
نثرهم ونظامهم ، مَشُوباً ذلك كلّهُ بفنونِ فوائدهِ ومعارفَ من أخبارٍ
يحسنُ الوقوفُ عليها . على أنّ الذي بلغني من شعرِ كلِّ قَطْرٍ ، ثمادٌ
مِنَ بحر ، ونقطةٌ من قَطْر ، ولقد فاني كثير من الكتاب والوزراء ،

١ هو دو الإصبيح العدواني ، انظر الأغاني ٣ . ٨٥

٢ ط س . بكى .

٣ ط س الذي .

وجملةً من أعيان الشعراء ، ممن كان في ذلك التاريخ ، منهم من لم أسمع
 بذكره ، ومنهم من لم يَسْمَحْ نَقْدِي^١ بإثبات ما بلغني من شعره ، وربما
 أجريتُ ذِكْرَ أحدهم غير مُبَوَّبٍ عليه ، ولا مشيرٍ إليه ، إما لشيء
 أجادَ فيه ، وإما أن يتعلقَ ذكره بذكرٍ من أجريه ، وقد أبدأ بذكر الرجل
 لمكانه من الإحسان ، لا لتقدمه من الزمان ، أو لبعض ما يدعو إليه القولُ
 من نَسْتَقِ خبر ، أو موجبٍ نظر . فأول ما ابتدأتُ به من أهل حمص آل
 عبّادٍ لنباهةِ ذكرهم ، مع جَوْدَةِ شعرهم .

فصل في ذكر القاضي أبي القاسم محمد بن عبّاد وإيراد جملة من أخباره ، واجتلاب قطعة من أشعاره^٢

قال ابن بسام : كان ذو الوزارتين القاضي أبو القاسم محمد بن اسماعيل
 ابن عبّاد المتغلب على إشبيلية ممّن له في العلم والأدب باع ، ولذوي المعارف
 عنده بها سوق وارتفاع ، وكان يشارك الشعراء والبلغاء في صنعة الشعر وحوك
 البلاغة ، بسطاً لهم ، وإقامةً لهممهم ، ولما كان في طبعه من ذلك أيضاً .
 وقد ذكر الوزير أبو رافع الفضل بن علي بن أحمد بن حزم الفارسي^٣

.....

١ س : يسمع نفسي .

٢ لا مجال لحصر المصادر المتممة في أخبار بني عبّاد ، فقد جمع منها دوزي في كتابه :

Historia Abbadidorum (Leiden, 1846).

قسماً وإفراً ، وإنما نذكر هنا بأهم المصادر مثل البيان المغرب والقلائد والصلة والمغرب
 والمعجب والمغرب والاحاطة والروض المطار ونفح الطيب وبدائع البدايات وتاريخ ابن
 خلدون وتاريخ ابن الأثير والحريفة وابن خلكان والنويري ، وتعد مقارنة هذا النص بما
 ورد في الحلة السبراء والبيان المغرب أمراً ضرورياً ، لاعتماد المصدرين على كتاب ابن بسام .

٣ هو ولد الحافظ الفقيه أبي محمد ابن حزم ، روى عن أبيه وأبي عمرا بن عبد البر وغيرهما ، وكتب
 بخطه علماً كثيراً ، وكان عنده أدب ونباهة وذكاء ، وتوفي بالزلافة سنة ٤٧٩ (الصلة : ٤٤٠) .

في كتابه الموسوم بـ « الهادي إلى معرفة النسب العبادي » كيف طلع نجمه ،
وثبت في ديوان الملوك اسمه ، وقد أثبت من ذلك ما امتدَّ بي إليه سبب ،
واتصل بينه وبين ما أنا بسبيله نسب ، ووَصَلْتُ به ما لم أجد لأبي رافع
زيادةً على ما بيّن ، وتماماً على الذي أحسن .

قال أبو رافع^١ : القاضي ابن عباد هو أبو القاسم محمد بن ذي الوزارتين
أبي الوليد اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن
أسلم بن عمرو بن عِطَاف^٢ بن نعيم ، وَعِطَافٌ هو الداخلُ منهم بالأندلس
في طالعة^٣ بلج بن بشر القشيري ، وكان عطاف من أهل حمص من صُتْعِ
الشام لحمي النسب صريحاً ، وموضعه من حمص العريش ، والعريش في
آخر الجفار بين مصر والشام ؛ ونزل بالأندلس بقرية يُومينَ من إقليم
طُشَانَةَ^٥ من أرض إشبيلية .

قال ابن حيان^٦ : واسماعيل بن عباد قاضيهم القديم^٧ الولاية ، ورجُلُ
الغُرَبِ قاطبةً ، المتصل الرئاسة في الجماعة والفتنة ، وكان أيسرَ مُكَوَّرٍ^٨
بالأندلس وقتَه ، ينفق من ماله وغَلَاتِهِ ، لم يجمع درهماً قطّ من مالٍ

١ انظر الحلة ٢ : ٣٤ والبيان المغرب ٣ : ١٩٤ .

٢ بكسر العين وتخفيف الطاء (الحلة) .

٣ ط د م س ودوزي : طاعة .

٤ صوابه « الشام » .

٥ طشانة (Tocina) تقع في كورة اشبيلية .

٦ الحلة ٢ : ٣٥

٧ ط د س : قديم .

٨ المكور : المعمم .

السلطان ولا خَدَمَتَهُ^١ ، وكان واسع اليد بالمشاركة ، آوى صنوف الجالية من قرطبة عند احتدام الفتنة ، وكان معلوماً بوفور العقل وسبوغ العلم والركانة^٢ ، مع الدِّهَاءِ وَبَعْدِ النظر وإصابة القرطسة .

فأما ذو الوزارتين أبو القاسم ابنه فأدرك متمهلاً ، وسما بَعْدُ إلى بلوغ الغاية فخلط ما شاء وركب الجرائم^٣ الصَّعْبَةَ ، وكان القاسمُ بن حَمَّود قد اصطنعه بعد مهلك أبيه اسماعيل ، وردَّ عليه ميراثه من قضاء بلده بَعْدَ بُعْدِهِ عنه مدَّة ، [٢ ب] وحصل منه بمنزلة الثقة ، فخانهُ تَخَوُّنٌ ؛ الأيَّامِ عند إدبارها عنه ، إثارةً للحزم وطلباً للعافية ، فصدّه عن إشبيلية بلده لما قصده من قرطبة مفلولاً ؛ وكان الذي وطَّده ذلك نفرٌ من أكابرها المرتسمين بالوزارة ، مناغين في ذلك لوزراء قرطبة ، على تحمُّيلهم لابن عبادٍ كِبَرٌ ذلك ، لإنافته عليهم في الحال وسعة النعمة ، وإحصائهم عليه مِلْكٌ ثلث إشبيلية ضيعةً وغلَّةً ، يخادعونهُ بذلك عن نَشِيهِ ، إبقاءً منهم على نعمهم ، وهو يشترى بذلك أنْفُسَهُمْ ولا يشعرون ، إلى أن وقعوا في الهوة ، وكانوا جماعةً منهم بنو أبي بكر الزبيدي النحوي وبنو يريم^٤ صنائع ابن عباد وغيرهم ، راضٍ بهم الأمور واستمال العامة ، فلمَّا تَوَطَّأَتْ^٥ له قَبْضَ أيدي أصحابه هؤلاء ، وسما بنفسه فأسقط جماعتهم ،

١ واضح من هذا القول أنه لم يعد توليه القضاء من الخدم السلطانية .

٢ د والحلة : والزكانة .

٣ هذه هي قراءة م ؛ والجرائم : أصل الشجرة ، وقد يفهم من ذلك أنه تجشم صحاب الأمور وفي ط د والحلة : الجرائم ؛ س : الجرائم .

٤ ط د م س : بنون .

٥ ط س : يريم ؛ م : ابريم ، د : ابرم ، البيان : مريم .

٦ ط م د : توطدت (وهي قراءة جيدة أيضاً) ؛ س : اتواطأت .

وجرت له في تدبيرهم أمور يشقّ إحصاؤها ، ركبَ فيها أحرزَمَ طُرُقٍ
 طُلابِ الدول ، حتى انفرد بسابقته ومهدّ لدولته ، واجتمع أهلُ عمله
 على طاعته ، فدانوا له ، وسلك سيرة أصحاب الممالك بالأندلس^٢ لأوّل
 وقته ، وقام بأصحّ عزمٍ وأيقظَ جيّدًا ، واخترع في الرياسة وجوهاً تقدّم
 فيها كثيراً منهم ، وامتلأ رسمُ ابنِ يعيش^٣ صاحب طليطلة من بينهم في
 تمسّكه بخطة القضاء وارتسامه باسمه ، وأفعالهُ على ذلك أفعالُ
 الجبارة ، وأقبلَ لأوّل وقته يضمُّ الرجالَ الأحرارَ من كلِّ صنف ،
 ويشترى العبيدَ ، والجندُ يساعده والأمور تنقادُ له ، إلى أن ساوى ملوكَ
 الطوائف وزاد على أكثرهم بكثافة سلطانه ، وكثرة غلمانه ، فنفعَ الله
 به كافة رعيّته ونجّاهم من ملك البرابرة ؛ وتدرّج في تدبير ذلك أوّلاً
 أوّلاً ، ومارسه شيئاً شيئاً ، إلى أن استولى على أمده ، ومهد قواعد سلطانه ،
 وشدّ أواخيه . وأخباره مأثورة مشهورة .

قال ابن حيان^٤ : ومن أشهر أخباره أنه نظر في شأن من بقي من فتيان
 بني مروان يومئذ فسقط إليه خبر الدعيّ المُشبّه بهشام بن الحكم ، وكان
 قد تُحدّث أنّه أفلت من يدي سليمان قاهريه ، وانه غاب ببلاد المشرق

١ ط د م س : واجمع .

٢ الحلة ودوزي : الذين بالأندلس .

٣ هو يعيش بن محمد بن يعيش أحد رؤساء طليطلة عند نشوب الفتنة ، وقد استطاع أول الأمر
 إبعاد منافسيه من رؤساء المدينة ولكن مدته في الحكم لم تطل ، فأخرجته أهلها ، وخطبوا
 اسماعيل بن ذي النون لتسلم البلد ، وقد ترجم له ابن بشكوال (العسلة : ٦٥٠) وقال
 إنه بعد خروجه من بلده صار إلى قلعة أيوب وتوفي بها سنة ١٨٤ أو أوائل ١٩٤ ؛ (انظر الحلة
 ٢ : ٣٧ - ٣٨ التعليق رقم : ٥)

٤ البيان المغرب ٣ : ١٩٧ .

مدته الطويلة ثم عاد إلى الأندلس ، فقدح ذلك في قلوب الناس لمقدمات سلفت في ذكر هذا الرجل والشك في موته ، إذ كان سليمان قاتله قد ترك إبداءه للناس ، حسبما فعلته خدّمة^١ الملوك قبيل فيجن خلعهوه ، إمّا استخفافاً من سليمان يومئذ بمن ملك نواصبيهم بالقهر ، أو ما شاء الله من غلط أصاب المقدار قصده^٢ ، لقضاء سبق في علم أم الكتاب ، فلم تزل طائفة من شيعته تنفي موته ، وتروى في ذلك روايات تبعد عن الحقيقة ، وتصدر عن نسوان وخصيان من أهل القصر بقرطبة ، إلى أن علق ذلك بمن فوقهم من شيع المروانية ، فشدوا أوأخي خلاصه ، وقطعوا على حياته ، ووصفوا أنه اضطرب بقرطبة في دولة البرابر ممتهاً نفسه في طلب المعيشة ، ثم زعموا بعد حين أنه عبر إلى أرض المشرق ، وانساح^٣ في ذلك الأفق ، وقضى^٤ كل المناسك هنالك ، ووطيء كل بقعة ، ثم كرّ راجعاً إلى دياره لأمد محدود ولكرة الدولة المروانية ، لتحديث على يديه الأنباء البديعة ، فدأنوا - كما تسمع - بالرجعة دينونة الشيعة ، وناهوا في ذلك تيه ، تضليل^٥ ، سخر منهم أهل التحصيل ، إلى أن ظهر على زعمهم بالريّة سنة ست وعشرين في أيام زهير الصقلي .

ولم تزل قصة هذا المشبه بهشام تدب في قلوب الناس ديب النار في الفحم . فدبر ابن عباد خبّره ، واهتبل الغرة في ذلك ، وأنه أقل ما يجيء له

١ البيان : حزمة .

٢ قد تقرأ في ط : وارتاح ؛ البيان : وساح .

٣ ط د س والبيان : وقصر .

٤ ط : على يده .

٥ ط : بطل ؛ دوزي : تقليد ؛ البيان : بتضليل ؛ س : تغليل .

منه دفعُ مكروهِ ابنِ حمود ، ونظّمُ الناسِ على حَرْبه ، [١٣] فأخبرَ
أَنه حصلَ هشامٌ عنده ، وجمع من بقي بإشبيلية من نساء القصر والحرم ،
فاعترف به أكثرهم ووقفوا على عينه ، وأوماً إلى ثقاتهم عنده بما يريد فيه ،
فاجتنبوا خلافه وابتغوا موافقته ، فوجد ابنُ عبادٍ بذلك السبيل إلى ما
دبره من حرب ابنِ حمود^١ ، وحجبه عن أعين الناسِ ، وبثّ كتبه بذلك
إلى جميع الرؤساء ، واستنهضهم إلى الاجتماع على هذا الخليفة المخبوء لفقّ
الرقاب وكرة الأيام ، والجهادِ دونه ، فكثُر الخوضُ بالأندلس في ذلك ،
ومالت نفوسُ أهلِ قرطبة في نصبهِ إماماً للجماعة ، وأشخصوا الرسلَ
لوقوف على عين هشام ، وتثبيتِ الشهادةِ فيه ، وزوّر ابنُ جهورٍ وغيره في
ذلك شهادات ، على علمٍ منهم ، ابتغاءَ عَرْضِ الدنيا وإذعاناً من ابنِ
جهور أيضاً لما رآه من دفع ابنِ حمودِ الفاجرِ فاه على حضرةِ قرطبة ،
فرجع منه سريعاً إلى الاعتراف بالخطأ بقيّة عمره بعد عظيمِ ما^٢ انبعثتْ
في ذلك من الفتن ، وجرتْ من المحن ، وصُرعَ من الجبابرة ، ونُقِلَ
من الدول ، انتهى كلامُ ابنِ حيان .

قال ابن بسّام : وثبت القاضي ابن عباد - كما وصف - زاخراً العُبابِ
متألق الشهاب ، أذكى من قاسٍ وقلد ، وأدبى من أتهم وأنجد ،
يأخذُ وكأنه يدعُ ، ويظيرُ فيحسبُ أنه وقع ، فتغلبَ على إشبيلية
وليس له أوان ذلك متعقلٌ إلا وله شرّ راتبٌ ، وعليه أميرٌ غالبٌ ، فدار
الأمرُ بها عليه لتمييزه بخطّة القضاء التي لم يجاذب رداءها ، ولا سلّم لأحدٍ

١ ط م : ابن عباد ، وبياض في د .

٢ ط س ودوزي : وثبتت .

٣ س م : ما .

بعدُ لواءها ، إلى أن استوثقَ الأمرُ ليحيى بن علي الحموديّ - حسبما تقدم - فاضطرَّ أهلُ إشبيلية إلى الإذعان لطاعته ، والدخولِ فيما دخل فيه الناسُ من جماعته ، وأدارهم لأموارٍ جرتْ على رهونٍ تكون بيده ، فَصَنَّ كلَّ بولده ، وبادرَ القاضي فراهنتَهُ ابنتَهُ عبّاداً ، فانفرد بالتدبير ، واستولى على الأمور ، واستظهر على ذلك بهدمِ البيوتات ، وتشيت ذوي الهيات ، وأول ما بدأ به من ذلك نكبةُ شَبِيخِي المصري يومئذ الزبيدي وابن يريم ، طواهما طيَّ السجّل ، وقبضهما قبْضَ الظلِّ ، فأيدَ القاضي يومئذ بحبيب وزيره^١ ، ودارت عليه رحي تدبيره ، رجلٍ من أهلِ باديةِ إشبيلية لم تكن له نباهة مذكورة ، ولا سابقة مشهورة ، أوسع أهلُ زمانه شراً ، وأوسعهمُ خديعةً ومكرًا ، وأيدَ أيضاً بابنه اسماعيل طود أصالةً ، وجنّي^٢ بسالةً ، مِحَشَّ تلك النار ، وسابقُ ذلك المضمار ، فبين هذين استوسقت له الأمور ، وتدفقت تلك البحور ، وله أخبار مشهورة ، وقصص ماثورة ، فيها بعض الطول ، وهي عادلة عن تلك السبيل ، لكنّي أُلَمِّعُ منها بلُئمةً .

قال ابن حيّان^٣ : تعطلت قصبة باجة في ذلك الأوان بسبب فتنة البرابرة وخربت ، على قدّمِ بنائها في الجاهلية ، واتصال عمرائها في الإسلام ، ومكانها من طيب الميرة واتساع الخطّة ، وكانت آفاتُها من اختلاف أهلها قديماً ، وبقاء شؤمِ العصبية بين العرب منهم والمولدين إلى آخر الأيام ،

١ هو محمد بن أحمد بن عامر الحميري الملقب بحبيب والد اسماعيل مؤلف كتاب « البديع في وصف الربيع » (وسيترجم ابن بسام لابنه في ما يلي من هذا القسم) .

٢ دوزي : وجبير ؛ س : وجنبي .

٣ زاد هنا في م : وكان القاضي ابن عبّاد زاعراً العباب متألق الشهاب ، وقد مرت آنفاً .

فسمّاها ابنُ عباد وابنِ مسلمة المعروف بابنِ الأفتس ، وذهباً يومئذٍ إلى عمارتها^١ ، فاستظهر القاضي ابنِ عباد في ذلك بحليفه محمد بن عبد الله البرزيلي^٢ صاحبِ قرمونة ، وجرّد ابنهُ اسماعيلَ لبنائها ، فسبقه ولدُ ابنِ مسلمة إليها الملقب بالمظفر . وجاء مدداً لابنِ طيفور صاحبِ ميرتلة^٣ من أمراء الساحل ، فنزل ابنِ عباد عليه بباجة ، وضربت خيله إلى ناحية يابرة والغرب فهتكت أستاراً ، وخربت دياراً ، واتصل الحصار بابنِ الأفتس بباجة ، وانصدع الجمع عن أسرهٍ وقَتَلَ كبارِ رجاله ، وبعث بالأسرى إلى أبيه ، وكان في جملتهم أخُ لابنِ طيفور صُلبَ ياشيبيلية ، وحُبِسَ ولدُ ابنِ الأفتس عند [٣ ب] صاحبِ قرمونة ابنِ عبد الله ، وبلغت هذه الغارة من ابنِ الأفتس الغاية ، وتجاوزَ البلاءُ في جهته النهاية ، وهيضَ جناحهُ بأسر ابنه ، ووهن ابنِ طيفور بقتل أخيه ، وكان ابنُ عبدِ الله بقرمونة ، قطبُ رحى الفتنة ، كثيراً ما يُحَرِّضُ القاضي ابنَ عبادٍ على الخروج إلى بلد ابنِ الأفتس ، وإلى قرطبة ، فيعمّا^٤ الجهات كلها تدويحاً ، كلما آبا من جهةٍ صاروا إلى سواها ، حتى أثرا آثاراً قبيحة ، فارتفع طمَعُ وزراء قرطبة المدبّرين لها منه ، لأنّه كان لا يوافقهم على دعوة أمويٍّ لِفِرْطِ

١ عمارتها . موضعها بياض في دس وعند دوزي ، ويكثر البياض في هذه القطعة ، إلا أنه في م ط محض بخط مختلف عن خط الأصل .

٢ تكتب أيضاً : البرزلي والبرزالي . وقد بويع البرزالي هذا بقرمونة سنة ٤٠٤ هـ فعمرت ، وكان فارساً مهيباً ثم بايمته استحه والمدور وأشونة ولم يزل يتولى أمورها حتى سنة ٤٣٤ هـ (البيان ٣ : ٢١١ - ٣١٢)

٣ ميرتلة : مدينة تقع إلى الشرق من باجة (الروض المطار : ١٩٣) .

٤ ورد النص على الافراد في م س : فيعمم . . . كلما آب . . . الخ .

شروده^١ عن الجماعة ، وإنما كان مذهبه طمس رسم الخلافة من معانها^٢ بقرطبة ، وتصييرها أسوة إشبيلية في إسنادها إلى رئيس من أهلها ، وطرد قريش عن سلطانها ، إبطالاً للإمامة ورسوخاً في الخارجية ودفعاً لأمر الله . فقطع سبل قرطبة وشدت حصرها ، فتمسك الوزراء بجبل بعض البرابر من بني برزيل بجهة شذونة ، وكانوا على قديم^٣ الأيام جمرة زناة بأساً وصرامة ، واعتضدوا بهم مدة ، واعتضد أيضاً ابن الأفطس بطائفة أخرى منهم ، فكان في كل بلد جملة منها سالت عن أهل البلاد سيول^٤ بها ، وخطوا الشر بين رؤسائها ، واستخرجوا بذلك ما اطمروه^٥ من دنائيرهم وخيلهم ، وجاحوا ذات أيديهم ، وعلموهم كيف تؤكل الكتف ، فطال العجب عندنا بقرطبة وغيرها من صعاليك قليل عدد^٦هم ، منقطع مدد^٧هم ، اقتسموا قواعد الأرض في وقت معاً ، مضرتين بين ملوكها ، راتعين في كلاًها ، باقرين عن فلذتها ، حلتوا محل الملح في الطعام بآسهم الشديد ، وقاموا مقام الفولاذ في الحديد ، فلا يقتل الأعداء إلا بهم ، ولا تعمر الأرض إلا في جوارهم ، فطائفة عند ابن الأفطس تقاوم أصحابها^٥ قبيل ابن عبّاد ، وطائفة عندنا بقرطبة تحيّر أهلها عن الاضداد ، فسبحان الذي أظهرهم ، ومكّن في الأرض لهم ، إلى وقت وميعاد .

وكان^٦ انطلاق المظفر من يد ابن عبد الله في ربيع الأول من سنة إحدى

١ س و دوزي : شذوده .

٢ المعان : المنزل ؛ ط : مغانها ؛ م س : مغانيها ؛ د : مكانها .

٣ ط : قدم .

٤ من طمر بمعنى أغمى تحت الأرض ؛ س : اظهروه .

٥ تقاوم أصحابها : سقطت من ط .

٦ انظر البيان المغرب ٣ : ٢٠٣ .

وعشرين في خبر طويل ، وعرض عليه ابنُ عبدِ الله يومَ أطلقه أن يجتازَ على القاضي ابنِ عبّاد [ليشركه]^١ في المنّ عليه بفكته . فأبى من ذلك وقال : مقامي في أسرك أشرفُ عندي من تحمّلِ مننته ، فأمّا انفردتَ باليدِ عندي وإلا أبقيتني على حالي ، فأعجبَ ابنُ عبدِ الله بمقاله ، وناقسَ في إسداءِ اليديّ عنده لكمالِ خصاله . وأكْرَمَ تشييعه^٢ . فتنفّذَ إلى أبيه يومئذٍ ببطليوس وقد هدّبتُه محنته . وتمت أدواتُه وقويت حنكته ، وكان مُرجلاً معقلاً أديباً عالماً . فرجع إلى مقاومة ابنِ عبّاد .

فلما كان في سنة خمس وعشرين وجّه ابنُ عبّادِ بابنه اسماعيلَ مع عسكرٍ إلى أرضِ العدو تحت معاهدةٍ بينه وبين ابنِ الأفطس ، فلما أوغل اسماعيلُ ببلده يريد أرضَ غليسية ، وابنُ الأفطس مضمراً^٣ الغدرَ به ، بادر بجميع رجالِ ثغره^٣ . ورصده في شعْبِ ضبيقٍ في طريقِ قُفوله . ولم يعلم ابنُ عبّادِ بشيءٍ من تدبيره حتى حصل في الأناشوطه ، فبادر اسماعيلُ بالنجاةِ لنفسه ، وأسلمَ جميعَ عسكره له . وجرت عليه في مَهْرَبِهِ مع جُمْلَةِ من أصحابه شدةٌ لَجَأَ فيها إلى ذبح خيله والاختداء بلحومها . ونجا بِذِمَائِهِ إلى مدينةِ أشبونة آخر عمله من ساحل البحر المحيط . فاصطلم ابنُ الأفطسِ عسكره اصطلاماً لم يُسْمَعْ بمثله ، ووقعَ سرعانُ العدو من النصارى على كثيرٍ منهم فاقْتَنصوهم اقتناصاً ، وقتلوا منهم أمةً ، وكانت حادثةً شنيعةً بقيت بها عداوتهما إلى آخر وقتهما .

١ زيادة من البيان .

٢ ط د م س : مصر .

٣ ط د م س : تعله .

قال ابن بسام : ومن شعر ذي الوزارتين قوله ^١ :

يا حَبَبًا الياسمينُ إذ يَزْهَرُ فوق غصونٍ رطبيّةٍ نُضِرُ
قد امتطى للجبالِ ذروتها فوق بساطٍ من سندسٍ أخضرُ
كأنه والعيونُ ترمقهُ زمرّدٌ في خلاله جَوْهَرُ

وقال :

وياسمينٍ حَسَنِ المنظرِ يفوقُ في المرأى وفي المخبرِ
كأنه من فوقِ أغصانهِ دراهمٌ في مُطَرَفِ أخضرِ

وقال :

ترى ناضرَ الظيَّانِ فوقَ غصونه إذا هو من ماء السحابِ يفتدي
وحَفَّتْ به أوراقهُ في رياضه وقد قُدَّ بعضٌ مثلَ بعضٍ وقد حُدِّي
كصفرٍ من الياقوتِ يُلبَّسنُ^٢ بالضحى منضدةً من فوقِ قُضْبِ الزمرّدِ

فصل في ذكر المتضد بالله عبّاد ابن ذي الوزارتين

القاضي أبي القاسم محمد بن عبّاد وسيّاقه مقطوعات

من أشعاره ، مع جملة من عجائب أخباره

قال ابن بسام ^٣ : ثم أفضى الأمر إلى عبّاد ابنه سنة ثلاث وثلاثين ،

.....

١ وردت هذه المقطعات في الحلة ٢ : ٣٨ - ٣٩ ، والأولى منها في النفع ٤ : ٢٤٢ .

٢ الحلة ودوزي : يلمن .

٣ انظر الحلة ٢ : ٣٩

وتسمى أولاً بعصر الدولة ثم بالعتضد ، قطبُ رحي الفتنة ، ومنتهى غايةِ المحنة ، من رجلٍ لم يثبت له قائمٌ ولا حصيدٌ ، ولا سَلِيمٌ عليه قريبٌ ولا بعيدٌ ، جبارٌ أبرمَ الأمور وهو متناقض ، وأسدٌ قرَسَ الطلى وهو رابض ، متهورٌ تتحاماها الدهاة ، وجبارٌ لا تَأْمَنُهُ الكماة ، متعسف اهتدى ، ومُنْبَتَّ قطع فما أبقى ، ثار والناسُ حربٌ ، وكلُّ شيءٍ عليه إلب ، فكفى أفرانتهُ وهم غيرٌ واحد ، وضبطُ شأنه بين قائمٍ وقاعد ، حتى طالت يده ، واتسع بلده ، وكثر عديدهُ وَعُدَدَه ؛ افتتح أمره بقتل وزير أبيه حبيب المذكور ، طعنةً في ثَغْرِ الأيام ، مَلَكَ بها كَفَمَه ، وجباراً من جابرة الأنام ، شَرَّدَ به مَنْ خَلْفَه ، فاستمرَّ يَفْرِي وَيَخْلُقُ ، وأخذ يجمعُ ويفرق ، له في كلِّ ناحية ميدان ، وعلى كلِّ رايية خِوان ، حَرَبُهُ سَمٌّ لا يبطيء ، وسهم لا يُخْطِئ ، وسلمُهُ شَرٌّ غيرُ مأمون ، ومتاعٌ إلى أدنى حين .

وذكره ابن حبان فقال^٢ : وعشي يوم الأربعاء^٣ لست خلت بلجمادى الآخرة سنة إحدى وستين ، طرَّقَ قرطبة نَعْيُ المعتضد عباد زعيم جماعة أمراء الأندلس في وقته ، أسد الملوك ، وشهاب الفتنة ، وراحض^٤ العار ، ومُدْرِك الأوتار ، وذو الأنباء البديعة ، والحوادث^٥ الشنيعة ، والوقائع المبيرة ، والهمم العلية ، والسطوة الأيية ، فرماه الله بسهمٍ من مراميه

١ ط دم ودوزي : وجبان .

٢ البيان المغرب ٣ : ٢٠٤ والحلة ٢ : ٤٠ .

٣ الحلة : الأحد ؛ والسبب في هذا الخلاف أنه توفي السبت ودفن يوم الأحد (كما سيبين في ما يلي) ولكن الخبر لم يطرق قرطبة إلا يوم الأربعاء .

٤ ط دم س : وراحض .

٥ الحلة : والجرائر .

المُصمِيَّةِ ، أَجَلَ^١ ما كان في اعتلائه ، وأرقى ما كان إلى سمائه ، وأطمعَ ما كان في الاحتواء على الجزيرة ، مُحْتَفِزاً لها عند تشميره الذيلَ بفتنةٍ لا كِفَاءَ لها ، فتوفاه الله على فراشه من علّة ذبحة قصيرة الأمد^٢ ، وَحِيَّةِ الاجتهاز ، انفتحت الحكايات أنها كانت شِبَهَ البَغْتِ . وكانت ولايته بعد موت أبيه القاضي يوم الاثنين غرة جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين ، وقضى نَحْبَهُ يوم السبت الثاني من جمادى الآخرة سنة [٤ ب] إحدى وستين ، ودُفِنَ عشيَّ يوم الأحد بعده ، تَعَمَّدَ الله خطابه ، فلقد حُمِلَ عليه على مرّ الأيام ، في باب فرطِ القسوة وتجاوز الحدود ، والإبلاغ في المُثَلَّةِ ، والأخذ بالظنّة ، والإخفار للذمّة ، حكاياتٍ شنيعة لم يبدُ في أكثرها للعالم بصدقها دليلٌ يقومُ عليها ، فالقول ينسأغ في ذكرها ؛ ومهما برىء من مغبتها^٣ فلم يَبْرَأْ من فظاعة السطوة وشدة القسوة^٤ ، وسوء الاتهام على الطاعة ، سجايا من جبلة^٥ لم يحاشِ فيها^٦ ذوي رحم واشجة .

وقد كان تَقَيَّلَ سيرة أحمد بن أبي أحمد بن المتوكل^٧ أحد أشدّاء خلفاء^٨ العباسيين الذي ضمَّ نَشْرَ المملكة بالمشرق ، وسطا بالمتزین عليها ، وبفقده انهدمت الدولة ، فحمل عبّاد سمتهُ المعتضدية ، وطالع بفضل

.....

- ١ س ط د والبيان : أجد ، الحلة : أمد .
- ٢ م : المتل (دون اعجام التاء) ؛ س : الأمل .
- ٣ ط د س ودوزي : مفيها .
- ٥ ط د م س : فلم يبرأ من شدة القسوة .
- ٦ الحلة : جبلته .
- ٧ دوزي والحلة : فيهن .
- ٨ هو الملقب بالمعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩) .
- ٩ دوزي والحلة : خلائف .

نظره أخباره السياسية التي أضحت عند أهل النظر أمثلة هادية إلى الاحتواء على أمدّ الرياسة، في صلابة العصا وشناعة السُّطَا، فجاء منها بمتهولات يدعُر مَنْ سمع بها فضلاً عن من عاينتها، نسبوا إلى هذا الأمير الشهم عباد امتثالها من غير دلالة، وقد انطوى علم الله فيها وتقرر إرصاده للمكافأة بها؛ ولم يقصر عباد في دولته التي مهّدها فوق أطراف الأستة وصير أكثر شغله فيها شبّ الحروب، وكياد الملوك، وإهراج البلاد، وإحراز التلاد، من توفّر حفظه الأوفى من الأمور الملوكية، والعدد السلطانية، والآلات الرياسية، فاتبى القصور السامية، واعتمر العمارات المُنغلة، واكتسب الملابس الفاخرة، وغالى الأعلاق السنية، وارتبط الخيول السابحة، واقتنى الغلمان الرُوقة، واتخذ الرجال اللدادة، تنقاهم من كل فرقة، فساس طبقاتهم ما بين إدّرار الاعطية وضمنان الزيادة على صدق الصيال، والوفاء بالوعيد على النكول عن العدو، سياسة أعيّت على أنداده من أملاك الأندلس، فخرّج منهم رجالاً مساعير حروب، أباد بهم أقتاله.

ومن نادر أخباره المتناهية في الغرابة أن قال بُغَيْتته وأهلك تلك الأمم العاتية، وإنه لغائب عن مشاهدتها، مُتَرْقِّهٌ عن مكابلتها، مدبّر فوق أريكته، منفذٌ لحيلها من جوف قصره، ما إن مشى إلى عدو أو مغلوب من أقتاله غير مرة أو اثنتين^١، ثم لزم عيريسته^٢ يدبّر داخلها أموره، جرّد نهاره لإبرام التدبير، وأخلص ليله لتملّي السرور، فلا يزال تدار عليه كؤوس الراح، ويُحَيّا عليها بقبض الأرواح، التي لأناسيتها من

١ ط د م س : الشطا .

٢ دوزي : درتين .

٣ ط د : هريشته ؛ س : عن بيته .

أعدائه بباب قصره حديقة تَطْلِعُ كلَّ وقتٍ ثمرًا من رؤوسهم المهداة إليه ، مقرّطة الآذان برقاع الأسماء المنوّهة بخاملها ، ترتاح نفسه لمعاينتها ، والخلق يدعون من التماحها ، وهو واصلٌ نعيمٍ ليله بإجالته كيده ، ومستدعٍ نشاطٍ لهوهِ بقوةِ أيده . له في كلِّ شأنٍ شؤنين ، وعلى كلِّ قلبٍ سمعٌ وعين ، ما إن سبَرَ أحدٌ من دهاة رجاله غوره ، ولا أدركَ قعره ، ولا أمينَ مكره ، لم يزل ذلك دأبه منذ ابتدائه إلى انتهائه .

وكان محمد بن عبد الجبار الملقب بالمهدي . مفرق الجماعة بقربة ، ومبتعث تلك الفتنة الميرة ، سبق عباداً إلى اتخاذ مثل هذه الحديقة المطلعة لرؤوس أعدائه ، أيامَ أكثرَ له واضحٌ الخصي العامريّ من إرسالِ برؤوس الخارجين عليه ، لأولِّ وقته ٢ ، وأصلح بهم باب مدينته سالم ، فغرس منها فوق الخشب المعلية لها بشطّ النهر حذاء قصره حديقة هول عريضة طويلة الخطّة ، جمّة عددِ الصفوف المسطورة ، فأضحت شُغلاً للنظارة ، وذكرتها شعراؤه مثل قول صاعد بن الحسين ، من قصيدة أولها :

جِلاءُ العينِ مُبْهَجةُ النفوسِ	حدائقُ أُطْلَعَتْ ثَمَرَ الرُّوسِ
هناك اللهُ مَهْدِيّ المَساعي	جَنَى الهاماتِ من تلكِ الغروسِ
فلم أَرَ قبلها وحشاً جميلاً	كثيره روائيه أنسُ الأنيسِ
فماذا يَمَلأُ الأَسْماعَ منها	إذا مُلِئَتْ مِن أنباءِ الطروسِ

وقد كانت لعباد وراء هذه الحديقة المألثة قلوبَ البشر ذعراً ، مباحةً بخزائنه بلكوى ، أكرمَ لديه من خزائنه جوهره ، مكنونة جوفَ قصره ،

.....

١ ط د م س : ومبتدع ، والتصويب عن البيان .

٢ ط د س : وقعه .

أودعها هامّ الملوك الذين أبادهم بسيفه ، منها رأس محمد بن عبد الله البرزيلي شهاب الفتنة ، ورؤوس الحُجّاب ابن خزرون وابن نوح وغيرهم الذين قرن رؤوسهم برأس إمامهم الخليفة يحيى بن علي بن حمود ، سابقهم^١ إلى تلك الرفعة^٢ ، فخصّ رؤوسهم بالصون بعد إذالة جسامهم الممزقة . وبالغ في تطييبها^٣ وتنظيفها للتواء لا للكرامة ، وأودعها المصارون الحافظة لها ، فبقيت عنده ثاوية^٤ تجيب سائلها اعتباراً : انتهى كلام ابن حيان .

قال ابن بسّام : فلما افتتحت إشبيلية وخليع المعتمد ، حدثتُ أنه وجد جُوالق^٥ مطبوع^٦ عليه ، وظنّ أنه مال أو ذخيرة ، فإذا هو مملوء رؤوساً ، فأعظّم ذلك وهال أمره^٧ ، فدفع كل رأس منها لمن كان بقي من عقبهم بالحضرة ، أخبرني من رأى رأس يحيى بن علي بن حمود يومئذ ثابت الرسم متغيّر الشكل ، فدفع إلى بعض ولده فدفنه .

قال ابن حيان^٨ : وكان عباد أوتي أيضاً من جمال الصورة ، وتمام الخليقة ، وفخامة الهيئة . وسبّاطة البنّان ، وثقوب الدهن ، وحضور الخاطر ، وصدق الحس ، ما فاق أيضاً به على نظرائه . ونظر مع ذلك في الأدب ، قبل ميل الهوى به إلى طلب السلطان ، أدنى نظر بأذكي طبع ، حصل منه لثقوب ذهنه على قطعة وافرة علقها من غير تعهد لها . ولا إمعان في غمارها ، ولا إكثار من مطالعتها ، ولا منافسة في اقتناء صحائفها ، أعطته نتيجتها على ذلك ما شاء من تحبير الكلام ، وقرض قطع من الشعر ذات طلاوة ، في معان أمدّته^٩ فيها الطبيعة ، وبلغ فيها الإرادة : واكتبتُها

.....

١ البيان : الوقعة ؛ وقد تقرأ في ط كذلك .

٢ س : تطييقها .

٣ نقل لسان الدين بعض هذا النص في أعمال الأعلام : ١٥٥ .

الأدباء للبراعة - جمع هذه الخلال الظاهرة والباطنة إلى جود كفّ باري بها السحاب . وأخبار عباد في جميع أفعاله وضروب أنحائه - عالئاته وخافياته - غريبة بعيدة ، وكان على تجرّده في إحكام التدبير لسلطانه ذا كلفٍ بالنساء . فاستوسع في اتّخاذهن ، وختلّط في أجناسهنّ ، فانتهى في ذلك إلى مدّى لم يبلغه أحدٌ من نظرائه . قيل إنه خلف من صنوفهن السّريريّات خاصّة نَحْوًا من سبعين جارية ، إلى حرّته الحظيّة لديه الفدّة من حلائله بنت مجاهد العامري أختِ علي بن مجاهد أميرِ دانية . ففشا نسلُ عباد لتوسّعه في النكاح وقوّته عليه . فذكر أنه كان له من ذكور الولد نحو من عشرين ومن الإناث مثلهم ؛ انتهى كلامه .

قال ابن بسّام : وكان المعتضد - كما وُصِفَ - ينفث بأبيات من الشعر فيما يعنّ^١ له من أمر . ورأيت ابن أخيه اسماعيل قد جمع شعر عمّه هذا في ديوان ، وسأجري هاهنا طرفاً منه .

جملة من أشعاره

مع ما ينخرط في سلكها من عجائب أخباره

قال^٢ :

كأنما ياسميننا الغصّ كواكب في السماء تبيضُ
والطرُقُ الحُمُرُ في جوانبه كخذّ عذراء مستها^٣ عضّ

.. .. .

١ قد تقرأ في م : يمتن .

٢ انظر البديع في وصف الربيع : ٩١ والخلة ٢ : ٤٩ راعمال الاعلام : ١٥٧ .

٣ البديع : ناله ؛ الخلة : مسه .

وقال ١ :

إشربْ على وجه الصباحِ وانظر إلى نَوْرِ الأَقاحِ
واعلم بأنك جاهلٌ ما لم تقل بالإصطباحِ
فالدهر شيءٌ باردٌ إن لم تسخنهُ براحِ

وقال ٢ :

أَتَكَّ أمُّ الحُسْنِ تشدو بصوتِ حسنِ
نمَدَ في الحانها مدَّ الغناءَ المدني
تقود مني سلسلاً^٣ كأنني في رسنِ
أوراقها أستارها إذا شدتْ في فننِ

[ه ب] ومعنى هذا البيت كقول ابن المعتز :

ذُرَى شجرٍ للطير فيه تشاجرٌ كأنَّ سقيطَ الطلِّ فيها جواهرٌ
كأنَّ القماري والبلابل حولنا قيانٌ وأوراق الغصونِ ستائر

وقال بعض أهل عصرنا وهو الوزير أبو محمد بن عبدون^١ :

يا نفضةَ الزهرِ من مسراكِ وإفاني خلوصُ ريبكِ في أنفاسِ آذارِ
والأرضُ في حُللٍ قد كادَ يحرقنها توقدُ النور لولا ماؤها الجاري
والطيرُ في ورَقِ الأشجارِ شاديةٌ كأنهنَّ قيانٌ خلفَ أستارِ

١ نفع الطيب ٤ : ٢٤٣

٢ نفع الطيب ٤ : ٢٤٢

٣ النفع : ساكتاً .

٤ ط دم س : شوال .

ومعنى بيت ابن عبدون الثاني من متداولات المعاني ، منها قول الآخر
ونقله إلى الدموع :

لولا الدموع وفيضهن لأحرقت أرض الوداع حرارة الأكباد

وأشبهه منه قول ابن رباح :

نارٌ يُغَدِّبُهَا السحابُ بمائه فلذلك لم تك توتمي بشرار

ومن أحسن شعر المعتضد قوله ^١ :

شربنا وجفن الليل يغسل كحله بماء صباح ^٢ والنسيم رقيق
معتقة كالنبر أما نجارها فضخم وأما جسمها فدقيق

وقال يخاطب مجاهداً ^٣ :

خلتني أبا الجيـش هل يُقضى اللقاءُ لنا فيشتفي منك طرف أنت ناظره
شطاً المزارُ بنا والدارُ دانية٤ يا حبذا الفال لو صححت زواجره

وقال من جملة قصيدة يخاطب بها أباه القاضي ^٥ :

أطعتك في سرّي وجهرّي جاهداً فلم يك لي إلا الملام ثواب
ولما كبا جدّي إليك ولم يسع نفسي على سوء المقام شراب

١ الخلة ٢ : ٤٩ والفتح ٤ : ٢٤٢ واعمال الاعلام : ١٥٧ والبيان ٣ : ٢٠٨ وقد وردا
في الذخيرة ١ : ٥١٨ منسوبين لابن برد الأضفر .

٢ ط : الصباح .

٣ الخلة ٢ : ٤٧ والبيان ٣ : ٢٠٨ .

٤ دانية بمعنى قريبة كما أنها اسم البلد حيث مجاهد العامري أبو الجيـش .

٥ الخلة ٢ : ٤٦ .

فررتُ بنفسِي أبتغي فرجةً لها
وما هزّني إلاّ رسولك داعياً
فجئتُ أغدّ السيرَ حتى كأنّما
وما كنتُ بعدَ البينِ إلاّ موطناً
« ولكتك الدنيا إليّ حبيبة »
أصيبُ بالرضى غني مسرّة مهجتي
على أنّ حلّو العيش بعدك صاب
فقلتُ أميرُ المؤمنين مجاب
تطيرُ بسرجي في الفلاة عِقَاب
بعزمي على أن لا يكونَ إياب
فما عنك لي إلا إليك ذهاب ^١
وإن لم يكن في ما أتيتُ صواب
وكان المعتضد كثيراً ما يرتاح في شعره إلى ذكر الطائفة التي كانت

يومئذ تحاربه ، فمن ذلك قوله :

لقد حُصِّلتِ يا رُنْدَة ٣
أفادتناك أرماح
وأجناداً أشدّاء
غدوتُ يروني مولى
سأفتي مُدّة الأعداء
وتبلى بي ضلالتهم
[أ٦] فكم من عدّة قتلتُ
نظمتُ رؤوسهم عقداً
فصرتُ للمكنا عِقْدَة
وأسيافُ لها حدّة
إليهم تنتهي الشدّة
لهم وأراهمُ عدّة
ان طالتُ بي المُدّة
ليزدادَ الهوى جدّة
تُ منهم بعدها عدّه
فحلّتُ لَبّة السُدّة

وأعجب المعتضد يومئذ بهذه القطعة الرندية ، عجباً حسان بن ثابت
بقصيدته الميمية ^٤ ، وأخذ الناس بحفظها ، وحملهم على ضبط معانيها ولفظها .

١ بيت مضمن وهو المتنبي ، انظر ديوانه : ٤٨٢

٢ البيان ٣ : ٢٠٨ والنبح ٤ : ٢٤٣ والحلة ٢ : ٤٩ .

٣ رندة : (Ronda) مدينة قديمة من مدن تاكرنا (الروض : ٧٩) .

٤ لعله يعني قصيدته التي يقول فيها .

لنا الحففات الفر يلعبن بالضحي وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

وعلى ذكرها وذكرهم ، فلنُسمع بشيء من أمرهم . بدأ بغرب إشبيلية
وبها عدّة رؤساء ، وجماعة خلفاء ، فكانوا دخان ناره ، وزبد تياره ،
إلا ما كان من ثبوت قدم قريعه المظفر بن الأفتس ، فانه نازعه لبوسها ،
وعاطاه إلى آخر أيامه كؤوسها ، ولما في ذلك غير مجال وميدان ، وقد سرد
قصصهما أبو مروان ابن حيان ، وسألتمُ بعيونها ، وأقلبُ ظهورها لبطونها .

جملة من حروبه مع المظفر وغيره من أمراء الغرب

قال ابن حيان^٢ : وأول ما ظهر من تفساد عباد والمظفر ان ابن يحيى
صاحب لبلبة عند هجوم عباد عليه استجار بالمظفر بن الأفتس ، فأجاره
وانزعج له ، ووصل يدهُ وعطّل ثغره ، وجمع جيشه وأقبل إلى لبلبة ناصراً
لابن يحيى ، مضياً لمن خلفه يُوقدُ نارَ فتنةٍ كان في غنى عنها ، حتى نزل
بنفسه على ابن يحيى ودافع ابن عباد عنه ، وحرك في ذلك من حلفائه البرابرة
جماعةً ، فسارعوا إليه غيرَ ناظرين في عاقبة أمرهم ، وتقدّموا في تحريك
يَعْسُوبِهِمْ محمد بن القاسم فانتظم به أمرهم ، وتقدّم بهم إلى إشبيلية ورحاهم
تدور على قريتهم باديس بن حبّوس ، مدّرهمهم في الجُلّي ومقرّعهم
في النابذة ، يُسَلّمون لرأيه ويزحمون بركنه ، فأشفق الوزير ابن جمهور من
حركتهم تلك ، على عادته في التقلقل لأمثالها ، وجهد جهده في صرفهم ،
وأرسل ثقات رُسُلِهِ إلى عامتهم ، إلا ما كان من الدائنين منهم عباد
داعية المروانية ومحمد بن إدريس صاحب مالقة دائل الحمودية ، فإنه تنكّبها

١ البيان : وجريّة .

٢ البيان ٣ : ٢٠٩ .

بعاداً من الظنّة ، إذ كان هو وجماعة قرطبة متوقفين^١ على كل دعوة ، فلما وصلت رسله إليهم ما زادهم إلا بلحاجاً . ولم يزل ابنُ جهورٍ يضربُ لهم الأمثال ، ويخوفهم من سوء العاقبة والمآلِ ، حتى صار فيهم كثرةٌ من آلِ فرعون وعظماً وتذكراً ، يتجدد^٢ منهم الأطوادُ الراسية ، ويرتقي الحيات المتصامة . واستنّ القوم في ميدان الغي ؛ فلما صحَّ عند ابنِ عبادٍ خروجهُ للبلّة بجهشه دفعاً عن ابنِ يحيى منتظراً لخلطائه ، جرد خيلاً ضربتُ على بلدِ ابنِ الأفطس ، وغارت وأنجذت ، وفعلت فعلاتٍ نكأت القلوب ، وقرفت الندوب^٣ ، ثم نهض ابنُ عبادٍ بنفسه إلى لبلّة للقائه ، فجزتُ بينهما على بابها وقعةً عظيمةً^٤ صعبة ، استتھما فيهما النصرَ في مقام واحد شقّ الأبلُمة ، وكانت < الدائرة >^٥ أولاً على ابنِ الأفطس ، فولّى الدبر وخاض وادبها دونَ مخاضة ، وقيل قُتل من رجاله عددٌ كثير ، ثم رجعت له على ابنِ عبادٍ كرامةٌ فكشفَ رجاله وأصابَ منهم نفراً ، ثم افترقوا ولحق بعدُ باديسُ بجمعه وخاض وادي قرطبة وجاز إلى الشرف ، وتجمّع بحلفائه ، وعاثوا في نظر إشبيلية ، وانقطعت السبل جملة ، وكثر القتل والهرج والسلب ، وأمسى الناسُ في مثل عصرِ الجاهليّة ، ثمّ والى ابنُ يحيى بعد ذلك كله المعتضدَ لضرورةٍ دفعته إلى ذلك ، فكاشفه^٦ المظفر وخانه فيما كان ائتمنه عليه من ماله وأودعه عنده ، [٦ ب] أيام تورطه في حرب المعتضد ، فانبثت

١ ط : متوقفين ؛ البيان : مترفين ؛ س : متوقفين .

٢ ط : يجدو ؛ د : يحدر ؛ س : يجدوا .

٣ ط د م س : الذنوب ؛ وقرفت الندوب : قشرت الجروح .

٤ عظيمة : سقطت من ط د والبيان .

٥ زيادة من دوزي .

٦ ط : فكشفه .

بينهم العصمة ، وضربت خيل المظفر على صاحب لبله ، فاستغاث المعتضد فلحق به خيله واقتلت مع خيل المظفر ، وكان ابن جهور كثيراً ما يوالي رسله إلى الاصطلاح بينهما ، فتصدر عنهما ونخبر أن ابن الأفتس أقرب إلى الملام ، بامتطاء قعود اللجاج في القطيعة .

ومن النوادر المحفوظة بينهما أن المعتضد والى حربته في شهر سنة اثنتين وأربعين فعبراً بلده ، وفتح عدة حصون ضمتها إلى عمله ، وشدها برجاله ، ودمر عمارات^٢ واسعة أفسد غلاتها ، وأوقع رعيته في المجاعة الطويلة ، وعجز المظفر عن دفاعه شبراً واحداً فما دونه ، استكافة للحادثة التي هدت ركنه ، وأفنت حمأة رجاله ، فاعتصم بحصنه بطليوس^٣ ، ولم يخرج من خيله فارساً . وجعل يشكو به إلى حلفائه ، فلا يجد ظهيراً ولا نصيراً .

فلما قضى المعتضد من تدويخ بلاده وطوره^١ ، وكرّ راجعاً إلى إشبيلية في شوال من العام ، وردت علينا بقرطبة يومئذ غريبة^٢ ، وذلك أن رسول المظفر في أثر هذه الوقائع عليه < ورد قرطبة >^٣ يلتمس شراء وصائف ملهيات يأنس^٤ بهن^٥ ، نافيةً بذلك الشماتة عن نفسه ، ولم يكن له عادة بمثله ، فنقّب له رسوله عن ذلك ، وكنّ قد عد من بقرطبة يومئذ ، فوجد له صبيتين ملهيتين عند بعض التجار لا طائل فيهما ، فاشتراهما له ، وأقام رسوله يلتمس الخروج بهما فلم يستطع ، لقطع خيل المعتضد جميع الطرق ، فأقام مدة بقرطبة إلى أن شبع بخيل كثيفة ومضى بهما ، وأولو

.....

١ في الشسخ : بغير .

٢ ط م : صمرات ؛ س : غمرات .

٣ زيادة من البيان المغرب .

النهي يتعجبون ويتعجبون^١ مما شهَرَ به نفسه من البطالة ، أيام الحروب
المُحرَّمة لأطهارِ النساءِ على فحولِ الرجالِ العاقدةِ للأزرَّةِ . وعلى ما
كان يدَّعيه لنفسه من الأدبِ والمعرفة ، وبجثتُ على هذه الأعجوبة وما
الذي حملة على هذا الأَقْنِ فإذا به ناغى كاشحةً المعتضدَ المرتاحَ بعدَ
الظفرِ لاجتلابِ قينة عبد الرحيم^٢ الوزير من قرطبة ، إثر وفاته يومئذ ،
وقد استدعاها لما وُصِفَتْ له بالحدقِ في صنَّعتها ، فوجَّهتُ نحوه ،
فتقبَّلتهُ المظفرُ في إظهارِ الفراغِ وطلَّبتِ الملهيات ، وقد علم العالمُ أنه
لني شغلٌ عنهنَّ . فامتدَّ شأؤ هذين الأميرين يومئذ في الغيِّ وتباريا في
القطيعة حتى أفنيا العالمين ، إلى أن سنَّى الله بينهما الصلحَ ، في ربيع الأول
سنة ثلاث وأربعين ، بسعي ابن جهورٍ أمير قرطبة ، كعادته بينهما^٣ ،
بعد كتب ورسل في ذلك ، والمظفر يمتطي اللجاجة هنالك .

فلما سكنتِ الحالُ بينهما فرغ المعتضد إلى حرب الأُمراء الأصاغر
بالغرب ، كابن يحيى وابن هارون وابن مزين والبكري^٤ ، وأتيح له من
الظفر عليهم ما حاز به أملاكهم وضمَّها جملةً إلى عمله ، ثم مدَّ يدهُ بعدُ
إلى القاسم بن حمود صاحب الجزيرة الخضراء ، فرضةِ المجاز من الأندلس

.....

١ ويعجبون : من م وحدها .

٢ البيان : قينة ابن الرميحي .

٣ ط د م س : بينهم .

٤ ابن يحيى صاحب لبللة ، وقد مر من خبره ما يكفي ، وابن هارون هو سعيد بن هارون صاحب
اكشونية ، توفي سنة ٤٣٤ وخالفه ابنه ومن يده أخذ المعتضد اكشونية سنة ٤٤٩ ؛ وابن
مزين هو عيسى بن محمد بن مزين صاحب شلب ، حكم فيها سنة ٤٤٠ ووالى عباد الحروب
ضده وقتله سنة ٤٤٥ وانتزع مدينة شلب منه ، وأما البكري صاحب شلطيخ وأونبة
فسيرد ابن بسام خبره مع بني عباد في ما يلي .

إلى أرض العدوة التي كان منها فتحها ومن قبلها ما أتاها على قدم الدهر ،
وذلك أنه لما وجد هذا الفتى ، على نباهته وجلالة عمله ، أضعف أمراء
البرابرة شوكة وأقلتهم رجالاتاً ، صمد له وحصره ، فاستغاث القاسم
حلفاءه بالأندلس وصاحب سبته سقوت البرغواطى مولى ابن حمود ،
فأبطأ عليه حتى سقط في يده ، ونزل على أمان ، وآل أمره إلى أن لحق
بقرطبة وأسكنها تحت كنف ابن جهور مع نظرائه من المخلوعين .

فلما كانت سنة إحدى وخمسين ، وقد أتيح له من الظفر ما أتيح ،
اتصلت الأنباء عندنا بقرطبة بصموت منابره في جميع أعماله عن ذكر إمامه
هشام بن الحكم ، صاحب الرجعة ، الذي اتصل الدعاء له على منابره
من عهد قيام والده إلى آخر هذه السنة ، يومئذ إليه بالحياة في غياب الحُجُب
من غير ظهورٍ لخاصة ولا عامة ، ودعوته على ذلك كله [١٧] مرفوعة
عند من اتسى بالمتضد من أمراء شرق الأندلس ، إلى أن قطعها قاطع
الأعناق عليها ابن عباد ، فدُكِرَ أنه دعا وجوهَ حضرته فنسعى لهم
إمامهم هشاماً ، وكشفَ إليهم تقدّم وفاته من عيلةٍ زمانية ، ووصف
أنّ الحال التي كان بسبيلها من اشتداد الفتنة بينه وبين من تظاهرَ عليه من
أمراء الأندلس الدّائنين منه عاقه يومئذٍ عن البوّح بوفاة هذا الإمام والشهرة
لدفنه ، إعطاءً للحزْم بقبسطه ، فلمّا سكنت الحالُ وجب التصريحُ
بالحق ، وعطف - زعموا - بكلامه على شحذ بصائرهم في التمسك
بجبل الإمامة ، والفرار عن الميتة الجاهلية . ودُكِرَ أنه خاطبَ مَنْ كان
تحت دعوة هذا المنحى هشام من أمراء الأندلس ناعياً له ، داعياً إلى التعويض
منه ، فارتفعت الدعوة منذ ذلك الوقت ، وصارت هذه الميتة لحاملٍ

١ سيأتي خبر سقوت في هذا القسم من الذخيرة .

هذا الاسم الميتة الثالثة ، وعساها تكونُ إن شاء الله الصادقة ، فكم قُتِلَ وكم مات ، ثم انتفض من التراب ، ومزق الكفن قبل نفخة الصور ووقعة الواقعة ، فقد كان مات في يد أول خالعه محمد بن هشام بن عبد الجبار ودُفِنَ علانية ، ثم نُشِرَ بيد واضح الصقلبي فتي بني أبي عامر ودال مُدَيِّدَةً ، ثم قتل خالعه الثاني سليمان المستعين ودفنه خفية ، ثم أبرز صداه علي بن حمود الحسني المتزري ، يُذكي الطلب بثأره على الدولة ، ودفنته الدقنة التي خلناها حقيقة ، فلم يلبث أن نجّم حياً بإشبيلية بعد حِقَبٍ ، فبقي هنالك ملكاً ودال قرناً إلى أن وقعت عليه هذه الميتة الثالثة ، فما نقول ونعتقد في الفرق بين هذه الميتات المتواليات ، إذ كان ماتها واحداً ، وليس إلا السيوف عليها أدلة ، غير إخلاص الدعاء لكلمة المسلمين في الائتلاف لما فيه الصلاح ؛ انتهى ما نخصته من كلامه .

قال ابن بسام^١ : ثم غمس المعتضد يده بَعْدُ في من كان يليه من أقتاله البرازلة فصدم^٢ شرهم بشرهم ، وضرب زيدهم بعمريهم ؛ وقد كان عندما تسعرت نار الحرب ، بينه وبين رؤساء الغرب ، هادتهم على دخن ، ومتح لهم حتى ضربوا حوله بعطن ، ليقتلهم بسيوفهم ، ويستلرجهم إلى حتوفهم ، فلما استقرت قدمه بشلب ، قاصية قواعد الغرب ، كان أول ما بدأ به من حربهم هجومه على الحاجب ابن نوح^٣

١ البيان المغرب ٣ : ٢١٤ .

٢ س ودوزي : ف ضرب .

٣ هو محمد بن نوح الدمري الملقب بوز الدولة ثار بورور سنة ٤٣٣ إلى أن أنهى المعتضد حكمه سنة ٤٤٥ ، وسجنه وتوفي في سجنه ٤٤٩ .

المنتزعي منهم - كان - بكورة مورور^١ في غير كتيبة نظمها ، ولا مقدّمة إليه قدّمها ، إلاّ فتّيان ينبهان عليه : ويحملان الأموالَ بين يديه ، تجاسراً على ركوب الخطر الذي تحاماه اللبيب ، واستنامةً لصرف القدر وهو لا يدري أيُخطيء أم يُصيب ، فخلص إلى ابن نوحٍ هذا : من رجلٍ لا يُبالي دمَ مَنْ تَجَرَّعَ ، ولا يحفلُ بأيّ شيء يصنع ، فبالغ ابن نوح في برّه ، وتضاملاً لأمره ، وحمل ذلك من فعله على آكدِ أسباب السلامة ، وأتمّ وجوه الاستنامة ، وفضّ المعتضد يومها^٢ من صميم ماله ، في وجوه حماة ابن نوح ورؤوسِ رجاله ، ما استمالَ به قلوبهم ، واستنصحَ به جيوبهم .

ثم صار إلى ابن أبي قرّة^٤ برنّدة فسامه مثلها ، وحذا له نعلها ، فنلك اعتدّ عليهم يداً ، وجعلها لما أراد من مكروهم أمداً . وقد كان أحد أجنادهم أشار بالرأي في أمره ، وأراد أن يتطّلع عليه من ثنية مكره ، فواطأهم^٥ يومئذٍ بغدره ، ورمز لهم بالاستراحة من شرّه ، ففهمها المعتضدُ وجعل تلك الكلمة دَبْرَ أذُنِهِ ، وأثبتها في ديوان إحنته ، حتى حلّى بطائلها . واستفاد بعد مُدَيِّدةٍ من قائلها . وجاءها بالحاجبين المذكورين لأول تمكّنه من الغرّة ، وساعة صدره من مركزه من الحضرة ، ففهافتا تهافّت الفراش على الجمرّة . وجاءا مجيء الحائن إلى الشفرة ؛ وتطفّل عليهما الحائن ابن خزرون المنتزعي - كان - وقته بأركشش ، فللّه أبوه وافتدأ

١ مورور (Moron) : مدينة صغيرة إلى الجنوب الغربي من قرمونة ، بولاية اشهبيلية (الروض

المعطار رقم : ١٨١) .

٢ م س والبيان ودوزي : الاستقامة .

٣ في النسخ : يوماً .

٤ هو أبو النور هلال بن أبي قرّة اليفرني .

٥ س ط : فواطئهم (لعلها : فراطئهم ؛ وهي قراءة توافق قوله « ورمز ») .

لم تُجزِهُ الوفاة ، وواهاً له قتيلاً لم يتحلَّ بطائل الشهادة ، فجرَّع الكلَّ [٧ ب] الختوفَ ، وحكَّم في عامَّتْهم السيوفَ ، واستمرَّ بعد ذلك على حرب بقاياهم ، وتتبَّع أخراهم ، حتى تغلَّب على بلادهم ، وألوى بطارفهم وتلادهم ، في أخبار طويلة استوفأها ابن حيان ، هي خارِجةٌ عن غرض هذا الديوان ؛ وقد أملتُ منها بما فيه كفاية ، إذ لا يتسع هذا المجموع لاستقصاء الغاية .

والسببُ^١ الذي كان يُغريه بطلبهم ، ويبعثه على التمرُّس بهم ، أنَّ بعض مَنْ نَظَرَ بمولده كان أخبره أنَّ انقضاء دولته يكونُ على أيدي قومٍ يطرؤون على الجزيرة من غير سكَّانها ، فكان لا يشكُّ أنهم تلك البرازلة الطارئون عليها في عهد ابن أبي عامر ، فأعمل في نكالمهم وجوهَ سياسته ، وشغل بقتالهم أيامَ رياسته؛ واتفق أن دخل عليه يوماً بعضُ وزرائه وبين يديه كتابٌ قد أطل فيه النظر ، فإذا كتابٌ سقط المتزري يومئذ بسبته ، يذكر أنَّ القومَ المثلثين^٢ المدعوين بالمرابطين قد وصلتْ مقدمتهم رَحبةَ مراکش ، فقال له ذلك الوزير المذكور كلاماً معناه : وأين رحبةَ مراکش؟ دخلوها^٣ فكان ماذا؟ وماتَ الحجاج قَمَةً؟^٤ ! ودونهم اللجج الحضرم ، والمهامه الغُبُرُ ، والليالي والآيتام ، والجماهير العظام ، فقال له المعتضد : هو والله الذي أتوقَّعهُ وأخشاه ، وإن طالتْ بك حياةٌ فستراه ، اكتبْ الى فلان - يعنى عامله على الجزيرة - باحتراس جبل طارق حتى يأتيهُ أمرى ،

.....

١ انظر الخلة ٢ : ٥٠ .

٢ ط د س : المتطسين .

٣ ط م س : وجلوها (اقرأ : وجلوها) .

وأخذ يريش^١ في تحصينه ، ووضع أرصاده هناك وعبونه ، ويبري^١ ، والله عزائم لا تقيها الحصون^٢ ، ولا يهتدي إليها الأرصاد^٣ والعيون ، ولكل شيء أمد^٤ مكتوب ، وميقات^٥ مضروب ، ويبلغ الكتاب^٦ أجله .

فصل في ذكر المعتمد على الله محمد بن عباد

واجتلاب جملة من شعره ، مع ما يتعلق من الأخبار السلطانية بذكره

قال ابن بسام : ثم استوسق الأمر^١ بعد المعتضد لابنه المعتمد ، وكان مع اشتغاله بالحرب ، وسعة مجاله بين الطعن والضرب ، وعلى أن أباه عبادة ما انفك^٢ يدير^٣ عليه الرحي ، ويتفرع^٤ إليه^٥ كلما قرعت^٦ عصاً عصاً ، حتى صار أسوة^٧ لنجوم ليلها ، وحلناً^٨ لتون خيلها :

لا يشرب الماء إلا^٩ من قلب دم^{١٠} ولا يبيت له جار^{١١} على وجل^{١٢}

فقد كان متمسكاً من الأدب بسبب ، وضارباً في العلم بسهم ، وله شعر كما انشق^{١٣} الكمأم^{١٤} عن الزهر ، لو صدر^{١٥} مثله^{١٦} عمّن جعل^{١٧} الشعر صناعة ، واتخذ^{١٨}ه بضاعة ، لكان رائعاً^{١٩} معجباً . ونادراً^{٢٠} مستغرباً ، فما ظنك^{٢١} برجل^{٢٢}

١ ويبري معطوفة على « يريش » .

٢ يقرع (من الثلاثي) فيه معنى المشاورة ، وإذا كان مضارعاً للرابعي (أقرع) : ففعله معنى الرجوع تقول : أقرع إلى الحق أي رجع ؛ ولولا شخصية المعتضد وما تنطوي عليه من الاعتداد لصح أن تكون القراءة « ويفزع إليه » .

٣ البيت لأبي سعد المخزومي واسمه عند المرزباني (معجم الشعراء: ٩٨) عيسى بن خالد بن الوليد وقيل إنه دعي في مخزوم (طبقات ابن المعتز: ٢٩٥ - ٢٩٨) وكان يهاجى دعبل بن علي الخزاعي ؛ وقد ورد بيته هذا في معجم المرزباني وديوانه: ٥٣ .

لا يجدُ إلا رائيًا ، ولا يُجيدُ إلا عابثًا ؛ وهو مع ذلك يرمي فيصيب . ويهمي
 فيصوب ، وشعره يوضح ما شرح ويعبر عما ذكر . مع أنه قد رويتُ
 أشعارُ أولي النباهة والأعيان ، على قديم الزمان . لشرف قائلها ، مع قلته
 طائلها . وقد رأيتُ أبا بكر الصولي أثبتَ للملوكِ بني أميةَ وخلفاء بني العباس .
 ما لو صدر مثله لصغار الناس لاستهجنَ ، أو طرأ لضعفاء السوق لاستصغر .
 فلنا في الصولي أسوةٌ في إثبات هذا النوع من الشعر إن وقع في كتابنا هذا .
 [أ٨] والعجب من المعتمد أنه مرّى سحابه في كلتا حاله فصاب . ودعا
 خاطره فأجاب . ولا تراجع له من طبع . ولا بعد الخلع . بل يومه في
 هذا الشأن دهر ، وحسته في هذا الديوان عشر . فان أجاد فما أولى . وإن
 قصر فعذرُه أوضح وأجلى .

والبيت المتقدم^١ من جملة قصيد . للمخزومي أبي سعد^٢ ، وإنما أشار
 في معناه إلى قول بشار^٣ :

فتى لا يبيتُ على دمنة^٤ ولا يشرب الماء إلا بدم^٥
 وقال أبو الطيب^٥ :

ولا تردُ الغدران إلا وماؤها
 من الدم كالريحان تحت الشقائق
 وقال محمد بن هاني^٦ :

لا يُوردون الماءَ سنبكٍ سابحٍ
 أو يكتسي بدم الفوارس طحلبا

١ ط : المقدم .

٢ ط دم س : أبي سعيد .

٣ ديوان بشار : ٢١٧ (جمع الملوي) .

٤ دوزي . هدنة .

٥ ديوان المتنبّي : ٣٩٠ .

٦ ديوان ابن هاني : ١٨٩ .

جملة من شعر المعتمد في النسب وما يناسبه^١

قال^٢ :

دارى الغرامَ ورامَ أنْ يتكتّمَا وأبى لسانُ دموعه فتكلّمَا
رحلوا وأخفى وجده فأذاعه ماءُ الشؤون مصرّحاً ومجمما
سايروتهُمُ والليلُ غُفْلٌ ثوبه حتى تراءى للنواظر مُعلّمَا
فوقفتُ ثمَّ محيراً وتسَلّبتُ مني يدُ الإصباح تلك الأنجما

وكانَ معنى هذا البيت الأخير ، إلى قول المجنون يشير^٣ :

فأصبحتُ من ليل الغداة كناظرٍ مع الصبح في أعقاب نجمٍ مغرّبِ

وله^٤ في أم الربيع وقد مرضت فلم يعدها :

مرضتم فأمسكتُ الزيارة عامداً وما عن قلى أمسكتها لا ولا هجرِ
ولكنني أشفقتُ من أن أزوركم وأبصرَ آثارَ الخسوف على البدرِ

١ تتردد أشتار المعتمد في كثير من المصادر التي ترجمت له ، وقد جمع ديوانه الأستاذان : أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد (القاهرة ١٩٥١) وأرى أن أكتفي بمراجعة ما جاء في الذخيرة على هذا الديوان ، إلا استثناءات قليلة .

٢ الديوان : ٢٦ .

٣ ديوان المجنون : ٧٩ .

٤ هذه العبارة والبيتان التاليان من هامش ط ، وهما مكتوبان بخط الأصل . وأمام العبارة لفظة : « طرة » ؛ وهما ومعهما بيت ثالث في المقتطف من أزاهر الطرف لابن سعيد الورقة : ٤٤ ، ولم ترد هذه الأبيات في الديوان أو في النسخ الأخرى .

وقال المعتمد^١ :

أَكْثَرْتَ هَجْرِي غَيْرَ أَنْكَ رَبِّمَا عَطَفْتِكَ أَحْيَانًا عَلَيَّ أُمُورُ
فَكَأَنَّمَا زَمَنُ التَّهَاجِرِ بَيْنَنَا لَيْلٌ وَسَاعَاتُ الوَصَالِ بِدُورُ

وهو ينظر إلى قول الأسعد بن بليطة^٢ :

تَتَنَفَّسُ الصُّهْبَاءُ فِي هَوَاتِهِ كَتَنَفَّسَ الرِّيحَانُ فِي الْآصَالِ
وَكَأَنَّمَا الْخَيْلَانُ فِي لَبَاتِهِ سَاعَاتُ هَجْرِي فِي زَمَانِ وَصَالِ

وقال^٣ :

تَظُنُّ بِنَا أُمَّ الرَّبِيعِ سَامَةً أَلَا غَفَرَ الرَّحْمَنُ ذَنْبًا تَوَاقَعُهُ
أَأَهْجُرُ ظِيئًا فِي فَوَادِي كِنَاسُهُ وَبَدَرَ تَمَامٍ فِي ضُلُوعِي مَطَالَعُهُ
وَرَوْضَةً حُسْنٍ أَجْتَنِيهَا وَبَارِدًا مِنْ الظُّلْمِ لَمْ تُحَظَّرْ عَلَيَّ شَرَائِعُهُ
إِذَنْ عَدِمْتُ كَفِّي نَوَالًا تُفِيضُهُ عَلَيَّ مَعْتَفِيهَا أَوْ عَدُوًّا تَقَارِعُهُ

وناوله بعض نسائه كأس بلور مترعاً خمرآ ولمع البرق فارتاعت فقال^٤ :

رَبِعَتْ مِنَ الْبَرْقِ وَفِي كَفِّهَا بَرْقٌ مِنْ الْقَهْوَةِ لِمَاعُ
يَالَيْتَ شَعْرِي وَهِيَ شَمْسُ الضُّحَى كَيْفَ مِنَ الْأَنْوَارِ تَرْتَاعُ

وقال^٥ :

-
- ١ ديوان المعتمد . ١٣ ومختارات الصيرفي : ١١١ .
 - ٢ ترجمته في القسم الأول من الذخيرة ص : ٧٩٠ .
 - ٣ ديوان المعتمد : ٢٠ ومختارات الصيرفي . ١١١ .
 - ٤ الديوان : جفوني (عن المطرب والحريفة) .
 - ٥ الديوان : ٢١ ومعهده التنصيص ٢ : ١١٤ والمعجب : ١٦١ ومختارات الصيرفي . ١١١ .
 - ٦ الديوان : ١٥ ورايات المبرزين : ٣٧ (١٠ غرسية عوس = ع) والمعجب : ١٦١ .

قامت لتحجب قُرْصَ ١ الشمسِ قامتها
عن ناظري حجبت عن ناظرٍ الغيرِ
[٨ ب] علماً لعمرك منها أنها قمرٌ
هل تحجبُ الشمسَ إلا غرّة ٢ القمر

وقال ٣ :

عفا الله عن سِحْرِ على كلِّ حالةٍ
أسحُرُ ظلمتِ النفسَ واخترتِ فرقتي
وكانت شُجُونِي باقترابك نَزْحاً
وَلَا حُوسِبَتُ عني بما أنا وأجيدُ
فجمعتِ أحزاني وهُنَّ شَوَارِدُ
فها هنَّ لما أن نأيتِ شَوَاهِدُ

وقال ٤ :

فإن تستلذتي بَرْدَ مائِكِ بَعْدَنَا
فبَعْدَكَ ما ندرِي متى الماءُ بارد

وقال ٥ :

يا غرّةَ الشمسِ التي
لَوَلَاكَ لم أكُ مؤثراً
قلبي لها أحدُ البرُوجِ
فُرُشَ الحَرِيرِ على السُرُوجِ

وقال ٦ :

- ١ الديوان : ضوء الشمس .
٢ الديوان : صفحة .
٣ الديوان : ٨ .
٤ عد هذا البيت في الديوان لاحقاً بالأبيات السابقة .
٥ الديوان : ٥ .
٦ الديوان : ١٧ .

تَمَّ لَهُ الْحُسْنُ بِالْعِدَارِ واقترنَ اللَّيْلُ بِالنَّهَارِ
أخضرُ في أبيضٍ تبدَّى ذلك آسي وذا بهاري
فقد حوى مجلسي تماماً إنَّ ياكُ من ريقه عقاري

هذا كقول ابن وكيع^١ :

شادنٌ خسدهُ وعيدُ ناهُ وردي وترجسي
إنَّ يجدُ لي بخرمةٍ فلقد تمَّ مجلسي

ما أخرجته من مقطوعاته السلطانية التي أجراها مُجترى الاخوانيات

بات الوزير أبو الأصبح بن أرقم^٢ على قربٍ من إشبيلية ، وأعلمه أنه
وافدٌ عليه صبيحة غدٍ ، فكتب إليه المعتمد^٣ :

أهلاً بكم صحبتكم نحوَي الدِّيمِ إن كان لم يتجنح^٤ لي بكم حلُمُ
حُثوا المطيِّ ولو ليلاً بمجهلةٍ فلن تضلّوا ومن بشري لكم علمُ
سأكتسُمُ اللَّيْلَ ما ألقاهُ من بُعدٍ وأسألُ الصبحَ عنكم حين يبتسمُ

وأدخلت إليه يوماً باكورة نرجس ، فكتب إلى ابن عمار يستدعيه^٥ :

١ لم يردا في ديوانه المجموع .

٢ انظر ترجمته في الذخيرة ٣ : ٣٦٠ .

٣ الديوان : ٦٠ .

٤ هذه هي قراءة م ، وفي ط د : يتجنح ؛ الديوان : يتبع ؛ س : يتحج .

٥ الديوان : ٦٤ وقد أثبت هناك جواب ابن عمار أيضاً ؛ ومختارات الصيرفي : ١١٠ .

قد زارتنا النرجيسُ الذسكيُّ وآنَ من يومنا العشيُّ
ونحنُ في مجلسِ أنيقِ وقد ظمئنا وئمَّ ريُّ
ولي نديمٌ غدا سمييُّ يا لَيْتَهُ ساعدَ السميِّ

فأجابه ابن عمّار :

لبيكَ لبيكَ من مُنادٍ له الندى الرَّحْبُ والندىُّ
ها أنا في البابِ عبدُ قينٍ قبيلتهُ وجهكَ السنيُّ
شرفهُ والداهُ باسمٍ شرفتهُ أنتَ والنبيُّ

وسأله الوزير أبو عمرو بن غطمش^١ أن يشرفه^٢ بالسير معه إلى منزله ، فاجتمع الندماء بالقصر . [٩٩] بعد صلاة العصر . استقلوا ليلاً بانتقالها إلى دار الوزير المذكور ، فبدت من ابن عمّار حينئذ هنة أوجبت أن رماه المعتمدُ ببعض الآنية . فافترقوا بعد نومه ووقوع اليأس من سيره ، ومضت الجماعة إلى دار الوزير المذكور . فلما استيقظ المعتمد من السكر ، أُخبرَ بما وقع من الأمر . فكتب إليهم بهذين البيتين^٣ :

لولا عيونٌ من الواشين ترمقني وما أحاذرُهُ من قول حُرّاسِـ
لزرتكم لأكافيكم بجفوتكم مشياً على الوجه أو حبواً على الراسِـ
وله يستعطف أباه المعتضد إذ دخل مالملةً وأخرج منها ، في قصيدٍ أوله^٤ :

١ كنيته في ط د : أبو عمر ؛ وقد مر ذكره عند المقرئ (النسخ ٤ : ٧٧) في رسالة كتبها المعتمد نفسه إلى الأعلم الشنتري يقول له فيها « سأك الوزير الكاتب أبو عمرو ابن غطمش سلمه الله عن المسهب وزعم أنك تقول بالفتح والكسر . . . الخ » .
٢ الديوان : ٥٨٧ و المسالك : ٣٩٧ وابن خلكان ٥ : ٢٦ .
٣ الديوان : ٣٦ وابن خلكان ٥ : ٢٤ والحلة ٢ : ٥٦ والقلائد : ١٩ ومنها بيت واحد في رايات المبرزين : ١٠ (غ) .

سكّن فؤادك لا تذهب بك الفكرُ
وإن يكن قلدراً قد عاق عن وطيرٍ
وإن تكن خيبة في الدهرِ واحدةٌ
إن كنت في حيرةٍ عن جرمٍ مجرم

ماذا يُعيدُ عليك البثُّ والحذرُ
فلا مردٌ لما يأتي به القدرُ
فبكم غزوتَ ومن أشياحك الظفر
فإن عذركَ في ظلماتها قمر

ومنها :

يا ضيفاً يقتلُ الفرسانَ مفترساً
قد أخلفتني صروفٌ أنت تعلمها
وحلت لونا وما بالجسم من سقمٍ
لم يأت عبدك ذنباً يستحقُّ به
ما الذنبُ إلا على قومٍ ذوي دغلٍ

لا توهنتي فإني التابُ والظفرُ
وعادَ موردُ آمالي به كدرُ
وشبتُ رأساً ولم يبلغني الكبيرُ
عتباً وما هو قد ناداك بعتلر
وقى لهم عهدك المعهودُ إذ غلروا

ومنها :

لم أوتَ من زمني شيئاً ألدُّ به
ولا تملكني دلٌ ولا خفترٌ
رضاك راحة نفسي لا فجعته به
وهو المدام التي أسلو بها فاذا

فلمستُ أعرفُ ما كأسٌ ولا وترُ
ولا سبى خلتدي غنجٌ ولا حور
فهو العتادُ الذي للدهرِ يدخر
عدمتها عبّقتُ في قلبي الفكر

١ ط والديوان : أخلقتني .

٢ الحلة : ولا تمرس بي (ولم تثبت هذه القراءة في الديوان) .

٣ ط م س : الذي .

ذكر الخبر عن حديثه يومئذ بمالقة ودخوله إياها ،
وانصرافه مفلولا دون ما تخيل من التخيم في ذراها ،
وأمل من الاستباحة لحماها

قال ابن بسام : لما سما باديس بن حبوس إلى قسبة مالقة بعد تقلص
الظلال الحمودية عن أرجائها ، وأقول النجوم العلوية في سمائها ، في خبر
خلا منه هذا المجموع حين لم يتعلق بذيله مما وقع إليّ نظم ولا نثر ،
ولا أشرق في ليله مما حصل في يديّ للأدب كوكب ولا بدر ، فلذلك
أضربت [٩ ب] عنه ، وأخليت كتابي منه ، وأتيتُ بجزء المعتمد فيها حين
أنبا به شعر ، وجرى له على لسان الأدب ذكر ، وفاء بالشرط ، وتوفية
بالقسط :

كان أهل مالقة إذا جرى ذكرُ عبّاد ارتاحوا إليه ارتياح الفصون
تحت النسيم ، ورفعوا أصواتهم بالصلاة عليه والتسليم ، هذا على ما كان
يُقذّي عيونهم من قبح آثاره ، ويصلكُ أسماعهم من هول أخباره ، ويلفحُ
وجوههم من وهج ناره ، تشيئاً لم يكن له أصل إلا شؤم الحميّة ، ولؤم
العصبية ، فاهتبلوا غرّة من باديس أميرهم ، وناجوا عبّاداً بذات صدورهم ،
وألّقوا إليه بأيدي تأميلهم وتأميرهم ، فجأجأوا لظمآن^٢ لا يتروى على
طول الشرب ، وهزّوا سيفاً يكادُ يهنكُ الضريبة قبل الضرب ، فجذّ
فيها وشمّر ، ونادى أهلها وحشّر ، وكان المعتضدُ إذا طولَ اختصر ،

١ انظر البيان المغرب ٣ : ٢٧٣ .

٢ ط د م س : حاجوا الظمآن .

وإذا تُحَدَّثَ عنه على البعد حضر ، ولبى دعاة أهل مالقة بالخيل بين
الجلال واللبود ، وبالأبطال أثناء الجري والحديد ، وأنفذ إليهم شوكتَهُ
الوحيّ سُمُّها ، وأطلع عليهم كتيبته البعيدة همُّها ، القاسطاً حكمها ،
معصبةً بابنيه جابرٍ ومحمد ، فلأول إطلالٍ عسكره عليها هبت له ريحُ
فتحها ، وضحك في وجهه بشرُ^٢ صُبْحها ، فحلّ لأول وقته بحريمها ،
وتحكّم في ظالمها ومظلومها ، إلاّ فرقةً من السودان المغاربة لاذوا بلدوةٍ
قصبَتها وهي بحيث ينشأ تحتها الدّجنُ ، ويعجزُ دون مرامها الظنّ ،
إنافةً مكان^٣ ، وإطالةً بنيان ؛ وقد كان أهلُ مالقة أشاروا على ابني
المتنضد ، حين خلّوا بينهما وبين البلد ، بإذكاء العيون ، وإساءة الظنون ،
وضبّط ما حولها من المعازل والحصون ، فغفلا ، واستصرخ السودانُ المغاربةُ
أميرَهُم باديسَ قلباًهُم بزخرةٍ من تياره ، وأقبَسَهُم شرارةً من ناره ،
فلم يَرُعْ ابني عبّاد ، إلاّ سهيلُ الجياد ، وتداعي الأجناد ، بشعارِ الجلال ،
فلم ترَ إلاّ أسيراً أو قتيلاً ، أو فازعاً إلى الفرار ما وجد إليه سبيلاً ، وامتلاّت
أيدي الباديسيين من السلاح والكراع ، ورفلوا بين خيار البرّ وفاخر المتاع ،
ولجأ ابنا عبّاد إلى رُنْدَة وقد انغمسا في عارها ، وصليا بنارها ، ورأيا
وجهَ الموتِ في لمعان أسنتها وشفارها ، ومن ثمّ خاطب المعتمدُ أباه
بالشعر المتقدم الذكر ، وقد أخضر ذِمَمَهُ ، ونذر دَمَهُ ، ولولا أنه استجار
— زعموا — يومئذ برجلٍ من العبّاد كان هنالك لتبّت يده ، ولحق إسماعيل
أخاه .

١ س ودوزي : الفاظ .

٢ ط د : وجه .

٣ دوزي : اتقان .

ورُفِعَ إلى المعتمد صَدْرَ دولته شعر ، عَزِيَّ إلى بعض الأصحاب ،
من الوزراء الكتاب ، يعرِّضُ بأبي الوليد بن زيدون فيه ، أوله ^١ :

يا أيها الملك العليّ الأعظم اقطعْ وريديّ كلِّ باغٍ ينثمُ
[واحسم بسيفك داءَ كلِّ منافقٍ يُبْدي الجميلَ وضدَّ ذلك يكتمُ] ^٢
لا تتركُنْ للناسِ موضعَ شبهةٍ واحزمُ فمثلك في العظامِ مجزمُ
قد قال شاعرٌ كندةٍ فيما مضى بيتاً على مرِّ الليالي يُعلمُ
« لايسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى حتى يراقَ على جوانبه الدمُ » ^٣

فلما سمعها المعتمد ، عرف الغرض الذي إليه قصد ، ووقعَ على
ظهر الرقعة ، بهذه القطعة ، وهي من جيد نظامه . وحرَّ كلامه ^٤ :

كذبتُ مناكم صرَّحوا وأوجمَّجموا ألدِّينُ أمتنُ والمروةُ أكرمُ
خُنْتُمُ ورمتمُ أن أخونَ وإنما حاولتمُ أن يُستخفَّ يللمُ
وأردتمُ تضيقَ صدرٍ لم يَضيقُ والسُّمُرُ في ثَغَرَ الصدورِ تحطَّمُ
وزحفتُمُ بمحالكمُ ^٥ لمُجربُ ما زال يثبتُ في المحالِ فيهزمُ
أتى رجوتُمُ غدرَ من جرَّبتُمُ منه الوفاءَ وجورَ ^٦ من لا يظلمُ

.....

١ انظر ديوان ابن زيدون : ٣٠٦ والقلائد : ١٤ والإعلام : ٢ : ٣١٥ .

٢ زيادة من دوزي .

٣ ديوان المتنبي : ٢١٨ .

٤ ديوان المعتمد : ٦٧ والقلائد : ١٥ والإعلام : ٢ : ٣١٦ .

٥ الديوان : النحور (عن القلائد) .

٦ ط د م س : ورجعتُ لمحالكم ، وبهامش ط « وزحفتُم » .

٧ دوزي والقلائد : وظلم .

أنا ذاكُمُ لا البغي يُثْمِرُ غَرْسُهُ عندي ولا مبنى الصنِيعَةِ يُثَلِّمُ^١
كُفُّوا وإلاَّ فارقبوا ليَ بِطِشَّةٍ يُلْقَى السفيهُ بِمِثْلِهَا فيُحَلِّمُ

ولأبي الوليد على ذلك جوابُ شكرٍ من جملة قصيد : قال فيه^٢ :

قلْ للبُغَاةِ المُنبِضِينَ قِيسِيَّتَهُمْ سَتَرُونَ مَنْ تُصَمِيهِ تِلْكَ الْأَسْهَمُ
أَسْرَتُهُمْ فَرَأَى نَجِيَّ غِيُوبِكُمْ شَيْحَانٌ مَدْلُولٌ عَلَيْهِ مُلْتَهَمُ
مَا كَانَ حِلْمُ مُحَمَّدٍ لِيُحِيلَهُ عَنْ عَهْدِهِ دَغِيلُ الضَّمِيرِ مُدْتَمَمُ
فِرْقَ عَوْتٍ^٣ فَزَارَتْ زَارَةَ زَاجِرٍ رَاعِ الْكَلِيبَ بِهَا السَّبَبْنَتَى الضَّيْغَمُ
لِي مِنْكَ فليذِبِ الحِسُودُ تَلْظِيًّا لُطْفُ المَكَائَةِ وَالمَحَلُّ الْأَكْرَمُ
لَمْ تُلْفَ صَاعِغِيَّتِي لَدَيْكَ مُضَاعَةً كَلَّا وَلَا ضَاعَ اصْطِنَاعِي الْأَقْدَمُ
بَلْ أَوْسَعْتَ حَفْظًا وَصَدَقَ رِعَايَةً ذَمُّ مَوْتَقَةٍ العَرَى لَا تُفْصَمُ
فليخرقنَّ الأَرْضَ شُكْرًا مُنْجِدًا مَنِّي تَنَاقَلَهُ المَحَافِلُ مُتْهِمُ

ومن كلام المعتمد الجزل ، قوله يوم كُئِبِلَ يَخَاطِبُ الكَبَلَ^٤ :

إليك فلو كانت قيونك أشعيرت تصرم منها كلُّ كَفٍ ومعصم
مهابةً مَنْ كَانَ الرِّجَالُ بِسِيْبِهِ ومن سيفه في جنة أو جهنم

ومما قاله بعد زوال سلطانه وتضعضع بنيانه ، لما دُخِلَ عليه البلد يوم الثلاثاء منتصف رجب سنة أربع وثمانين ، خرج مدافعاً عن ذاته ، وذائباً عن حرمانه ، وظهر يومئذ من بأسه ، ومن تراميه - زعموا - على الموت

١ د والديوان ودوزي : تهم (عن القلائد) .

٢ ديوان ابن ريدون : ٣١٤ والقلائد : ١٦ .

٣ ط م : غوت .

٤ ديوان المعتمد : ١١٢ .

بنفسه ، ما لا مزيدَ لبشرٍ عليه ، ولا تناهي لِخَلْقٍ إليه ، وفي ذلك يقول^١

لَمَّا تَمَاسَكَ الدَّمْعُ وَتَنَبَّهَ القَلْبُ الصَّديعُ
قالوا الخَضوعُ سِياسَةٌ فليدُ منكَ لهمُ خَضوعُ
وَألِدُ مِنْ طَعْمِ الخَضوعِ على فمي السَّمِ النقيعِ
إن تَسْتَلِبُ عني الدُّنَا^٢ مُلْكِي وتُسَلِّمُني الجَموعِ
فالقَلْبُ بين ضَلوعِهِ لم تُسَلِّمِ القَلْبَ الضلوعِ
لم أَسْتَلِبْ شَرَفَ الطِّبَا ع أَيُسَلِّبُ الشَّرَفُ الرِّفيعِ
قد رُمْتُ يَوْمَ نَزَاهِمِ إلا تَحَصَّنِي الدَّرْعِ
وبرزْتُ ليس سوى القَمِي صر على الحِشاشِ دَفوعِ
وبدَلْتُ نَفْسِي كَفي تَسِي لَ إذا يَسيلُ بها النَجِيعِ
أَجَلِي تَأخَّرَ لم يَكُنْ بِهَوَايَ ذُلِّي والخَضوعِ
ما سرتُ قَطَّ إلى القِتا ل وكان من أَمَلِي الرجوعِ
شِيَمُ الأُولَى أَنَا مِنْهُمُ والأَصْلُ تَتبعهُ الفروعِ [١٠ب]

قوله : « ما سرت قط إلى القتال » . . . البيت ، كقول قيس بن الخطيم^٣ :

وإنِّي في الحرب الضروس موكلٌ بتقديمِ نفسٍ لا أريد بقاءها

- ١ ديوانه : ٨٨ وبعضها في القلائد : ٢٢ والمعجب : ٢٠٢ والاعلام ٢ : ٣١٤ ومختارات الصيرفي : ١٢٠ .
٢ الديوان والقلائد : إن يسلب القوم العدا .
٣ ديوان قيس بن الخطيم : ١٠ .
٤ ديوان قيس : باقدام .

وروى ابن قتيبة قال^١، قال أبو دلامة : كنتُ في عسكر مروان بن محمد أيامَ زَحَفَ إلى شيبان^٢ ، فلما التقى الزحفان خرج رجلٌ منهم ينادي إلى البراز ، فلم يخرج إليه أحدٌ إلاَّ أعجَلَهُ ولم يُنَهِنِهِهُ ، فغَاظَ ذلك مروان ، فجعل يندب الناسَ على خمسمائة، فقتَلَ أصحابَ الخمسمائة، فندبهم على الألف، ولم يزل يزيد حتى نادى بخمسة آلاف، قال أبو دلامة : وكان تحتي فرس لا أخافُ خَوْنَهُهُ ، فلما سمعتُ بخمسةِ آلافِ اقتحمت الصفَّ ، فلما نظر إليَّ الخارجِجي علم أنني خرجتُ للطمع ، فبرز إليَّ وهو يقول^٣ :

وخارج أنخرجه حُبُّ الطمَعِ
قَرَّ من الموت وفي الموت وقع
من كان ينوي^٤ أهله فلا رجع

فلما وقرتُ في أذني انصرفتُ عنه هارباً ، فجعل مروان يقول : من هذا الفاضح ؟ إيتوني به ، ودخلتُ في غمار الناس .

وقيل^٥ كان أبو دلامة مع أبي مسلم في بعض حروبه مع بني أمية ، فدعا رجلٌ إلى البراز فقال له أبو مسلم : اخرج إليه ، فأنشأ يقول :

....

١ انظر الشعر والشعراء : ٦٦١ والأغاني ١٠ : ٢٥٦ - ٢٥٧ .

٢ ثار في زمن مروان اثنان كل منهما يعرف بشيبان وهما شيبان بن عبد العزيز الشكري وشيبان بن سلمة (المعروف بشيبان الأصفر) ، وفي م س والأغاني : سنان ؛ د :

سنار ، ط : سناس .

٣ انظر شعر الخوارج : ٢٢١ (الطبعة الثانية) .

٤ ط د م س : يهوى .

٥ الأغاني ١٠ : ٢٨٠ .

ألا لا تلمني إن هربت^١ فانتني أخاف على فخّارتي أن تحطّما
فلو أنتي أبتاع في السوق مثلها وجدك ما باليت أن أتقدّما

وحدث أيضاً أبو دلّامة قال^٢ : أتى بي المنصور وأنا سكران ، فحلف
أن يخرجني في بعث حرب ، فأخرجني مع رّوح بن حاتم المهلبّي لقتال
الشّراة ، فلما التقى الجمعان قلت لروح : لو أن تحمي فرسك ومعك سلاحك
لاقترت اليوم في عدوك أثراً ترتضيه ، فتزل عن فرسه ونزع سلاحه ، فلما
حصل ذلك في يدي وزالت حلاوة الطمع أنشدته :

إنّي استجرتك أن أقدم في الوغى لتطاعن وتنازل وضراب
فهب السيوف رأيتها مشهورة فركتها ومضيت في الهراب
ماذا تقول لما تجمء ولا ترى من بادر^٣ الموت بالنشاب

قال : دع عنك هذا ؛ وبرز رجل من الخوارج فقال : اخرج إليه ،
قلت : أنشدك الله في دمي أيها الأمير ، ان هذا أول يوم من أيام الآخرة
وآخر يوم من أيام الدنيا ، وأنا والله جائع ما تنبعت مني جارحة من الجوع ،
فأمر برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت إلى الصف ، فلما رأني الخارجيّ
أقبل نحوي وتحدّثنا ، وقلت : إن معي زاداً أحببت أن تأكله معي وما
أريد قتالك ، فجعلنا نأكل على ظهور دوابنا والناس يضحكون ، فلما
استوفينا ودعني ، فلما انصرفت قلت لروح : قد كفيبتك قيرني فقل
لغيري يكفيك قيرته . ثم خرج آخر يدعو إلى المبارزة فقال : اخرج إليه فقلت :

١ الأغانى : فررت .

٢ الأغانى ١٠ : ٢٥٥ .

٣ الأغانى : واردات ؛ ط م س : بادر^٣ .

لأني أعودُ بِرُوحٍ أنْ يقدمني إلى القتال فتخزي بي بنو أسدٍ
 إن البرازَ إلى الأقران أعلمهُ مما يفرقُ بين الروح والجسد [١١١]
 إنَّ المهلبَ حبَّ الموتِ أورثكم وما ورثتُ اختيارَ الموتِ من أحدٍ
 لو أن لي مهجةً أخرى لجلدت بها لكنَّها خلقتُ فرداً فلم أجِدْ

فضحك وأعفاني .

رجع : ثم التوت بالمعتمد الحال أياماً يسيرةً ، والناس بحضرة اشبيلية
 قد استولى عليهم الفزع ، وخامرهم الجزع ، يقطعون سُبُلها سياحةً ،
 ويخوضون نهرهاً سياحةً ، ويترامون من شُرُفات الأسوار ، ويتبولون مجابي
 الأقدار، حرصاً على الحياة ، وحذراً من الوفاة ، فلما كان يومُ الأحد الموفي
 عشرين من رجب المؤرخ ، دُخل البلد على المعتمد بعد أن جدَّ الفريقان في
 القتال ، واجتهدت الفئتان في النزال ، وفي أثناء تلك الحال ، وما كان يناجي
 باله من اللبال ، خاطب أبا بكر المنجم الحولاني بهذه الايات ١ :

أرمدت أمٌ بنجومك الرمدُ قد عاد ضداً كلُّ ما تعدُّ
 هل في حسابك ما تؤمله أم قد تصرمَ عندك الأمد
 قد كنتَ تهمسُ إذ تخاطبني وتخطُّ كرهاً إن عصتك يد
 فالآن لا عينٌ ولا أثرٌ أتراك غيبَ شخصكَ البلد
 وتراك بالعداء في عرسٍ أم إذ كذبت سطا بك الأسدُ
 الملك لا يبقى على أحدٍ والموتُ لا يبقى له أحد

ثم أخرج المعتمد في ذلك اليوم إلى أن أطلقت إليه جميع أمتهات أولاده
 وبنيه ، وكل ما يختص به من أقاربه وذويه ، وعُميرَ بهم مركباً فركبوا

١ ديوان المعتمد : ٨٧ .

البحر ورزقوا السلامة فيه ، إلى أن وصلوا إلى أمير المسلمين وناصر الدين ،
أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، فبقوا هنالك في كنفه وذري
فضله ، تحت إحصان عميم ، وبذل نائل جسيم ، حتى انقرضت هنالك
أيامه ، ووافاه حمامه ، بعد مرض شديد أصابه ، وكانت وفاته
في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين . وكان مولده في ربيع الأول سنة إحدى
وثلاثين .

ومن النادر الغريب أنه نودي في جنازته بالصلاة على الغريب ، بعد عظيم
سُلطانه ، وجلالة شأنه ، فتبارك من له البقاء، والعزة والكبرياء . وبلغني أنه
لما أحسَّ بالوفاة ، رثى نفسه بهذه الأبيات ^١ :

قبر الغريب سفاك الرائحُ الغادي حقاً ظفرت بأشلاء ابن عبّادِ
بالطاعنِ الضارب الرامي إذا اقتتلوا بالخِصْبِ إنْ أُجذبوا بالرّيِّ للصادي
نعم هو الحقّ وافاني به قدّرُ من السماءِ فوافاني لميعادِ [١١ب]
ولم أكنْ قبلَ ذلك النعشِ أعلمهُ أنّ الجبالَ تهادى فوق أعوادِ
فلا تزلْ صلواتُ الله نازلةً على دفينك لا تُحصى بتعدادِ

ثم وصّى بأن تثبت على قبره .

وتنازعت يومئذٍ لمة من أهل الأدب بأضامات ، ورثوه بقصائد مطولات ،
منهم أبو بحر بن عبد الصمد ^٢ ، رثاه بقصيد أوله ^٣ :

١ ديوانه : ٩٦ والمعجب : ٢٢٢ والاعلام : ٢ : ٣٢٠ - ٣٢١ .

٢ ترجمته في القسم الثالث : ٨٠٩ .

٣ أبياته في القلائد : ٣١ والنفع : ٤ : ٢٢٤ ، ٢٥٩ والاعلام : ٢ : ٣٢١ .

ملك الملوك أساميع^١ فأنادي أم قد عدتْكَ عن السماعِ عوادِ
لما نُقلتَ من القصور فلم تكن فيها كما قد كنتَ في الأعيادِ
قبَلتُ في هذا الثرى لك خاضعاً وجعلتُ قبرك موضعَ الإنشادِ

وأنشد على قبره وفعل ما ذكر : قبل التراب ومرغ جبينه وعفّر ، فأبكي
من حضر^١ .

وبلغني أيضاً عن بعض بني عباد أنه أنشد في النوم قبل حلول الفارقة
بهم هذه الأبيات^٢ :

ما يعلم المرءُ والدنيا تمرُّ به بأنَّ صرفَ ليالي الدهرِ محذورُ
بيننا الفتى متردٌ في مسرتِهِ وافي عليه من الأيامِ تغييرُ
وفراً من حوله تلك الجيوشُ كما تفرُّ إنْ عابنتُ صقراً عسافيرُ
وخرتُ خُسراً فلا الأيامُ دُمنَ له ولا بما وُعيدَ الأحرارِ مجبورُ
من بعد سبعِ كأحلامٍ تمرُّ وما يرقى إلى الله تهليلٌ وتكبيرُ
يجلّ سوءُ بقومٍ لا مردَّ له وما تُردُّ من الله المقاديرُ

وكذلك حُكي عن رجل أنه رأى في منامه إثرَ الكائنةِ عليهم كأنَّ
رجلاً صعد منبرَ جامع قرطبة واستقبل الناسَ ينشدهم^٣ :

ربَّ ركبٍ قد أناخوا عيسهمُ في ذرى مجدهمُ حينَ بسقُ
سكت الدهرِ زماناً عنهمُ ثم أبكاهمُ دماً حينَ نطقُ

١ قارن بقوله في القلائد : « . . . وقال بعد أن طاف بقبره والتزمه ، وخر على ترابه ولثمه ،

فأنحسر الناس إليه وانجفلوا ، وبكوا لبكائه وأعولوا » .

٢ الحلة ٢ : ٦٣ .

٣ الحلة ٢ : ٦٤ والمعجب ٢١٧٠ .

فلما سمع المعتمد ذلك أيقن أنه نعي للملكه ، وإعلام بما انشر من
سلكه ، فقال ١ :

من عزا المجدَ إلينا قد صدقُ
مجدنا الشمسُ سناءً وسناً
أيها الناعي إلينا مجدنا
لا ترعُ للدمع في آماقنا
حنق الدهر علينا فسطا
وقديماً كتليف الملك بنا
قد مضى منا ملوكٌ شهروا
نحن أبناءُ بني ماءِ السما
وإذا ما اجتمع الدين لنا
لم يلبم من قال مهما قال حقُ
من يرمُ سترَ سناها لم يطق
هل يضيرُ المجد إن خطبُ طرق
مزجتهُ بدمِ أيدي الخرق
وكذا الدهرُ على الحرّ حنق
ورأى منا شموساً فعشق
شهرة الشمس تجلت في الأفق
نحونا تطمحُ الحاظُ الحدق
فحقيرُ ما من الدنيا افترق

قال ابن بسام: والبيتان اللذان^٢ أنشدا في المنام رواهما الرواة [١٢ أ]
في خبر النعمان بن المنذر ، وهو أنه نزل تحت شجرة . ومعه عدي^٣ بن زيد
فقال له : أتدري ما تقول هذه الشجرة أيها الملك ؟ قال : وما تقول ؟ قال
تقول :

ربّ ركبٍ قد أناخوا حولنا
بشربون الخمر بالماء الزلال
ثم أضحوا لعبَ الدهرُ بهم
وكذاك الدهر حال بعد حال

فتكدر على النعمان نعيمُ يومه الذي كان فيه .

.....

١ المصدر نفسه .

٢ ط م س : الذي .

٣ ط م د س : علي .

ويتعلق بذيل هذا الخبر قول الآخر^١ : سل الأرض من غرس أشجارك
وشق أنهارك . وجنى ثمارك . فان لم تجبك حواراً ، أجابتك اعتباراً . وقال
بعض الحكماء^٢ : أشهد أن في السموات والأرض آيات ودلالات ، وشواهد
قائمت ، كل تؤدي عنه الحجّة ، وتشهد له بالربوبية .

وجلس أبو العتاهية بحانوت وراق فأخذ كتاباً وكتب على ظهره^٣ :
أيا عجباً كيف يُعصى الاله أم كيف يمحدهُ جاحدُ
وفي كل شيء له آيةٌ تدلُّ على أنه واحد

فلما انصرف اجتاز بالموضع أبو نواس فقال : لمن هذه ؟ لوددتها لي
بجميع شعري . قيل له : لأبي العتاهية . فكتب تحتها^٤ :

سبحان من خلق الخلق ق من ضعيف مهين
فصاغه^٥ في قرارٍ إلى قرارٍ مكين
يجول^٦ شيئاً فشيئاً في الحجب دون العيون
حتى بدت حركات مخلوقة من سكون

وللى هذا المعنى ذهب أبو الطيب بقوله^٧ :

-
- ١ عيون الأخبار ٢ : ١٨٢ وكتاب الصناعاتين : ١٤ وزهر الآداب : ٣٣٣ .
 - ٢ زهر الآداب : ٣٣٢ .
 - ٣ ديوانه : ١٠٤ وزهر الآداب : ٣٣٢ .
 - ٤ زهر الآداب : ٣٣٢ - ٣٣٣ .
 - ٥ ط م د س : فصاغها .
 - ٦ ط د س : تجول .
 - ٧ ديوان المتنبي : ٢٣٩ .

تُنشِدُ أثوابنا مدائحهُ بألسُنٍ ما هنَّ أفواهُ
إذا مررنا على الأصمِّ بها أغنَّتْهُ عَن مِسْمَعِيهِ عِيناهُ

ومنها قول نصيب ١ :

فعاجوا فأثنتوا بالذي أنت أهلهُ ولوسكتوا أثنتت عليك الحقايبُ

وقال أبو تمام ، وله بهذا المعنى بعض الإلمام ٢ :

من القلاص اللواتي في حقايبها بضاعةٌ غيرُ مُزجاةٍ من الكلمِ

وأخذه بعض أهل عصرنا ، وهو الوزير أبو محمد بن عبدون . فقال

للمتوكل ٣ :

فجاءته لم تبصر سوى البشر هاديا وسله ولم يسمع سوى الشكر حاديا
هوادٍ على أعجازها قيم الندى فأربحُ بها مشري حمداً وشارباً

وهذا المعنى الذي افتتوا فيه نظماً ونثراً^٥ هي النصب^٦ الدالة بذاتها التي
وصفها الجاحظ في أقسام البيان .

رجع : وكان أبو بكر الداني ماثلاً لبني عباد بطبعه ، إذ كان المعتمدُ

.....

١ ديوان نصيب : ٥٩ .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ١٨٦ .

٣ تردد ترجمته في ما يلي من هذا القسم وفيها البيتان .

٤ في النسخ : هاديا ، وصوبناه بحسب ما سيحيى في ترجمة ابن عبدون .

٥ ط د : نثراً ونظماً .

٦ النصب هي الحال الدالة التي تقوم مقام الدلالات الأخرى من لفظ وإشارة وعقد وخط (البيان

١ : ٧٦) ، وفي ط د س م : النسبة .

الذي جذب بضبعه . وله في البكاء على أيامهم ، وانتشار نظامهم ، عدة مقطوعات ، وقصائد مطولات ، يشتملُ عليها جزءٌ لطيف ، صدر عنه في صيغة تأليف . وهيئة تصنيف ، ضلّ فيه وأضلّ « والذُرُّ يُعَدَّرُ في القدر الذي حَمَلَ » سَمَاهُ ؛ « نظم السلوك » ، في وعظ الملوك « ترجمة راقية بلامعنى . . ليست من الغرض الذي نحاه ولا المغزى ، على أنه كان شاعراً يتصرّف ، وقادراً لا يتكلّف ، فوفد هنالك على المعتمد وفادة وفاء ، ولا وفادة استجداء . وانقطع إليه انقطاع وداد . لا انقطاع استرفاد . وله أشعارٌ سائرة . ومعه أخبارٌ نادرة . تدلّ على كرم طُعْمَتِهِ . وبُعْدِ هَمَّتِهِ ، وأنا أورد هاهنا منها ما يليقُ بالديوان . ويروق في السماع والعيان .

حدث الداني عن نفسه قال : لما أردت الانفصال عنه هنالك بعثَ إليّ بعشرين مثقالاً وشقّة رازي بغدادي ، وكتب مع ذلك ^١ :

إليكَ التزر من كف الأسير	فان تقبّلْ تكُنْ عينَ الشكورِ
تقبّلْ ما يذوبُ له حياءً	وان عذرتَه حالاتُ الفقيرِ
ولا تعجبْ لخطبِ غَضِّ ^٢ منه	أليسَ الخسفُ ملتزمَ البدورِ
فرجٌ يجيره عقيبِ نداهِ ^٣	فكم جَبَّرتُ يداهُ من كسيرِ
وكم أعلتُ علّاه من حضيضِ	وكم حَطَّتْ ظُباه من أميرِ
وكم مِن مَنبرِ حنّتْ إليه	أعالي مرتقاه ومن سريرِ
زمانَ تراجعتْ ^٤ عن جانبيه	جياذُ الخيلِ بالموتِ الميرِ

١ ديوان المعتمد . ١٠٢ والمعجب . ٢١٩ والاعلام ٢ : ٣٢٢ .

٢ ط دم س : عض .

٣ ط دم س . يداه .

٤ دوزي : تراحت .

فقد نظرتُ إليه عيونُ نحسٍ . مضتُ منه بمخدومِ النظر
نحوسٌ كُنْ في عقبي سعودٍ . كذلك تدورُ أقدارُ القديرِ

قال الداني : فرددتُ عليه صلته وكتبتُ إليه مع ذلك ^١ :

سقطتَ من الوفاءِ على خبيرٍ . فذرّني والذي لك في ضميري
تركنتُ هواك وهو شقيقُ ديني . لئن شققتُ برودي عن غدورِ
ولا كنتُ الطليقَ من الرزايا . لئن أصبحتُ أجحفُ بالأسيرِ
أسيرُ ولا أصيرُ إلى اغتنامٍ . معاذَ الله من سوء المصيرِ
أنا أدرى بفضلك منك . إني لبستُ الظلَّ منه في الحرورِ
غنيُّ النفس أنت وإن ألححتُ . على كفيكَ حالاتُ الفقيرِ
تُصَرِّفُ في الندى حيلَ المعالي . فتسمحُ من قليلٍ بالكثيرِ
أحدتُ منك عن نبعٍ غريبٍ . تفتّحُ عن جنى زهرٍ نصيرِ
جذيمة أنت والزبَاءُ خانت . وما أنا من يقصّرُ عن قصيرِ
وأعجبُ منك أنك في ظلامٍ . وترقعُ للعفاة منار نورِ
[رويدك سوف توسعني سروراً . إذا عاد ارتقاؤك للسرييرِ
وسوف تحلتي رُتبَ المعالي . غداةَ تحملُ في تلك القصورِ
تزيدُ على ابن مروانٍ عطاءً . بها وأزيدُ ثمَّ على جريرِ ^٢
تأهبُ أن تعودَ إلى طلوعٍ . فليس الخسفُ ملتزمَ البدورِ] ^٣

.....

١ انظر ديوان المعتمد : ١٠٣ والمعجب : ٢٢٠ والخريدة : ٢ : ٤١ والنفع : ٤ : ٩٦ - ٩٧

والاعلام : ٢ : ٣٢٢ ومختارات الصيرفي : ١٢٠ - ١٢١ .

٢ يشير إلى ان جريراً مدح الأمويين بأنهم أعطوا « هنيئة » وهي مائة من الأبل .

٣ هذه الأبيات ريادة من دوزي .

قال الداني : فراجعني المعتمد بهذه الأبيات ١ :

ردّ برّي بغياً عليّ وبراً وجفا فاستحقّ لوماً وشكراً
حاط² نزرني إذ خاف تأكيدَ ضرّي فاستحقّ الجفَاءَ إذ حاط نذراً
فلذا ما طويتُ في الحمدِ بعضاً عاد لومي في البعض سرّاً وجهراً
يا أبا بكرٍ الغريبَ وفاءً لا عدمنك في المغارب ذخراً
أي نفعٍ يجدي احتياطُ شفيقٍ مت³ ضرّاً فكيف أرهبُ ضرّاً

[١٣ أ] وهذا المصراع الأخير ، كأنه إلى بيت أبي الطيب يشير ٤ :

* أنا الغريق فما خوفي من البلل *

قال الداني : فراجعته ٥ :

أيتها الماجدُ السَّميدُ قدرا صرفي البرّ إنّما كان برّاً
حاشَ لله أنْ أجيجَ كربماً يتشكّي فقراً وكم سدّ فقراً
ليت لي قوّةٌ أو آوي لركنٍ فرى للوفاء مني سرّاً
أنت علّمتني السيادة حتى صرت أرقى عليّ الكواكبِ قدرا
ربحت صفقةً أزيل بروداً عن أديمي بها وألبس فخراً
وكفاني كلامك الرطب نيلاً كيف ألفي درّاً وأطلب تبراً
لم تمّت إنّما المكارم ماتت لا سقى الله بعدك الارض قطراً

١ ديوان المعتمد : ١٠٤ والمعجب : ٢٢١ .

٢ م والديوان : عاف ؛ س : خاف .

٣ م ط د س : بت .

٤ ديوانه : ٣٢٨ ، وصدر البيت : « والمجر أقتل لي بما أراقبه » .

٥ ديوان المعتمد : ١٠٤ والمعجب : ٢٢١ وبعضها في النسخ ٤ : ٩٧ .

٦ الديوان ودوزي : ناهضت همّي .

قال الداني : وبلغت حالي عنده من التقريب والترحيب أن أفرطت في الإدلال ، وانبسطت في الاسترسال ، وخاطبته في أن يكون زادي من نعمائه ، وأن يحاول صنعته بعض إمامه ، حرصاً مني على التشريف ، وسعياً إلى الاستزادة من شكر المعروف . فكان ذلك على أحسن وجه ، وشكر غاية الشكر انبساطي . وتحقق به صحة ارتباطي . وكنت خاطبته في ذلك بهذه القطعة :

وداعٌ ولكني أقول سلام	وللنفس في ذكر الوداع حِمامٌ
أخادع نفساً إنْ تحققت النوى	فليس لها بين الضلوع مقام
قد ائلفت أهواؤها بك جملةً	كما ائلفت في وكرهن حمام
وشقت عن النصح المبين جيوبها	كما شقت عن زهرن كمام
أكرّر لحظي في محبتك إنّه	لنور الهدى فيه عليك قسام ^١
وأحمل من تقبيل كفك سودداً ^٢	على عاتق الجوزاء منه حسام
أملبسي النعمى قديماً ومثلها	حديثاً وأحداث الزمان عظام
لأجلستني حتى اتكأت ولم يزل	يُدلُّ على المولى الكريم غلام
عسى عند حمل العيس رحلي في غدٍ	يهيأ من زادي لديك طعام
وميلي إلى الطاهي وطيب إرادة	ليثبت لي في وصف ذاك كلام
وكيف أزيد المجد صحف محاسن	سهرت لها والعالمون نيام

قال : فأجابني بقوله^٣ :

كلامك حرٌّ والكلام غلام	وسحرٌ ولكن ليس فيه حرام
ودرٌ ولكن بين جنبيك بحرٌ	وزهرٌ ولكن الفؤاد كمام

١ هامش ط : في أخرى : محيا لنور الهدى فيه قسام .

٢ خ هامش ط : من كفك مجداً وسودداً .

٣ ديوان المعتمد : ١١٣ .

وبعدُ فإن ودّعني بخداعةٍ
أعتي^٢ على نفسي بتزويد نفسها
فدونكتهُ إذ لم أجِد لي حيلةً
فهنتتهُ زاداً وفي الصدر وقدةً
لقد كان فال من سمائك مؤنس^٣
تحلبت بالداني وأنت مُبَاعِد^١
ويا عجباً حتى السّمات تُخونني
أضياء لنا أغمات قربك برهةً
تسيرُ إلى أرضٍ بها كنت مضغةً
وأبقى أسامُ الدلّ في أرضٍ غربة
فبلّغتها في ظلّ أمنٍ وغبطةٍ
فحقّي^١ ان يجني عليك ملام
بلى قول^٢ لاشيء^٣ عليّ حرام
وقلبي فاعلم في الطعام طعام
وللصبر من دون الفؤاد مرام
وقد عاد ضدّاً فالغزاهُ رمام
فيا طيب بدمٍ لو تلاه تمام
وحق انتباهي للصديق منام
وعاودها حين ارتحلت ظلام
وفيها اكتست باللحم منك عظام
وما كنت لولا الغدرُ ذاك أسامُ
وسنّي لي مما يعوقُ سلامُ

قال ابن بسام : وكان الحُصْرِيّ المكفوف القروي قد طرأ على الأندلس
في مدّة ملوك طوائفها ، فتهادته تهادي الرياض للنسيم ، وتنافسوا فيه تنافس
الديار في الأتس المقيم ، ولما خلّعوا وأخوت تلك النجوم ، وطُمِسَتْ
للشعر تلك الرسوم ، اشتملت عليه مدينة طنجة وقد ضاق ذرعُهُ ، وتراجع
طبعُهُ ، فتصدّى إلى المعتمد في طريقه ، وهو في تلك الحال ، من الاعتقال ،
بأشعار له قديمة صدرها في الرباب وفرثي ، وعجزها في الاستجداء وطلب
اللهي ، خارجة عن الغرض والمغزى ، مما كان فيه المعتمد يومئذ ، وألحَّ
عليه بالوصول بتلك الأشعار إليه ، فندبه كرمُ جبلته إلى مقارضته ،

١ ط م : أن يجنى عليه .

٢ ط : أعين .

٣ ط م د س : وقول .

عند مفاوضته ، فطبع على ثلاثين مثقالاً لم يمكنه سواها ، وأدرج قطعة شعر
طيها معتدراً من نزرها ، راغباً في قبول أمرها ، فلم يجاوبه الحصريّ عما
حصل حينئذ من قبيله لديه ، فكتب المعتمد بهذه الأبيات إثر ذلك إليه ^١ :

قُلْ لمن قد جمع العداً م ومن أحصى صوابه
كان في الصرة شعرٌ فتَنظَرْنَا جوابه
قد أثبتناك فهلاًّ جلب الشعرُ ثوابه

واتصل فعلُ المعتمدِ بالحصريّ إلى جماعة من زعانف الشعراء ، وكلُّ
طالب حياء ، من مشحوذِ المدينة ، في الكُندية ، فتعرضوا له بكلِّ
قارعة طريق ، وجاموه من كلِّ فج عميق ، يحسبون الدفلى من حاله نَوْر
اجتناء ، ويعتقدون السراب في أمره غدِير ماء ، وطىّ الحال ، كان ما لا
مزيد عليه من الاختلال ، وعند ذلك قال ^٢ :

شعراء طنجة كلّهم والمغربِ ذهبوا من الاغراب أبعد مذْهَبِ
سألوا العسير من الأسير وانه بسؤالهم لأحقّ فاعجبوا واعجبِ
لولا الحياء وعزةٌ لحميةٌ طيّ الحشا ناغاهم ^٣ في المطلبِ
قد كان أن سئِل الندى يُجنزِلُ وان نادى الصريخُ ببابه اركبْ يركبِ

.....

١ ديوان المعتمد . ٩١ والمعجب : ٢٠٦ والاعلام ٢ : ٣١٥ .

٢ ديوان المعتمد : ٩١ والمعجب : ٢٠٦ والحلة ٢ : ٦٧ ومختارات الصيرفي : ١١٩ .

٣ الديوان : لحكامهم .

٤ ط د م س : الفنى .

وعند ذلك قال ١ :

قل لمن يطمع في نائلِهِ
راح لا يملك إلا دعوة^٢
قد أزال اليأسُ ذاك الطمعا
رحم^٢ الله العفاة الضيِّعا

وسأله رجل يعرف بابن الزنجاري أن يزوده من شعره فكتب إليه ٣ [١٤٤]

لو أستطيع على التزويد بالذهب
يا سائل الشعر يَجْتَابُ الفلاة به
زاد^٤ من الريح لاري ولا شيب^٤
أصْبَحْتُ صِفْراً يدي مما تجود به
ذلّ وقرّ^٤ أدالا عزة^٤ وغني^٤
قد كان يستلبُ الجبارَ مهجته
والملكُ يحرسه في ظلّ واهبه
فحين شاءَ الذي آتاه ينزعه
فهاكها قطعة^٤ تطوى لها حسداً
فعلتُ لكنّ عدائي طارقُ النُوبِ
تزويدك الشعر لا يفني عن السغبِ
غدا له مؤثراً ذو اللبّ والأدبِ
ما أعجب القدرَ المقدور في رجبِ
نُعْمَى الليالي من البلوى على كتبِ
بطشي ويحيا قتيلُ الفقرِ في طلبي
غُلِبَ من العجم أو شم^٤ من العربِ
لم يُجد شيئاً قراعُ السمر والقضبِ
«السيفُ أصدقُ إنباء^٤ من الكتبِ»

ومما قاله في ابنه ، وتعجب من حاله ، قال ٤ :

بكت أن رأيت إلفين ضمهما وكر
بكت لم تُرقِ دمعاً وأسبلتُ عبرة^٤
وناحتُ وباحتُ واستراحتُ بسرّها
مساءً وقد أخنى على إلفها الدهرُ
يقصّر عنها القطرُ مهما همى القطر
وما نطقت حرفاً يبوح به سرّ

١ من أبيات في ديوانه : ١٠٨ .

٢ الديوان : جبر .

٣ ديوانه : ٩٢ .

٤ ديوانه : ٦٨ والقلائد : ٢١ .

فمالي لا أبكي أم القلب صخرة
بكت واحدا لم يشنجه غير فقد هـ
بني صغير أو خليل موافق
ونجمان زين للزمان احتواهما
غدرت إذن إن صن جفني بقطرة
فقل للنجوم الزهر تبكيهما معي
وكم صخرة في الأرض يجري بها نهر
وأبكي لآلاف عديدهم كثر
يمزق ذا قفر ويفرق ذا بحر
بقرطبة النكداء أو رندة القبر
وإن لؤمت نفسي فصاحبها الصبر
مثلهما فلتحزن الأنجم الزهر

قال ابن بسام : وهذه القطعة يشبه أولها قطعة عوف بن محلم ، وما أراه إلا بها ألم ، وعلى منوالها سدي وألم ، وهي ١ :

وأرقني بالري نوح حمامة
على أنها ناحت ولم تذر عبرة
وناحت وفرخاها بحيث تراهما
فنحت وذو الشجو الغريب ينوح
ونحت وأسراب الدموع سفوح
ومن دون أفرانخي مهامه فيح

وقال المعتمد أيضاً يبكيهما بما يفتت الكبد ، ويفت العضد ٢ :

يقولون صبراً لا سبيل إلى الصبر
هو الكوكبان الفتح ثم شقيقه
ترى زهرها في مأم كل ليلة
يتنحنن على نجمين ، أثلكت دا وذا
[١٤ب] أفتح لقد فتحت لي باب رحمة
توليتما والسن بعد صغيرة
سأبكي وأبكي ما تطاول بي عمري
يزيد فهل عند الكواكب من خبر
تحمش لفاً وسطه صفحة البدر
وأصبر ما للقلب في الصبر من عذر
كما بيزيد الله قد زاد في أجري
ولم تلبث الأيام أن صغرت قدري

١ طبقات ابن المعتز : ١٨٧ وابن خلكان ٣ : ٨٦ .

٢ ديوان المعتمد : ١٠٥ ومختارات الصيرفي : ١٢٠ .

٣ ط م د : صبر ؛ س : صهر .

توليتما حين لئنهت بكما العلا
فلو عدتما لاخترتما العود في الثرى
يعيد على سَمعي الحديدُ نشيدَه
مع الأخواتِ المالكاتِ عليكما
فتبكي بدمعٍ ليسَ للقطرِ مثله
أبا خالدٍ أورتني الحزنَ خالداً
وقبلكما قد أودع القلبَ حسرةً

إلى غايةٍ ، كلُّ إلى غايةٍ يجري
إذا أنتما أبصرتما في الأسر
ثقبلاً فتبكي العين بالهسّ والنقر
وأمتكما الكلي المضرمة الصدر
وتزجرها التقوى فتصغي إلى الزجر
أبا النصرمذ ودعت ودعتني نصري
تجدد طول الدهر ثكل أبي عمرو^١

قوله : « فلو عدتما لاخترتما العود في الثرى... » البيت ، كأنه من أشعار النساء ، وأراه ينظر إلى قول الخنساء في صيغة المبنى ، وإن خالفه في المعنى ، وهو^٢ :
فلولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

وأبو عمرو الذي ذكره هو ابنه المقتول بقرطبة على يدي ابن عكاشة ، حسبما يأتي شرحه في موضعه من هذا المجموع إن شاء الله .

قال أيضاً فيهما يندبهما بما يوقد الضلوع ، ويسكب الدموع^٣ :

يا عينُ ، عيني أقوى منك تهانا
ونار بركك تخبو إثر وقندتها
نارٌ وماءٌ صميمُ القلبِ أصلهما
متى حوى القلبُ نيراناً وطوفانا

أبكي لحزنٍ وما حُمّلت أحزانا
رنارٌ قلبي تُلْفَى الدهرَ بركانا

١ أبو عمرو ابنه الملقب سراج الدولة . وسيأتي الحديث عنه في ما يلي .

٢ انظر السمت : ١٤٥ .

٣ ديوان المعتمد : ٦٩ ومختارات الصيرفي : ١٢٠ .

٤ العين . مطر أيام لا يقلع .

٥ ط م د س : يلقى .

ضدّان ألفَ صَرَفُ الدهرِ بينهما
 بكيتُ فتحاً فإذ ناديتُ^١ سلوتهُ
 يا فلذتني كيدي يَأبَى تقطعُها
 لقد هوى بكما نجمان ما رَميا
 مخففٌ عن فؤادي أنْ تُكَلِّكُمَا
 يا فتحُ قد فتحتَ تلكَ الشهادةُ لي
 ويا يزيدُ لقد زادَ الرجا بكما
 كما شفعتَ أخاكَ الفتحَ تتبعه
 مني السلامُ ومن أمّ مُفجّعة
 أبكي وتبكي وتُبكي غيرنا أسفاً

لقد تلونَ فيّ الدهرُ ألوانا
 ثوى يزيدُ فزادَ القلبَ نيرانا
 عن وجدها بكما ما عشتُ سلوانا
 إلاّ من العلويّ بالألحاظِ كيوانا
 مثقلٌ ليَ يومَ الحشرِ ميزانا
 بابَ الطماعةِ في لقياكَ جدلانا
 أنْ يشفعَ اللهَ بالإحسانِ إحسانا
 لقآكما اللهَ غفراناً ورضوانا
 عليكما أبدأُ مثنىً ووحداناً
 لدى التذكيرِ نسواناً وولدانا

واجتاز يوماً عليه بموضعِ ثِقافِهِ سِرْبُ القِطَا فهاجَ وجدَهُ ، وأثارَ
 من لاعجِ الشوقِ ما عنده ، فقال^٢ :

سوارحَ لاسِجِنٍ يَعوقُ ولاكِبِلُ
 ولكنَ حنيناً أنْ شكلي لها شكلُ
 وجيجٌ ولا عينايَ يُبكيهما ثكلُ
 ولا ذاقَ منها البعدَ من أهلها أهلُ^٣
 إذا اهتزَّ بابُ السجِنِ أو صلصلَ القفلُ
 وصفتَ الذي في جبلةِ الخلقِ من قبلُ

بكيتُ إلى سربِ القِطَا إذ مرّرتُ بي
 [١٥ أ] ولم تكُ واللهُ العليمُ حسادةً
 فأسرحَ لا شملي صديعٌ ولا الحشا
 هنيئاً لها أنْ لم يُفترّقْ جميعُها
 وأنْ لم تبيتَ ليلاً تطيرُ قلوبُها
 وما ذلكَ مِمّا يعتريني وإنّما

١ الديوان ٠ فاذا ما رمت .

٢ ديوان المعتد : ١١٠ والقلائد : ٢٨ .

٣ ط م د س . الأهل .

لنفسي إلى لقيا الحمام^١ تشوق^٢ سواي يحب العيشَ في ساقه كبل
ألا عصمَ الله القطا في فراخها فإن فراخي خانها الماء والظل^٣

ومعنى البيت الخامس منها يشبه قول أبي عامر بن شهيد القرطبي^٤ :
وما اهتزَّ باب السجن إلا تفتَّرت^٥ قلوبٌ لنا خوف الردى وكبود^٦
ولستُ بذي قيدٍ يرنُ وإنمسا على اللحظِ من سُخطِ الامام قيود^٧

وقال السهري العكلي^٣ من شعراء الدولة الأموية بالعراق^٤ :
لقد جمعَ الحدَّاد بينَ عصابة تساءلُ في الأقيادِ ماذا ذنوبُها
بمترلةٍ أمّا اللثيمُ فسامن^٥ بها وكرامُ الناسِ بادٍ شُحوبُها
إذا حرسني قعقَعَ البابَ أرعدت^٦ فرائصُ أقوامٍ وطارتِ قلوبُها
نرى البابَ لا نستطيعُ شيئاً وراءه كأننا فنأ^٦ <قد> أسلمتها كعوبها

وتجوِّز المعتمد في قوله : « وما ذاك ممأ يعتريني » . . . البيت ،
وأجاد فيه ما أراد .

وقال من جملة قصيد ، وقد دخل عليه بناته للسلام يوم عيد^٧ :

- ١ م س الحبيب .
- ٢ ديوان ابن شهيد ١٠٠٠ - ١٠١ .
- ٣ هو السهري بن بشر بن أويس العكلي ويكنى أبا الديلم (الأغاني ٢١ : ٢٥٧) .
- ٤ الأبيات في الأغاني ٢١ : ٢٦٤ .
- ٥ الأغاني : مشامت ، وهو خطأ : والسامن . الذي يكتسب سمة .
- ٦ ط م د س . تسي أسلمتها ؛ وقد غيرته اعتماداً على الأغاني
- ٧ ديوان المعتمد : ١٠٠ والقلائد . ٢٥ ومختارات الصيرفي : ١١٩

في ما مضى كنت بالأعياد مسرورا
 ترى بناتك في الأطمارِ جائعةً
 برزنَ نحوكَ للتسليمِ خاشعة
 يطآنَ في الطينِ والأقدامُ حافيةً
 أفطرتَ في العيد لا عادتِ إساءتهُ
 لا خدَّ إلاَّ تشكى الجذبَ ظاهرهُ
 قد كانَ دهرُكَ إنْ تأمَّرهُ مُمثلاً
 من باتَ بتعدك في مُلكٍ يسرُّ به

فساءك العيدُ في أغماتِ مأسورا
 يفرزنَ للناسِ ما يملكنَ قِطْميرا
 أبصارُهُنَّ حَسيراتِ مكاسيرا
 كأنَّها لم تَطأ مسكاً وكافورا
 فكانَ فطركَ للأعيادِ تَفطيرا
 وليس إلاَّ معَ الأنفاسِ مَمطورا
 فردَّكَ الدهرُ منهيَّساً ومأمورا
 فإنَّما باتَ بالأحلامِ مغرورا

ودخل عليه ابنه أبو هاشم وهو يرسف في قيوده ، ويتقلب في حديدته ،
 فخنقت الطفل العبرة ، وكان أحبهم إليه ، وأحظاهم على صغيره لديه ،
 وفيه يقول يوم الجمعة المشهور ، إذ أبلى في قتال النصارى ١ :

أبا هاشم هشمتمني الشفارُ
 ذكرتُ شخيتك ما بينها
 فليله صبري للذاك الأوارُ
 فلم يثنني جبهُ للفرارُ

وعند بكائه قال ٢ :

[١٥ب] قيدي أماً تعلمني مسلما
 دمي شرابٌ لك واللحمُ قد
 أبيت أن تُشفقَ أو ترحما
 أكلتهُ لا تهشمُ الأعظما
 يبصرني فيك أبو هاشم
 فيثني والقلبُ قد هشما
 ارحمُ طفيلًا طائشاً لبه
 لم يخشَ أنْ يأتيك مُسرحما

١ ديوان المعتد : ٤٨ .

٢ ديوانه : ١١٢ وانظر الإعلام ٢ : ٣٢٤ .

وارحَمُ أَحَبَّاتٍ لَهْ مِثْلَهُ جَرَّعَتْهُنَّ السَّمَّ وَالْعَلْقَمَا
مِنْهُنَّ مَنْ يَفْهَمُ شَيْئاً فَقَدْ خَفْنَا عَلَيْهِ لِبِكَاءِ الْعَمَى
وَالْغَيْرِ لَا يَفْهَمُ شَيْئاً فَمَا يَفْتَحُ إِلَّا لِرِضَاعٍ فَمَا

وذكرت بقوله : « ذكرت شخصيك » . . . البيت ، بيتين أنشدنيهما
الوزير أبو بكر - هما لأخيه أبي الحسن البطلبوسي^١ - لنفسه :

ذكرتُ سُلَيْمَى وَحَرَّ الْوَعَى كَلْبِي سَاعَةَ فَارَقْتُهَا
وَأَبْصَرْتُ بَيْنَ الْقَنَا قَدَّهَا وَقَدْ مَلَنَ نَحْوِي فَعَانَقْتُهَا

ومن شعره في الندبة على نفسه قال^٢ :

غَنَّتْكَ أَغْمَاتِيَّةُ الْأَلْحَانِ ثَقَلْتُ عَلَى الْأَرْوَاحِ وَالْأَبْدَانِ
قَدْ كَانَ كَالثَّعْبَانِ رُحُكَ فِي الْوَعَى فَعَدَا عَلَيْكَ الْقَيْدُ كَالثَّعْبَانِ
مُتَمَدِّدًا يَحْمِيكَ كُلَّ تَمَدُّدٍ مَنَعُطْفًا لَا رَحْمَةَ لِلْعَانِي
قَلْبِي إِلَى الرَّحْمَنِ يَشْكُو بِشَيْءٍ لَا خَابَ مَنْ يَشْكُو إِلَى الرَّحْمَنِ
يَا سَائِلًا عَنِ شَأْنِهِ وَمَكَانِهِ مَا كَانَ أَغْنَى شَأْنَهُ عَنِ شَانِي
هَاتِيكَ قَبِيْنَتُهُ وَذَلِكَ قَصْرُهُ مِنْ بَعْدِ أَيِّ مَقَاصِرٍ وَقِيَانِ
مِنْ بَعْدِ كُلِّ غَرِيرَةٍ^٣ رُومِيَّةِ تُخْزِي الْحَمَائِمَ فِي ذُرَى الْأَغْصَانِ

١ تردد ترجمتهما في ما يلي من هذا القسم ، وكذلك البيتان وانظر الفيت ٢ : ١٩ .

٢ هذه القطع الثلاث المتوالية تردد في الديوان : ١١٥ ، ٩٤ ، ٩٨ وانظر الإعلام ٢ : ٣٢٤ .

٣ ط س : عزيزة

وقال من قصيدة :

تبدلتُ من عزٍّ ظلَّ البنودِ بئذُ الحديدِ وثقلِ القيودِ
وكان حديدي سناناً ذليلاً وعضباً رقيقاً صقيلاً الحديدِ
فقد صارَ ذاكَ وذا أدهماً يتعضُّ بساقِي عَضِّ الأسودِ

وقال :

غريبٌ بأرضِ المغربينِ أسيرُ سيبكي عليه منبرٌ وسريرُ
وتندبُهُ البيضُ الصوارمُ والقنا وينهلُ دمعُ بينهنَّ غزيرُ
إذا قيل في أغماتِ قدماتِ جودهُ فما يرتجى للجودِ بعدُ نشورُ
مضى زمنٌ والملكُ مستأنسٌ به وأصبحَ عنه اليومَ وهو نفورُ
برأيٍ من الدهرِ المضللِ فاسدِ متى صلحتَ للصالحينِ دهورُ
أذلُّ بني ماءِ السماءِ زمانُهُمُ وذلُّ بني ماءِ السماءِ كثيرُ
فيا ليت شعري هل أبيتُ ليلةً أمامي وخلفي روضةً وغديرُ
بمبتةِ الزيتونِ مورثةِ العلا تغني قبانٌ أو ترنُّ طيورُ
[١٦٦] بزاهرها السامي الدرّي جاده الحيا تشيرُ الثريا نحونا ونشيرُ
ويلحظنا الزاهي وسعدُ سعوده غيورين والصبِ المحبِّ غيورُ
تراه عسيراً أم يسيراً منالهُ ألا كلُّ ما شاءَ الإلهُ يسيرُ
قضى الله في حمصِ الحمامِ وبُعثرتُ هنالك عنتاً للنشورِ قبورُ

١ في هامش ط أبيات مطلعها ر

دؤمل للمس الشحية فرحة وتأتي الخطوب السود إلا تبادا
وبعدما قطعة قافية ، وهي بخط الناسخ نفسه ، ولكنه كتب عليها : « من غير الأصل » فلذا
لم أثبتها .

والثريا وسعد السعود والزاهي الذي ذكر في هذا الشعر أسماء قباب
ومصانع سلطانية كان تأتق في بنائها من قصور إشبيلية . وعلى هذا الشعر
أجابه أبو محمد الصقلي المعروف بابن حمديس بأبيات قال فيها ^١ :

نجيء خلافاً للأمرِ أمورُ ويَعْدِلُ دهرٌ في الوري ويجورُ
أنياسُ من يومٍ يناقضُ أمسَهُ ورُهرُ الدراري في البروج تدورُ
وقد تنتخي الساداتُ بعد خمولها وتخرجُ من بعدِ الكسوف بدورُ

وفي هذا الجواب يقول :

ولما رحلتم بالندى في أكفكمُ وقلقل رضى منكم وثبير
رفعت لساني بالقيامة قد دنت فهذي الجبالُ الراسيات تسير

وتعبت غربان بجدار المكان الذي كان فيه ، ثم ورد إثر ذلك النبأ
بقدم بعض نسائه عليه فقال ^٢ :

غربانُ أغمات لا تعدمنَ طيبةً من الليالي وأفناناً من الشجرِ
تظليل زُغبَ فراخٍ تستكنُ بها من الحرور وتكفيها أذى المطرِ
كما نعبتنُ لي بالقالِ يعجبي محبّراتٍ به عن أطيبِ الخبرِ
أنَّ النجوم التي غابت قد اقتربت منّا مطالبعُها تسري إلى القمرِ
عليّ إن صدقَ الرحمنُ ما زعمت ألا يروعنَ من قوسي ولا وترِ
واللهِ واللهِ لا نقرتُ واقعها ولا تطيرتُ للغربان بالعورِ
ويا عقاريها لا تعدمي أبداً شدخاً وعقرأً ولا نوعاً من الضررِ

١ ديوان ابن حمديس . ٢٦٨ .

٢ ديوان المعتد : ١٠٠ .

كما ملأت قلبي مذبذباً حلت بها
 ماذا رمتك به الأيام يا كبدي
 أسراً وعسراً ولا يسر أو مله
 مخافة أسلمت عيني إلى السهر
 من تبلهن ولا رام سوى القدر
 أستغفر الله كم لله من نظر

وقال أيضاً وهو بتلك الحال ، من الاعتقال ١ :

لك الحمد من بعد السيوف كبول
 وكنت إذا حانت لنحر فريضة
 شهدنا فكبرنا فظلت سيوفنا
 سجود^٢ على إثر الركوع متابع
 بساقي منها في السجون حجول
 ونادت بأوقات الصلاة طول
 تُصلي بهامات العدا فتطيل
 هناك بأرواح الكماة تسيل^٣

ومما قيل فيه بعد خلعه من ملكه وانتثار سلكه

من ذلك قصيد لأبي بكر الداني أنشده [١٦ ب] إياه حين فكَّت عنه
 القيود ، أوله ٤ :

تنشق رياحين السلام فلنما
 وقل لي مجازاً إن علمت حقيقة
 أفكر في عصر مضى لك مشرق
 وأعجب من أفق المجرة إذ رأى
 لئن عظمت فيك الرزية إننا
 ..
 أفض بها مسكاً عليك غنماً
 لعلك في نعي فكم كنت منعماً
 فيرجع ضوء الصبح عندي مظلماً
 كسوفك شمساً كيف أطلع أنجماً
 وجدناك منها في البرية أعظماً

١ ديوان المتمدن : ١١١ .

٢ ط م س : وفود .

٣ في هامش ط قطعان بخط النسخ ولكنهما من غير الأصل .

٤ النظر نفع الطيب ؛ : ٢٥٧ ومختارات الصيرفي : ١٢١ .

قناةٌ سَعَتُ للطننِ حتى تقصَّدت
بكى آلَ عبادٍ ولا كمحمدٍ
حبيبٌ إلى قلبي حبيبٌ لقوله
وكنّا رعيّنا العزّ حول حِمَاهُمُ
كأن لم يكن فيه أنيسٌ ولا التقى
ولا حلّت الآمالُ فيك ثباً ثباً
ولا اخضرتَ روضٌ في رباها فخلتُه
ولا انعطفتُ فيه الغصونُ فعانقتُ
ولم تخفقِ الراياتُ فيها فأشبهتُ
ولا جرّ فيها صعدةَ الرمحِ خلفه

وفيها يقول :

مؤيدَ لحمٍ هل تؤمّلُ رجعةً
حكيتَ وقد فارقتَ ملكك مالكا
ندبتك حتى لم يخلّ ليّ الأسي
وإني على رسمي مقيمٌ فإن أمتُ
بكالك الحيا والريحُ شقّتْ جيوبها
ومزقَ ثوبُ البرقِ واكتست الدجى
يُنْجيكَ من نَجَى من الجبّ يوسفاً

١ مضمّن من قول حبيب أبي تمام (ديوانه ٣ : ٢٣٢) :

عسى وطن يدنو بهم ولعلما وأن تمتب الأيام فيهم فرجما

قوله : « نذبتك » . . . البيت ، أغار فيه على ابراهيم الشاشي^١ وقصر
باعه ، وضاعت فيه ذراعه ، وخلّى السبيل له حيث يقول :

لا ترحلنّ فما أبقيتَ من جلدي ما أستطيعُ به توديعَ مُرْتَحِلٍ
ولا من الغمض ما أقرى الخيال به ولا من الدمعِ ما أبكى على طلل

ومن هذه القصيدة :

لله جسمي فما أبقى حُشاشتهُ على الحوادثِ والأسقامِ والعللِ
يغدو سقامي على مثل الخيالِ ضني ويقرع الخطبُ مني صفحةَ الجبلِ
[١٧] ولا يرى في فراشي عائدي شبحاً وأملك السرجَ في وجه القنا الذليلِ
ولا يُقيلَ ردائي عاتقي دنفاً ويحملُ الدرعَ مسلوباً عن البطلِ

ورأى أبو بكر الداني حفيدَ المعتمد ، وهو غلام وسيم ، قد اتخذ الصياغة
صناعة ، وكان لقبَ في دولتهم من الألقاب السلطانية بفخر الدولة ، فنظر
إليه وهو ينفخ النار بقصبة الصائغ ، فقال من جملة قصيدة^٢ :

شكأتنا فيك يا فخرَ العلا عَظُمْتَ والرزءُ يعظمُ في من قدره عظما
طوّقتَ من نائباتِ الدهرِ مِخْنَقَةً ضاقتُ عليكَ وكم طوّقتنا نعما
وعاد كوثكَ في دكانِ قارعة من بعد ما كنتَ في قصرٍ حكى إرما
صرّفتَ في آلة الصواغِ أنمِلَةً لم تدرِ إلا النّدَى والسيفَ والقلما
يدُ عهدتُكَ للتقبيلِ تبسطها فتستقلّ الثريا أنْ تكونَ فما
يا صائغاً كانت العليا تصاغُ له حلياً وكان عليه الحليُّ منتظما

.....

١ ط س : الشاشي .

٢ المعجب : ٢٢٣ والنفع : ٤ : ٩٧ - ٩٨ والإعلام : ٢ : ٣٢٢ ومنها أبيات في معامد

التنصيص : ٣ : ٢٠ ومخارجات الصيرفي : ١٢٤ .

لننفع في الصورِ هولٌ ما حكاهُ سوى
 وددتُ إذ نظرتُ عيني إليكَ به
 ما حطَّك الدهرُ لما حطَّ من شرفِ
 لُح في العلا كوكباً إن لم تلحُ قمرأً
 [واصبرُ فرُبَّتْما أحمدتَ عاقبةً
 والله لو أنصفتك الشهبُ لانكسفتُ
 بكى حديثك حتى الدر حين غدا

هولٍ رأيتك فيه تنفخُ الفسحما
 لو أن عيني تشكو^٢ قبل ذاك عمى
 ولا نحيفَ من أخلاقك الكرما
 وقمُ بها ربوةً إن لم تقمُ علما
 من يلزم الصبرَ يحمدُ غباً ما لزم^٣
 ولو وفي لك دمعُ الغيثِ لانسجما
 يحكيك رهطاً والفاظاً ومبتسماً

وله فيهم أيضاً من قصيدة يرثيهم أولها^٤ :

تبكي السماء بدمعٍ رائحٍ غادي
 على الجبال التي هُدَّتْ قواعدها
 عريسةً دخلتها النائباتُ على
 وكعبةً كانت الآمالُ تعمرها^٥
 أن يُخلَعُوا فبنو العباس قد خلَعوا
 نسبتُ إلا غداةَ النهري كونهم
 والناسُ قد ملأوا العبرين واعتبروا

على البهاليل من أبناء عبّادٍ
 وكانت الأرضُ منهم ذاتَ أوتادٍ
 أساودٍ لهم^٦ فيها وآساد
 فاليومَ لا عاكفٌ فيها ولا باد
 وقد خلتُ قبلَ حمصِ أرضُ بغداد
 في المنشآتِ كأمواتٍ بالحاد
 من لؤلؤ طافياتٍ فوق أرباد

١ في أصل ط : توقد ، وخ بهامشها : تنفخ .

٢ خ بهامش ط : شكوت، [من] .

٣ زيادة من دوزي .

٤ القلائد : ٢٣ والنفع : ٤ : ٢١٤ والمعجب : ٢٠٩ ومختارات الصيرفي : ١٢٢ .

٥ القلائد والنفع : بمزن .

٦ فوقها في ط : منهم

٧ القلائد والنفع : تخدمها .

حَطَّ القنَّاعُ فلم تُسْتَرَّ مَخْدَرَةٌ ومُزَّقَتْ أوجهُ تمزيقِ أبراد
حان الوداع فضجت كلُّ صارخةٍ وصارخٍ من مُفدَّاةٍ ومن فاد
سارت سفائنهم والنَّوحُ يصحبها كأنها لأبل يحدو بها الحادي
كم سال في الماء من دمع وكم حملت تلك القطائع من قطعات أكاد

ومحاسن الداني كثيرة ، وفي القسم الثالث^١ من شعره جملة موفورة ،
ومحاسن المعتمد أيضاً أكثر من أن تعدّ فقد استوفيتها في كتابي المترجم
بـ « الاعتماد على ما صحَّح من شعر المعتمد بن عباد » .

[١٧ ب] باب يشتمل على طائفة من الوزراء والأعيان ، ممّن كان
بدولة المعتمد من أرباب هذا الشأن ، واجتلاب ملح وطرف
لشعراء كانوا بذلك الأوان ، مع ما يتعلّقُ بها ،
ويذكر بسببها

فصل في ذكر الوزير الفقيه أبي حفص عمر بن الحسن الهوزني^٢ وإبائ
فصول من نثره ، مع ما ينخرط في سلكها من شعره ،
وإيراد جملة من أخباره ، وحميد آثاره

هو أبو حفص عمر بن الحسن بن عبد الرحمن بن عمر بن عبد الله أبي

١ انظر الذخيرة ٣ : ٦٦٦ وما بعدها .

٢ أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني (٣٩٢ - ٤٦٠) طلب العلم على شيوخ الأندلس ثم
ارتحل سنة ٤٤٤ (وابن بسام يقول سنة ٤٤٠) وأخذ عن علماء المشرق ، وأصبح متفنناً
في العلوم ؛ ولما قتله عباد بيده أمر بدفنه بشيابه وقلنسوته وهيل عليه التراب داخل القصر من
غير غسل ولا صلاة (انظر الصلة : ٣٨١ والنفح : ٢ : ٩٣ ومسالك الأبصار : ١١ : ٤١٦
والغرب : ١ : ٢٣٤ وفيه نقل عن الذخيرة ، وترتيب المدارك : ٤ : ٨٢٥) .

سعيد الداخل بجزيرة الأندلس ، وهو كان صاحبَ صلاةِ الجماعة بقرطبة على عهد عبد الرحمن بن معاوية وهشام الرضيّ ابنه . وهوزن الذي نُسِبَ إليه ، وغلب اسمه عليه ، بطن من ذي الكلالع الأصغر .

وأفضى أمرُ إشبيلية إلى عباد ، حسبما تقدّم به الأيراد ، وأبو حفص يومئذ ذاتُ نفسها ، وإيالة شمسها ، وناجِدُها الذي عنه تبتسم ، وواحدُها الذي بيده يتنقّضُ ويُبْرِم . وكان بينه وبين عباد قبل إفضاء الأمر إليه ، ومدار الرياسة عليه ، إئتلافُ الفرقدين ، وتضافرُ اليدين ، واتّصال الأذن بالعين . ولما ثبتت قدمُ المعتضد في الرياسة ، ودفع إلى التدبير والسياسة ، أوجس منه ذعراً ، وضاق بمكانه من الحضرة صدرأ ، وأحسّ بها أبو حفص وكان أليعياً ، وذكياً لوذعياً ، لو أخطأ الحازمَ أجَلُّه ، ونفعتِ المحتالَ حَيْلُهُ . فاستأذن المعتضدَ في الرحلة سنة أربعين وأربعمائة^٢ ، فصادف غرته^١ ، وكفي إلى حينِ معرّته^٢ ، واحتلّ صقليّةً تضيقُ عن فخره الآفاق ، وتهادى عجائبَ ذكره الشامُ والعراق ، ثم رحل إلى مصرَ وله هنالك صوتٌ بعيدٌ ، ومقام محمود ، ووصل إلى مكّة ، وروى في طريقه كتابَ الترمذي في الحديث وعنه أخذه أهل المغرب ، ثم رجع إلى الأندلس واستأذن المعتضدَ في سكنى مُرُسيّة^٣ : رأياً رآه ، وبلداً اختاره وتوخّاه ، وأميرها يومئذ ابنُ طاهر ؛ فلما غلب الرومُ على مدينة برَبُشتَر^٣ سنة ست وخمسين ، وقرف الندب ، وتفاقم الحطّيب ، وضاق عن ساكنه

١ المغرب : وتناصر .

٢ انظر التعليق رقم : ٢ على الصفحة السابقة .

٣ م : مدينة ابن بشر ، وانظر الكائنة على مدينة برَبُشتَر في الدخيرة ٣ : ١٧٩ .

الشرق والغرب ، خاطب المعتضد برقعةٍ يحضه فيها على الجهاد ، ويستشيره إلى أين ينتقل من البلاد ، فراجع برسالةٍ من إنشاء الوزير الكاتب أبي الوليد ابن المعلم ، وهي ثابتة في أخباره من هذا القسم ، يشير عليه فيها بالرجوع إلى بلده ، لا بل استدرجه إلى مَلْحَدِهِ ، فأذهله عما كان استشعر ، وأنساه ما كان حذر ، أجَلٌ قريب ، وحيامٌ مكتوبٌ ، ومَصْرَعٌ ، لم يكن عنه مدفع ؛ فاستقرَّ بإشبيلية سنة ثمان وخمسين ، ولقيه المعتضد فأعلى المحلّ ، وفوّض إليه في الكُثْرِ والقُلّ ، وعوّل عليه في العَقْدِ والحلّ . فلما كان يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلةً لربيع الأول سنة ستين أحضره القصر ، وقد غلب [١٨] - زعموا - عليه السكر ، وأمر خادمين من فتيانه بقتله ، فكلاهما أشفقَ من سوءِ فعله ، وفرّ . لا يبالي سيءَ عبّادٍ أو سرّ ، فقام إليه هو بنفسه وبأشر قتله بيده ، فلم يئلُ عبّادٌ بعده سولاً ، ولا مُتّعَ بدنياه إلا قليلاً ، وإلى الله الإياب ، وعليه الحساب .

فصل من رقعة كان خاطب بها المعتضد من مرسية واستفتحها بهذه الأبيات ٢ :

أعبّادُ جلّ الرزءُ والقومُ هُجِعُ على حالةٍ من مثلها يُتَوَقَّعُ^٣
 فلقٌ كتابي من فراغِك ساعةً وإن طال فالموصوفُ للطول موضع
 إذا لم أبتّ الداءَ ربّ دوائه ؛ أضعتُ وأهلُ للملامِ المضيع

١ في الصلة : لأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر .

٢ الأبيات في المغرب وترتيب المدارك وهي وبعض الرسالة في النفع ٢ : ٩٣ .

٣ ترتيب المدارك : يتتبع .

٤ المغرب : نحادة ؛ النفع : شكايه .

وفي فصل منها : وكتابي عن حالة يشيبُ لشهودها مَفْرِقُ الوليد ، كما يغيرُ لورودها وجهُ الصعيد ، بَدُوها ينسفُ الطريفَ والتالد ، ويستأصل الوليدَ والوالدَ^١ ، تَدَرُّ النساءَ أيامي ، والأطفالَ يتامى ، فلا أيسمة إذا لم تبق أنثى ، ولا يتيم والأطفالُ في قيد الأسرى ، بل تعم الجميع جمًّا جمًّا ، فلا تخصّ ، وتزدلف إليهم قُدماً قُدماً ، فلا تنكص ، طَمَّتْ حتى خيفَ على عُرْوَةِ الإيمانِ الانفضاض ، وَطَمَّتْ حتى خُشِيَ على عمودِ الإسلامِ منها الانفضاض ، وَسَمَّتْ حتى تُوقِعَ على جناحِ الدينِ الانهياض .

وفي فصل منها : كأنَّ الجميعَ في رَقْدَةٍ أهلِ الكهف ، أو على وعدٍ صادقٍ من الصّرفِ والكشف ، وأنتى لملها بالدفاع عن الحريم ، ولما نمتلُ أدبَ العزيز الحكيم في قوله : ﴿ ولولا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (البقرة : ٢٥١) وقوله تعالى : ﴿ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا . وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ (الحج : ٤٠) ومن أين لنا دفعهم^٢ بالكفاية أو كيف . ولم نمتطِ إليهم الخوفَ ، ونساجلِهمُ السيفَ ، بل لَمَّا يُرَأَبُ من صدوعهم ثلم ، ولا دُووي من جراحهم كَلَمٌ . ولا رُدَّ في نحورهم سهم ، ان حاربوا موضعاً أرسلناه ، أو انتسفوا قَطراً سَوَّغناه ، وان هذا لأمر^٣ له ما بعده ، إلا أن يُسَنِّيَ اللَّهُ على يَدَيْكَ دَفْعَهُ وَصَدَّهُ :

١ د : والتليد . . . الوالد والوليد .

٢ دفعهم : سقطت من ط س .

٣ م د س : الأمر .

فكم مثلها جأواء^١ نَهْنَهتَ فأنثنت
فمرت تنادي الويل للقادح الصفا
وألقت ثناءً كاللطائم نَشْرُهُ
لَبَعَضُ القلوبِ الصخرُ أو هي أجلد
وناظرها من شدةِ النَّقْعِ أُرْمَدُ
تَبِيدُ الليالي وهو غضٌ يجدد^٢

وفي فصل منها: والحربُ في اجتلائها حسناءُ عروسٌ تطبي الأعمارَ
بِزَتْهَا ، وفي بنائها شمطاءُ عَبَسُ تختلي الأعمارَ غرتها ، فالأقلُّ
للهبها وارد ، والأكثر عن شهبها حائد ، فأخلق بمجيد عن مكانها ، وعزلة
في ميدانها ، فوقودها شِكَّةُ السلاح ، وفرندها مساقطُ الأشباح ، وقتارها
متصاعدُ الأرواح ، فان عَسَّسَ ليلها مدةً من الانصرام ، أو انبجس
وبلُّها ساعةً لانسجام ، فيومها غَسَقٌ يردُّ الطرفَ كليلاً ، وتَبَلُّها
صَيَّبٌ يزيدُ الجوفَ غليلاً :

أعبادُ ضاقَ الذَّرْعُ واتسع الخَرَقُ ولا غَرَبَ للدنيا إذا لم يكن شَرِقُ
ودونك قولاً^٣ طال وهو مقصر فللعين معنى لا يُعْبِرُهُ ، النطقُ
[١٨ب] إليك انتهت آمالنا فارم مدهى بعزمك ، يدمغُ هامةَ الباطلِ الحق

وما أخطأ السبيلَ من أتى البيوتَ من أبوابها ، ولا أرجى الدليلَ من ناط
الأمورَ بأربابها ، ولربَّ أملٍ بين أثناء المحاذير مُدْمَجٍ ، ومحبوبٍ في طيِّ المكارِه
مُدْرَجٍ ، فانتَهزَ فرصتها فقد بان من غيرك العجز ، وطبَّقَ مضارِبها فكان

١ الجأواء : الكتيبة التي يعلوها لون السواد لكثرة الدروع . ط س : شهوا .

٢ م : مجد .

٣ ط : قول .

٤ س م : يمترها .

٥ بهامش ط بخط معاير : مفاصلها ، وكذلك هي في بعض أصول النسخ .

قد أمكنتك الحزب ، ولا غرو أن يُستَمطرَ الغمامُ في الجذب ، ويُسْتَصْحَبُ
الحسامُ في الحرب ، فالسهامُ تطيش فتختلف ، والرماحُ تلينُ وتنقص ،
فان جَعَجَعَتْ أيها الساعي المخبُّ في بُغَاءِ الفرج ، وتحققت بالحثِّ على
جلاء تلك اللجج ، ووجدت في فتح ذلك الباب المرتج :

فنادٍ : أعبادُ ذا عائدُ	وقدك ، على حينها تنصرم
تُجيبك أسودُ على ضمير	معوذة ما بغت أن يتم
كانَ المقاديرَ حزبٌ له	فيمضي على رأيه ما حكم
سفته الحمية جريالها	وصحَّت مناقبه في الكرم
فصابٌ لأعدائه مُسْفِرٌ	وغيثٌ لراجيه حلُّو الدِّيم
كنوه بما مدَّ في عمره	وكان نخورَ العدا يتخرم
تقيدنا حرَّ أفعاله	وكنيته تفتصي ما رسم
فمن ذين تفريع أوصافه	وبالرمز نعي الذكي الفهم

وفي فصل منها : وما زلت أعتدك لمثل هذه الجولة وزراً ، وأدخرك
في مليمها ملجأً وعصراً ، لدلائل أوضحت فيك الغيب . وشواهد رفعت
من أمرِكَ الرِّيب ، فالنهار من الصباح ، والنور من المصباح ، ولئن كان
ليلُ الفساد مما دهم قد أعْدِفَ جلبابه ، وصباحُ الصلاحِ بما ألمَّ قد قُدَّ
إهابه ، فقد كان ظهَرَ قديما من اختلال الأحوالِ ما أياس ، وتبينَ من
فسادِ التدبيرِ ما أبلس^٢ ، حتى تدارك فتق ذلك سلكك ، فرتقه جميلُ
نظرهم ورأبه ، وصرفه مشكورُ أثرهم وشعبه :

١ م س : تخترم ؛ أصل ط : يتخرم .

٢ س م : أليس .

فعاد الشملُ منتظماً هنياً وأضّ الصّدعُ ملتثماً سوياً

ثم تَوَلَّيْتُ فَكَفَيْتِ ، وَخَلَفْتُ فَأَرْبَيْتِ ، وَبَزَعْتَ فَأُورِيْتِ ، فَالنَّاسُ
مَذْبُوتُهُمْ رَحَبَ جَنَابِكَ فِي عَطَنِ يَرْبِي عَلَى لَيْنِ الدَّمَقْسِ ، وَتَحْتَ مِينِنِ
تَعْلُو عَلَى مُنَى النَّفْسِ ، فِي زَمَانِ كَالرَّبِيعِ اعْتَدَلَ هَوَاؤُهُ ، وَتَشَاكَهَتْ أَرْضُهُ
وَسَمَاؤُهُ ، وَاخْضَرَ بِالنَّبْتِ أَدِيمَهَا فَكَأَنَّهَا الرَّقِيعُ ، وَتَعَمَّ بِالنُّورِ جَمِيمَهَا فَتَقُولُ
هُوَ التَّرْصِيعُ ، فَفَضْلُكُمْ فِي الْأَعْنَاقِ أَطْوَقُ ، وَمَجْدُكُمْ لِلْأَفَاقِ إِشْرَاقُ ،
وَحَيْثَمَا حَلَلْتَ : الْأَرْضُ عِرَاقُ ، فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ هُوَ إِلَى تِلْكَ الْحَضْرَةِ مُشْتَقُ ،
فَلَا تَحْرِمْنِي وَصِلاً كُنْتُ جَاهِداً فِي إِنْبَاطِهِ ، وَلَا تَصِدَّقْنِي^٢ عَنْ مَنَهْلِ كُنْتُ
صَدْرًا فِي فُرْاطِهِ ، فَأَحَقُّ الْوَرَى بِجَزِيلِ تِلْكَ الْأَلَاءِ ، وَأَخْلَقَهُمْ بِمِثْرَلِ تِلْكَ
السَّمَاءِ ، أَنْصَحُهُمْ لَهُ جِيًّا ، وَأَصْحُهُمْ فِيهِ غِيًّا :

أَعْبَادُ كَلَّا قَدْ عَكَوَتْ فَضَائِلًا تَقَاصَرَ عَنْهَا كُلُّ أَرْوَعٍ مَاجِدِ
فَأَوْلَهَا جُودٌ أَرَانَا أَكْفَهُمْ جَمُودًا كَكَفِّ لَمْ تُؤَيِّدْ بِسَاعِدِ
وَسَمِيٌّ لِمَا تَبَغِي بِخَيْلٍ سَعِيَهُمْ تَلَاعَبَ وَلِدَانِ أَطَافَتْ بِوَالِدِ
وَنَصْرَ لِمَنْ وَالْبَيْتَ يَرْدِي عِلْوَهُ رَدَى أَهْلَ جَوِّي فِي وَقِيعةِ خَالِدِ^٤
[١٩] مَنْعَتَ بَنِي جَالُوتَ مَاقِدْ أَبَاحَهُمْ سِوَالِكَ بِحَرْبِ قَبِيذَتِ كُلِّ شَارِدِ
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْظُرْ أَسْوَدًا بَرُوضَةً تَرَاعِي عَصَا رَاعٍ وَتَعْنُو لِرَائِدِ
عَجَائِبُ مَجْدٍ أَعْجَزَتْ مَبْنُ سِوَاكُمْ وَمَنْ سَرَّهَا الْمَشْهُورِ صِدْقُ الْمَوَاعِدِ^٥

١ م : بالروض .

٢ د : من هوى ؛ وسقط من م س ، وموضعه في ط كلمة غير واضحة .

٣ د : تصرفني .

٤ جو : اليمامة ، ووقية خالد فيهم في حروب الردة مشهورة .

٥ بعد هذا البيت في م س : ومنها

فان راثَ امرى فادركني برحلةٍ
 وحيداً مكاناً آتاهِ فرضاكنمُ
 إلى مأمنٍ فالخوفُ أعجلُ طارد
 هواي وإنْ أغشى كريبهَ الموارد
 فقد جدَّ امرٌ هداهُ شرعَ محمدٍ
 وما مُخْبِرٌ عن حالةٍ مثلُ شاهد
 لكلٍ يبينُ الرأيُ عند وفاته
 وهل من دواءٍ بعد نهشِ الأسود
 أضاعوا وجوهَ الحزم يوماً فغزهم^١
 على أمرهم من ليس عنه بهاجد

وفي فصل منها : فالثمرةُ من ساقها ، والجياذُ على أعراقها ، ولئن
 لذت تلك الثمرةُ لذائق ، وشدخت غرةُ تلك القرحةِ لرامق ، لما بين^٢
 كنهه المجتنى قبل تفتيرِ أكمامه ، ومما يصحح عتقَ الجنين^٣ قبل أوان
 فطامه ، فلنوي الأبصار أدلةً على العتق لائحة ، ولأولي الألباب شواهدُ
 على الكرم واضحة ، ويحق أدركت ، فعلى السوابق سلكت ، وبمشاعير^٤
 المعالي نسكت فتنسكت :

« وما يكُ من خيرٍ أتوهُ فإنما
 توارثهُ آباءُ آبائهم قبلُ »^٥
 « وهل يُنبِتُ الخطيَّ إلا وشيجهُ
 وتُغرسُ إلا في منابتها النخل »
 وقولُ رسولِ اللهِ أعدلُ شاهدٍ
 فحكمته شرعٌ ومنطقهُ فصلُ
 يقول : بنو الدنيا معادنُ ، خيرُها
 إذا ما زكوا من كان قديماً له الفضل

١ في النسخ : فغزهم .

٢ ط م : لما تبين ؛ س : لما يبين ؛ وسقطت من د ، وأثبتنا ما في هامش ط .

٣ م س وهامش ط : المجتنى .

٤ م ط س : وبمباشرة .

٥ البيتان الأولان لزهير بن أبي سلمى ، ديوانه : ١١٥ .

وصلّى الله على رسوله فقد نبّه بتصحیح ، ودلّ دلالة نصیح ، فان
المعادن لا تثوي غير معهود فيلزيها ، كما لا تصح الدوائر إلا على نقطة
مركزها ، فمن طلب النبل في غير معادنه ، واستثار الخير من غير مكانه ،
أعجزه من مطلبه مرامه ، وطاشت في سهنته أعلامه ، بل قد
ضلّ قصد السبل ، واعتسف الفلاة بغير دليل . فسقط العشاء به على
سرحان^٢ ، وأفضى القضاء به إلى الطوفان ، وإنما هو الفجر أو البحر^٣ .

ومن شعره أيضاً يحض على الجهاد ،
ويستنفر كواف البلاد^٤

قوله :

بيت الشر فلا يستزل^٥ طرق النوام سيمع^٦ أزل^٧
فثبوا واخشوشنوا واحزبوا كل ما رزء سوى الدين قل^٨
صرح الشر فلا يستقل^٩ إن نهلم جاءكم بعد عل^{١٠}
بده صقق الأرض نش^{١١} وطل^{١٢} ورياح ثم غيم^{١٣} أبل^{١٤}

١ ط م د س : واستشار .

٢ المثل في وصل المقال : ٣٦٢ والميداني ١ : ٢٢١ والعسكري ١ : ٤١٥ (تحقيق أبو الفضل)

والمستقصى : ٢٢٦ واللسان (سرح) وجمهرة ابن دريد ٢ : ١٣٢ .

٣ من كلام أبي بكر الصديق . يقول : إن انتظرت حتى نضيء لك الفجر أبصرت قصدك وإن

خبطت الظلماء وركبت المشواء هجما بك على المكروه ، يضرب الفجر والبحر مثلاً لغمرات

الدنيا (اللسان - فجر) وانظر اللخيرة ١ : ٣٩٤ .

٤ ط م : آل البلاد ؛ س د : إلى البلاد .

٥ النفع : رش : ط م د س : نشو .

قد رَجَّتْ عادٌ سحاباً يُهِيلُ^١ فإذا رِيحٌ دَبُّوزٌ مِحَلٌ^٢
نَقَّبُوا فالداهُ رِزءٌ يَحُلُّ^٣ واغمدوا سيفاً عليكم يُسَلُّ^٤

ومنها :

يَدُّنا العليا وهمٌ وَيَكُّ^٥ شُلُّ^٦ فَلَمَّ استرعى^٧ الأعرزُ الأذلَّ^٨
عجبٌ الأيامِ ليثٌ صَمَلٌ ذعرته نعجةٌ إذ تصل
« خبرٌ ما جاءنا مصمئلٌ^٩ جلٌّ حتى دقَّ فيه الأجلُّ^{١٠} »

قوله : « فثبوا^٦ واخشوشنوا ... » من قول عمر بن الخطاب ،
رضي الله عنه : « اخشوشنوا واخشوشنوا وعليكم باللبسة المعدية » ؛
وقوله : « بدءٌ صَعَقُ الأرضِ نَشءٌ^٧ وطلُّ^٨ ... » معنى مبتدل ، ومنه
المثل « السَّقَطُ يَحْرِقُ الحَرَجَةَ^٩ » ، وقال الأول :

والشيءُ تحقره وقد ينمي^{١٠}

وقال الفرزدق^٩ :

- ١ النفع خفضوا فالداه رزه أحل .
- ٢ م ط : بك .
- ٣ في النسخ : استوى .
- ٤ ط د : عجبا .
- ٥ مضمّن من الحماسية رقم : ٢٧٣ في شرح المرزوقي .
- ٦ فثبوا : سقطت من م ط .
- ٧ ط د : نشو ؛ م : نشى .
- ٨ صدره : ان يأبروا فخلا لغيرهم ، الحماسية رقم : ٥٤ للحارث بن وعلة الجرمي .
- ٩ حساسة البحري : ١٣٦ والمختار : ١٧٢ .

قوارص تأتيني وتحتقرونها وقد يملأ القطرُ الاناءَ فيفنعَمُ

[١٩ ب] وقال نصر بن سيار من أبيات كتب بها مروان :^١

فان النارَ بالعودين تُذْكَى وان الحربَ مبدأها الكلامُ

وقال أبو تمام ، وعليه عولَ الفقيه ، ولكنه استحقته بما زاد فيه . وهو^٢ :

كم من قليلٍ حداً كثيراً كم مطرٍ بدؤُهُ مُطَيَّرُ

وأخذهُ أبو عبادة فقال :

وأول الغيثِ طلٌّ ثم ينسكب^٣

وقال ابن الرومي^٤ :

لا تحقرنَّ سُبَّيًّا قد قاد خَيْرًا سُبَّيًّا

وقال أبو العلاء ، وحرفته إلى بعض الأخطاء ، ولكنه إليه أشار . وحواليه

دار .

فأولُ ما يكون الليثُ شبلٌ ومبدأ طلعةِ البدرِ الهلالُ

وكان له فيه إلام ، بقول أبي تمام^٥ :

١ مروج الذهب ٦ : ٦٢ وفصل المقال : ٦٩ ، ٢٣٣ .

٢ المختار : ١٧٢ وزهر الآداب : ٥٧٣ .

٣ صدره : وأزرق الفجر يبدو قبل أشهبه ، ديوان البحترى : ١٧١ والمختار : ١٧٢ .

٤ ديوان ابن الرومي : ١٤٦ وزهر الآداب : ٥٧٣ وروايته : كم جر (كم قاد) .

٥ شروح السقط : ١٧١٨ .

٦ ديوان أبي تمام : ٤ : ١١٥ .

إن الهلال إذا رأيت نموّه أيقنت أن سيكون بدرًا كاملاً

وقال العباس بن الأحنف وقصد به قصده ، وكان ينفق مما عنده^١

الحب أول ما يكون بحاجة تأتي به وتسوقه الأقدار

حتى إذا اقتحم الفتي لجج الهوى جاءت أمور لا تطاق كبار

وقال الآخر ، وكأنه نحا به نحواً غريباً ، ولكنه نظر إلى المعنى نظراً مريباً :

فلا تحقرن عدوآ رماك وإن كان في ساعديه قصر^٢

فان السيوف تمزق الرقاب وتمجزع عما تنال الإبر

ومن كلام المحدثين ما أجروه مجرى الأمثال : « ربّ عشق جنبي بلفظة ،

وصباية غرست من لحظة »^٣ . إلى غير ذلك مما لا يُحدّث شهرة ، ولا

يحصي كثرة .

وقال الوزير أبو حفص من جملة قصيدة :

أيا أسفا للدين إذ ظلّ نهبةً بأعيننا والمسلمونُ شهودُ

أني حرمِ الرحمن يُلحدُ جهرةً ويجعل أشراكَ الإله يهودُ

ويُشَلِّبُ بيتُ الله بين بيوتكم وقادرُهُ عن ردّ ذلك قعيد

ويوضَعُ للدجالِ بيتَ بمكة ويخفي عليكم منزعُ وقصود

.....

١ ديوان العباس : ١١٦ .

٢ النفع ٣ : ٢٣١ ، وردا غير منسويين ، وهما في التمثيل والمعاصرة : ١١٥ لابن

نباتة السعدي وانظر نهاية الأرب ٣ : ١٠٤ واليتيمة ٢ . ٣٩٦ .

٣ في الميداني (١ : ٢١٤) رب صباية غرست من لحظة . رب حرب شبت من اللفظة .

٤ في النسخ : شهود .

أعيدكم أن تدهنوا فيمسكم . عقابٌ كما ذاقَ العذابَ ثمود
وأفبيحٌ بذكرٍ يستطير لأرضكم يومٌ به أقصَى البلادِ وفود
ولاعتجب أن جانس الحوض ضفدعٌ وقدماً تساوي مَطْلَبٌ وشهود
يقودُ امرءاً طبعٌ إلى علم شكله كما انمازتِ الأرواحُ وهي جنود

وهذا المصراع الأخير ، إلى معنى الحديث^١ يشير : « قلوب المؤمنين
أجناد مجنّدة ، ما تعارفَ منها ائتلف ، وما تناكرَ منها اختلف »^٢ ، وأخذه
الحسن فقال^٣ :

إنّ القلوبَ لأجنادٌ مجنّدةٌ لله في الأرض بالأهواءِ تعترفُ ؛
فما تعارفَ منها فهو مؤتلفٌ وما تناكرَ منها فهو مختلفٌ

[٢٠ أ] وقال الوزير أبو حفص من أخرى :

تبارك من تفرّد بالبقاءِ وأسلك خَلْقَهُ سُبُلَ الفناءِ
وشتتَ شملهم بعدَ انتظامِ وكدرَ وردَهم لآثرَ الصفاءِ
ولم يُجِرِ الأمورَ على قياسِ فليست دارنا دارَ الجزاءِ
فتبصيرٌ محسناً يجرى بقبحِ وذا ضمّةٍ يقاد إلى السناءِ
وقد كنتُ اعتلقتُ^٤ أجلَ ملكِ وأعلمهم بنتقّبِ أو هيناءِ^٥

١ م : البيت .

٢ في صحيح مسلم ٢ : ٢٩٥ - ٢٩٦ الأرواح جنود مجنّدة ما تعارف . الح الحديث .

٣ ديوان أبي نواس : ٤٢٨ .

٤ في النسخ : تختلف .

٥ في النسخ : اعتقلت ، وما أثبتته من هامش ط .

٦ يشير إلى المثل : « يضع الهناء مواضع النقب » والهناء : القطران ، والنقب . الحرب ،

يضرب مثلاً للحاذق البصير في الأمور ، وهو من شعر دريد بن الصمة في الخنساء ، وصدر

البيت « متبدلاً تبدو محاسنه » .

ومن يجهد الدنيا حريصاً فليس بجائزٍ غيرَ العناء
ومن يثق الزمانَ يجده خبباً وَيَبْصُرْ عَنْهُ عَلَى حِينِ الرَّجَاءِ
إذا كان الدواءُ به اعتلالي فأَيُّ الخلقِ أرجو للشفاء

وهذا كبيت عدي بن زيد^٢ :

لو بغير الماءِ حلقي شَرِقٌ كُنْتُ كَالغَصَّانِ بِالماءِ اعْتَصاري

وأرى الوزير أبا حفص إنما عوّل فيه على قول أبي بكر رضي الله عنه
وقد قيل له : لو سألنا لك الطبيب ، فقال : « الطيبُ أعلّي » .

فصل في ذكر الفقيه القاضي أبي الوليد الباجي^٣ ، من باجة الأندلس^٤ ،
والإتيان بلعمة من أخباره التي زاحمت في بيوت شرفها الكواكب ،
وقطعة من أشعاره التي ملأت بفوائدها وطُرُقِها المشارقَ والمغرب
قال ابن بسّام : نشأ أبو الوليد هذا وهمته في العلم تأخذ بأعنان السماء ،

١ في السح ، لدى ، وما أثبتته من هامش ط .

٢ ديوان عدي ٩٣٠ .

٣ أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد (أو سعدون) بن أيوب التجيبي ، أحد أقطاب المذهب المالكي ، وصاحب المؤلفات الفقهية القيمة ، منها المنتقى وإحكام الفصول في أحكام الأصول وغيرهما ، توفي بالمدينة سنة ٤٧٤ (انظر ترتيب المدارك ٨٥٢٠٤ والديباج المذهب . ١٢٠ والمرقبة العليا : ٩٥ وبقية الملتبس رقم ٧٧٧٠ والصلة ١٩٧٠ والقلائد : ١٨٨ والمغرب ١ : ٥٠٤ وتهذيب ابن عساكر ٦ : ٢٤٨ ومعجم الأدباء ١١ : ٢٥٦ والإكمال ١ : ٤٨٦ وتذكرة الحفاظ ١١٧٨٠ وابن خلكان ٢ : ٤٠٨ والشذرات ٣ : ٣٣٤ ونفح الطيب ٢ : ٦٧ ومرآة الحنان ٣ : ١٠٨ وفوات الوفيات ٢ : ٦٤ وعبر الذهبي ٣ : ٢٨٠ والروض المطار . ٧٥ .

٤ باجة الأندلس (Beja) : تقع في البرتنال على بعد ١٤٠ كم إلى الجنوب الشرقي من لشبونة .

ومكانه من الثر والتنظم يسامي مناط الجوزاء ، وبدأ في الأدب فبرز في ميادينه ، واستظهر أكثر دواوينه . وحمل لواء مثوره وموزونه ، وجعل الشعر بضاعته فوصل له الأسباب بالأسباب ، ونال به مآكل القُحَم الرغاب ، حتى جُنَّ الإحسان بذكره ، وغنى الزمانُ بعرايب شعره . واستغنت مصرُ والقيروان بخبَرِه عن خبَرِه ، ولم تزل أقطار تلك الآفاق توصله . وعجائب الشام والعراق تغازله . حتى أجابَ ، وشدَّ الركاب ، وودَّعَ الأوطانَ والأحباب ، فرحل سنة ست وعشرين ، فما حلَّ لبدأ إلا وجده ملائناً بذكره ، نشواناً من قهوتَي نظمه ونثره ، ومال إلى علم الديانة ، وقد كان قبلَ رحلته تَوَلَّى إلى ظله ، ودخل في جملة أهله . فمشى بمقياس . ونى على أساس . فلم يبعد أن أصبح نسيجَ وحده . في حلته وعقده . حتى صار كثيرٌ من العلماء يسمعون منه . ويرتاحون إلى الأخذ عنه ، وحتى علم العلم أن له أشكالا . وتيقن أهلُ العراق أن بالأندلس رجالاتاً ، ثم كرت ، وقد نفع وضرَّ ، وأحلى وأمرَّ ، واستنقضيَ بطريقه بحلب . فأقام بها نحواً من عام . ثم نازعه [٢٠ ب] هوى نفسه ، إلى مسقط رأسه . ومنبت غرسه . من أرض الأندلس ، فورد وعشبُ بلادها نابٌ وظفر . وصوبُ عهادها دمٌ هَدَر ، ومالها لا عينَ ولا أثر ، وملوكها أضداد ، وأهواءُ أهلها ضغائنٌ وأحقاد ، وعزائمهم في الأرض فساد وإفساد . فأسف على ما صبَّعه . وندم لو أجدى عليه ذلك أو نفعه ، على أنه لأوَّل قدومه رفع صوته بالاحتساب ، ومشى بين ملوك أهلِ الجزيرة بِصِلَةٍ ما انبتَ من تلك الأسباب ، فقام مقام مؤمنِ آلِ فرعونَ لو صادف أسماعاً واعية . بل نفح في عظامِ ناخرة ،

١ م ط س : ومال .

وعكفَ على أطلالِ دائرة ، بيد أنه كلما وفد على ملك منهم في ظاهر أمره لقيه بالترحيب ، وأجزل حظه بالتأنس والتقريب ، وهو في الباطن يَسْتَهْجِلُ نَزْعَتَهُ ، ويستثْقِلُ طَلْعَتَهُ ، وما كان أفطنَ الفقيه ، رحمه الله ، بأمرهم ، وأعلمه بتدبيرهم ، لكنه كان يرجو حالاً ثوب ، ومدناً يتوب ، ولم يَخُلْ مع ذلك من تأليفِ الدواوين وتدريسها ، وتشديد المكارم وتأسيسها .

بلغني عن الفقيه أبي محمد بن حزم أنه كان يقول : لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد عبد الوهاب^١ مثل أبي الوليد الباجي . وقد ناظره بميوزقة فقلَّ من غرْبِهِ ، وسبَّبَ إحراقَ كتبه ، ولكنَّ أبا محمد وإن كان اعتقد خِلافَهُ ، فلم يطَّرحْ إنصافه ، أو حاول الردَّ عليه ، فلم ينسب التخصير إليه . وتوفي أبو الوليد الباجي ، رحمه الله ، سنة أربع وسبعين ، وهو بسبيله من تصنيف الدواوين ، في علوم الدين ، وقد أخرجتُ ما وجدت من كلامه في هذا الفن الذي أنا في إقامة أوده .

ووجدت للوزير الكاتب أبي محمد بن عبد البر رقعةً كتبها عن مجاهد أمير دانية ، وقَتَّتَهُ ، إلى المظفر ببطليوس في صفته ، يقول في فصلٍ منها : الآفاق — أيديكَ الله — وان وارت الأنوار والشهب ، والأبعادُ وان كَثُفَتْ^٢

١ هو أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر القاضي (- ٤٢٢) (انظر في ترجمته ترتيب المدارك ٤ : ٦٩١ وطبقات الشيرازي : ١٦٨ وتبيين كذب المفتري : ٢٤٩ وتاريخ بغداد ١١ : ٣١ والديباج المذهب : ١٥٩ وابن خلكان ٣ : ٢١٩ والمرقبة العليا ٤٠٠ والقوات ٢ : ٤١٩ وستأتي ترجمته في القسم الرابع من الذخيرة ؛ وانظر كذلك مصادر أخرى ذكرت في حاشيتي الوفيات والقوات) .
٢ في السخ : كشت .

الأستارَ والحجب ، فلن محجبَ أنوارَ الفضلِ والكرم ، ولن تسدُّ مطالعَ
 المآثرِ والهمم ، ولن تقطعَ تعاملَ التواصلِ والوداد، وتدآبِ التضاميرِ والإنجاد،
 وتلك حالنا فإننا على بعدِ الدار ، وشحطِ المزار ، نطوي على أنفسِ
 متجاورةٍ متلاصقةٍ ، ونأوي^١ إلى مذاهبٍ متوافقةٍ ، والفقيرِ الحافظِ أبو الوليدِ
 الباجي غَدِي نَعْمَتِكَ^٢ ، ونشأة^٣ دولتك ، هو من آحادِ عصره في
 علمه ، وأفرادِ دهره في فهمه ، وما حصل أحدٌ من علماء الأندلس متفقاً
 على مثل حَظِّه وقسمه ، وقد تقدّم له بالمشرقِ صِبْتٌ وَذِكْرٌ ، وحصلَ
 بجزيرتنا^٤ ونكّ فيه جمالٌ وفخرٌ ، فإنه إليك تنعطفُ أسبابه ، وعليك
 تلتقي وتلتفُّ آراؤه ، لكن شددتُ عليه يدي ، وجعلته عَلمَ بلدي ، يشاورُ
 في الأحكام ، ويهتدى إليه في الحلالِ والحرام ، فقد ساهمتك به ، وشاركتك
 فيه ، كما تساهمنا وتشاركنا في الأحوالِ السلطانية ، والأمورِ الدنياوية .

١ د : النظائر .

٢ في النسخ : فالك . . . تنطوي . . . وتأوي .

٣ د : وغرس .

٤ د : بجزيرتنا .

ما أخرجه من أشعاره في أوصاف شتى

فمن ذلك قوله^١ :

إذا كنتُ أعلمُ علماً يقيناً بأن جميع حياتي كساعه^٢
فليمُ لا أكون ضنيناً بها وأجعلها في صلاح وطاقه

وقوله في صفة قلم :

وأسمر ينطق في مشيه ويسكتُ مهما امرّ القدمُ
على ساحة ليلها مشرقٌ منيرٌ وأبيضها مدّتهمُ
وشبهتُها بياض المشيب يخالط نور سوادِ اللّثمُ

[ودخل بغداد والحيرمان قد كساه سراويل، ورماه يطير أبابيل، وقاضي

١ بهامش ط : جملة من شعر أبي الوليد ، وليس في النسخ شعر أو نثر له ؛ وقد جاء في هامش ط المقطوعتان الأوليان الثابتتان هنا ، وهناك ما يفيد أنهما نقلتا من نسخة عتيقة ؛ ثم كتب بهامش النسخة نفسها بخط منابر كثيراً لخط الأصل : « بل بقي نحو الورقة ونصف » وكتب عند نهاية الترجمة ، « بقيت خمسة أبيات » ، وهذا الذي أثبتته هنا إنما جاء في الطبعة المصرية (١٩٧٥) اعتماداً على النسخة الكتانية ؛ وقوله « ما أخرجه » - بضمير الغائب - دليل على أنه ملحق بجهد رجل آخر عدا ابن بسام ، لعله وجدّه في مسودات ابن بسام نفسه ، أو لعله أضافه مشاكهاً عمل ابن بسام في المقدمات المسجوعة ، وما جاء به مسجوعاً هنا يقارب طريقة ابن بسام ، ولكنه لا يطابقها تماماً . هذا وقد خالفت قراءة الطبعة المصرية في عدة مواضع ، دون أن أشير إلى ذلك .

٢ وردت القطعة في ابن عساكر والقلائد والمغرب والفوات وبغية المنتس والصلة والمرقبة العليا وابن خلكان ومعجم الأدباء والنفح وترتيب المدارك والديباج المذهب والروض المعطار .

قضاها السناني ناصح الدين تاج الإسلام^١ يباري القطر ، ويحلي ديباج
 الفقر ، فقلّده معهود تخفيه ، وسقاه ماء أمانيه ، وأهبه من نوم فاقته ، وطبه
 بجودٍ أسرع في إفاقته ، واشتمل عليه اشتمالاً مع صون ماء وجهه عن إراقته ،
 أناله ما أحسبه والله وأكسبه ، فاقتصر على نداءه ، واهتصر أفنان جناه .
 وقال بمدحه^٢ :

يا بعد صبرك أتهموا أم أنجدوا هيهات منك تصبرٌ وتجلدُ
 يأي سُلوكَ بارقٌ متألّقٌ وشميمٌ عَرَفَ عرارةٍ ومفرّدُ
 في كل أفقٍ لي علاقةٌ خولةٍ تهدي الهوى وبكلّ أرضٍ تُهدى
 ما طال عهدي بالديار وإنما أنسى معاهدها أسيّ وتبلّدُ
 ولقد مررتُ على المعاهد بعد ما لبس البداوةَ رسمها المتأبّدُ
 فاستنجدتُ ماء الدموع لبيّنهم فتابعتُ حتى توارى المنجدُ
 طفقتُ تسابقني إلى أمد الصبا تلك الرُبى ومنالُ شأوي يبعدُ
 لو كنتُ أنباتُ الديارَ صبايبي نحلّ الصفا بفنائها والجلمدُ
 لله أيامُ الشبابِ وحسُنُها وغصونهنّ المائساتُ الميّدُ
 أيامَ أنفضُ للمراح ذوابي بين اللداتِ ودرع بردي مُجسّدُ
 أتقنصُ الطيّباتِ في سُبُل الصبا فيصيدهن لي العذار الأسود

.....

١ هو القاضي أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد السناني - سنان العراق - كان فقيهاً ، تكلماً
 على مذهب الأشعري وقد أخذ عنه الباجي علم الكلام بالموصل لا ببغداد ، وتوفي السناني
 سنة ٤٤٤ (الباب والمتنظم ٨ : ١٥٦) .

٢ منها بيتان في معجم الأدباء ١١ : ٢٤٩ والنفح ٢ : ٧٦ .

٣ في البيت إشارة إلى مطلع معلقة طرفة .

٤ النفح ومعجم الأدباء : رق .

حتى علاني الشيبُ قبل نحلّمِ
وحجّيتُ سنّ الحلم في زمن الصبا
وسقتني الدنيا زُعاقَ حُمارها
ما هالي صعبُ المرام ولا الذي
أستقربُ الهدفَ البعيدَ بهمةٍ
أسري إذا اعتكر الظلامُ وقادني

ومن مديحه :

حيثُ التقتُ ظُبةَ السّماحةِ والعلا
فجنابُهُ لا يُستباحُ وجارُهُ
حرّمُ المكارمِ لا [ينال] فيناه
عالي محلّ النارِ في كتّابِ الشتا
هذا الشهابُ المستضاءُ بنوره
هذا الذي قمع الضلالةَ بعد ما

وله في المعتضد بالله^٣ :

عبادُ استعبد البرايا
مديحه خيمٌ كلُّ نفسٍ
بأنعمٍ تبلغ النعائم^٤
حتى تفننت به الحمائم^٥

١ حجيت : لزمت وتمسكت بـ .

٢ هذا البيت قلق القراءة .

٣ معجم الأدباء ١١ : ٢٥٩ والنفع ٢ : ٧٦ .

٤ النعائم : منزلة من منازل القمر .

٥ معجم الأدباء والنفع : ضمن ؛ والخيم : الخليقة والطبع

وله يرثي ابنه ١ :

رعى الله قلبين استكانا ببلدة
لئن غيباً عن ناظري وتبوءا
وأبكي وأبكي ساكنيها لعلني
فما ساعدت ورق الحمام أخصي
ولا استعدبت عيناى بعدهما كرى
أحنُّ ويشني اليأس نفسي على الأسي
هما أسكنيها في السواد من القلب
فؤادي لقد زاد التباعد في القرب
سأنجد من صحب وأسعد من سجب
ولا روحت ريح الصبا عن أخي كرب
ولا ظمئت نفسي إلى البارد العذب
كما اضطرَّ محمول على المركب الصعب

وله يرثي ابنه محمداً ٣ :

أحمد إن كنت بعدك صابراً
ورزئت قبلك بالنبي محمد
فلقد علمت بأني بك لاحق
لله ذكراً لا يزال بخاطري
فإذا نظرت فشخصه متخيلاً
وبكل أرض لي من أجلك روعة
فإذا دعوت سواك حاد عن اسمه
صبر السليم لما به لا يسلم
ولرزوه أدهى لدي وأعظم
من بعد ظني أني متقدم
متصرف في صفوه متحكم
وإذا أصخت فصوته متوهم
وبكل قبر عبيرة وترثم
ودعاه باسمك مقول بك مخرم

١ المغرب ١ : ٤٠٥ والقلائد . ١٨٩ ومعجم الأدباء ١١ : ٢٥٠ - ٢٥١ وترتيب المدارك

٤ : ٨٠٧ ومنها بيتان في ابن خلكان ٢ : ٤٠٨ .

٢ ترتيب المدارك : وأمطر .

٣ القلائد : ١٨٩ والنفح ٢ : ٧٥ .

٤ القلائد والنفح . لوعة . وقفه وتلوم

حَكَمَ الردى ومناهجٌ قد سنّها
فلئن جزعتُ فإن ربّي عاذِرٌ
لأولي النهى والحذقِ اقبل متمّمٌ
ولئن صبرتُ فإنّ صبري أكرمٌ

وله يمدح الأمير معز الدولة أبا علوان ابن أسد الدولة ١ :

محلّ الهوى من سرّ حبك أهيلُ
والله طيفٌ لا يُلْمُ كأنما
وَصرفُ النوى عن شملِ شوقي غافلُ
غدا نافرأ لا أستطيعُ اقتناصهُ
له من سهادي في الزيارة عاذلُ
ولو أنّ لي يوم الكتيبِ حبايلُ
ولكنّها من ماءٍ دمعي نواهيلُ
لئن أمطرتُ روض الحدود سحابها
لقد صديتُ منا قلوبٌ مواجلُ
فقد درجتُ في الريح منها رسائلُ
فنتهتُ عليه في الشّمال شمائلُ
بَدَتْ للهوى بالمأزمينِ مخايلُ
وما ضمّنتُ تلك الرّبّي والمنازلُ
وأكفُّ لتقليلِ الحصى هُ أناملُ
وباحت به متاً جسومٌ وراجلُ
عشارُ سحابٍ مُترعات حوافيلُ
سقى أثلاثِ الجرع من أم مالك

١ القلائد والنفح : والحزن .

٢ منها أبيات في نفح الطيب ٢ ٠ ٨٤ ومدوح الساجي هذا هو شمال بن صالح المردي صاحب حلب ، فهذه القصيدة مما قاله بالمشرق .

٣ النفح : بالخيف .

٤ النفح . لتقيل (وما هنا أصوب) .

٥ النفح : أشارت (وما هنا أصوب) .

وله يمدحه :

لريّاهمُ في عَرَفِ رَبْعِكَ عُنْوَانُ
وفيك من الحيّ الذين تحمّلوا
وكم ليلةٍ فيها تعسّفتُ حولها
سريّنا كما يسري الخيالُ وغضّضتُ
لبسّنا برودَ الليل حتى تشققتُ
حويّة معزّة الدولة المملوكِ فاعتزى
فليمجدِ سلكُ قد أجيدَ نظامه

ومن حُسْنِهِمْ في حُسْنِ مَفْناكَ تَبْيَانُ
مخايلُ أغصانِ تَمِيسُ وكُثبانُ
وكالَيْها مني مَشِيعُ وبقُظانُ
على ركبنا من ناظر الليل أجفانُ
جيوبُ تضيءُ بالصباح وأردانُ
بذِكْرِكَ في الآفاقِ مَلِكُ وسُلطانُ
وأنتَ لذلك السلكِ دُرٌّ ومرجانُ

وله :

تجنّبْ بجهدك ما صوروا
فإن الرسولَ عليه السلامُ
وإن كان في سِتْرٍ أو [ميثره] ^١
أحقّ العذاب لمن صوره

وله :

تبلّغْ إلى الدنيا بأيسرِ زادٍ
وغضّ عن الدنيا وزخرفِ أهلها
وجاهد عن اللذاتِ نفسك جاهداً
فما هذه الدنيا بدارٍ إقامةٍ
وما هي إلاّ دارٌ لهوٍ وفتنةٍ
وإن قصارى أهلها لنفادٍ
فلنكّ عنها راحلُ المعادي
جفونك واكحلّها بطولِ سهادٍ
فإنّ جهادَ النفس خير جهادٍ
فيعتدّ من أغراضها بعتادٍ
وإن قصارى أهلها لنفادٍ

وله :

انظر النهي عن التصاوير في السّتر في سنن النسائي ٨ : ٢١٢ . والميثرة كهية المرفقة أو الثوب تجلجل به الشباب ، وهذه القراءة تقديرية .

يا قابُ إمّا تُلْهني كاذباً
تشغلي عن عملٍ نافعٍ
أحرّ بأن تُسلمني نادماً
وحاق بي ما جاء عن ربنا
أو صادقاً عن الهدى جائراً
في موقف ألك لي ضائراً
إن لم ألق الله لي عاذراً
(ووجدوا ما عملوا حاضراً)

وله في معنى السفر :

إذا كنتَ ربي في طريقيّ صاحباً
فسهلّ سبيلي وأزو عنيّ شرّها
وتخلّفني في الأهل ما دمتُ غائباً
وشرّ الذي ألقاه في الأهل آيباً
وله في معنى الحمد والشكر :

الحمدُ لله ذي الآلاءِ والنعمِ
منّ يحمّد الله يأتيه المزيدُ ومن
ومُبْدِع السَّمع والأبصار والكلمِ
يكفّرُ فكم نعمِ آلتُ إلى نِعمِ
وله :

الحمدُ لله حمداً مُعترفٍ
وأنّ ما بالعباد من نِعمٍ
وانّ شكري لبعضِ أنعمه
من خير ما نعمةٍ يواليها
وله في قيام الليل^١ :

قد أفلح القانتُ في جُنحِ الدُجى
فقائماً وراكعاً وساجداً
يتلو الكتابَ العربيّ النيرا
مُبْتَهلاً مُستَعِيناً مُستَغْفِراً
له حينٌ وشهيقٌ وبُكسا
يبلُّ من أدمعه تُربّ الثرى

١ الأبيات في ابن عساكر ٦ : ٢٥٠ (ما عدا الثاني) .

إنا لسفرٌ نبتغي نيلَ المدى ففي السرى بُغيتنا لا في الكرى
مَنْ يَنْصَبِ اللَّيْلَ يَنْلُ راحته عند الصباحِ يحمِدُ القومُ السرى^١

وله :

وتيقنُ بأنكَ الدهرَ تُحلي في كتابِ المستحفظين الكرامِ
ثم تُؤتِي يومَ الكتابِ كتاباً ناطقاً بالفجور والآثامِ
وأرى عثرةَ اللسانِ ، وإن لم تبسُدُ ، أنكى من عثرة الأقدامِ
وأرى القولَ كالسهمِ فإن كا ن قبيحاً عادت عليّ سهامِي
ومن الغيِّ أن أصابَ بسهمِ وأنا مالكٌ يمينَ الرامي [

الوزير أبو عامر بن مسلمة^٢

طائلُ الدهرِ ، وعكسُ بُردةٍ ذلك العصر ، وأحد جهاذة الكلام ،
وجماهيرِ النثار والنظام ، من قومٍ طلما ملكوا أزمّة الأيام ، وخصّموا
بالسنةِ السيوف والأقلام ، لم يزالوا أقماراً في آفاق الكتاب ، وصدوراً في
صلور المراتب ، وكان أبو عامر هذا من شرفهم بمنزلة الفصّ من الخاتم ،
وبمكان السرّ من صدر الحازم . ولما ثلّست تلك العروش الأموية ، واختلت
تلك الدولة القرطبية ، تميّز إلى المعتضد ، لأملاكٍ قديمة كانت له في البلد ،
فعاش بفضله وفره ، وتصوّنَ عن الدخول في شيء من أمره ، إلا عن زيارة

.....

١ انظر المثل في فصل المقال : ٢٥٤ ، ٣٣٤ والميداني ١ : ٣٠٣ والفاخر : ١٥٨ والسكري

(بهامش الميداني) ٢ : ٦٤ .

٢ ترجمته في الجلودة : ٦١ (والبغية رقم . ١٠٧) والمطمح : ٢٣ والمغرب ١ : ٩٦ .

لما ، ومنادمة في بعض الأيام ، جَدَّبَتْهُ إليها ، وغلبه مضطراً عليها ، ولم يزل يتخادع له عن ذلك استدفاعاً لشره ، ومداراةً على بقية عمره ، حتى مات مستوراً بماله ، مبقى على أشكاله ، وله منظوم مطبوع ، ونثر بديع ، وقد وقع إليّ من إملأته ، وغرائب أدواته ، تأليف "جمعه للمعتضد سمّاه على ما اقتضاه مطابقة الزمان ، ومذهب الأوان « حديقة الارتياح في صفة حفيقة الراح » دلّ على كثرة روايته [١٢١] وجودة عنايته ، إلى غير ذلك من نظمه ونثره ، وأوردت منه طرفاً شاهداً على ما أخرجت^١ من ذكره .

جملة من شعره

نقلت من خطه قال : كتبت يوماً بهذه الأبيات إلى الأديبين أبي عليّ إدريس وأبي جعفر بن الأبار^٢ مستدعياً لهما :

أيا شقيقي	إخاء	ويا قسيمي	صفاء
ومن هما في ذوي الفهم	م	جوهرُ الأدباء	
تفضلاً	وأجيباً	إلى نديّ	نداء
لأنسا	بحديث	وقهوة	وغناء

١ م س : عل ما أخرجت .

٢ أبو علي إدريس بن اليماني ترد ترجمته في اللخيرة ٣ : ٣٣٦ وابن الأبار سترد ترجمته في هذا القسم . ١٣٥٠

قال ، فأجابني إدريس :

يا صِنَوَ ماءِ السماءِ في رقةٍ و صفاءِ
ويا سراجَ ضياءِ يجلو دجى الظلماءِ
بهرتَ سيما ذُكاءِ في بهجةٍ و ذكاءِ
وحزتَ في العلياءِ قوادمَ الجوزاءِ
يا حاتمَ الكرماءِ وأحمدَ الشعراءِ
بادهتنا بلالٍ سواطعِ اللآلئِ
قريضُ حُسنِ كدرٍ على طلى الحسناءِ
يقود في كلِّ معنى معنى الغنى والغناءِ
وقد أجبنا إلى ما دعوت من آلاءِ
[لازال] نجمك^١ أسمى من نجم كل سماءِ

قال الوزير أبو عامر : وبعث إليّ أبو الأصمغ بن عبد العزيز^٢ باكوراً

بهارٍ وكتب معها :

وبهارٍ ألمّ قبيلَ الأوانِ في بهاءٍ يروقُ رأيَ العيانِ
أمكن القَطْفَ في مدى شهرٍ تشرى نَ على غيرِ عادةٍ الإمكانِ
سبق الزهر^٣ في المضائلِ طراً وكسا بالجمالِ فضلَ الزمانِ

قال . فأجبتة :

١ م ط س . ح . د . هـ .

٢ سيأتي طرف من خبره ، هذا القسم . ٢٠٦ .

٣ م ط د س : الدهر

يا إماماً في السبق يومَ الرهان كلَّ حينٍ يؤمّني بالأمانِ
وصل الذرّ جسُّ المبكرِ بحكي سبقَ عبادِ الملِكِ اليماني
يا بهارَ الرياضِ أنتَ بهارٌ باهر الأَنوارِ والريحانِ

قال الوزير أبو عامر : وأعلمتُ ابنَ الأَبّارِ بخبرِ البهارة ، وكان عليلاً
وقلت له : إني نادمها ليلتي ، وجعلتها مؤنستي على قهوتي ، فكتبَ إليّ :

باللهِ كيفَ التديمةُ يا ذا السجايا الكريمةُ
عذراءُ تعبقُ شمًا وأنتَ تعبقُ شيمه
أحبيبُ بها بكرَ نورٍ من البهارِ يتيمه
فتلكَ عندي والعو دَ لا نديما جديمه
فاصبُ فديتَ عليها من المدامةِ ديمه
والدهرُ يمضي فبادرُ من الزمانِ غنيمه
وانعمُ بدولةِ ملكٍ ثنى الغيوثِ لثيمه
عبادِ المُنصِفِ المجدِ دَ باللّهي المظلومه

وله في وصف مشروب زبيب :

مُرَّةٌ ماتتَ زماناً بحجابٍ يحتويها
لبيثتُ في بطنِ أمّ غيّبتُها عن بنيتها
ألحدتها الشمسَ دهرًا ثم عاد الروحُ فيها
كان ماءُ المزنِ عيسى^٢ إذ وضعناه بنيتها

١ كذا في م ط د س ، وهو مختل ، ولعل صوابه « باهري الأنوار » .

٢ م ط س : فيها .

فانبرى منها سراجٌ رائقٌ منٌ يجتليها
وبدّت منها شمسٌ غرّبتُ في مُطْلِعِهَا
عزّبتُ ألبابنا إذ غرّبتُ في شاريها

والمصحفي قبله القائل :

٢١١ ب [ولما تولّى بابنة الكرم جائرٌ عليها فأصلاها بزعمكم الشمسا
ولم يبقَ من جثمانها غيرُ جلدها غدّت للذي تحويه من روحها رهّسا
وصلتُ بها الماءَ انقراحَ حافظاً فراحَ لها جسماً وراحتُ له نفسا

وذكر الوزير أبو عامر أنه ما رآه ، ولا نظر إليه ، ولا اعتمد عليه ،
ولا قصده ، ولو سمعه لما أورده .

وقال :

ومفهفٍ غضّ الشباب منعّمٍ فيه أطرتُ إلى الجماحِ جتناحي
قد جاء يسمي بالمدام فقلت لا لاني هجرتُ تعاطيَ الأقداحِ
لا تسقي راحَ الكؤوسِ وسقني سحرَ العيونِ يقمُ مقامَ الراحِ
فأقامَ لي من لحظهٍ ورضابه راحاً وقام الخدُّ بالتفاحِ
وضللتُ في ليلي فأبدى غرّةً أغنتُ عن المصباحِ والإصباحِ

قال : وبلغني أن ابن الأبتار صدّ عنه يوماً من يهواه ، وواصل سواه ،

فكتبتُ إليه :

.....

١ هو الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي ، منافس المنصور بن أبي عامر ، وقد قضى عليه المنصور
سنة ٣٦٧ (وأخباره في المصادر التاريخية المتعلقة بتلك الحقبة ، وانظر الملحق : ٤ - ٨) .

٢ يسمي : سقطت من ط م س .

قد هَجَرَ الأَنسُ والسُرورُ
وغيَّضتْ غيضةَ التَّمَنِّي
وأفقرَ الرَّبْعُ بعدَ أنسٍ
إذ هَجَرَ الشَّادِنُ النَّفُورُ
فطرفُ نوارها حَسِيرٌ
فعمُرُ هوِ الفَتَى قصيرٌ

قال : فراجعني بهذه الأبيات :

يا مَنْ بهِ تَزدهي الدهورُ
ومَنْ إذا احتلَّ في علاهُ
قد عوتبَ الشَّادِنُ الغريرُ
ومَنْ لي بالجوَّابِ تيهاً
فأفترَّ عن واضحِ شَنِيبِ
ثمَّ تلاقَتْ لَنَا عيونُ
تَرْجَمَ بالشَّغْرِ عن مَعانِ
ولم نزلْ نُعْمِلُ الحَمِيَّ
مدامَةَ أَفنتِ اللَّيَّسالي
تخالُها في الكؤوسِ سِراً
حتى إذا ما الصُّدودُ^٢ أودى
فأهنا بما قد هنا مُحِيبٌ
كانَ لَكَ اللهُ مِينٌ وقي
إنَّ الوَرَى أصبحوا أجاجاً
ومَنْ له تَخضعُ البُذورُ
فكلُّ جفنٍ بهِ قَريِرُ
فعادَ من وَصلِهِ اليَسيرُ
وهو بما قَلتُهُ خَبيِرُ
فيه لَميتِ الهوى نُشورُ
تخالُفتْ تَحْتها الصُّدورُ
ضَنٌّ بإعلانِها الضَميرُ
واللَّحظُ ما بَيننا سَفيرُ
وأرضِعتْ ثَدْيها الدهورُ
وهي لشرَّابِها سرورُ
تَنالَتْ مَزجها الشُّغورُ
خَطَرُكَ في نَفْسِهِ خَطيرُ
وفى بهِ دَهْرُنا الغرورُ
وإنَّكَ السَّائِغُ التَّميرُ

١ موضع هذا الشطر بياض في ط د س وقد جاء في م بخط مختلف عن خط الأصل .

٢ س م : السورور .

لَطْفُنْتَ ظَرْفًا وَطَيْبْتَ حَتَّى تَرَجَّمَ عَن خُلْفِكَ الْعَبِيرِ
لَا زَلَّتْ بِالْفَضْلِ لِي مَلِيًّا فَإِنِّي بِالشَّنَا فَقِيرِ

[٢٢٢] وقال الوزير أبو عامر^١ :

أهلاً وسهلاً بوفودِ الربيعِ وتغريهِ البَسَامِ عِنْدَ الطَّلُوعِ
كَأَنَّمَا أَنْوَارُهُ^٢ حُلَّةٌ مِثْنُ وَثِيٍّ صِنْعَاءَ السَّرِيِّ الرَّفِيعِ
أَحْبِيبًا بِهِ مِنْ زَائِرِ زَاهِرِ دَعَا إِلَى اللَّهِوَ فَكُنْتُ السَّمِيعِ
بَثَّ عَلَى الْأَرْضِ دَرَانِيكَةً^٣ فَكَلُّ مَا تُبْصِرُ فِيهَا بَدِيعِ

قال الوزير أبو عامر : وكتبتُ إلى ابن الأبار يوماً بهذه الأبيات :

قل لأبي جعفرِ المتقيِّ من سرِّ قحطانِ وخولانِ
انظرْ إلى الظبيِّ الأنيقِ الذي يَخْتَالُ فِي أُبْرَادِ إِحْسَانِ
كَأَنَّمَا مَقْلَتُهُ سَابِلٌ حَفَّتْ بِسِحْرِ الْإِنْسِ وَالْجَانِ
كَأَنَّمَا شَارِبُهُ بِهَجَّةٍ زَمَرْدٌ مِنْ فَوْقِ مَرَجَانِ
كَأَنَّمَا أَرْدَافُهُ عَالِجٌ وَقَدَّهُ غُصْنٌ مِنَ الْبَانِ

قال ، فأجابني بأبيات منها قوله :

وابأبي ذاك الغزالِ الذي يَجُولُ فِي سَرِّهِ وَإِعْلَانِ
مَقْرَطَقٌ يَبْسُمُ عَن لَوْلُؤِ رَصْعَةٍ الْحَسَنِ بِمَرَجَانِ
أَفْدِيهِ مِنْ أَحْوَرَ أَجْفَانِهِ نَامَتْ لَكِي تَسَهَّرَ أَجْفَانِي

١ منها ثلاثة أبيات في المغرب ١ : ٩٧ .

٢ المغرب : أزهاره .

٣ الدرانك : البسط .

لما بدا لي جيدُهُ مُتَلَمّاً قلتُ لمن قد ظلَّ يلحاني
لا فزتُ منه بجميعِ المنى إن كانَ هذا عندَ رضوان
من أينَ للظبيِّ كأجفانيهِ أو مثلِ ذاكِ الخوطِ للبان
ما هو إلاّ [...] برهانٍ وحجّةُ التّوطي على الزاني

قال : وكتب إليّ ابن الأبتار أيضاً بهذه الأبيات :

يا مُفْضِحَ الكفِّ واللسانِ بالطّولِ طوراً وبالبيانِ
عنديّ مَنْ عندَهُ فؤادي ومن تجنّبه قد يراني
أظنّها نومّةٌ لِقَردي أو غفلةٌ الغيرِ من زماني
وليس سرُّ السّرورِ إلاّ ضرةٌ أخلاقِكَ الحسانِ

قال فأجبتُه :

يا مالكَ السحريِّ والبيانِ وناظمِ الدرِّ والجُمانِ
أكرمُ بمولىّ أجابَ عبداً فأقبلِ الدهرُ بالأمانِ
وانترحتُ دولةُ التناهي واقتربتُ دولةُ التّداني
وكلُّ شيءٍ يكونُ عندي ملككُ يا ناظرَ الزمانِ
وقد بعثتُ المدامَ تحكي جزءاً من أخلاقِكَ الحسانِ

الوزير أبو الوليد محمد بن عبد العزيز المعلم^١ :

بديع ذلك الزمان ، أحد وزراء المعتضد الكتاب الأعيان ، وممن

١ ذكره صاحب الجذوة مرتين ٠ ٦٥٠ . ٢٨٣ (النغية رقم : ٣٨٣ ، ١٥٧٢) فقال في
الموضع الأول إنه أديب شاعر يروي عنه ابنه عبد العزيز ، وأن ابن حزم ذكره ، وأورد
له في الموضع الثاني أبياتاً من قصيدة طويلة قالها في القاضي أبي العرج ابن العطار .

شهيراً بالإحسان ، في صناعة النظم والنثر . ولم أقع له عند نقلي هذه النسخة إلا على التافه النزر ، وعلى ذلك فقد كتبتُ له منهما ما يشهد أنه كان من أهل الرواية والعلم ، وذوي الدراية والفهم .

فصول له من مقامة

قال في أولها : سقى عهدك أيتها الديمةُ الزهراءُ كلُّ عهد ، وجاد
قطرَكَ أيتها الروضةُ الغناءُ كلُّ قطر ، وسال عليك من أدمعي كلُّ
مُلثٍ هَطَّال ، وتناوحتُ عليكِ من أضلعي كلُّ جنوبٍ وشمال ، منشرةٌ
أنوارك ، لا معقبةٌ آثارك ، ومهديةٌ أرجلكِ ونسيمك ، لا مغيرةٌ
أطلالكِ ورسومك ، فكم لنا في واديكِ من بلهنيةِ زمانٍ أنيق ، وفي
مغانيكِ من رفاهيةِ عيشٍ رقيق ، نُعلُّ بكأسي عتابٍ وإعتاب ، ونرتعُ
في جنبتي^١ صباً وتصابٍ ، غدُّونا من عشيقٍ إلى صديق ، ورواحنا من
صَبُوحٍ إلى غَبُوق ، وخليلنا مساعد ، وعدوُّنا مباعد ، ورقبينا أعمى ، وزماننا
أعشى ، حتى إذا استيقظ الدهرُ من هجعتِه ، وهبَّ من غطيطِ رقدته وسكرته ،
ضرب فوقنا بجرانِه ، وصرفَ إلينا لهذمَ سنانِه ، ولبس لنا جِلدَةَ
النمرِ ، وقلَّبَ لنا ظهرَ المِجنِّ ، وألقى علينا بَعاعَهُ ، وطمس ذوننا^٢
شعاعَهُ ، مسترداً ما وهب وأعطى ، ومكدرأ ما منح وأصفى :

أبدأُ تَستردُّ ما تهبُّ الدذُّ يا فيا ليت جودها كان بخلا^٣

١ م س : جنبي .

٢ ط د : لنا .

٣ البيت للمتنبّي ، ديوانه : ٤٠٠ .

فما لبث أن صدعَ مَرُوتَنَا ، وفصمَ عُرُوتَنَا ، وحلَّ عَقْدَنَا ،
ونثرَ عِقْدَنَا .

وفي فصل منها : وكان لي أليف ، وعقيد شريف ، من صرحاء الاخوان ،
وصِيَابَةِ الفتيان ، ومُصَاصِ أعيانِ الزمان ، وحين سَوَّلتُ لي همتي ما
سَوَّلتُ ، وخبَّلتُ لي أمني ما خبَّلتُ ، أجَلْنَا قِدَاحَ الرَّأْيِ ، وأسهمنا
بين القُربِ والنأي ، شاورَ في أمرِي قَريحتَهُ ، ونحَلَّ لي نصيحته ، وقال :
أرى أن لا تريم بيضتكَ^١ وأرومتكَ ، وأن تُوطنَ أرضك ولا تفارق
عشيرتك ، وأربأ بك عن مُضِلَّاتِ المني ، وأعيذك من تُرَّهاتِ لعلِّ^٢
وعسى . فتحسبُ كل بيضاء شحمة ، وتظنُّ كلَّ سوداء تمرة^٣ ، وربما
سَقَطَ العشاءُ بكَ على سِرْحَانِ^٤ ، وكلُّ الناسِ بكر ، وفي كلِّ وادٍ
بنو سعدٍ^٥ :

والرفق يمن^١ والأناة^٢ سعادة^٣ فاستأن في رفق تلاقٍ نجاحاً^٤

وان أبيتَ إلا التحولَ ، فعليك من الرؤساء . بأحلمِ الحلبياء ، ومن القرباء
بأشرفِ الشرفاء ، ولا تَغَرَّتْكَ المناصبُ ، دونَ المناسبِ ، ولا المقولُ

١ ط د س : ببيضتك .

٢ انظر المثل « ما كل بيضاء شحمة » و « ما كل سوداء تمرة » في السكري ٢ : ٢٨٧ (تحقيق
أبو الفضل) والميداني ٢ : ١٦٩ .

٣ انظر فصل المقال : ٣٦٢ والميداني ١ : ٢٢٣ والسكري ١ : ٥١٤ (أبو الفضل)
والفاخر : ٢٠٦ وقد مر تخريجه ص : ٨٣

٤ انظر السكري ١ : ٦١ والميداني ١ : ٣٦ .

٥ بيت شعر للنايفة الذهباني (انظر اللسان والأساس : أنى ، وفصل المقال : ٣٢٨) .

دون المعقول ، ولا الدراهمُ دون المكارمِ ، وازهدْ في أكثرَ كلِّ عينٍ ،
واذكرْ قول [ابن] الحسين ^١ :

وما رغبتُ في عَسْحَدٍ أَسْتَفِيدُهُ ولكنَّها في مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُّهُ

فلما سمعتُ ووعيتُ ، ارتكنتُ ^٢ وتوليت ، ثم أبيتُ قبولا ، ليقضيَ
اللهُ أمراً كان مفعولاً ، وناقضتُ نصحةً بقولٍ حبيب ^٣ :

وإنَّ صريحَ العزمِ والرأي لا مريمَ إذا بلغتَه الشمسُ أن يتحولاً

ومغترأ بقول الثاني ^٤ :

تلقى بكلِّ بلادٍ أنتَ نازلها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانٍ

وفي فصل منها : وصرَّحَ لي الدهرُ عن أهله ، ووجدتَ الناسَ اخبرُ
تقله ^٥ ، من أميرٍ لا أسميه ، ووزيرٍ أقنحمتِ الواوُ فيه ، وكتابٍ أمي ،
وقاضٍ جبلي ^٦ ، وأمة مבורة ، في قرية مصورة ، وإذا اختلفوا أنشدوا :
ومن تكنِ الحضارةُ أعجبتَهُ فأَيُّ رجالٍ باديةٍ ترانا ^٧

١ ديوان المتنبي : ٤٥٤ .

٢ م ط س : ارتكبت .

٣ ديوان أبي تمام ٣ : ١٠٦ .

٤ م ط س : ومعنى القول الثالث .

٥ هذا من الحديث ، والهاء في « تقله » هاء السكت : ولفظ الحديث لفظ الأمر ، ومعناه الخبر ،
أي من خبرهم أفضهم (التاج : قل) .

٦ جبلي : نسبة إلى جبل وقاضيها يضرب به المثل في الجهل (ثمار القلوب : ٢٣٦) .

وفي النسخ : حني .

٧ البيت للقاضي ، ديوانه : ٧٦ .

[٢٣] فيينا^١ أقرع السنين ، وأعض^٢ الكفين ، وأخضب^٣ بلا
حناء ، وأنشد^٤ في الأمراء :

وإذا نظرت^٥ إلى أمير^٦ي زادني كلفاً به نظري إلى الأمراء^٧

إذ قرع البشير^٨ بابي ، وطرق^٩ المستأذن^{١٠} حجابي ، قائلاً : رسول^{١١}
مولك ، وكتابه^{١٢} وافاك ، فقت^{١٣} أساقط^{١٤} من الجدل ، وأعثر^{١٥} في دعائر^{١٦} العجل ،
مقبلاً^{١٧} فاه ، وصائحاً^{١٨} : زاه .

وفي فصل منها : وأفضنا في وصف^{١٩} معاليه ، واستنشدني فأنشدته ما
قلته فيه ، فقال : بزاعة^{٢٠} الفصحاء ، وبراعة^{٢١} الشعراء ، دعني من زُحرف^{٢٢}
شعرك ، ووصفه^{٢٣} لي بمنصف^{٢٤} نثرك ، فللمنظوم رونق ، وأنت فيه ذو
طولق^{٢٥} ، فقلت^{٢٦} : على^{٢٧} الخبير سقطت ، وأنا^{٢٨} الكفيل^{٢٩} بما سألت وشرطت ،
وأسمعت^{٣٠} سجعاً لا نظماً ، ونثراً لا شعراً ، فقلت : هو الإمام^{٣١} الطاهر ،
والكوكب^{٣٢} الزاهر ، والأسد^{٣٣} الخادر^{٣٤} ، والبحر^{٣٥} الزاخر ، أوهب^{٣٦} الملوك^{٣٧}
للذخائر ، وأعفاهم^{٣٨} عن الجرائر ، وأرفعهم^{٣٩} قدرأ ، وأوسعهم^{٤٠} صدرأ ،
وأطيبهم^{٤١} ذكرأ ، أعطرأ^{٤٢} من العنبر ، في كل^{٤٣} منبر ، وأفوح^{٤٤} من المسك^{٤٥} الذكي^{٤٦} ،

.....

١ ط : فيها .

٢ م ط : وأنشدوا .

٣ البيت لعدي بن الرقاع العاملي ، انظر الشعر والشعراء : ٥١٧ وتمام المتون . ٣٣٩ - ٣٤٠ .

٤ طولق : انظر في شرح هذه اللفظة ١، ٢٦٨، ٣ : ٦٥٣ من الذخيرة ، وهو هناك شرح استنتاجي ،
وقد جاء في شرح القصيدة الساسانية لصفي الدين الحلبي أن الطولق درج فيه تصاوير وتمثيل ،

انظر : C. E. Bosworth: The Mediaeval Islamic Underworld part II p. 73

(Arabic Part), p. 329 (Eng. Trans).

٥ ط : قدرأ .

٦ د : أطيب .

في كل نديي^١ ، الحليم^٢ فما يغضب ، والحواد^٣ وما يرغب ، والشجاع^٤ وما يرهب ، والقوي^٥ وما يعنف ، واللين^٦ وما يضعف ، والرفيق^٧ إذا ساس ، والمصيب^٨ إذا قاس ، ينبوع كل جدل ، ودافع كل وجل ، وحسبك بي عنده^٩ من جليس رئيس ، أكلتم^{١٠} منه سبحانه ، وأخذ عن اتمان ، وأستزل^{١١} كيون :

له كبرياء المشتري وسعوده وسطوة بهرام وظرف عطارد^{١٢}

وقمر إلا أنه بشر ، وجبل^{١٣} إلا أنه رجل ، بحر^{١٤} علم . وطود^{١٥} حلم ، وعالم في عالم ؛ الأصمعي^{١٦} عنه ناقل ، والجاحظ^{١٧} عنده باقل . إذا ركب ضاق عنه الأفق ، وإذا تبدى وسع الدهر ندى ، وان نطق^{١٨} بين^{١٩} وصدق ، وإن كتب أبداع^{٢٠} وأغرب ، نداء سحائب ، وكتبه كتاب ، مشرفيائه^{٢١} من لسانه وبيانه ، وخطيائه^{٢٢} من أقلامه وبنانه . تمشق^{٢٣} فيها جيد فهمه ، ويمرري^{٢٤} دِررَ أشوالها من آدابه وعلمه ، ويسحب^{٢٥} لها من فكره مضماراً . ويثير من مداده قسطلًا^{٢٦} وغباراً ، ويرتب^{٢٧} فيها الحروف . ترتب^{٢٨} الصفوف . ويمشق بها في المهارق ، مشقه^{٢٩} في الطلي والمفارق ، هذا إلى روحانية ملك ، في تجلته ملك . فاستطير^{٣٠} فرحاً ، وازدهي^{٣١} مرحاً . ونخف^{٣٢} فقام إلي^{٣٣} ، ورف^{٣٤} يقبل^{٣٥} بين عيني^{٣٦} ، وكأنه إنما نُشِرَ من قبر ، أو صحا من سكر ، وقال : أصبت^{٣٧} والله القرطاس ، وبنيت^{٣٨} على أساس . وفُزت^{٣٩} بالقدح الملقى ، وتحليت^{٤٠} من الجلي ، والحديث^{٤١} ذو شجون : متى الحركة ؟ وفيم^{٤٢} التلوم^{٤٣}

١ س ط د م : والرفيق .

٢ م ط س : عندهم .

٣ ديوان أبي تمام ٢ : ٧١ .

٤ م ط س : ونخاف .

والمقام؟ وكنت شاكياً فقلت: رويدَ الإبلالِ ، وبُعَيْدَ الإقلالِ^١ ، قال :
فَسِيرْ في كنف السّلامة ، إلى وطن الكرامة .

وله من رقعة كتبها عن المعتضد إلى الوزير الفقيه أبي حفص الهوزني ،
قال فيها : وردني كتابك الأثير المقابل بين النثر البليغ والنظم البديع ،
تَصَرَّفْتَ فيهما تَصَرُّفَ من إذا حاك الكلامَ طَرَّرَ ، وإذا غَشِيَ ميدانَ
البيان برز ، وأخذ بأفاق العلوم ، وأشرقتْ خواطِرُهُ فيها كإشراقِ النجوم ،
ولمّا لفضيلةٌ بَعُدَ فيها شأوك ، وفات جَهْدُ المجارينَ لك عَقْوُك ،
فأمّا ما صدرتَهُ به من بالغِ إطراء ، وسابغِ ثناء . فأمرٌ أعلمُ أنه صدرَ
عن عهدِ كريم ، ومعتدٍ سليم ، أنا معتقدٌ عليهما بجميلِ القرض ،
والمجازاةِ الحسنةِ بهما في وكيدِ القرض . واقتضيت ما تلا ذلك من وعظك
المبرور ، واحتسابك^٢ المشكور ، في الحال التي أشرتَ إليها فأقنعتَ ،
ورمزتَ^٣ بها فأسمعت ، بصحةِ دينك ، وبرّدِ يقينك ، حتى نظرت
إلى ما دَهَمَ المسلمين من كَلَبِ العدوِّ عليهم : يمجسون^٤ البسيط من
ديارهم ، ويستحيون^٥ المحوطة من ذمارهم . ليس إلى الانقيادِ عن أحكامهم
دِفَاعٌ ، ولا سوى الانحياز من أمامهم امتناع ، قد تبيّن لهم أن تخاذلتنا
لهم علينا ناصرٌ ، وتواكفتنا مظاهر^٦ مؤازرٌ ، فلا يعُدُّونَ من يتخلى لهم

١ رويد الإبلال ، الإقلال : بياض في م د س ، وثبت في ط بخط مغاير لخط الأصل .

٢ في النسخ : واحسانك ، واثبت ما في هامش ط .

٣ ط د : وزمرت .

٤ م ط د س : ويمجرون .

٥ د : ويستحيون ؛ م ط س : ويستحيون .

٦ خ بهامش ط : مضافر .

عن بلد ، أو يعطيهم الجزيةَ عن يدي ﴿ ولو شاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليلو بعضكم ببعض ﴾ (محمد : ٤٧) .

ولقد شرحت من تلك [٢٣ ب] النُصْبِ ما يُسْهِرُ التواظِرَ ، ويبلدُ الخواطرَ ، ولا يدع ركنَ عزِّ إلا أواهه ، ولا بناء جلد إلا أرداه ، ولا عيداً^١ صَبْرٍ إلا أفاضه ، ولا تمدَّ دمعٍ إلا أفاضه ، وان الحذرَ أن تَغشَى^٢ التي لا شوى لها ، وتفجأ التي لا لعا منها ، فيرامُ من ذلك استكفافُ سبيلٍ من التلفِ قد انحدر ، ويُنتظرُ في أعقابِ نجمٍ من التلافي قد انكدر ، إلا أن يعودَ الله علينا برحمته ، ويهيء لنا أسباب عِصْمَتِهِ .

وأما ما ندبت إليه ، وحضضت عليه ، من إحفاد^٣ السعي فيما يتقنعُ المشركين - بدّهم الله - ويجمعُ عليه كلمةَ المسلمين ، فيعلمُ الله أني قد ناجيتُ بذلك وناديتُ ، وراوحتُ فيه وغاديتُ ، وبثتُ رسلي إلى ذلك داعين ، يتصلونَ التذكرةَ . ويوكّدونَ البصرةَ ، ويتلونَ المواظَ ، ويستثيرونَ الحفاظَ . فصمتِ المسامعُ ، واتفقت في التناقلِ المنازع ، واخلج^٤ بالخلدان ، وتُجوزتِ الجمجمةُ في ذلك إلى الإعلان ، ولو شاء الله بلجمعهم على الهدى .

وفي فصل منها : واما إزماعك للتنقل . وأن أرسَمَ لك مكانَ التحوّل ، فأني مكان يكون ذلك سوى وطنِكَ الذي تعرّفتَ فيه سابقَ الأمنِ ،

١ د : بحر .

٢ م : تمشي .

٣ في النسخ : إجهاد والاحفاد : الاسراع .

٤ م : وجلح ؛ س : وجلح .

وتلقيت فيه طائر اليمس ، ولم تعدم المحل الرفيع ، والجانب المنيع ،
والسكون مني إلى من لم يزل يعتمدك بإيثاره ، ويشاركك في خاص أسراره ،
ويرفع قدرك فوق أقدار الأكفاء ، ويحط عن منزلتك منازل النظراء ،
وان كان قد جرى قدر بمفارقة فكانت سليمة لم يتبعها إلا حال لك محوطة
محفوطة ، وساقه^١ بعين الصيانة مكلوأة^٢ ملحوظة .

وهذه أيضاً جملة من شعره

له في المعتضد من قصيد أوله :

دونَ الأحتة بالوعساء أعداءُ	وسلّم كل بعيد لهم هينجاءُ
والحب كالمجد لا ينفك من كبد	فيه يلد لنا بؤس ونعماءُ
حفيظة منك عين الله تكلوها	وشيمة شيم منها العين والطاءُ
وهية لم تزل تعنو إليك بها	والدين يخبط منه الليل عشواءُ
مدوا إليك أكف البغي فأنجذمت	وقد خلت منهم بالسيف أقاءُ
وقادة في وجوه القوم أخرجها	من حد سيفك توبيع وإدعاءُ
أبناء دابة من مقطوف ^٢ هامهم	على الجنوع لها وقع وإقعاءُ
قوم هم نبلوا الإسلام قاطبة	عنهم كما نبد الأموات أحياءُ

ومعنى البيت الثاني منها كقول حبيب^٣ :

١ هذا يعني ان الهوزني قد خلف له أقرباء في اشيلية حين ارتحل عنها .

٢ ط س : مقطوف .

٣ ديوان أبي تمام ٢ : ١٨ .

كَأَنَّهُ كَانَ تَرِبَ الْحَبِّ مُذُ زَمَنِ
وَأَخَذَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ ١ :

وَقَدْ صُغَّتِ الْأَسِنَّةَ مِنْ هُمُومٍ
وَقَالَ مِنْ أُخْرَى ٢ :

سَحَبَتُّ عَلَى أَثَرِ الْخِيَالِ ذِيولاً
عَلَّيْتُ مِنْكَ بِكُلِّ وَعْدٍ كَاذِبٍ
لَوْ كُنْتُ صَادِقَةً رَحَلْتُ إِلَى الصَّبَا
سَقِيًّا لِمَهْدِكَ وَالشَّبَابُ مُلَاءَةٌ
أَيَّامَ أَمْرَحُ فِي الصَّبَابَةِ خَالِعًا
وَأَصِيدُ بَيْنَ حِمَائِلِي وَحِبَائِلِي

وَسَرَّتْ تَعَوُّدُ مِنَ الصَّدُودِ عَلِيلاً
وَسَرَى خِيَالِكِ بِالرُّضَى نَحِيلاً
وَحَضَبْتُ شَيْبِي بِالشَّبَابِ مَحِيلاً
تَنِي عَيُونَ الْحُورِ عَنِّي حُولاً [١٢٤]

رَسْتِي وَأَسْحَبُ فِي الْمَجُونِ ذِيولاً
صِيداً وَغِيداً مَا يَدِينُ قَتِيلاً

ومنها :

يَا هَذِهِ عَنِّي إِلَيْكَ فَانِّ لِي
مَنْ لَمْ يَبْتَ عِنْدَ ابْنِ عَبَّادٍ فَقَدْ
أَمَلًا بِأَعْيَانِ السَّمَاءِ كَفِيلاً
ضَلَّ السَّبِيلَ وَأَخْطَأَ التَّامِيلاً

ومنها في وصف حربه مع صاحب سبته :

فَارِحُ جِيَادِكَ فَهِيَ أَطْلَاحُ السَّرَى
أَنْشَأْتَنِي سَفَانًا وَمَدَائِنًا
دَهْمٌ تُخَالُ الْبَيْضَ فِي أَوْسَاطِهَا
قُرِعَتْ بِأَوْسَاطِ الرِّيَاحِ فَاسْرَعَتْ

وَقَدَّ الْجِيُوشَ إِلَى الْعِدَا أُسْطُولاً
وَجَنَّبَتْهُنَّ كِتَابًا وَرَعِيلاً
بَلَقًا وَفِي أَطْرَافِهَا نَحْجِيلاً
فِي الْمَاءِ تُعْمِلُ كَلْكَلًا وَتَلِيلاً

١ ديوان المتنبي : ٧٩ .

٢ وقع هنا خرم في م .

قوله : « لو كنت صادقة » . . . البيت ، نقل لفظه من قول أبي الطيب^١ :
خُلِقْتُ ألوفاً لو رُدِدْتُ إلى الصُّبَا لفارقت شبيبي مُوجِعَ القلبِ باكياً
وقال محمد بن هانيء^٢ :

لحططت شيئاً من عذارِي كاذباً ومحوت مَحَوَّ النفس عنه شباباً
وخضبت مبيض^٣ الحدادِ عليكم لو أنني أجِدُ البياضَ خضاباً
وله من أخرى في المعتمد^٤ :

أشيمتَ البرقَ بات له ائتلاق نضِيء به الأماغر والبُرَاقُ
وبين جوانحي قلبٌ مُطارٌ جناحه اذكارٌ واشتياقُ
ومنها :

ولم أنسَ الكئيبَ وتبَلَّتِيه كأنهما اختلاسٌ واستراق
نجوم الراح في أفلاك راحٍ مشارقتها المطرقة الرقاق
وشدوٌ تطرب الألفاظ عنه كما نُفِضَتْ من الدرِّ الحقاق
وأفصح من أبان النصح عنه يدٌ نيطت بها قَدَمٌ وساق
تَدَكَّرَتْ الصبابة والتصابي هنالك إذ تروق ولا تراق
ونحن كأننا غُصْنَا أراك قد اشتبكا وضمَّهما اعتناق
ذراعاه على عُنُقِي نجاداً وساقاه على كَشْحِي نطاق

١ ديوان المتنبي : ٤٤٠ .

٢ ديوان ابن هانيء : ١٩٩ .

٣ الديوان : مسود .

٤ في المعتمد : لم ترد في ط س .

٥ س ط : السحر .

إذا ما الشمس ورّسها أصيلٌ أدالَ الإصطباحَ لها اغتباقُ
ومن نيعمِ ابنِ عبادِ كؤوسُ نُعلُّ بها وأقداحُ تُتّاقُ
ومن كفّ الربيعِ لنا ربيعُ يصوب حياً ومن حمصِ عراقِ

وله فيه وقت انصراف قرطبة إليه ، وقتل ابن عكاشة على يديه :

صفا لك الشربُ كانت فيه أقداءُ وعاد بُرءُ على ما أفسدَ الداءُ
ولن يُعجّلَ مقدورٌ له أجلُ وللأمورِ مواقيتُ وآناء [٢٤ب]
وقد تباطأ وحى الله آوينةُ عن النبيّ وغابت عنه أنباءُ
فليهنك الصنعُ قد راقت عواقبهُ وشُفّعتَ عنه بالآلاءِ آلاءُ
فتحٌ كما وضحَ الإصباحُ منه على آفاقِ مُلُكك إشراقُ ولآلاءُ

ومنها في رثاء ابنه :

الظافر الذفر الذكري معطرةُ منه المنابرَ ألقابُ وأسماءُ
رزيمته فاحتسبه عند خالقه زُلُفَى بذلك تقريبُ وإدناءُ
ولو أفادَ عليك الحزنُ فائدةً لكان صخرأ وكلّ الناسِ خنساءُ
تشرفت بك دولاتٌ وأزمنةُ وفاخرت بك أمواتٌ وأحياءُ

ومن مرثية له في المعتضد :

عليك أبا عمرو سلامٌ مُودَعُ له كبدٌ بين الضلوعِ دخيلُ
عممت الورى بالكلّ فيك رزيةُ وقبّحت وجهَ الصبرِ وهو جميلُ
فمن شاء فلينظرُ بعينِ حقيقةٍ ففبك لنا وعظّم مداهُ طويلُ
يرى الأرض فيها الأرض كيف تزلزلت بنا ويرى الأطوادَ كيف تزولُ
أفلتت فعاتد حمصُ بعدك دُجنةُ كأنك شمسُ والزمانُ أصيلُ

١ س ط : وأحداق نشاق ، وتناق : غففة من تتناق أي تملأ .

وكتب إلى الوزير أبي عامر بن مسلمة من جملة أبيات :

يا ابن الكرام السادة الخُلصِ قولاً بلا إفك ولا خَرَصِ
ماذا ترى في القصفِ متكئاً معَ رنةِ الطُنْبُورِ والرقصِ
فلعنتي أشفي بريقَتِها من عارضٍ في الصدر كالغصصِ
والذُّ عند سماعِ مُبْهَجِها من طيبِ الأخبارِ والقصصِ
أهل العراق على مذاهِبها لا تلقَ منهم غيرَ مرتخصِ

فأجابه أبو عامر بأبيات منها :

يا جهيداً قد قال بالرُخصِ القصفُ عندي غايةُ الفُرصِ
مع ماجدٍ حلوي شمائلهُ ذي حُنْكَةٍ للهوا والقنصِ
فإذا مضت للفطيرِ ثانيةُ أرسلتُ خيلَ اللهو للقنصِ
فجرت لدى الميدانِ جاححةُ وجريتُ في لَبِّبٍ من الرخصِ
في مجلسٍ قد طاب مجلسُهُ خالٍ من التكديرِ والنغصِ

الأديب أبو الوليد اسماعيل بن محمد الملقب بحبيب^٢ :

كان سديداً سهماً . المقال ، بعيداً شأو الروية والارتجال ، والأديب

١ م : باللهو .

٢ أبو الوليد اسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب . الملقب بحبيب ، وقال ابن الأبار إن أباه كان يلقب بذلك . توفي في حدود ٤٤٠ وهو ابن اثنتين وعشرين سنة (وقال ابن سعيد : ابن تسع وعشرين سنة) ؛ وذهب ابن سعيد إلى أن المعتضد هو الذي قتله ، وكان له أخ اسمه محمد بن محمد بن عامر وهو شيخ أبي بكر ابن العربي ؛ وكانت لأبيه قدم في الرياسة عند المعتضد كما أشار ابن بسام في هذا الجزء . (انظر الجفوة . ١٥٢ والبنية رقم : ٥٣٤ والتكملة : ١٨٠ والمغرب ١ : ٢٤٥ والنفح : ٣ : ٤٢٧ والمسالك ١١ : ٢١٥)
وكتابه « البديع في فصل الربيع » نشر بتحقيق هنري بريس ، الرباط : ١٩٤٠ .

أبو جعفر بن الأبار هو الذي أقام قناته ، وصقل - زعموا - مرآته ، فأطلعه شهاباً ثاقباً ، وسلك به إلى فنون الآداب طريقاً لاحقاً ، ولو تحاماه صرّف الدهر ، وامتد به قليلاً طَلَقُ العمر ، لسدَّ طريق الصباح ، وغبّر في وجوه الرياح . توفي ابن اثنتين وعشرين [٢٥ أ] سنة ، فذهب بأكثر ما كان في ذلك الوقت من حسنة ، وقد أعرب عن ذلك من أمره بأبيات شعر قرأتها على قبره ، وله كتاب سماه بـ « البديع في فصل الربيع » جمع فيه أشعار أهل الأندلس خاصة ، أعرب فيه عن أدب غزير ، وحظ من الحفظ موفور ، وقد أخرجت من نثره ونظمه ، ما يشهد بجزارة علمه وفهمه .

فصل من نثره

قال في صدر التأليف الموصوف^١ : فصل الربيع أرج وأبهج ، وأنس وأنفس ، وأبدع وأرفع ، من أن أحد حسن ذاته ، وأعد بديع صفاته ، وهو مع سماته الرائقة ، وآلائه الفائقة ، لم يعن بتأليفها أحد ، وما انفرد بتصنيفها^٢ منفرد .

وله فصل من أخرى إلى أبيه^٣ : لما خُلِقَ الربيع من أخلاقك الغرّ ، وسرَقَ زهره من شيمك الزهر . حسن في كل عين منظره . وطاب في كل سمع خبّره ، وطاقت النفوس إلى الراحة فيه ، ومالت إلى الإشراف

١ البديع ١٠ .

٢ البديع . بتأليفه . . . بتصنيفه .

٣ البديع : ٢٨ - ٢٩ والنسخ ٣ . ٤٢٧ والمعطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل ص . ٤ .

٤ البديع والمعطاء . لكل .

على بعض ما يحتويه ، من النور الذي كسا الأرض حُللاً ، لا يرى الناظرُ
في أثنائها حُللاً . فكأنها نجومٌ نُثرتْ على الترى ، وقد مُلِثَتْ مسكاً وعنبراً ،
إن تَنَسَّمْتَهَا فَأَرَجَّةٌ ، أو تَوَسَّمتَهَا فبهجة ، تروقُ العيونَ أجناسها ،
وتُحيي النفوسَ أنفاسها :

فالأرضُ في بردةٍ من يانعِ الزَّهرِ تُزري إذا قِستَها بالوشى والحبرِ
قد أحكمتها أكفُ المزنِ واكفةً وطرزتها بما تهمي من الدررِ
تبرجتُ فسبتتُ منَّا العيونَ هوىً وفتنةً بعد طولِ السَّترِ والخضرِ

فأوجدني سيلاً إلى إعمال بصري فيها ، لأجلو بصيرتي بمحاسنِ نواحيها ،
والفصلُ على أن يكملَ أوانه ، وينصرمَ وقتهُ وزمانه ، فلا تُخْليني من
من بعضِ الشففي منه ، لأصدِرَ نفسي متيقظةً عنه ، فالنفوسُ تصدأ كما
يصدأ الحديد ، ومن أجمتها فهو السَّديدُ الرشيد .

وله من أخرى إلى بعض إخوانه^٢ : قد علم سيدي أن بمرآه يكملُ جذلي ،
ويدنو أمني . وقد نخلتُ محلاً عنيّ الجوى بتحسينه ، وانفردَ الربيعُ بتحسينه ،
فكساهُ حُللاً من الأنوار ، بها ينجلي صدأ البصائر والأبصار ، فمن مكثومٍ^٣
يعبقُ مسكُه ، ولا يمنعه مسكُه ، ومن بادٍ يروق مجتلاه ، ويفوق مجتناه ،
في مرآه ورياه ، فتفضّلُ بالخفوفِ نحوي ، وتعجيلِ اللحاقِ بي ، لنجددَ
من الأئس مغافي دَرَسَتْ ، ونفكَّ من السَّرورِ معاني قد أشكلت وأبست^٤ ،

١ البديع : ٢٩ .

٢ البديع . ٣٠ . والمعطاء الجزيل : ٤ .

٣ البديع . مكثوم .

٤ في السخ . وأبست .

ونشكر للربيع^١ ، ما أرانا من البديع .

قال ابن بسام : ووجدت لأبي الوليد هذا رسالةً عارض بها إيا حفص ابن برد في رسالته في تقديم الورد على سائر الأزهار . فخرج فيها أبو الوليد - خروج أبي حفص بن برد - على الورد، ودعا إلى البهار، وأسمع سائر الأنوار، فنصبه إماماً، ولولا اشتهاه فضل الورد لكانت لزاماً، وقد اقتضبت من الرسالتين قبض فصول، تخفيفاً للتثقيب، وجمعاً للشمل، ومقابلة للشكل، وقدّمت رسالة ابن برد، على حكم الإحسان ومقتضى النقد، وهي رقعة خاطب بها ابن جمهور^٢، قال فيها^٣ :

أما بعد ، يا سيدي ومنّ أنا أفديه . فانه ذكر بعض أهل الأدب المتقدمين فيه، وذوي الظرف المعتنين بميلح معانيه . أنّ صنوفاً من الرياحين، وأجناساً من أنوار البساتين ، جمعها في بعض الأزمنة خاطباً خطّرت بنفوسها . وهاجس هجس في ضمائرهما . لم يكن لها بد من التفاوض فيه والتحاور ، والتحاكم من أجله والتناصف ، وأجمعت على أن ما ثبت في ذلك من العهد ، ونقدت من الحليف ، ماض على من غاب شخصه . ولم يئن منها وقته ، فقام منها قائمها فقال : يا معشر الشجر، وعامة الزهر . إن الله تعالى اللطيف الخبير^٤ [٢٥ ب] الذي خلق المخلوقات ، وذراً البريات ، باين بين أشكالها وصفاتها ، وباعد بين منحتها وأعطياتها . فجعل عبداً وملكاً . وخلق قبيحاً

١ ط م د س : الربيع .

٢ هو أبو الوليد ابن جمهور ، وفي العطاء الجزيل : ابن جمهور .

٣ البديع : ٥٢ (وابن بسام يوجز في النقل) وانظر أيضاً العطاء الجزيل ١٢٦ - ١٢٧

ونهاية الأرب ١١ : ١٩٦ .

٤ العطاء : إن اللطيف الخبير .

وحسناً . فضلَ بعضاً على بعض^١ حتى اعتدلَ بِعَدْلِهِ الكُلُّ ، واتَّسَقَ على لطف قدرته الجميع ، فجعل لكل^٢ واحد منها^٣ جمالاً في صورته . ورقةً في محاسنه ، واعتدالاً في قدّه ، وعبقاً في نسيمه ، ومائيةً في ديباجته ، وقد عطفتْ علينا الأعين . وثنتْ إلينا الأنفُس ، وزهتْ بمحضرنا المجالس ، حتى سَفَرْنَا بين الأحبّة ، ووصلنا أسبابَ القلوب ، وتحمّلنا لطائف الرسائل ، وصيغَ فينا القريض ، وركّبتْ على محاسننا الأعاريض ، فطمح بنا العُجُوب . وازدهانا الكبر ، وحمّلنا تفضيل مَنْ فضلنا ، وإيثار مَنْ آثرنا ، على أن نسيئنا الفِكرَ في أمرنا ، والتمهيدَ لعواقبنا ، والتطبيبَ لأخبارنا ، وادعينا الفضلَ بأسره ، والكمالَ بأجمعه ، ولم نعلمْ أنْ فينا من له المزيّةُ علينا ، ومن هو أولى بالرياسة منّا ، وهو الورد الذي إنْ بدلنا الإنصافَ من أنفسنا ولم نَسْبَحْ^٣ في بحرِ عمانا ، ولم نَمِيلْ مع هوانا ، دِنّاً له ، ودعونا إليه ، فمن لقيه منا حيّاه بالملكِ ، ومن لم يُدْرِكْ زَمَنَ سُلْطَانِهِ . ودولة أوانِهِ ، اعتقد ما عُقِدَ عليه ، ولبّى ما دُعِيَ إليه ، فهو الأكرمُ حَسَباً . والأشرفُ زَمناً ، إنْ فُقِدَ عَيْنُهُ لم يُفْقَدْ أثره . أو غاب شخصه لم يَغِبْ عَرْفُهُ . وهو أحمر والحمره لون الدم ، والدم صديقُ الروح . وهو كالياقوت المنضدِ ، في أطباقِ الزبرجد . وعليها فرائد العسجد ، وأما الأشعار فبمحاسنه حَسُنَتْ ، وباعتدال جماله وُزِنَتْ .

١ البديع والعتاء . فصل على بعض ببعضاً

٢ البديع والعتاء . ما .

٣ البديع . يرتكض

٤ العطاء . عليها .

وفي فصل منها : وكان ممن حضر هذا المجلس من رؤساء الأنوار والأزهار ، الرجس الأصفر والبهار ، والبنفسج والخيريّ النمام^١ . فقال الرجس الأصفر : والذي مهّد لي حِجْرَ الثرى ، وأرضعني ثديّ الحيا ، لقد جئت بها أوضح من لبّة الصباح ، وأسطق من لسان المصباح ، ولقد كنت أسير من التعب له والشغف به ، والأسف على تعاقب الموت دون لقائه ، ما أنحل جسمي ، ومكّن سقمي ، وإذ قد أمكن البوح بالشكوى ، فقد خفّ ثِقْلُ البلوى .

ثم قام البنفسج فقال : على الخبير سقطت ، أنا والله المتعبّد له ، والداعي إليه . المشغوف به ، وكفى ما بوجهي من ندوب ، ولكن في التأسي بك أنس .

ثم قام البهار فقال : لا تنظرنّ إلى غضارة منبتي ، ونضارة ورقّي^٢ ورقتي ، وانظروا إليّ وقد صرتُ حدقةً باهتةً تشير إليه ، وعيناً شاخصة تندي بكاءً عليه :

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي^٣

ثم قام الخيريّ^٤ فقال : والذي أعطاه الفضلَ دوني ، ومدّ له بالبيعة يميني ، ما اجترأت قطّ إجلالاً له ، واستحياءً منه ، على أن أتففس نهاراً ، أو أساعد في لذّة صديقاً أو جاراً . فلذلك جعلتُ الليلَ سترًا ، واتخذت جوائحه كيتًا .

.....

١ المطاء : وهو النمام .

٢ د : رونقي .

٣ للخشاء ، ديوانها : ١٥٢

٤ المطاء : الخيري النمام .

فلما استوت آراؤها قالت : إن لنا أصحاباً ، وأشكالاً وأثراً ، لا نلتقي بها في زمن^١ ، ولا نجاورها في وطن ، فهلم^٢ فلنكتب بذلك عقداً ينفذ على الأفاصي والأداني : فكتبوا رقعة^٣ نسختها : هذا ما تحالفت عليه أصنافُ الشجر ، وضروبُ الزهر ، وسميها وشتوتها ، وربيعيتها وقيظيتها ، حيث ما نجمت من وهاد^٤ أو ربوة ، وتفتحت من قرارة أو حديقة . عندما راجعت من بصائرها ، وألمت من مراشدها ، [واعترفت بما سلف^٥] من هفواتها ، وأعطت للورد قيادها ، ومسكتته^٦ أمرها ، وعرفت أنه أميرها المقدم لخصاله^٧ فيها ، والمؤمر لسوابقه^٨ عليها ، واعتقدت له السمع والطاعة ، والتزمت له الرق^٩ والعبودية ، وبرئت من كل زهر نازعه نفسه المباهاة^{١٠} له . والانتزاع^{١١} عليه . في كل وطن ، ومع كل زمن ، فانه زهرة قضى عليها لسان الأيام هذا الحلف ، فلتعرف أن إرشادها فيه ، وقيام أمرها به .

وأما رسالة أبي الوليد فخطب [٢٦ أ] بها المعتضد يومئذ [قال] فيها^{١٢} : فأول من رأى ذلك الكتاب . وعازن الخطاب . نواوير فصل الربيع التي هي جيرة^{١٣} الورد في الوطن ، وصحابتها^{١٤} في الزمن . ولما قرأته أنكرت^{١٥} ^

١ ط م : زمناً في زمن .

٢ العطاء : تلمعة .

٣ زيادة من البديع والعطاء الجزيل .

٤ العطاء : بحالسه .

٥ العطاء : بسوابقه .

٦ ط م د س : نازعه المباهاة .

٧ البديع : ٥٨ والعطاء الجزيل . ١٢٧ .

٨ البديع : أكبرت .

ما فيه ، وبنت على هدم مبانيه ، ونقض معانيه ، وعرفتِ الوردَ بما عليه ،
 فيما نسب إليه . من استحقاقه ما لا يستحقه ، واستثناله ما لا يستأهله . ورأتُ
 أنْ مخاطبةَ من أخطأ تلك الخطيئةَ ، وأدنى من نفسه تلك الدنية . تدبيرٌ
 دَبْرِيٌّ ، ورأيٌ غيرُ مرضي ، فكتبت إلى الأعموان والخيري الأصفر كتاباً
 قالت فيه : لو استحق الوردُ إمامةً ، واستوجب خلافةً . لبادرتُها أباًؤنا ،
 ولعقدتها أوائلنا ، التي لم تزل تجاوره في مكانه . وتجيء معه في أوانه ؛
 ولا ندري لأيّ شيءٍ أوجبتُ تقديمه ، ورأتُ تأهيله ، بما غيرهُ أشكلُ
 له وأحق به ، وهو نَوْرُ البهار ، البادي فضله بُدْوُ النهار ، والذي لم يزل
 عند علماء الشعراء ، وحكماء البلغاء ، مشبهاً بالعيون التي لا يحول نظرها ،
 ولا يحورُ حَوْرُهَا ، وأفضلُ تشبيهِ الوردِ بنضرة الخلد عند من تشبَّح فيه ؛
 وأشرفُ الحواس العين ، إذ هي على كلِّ مُتَوَلِّ عَيْنٍ^٢ ، وليس الخلدُ حاسةً ،
 فكيف تبلغه رئاسة ؟ :

أينَ الخدودُ من العيونِ نفاسةً ورياسةً لولا القياسُ الفاسدُ^٣
 وأصح تشبيه الورد وأقربه من الحق قول ابن الرومي في الشعرِ الطائي^٤
 ولقد وافق ووفق . وشبهه فحقت .

.....

١ العطاء : لا يحول . . . ولا يحول .

٢ البديع : منول ؛ وفي النسخ : مشول عون ، وآثرت قراءة العطاء الجزيل .

٣ البيت لابن الرومي ، انظر ديوانه ٢ : ٦٤٤ وتشبيهات ابن أبي عون : ١٩٣ وديوان

المعاني ٢ : ٢١ وحلقة الكميت : ٢٠٢ ؛ وعند هذا البيت ينتهي ما جاء من هذه الرسالة

في العطاء الجزيل .

٤ يشبر إلى قول ابن الرومي في هجاء الورد (حلقة الكميت : ٢١١) :

وقائل لم هجوت الورد معتمداً فقلت من رقبته عندي ومن سخطه

كأنه سرم بشل حين يخرج منه عند البراز وباتي الروث في وسطه

وطول أبو الوليد في رسالته هذه ، وختمها بمبايعة الأزهار للبهار .
فرجعت عن تقديم الورد في خبرٍ طويل .

ومن شعر أبي الوليد في أوصاف شتى

قال يصف ورداً بعث به إلى أبيه ١ :

يا من تازرَ بالمكارم وارتدى
انظر إلى خدَّ الربيع مركباً
وردٌ تقدّم إذ تأخّر واغتدى
واقاك مشتملاً بثوب حياته
بالمجد والفضل الرفيع الفائق
في وجه هذا المهرجان الرائق
في الحُسْن والإحسانِ أول سابق
خجلاً لأنّ حيّاك آخر لاحق

وقال فيه ٢ :

إنما الوردُ في ذرَى شَجَرَاتِهِ
نفحة المسك من شذا نَفْسَاتِهِ
مُرَجَّتْ حمرةُ اليواقيت بالدرّ
مثل ما جاء من سماح وبأس
إن يَعدُّ فالوفاءُ حَتَمٌ عليه
كأجلَ الملوك في هَيَاتِهِ
خَجَلٌ الخدُّ من سنا خَجَلَاتِهِ
فجاءت به على حَسَبِ ذاته
نخلتُ الحميريّ سُمُّ عِدَاتِهِ
فَرَضُهُ في صِلَاتِهِ كَصِلَاتِهِ

وقال ٣ :

.....

١ البديع : ١٢٨ ونفع الطيب ٣ : ٤٢٨ .

٢ البديع : ١٢٩ .

٣ البديع : ١٥٥ والمساك ١١ : ٢١٥ والنفع ٣ : ٤٢٨ .

أنى الباقلاءُ الباقلُ اللونُ لابساً
تري نورةً يلتاحُ في ورقاته
لبردٍ سماءٍ من سحابها غذي
كبتلقِ جياذٍ في جلالِ زمردٍ
وقال ٣ :

كأن نورةَ الكتانِ حينَ بدا
أكفُ فيروزِ معاصمها
وقد جلا حسنهُ صدا الأفسسُ
أولا فزرقُ الباقوتِ قد وضعتُ
قدسترتهنَّ خضرةُ الملبسِ [٢٦ب]
على بساطٍ يروقُ من سندسُ
وقال ٤ :

وقهوة لا يحدّما مبصيرُ
إذا دنت فالسرورُ مبسمُ
رقتُ وراقتُ في أعينِ النظيرُ
كانها والحبابُ يحجبها
وان نأتُ فالسرورُ مستعبرُ
غنيتُ عنها فلبستُ أقربها
بحرٍ من التبرِ يقذفُ الجواهرُ
بناظرٍ منه بسكرُ المسكرُ

وبيته الثالث في هذه من التشبيه الذي ما له من شبيه ، وأما بيته الأخير
منها فمن قول ذي الرمة ٥ :

وعينان قال الله كونا فكانتا
وزاد أبو الوليد زيادة حسنة : لم يقنع أن يفعل ناظره فعل الخمر حتى
أسكرها منه . وقال :

.....

١ البديع : أرى .

٢ البديع : برود .

٣ البديع : ١٥٧ والمسالك نفسه .

٤ منها بيتان في المسالك .

٥ ديوان ذي الرمة : ٤٧٨ .

وكأسٍ لما كَيْسٌ على اللبِّ والعقلِ
 كأنَّ حَبَابَ الماءِ في جَنَابِهَا
 تزيدُ ذوي الألبابِ فضلاً ولم تزل
 غيبتُ بمن أهواه عن نشواتها
 شمول تريك الأُنسِ مجتمَعِ الشَّمْلِ
 دروعٌ لُجَيْنٍ قد جَلَّتْهَا يدُ الصقلِ
 تُدِيلُ بطبعِ الجودِ من طَبَعِ البخلِ
 فمن طَرَفِهِ خُمري ومن ريقه نُقْلي

وقال :

حِمامٌ بلحظك قد حُمَّ لي
 وان لم تُغْشِي بِمَعْنَى الحِياةِ
 فها أنا قاضٍ بداءِ الهوى
 فها لَبِيتَ قَبْرِي حَيْثُ الهوى
 عسى مَنْ تَلَفَّتْ بِحِجِّي له
 فان جاد بالوصل بعد الوفاةِ
 فها صاحبي هناك احفرا
 إذا ما أدرت كؤوسَ الهوى
 مُدامٌ تُعْتَقُ بالناظرين
 فما زال يهدي إلى مقتلي
 من ريقِ مِسْمَكِ السلسلِ
 وقاضيِ جَمالِكَ لم يَعْدِلِ
 فأكرمُ بذلك من منزلِ
 يرقُّ على ذي بلاءٍ بُلِّي
 رجعتُ إلى عَيْشِي الأوَّلِ
 ولا تحفرا لي بقطرئيلِ
 ففي شربها لَيْتَ بالمؤتلي^٢
 وتلك تُعْتَقُ بالأرْجُلِ

وهذا البيت مما أغرب به على الألباب ، وأغرب فيه عن موضعه من الصواب ، وبينه وبين قول أبي الطيب شبه بعيد ، ولكن لأبي الوليد فضل التوليد ، وحسن من النقل ليس عليه مزيد ، وهو قوله^٣ :

١ د : أردت ؛ ط س : رأيت .

٢ هذا البيت والذي يليه في المغرب ١ : ٢٤٥ ورايات المبرزين ٠ ٣٩ (١١ غ) والنصح والمساك

٣ ديوان المتنبي : ٣٣٠ .

انظر إذا اختلفَ السيفانِ في رَمَجٍ إلى اختلافهما في الخلقِ والعملِ
هذا أَعِدَّ^١ لريب الدهر منصلاً وَعَدَّ^٢ ذلكَ لرأس الفارسِ البطلِ

وقال الآخر وإن لم يكن به :

بالهند تُطَبِّعُ أسيافُ الحديدِ وفي بغداد تُطَبِّعُ أسيافُ من الحدقِ

الأديب أبو جعفر أحمد بن الأبار^٣

أحد شعراء المعتضد المحسنين المتقنين [٢٧ أ] انتحل الشعرفاقن وتصرف ،
وعُنيَ بالعلم فجمع وصنَّف ، وله في صناعة النظم فضلٌ لا يُرَدُّ ، وإحسانٌ
لا يعدُّ ، وقد كتبتُ طرَفًا مما أبدع ، ليكونَ أعدلَ شاهدٍ على أنه تقدَّم
وبرع .

ما أخرجته من شعره في أوصاف شتى

قال^٤ :

لم تدرِ ما خَلَّدَتْ عيناك في خلدي من الغرامِ ولا ما كابدتُ كبدي

١ الديوان : هذا الممد .

٢ الديوان . أعد هذا .

٣ هو أحمد بن محمد الخولاني الاشعبي (- ٤٣٣) ، كان كثير الشعر (انظر ترجمته

في ابن خلكان ١ : ١٤١ والجذوة : ١٠٧ وبنية الملتبس رقم : ٣٦٤ والمغرب ١ : ٢٤٣

والمسالك ١١ : ١٨ والوافي ٨ : ١٣٧ وله أشعار في الفتح والبيدع في فصل الربيع) .

٤ انظر الوافي ٨ : ١٣٧ ومنها بيتان في المسالك .

أفديك^١ من زائرٍ رامَ الدنوّ فلم
خاف العيونَ فوافاني على عَجَلٍ
عاطيته الكأسَ فاستحيتُ مُدامتها
حتى إذا غازلتُ أجفانهُ سنّةً
أردتِ توسيدهُ خدّي وقلّ له
فبات في حرَمٍ لا غَدَرَ يدعِرُهُ
بدرٌ ألمٌ وبدرٌ التّمّ ممتحقٌ
تخيّرَ الليلُ فيه أينَ مطلعهُ

يَسْطِيعُهُ من غرقٍ في الدّمعِ متقدّم
معطّلاً جيدهُ إلاّ منَ القَيْدِ^٢
من ذلك الشنّبِ المصولِ بالبردِ^٣
وصيرتهُ يدُ الصبهاءِ طَوَّعَ يدي
فقال كفكُ عندي أفضلُ الوَسْدِ
وبتُ ظمآنَ لم أصدُرُ ولم أريدِ
والأفقُ محلولكُ الأرجاءِ من حسدِ
أما درى الليلُ أنّ البدرَ في عضدي

قال ابن بسام : وقد رأيت من يروي هذه القطعة لادريس بن اليماني ، وهو الأشبه بما له من الألفاظ والمعاني ، وهي لمن كانت له متهمها راقية ، ومتأخرة سابقة ، في التزام العفاف مع السلاف ؛ وما سمعت بأبدع منها لأحد من أهل هذا الأفق . وإنما أثبت هنا بعض مقطوعات في معناها لأهل المشرق ثم أعود لإيراد ملتح أهل أفقنا ، وأرجع إليها وأكرُّ بعدُ عليها ، وأقدمُ أولاً الحديث : « من أحبَّ فعفَّ ومات فهو شهيد » ، والعفافُ مع البذل . كالاستطاعة مع الفعل ، والله درُّ صريع الغواني ، فهو صاحب بديع في أكثر المعاني ، كقوله :

ألا ربّ يوم : صادق العيش نلتُهُ بها ونداماي العفاة والبذلُ^٥

١ الرواي : أفديه .

٢ الرواي : الجيّد .

٣ الرواي : والبرد .

٤ : روى ابن بسام منها بيتين لادريس في اللخيرة ١ : ٨٧ .

٥ رهر الآداب : ٧٢٧ وديوان صريع الغواني : ٩١ .

وقال الآخر^١ :

وبتنا فويقَ الحميّ لا نحن منهمُ
وباتَ يقينا ساقطَ الطلِّ والندى
نعدّي بذكرِ الله في ذاتِ بيتنا
ونصدر عن ربي العفاف وربما
ولا نحن بالأعداءِ مختلطانِ
من الليل بُردًا يمتنّ^٢ عطرانِ
إذا كان قلبانا بنا يردان
نقعنا غليلَ النفسِ بالرشقان

وقال الصمة القشيري^٣ :

بنفسي من لو مرّ برّدُ بنانه
ومن هابني في كلِّ شيءٍ وهيبتهُ

وقال القسّ المكّي^٤ :

أهابك أن أقولَ بذلتُ نفسي
حياءً منك حتى سلّ جسمي

وقال العباس بن الأحنف^٥ :

أنا ذنون لصبٍ في زيارتِكُم
لا يضرُّ سوءَ إن طالَت إقامته
فعدكم شهواتُ السَّمعِ والبصرِ
عفّ الضميرِ ولكنّ فاسقُ النظرِ

١ انظر الرهرة : ٦٦ .

٢ ط د : ديمة .

٣ هما ليزيد به الطبرية في ابن خلكان ٦ : ٣٦٩ والأغاني ٨ : ١٦٤ .

٤ الأغاني ٨ : ٣٣٧ .

٥ ط د م س : بذات .

٦ زهر الآداب : ٧٢٧ والزهرة : ٦٧ وديوانه : ١٤٧ .

ولبعض الطالبين^١ :

رَمَوْنِي وَإِيَاهَا بِشِنَاءِ هَمِّهَا
بِأَمْرِ تَرْكِنَاهُ وَرَبِّ مُحَمَّدٍ
أَحَقُّ أَدَالَ اللهُ مِنْهُمْ وَعَجَلًا
جَمِيعًا فِيمَا عَفَّةً أَوْ تَجَمَّلًا

وقال سعيد بن حميد^٢ :

زَائِرٌ زَارَنَا عَلَى غَيْرِ وَعَدٍ
غَالِبَ الْخَوْفِ حِينَ غَالِبَهُ الشُّوْ
غَضَّ طَرْفِي عَنْهُ تَقَى اللهُ وَاخْتَرِ
ثُمَّ وَلِيَ الْخَوْفُ قَدْ هَزَّ عَطْفِي
مُخْطَفُ الْكَشْحِ مُثْقِلُ الْأُرْدَافِ
قُ وَأَخْفَى الْهُوَى وَلَيْسَ بِخَافِ
تُ عَلَى بَذَلِهِ بَقَاءَ التَّنْصَافِ
هَ وَلَمْ نَخْلُ مِنْ لِبَاسِ الْعَفَافِ

وأنشد الصولي لأبي حاتم السجستاني في أبي العباس المبرد ، وكان يلزم
حلقته ، وهو غلام وسيم^٣ :

مَاذَا لَقِيتُ الْيَوْمَ مِنْ
وَقَفَ الْجَمَالُ بِوَجْهِهِ
حَرَكَاتُهُ وَسُكُونُهُ
وَإِذَا خَلُوتُ بِمِثْلِهِ
لَمْ أَعُدْ أفعالَ العَفَا
نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا أَبَا
فَارْحَمِ أَخَاكَ فَإِنَّهُ
وَأَنْلَهُ مَا دُونَ الْحَرَامِ
مَتَمَجِّنٌ خَنْبِثُ الْكَلَامِ
فَسَمَتَ لَهُ حَدَقُ الْأَنَامِ
تُجَسَّنِي بِهَا تَمَرُ الْأَثَامِ
وَعَزَمْتُ فِيهِ عَلَى اعْتِرَامِ
فِ وَذَاكَ أَكْرَمُ لِلْغَرَامِ
هَبَّاسِ حَلَّ بِكَ اعْتِنَامِي
تَنْزَرُ الْكُرَى بِوَادِي السَّقَامِ
مَ فَلَيسَ يَطْمَعُ فِي الْحَرَامِ

١ زهر الآداب : ٧٢٧ والروض المطار (بيروت ١٩٧٥) : ١٩٤ .

٢ زهر الآداب : ٧٢٧ .

٣ متابع لزهر الآداب . ٧٢٧ .

وكان أبو حاتم يتصدق كل يوم بدينار ، ويحتم القرآن في كل أسبوع .

واجتمع^١ أبو العباس بن سريج الشافعي وأبو بكر بن داود القياسي في مجلس الوزير ابن الجراح فتناظرا في الإيلاء ، فقال له ابن سريج : أنت بقولك «مَنْ كَثُرَتْ لِحْظَاتُهُ ، دَامَتْ حَسْرَاتُهُ» ، أبصر منك بالكلام في الإيلاء ؛ فقال أبو بكر : لئن قلت ذلك فاني أقول :

أَنْزَهُ فِي رَوْضِ الْمَحَاسِنِ مَقْلِي وَأَمْنَعُ نَفْسِي أَنْ تَنَالَ مَحْرَمًا
وَأَحْمَلُ مِنْ ثِقَلِ الْهَوَى مَا لَوْ أَنَّهُ يُصَبُّ عَلَى الصَّخْرِ الْأَصَمِّ نَهْدًا
وَيَنْظُرُ طَرْفِي عَنْ مَرَجِمِ خَاطِرِي فَلَوْلَا اخْتِلَاسِي رَدَّهُ لَتَكَلَّمَا
رَأَيْتُ الْهَوَى دَعَايَ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَلَسْتُ أَرَى حَبًّا صَاحِبًا مُسَلَّمَا

فقال أبو العباس : لم تفتخر^٢ علي . ولو شئت أنا أيضاً لقلت : [٢٨ أ]

وَمَطَاعِمٍ لِلشَّهْدِ مِنْ نَفْسَاتِهِ قَدْ بَتَّ أَمْنَهُ لِذِيذِ سِنَاتِهِ
ضَمًّا بِحَسَنِ حَدِيثِهِ وَكَلَامِهِ وَأَكْرَرُ اللَّحِظَاتِ فِي وَجَنَاتِهِ
حَتَّى إِذَا مَا الصَّبْحُ لَاحَ عَمُودُهُ وَلى بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبَرَاتِهِ^٣

فقال أبو بكر : يُحْفَظُ عَلَيْهِ مَا قَالَ ، حتى يقيم عليه شاهدي عدل
أنه ولّى بخاتم ربه ، قال أبو العباس : يلزمي في ذلك ما يلزمك في قولك :

أَنْزَهُ فِي رَوْضِ الْمَحَاسِنِ مَقْلِي . . . البيت .

١ متابع لزهر الآداب : ٧٢٨ وانظر ابن حلكان ٤ : ٢٦٠ والوافي ٢ : ٥٨ ومصارح

المشاف ٢ : ١٢٧ .

٢ ط : تفخر .

٣ وبراته . مخفف من « وبراته » .

فضحك الوزير ابن الجراح ، وقال : لقد جمعتما ظرفاً ولطفاً وفهماً
وعلماً .

وقال الشريف الرضي ^١ :

بتنا ضجيعين في ثوبتي هوى وتقى
وبات بارقُ ذاك الثغرِ بوضيح لي
وبات الريحُ كالغيري نجادبنا
يولعُ الطلُّ بُردبنا وقد نسَمَت
وأكمّ الصبحَ عنها وهي غافلة
فقتُ أنفض بُرداً ما تعلَّقه
يلفنا الشوقُ من قرنٍ إلى قَدَمٍ
مواقعَ التَّمِ في داجٍ من الظلم
على الكئيبِ فضولَ الرِّيطِ واللمم
رُوَيْحَةُ الفجرِ بين الضَّالِّ والسلم
حتى تكلمَ عصفورٌ على علم
غيرُ العفافِ وراءَ الغيبِ والكرم

وقال المتنبي ^٢ :

وأشنبَ معسولِ الثنَّياتِ واضحٍ
وأجبادِ غزلانِ كجيدك زرنِي
سرتُ فمي عنه فقبَّلَ مفرقي
فلم أتبيَّنْ عاطلاً من مطوق

وقال :

بردٌ يداً عن ثوبها وهو قادرٌ
ويحصي الهوى في طينفها وهو راقدٌ

وهذا المعنى في شعرهم أكثر من أن يحصى .

وأثبتُ هنا أيضاً مقطوعاتٍ أبياتٍ لغير واحد ممن تقدم ابن الأبار في

١ ديوان الرضي ٢ : ٢٧٤ .

٢ ديوان المتنبي : ٣٣٥ ، ٣١٠ .

ذكر العفاف ، ثم أعود بعد إلى ما له من الأشعار في سائر الاوصاف :

قال الرمادي ١ :

وليلة راقبتُ فيها الهوى على رقيبٍ غيرِ وسنانِ
والراحُ ما تنزل من راحتي وقتاً ومن راحة ندماني
وربَّ يومٍ قيظُهُ منضجٌ كأنه أحشاءُ ظمآنِ
أبرزَ في خديهِ لي رشحه طلاً على وردٍ وسوسانِ
وكان في تحليلِ أزراره أقودَ لي من ألفِ شيطانِ
فُتَّحتِ الجنةُ من جيبه فبتُ في دعوةِ رضوانِ
مروّةٌ في الحبِّ تنهى بأنُ يجاهرَ اللهُ بعضيانِ

وقال من أخرى :

لياليَ بعثُ العاذلين إمامي بفتكي ووليتُ الوشاة أذاني
وإذ لي ندمانان : ساقٍ وقينةُ رشيقانِ بالأرواحِ بمتزجانِ
أمدتُ إلى الطاووس في تارة يدي وفي تارة آوي إلى الورشانِ
وكنت أديرُ الكأسَ حتى أراهما يميلان من سُكْرِ ويعتدلان [٢٨ب]
فكانا بما في الجسم من رقّة الضنى يكادان عند الضمِّ يلتقيانِ
ونفسي إلى نومٍ فان كنتَ جاهلاً مكاني فوسطى العقيدِ كان مكاني
فلو تبصرُ المضنى وبدراه حوله لقلت السُّها من حوله القمرانِ
وما بيَ فخرٌ بالفجورِ وإنما نصيبُ فجوري الرشفُ والشفتانِ

وقال الحصري الكفيف :

١ أبيات الرمادي في المطرب : ٣ - ٤ .

قالت وهبتك مهجتي فخذ
وثنت إلى مثل الكثيب يدي
وهمت لكن قال لي أدبي
قالت: عفت عفت، قلت لها
ولابن فرج الجياني^١:

وطائفة الوصال عفت^٢ عنها
بدت في الليل سافرة فباتت
وما من لحظة إلا وفيها
فملكت الهوى جمحات شوقي
وبت بها مبيت الطفل^٣ يظما
كذاك الروض ما فيه لمثلي
ولست من السوائم مهملات
وما الشيطان فيها بالمطاع
دياجي الليل سافرة القناع
إلى فتن القلوب لها دواعي
لأجري في العفاف على طباعي
فيمنعه الفطام عن الرضاع
سوى نظري وشم من متاع
فأخذت الرياض من المراعي

قال ابن بسام: وابن فرج هذا ممن تقدمني^٤ في نشر محاسن أهل هذه الجزيرة، وإظهار خبايا فضائلهم المشهورة، فعارض كتاب «الزهرة» للأصبهاني بتصنيف رائق ترجمه بـ «كتاب الحدائق»، فان لا يكن سبق بالزمان. فلقد زاحم بالاحسان. وله شعر مشهور له فيه إحسان كثير كقوله. وهو من مליح الوصف في العفاف عن الطيف^٥:

١ هو أبو عمر أحمد بن فرج الجياني صاحب كتاب الحدائق، وأبياته في الجذوة: ٩٧ والمطبع:

٨٠ والشريشي ١: ٢١١ والمغرب ٢: ٥٦ والنفع ٣: ١٩١، ٤٣٧، والبيتية ٢: ١٧.

٢ في أصل ط: غدوت.

٣ في أصل ط: السقم، وفي الحاشية: السقب.

٤ م ط: أمي.

٥ انظر هذه القطعة في المصادر المذكورة سابقاً.

بأيتهما أنا في الحب باد بشكر الطيف أم شكر الرقاد
 سرى فازداد بي ألمي ولكن عفت فلم أنل منه مرادي
 وما في النوم من حرج ولكن جريت من العفاف على اعتيادي
 أخذه من قول المتنبي :

« يردُّ يداً عن ثوبها وهو قادر . . . البيت »

كانه لما عف في اليقظة جرى على عادته في النوم .

ولابن الأبار في هذا عدة أشعار ، منها قوله :

ومعرض بالغصن في حركاته تسل^١ القلوب العفوة من لحظاته
 عاطيته كأساً كأن سلفها من ريقه المعسول أو وجنتاته
 حتى إذا ما السكر مال بعطفه وعنا بحكم الوصل في نشواته
 هصرت يدي منه بغصن ناعم لم أجن غير الحيل من ثمراته [٢٩أ]
 وأطعت سلطان العفاف تكرماً والمرء مجبول على عادته

وقال^٢ :

ومنعم غض القطاف عذب الغروب للارتشاف
 قد صبغ من درّ الجما ل وصين في صداف العفاف
 وسقته أندية^٣ الشبا ب بمائها حتى أناف
 فتروّضت عنه الريا ض وسلفت منه السلاف

١ تسل : تخفف من « تسأل » .

٢ انظر المسالك ١١ . ٤١٨ - ٤١٩ .

٣ المسالك : أيام .

مهما أردتُ وفاقتهُ	يوماً تعرّضَ للخلاف
لمّا تصدّى للصدو	دِ ومال نحو الإنحراف
هيأتُ من شرّكي له	فِعْلَ اللطافِ من الظُّراف
فَسَقَيْتُهُ ماءً بها	وأدرتُ صافيةً بصاف
حتى ترنّجَ مائلاً ^١	كالغصنِ مال به انعطاف
فوردتُ جنةً نحره ^٢	ونعيمها داني القُطاف
وَضَمَّتْ ناعمَ عِطْفِهِ	ضمَّ المضاف إلى المضاف
فورعتُ في حين الجنى ^٣	وكففتُ عن فوقِ الكفاف
وعصيتُ سلطانَ الهوى	وأطعتُ سلطانَ العفاف

وما ألمح هذه الملح ، وما أقبح ما أنشدت في ضدّها لعبد الجليل ، حيث يقول :

تعرّض لي ليسقطَ في حبالي	سقوطاً تعمّدٍ شبه اتفاقٍ
وبات على المدامة لي نديماً	ويين جفونه للغنّجِ ساقٍ
إلى أن مال من سِنَةِ الحميّا	وقام الليلُ ممدودَ الرّواقِ
وحلّ معاهدَ الهميانِ عنه	بسُبطٍ كان يعقدها رقاقِ
وصار على كرامتهِ بساطاً	ولُفّتُ بيننا ساقِ بساقِ

وبعده ما أضربت عنه ، وصنّفتُ كتابي منه .

.....

١ د : قدّه .

٢ المسالك : غده .

٣ المسالك . حتى في الحنا (اقرأ : الجنى) .

وأنشدني أبو بكر الداني^١ لنفسه :

أتوبُ لله من هوى رشأُ غيرَهُ بالعطاءِ مَنْ غيرُ
ليس معي خاتمٌ ولا فنكٌ ولا شرابٌ إنأوه عنبر
ولنما كان شرطه قدحاً وكان شرطي عليه أن يسكر

وممن رأيتهُ أولع بهذه الأوصاف وشغف، وصرف فيها الكلام فتصرف،
الأديب أبو القاسم المعروف بالمنيشي الاشيلي^٢، أنشدني لنفسه من جملة
قصيدة^٣ :

وعجزة حوراء^٤ وفق الهوى نجبرتُ فيها وفي أمرها
غلامية ليس في جسْمِها مكانٌ دقيقٌ سوى خصرها
إذا أدبرتُ أو إذا أقبلتُ ففي قرها الموتُ أو كرها
ولما خلونا ورق الكلامُ دفعتُ بكفّي في صدرها [٢٩ب]
ومن لا أسميه مثلُ القناة فألقتُ ذراعاً على عشرها
فما زلتُ أجمعُ طعناً وضرباً على زيدها وعلى عمريها
وصارفتها العين هذا بذاك وقد شدت السوق من أزرها
فأعطيتها المحض من فضي وأعطيتي المحض من تبرها

قوله : « ولما خلونا ورق الكلام » ، من قول امرئ القيس^٥ :

- ١ هو ابن البانة ، وترجمته في القسم الثالث : ٦٦٦ .
- ٢ هو المعروف بمصا الأعمى لأنه كان يقود الأعمى التطيلي (انظر ترجمته في المطمح : ٨٨
والمغرب ١ : ٢٨٩ والرايات : ٢٣ غ) وأبياته قد وردت في المغرب ١ : ٢٩٠ .
- ٣ عند هذا الحد ينتهي الحرم في النسخة م .
- ٤ المغرب : لفاء .
- ٥ ديوان امرئ القيس : ٢٢ .

وصرنا إلى الحسنى ورقّ كلامنا ورضتُ فدلّتُ صعبةً أي إذلالٍ

وأخذه الآخر فقال ١ يصف كتاباً :

وفيه الوصلُ يُشْرِقُ جانباه وقد رقّ التشكّي والخطابُ

وقال ابن الرومي :

كادتُ لعرفانِ النوى ألفاظُها من رقةِ الشكوى تكونُ دموعا

وقوله : « غلامية » . . . البيت ، معنى " كثر ترداده ، وطال منهم
تعمده واعتماده ، وأرى أيضاً أن أولَ من أشار إليه ونبّه عليه الملكُ الضليلُ ،
حيث يقول :

مى ما ترَقَّ العَيْنُ فيه تَسَهَّلِ . . . البيت

غير أنه أورده مُقَلَّصَ الذيل ، بهيم الليل ، وقد بيّنه بقوله :

• له أبطلا ظبي وساقا نعامية •

ثم نقله الشعراء بعدُ كلَّ على مقدار ما أوتي من البيان ، ووهب من
الإحسان ، فقال الاعرابي ٢ :

عُقَيْلِيَّةٌ ، أَمَا مَبْلَاثُ إِزَارِهَا فَدِعْصٌ وَأَمَا خَصْرُهَا فَبَتَيْلُ
وقال الآخر ٣ :

١ فقال : سقطت من م .

٢ البيت من قصيدة لابن الطُّرَيْمِيَّة في وفيات الأعيان ٦ : ٣٦٨ والحماسية رقم : ٥٤١٠ وزهر

الآداب : ٨٥٤ وقيل لأبي كبير الحلبي ، وأدرجت في ديوان ابن الدمينة : ١٨٦ وعمرجها

بحقق الديوان ص : ٢٥٦ .

٣ هو الحكم الخفري ، انظر الأغاني ٢ : ٢٥٠ .

تساهم ثوبها ففي الدرع رادة^١ وفي المرط لفأوان ردفهما عبل
وقال ابن أبي ربيعة^١ :

خودٌ وقبرٌ نصفها ونصفها مهفهفٌ

ونسخه أبو تمام فقال^٢ :

تشكى الأين من نصفٍ سريعٍ إذا قامت ومن نصفٍ بطي^٣
وقال الأختل^٣ :

أسيله مجرى الدمع أمّا وشاحها فيجري وأما القلب^٤ منها فلايجري
وهذا كقول خالد بن يزيد^٥ :

تجولُ خلاخيلُ النساءِ ولا أرى لرملةً خلخالاً يجولُ ولا قلباً
ومدحهم بضمور الكشع، وجولان الوشع، وصموت القلب والخلخال،
وامتناع الخدام من الحجال، كثير، ومنه قول النابغة^٦ :

على أن حجلتيها وان قلت أوسعا صموتان من ملءٍ وقلّةٍ منطقي^٧
وقال الطائي^٧ :

١ ديوان ابن أبي ربيعة : ٢٥٢ .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٣٥٢ .

٣ ديوان الأختل : ١٢٩ .

٤ الديوان : الحجل .

٥ زهر الآداب : ٣٩٣ ووفيات الأعيان ٢ : ٢٢٤ .

٦ زهر الآداب : ٣٩٣ وديوان النابغة : ١٨٤ .

٧ زهر الآداب : ٣٩٣ وديوان أبي تمام ٣ : ١١٥ .

من الهيف لو أن الخلاجيل صيرت لها وشحاً جالت عليها الخلاخل^١

وقال ابن أبي زرعة^١ : [٣٠]

استكتمت خلخالها ومشت تحت الظلام به فما نطقتا
حتى إذا ربح الصبا نمت ملاً العبير ينشرها الطرقا

وقال المتنبي^٢ :

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا

وقلبه الناجم^٣ فقال :

مسولة الكل غير بطن حجوها الدهر في اصطخاب
مثقل فهي عنكبوت^٤ ووشحها كظم صموت

وما أحسن قول القائل فانه ترك اللفظ المطروق ، واختصر على كافة

الشعراء الطريق^٥ :

أبت الروادف^٥ والثدي لقمصها مس البطون وأن تمس ظهورا
وإذا الرياح مع العشي تناوحت نبتهن حاسدة وهجن غيورا

وَحَسَنَهُ بَعْضُ أَهْلِ أَفْقَانَا فَقَالَ^٥ :

إن العزيز علي^٥ خصرك إنه بالردف حمّل منك ما لا يُحمّل

١ زهر الآداب : ٣٩٣ والمختار : ٩٨ .

٢ زهر الآداب : ٣٩٤ وديوان المتنبي : ٢٧٩ .

٣ زهر الآداب : ٣٩٤ .

٤ أمالي القاضي ١ : ٢٣ .

٥ هو التحلي ، الشيرة ١ : ٣٨٤ .

ولإنما أخذه من قول المتنبي^١ :

أعارني سقمَ عينيه وحملني من الهوى ثِقْلَ ما نحوي مآزره^٢

قال ابن بسّام : وهذا الباب واسع الميدان ، ملتف الأخصان ، وإنما ألمع من كلّ معنى يسير ، وأثيرُ حصةً من ثبير .

وقول أبي القاسم المذكور : « على زبدها وعلى عمرها » من الكنايات المختارة ، والسامع يفهم الإشارة ، وإنما نبّهته على هذا التعريض ، وأرته كيف يأخذ في هذه العروض ، إحدى من جَاهَرَت بالصبوة ، وتجاوزت طَلَقَ الجَمُوحِ في ميدان الشهوة فقالت : إنْ ضَمَّ قَضْفُضٍ ، وإن دَسَّرَ أغمض ، وإن أخلَّ أحمض .

وقال أبو القاسم من أخرى^٣ :

وخشفيّة الألاحظِ والجديدِ والحشا
تثنى على مثل العنان إذا التوى^٤
وليس كما قال الجهول تقسّمت
ولكن لها فضلُ القبولِ على الخشفِ
وقد عقدها للفسوقِ على النصفِ
فبعضٌ إلى عُصْنٍ وبعضٌ إلى حِقْفِ

ومنها :

سعت في سبيلِ الفتك^٥ والفتك^٤ بيننا
إشارةً لحظّ تنسخ^٥ التكرّ بالعُرفِ

١ دهران المتنبي : ٣٦ .

٢ انظر المغرب ١ : ٢٩٠ .

٣ المغرب : إذا اثنى .

٤ المغرب : اهلك .

٥ المغرب : تملط .

ومنها :

وما شئت من عضو الحلي ورضته وماشئت من صك الخلاخل والشنف

قوله : « خشفية الألفاظ » معنى مشهور ، ومنه قول مجنون بني عامر^١ :
أيا شبه ليلي لا تراعي فاني لك اليوم من وحشية لصديق

وقوله : « وما شئت من عضو الحلي » ... البيت ، كقول الآخر :
باعتناق يلوب منه حصي اليا قوت ضمنا وتطمئن النهود

وقال أبو بكر الداني :

ضممتها ضم مشتاق إلى كبدي حتى توهمت أن الحلي ينكير

[٣٠ ب] وقال ابن عمار :

ضمنا ولثما يعني الحلي بينهما كما تجاوب أطيار بأطيار

وقوله : « وما شئت من صك الخلاخل بالشنف » فانه صك به وجه
بعض أهل عصرنا^٢ حيث يقول :

• وجمعت بين القرط والخلاخل •

ومن مجون ابن الأبار قوله مما يضارع ما تقدم^٣ :

زارني خيفة الرقيب مريبا يتشكى القضيب منه الكثيبا

١ ديوان المجنون : ٢٠٦ .

٢ هو صالح الشتمري ، كما سيجيء في ترجمته .

٣ انظر المساك : ٤١٩ والفوات : ٣ : ٤٠٦ والنسخ : ٣ : ٤٧ ومعاهد التنصيص : ١ : ٩٥-٩٦ .

رشاً^١ راش لي سهام المنايا من جنونٍ يُصمّي^٢ بهنّ القلوبا
 قال لي : ما ترى الرقيبَ مُطِلاً^٣ قلتُ ذرّه أتى الجَنَابَ^٤ الرحيا
 عاطيه أكّوسَ المدام دراكاً وأدرها عليه كوباً فكوبا
 واستنيتها بخمر^٥ عَيْنَيْكَ صِرْفاً واجعل الكأسَ منك ثغراً شنيا
 ثمّ لما أن نامَ من نَتَقِيهِ^٦ وتلقى الكرى سميماً مجيا
 قال لا بدّ أن تدبّ إليه قلتُ أبني رشاً وآخذُ ذيباً؟^٧
 قال فابدأ بنا وثنّ عليه قلتُ كلاًّ لقد دَفَعْتَ قريبا
 فوثبنا على الغزالِ ركوبا ودينا إلى الرقيب ديبا
 فهل أبصرت أو سمعت بصب^٨ ناك محبوبه^٩ وناك الرقيا

قال ابن بسام : ولقد ظرّف ابن الأبار واستهتره ما شاء ونذر ، وأظنّه
 لو قدر على إبليس الذي تولى له نَظْمَ هذا السِّلْكِ ، وأوطأ له ثَبَجَ هذا
 الملك ، لتدبّ إليه ، ووثب أيضاً عليه ، وأبو نواس ، سهلّ هذا السيل
 للناس ، حيث يقول^{١٠} :

نكنا رسولَ عنانٍ والرأي فيما فعلنا
 فكان خبزاً بمنحٍ قبل الشواء أكلنا

.....

- ١ الفوات : المكان .
- ٢ التفع : من خمر .
- ٣ المسالك : ثمّ لما نام الرقيب سريماً ، الفوات : نام من بعد نعل .
- ٤ ط : وأحذر ؛ م : وأخاف ؛ س : وأخشى .
- ٥ م : واستشر ؛ ط د س : واشتهر ، والتصويب عن المسالك .
- ٦ المسالك ١١ : ٤٢٠ ؛ وديوان أبي نواس ١ : ٨٤ (تحقيق فاجنر) .

ومن أناشيد الثعالي^١ :

ليَ أيرُّ أراحي الله منه صار همّي به عريضاً طويلاً
نامَ إذ زارني الحبيبُ عناداً ولعهدي به ينيكُ الرسولا
حُسِبَت زورةٌ لشقوةِ جدِّي فافترقنا وما شفينا غليلاً

وقرأت^٢ في بعض الملح خيراً له بهذا الموضع ، بعضُ موقع ؛ قال بعضهم :
مشيتُ فإذا أنا بصديقٍ من أهل اليسارِ خارجاً من دارِ بغيّ ، فقلت له :
أبكونُ عندك أربعُ حرائر ، وأكثرُ من ستينَ سريةً ، وتأتي مثلَ هذه
الدينيةِ ١٩ فقال : اسكت . مثلُ أيري مثلُ الكلبِ يباحُ من طراً عليه
ولا يتعرّضُ لمن اختلَطَ به .

وقد قلت إن الحسن بن هاني ، أكثرَ من هذه المعاني ، حتى منعه الأمين
محمد بن هارون عن ذلك ؛ وله في وصف الشرابِ ، وما يتعلق بهذه الأسباب ،
شعر كثير ، كقوله^٣ :

قد هجرتُ المدامَ والنِّلْمانا وتَمَتَّعتُ ما كَفَّاني زمانا
ونَهاني * خليفةُ الله أنْ لا أقربَ الخندريسَ والغلمانا [١٣١]
وخشيتُ الملاكَ إن لم أطِعهُ ودعتني نفسي لأيهم عيانا

١ الأبيات للمفج البصري ، انظر البيهقي ٢ : ٣٦٣ ومعجم الأدباء ١٧ : ١٨٢ والمسالك
١١ : ٤٢٠ .
٢ نقل العمري هذه الحكاية ١١ : ٤٢٠ .
٣ م : من ذلك قوله ؛ وانظر ديوانه : ٣٥٤ ، وما هنا أتم .
٤ الديوان : وتفتيت .
٥ م ط س : ونهانا .

وغزال سقيته^١ الراح^٢ حتى أضعفت^٣ منه مقلة^٤ ولسانا
قال : لا تسكرتني بحياتي قلت : لا بد^٥ أن تُرَى سكرانا
إن^٦ لي حاجة^٧ إليك إذا نمت فان شئت فاقضها يقظانا
فتلكنا تلتكوا^٨ بانحناث^٩ ثم أصغى لما أردت فكانا
واشتهار شعره ، يمنعني من ذكره .

وممن سلك أيضاً هذه السبيل من الشعراء المجاهرين بالمجون ، الناطقين
بالسنن الشياطين ، الفرزدق^{١٠} ، بقوله^{١١} :

هما دلتاني من ثمانين قامة^{١٢} كما انقض^{١٣} باز أفتح الريش كاسره^{١٤}
وهو قصيد^{١٥} مشهور^{١٦} ، وقد عيَّره به جرير فقال^{١٧} :

تدلتني ليزني من ثمانين قامة^{١٨} وقصَّره^{١٩} عن باع الملا والمكارم
ومن محاورات امرئ القيس التي تقدم^{٢٠} الناس فيها قوله^{٢١} :

تقول^{٢٢} وقد جرَّدتها من ثيابها كما رُعت^{٢٣} مكحول^{٢٤} المدامع^{٢٥} أتلما
وعيشك^{٢٦} لو شيء^{٢٧} أنا رسول^{٢٨}ه^{٢٩} سواك ولكن^{٣٠} لم نجد^{٣١} لك^{٣٢} مدفعا
وزاد فيه ابن أبي ربيعة فقال^{٣٣} :

١ الديوان : عاطية الكأس .

٢ الديوان : قُرت .

٣ ديوان الفرزدق : ٢١٢ .

٤ ديوان جرير : ١٠٠١ .

٥ الديوان : تدليت تزني . . . وقصرت .

٦ ديوان امرئ القيس : ٢٤١ وقراسة الذهب : ٤٢ .

٧ ديوان ابن أبي ربيعة : ١١٣ وقراسة الذهب : ٤٢ .

وناهدةِ الثددينِ قلتُ لما اتكيتُ
فقلتُ على اسمِ اللهِ أمرُكَ طائعٌ
على الأرضِ في ديمومةٍ لم توتسِدِ
وان كنتُ قد عودتُ ما لم أعودِ

وذكرت بقوله : « على اسم الله » ما أنشده ثابت في كتابه « في خلق
الانسان »^١ مما له بهذا بعضُ تعلق :

تقول إذ أعجبها عتورُهُ^٢ وغابَ في كعشَبها^٣ جدُّمورُهُ^٤
أستقدرُ اللهَ وأستخيرُهُ^٥

وقال أبو نواس أيضاً^٦ :

فبتنا يرانا الله شرَّ عصابةٍ^٧ نجرُّ أذيالَ الفسوقِ ولا فخرُ

وهو القائل^٨ :

عصابةٍ شرِّ لم تر الدهرَ مثْلَهُمْ^٩ وان كنتُ منهم لا برياً ولا صفراً
إذا ما أتى وقتُ الصلاةِ رأيتهم يَحْتُونَهَا حتى تفوتهمُ سكرًا

وقال والبة بن الحباب^{١٠} :

.....

١ انظر كتاب ثابت : ٢٨٧ والسان (عتر) .

٢ عتر الذكر : اذا اشتد إنعاطه واهتز .

٣ ثابت : فقرتها .

٤ ديوانه : ٢٧٣ .

٥ الديوان : فقمتنا إليه واحداً بعد واحد .

٦ ديوانه : ٢٧٤ .

٧ انظر ترجمة والبة في الأغاني ١٨ : ٤٣ وتاريخ بغداد ١٣ : ١٨ وطبقات ابن المعتز

٨٧ والقوات ٤ : ٢٤٧ وقد ورد بيتاه في معظم المصادر المذكورة .

قلت لِنِئْمَانِي عَلَى خَلْوَةٍ أَذِنَ كَذَا رَأْسَكَ مِنْ رَأْسِي
وَنَمَّ عَلَى جَنْبِكَ لِي سَاعَةً لِنِي أَمْرُ أَنْكَحَ جُلَاسِي
وقال سُحَيْمٌ ١ :

وَبِتْنَا وَسَادَانَا إِلَى عَلَجَانَةٍ وَحَقِيفِ تَهَادَاهِ الرِّيحُ تَهَادِيَا
تَوَسَّلَنِي كَفَاً وَتَثِي بِمَعْمَمٍ عَلِيٍّ وَتَلَوِي رَجُلَهَا مِنْ وَرَائِيَا [٣١ب]
وممن كفى ولم يصرح ابن المعتز بقوله ٢ :

وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر
قال ابن بسام : والباب طويل والاكثار مملول . وتتبع كل معنى
يعترض . يخرج بي عن الغرض : فان سكت فترفيها ، وان أملت بشيء
فدلالة على الأدب وتنبها .

سائر أشعار ابن الأبار في أوصاف شتى

عُنِّيَ يوماً بشعر ابن الرومي حيث يقول ٤ :
وحديثها السحرُ الحلالُ لو أنه لم يكن قتلَ المسلم المتحرِّزِ
فسأله الوزير الشيخ أبو الوليد ابن المعلم الزيادة فيها ، فقال :

١ ديوان سحيم : ١٩ - ٢٠ .

٢ الديوان : ونحوي .

٣ ديوان ابن المعتز ٣ : ٥٠ .

٤ المختار : ٤١ وزهر الآداب : ٩ .

راق الرياض بزهره وبزهوه
عاقرتُ من طَرَبٍ عليه عقارةٌ
لكن تميّزُ في الكؤوس بنورها

وقال :

نطق العودُ فعاتبُ من نطقُ
لا تدعها قهوةٌ كَرخِيبةٌ
خَلَّتْها في كأسها إذ شُعْشِعَتْ
قهوة رقتُ وراقتُ كأبي
حاجبُ ما إنْ نبي أنملةُ
هو والإفضالُ روضُ وصبا
هو والأملكُ إن قيسوا به

قوله : « لم يدعها نوح » أشار إلى ما روي في بعض الأحاديث : ان
الشجرة التي أكل آدم عليه السلام منها في الجنة المنهي عنها شجرة العنب .
وروي أيضاً أن نوحاً عليه السلام لما نزل عن السفينة نازعه إبليسُ أصلَ
العنب ، فاصطلحا على أن لنوح الثلث ، ولإبليس الثلثان ، وإلى هذا أشار
يوسف بن هارون الرمادي^١ بقوله ، وهي من ملحه :

أبي الخمر لامتُ خلَّتِي مستهامها
كفرتُ بكأسي ان أطمعتُ ملامها
لمحمولة في الفلك من جنة المي
قد أوصي^٢ نوحُ غرسها وضمامها
فخادعةُ إبليسُ عنها لعلمه
بها فرأى كتمانها واغتمامها

١ انظر الشريشي ٢ : ٢١ - ٢٢ .

٢ م : فأوصي ؛ الشريشي : قد أوصى لنوح .

ففاز بثليها ونوحٌ بثليها
 له حظٌ أني وهو حظٌ مذكر
 وإننا لوراثٌ ، وقد مات جدنا
 ولولا مغيبي عنه لم يك رامها
 قليلٌ لعيني أن تطيلَ انسجامها
 غيبياً ، وإننا لا نجيز اقتسامها

ومن قصائد ابن الأبار الطويلة في المدح

له من قصيدة في اسماعيل [٣٢ أ] بن عباد قال فيها ١ :

حَيِّتَ من برق يُجِينُ جَنَانَهُ ٢
 كَالأَنَّهُ سَهَرًا وَبَاتَ مَكَالِي
 وَالصَبِيحُ يُشْهِرُ من سَنَاهُ صَوَارِمًا
 وَكَأَن جُنُحَ اللَّيْلِ طَرَفٌ أَدْهَمٌ
 وَكَأَنَّ غَائِرَةَ النُّجُومِ بِأَفْقِهَا
 وَكَأَنَّمَا الجُوزَاءُ إِذْ بَصُرَتْ بِهِ
 عَدَلُوا وَلَوْ عَدَلُوا أَوْ اسطَاعَ الهَوَى
 لَا تَكْتَرُوا فَالْحَبُّ فِي حَوْبَائِهِ
 مَلِكٌ إِذَا الهَبَّاتُ أَظْلَمَ جَنَحُهَا
 رَاعَتْ وَقَائِعُ بِأَسِيهِ حَتَّى لَقَدْ
 إِنْ كَانَتْ الأَسْدُ الضَّوَارِي لَا تَخَا
 وَجَدَا إِلَى أَهْلِ الدَّخُولِ دَخِيلًا
 حَتَّى رَأَيْتُ اللَّحْظَ مِنْهُ كَلِيلًا
 وَاللَّيْلُ يَرْفَعُ مِنْ دُجَاهُ سُدُولًا
 مُتَضَمِّنٌ مِنْ صَبْحِهِ نَحْجِيلًا
 عَنِ وَجْهِهِ تُغْضِي عِيونًا حَوْلًا
 أَلْقَتْ إِلَيْهِ نِطَاقَهَا مَحْلُولًا
 نُطْقًا لَكَانَ العَاذِلُ المَعْنُولًا
 كَالْحَمْدِ فِي أَسْمَاعِ اسْمَاعِيلَا
 فِي مَعْرَكٍ جَعَلَ الحِمَامَ ٣ دَلِيلًا
 تَرَكَ الحِمَامَ بِنَفْسِهِ مَشْغُولًا
 فُ صِيَالَهُ ٤ فَلِمَ اتَّخَذْنَ الغِيَلَا

١ المسالك : ٤١٩ وفي المغرب منها أبيات .

٢ المسالك : تشهد ليله .

٣ المغرب : جعل الحمام إلى الحمام .

٤ المغرب : لم تخف من بأسه .

إنَّ كَابِتَ الْبَيْضِ الصَّوَارِمِ لَمْ تَهَيِّمِ فِي حُبِّهِ فَلَمْ اِكْتَسِبْنَ نَحُولاً
لَمْ يَبْتَسِمِ تَغْرُ الْحِجَابَةِ زَاهِيَا حَتَّى غَدَا لِحَيْنِهَا اِكْلِيلاً
لَوْ تَحْفَزُ الْعَشَاقَ بَيْضُ سِيوفِهِ لَمْ يَتْرَكُوا عِنْدَ الْعَبُونِ ذُحُولاً

وما أحسن قولَ < أبي الفضل ابنِ شرف > ٢ :

لم يبقَ للظلمِ في أيامهم أثرٌ إلا الذي في عيونِ الغيدِ من حورِ

وقال المتوكل بن الأفتس في صفة سيفٍ وأخبر عنه :

لولا الفتورُ بالحاظِ الطباءِ إذن لقلتُ إني أمضى من ظبأِ الحدقِ

ومن قصيدة ابن الأبار :

غُضُّوا الملاحظَ إنَّ نورَ جبينه يُعشي العيونَ ويبهِّرُ المعقولا
ولقد خشيتُ على الثرى وعلى الورى لما دتوا من كفه تقيلا
هل كان يعصمُ منه إلا عقوه لو أن أنمله جرَّينَ سيولا

الأديب أبو الحسن علي بن حصن الاشيلي ٣

من مشاهير شعراء المعتضد أيضاً ، أحد من راثر سهام الألفاظ بالسحر

.....

١ م : سيوفهم .

٢ انظر المغرب ٢ : ٢٣٢ والنفع ٤ : ٦٧ .

٣ له ترجمة في الجذوة . ٢٩٦ ، ٣٧١ (البنية رقم : ١٢٣٢ ، ١٥٢٣) والمغرب

١ : ٢٤٥ ، وذكره في رايات المبررين ١١ (غ) ؛ ونقل ابن سعيد عن الحارثي قوله ان ابن حصن

نشأ مع المعتضد فاستوزره إلا أنه كان فيه طيش أداه إلى حتفه ؛ وانظر أيضاً النفع ٣ :

٢٩٦ ، ٤٢٩ وبدائع البدائه : ٣٦٧ والمسالك ١١ : ٢١٧ .

الحلال ، وشق^١ كرائم المعاني عن أيين^١ من محاسن ربّات الجمال ، بين طبع أرق^٢ من الهواء ، وأعذب من الماء ، وعلم^٣ أغزر من القطر ، وأوسع من الدهر ، إذا ذكر شعراً ظن^٤ أنه صانعه ، أو ديواناً توهم أنه مؤلفه وجامعه ، واني لأعجب^٥ من قوم من أهل أقدنا لم يعرفوه ولم ينصفوه ، فأضربوا عن ذكره ، وزهدوا في أعلق شعره ، ولعلم^٦ حاسبوه بنزع علات كان يعبث^٧ بها بين مجونه وسكره ، وهيبات فضله أشهر ، وإحسانه أكثر ، ولو تأملوا قوله من قصيدة في اسماعيل بن عباد : [٣٢ ب]

بَكَرَتْ سُحْرَةَ قُبَيْلِ الدَّهَابِ تنفضُ المسكَ عن جناح الغرابِ^٨

وقوله على أنها من عبثاته^٩ :

عليّ أن أتدلّل^{١٠} له وأن يتدلّل^{١١}
خد^{١٢} كأنّ الثريا عليه قرط^{١٣} مسلسل

لعلموا أنه رأس الصناعة ، وإمام الجماعة .

ولما هيّت^{١٤} المعتضد^{١٥} بأبي الوليد بن زيدون فأنحط^{١٦} في حبله ، وتولى إلى ظلّه — حسبما قدمت ذكره في أخباره من القسم الأول — أفرج له عن صدرِ النادي ، ونخلى^{١٧} بينه وبين بجوحة الوادي ، وهو يظن^{١٨} أن سيّجري بالخلاء^{١٩} ، ويستولي على حملِ اللواء. فانتحاه من ابن حصن هذا شيطان^{٢٠} مريد ، وطلّغ^{٢١} عليه منه رقيب^{٢٢} عتيد ، وطلق ينازع^{٢٣} انراية ، ويسابقه إلى

١ المسالك : أفتن .

٢ المغرب : تنفض الماء ، د . غراب ، والبيت في المسالك .

٣ انظر النفع ٣ : ٤٢٩ .

٤ فيه إشارة إلى المثل : كذا يجير في خلاه يسر .

الغاية، وإن كان أبو الوليد ربما غمره بمكانه، وتمكُّنه من سلطانه . وكان المعتضد ، لشلوذ مناحيه ، وفضل عريدة كانت فيه ، ربما أغرَى بينهما إذا اجتماعا في مجلسه، فيتمكن لابن حصن التقدمُ عليه ، بسعة ذرعه ، ورضاه بالفضو من طبعه ، وكان ابن زيدون قد جرى من الكلام إلى غاية لا يتعدّاها، ولا يرضى من نفسه إلا بلوغ أقصاها ، ولا يمكنه ذلك منها إلا في مهلة طويلة ، وعلى كلفة ثقيلة ، فربما كبا جواده ، وتأخّر مرادُه ، ولم يزل أبو الوليد يُطرقُ ويحلم ، ويسدّي في أمره ويُنحِم ، وابن حصن يفتُرُ ويُقدِّم ، ففاز ابن زيدون بحلمه وتوقُّره، وهوى نجم ابن حصن بين اغتراره وتهوُّره ، فزلت قدمه ، وطاح دمه ، في خبر مشهورٍ مذكور ، «وعند الله تجتمع الخصوم»^١ وإليه ينتهي الظالم والمظلوم .

جملة من أشعاره في صفات مختلفة

قال :

ألا قلْ لبدرِ الدجى ما عداهُ مما بدا من نوالِ نوى لي^٢
وهاتِ اشْفِيَيْنِ غُلَّتِي بالمدام فان بناتِ الدوالي الدوا لي

وقال^٣ :

.....

١ عجز بيت من الشعر، وصدرة « إلى ديان يوم الدين نمضي » والبيت لأبي العتاهية في ديوانه :

٣٥٣ والأغاني ٤ : ٥٣ وهو دون نسبة في ابن خلكان ٦ : ٢٢٩ .

٢ س م : نوال .

٣ المسالك ١١ : ٢١٧ .

وربّ شعله نارٍ
أليس ذلك عجباً^١
كأنما عصرت من
إذا بدت لك في قط
حسبته شفقاً صُ
شفيتُ منها أوري
يُطغى الغليلُ بنارٍ؟^٢
شقائق الجلتار
مة من البلاّ
باً في زجاجِ نهار

وقال^٢ :

قم يا غلام فسقنيها واطرب
من قهوةٍ صفراءَ ذاتِ أسيرةٍ
نخضبتُ بنانَ مديرها بشاعها
واشربُ عتبتُ عليكَ إن لم تشربِ
في الكأسِ تأتلقُ اثلاقَ الكوكبِ
فِعِلَّ العرارةِ في شفاهِ الربربِ

وقال :

مالي وللراحِ | وأخلاقها
هات اسقنيها الآن تبريةً
راحٌ متى راحت بكفّي فقد
ولائمي فيها لإخلاقها
تحكي^٣ سنا الشمس بإشراقها
قامت لي الدنيا على ساقها

وقال :

ولي نديمٌ راقدٌ ليلتهُ
نادى به مازحئنا في الدجى
قلت له : دعه فلا بدّ من
أعدى من الحينِ على الأنفسِ
والوردُ مقرون مع النرجسِ
نيلوفرٍ في وَسَطِ المجلسِ

.....

١ ط : أليس ذا عجباً أن .

٢ وردت في المغرب ١ : ٢٤٦ والمساك ، والأخير منها في رايات المبرزين : ٤٠ (١١ غ) .

٣ ط : تحوي .

وقال :

قد شُغِلَ الناسُ بذكرِي وما شُغِلَ إلا الكأسُ والآسُ
ماذا على الناسِ من الناسِ ما أحقَّ بعضَ الناسِ يا ناسُ^١

[٣٣ أ] ومن مستظرف مجونه قوله ٢ :

بأبي طيبي صغير السنِّ ن حازت ٣ ثلثَ سنِّي
سرِّي أنْ ليس يدري مذهبي فيه وفني
فهو يدعوني عمًّا وأنا أدعوه يا ابني
ذاك عندي وأبي أطر ف ما مرًّا بأذني
قلتُ لما أنْ بدا لي وجهه < من > تحت بطني
قال ماذا قلتَه لي ؟ قلتُ خيراً فيك أعني
أنا صبٌّ فيك ميت فاتقِ الله وصلِّني
لستُ أخشى الموت إلا خوف أن تبعدُ عني
فاكتستُ وجنتَهُ رَوَّ ضة ورد فنتني
لو ترى مجلسَ لهوي قلتُ ذا جنَّةٍ عدنِ
ومدامي خندريس لم يشبها ماءُ مزنِ
لو تراني قلتَ هذا ملكٌ ما ذا ابنُ حصنِ

....

١ سقط هذا البيت من م .

٢ وردت أبيات منها في المغرب ١ : ٢٤٦ وتحفة العروس : ١٦٨ .

٣ كذا في النسخ ، على التائيث ، ولعله « حاذي » .

٤ ط م د س : تنأ .

٥ ط : مالك .

ومعي مُسْمِعةٌ تشربُ كأساً وتغني
 وإذا ما شربتُ كأساً من الراح سقني
 قَهَوْتِيْ خَمْرٍ وَعَيْنِيْ بهما قد أسكرني
 قلتُ للمازج خُذْ صافيةً مِنْهَا ومني
 فاسقنيها بِكَبِيرٍ فإن أعيأ فبدنٌ
 فلقد شاقَ فؤادي رنةُ العودِ المرنِ
 فَتَسَاقَيْنَا إلى أن جازَ جَوُزُ اللَّيْلِ عني
 قمتُ نشواناً وقامتُ في تهادٍ وتثني
 ونضتُ عنها قميصاً ثم لما ضاجعتني^٢
 قَلَبْتُ بطناً لبطنٍ^٣ قلتُ لا ظهراً لبطن
 فأنثتُ في خَجَلٍ قائلَةً عند الثنني
 أنا حانوتُ بوجهين^٤ فَلَطُتُ إن شئتَ وازن
 لم أقلُ من كلِّ ما فُهِتُ به غيرَ التمني
 إنما الشعرُ فكأها تٌ وحسبي حُسْنُ ظني^٥

قوله : « قلت لما أن بدا لي وجهه »^٦ . . . البيت ، مما أراد أن يصهل

١ المغرب : بتهاد .

٢ م : ضجعتني .

٣ المغرب : لظهر .

٤ أصبح هذا مثلاً عند الاندلسيين ، انظر المثل رقم : ٨٣٦ من أمثال الزجاجي (٢ : ١٩٠) .

٥ م س : ظن .

٦ أورد البيت كاملاً في النسخ ، وذلك لا يلتئم مع اثباته لفظة : « البيت » التي تشير إلى حذف .

فيه فنهق ، وأن يتغزل فزلق ، وإنما أراد قول عمر فقصر ، وما أورد
ولا أصدر ، حيث يقول^١ :

قلت يوماً لما وحركت العو دَ بمضراها فغنتُ وغنّى
ليتني كنت ظهرَ عودك يوماً فإذا ما احتضنته^٢ كنتُ بطنا
فبكتُ ثم أعرضتُ ثم قالت من بهذا أذاك في اليوم^٣ عتاً
قلتُ لما رأيتُ ذلك منها بأبي ما عليكِ أنْ أتمنى

وقال ابن حصن^٤ :

أمتُ إليه فما يُسْعِفُ وأشكو جفاهُ فما يُنصِفُ
غزالٌ كحيلٌ له ريقةٌ يُشَابُ بها المسكُ والقرقَفُ
كانَ العذارَ على خدهِ نجادٌ ومقلتهُ مُرَهَفُ

وهذا كقول ابن رشيق القيرواني^٥ ، وهو من متداولات المعاني :
وهل على عارضيه إلاَّ قلائدُ^٦ قلّدتِ حساما

وقال في الشقير^٧ :

وبستانٍ أعجبتُ الطُرفَ عنه على شقر كمثل لحى الديوكِ
كانَ حبابِ ثاويِ الطلِّ فيه جُمانٌ فوق تيجانِ الملوكِ

١ ديوان عمر : ٤٣٩ .

٢ الديوان : احتضنتني .

٣ ط د : النوم .

٤ منها بيتان في المسالك ومعاهد التنصيص ٣ : ٨٢ .

٥ ديوانه : ١٦٩ ووفيات الأعيان ٢ : ٣٦٦ - ٣٦٧ .

٦ الوفيات : وهل ترى . . . حمائلا .

٧ الشقر : شقائق النعمان .

وقال ١ :

شربناها كَيْتَ اللونِ حتى رأيتُ الفجر قد وضعَ النقابا [٣٣ب]
عجوزٌ عَتَّقَتْ حِجْجاً ولكنْ تروكُ كلما شابتُ شبابا
وأحسب أنها كانت عقيفاً جرتُ أنفاسنا فيه فذابا

وقال ٢ :

يُجْحَفُ ٣ عنها الدنُّ فاستعبرتُ جرياً كما قوسٌ إكليلُ
كانها في الكأسِ مبيضةٌ خيطٌ من الفضةِ مفتول

وقال :

طلَّ على خَدَّهِ العِدَارُ فافتضح الآسُ والبهارُ
وابيضَّ هذا واسودَّ هذا واجتمع الليلُ والنهارُ
وقد جرى للنعيم فيه ماء بأحشائي منه نار
أقام من فوقه حبابٌ يطيرُ من تحته شرار
أغضُّ جفني عنه لأنِّي عليه من مقلتي أغار
رشا أعارَ الغزالَ لخطأ فحسُّنُهُ منه مستعار
شربتُ من خمري مقلتيه كأسين لي منهما خمار
متى أرمُ سلوةً نهاني غنُّجٌ بعينيهِ واحورار

١ وردت في المسالك ١١ : ٢١٨ .

٢ وردا في المسالك .

٣ ط م د س : يحجب ؛ المسالك ، حجب ؛ ويحجف : يقشر .

٤ المغرب : من صبها ؛ المسالك : منصبة (وهي قراءة جيدة) .

٥ وقد جرى : سقطت من م س ط .

٦ عنه لأنِّي : موضعها بياض في م ط س .

عِدَارُهُ قَائِمٌ بَعْدَ رِي فليس لي في الهوى اعتذار
حكى غزالَ الفلا نِفَاراً فشأنه التَّيْبَةُ والنَّفَار

وكان يوماً على وادي قرطبة في مجلس أنس فتذكر اشبيلية ، فقال :

ذَكَرْتُكَ يَا حَمصُ ذَكَرَى هَوَى أَمَاتِ الحُسُودَ وَتَعْنِيَتَهُ
كَأَنَّكَ وَالشَّمْسُ عِنْدَ الغُرُوبِ عروسٌ من الحَسَنِ مَنحُوتَةٌ
غدا النهرُ عَقْدَكَ وَالطَّوْدُ تَاجَكَ وَالشَّمْسُ < فِي > أَعْلَاهُ يَاقُوتَهُ

وقال ١ :

اشربْ عَلَى طَيْبِ نَسِيمِ السَّحَرِ وانظر إلى غُرَّةِ ذَاكَ القَمَرِ
كَأَنَّهُ ماءٌ غَدِيرٌ صَفا والمحقُّ فِيهِ مِثْلُ ظِلِّ الزَّهَرِ

ومنها :

أَنشَدَكُمُ شعري كمن قد قرأ سورة ياسين على من كَفَرَ
فِي نَفْسِي أَسْتَغْفِرُ اللهَ بل فِي بَقَرٍ لولا اِخْتِلافُ الصُّورِ

ما أخرجته من قصائده المطولة في المدح وما يتشبه به

قال من قصيدة ٢ :

وما راعني ٣ إلا ابن ورقاء هاتفاً على فننٍ بين الجزيرة والنهرِ

١ البيتان في المغرب ١ : ٢٤٦ والمسالك .

٢ انظر المغرب ١ : ٢٤٧ والمسالك ١١ : ٢١٩ وسرور النفس : ١٠٢ وعنوان المرقصات :

٢٦ ونهاية الأرب ١٠ : ٢٦٧ وحلقة الكميث ٢٨٦٠ ورايات المبرزين . ٣٩ (١١ ع).

٣ خ بهامش ط : هاجني ، وكذلك هو في سرور النفس .

مُفَسِّتِقُ طوقٍ لازورديُّ كلِّكل
أدار على الياقوت أجفانَ لؤلؤي
حديدُ شَبَا المنقارِ داجٍ كأنه
توسَّد من عُوْدٍ^٢ الأراكِ أريكةً
ولما رأى دمعي مُراقاً^٣ أرابه
فحثَّ جناحيه فصنقَ طائراً

ومنها في المدح :

جوادٌ يرى أنَّ العلا خيراً ما اقتنى
يرى أنه عريانٌ من كلِّ ملتبسٍ
طموحٌ إلى العلياءِ كاسٍ من التقى
يروقك منه خِلْقَةٌ وخلقَةٌ

وهذا مما ذهب به مذهب أبي الطيب وقصر عنه^٤ :

وأخلاقٌ كافورٍ إذا شئتُ مدحه
وإن لم أشأ تُملي عليّ وأكتبُ

وقال من أخرى :

أقامَ قناةَ الدين واقتمد العلا
وشدَّ عرى الاسلام واخترمَ الشرُّكا

١ ط : التبر .

٢ خ بهامش ط : فرع ، وكذلك هو في سرور النفس .

٣ سرور النفس : توأماً .

٤ ديوان المتنبي : ٤٦٥ .

٥ م ط س : واعترم .

يضيق الفضا عن أن يكونَ لبانه وتدنو الثريا أن تكونَ له سمكا
أدرتَ وقد دارتَ رحي الحرب عزيمةً أبادتَ ذوي الشحاء صولتُها هلكا
قآبوا وسُمُرُ الخطِّ سائلةٌ دماً وأجسامهم ينضحنَ من صدأ سهكا
قبائلُ ما انفكتَ تغادرُ في العدا وقبعة غسانٍ غداة غزتَ عكاً^٢

ومنها في الحرباء :

تظل ترى الحرباءَ فيها مرفعاً يدَيّ كاتبٍ ما زال يدعو وما انفكا
قال ابن بسّام : وقد أكثر الناس في وصف الحرباء وانتصابها ، وكنوا
بكل شيء عن تلوتها وانقلابها ، فممن أحسن في التشبيه ، وذهب بهذا المعنى
مذهباً من الحسن لا شك فيه ، ابن الرومي بقوله^٣ :

ما بالها قد حُسنتَ ورقبيها أبدأ قبيحٌ ، قُبِحَ الرقباءُ
ما ذاكَ إلا أنها شمسُ الضحى أبدأ يكون رقيبها الحرباءُ

وقال ابن بابك في غير هذا المعنى ، ولكنه في ذكرها معه التقى^٤ :
بغرة كشماع الشمس لو برزت في ظلمة الليل للحرباء لانتصبا
ونقله بعض أهل عصرنا فقال في صفة يدياء :

١ ط د : ويدنو .

٢ يريد قبيلة عك .

٣ ديوان ابن الرومي ١ : ٦٣ والتشبيهات لابن أبي عون : ٢١ والشريشي ٢ : ١٨٠ .

٤ البيتية ٣ : ٣٧٩ .

٥ البيتية : ذو غرة . . . لو برقت . . . في صفحة .

بيت حرباؤها ضحيانَ متصباً وإن أظل^١ فلم ينظرُ إلى نُورِ
وقال :

بجيث ترى الحرباءَ بالشمس كافرأ ولو أنه جاءته من جنّتي عدنِ
ولو يستطيع التفّ في ظلّ عوده على وشكٍ ما يعني وقلّة ما يعني
وقال أبو العلاء^٢ :

أوفى بها الحرباءُ عودَي منبرٍ للظهيرِ إلا أنه لم يخُطِبِ
فكأنه رام الكلام ومسه عمي فأسعدته لسانُ الجندبِ
وقال أيضاً^٣ :

وساحرةٍ^٤ الأقطارِ يجني سرايبها فتصلبُ حرباءٌ برياً على جذعِ
وقال عبد الجليل المرسى :

بقلبٍ كحرباء الظهيرة لا يني مع الشمس من ذاك الشعاعِ يدورُ
وأرى أولّ من ذكرها ذو الرمة في قوله^٥ :

غدا أكهبَ الأعلى وراح كأنه من الضيحِ واستقباله الشمسِ أخبر^٦

.....

١ م : أطل .

٢ شروح السقط : ١١٣٣ .

٣ شروح السقط : ١٣٥١ .

٤ ط م د س : وساجرة .

٥ ديوان، ذي الرمة ٢ : ٦٣٣ .

٦ الديوان : أخضر .

وقال ابن حصن من قصيدة أولها^١ :

أعاجوا المهاري بالعقيقِ فمنعجِ وأوضح منهم توضح كل منهج [٣٤ب]
على نؤي دارِ الركبِ عرجُ فانه حرامٌ علينا السَيْرُ إن لم نَعْرَجِ
على نؤي دارٍ قد تبقى كأنه وقد مَحَّ منه شَطْرُهُ نصفُ دُمْلُجِ

ومنها :

بعيدةٌ مهوى القرطِ مُصَمَّتَةُ البرى لطيفةٌ طي الكشح ريثاً المدمج
تعصّ على العنّابِ بالبردِ الشهي وتمسح ماء الطلّ فوق البنفسج
جلت بعقيقِ جوهرأ فتبسمت وذبت عن الوردِ النديّ بصولج

ومنها :

فقلتُ صلي قد ضقتُ ذرعاً بهجركم فقالتُ صهٍ قد ضقتُ ذرعاً بدملجي

وهذا المعنى مشهور ، هو في شعرهم كثير ، إلا أنه غورّه وأبعده ،
وأوعر لفظه وعقده ، والذي إليه أشار ، وعليه دار ، قول أبي تمام^٢ :
يعيرني^٣ أنْ ضِقتُ ذرعاً ببينيه ويجزعُ أنْ ضاقتُ عليه خلاخله^٤

ومن مدح هذه القصيدة :

جزيلُ التقى يمشي الهوينا تواضعاً ويهتزُّ إعظاماً له كل خنبُج^٥

١ منها أربعة أبيات في المسالك .

٢ ددوان أبي تمام ٣ . ٢٤ .

٣ الديوان . ٠ يعنني

٤ الخنبج . الضحم ؛ وفي ط خنج .

وهذا المعنى مما ركب فيه ابن حصن رأسه وجكّم هواه، والمعنى مشهور في من وصف بالنسك ومُدِح بالانسلاخ عن أبته الملك ، ومن ذلك ما قال أبو تمام^١ :

يقول فَيُسْمِعُ ويمشي فَيُسْرِعُ ويضربُ في ذاتِ الإله فيوجعُ

ورأت عائشة^٢ رضي الله تعالى عنها رجلاً ناسكاً يداني الخطى ويخفض الصوت فقالت : ما بال هذا ؟ قيل : هو ناسك ، قالت : عمر والله كان أنسك منه ، ولكنه كان إذا مشى أسرع ، وإذا تكلم أسمع ، وإذا ضرب في ذات الله أوجع . وأبو تمام بهذا الكلام ألم^٣ ، وبه ترنم . وفي الحديث^٤ أنه كان صلى الله عليه وسلم إذا مشى تكفأً كأنه ينحدر من صيب .

وقال من أخرى^٥ :

خليليّ من يضحى إلى البدر شافعي
يعزُّ على واديهمُ أن أزورهمُ
وما شفّني وادٍ تَضَوَّعَ عنبراً
تدرِّجُ عطفيه الرياحُ فيثني
فما لي على وجددي به من تصبيري
فلا يردون الماء غير مكدر
سواه ولا ماءً يشابُّ بسكّر
تشيّ أعطافِ التزيّفِ المخصرِ

ومنها :

١ ديوان أبي تمام : ٣٢٦ .

٢ ورد في طبقات ابن سعد ٣ : ٢٩ منسوباً للشفاء ابنة عبد الله .

٣ انظر مسند أحمد ١ : ٨٩ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ٣٤٨ ، ٢٢٨ ، ٢٧٠ .

٤ منها خمسة أبيات في المسالك .

٥ المسالك : أزوره .

٦ د . الغزال المخصر ، م : المحصر .

والآ فلي منهم بِمُنْعَرَجِ اللوى
مُعْرَسُ صيدان وأعطانُ بَزَلِ
معاهدُ لم أعهدُ بها عكَل الصبا
وصلتُ بها عيشاً كأنى قطعته
فكم غمرة جلتى شكرتُ لها الدجى
وما استيقظتُ إلا لقرع حجالها
وقالت : هو الميمانُ ما باله انتهى
إلى كم أناجى كلَّ أبيض صارمٍ
وحتامُ أستدعي الظُّبا سلماً إلى

[٣٥أ] ومنها :

علائمُ لا تخفى على المتبصرِ
ومسرحُ غزلانٍ وآرى ضمتر
ثماداً وفينانِ الهوى غير مثمر
على ظهر خوارِ الحديدلين مُجفتر
وعنفتُ أوضاع الصباح المشهر
وجرسِ جُرْبَانِ الحسامِ المفقتر
ومن دوننا أهوالُ بيدٍ ومعشر
هوى كلَّ أحوى بالصريمةِ أهور
لقا كلَّ ظبيٍ بالسماوةِ أعفر

تحمى هداجاً بالظبا كلَّ هودجٍ
وقائع تغتالُ^٣ النفوس كأنها
فتى كفرنند السيف أرهيف حدتهُ
أخو الحرب مَشَاءُ إليها ترهوكاً؛
إذا شهد الهيجا فأولُ مُورِدِ
يفاجيكَ عفواً منه جودُ بنانهِ
ويغشاك دون السترِ نورُ جبينه

له واشتجاراً بالقنا كلَّ مشجر
وقائعُ عبادٍ لدى كل عسكر
يهولك في مرأى نبيلٍ ونخب
إذا سهيك الأبطالُ تحت الستور
حرائبها عتلاً وآخرُ مُصدر
بأغدق من صوبِ الغمامِ وأغزر
بأشرق من ضوء الصباحِ وأنور

١ د ط س : جريان ؛ وجرمان السيف : غمده أو هو قراب ضخم يضع المرء فيه السيف وأدوات أخرى ، والمفقتر : السيف الذي فيه حزوز مطمئنة عن مثته .

٢ د : بالصرائم .

٣ المسالك : تخار .

٤ م ط س : تركوها ؛ الترهوك . مشي الذي كأنه يموج في مشيته .

تَكَفَّكَتِ الْأَبْصَارُ عَنْهُ بِمُؤَدَمٍ ۚ
مُقَابِلِ أَطْرَافِ الْعُمُومَةِ مُخْوَلٍ ۚ
أَسْتَخْبِرِي عَنْهُ ، عَنْ الدَّهْرِ لَا تَسَلْ ۚ
أَرْقَى إِلَى السَّيِّعِ الشَّدَادِ تَخْرُصاً ۚ
ومنها في وصف قصيدته ٢ :

تَذَكَّرْتُ لَيْلِي لِلْقَوَافِي فَلَمْ تَزَلْ ۚ
فَدُونِكَ عَذْرَاءَ الْمَعَانِي ۚ ابْتَدَعْتَهَا
إِذَا مَا الرِّوَاةُ اسْتَنْشَدَتْهَا تَبَرَّقَعْتُ
ومنها في التعريض بابن زيدون :

وَيَنْكَلُ عَنْهَا شَاعِرُ الْمَصْرِ كَلَّتْ
وَدُونِكَ فَاحْكُمْ بَيْنَ نَظْمِي وَنَظْمِهِ
وَلَسْتُ بِكَاسِيهَا مَدَى الدَّهْرِ حُلَّةً ۚ
وَمَا أَنْتَ مِمَّنْ يُحْمَدُ السِّيفُ عِنْدَهُ
أَلِفَاضِحْكُنْ ۚ مِنْ شَاعِرِ الْمَصْرِ وَاسْخِرِ
بِذَهْنٍ ذَكِيٍّ ۚ ثُمَّ قَدَّمَ وَأَخَّرَ
بِنِغْمَةٍ ۚ إِنشَادٍ ۚ وَلَا بِمَكْرَرٍ
بِجُودَةٍ ۚ صَقَلٍ ۚ وَهُوَ غَيْرُ مَذَكَّرٍ
وله من أخرى :

١ هو مؤدم مبشر : وصف للرجل الكامل أي جمع لين الأدمة ونعومتها وهي باطن الجلد وشدة
البشرة وخشونتها وهي ظاهر الجلد ؛ ويقولون امرأة مؤدمة مبشرة إذا حسن منظرها وصح
مخبرها .
٢ ط : وإنما ؛ س د : وأنا .
٣ ومنها . . . قصيدته : وقع في د قبل قوله « أرقى إلى السبع . . . » .
٤ د : خوداً للمعاني .

أبي أبدأ إلا اصطحاب ثلاثة
 حسامٌ ويعبوبٌ وسمراءٌ لدنةٌ
 أجال على الصحراء أجرد ساجماً
 طليعة عيني منه أذنٌ حديدةٌ
 شككت ظلمة ظلمان كل مفازة
 وصاغ من الاكليل حلياً لنحره
 أصرف منه في الأعينة بارقاً
 ومنها :

أحن إلى البرق اليماني إذا انتحى
 متى حُسب الأملك من كل أمة
 به نسخت أيدي الليالي ملوكها
 وقال من أخرى :

جفا الأبردين الماء والظل وارفاً
 معنى بأجباب يسائل عنهم
 ثنتى ذكره المثنى مخايل دمة
 أسي بالتي من أجلها اقتحم القنا
 محش وغى وراد ما حمت القنا
 تبوأ أفياء القنا وكفى بها
 ومنها :

وأبيض مهو لم تجده إذا انتمى
 إلى الشرف العادي يعدو المشارفا

١ المهو من السيوف : الرقيق ، وقيل هو الكثير الفرند .

أَعَارَتْهُ أَنْفَاسِي التَّهَابَا وَرَقَرَقَتْ
وَرَاقِ العُدَارَى حُسْنُهُ فَأَعْرَنهُ
تَخَالُ مُذَابَ التَّبْرِ فَوْقَ لُجَيْنِهِ

ومنها :

يَذَكِّرُنِي البرقُ اليماني إذا انتحي
على عَاتِقِي نُهْلَانٌ مِنْهُ غَمَامَةٌ

ومنها :

سقى عَهْدَهَا بالخيفِ غَادٍ ورائحُ
فكم ليلةٍ نازعت كَفَّ الميِّ بها
معاهدُ أَسْتَسْقِي لها أنْجِعَ الحيا
تحمّلي ما لا أَطيقُ وطالما
بما بيننا ما بال قلبك لا يُرى
رويدك بالغصن الخضيدِ فانها
وفكّي أسيراً من ثقافك إنها
إذا جنَّ ليلٌ أو ترنمَ طائرٌ
طوى نحوك الأجزاءِ يرعى خلالها
تبدل من ريح القرنفلِ بالضحي
ومن قدّان غنّتهُ شدوا قبانهُ

عليه جفوني مَوْجَ دمعي ذارفا
دماجَ خصورٍ واثلاقَ سواففا
سواكاً بأفواه الكواعب لاصفا^١

لدى الهزّ برقاً من حفافيه خاطفا
إذا أسدّف الليلُ استهلّت سداثفا

وأيامنا بالجزع منه السّوالفا
جنى الوصلِ حلوا الطعمِ والعيشِ غاضفا^٢
وقاءً وأستصحي الدموع اللوارفا
عرُفتُ صبوراً في الملمات عارفا
على عِطْفِكِ المِضْنى بردُ فِكِ عاطفا
روادفُ يتركن الجبالَ رواجفا
مضاربُ الحَظِّ بَهْرَنَ المِثاقفا
حسبتُ به طيفاً من الجنّ طائففا
صفائف^٣ والأجزاءُ تندى صفائففا
ذواري من أرواحها وذوارفا
تقاتل من ألعانها وخفاففا

١ لصف : برق وتلألأ .

٢ الغاضف : الناعم البال .

٣ د : صفائف ؛ وأرجح أن تكون القراءة « صفائف » .

وبالرَّمْلِ مرتجاً وبالْبَانِ مائساً
 وبالنتفسِ النَّفَّاحِ من نحو أرضهم
 وبالْأَمْلِ^٢ [الملقي] بأطرافه على
 فتيّ تردُّ الأملاكُ سُدَّةً بابه
 تخالمهمُ من كلِّ شرقٍ ومغرب
 يؤمّونُ بحراً يتركُ البحرَ جودُهُ
 مكارمُ تُنْبِي^٣ حدّ ذهني وتغندي
 نماهُ إلى العلياءِ كلَّ مُدَجَّجٍ
 وآسادُ آجامٍ تهبُّ رياحُهُمْ
 إذا ما انتفضوا بيضَ السيوفِ حسبتهُم
 يهزّونَ بالسُّمْرِ اللدانِ أشاجماً
 ترى البِشْرَ منهم في صحائفِ أوجهٍ
 يصونونُ أحساباً كراماً وأوجهاً
 تلاقى هضمِ المجدِ فاخضرَ عودُهُ
 إذا جمدت كفُّ الكرامِ عن الندي
 وجدت أبا عمرو على كلِّ حالةٍ

روادفَ يملأن الملا ومعاطفا
 غواليّ يلقينَ الرياحَ غوالفا^١
 أبي عمرو الأعلى تليداً وطارفا
 كما تردُّ الماءَ الحمامُ عوائفا
 طوائفَ بالبيت العتيق طوائفا
 غريقاً، وبدراً يترك البدر خاسفا [٢٦٦]
 مصاييحُ فكري في دجها توالفا
 يَرَّاحُ إلى المعروفِ جلدانَ عارفا
 غداةَ الوغى في الناكثين حراجفا^٤
 شمسَ ضحىّ تُبْدي بروقاً خواطفا
 عوارِيّ بالطننِ التوامِ عوارفا
 قرأنا^٥ عليها للنجاح صحائففا
 حسناً وأحلاماً حصاناً حصائففا^٦
 ولولا تلافيه لأصبحَ تالفا
 وغلّفها مرّةً السنين جلائفا^٧
 جواداً بما يحويه سمحاً مًلاطفا

١ ط م س : عوالفا .

٢ د : وبالأمّن .

٣ تنبي : تسبب فيه نبوة .

٤ الحرجف : الريح الباردة .

٥ ط د س : قرانا .

٦ م : حصافاً ؛ م ط : حصائففا .

٧ جلائف : مقطوعة متصلة .

وأصبحتَ للدنيا وللدين كالنأ
 رمتي صروفُ الدهر خيفاً عيونها
 وأصلحتَ أحوالي وكنّ فواسداً
 وأوردتني صدهاء^١ ودك سلسلاً
 وأرّضتَ أطماعي وكنّ خشاشياً
 وإني وإنّ أحكمتُ نظم جواهر
 لملق سبيك العسجد المحض منك في
 وأنشيدك السحر الحلال مخاطراً
 وأجنيك من شكري بوردي مضاعف
 وتمنحي بده الكريم وتارة

وله من أخرى أيضاً :

على الظنّ أني عنك سأل ولم أكن
 ومن فرقي لا تعجبي وتعلمي
 وإني وإن عاقت عوائق دوننا :
 ليذكريك المسي والصبيح والدجى
 مشمّ ذكرك عرقه^٢ ، ومقبّل
 سلوت^٣ ولكن عن صبح أرقق^٤
 بأنّي ملدوخ^٥ من الحبل أفرق
 رقيب عتيد^٦ أو فراق^٧ مفرق
 وجوز الضحى ، كل إليك مشوق^٨
 شهبي^٩ ، وصدري ناهد^{١٠} ، ومعتق^{١١}

١ س ط : سراد .

٢ فيه إشارة إلى المثل : « ماء ولا كصدهاء ومرعى ولا كالسدان » .

٣ ط : أبرضت ؛ وأرضت : جعلتها أريضة مرعة ، والخشاشي : الأرض الصلبة ذات الحصى ،
 والخشائف : اليابسة .

٤ من المثل : « أعن صبح ترقق » يضرب لمن يعرض بشيء وهو يريد غيره . انظر فصل المقال :

٧٥ والضحبي : ٥٣ .

وخذ^١ غدا يستغفر الله كلما
 يخادعه مكرأ فيحسب^٢ أنه
 وليل زمان الوصل منك لحفته
 نترق من نظم الكلام ونثره
 حديثاً كعرف العنبر^٣ الورد بيننا
 جلت وهي عبّرى عن محيا نقابتها
 تكاد بلحظ الوهم تندى غضارة^٤
 ومما يغيظ^٤ الخيزرانة^٤ أنها
 إذا طفقت^٤ تمشي الهوينا تهادياً
 أرتك الهوى رُشداً ولم تعد^٤ أنها
 وإن سقرت^٤ تفر^٤ عما يجيدها
 سمعت^٤ قلوب^٤ العاشقين كأنها
 مليك^٤ له مرأى جميل^٤ ومخبر^٤
 تلوذ^٤ بحقويه الملوك^٤ كأنها
 إذا صال كاد النجم^٤ من شد^٤ صوله^٤
 وإن لقي الأعداء ولت^٤ كأنها
 له من نبيل^٤ الرأي سيف^٤ وذابل^٤
 ذكي^٤ إذا حاك الكلام^٤ رأيت^٤

تخلّله^١ لحظي^١ يعيث^١ ويفسق^١
 يناجيه سرّاً وهو يزني ويسرق
 بيوم^١ به كل^١ الأمانى^١ تلحق
 سلاًفاً^١ تسقأها^١ الجريشى^١ وتغيبق^١
 مع المسك مفتوقاً^١ يدّر^١ ويسحق^١ [٣٦ب]
 كما انحل^١ خيط^١ المزن^١ والشمس^١ تشرق
 وتعتقد^١ لينا^١ بالبنان^١ وتطلق^١
 بعقدتها^١ فوق الحشا^١ تتمنطق
 كما انساب^١ مشحوناً^١ على الماء زورق
 أراك^١ على وعساء^١ بالحلني^١ تورق
 وعن مثل ما تفر^١ من ذلك تنطق
 بنود^١ أبي عمرو^١ مع^١ الريح^١ تخفق
 نبيل^١ وفعل^١ مستطاب^١ ومنطق
 كواكب^١ بالشمس^١ المنيرة^١ تُحندق
 يخرق^١ جلباب^١ الدجى^١ ويمزق^١
 بغاث^١ رأت^١ في الجوّ صقراً^١ يخلق
 ومن حزمه^١ درع^١ حصين^١ ويلتمس^١
 يصمم^١ في أوصاليه^١ ويطبّق

١ في النسخ ، حرشى ، ولا وجه لاسقاط « ال » التعريف فيه .

٢ م ط د . ترقق . . . ونعيق ، والبيت متصل بما بعده .

٣ ط د م س : الحيا .

٤ ط م : اطفقت .

يشققُ أبكارَ المعاني كأنها
 يطيبُ نسيمَ الشعرِ من طيب ذكره
 متى حكتُ فيه الشعرَ بيتٌ ولبتي
 به دمّرَ الرحمن دمّرَ وانطوى
 ومن آلِ يرنيان^٢ أنكثُ أمةً
 ثلاثةُ رهطٍ بددَ اللهُ شملهم
 وصيرهم قبل انقضاءِ حديثهم
 وكلُّ غدا رهناً بما كان عاملاً
 فأشكلكُ ملبوسٍ تخيرتهُ لهم
 وأفضلُ مركوبٍ عليه حملتهم
 همُ وردوا الحوضَ الذي عنه ذدتهم
 همُ نقضوا ميثاقَ عهدك عنوةً
 همُ أنضجوا ذاك الشواءَ فرمّوا
 ومنها :

بمعتضد بالله أشرفتِ الدنيا
 ورقّت حواشي الدهر حتى كأنه
 وأطلقها من ربة الجورِ مُطلقُ
 رداءُ عروسٍ بالعبيرِ مرقوق

١ بنو يفرن من زناتة ، استولوا بعد الفتنة على تاكرنا وكانت قلمتهم رندة ، وكان زعيمهم أبو نور بن أبي قرّة حليفاً لعباد ، ثم غدر بهم عباد في حديث طويل ، (انظر البيان المغرب ٣ : ٢٧٠ وما بعدها) وقوله : « دمر » هي أحد فروع اليفرنيين ، وفي النسخ : تدمر .
 ٢ وردت في النسخ : يرقيان ، وعند ابن عذاري (٣ : ٢٧١) يرنيان ، وكان أميرهم عبدون بن خزرون صاحب أركش وشدونة ، وقد قام عباد بالقضاء عليهم أيضاً وأباد أكثرهم سنة
 . ٤٥٨

٣ الجدالة : الأرض .

ومنها :

أقومُ ، على أني أقومُ فأغرق
بجسمي لِمَا أوليت بالشكرِ تنطق [١٣٧]
سنا الصبح تجلو الهمَّ والصبح مشرق
ولم أرَ عذراً مثلها كيف تخنق
ومن خاتم الملك اليماني بَخْنُق
إليها قفلُ ألفٍ تلقَّاهُ شيق
إلى كبدٍ تحنو عليها وتشفق
يضرُّ بها ذاك الرباطُ المخنق
دنانيرَ أمثال الكواكب تشرق
بها حورٌ يزهي العيون ويونق

لأغرقتني من أن أكونَ بشكرها
ولو كلُّ عضوٍ فيَّ أو كلُّ شعرةٍ
أتني يدٌ بيضاءُ منك كأنَّها
ومشاقة عذراء شدَّ خناقها
عليه من اسم الملك عقيدٌ منظمٌ
تلاقيتها بيشراً ملاقة شيقٍ
أقبلها طوراً وطوراً أضمتها
إلى أن تشفينا عناقاً وختُ أن
قطعتُ عليها عقدها فتناثرت
كحلتُ بها حولاءَ عيني فاغدى

ومنها في ذكر قصيدته :

سروراً بأباطِ عليٍّ تصفق
ويومٍ سرورٍ حسنه متألق
لأدَى جريرٍ حقها والفرزدق
جبالٌ بإجهد القرائح تُنتق

وأيقظتُ أفراسي لها فتطايروا
فيا لك من لهُوٍ وطيبٍ وفرحةٍ
لو أن جريراً والفرزدق أنشيدتُ
وهن وإن كانت قوافي تتنقى

وله فيه من أخرى ١ :

بنومٍ كسا الآفاقَ منه وصائلا
كما فاجأ الرعيدُ في الحرب بأسلا

وليلٍ كأكبادِ العداة وصلتهُ
ويومٍ عماسي بليلٍ ذعرتُهُ

١ موضع هذه العبارة بياض في م ط س .

وجرية ماء كالمجرة جلّت
تشادي به ورّق الحمام بالضحى
من البرك الملى بدورا كواملا
بلابل يبعث الأسي والبلا

ومنها :

أحمج شري الخطب جزوا ومخطبا^١
وألقى بأمثال الخطوب خطوبها
ومن يشك ما أشكوا إلى نصب السرى
ومن يرج عبادة بن عبادة الرضا
ففي تدري^٢ الهيجاء أرواقها به
وتسفر منه المشكلات نقابها
وما أصعب الأشياء حتى يرومها
يذل له الأمر العسير فكاد أن
والمج بنت الدهر جداء^٣ حافلا
من الهمة الطولى تليلا وكاهلا
من الراحة استمرى السموم القواتلا
رجائي لم يلق الليالي خاملا
على نكل حرب^٤ لا يرى الدهرنا كالا
إلى فيصل يستشعر القول فاصلا
برأي يريه آجل الأمر عاجلا
يكلفه أن يرجع العام قابلا

ومنها :

وطوقني دون السؤال اهتباله^٥
فأبني لي ما جف من عود مطلي
تراسل في الجلى أسيرة وجهه
أيادي جلتني وقد كنت عاطلا
وعاد أجاجي منه عذبا سلا سلا
نجيما وطورا سؤددا وطوائلا

١ في دط : جدوا ؛ ويجمع : يحدق النظر ، (وفي النسخ : يجمع) والشري : الحنظل ،
والجرو : الحنظل حين يكون صغيراً ، والمخطب : الحنظل حين يصفر .
٢ في النسخ : ألمح ؛ والمج : أروض ؛ الجداء : القليلة اللبن ، والحافل : الضرع
المتلء باللبن .

٣ في النسخ : تزدي ؛ ولا معنى له .

٤ نكل حرب : قوي عليها ، وفي النسخ : حزب .

٥ م ط : اهتباله ؛ س : اهتبالها .

يدٌ تَسَعُ الدنيا بما وَسِعَتْ ولا
يَقِيلُ أبان^١ أن يرى فصَّ خاتمٍ
أمستوصفي عنه ابن بجدتها أجلُّ
مساعٍ إذا ما الوصفُ حاول بعضها
خلعن على سحبان حُلَّةَ باقلٍ
سوى العجز لا يجدي تناول وصفها
وإنَّ زماناً جادَ فينا بمثله
فهذا مكانُ الوصفِ إن كنتَ واصفاً
فما يهبُ الآمالَ إلاَّ حوالياً
وإن خاتلت أعداؤه أفئتا^٢ لهم
فما ينظمُ الآراءَ إلاَّ دأبياً

ومنها :

همُ القوم طابوا أبطننا وعمائراً
ضراغمُ آجامٍ تهبُّ لدى الوغى
فما حملوا إلاَّ بنصرٍ حمائلاً
ولا ادّرعوا غيرَ القلوبِ سوابغاً

ومنها :

ودونكها مصبوحةٌ رِسلَ مِقنولٍ

أحاشي بها برّاً وبحراً وساحلاً [٣٧ ب]
لها والبحورُ الزاخرات أناملاً
لقد جلت عن وصفي عللاً وفواضلاً
ذهبن به في كلِّ وادٍ محاولاً
فساوى بها سحبانُ في العيِّ باقلاً
عليّ وقولي عزّت المتناقلاً
جديرٌ بأن يدعى الجوادَ المناولاً
وهذا مكان القولِ إن كنت قائلاً
إذا وهب الناسُ العطايا عواطلا
بمأقط^٣ حَرْبٍ لم تجده مخاتلاً
ولا يبعثُ الراياتِ إلاَّ قوائلاً

وطابوا شعوباً قوبلت وقبائلاً
شمالهم في المأزقين شمالاً
ولا أعملوا إلاَّ بنججٍ عواملاً
ولا سكنوا غيرَ السروجِ معاقلاً

أزف بها بكرأ عواناً مُراسلاً

١ أبان : اسم جبل .

٢ س م : أفة .

٣ المأقط : المترك .

قوافي أمثال الصخور بعثها
حوامل للآمال أجمل^١ من غدت
إذا أنشدت في حفل القوم أعربت
بيان هو السحر الحلال تجودت
قديماً على أسمع قوم معاولا
مطافيل بالمعنى النفيس حواملا
من الغيظ في أضلاع قوم محافلا
به فكرة أضحت لبابل بابلا

وله من أخرى في اسماعيل بن عباد :

هوى بي هوى الغيد الحسان فللجوى
وزين عندي حلّة السقم أنها
أما وعيون العين يوم النوى لقد
أمرضتها كأس الملامة مُدْمناً
نفضت يدي عن كل ورد وسوسن
وأغضبت إلا أن يلوح لناظري
والعس معسول الثنايا من المنى
حبيب رقيب الحسن فوق جبينه
حشاً كتحلاً عينه مسك عذاره
سأهواه ما اهتز الأراك وأصبحت
صقبيل فرند السيف يبيض ليله
تنبّل منه كل مرأى ومخبر
تلين له الأيام وهي شدائد

بكل فؤاد من فؤادي^٢ تمكن
نحور بها زهر الخلى تتزين
سبي قلبي الغصان منهن أغصن
أقيل عليّ اليوم كم أنت تُدْمِنُ
لحدّ به ورد أنيق وسوسن
محيّاً به أيقنت أني مُحَيِّن
ألدُّ ومن شمس الظهيرة أحسن
يتيه ، ومعشوق الملاحه يَمَجُن
فلاح به وجه من العذر بين
أنامل اسماعيل بالجوّد تهتِن [١٣٨]
إذا اربد من ليل الكريمة موهِن
فقد فُتِنَتْ فيه قلوب وأعين
وتعنو وجوه الحادّات وتذعِن

١ م : أحمل .

٢ ساقط في ط م س ؛ وفي د : بكل فؤاد من فؤادي ؛ ولا أراه دقيقاً ، ولعل الصواب « بكل
قسيم من فؤادي » أو « بكل فؤادي علقه وتمكن » أو ما أشبه من قراءة .

فلا تياسنَ منه بلينِ عريكةٍ
نماهُ إلى العلياءِ آباءُ عزةٍ
ميامينُ أمجادٍ مآمينُ لم تكنْ
ترفرقُ منهم بالسماحةِ أوجهُ
كفاهمُ باسماعيلِ مجدأ مؤثلاً
تظنُّ به في المُشكِلاتِ كهانةُ
توقدُ ذهنٍ في خمودِ سكينهٍ

وله من أخرى :

ما يئسَ البينَ يومَ الخوفِ مذمومُ
وآيةُ الحبِّ في الأجفانِ واضحةُ
هي الغزاةُ لولا ضيقُ دملجها

ومنها :

ساروا وقلبي أسيرٌ في القبابِ وقد
وفي الغبيطِ الموشى شادنٌ خرقٌ
محددٌ الخلدُ بالأوهامِ ناعمه
بلرٌ بدباجتبه عجمتا سبجٍ^٣
غصنٌ من الورقِ الماذي يجذبه
يُهندي لك الدرُّ من لفظٍ ومبتسمٍ

١ لعل الصواب : « ذكاء » .

٢ س ط : حدا بهم .

٣ العجمة : النقطة ؛ السبج : الحرز الأسود .

يُجني الذنوبَ وأحنو أن أوأخذَهُ
 ما هاج برحَ الهوى إلا مطوّقةً
 ترنّمتَ ودموعُ الصبّ آيةً أن^١
 أيا حمامةً ذا الوادي أثرتِ جوى
 إلا يكنّ وادياً حلتِ ركبهمُ
 همُ أناخوا بيجزعيه جمالتهمُ
 [هلم^٢] نسري اعتسافاً حيث عنّا لنا
 نُغشي بهنّ بنات الوخدِ ساجحةً
 يُنضي^٣ سرى الليل تأويب النهار ولا
 والآلُ عند هيام القيطِ مضطربُ
 يزاحم الليلَ والخرقاء موضعةً
 مزقفتهُ وثرياه تلوحُ كما
 وقد محاسنةً البدرِ الحسوفُ كما

من أجل ذلك قيل الحسنُ مرحوم
 كأنها من نحولٍ شفها جيم
 يُهيلُ ساجمتها بينُ وترنيم
 تنقضُ منقذةً منها الحيازيم
 به وإلاّ فما واديك مأوم
 وأهلوها وهنّ الطلحُ الهيم
 منهن وهنّ سنا نارٍ وتخييم
 تخدي وقد همّ بالستار تهويم
 بهجير من لب الرمضاء تضريم
 كأنه في بساطِ القاعِ محموم [٣٨ب]
 والقفرُ مثل طراد السيفِ ديموم
 لاحت بأنمل زنجي خواتيم
 محاسنا رونقِ المرأة تسهيم

ومن المدح :

حوى من الفخرِ ما لم يحويه ملكُ
 أغرُّ مبتهجٌ فاح الزمان به
 هو الجواد الذي أضحى السّماح له

وحاز ما لم يحزهُ العُربُ والرومُ
 كأنما دهرنا بالمسكِ مرثومُ
 رينطاً كأنّ العطايا فيه تعليمُ

١ س م ط : أفة أن .

٢ بياض في م د س ؛ وفي ط كلمة لعلها مزيدة بخط غير خط الأصل .

٣ ط م س : يضني ؛ د : يقي .

٤ مرثوم : مخلق ملطخ بالطيب .

٥ التعليم : جعله معلماً أي مخططاً .

قد كفل الخلقَ جدواهم فعمتهمُ كأنما الرزقُ من كفيهِ مقسومُ
 إذا نبا حادثٌ للدهر عن لهُ عزمٌ نفي المتن منه وهو مقصوم
 يا ها أمية لا تقرب لحمصَ حمي محمد ما تحامى فهو ترخيم
 كذلك آباؤه الماضون هم أكمأ ت الغز ما ظلّموا يوماً ولا ضيموا
 إذا نظرت فأشكالُ البدورِ وإن خبّرتهم فهم الأسدُ الضراغيم
 نماك للمجد عبّادٌ فأنت له نجل سَمَتَ بكما الصيّدُ اللهاميم
 هذي الليالي على حُكُمِ وإن رغمت زمامها بكلا كفيك مزوم

ومنهم الوزير الكاتب أبو عمر بن الباجي^٢

قال ابن بسّام : وكان أبو عمر يوسف بن جعفر المعروف بابن الباجي
 من بلغاء الكتاب ، وأغرب شأؤ جدّه الباجي في الولادة كل الإغراب ،
 في صلة حبّل البلاغة على جميع كتاب الإسلام ، لأنه أنسل أربعة من
 حملة الأقلام وفرسان الكلام ، أولهم جدّه يوسف ، وابنه جعفر بن
 يوسف ، وعبد الله ويوسف ابنا ابنه جعفر ، ويوسف هذا هو المكني بأبي
 عمر . فأما أبوه جعفر فكتب صدر الفتنّة المؤرخة أوّل هذا الكتاب لعدّة

١ ط د م : وما .

٢ ذكر ابن سعيد (المغرب ١ : ٤٥٥) أن يوسف بن جعفر الباجي كان فقيهاً جليل القدر
 رحل إلى المشرق وحج وولي قضاء حلب ، وعاد إلى الأندلس فجل قدره عند المقتدر بن هود
 ملك سرقسطة . وقد ذكره ابن بشر بن الصقلي وعنه ينقل العماد (الطريدة ٢ : ٣١٣)
 وذكر أن له مؤلفات وتصانيف شرعية ؛ وعاد العماد فذكره (٢ : ٣٨٠) نقلاً عن
 القلائد : ١٠٢ وفيها أن كنيته « أبو عمرو » ، وأنظر المسالك ١١ : ٤٢٠ .

من كبار أملاكها آخرهم يحيى بن اسماعيل بن ذي النون ، ولديه توفي بمدينة سالم سنة خمس وثلاثين . وكان أبو عمر هذا إنما تصرف كاتباً ، وطلع شهاباً ثاقباً ، بأفق المشرق ، وإنما ذكرته هنا لأن بلده وبلد سلفه باجة ، إحدى مدن الجانب الغربي من الأندلس ، وقاعدة بلاد ساحل البحر المحيط الرومي .

ونقلت ما أثبت في هذا المجموع من رسائل بني الباجي من قراطيس تعاليق ، وبطاق وقعت إلي تفاريق ، منسوبة لهم في الحملة ، وربما اختلطت رسائل الابن والأب لهذا السبب ، وهذا الذي أصف وأشرح ، مما لا يضر ولا يقدح ، لا سيما في رواية حكاية لا يُخِلُّ بها نسبتها إلى من < لم > يحكها ، وفي نشر نسيجه لا يتغص من بهجتها إضافتها إلى من لم يحكها ، وإنما هي ملحٌ مثور أو منظوم ، وليست بمحائق علوم ، فتكلف في صحة الأسانيد ، والفرق بين سعيد وسعيد ، والفصل ما بين عبّيد وعبّيد . وعلى أي حال ورد هذا المجموع من مجهول أو معلوم ، في مثور أو منظوم ، فبديع رائق ، ومتأخر إن شاء الله سابق .

جملة من رسائله في أوصاف مختلفة

له من رقعة عن ابن هود إلى المعتضد :

كثرت - أيديك الله - محامدك فصارت زاد الرفاق ، وأشرقت

١ هكذا يقول ابن بسام ، ولكن هذا من التجوز الذي يلحق ضرراً بالدراسة الدقيقة . والمؤلف إنما يتحمل لنفسه عذراً ، وقد علق العمري على هذا بقوله : « وهبهم أهل بيت واحد ، أليس يفرق بينهم التفاوت ؟ » .

عما سينكَ فَرَمَتَ بساطع نورها إلى الآفاق ، ففي كلِّ سبيلٍ طليعةٌ من
ثنائكَ مرحلٍ ١ ، وفي كلِّ أفقٍ بريدٌ من أنباءك يُتَعَلَّلُ ، [٣٩أ] ولفضائلك
المأثورة حَمَلَةٌ يتباينون في القدر ، ويتفاضلون في النشْرِ ، وكلّهم موجزٌ
وإن حاولَ أن يُطَنَّبَ ، ومقتصدٌ وإن حاولَ أن يُسَهَبَ ، والله يصونُ
ما ألبَسَكَ من المكرمات ، ويزيدُ فيما خَوَّلَكَ من الصالحات ، بمنه .

وأنا لا أزال بفضلِ خُلُوصي إليك ، وصدقِ انجذابي لك ، وشدةِ
اغتباطي بموهبةِ الله السنيّةِ فيك ، مصيحاً إلى كلِّ داعٍ بشعارك ، وحاملٍ
لآثارك . مستهدياً لطيبِ أحاديثك ومبهجِ أخبارك ، فإذا ظفرتُ بمحدثٍ
عنك فقد نلتُ جَدَّتي ، وإذا وقفتُ على خبَرٍ من لدنك فذلك من أمني .

وفلان لحق بجهتي . طاعتك ، وعنده أوفى بضاعةٍ من رفيعِ ثنائك ،
وأحسنُ إشاعةٍ بجميلِ أنباءك ، وهو الناطقُ القوول ، والصادقُ المقبول ،
فعرَّضَ تلكَ البضاعةَ الزكيّةَ في معرضِ نفاقها ، وقصدَ بها أقومَ أسواقها ،
وأهدى ذلكَ العليقَ السنيّ إلى مستهديه . وأدّاهُ إلى يدٍ ٢ مقتنيه ، ولما أنْ
صدَرَ عنها ، بعد انقضاءِ طوره منها . وقد ضمَّخها بذكرك ، وقام فيها
بشكرك ، تُفَتُّ إلى مواصلتك معه . وتجديدِ العهدِ الكريمِ على يده ، فأصحابته
كتابي هذا مُخْبِراً عن مقامه في بثِّ مناقبك . وواصفاً لحاله في نشرِ محامدك ،
ومحلاً عليه في وصفِ ودّي ، والإخبارِ عمّا عندي .

وله من تعزيةٍ إلى ابنِ أبي عامرٍ في ابنه المعتزِّ ٣ : بأيّ لسانٍ — أيّتك الله —

١ كذا في النسخ .

٢ يد : سقطت من ط .

٣ وردت هذه الرسالة في المطاء الجزيل : ٦٢ .

أخاطبك مذكراً ، أو بأيّ مقالٍ الأطفُك مصبراً ، وقد أذهلتني
فجأةُ الخطبِ ، وتركتني طائرَ القلبِ واللبّ ، وقد رماني ساعدُ الزمانِ
حين رماك ، وأصماني سَهْمُهُ كما أصمك ، وثارَتُ إليّ فجائعهُ من حيثُ
ثارَتُ إليك ، ودارتُ عليّ وقائعهُ من حيثُ دارتُ عليك . ولو كان ما
طالعتني خَطْرَةَ حُلْمٍ ، لكفى به داعيةٌ بثِّ وألم ، فكيف إذا كان يقيناً
يقطع أملَ المؤمل ، ويُسْطِلُ رجاءَ المرتجي المتعلِّل ؟ !

وورد كتابك الجليلُ ناطقاً بلسانِ الرزيةِ ، مقصداً سهمَ الفجيعةِ في
المعترِ بالله ، ابنك ، ومعمدي - كان - فأننا لله ! ! أيُّ رزءٍ ما أفضعه في
القلوبِ ، وأيُّ خطبٍ ما أشنعهُ في الخطوبِ ، وأيُّ مصابٍ ما أحقه
بالأسيِّ ونَبْدِ الأُسيِّ ، لولا أمرُ الله تعالى . ولا أجيدُ - أيّدك الله - لهذه
الفادحةِ قدراً ، ولا أقيسُ بها أمراً ، ولا أكاد أقولُ في مثلها صبراً ،
فإنها سألبةُ الأذهانِ ، وجامعةُ الأحزانِ ، وخبيثةُ الحدثانِ . وكبيرةُ نوابِ
الزمانِ .

وفي فصل منها: ونحن مأمور فينا ، ومحكومٌ علينا ، يملكنا خيرُ المالكينِ ،
ويحكمُ فينا أعدلُ الحاكمينِ ، ولو شاء الله لم يَخْلُقْنَا ، فضلاً عمّن
خَلَقَ مِنَّا ولنا ، وقد أنعم الله عليك بنعمٍ متعلِّك^٣ بها ما شاء ، ثم صنع
في بعضٍ ما شاء ، فان تقابلُ بالاحتسابِ قَدْرَهُ النَّازلِ ، وبالتفويضِ

١ العطاء الجزيل : بطول الأسي .

٢ في النسخ : وكثيرة .

٣ في النسخ : منحك ، والتصويب عن العطاء الجزيل وزاد فيه بعد اللفظة « الله » .

قضاءه العادل ، فأحزى بحزنيك أن يعود سروراً ، وبصدحك أن يكون
بشواب الله مجبوراً .

وله من أخرى في مثله^١ : كتابي عن نفسٍ مستطارةٍ بِلَوَعَتِهَا ،
وكبدٍ مُذَابةٍ بِرُوَعَتِهَا ، وعن قلبٍ شعارهُ بِرَحِّ الجوى ، وأعشاره نهبُ
الأسى ، تفجعاً لما فجعلك ، واشتراكاً في عظيم المصاب معك ، وأسفاً على
من فقدناه فقدانَ السَّمْعِ والبصر ، ورؤينا فيه بأفزعِ الحوادثِ والغير ،
فانأنا لله وانأنا إليه راجعون ، بها يعتصمُ العارفون ، وإلى حقيقتها يرجعُ المسلمون .

وانَّ كتابك ورد منبثاً عن صورة حالك ، وتوفية^٢ رزنيك أحقه من
الأسف ، وإعطاءٍ مصابك بقدره من اللَهْفِ ، فسَدَّ^٣ على نفسي
- فآديتِك - ثانيا الصَّبْرِ ، ووقع منها موقع المشيم من الجمر^٤ ، ولعمرُ
الله إنه الرزء ، [فليس كئله الأرزاء، التي] يحسن فيها الغزاء^٥ ، وإنك بالبيث^٦
والحزن لحقيق ، ثم إنك بالصبر والاحتساب^٧ لخليق ، ولولا أني أثقُ برجوعك
إليه ، وتأيد الله تعالى لك في الاحتمال عليه ، لسلكت في الذكرى طريق
المحتشد [٣٩ ب] ، وأنفدتُ فيها وسعَ المجتهد ، على أني باستمدائها^٨

١ وردت في العطاء الجزيل : ٦٣

٢ العطاء الجزيل : في توفية .

٣ ط م س : فشد .

٤ في النسخ : الجبر .

٥ ط م د س : لرزء يسهل لا يحسن فيها ، وأثبت ما في العطاء الجزيل .

٦ ط م د س : البيث .

٧ ط م د س : في الاحتساب .

٨ م س : باستمدائها ، ط : باستمدائها .

جدير ، وإلى سماعها فقير . وما اقتباسي إلا منك ، ولا اقتدائي إلا بك ، جعلك الله في تلقّي هذا الرزء ، وتحمل هذا العبء ، قدوةً رشداً للجازعين ، وأسوةً هدىً للغافلين .

وله من أخرى إلى ابن هود بعد خروجه عنه : كتب مملوكه المتحف في نعمائه ، المتقلب في آلائه ، من فلانة ، وما قطع مرحلة ، ولا احتل منزلة ، إلا ودأبه ووصف معاليه ، ونشر أياديه ، وأما مفارقة ذراه فيكاد الإشفاق يُصمي الجنان . ويدمي الأجنان ، وينفي بالجملة السلوان ، وهو أمرٌ حمّ واقترَب ، وقضاء سبق وغلب ، وأنا مع انفصالي عن ذلك الكنف الجليل المأمول ، والفناء العزيز الموصول ، الذي عمّرتُه في ظلّ الإكرام والتوجيه ، ومهاد الإنعام والترفيه ، غيرُ خارج من عداد من يتقلب فيه ، وجملة من يُراوِحه ويغاديه ، لأن فضله بي حيث كنتُ محبط ، وأملّي به منوط ، وتشيعي له مشهور ، واعترافي بعوارفه لديّ مأثور ، وسيعلم مولاي أنّي صحّبتُ فاعتدلت ، ثم فارتُ وما اختللت ، بل أعظمتُ وأجللتُ ، وأثّنتُ فاحتفلت . والله الحسيبُ بالنيّات والأعمال . الشهيد على الأقوال والأفعال .

ومن أخرى له : سيّدي ، ومن أبقاه الله للكرم يتبوا سيطته ، والشرف يدرعُ بُردته ، والعزّ يلبسُ سرباله ، والفخر يسحبُ أذياله ، بأيّ لسانٍ - أعزّك الله - أناجيك على بُعدِ الدار ، وقد أخرستَ عن واجبِ الشكر لسانِي ، وطمستَ على وجوه بياني ، بما أضفيت من حُللِ بركِ التي

أحجلتني ، وطوّقتني من منك التي أجمتني^١ ، بالهديةِ السنيّةِ التي لا يزال الدهرُ ينثرها ، وأيدي الثناءِ تنشرها ، فكم من علقِ نفيسٍ شافهتني منها بلسانِ بغدادِ وَعَدَنَ ، ولا حظي بمقلةِ مصرَ واليمنَ ، وأيمُ الله : لقد ابتسمتُ إليّ نجومُ السماءِ ، ودان لها تفويفُ كلِّ روضةِ غنّاءِ ، وتحدّثَ بها الكرمُ المحضُ ، وأشادَ بذكرها الثناءُ الغضُّ ، وحقَّ لهديةِ أهدتُها أناملُكَ المستهلّةِ السحابِ ، وجادت بها راحتُكَ الثّرةُ المواهبِ ، أن يعنّو لها القمّرانَ ، ويحاسنَ بها زماننا كلَّ زمانَ ، فلو أن البحرَ عاينها طامياً لما ساجلكَ ، والغمامَ شاهدتها هامياً لما طاولك .

وله من جوابٍ على كتابِ عتابٍ : المودّاتُ — أعزّك الله — إنما تثبت دلائلها ، وتصحُّ مخايلها ، بمضمراتِ الفؤادِ ، لا بمزوّراتِ المدادِ ، وبمعتقداتِ الحقائقِ ، لا بمعهوداتِ البطائقِ ، وفي علمه تعالى أتني من الاعتدادِ بمجدِكَ ، والاعتلاقِ بجبلِ ودِّكَ ، والاسنادِ إلى كرمِ عهدِكَ ، بمنزلةٍ لا يتعاطى إدراكها أحدٌ ، ولا تطولُ يدُ صفائي فيها يدٌ ، وفي نفسك النفيسة من ذلك أعدلُ شاهد . وأصدّقُ رائد .

وقد ورد كتابُك ففضضتُهُ^٢ عن مثلِ عقاربِ لاسبةٍ ، وسهامِ نافذةٍ صائبةٍ ، من عتابِ صدّاعِ قلبي ، وفتّ في عَضُدِي . وتقرّيعِ لم أقبِ ببابه ، ولا جدّبتُ بأسبابه ، ومعاني العتابِ^٣ — أعزّك الله — إذا وردتُ على سليمٍ منها . نزيهٍ عنها . متحفّظٍ من وقوعها ، متحرّزٍ من جميعها ، أساءتُ

١ م ط : أفجمتني ، س : أجمتني .

٢ م ط س : وفضضته .

٣ ط . الكتاب .

ظنّه ، وأطالت فيكّرهُ ، وأشغلت سيرهُ ، ولا سيما على بعيد الدّار ،
 نائي المحلّ ، مشتاق إلى الإخوان ، متأسّف على فقد الخلصان ، مستشعر
 حرماناً لزم ، وزماناً جارٍ وظلم . وأما الهنات التي أطلقت عنان العتّب عنها
 في ميدان فسيح ، وجريّت في إيرادها جريّ الشفيق النصيح ، فليست
 بهنات مخلّقة ليعرض ، ولا قاطعة عن فرض ، وربما غيرت عندك
 صفتي فتكرت عليك ، ومثلك من حكّم الخبر على الخبر ، ووقع بالعين
 دون الأثر .

وله من أخرى عن ابن هود إلى ابن ذي النون [٤٠ أ] بشكره باطلاق
 ابن غصن^١ من السجن : كتابي - أيدك الله - كتاب أعريته من ذكر
 الوداد ، وعدلت فيه عن وصف الاعتقاد، خرقاً لعادة المتودّدين، وصفحاً
 عن طريق المتصنّعين ، على أني - علم الله - في الصدر المقدم ممّن
 يواليك، والرعيّل الأول ممّن يتشيعُ فيك، وأفردتهُ بشكر يدك البيضاء ،
 وحميد صنيعتك الغراء ، التي طوّقت بها جيد الأدب ، طوقاً يبقى على
 الحقب ، ووضعت على نار الذكاء ، وقوداً يسطع بطيب الثناء ، مزاحماً
 بفضل همّتك كلّكلّ الزمان ، وقد أناخ على الفهم بجران ، ومحافظاً على
 حرمة الكرم وقد أعرض عن ثقلها الثقلان ، أنفة من أن يضيع حذاء
 نظرك حقّ أديب ، وتقطع بمراى عينك نفس لبيب ، وأنت عين
 الآداب ، وعمدة ذوي الألباب ، فيعود عليك من أهلها ملام ، ويقول
 قائلاً ضاع عند أوفى البرية ذمام . فله همّتك التي أبّت إلاّ الحفاظ
 السليم ، وشيمتك التي لم ترّض إلاّ المقام الكريم ، ويدك التي انتعشت

١ كان المأمون بن ذي النون قد سجن أبا مروان ابن غصن الحجاري ، انظر أخباره في القسم
 الثالث : ٣٣١ وما بعدها .

بها الأديبَ أبا مروانَ بنِ غصنٍ من هُوَّةِ العثارِ ، وفككتهُ من قَبْضَةِ الإِسارِ ، فأحْيَيْتَهُ وهو مُشْفٍ على البَوَارِ ، فلإنها يدُ مَسِيحِ الكرامِ ، ومبدعةُ حَسَنَةِ الأيَّامِ ، فلو كانت للمكارمِ صورةٌ لكانت هذه الصنِيعَةُ كُخْلَ طَرَفِهَا ، أو كانت للجِدِّ روضةٌ لكانت المُستبدَّ بطيبِ عَرَفِهَا ، أو لو نطقتُ ألسُنُ الأَدَابِ لَقَدَّتْكَ ، أو أُرْسَلَتْ نَجْمَةُ الثَّناءِ لما تَعَدَّتْكَ ، وإن كثيرَ الشكرِ لَيَقِيلُ في جَنِّبِ ما أسديتَ ، وبالغَهُ ليقصُرُ عن الغايةِ التي لها تَصَدَّقَتْ ، لأنَّكَ ضَمِنْتَ حياةَ نفسِ ، ونشرتَ دفينَ رَمْسٍ ، فكأنك أحييتَ جميعَ الوريِّ ، ونشرتَ كلَّ مستودِعٍ في الثرى ، وأنتى يقاومُ هذا الصنِيعُ ، ولو تظاهر على فرضه الجميعُ . وعند الله كفاءُ ما أوليتَ من جميلِ الفعلِ . وجزاءُ ما أتيتَ في سبيلِ الفضلِ .

وله من أخرى على لسان البهارِ إلى ابنِ هود^٢ : أطال الله بقاءَ المقتدرِ بالله ، مولاي وسيدي ، ومُعَلِّي حالي ومقيمِ أودي ، وأعاذني من خيبةِ العناءِ ، وعَصَمَني معه من إخفاقِ الرجاءِ ، ولا أشمَّتْ بي عدوٌّ من الرياضِ يناصرني ، وحاسداً من النواويرِ يراقبني ، وقد علم الوردُ موقعَ إمارتي ، وغنيَ بلطيفِ إيمائي عن عبارتي ، وإنها تحيةُ الزهرِ حيَّاكَ بها ، وخبيثةٌ ذخرَها لك وأهلكَ لها ، وقد أتيتُ في أواني ، وحضرتُ وغابَ أقراني ، ولم أخلِ من خيدِ مَتِكَ رتبي ومكاني ، ولم أعزِّ من الحضورِ بين يديك نوبتي وزماني ، وأنا عبدٌ مطيعٌ مسخَّرٌ ، ومملوكٌ يتصرَّفُ مدبَّرٌ ، حقيقٌ بأن يُحسَنَ إليَّ فأدني ، وجديرٌ بأن يُهتَبَلَ بي ولا أجفى ، لأنِّي سابقُ حَلْبَةِ النوارِ ، وأوَّلُ

١ ط د : صبيح .

٢ تقع هذه الرسالة في سلسلة الرسائل « الزهرية » التي مرت منها نماذج في ترجمة أبي الوليد

اسماعيل الملقب بحبيب : ١٢٧

طلائع الأزهار ، وأنا ناظرُ الفضلِ وَعَيْنُهُ ، ونُضارُ الروضِ وَلُجَيْنُهُ ،
وقائدُ الظَّرْفِ وفارسُهُ ، وعائدُ مجلسِ الأُنسِ وحارسه .

وفي فصل منها : فهل لمولاي أن يحسنَ إليَّ صنيعاً ، ويكرمَ التَّورَ جميعاً ،
ويدنيني فأرقي إلى أختي الثرياَ سريعاً ، في مجلسٍ قد أخلَصْتَهُ سحابه ؛
وأفرغت الحسنَ عليه والطيبَ ضرائبه ، وجَهْلِكَ بَدْرُهُ ، وغرَّتكَ فجره ،
وأخلاقك زهرُهُ ، وثناؤك دُرَّهُ وعطره ، وتُعْمِلُ في أمرِ الدنيا رأيتك ،
وتترك المهمومَ حيثُ تركها الناسُ قبلك ، ولو صلحَ الكمَدُ لأحدٍ لكنتُ أنا أحمقٌ
مَنْ لَزِمَهُ ، وأثبتَ عليه قَدَمَهُ . لأنِّي سريعُ الذُّبولِ ، وشيكُ الأقولِ ،
لا يصحبي الظهورُ إلا قليلاً ، ولا أُمْنَحُ من متاعِ السُّرورِ إلا تعليلاً .
غيرَ أني مُعْتَنِمٌ لساعاتي ، آخِذٌ من الأُنسِ بقدرِ استطاعاتي ، وقديماً
أكرمني مولاي فلا يهني ، ووصلني فلا يصرمني ، ومنحني فلا يجرمني :
لا تُهينني بعدما أكرمتني فشديدٌ عادةٌ مُنتزَعَةٌ

[٤٠ ب] ولا بن الحناط^١ رقعة في وصف هذه الرسالة ، منها فصل قال
فيه : بعثت إليك برسالة الوزير الكاتب أبي عمر الباجي في البهار ، منقولةً
بخطي على اختلاله ، واختلافِ أشكاله ، إلا أن حُسْنَ الرسالة ، وموضعها
من البلاغة والجزالة ، يغطي على قِماءةِ خطي ، ودناءةِ ضبطي . فاجتلبها
— أعزك الله — عروسَ فكرٍ ، لحظها حبيرٌ ، ولفظها سِحْرٌ ، ومعناها بديعٌ ،
ومنتهاها رفيعٌ ، ومرماها سديدٌ ، ركبَ اللفظَ الغريبَ فاعتنَّ له^٢ المرادُ البعيدُ ،
يُطْمَعُ ويؤيسُ ، ويوحش ويؤنسُ ، فأما إطماعُها فيما تُحَرِّزُ من لدونة

١ هو محمد بن سليمان الرعيبي أبو عبد الله . راجع ترجمته في القسم الأول : ٤٣٧ .

٢ ط د م س : فاعتزله .

ألفاظها وسهولة أغراضها ، وأما إياسها فيما يُعجز من امتثالها ، ويُبعدُ من متناولها ، والله يُمتنعُكَ برياضِ الآدابِ تجتني أزهارها ، وتتقي خيارها .

ولأبي عمري نزول الغيث بعد القحط^١ : إنَّ لله تعالى قضايا واقعةً بالعدل ، وعطايا جامعةً للفضل ، ومنحاً يبسطها إذا شاء إنعاماً وترفيهاً ، ويقبضها إذا أراد إلهاماً وتنبيهاً^٢ ، ويجعلها لقوم صلاحاً وخيراً ، ولآخرين^٣ فساداً وضيئراً ، ﴿ وهو الذي ينزلُ الغيثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ، وهو الولِيُّ الحميدُ ﴾ (الشورى : ٢٨) .

وإنه كان من امتسك السقيا ، وتوقف الحيا ، ما ربيعَ به الآمينُ ، واستطيرَ به السّاكنُ ، ورجفت الأكبادُ فرعاً ، وذُهِلتِ الأبوابُ جزعاً ، وأذكتْ ذُكاءُ حرَّها ، ومَنَعَتِ السماءُ درَّها . واكتستِ الرياضُ غُبرةً بعد خُضرةٍ ، ولبست شحوباً بعد نُضرةٍ ، وكادت برودُ الرِّياضِ تُطنوى ، ومدودُ نعمٍ^٤ الله تُزوى ، ثم نشر تعالى رحمته ، وبَسَطَ نعمتهُ ، وأتاح مِينتهُ ، وأزاح مِحْنتهُ ، فبعث الرياحَ لواقعٍ ، وأرسل الغمامَ سوافحٍ ، بماءٍ دَفَقٍ ، وريواءٍ غَدَقٍ ، من سماءٍ طَبَقٍ ، استهلَّ جَفْنُها فَدَمَعَ ، وسمحَ دَمْعُها فَمَمَعَ ، وصابَ وبلَّها فَنَمَعُ ، فاستوفت الأرضُ ريتاً ،

١ قارن بالقلائد : ١٠٣ والخريدة ٢ : ٣٨٢ ، ووردت أيضاً في العطاء الجزيل : ١٢٩

٢ القلائد والخريدة : ترفيهاً وإنعاماً . . . تنبيهاً وإلهاماً .

٣ القلائد والخريدة : وعلى آخرين .

٤ العطاء الجزيل : له .

٥ م : أنعم .

٦ م د س ط : ففتح .

واستكملت من نباتها أثماناً ورثيماً، فزينة الأرض مشهورة، وحلّة الزهر
 منشورة، ومينة الرب موفورة، والقلوب ناعمة بعد بوسها، والوجوه
 ضاحكة بعد عبوسها، وآثار الجزع ممحوّة، وسور الشكر متلوّة،
 ونحن نستزيد الواهب نعمة التوفيق، ونستهديه في قضاء الحقوق، إلى سواء
 الطريق، ونستعيز به من المنّة أن تعود فتنة، ومن المنحة أن تعود محنة.
 وإحسان بني الباجي كثير، وترسيلهم مشهور، اندرج لهم فيه بديع،
 ولا يتسع لاستيفائه هذا المجموع.

وهذه أيضاً جملة من شعر أبي عمر

قال من قصيدة في المعتمد، وقد طاعت له غافق والمدور^٢ أولها :
 أنارت لك الدنيا ووجهك أنورُ وجلت عطاياها وقدرك أكبرُ
 ودار كما شئت القضاء مساعداً فجاءت ولاء غافق والمدور
 أزرتهمما بحر الكنايب مزبداً فألقت عنان الطوع رضوى وصنبر^٤
 ومنها :

.....

١ العطاء الجزيل : إثر .

٢ القلائد والجريدة : الحمد .

٣ غافق : حصن حصين كان بقرب حصن بطروش (الروض : ١٣٩) والمدور حصن آخر

(Almodovar del Ria) قريب من قرطبة ، وانظر الحديث عن المدور في المغرب

١ : ٢٢٢ .

٤ صنبر . اسم جبل ، ذكره البحري « اعلام رضوى أو شواهد صنبر » . وفي المسالك :

وألقت عنان الطوع وهي تحسر .

يقولُ مُثَارُو الجَنِّ إذ ذَعَرُوا بِهِ
سَرَى فَاسْتُطِيرُوا خَيْفَةً مِنْ نَذِيرِهِ
فَتَوَحَّ بِمَوْتِ الحَاسِدُونَ شَجِيًّا بِهَا

ومنها :

لكنَّ جَهْدَ المَدَّاحِ فَيْكَ فَاطْنَبُوا
فَدَتِكَ مَسُوكَ لَا مَلُوكَ كَمَا ادَّعَوْا
وَلِلَّهِ مِنْكَ القَوْلُ والعَقْدُ صَحَّةٌ
وعَصْرٌ تَحْلَى مِنْكَ بِالأَحَدِ الَّذِي
وَأَيَّامٌ سَعَدِيٌّ فِي ظِلَالِكَ أَوْطَنْتَ
نَفِي حَسْنُهَا عَنِ نَازِرِي طَائِفَ الكَرَى
وَأَمْتَعْتِي جَوْ نَضِيرٌ وَسَلْسَلٌ
وَكَمْ مَوْرِدٍ فِي الأَرْضِ يُشْفَى بِهِ الصَّدَى
أَهْنِيكَ أَمْ هَذَا الأَنَامَ بِأَنْعَمِ
وَهَلْ تَلْتَقِي الأَجْفَانُ إِلَّا عَلَى الرَضَى

وله فيه من أخرى أوها ٢ :

لَا زَالَ عَزُّكَ يُخْضِعُ الأَطْوَادَا
لِلَّهِ أَيَّامٌ بِقُرْبِكَ أَنْعَمْتَ

هِيَ الأَرْضُ تَسْعَى أُمُّهُوَ البَحْرُ يَزْخُرُ
وَلَمْ تَكُ لَيْلًا قَبْلَهُ الجَنُّ تُدْعَرُ
فَلَيْتَ حَلِيفَ الغَيِّ يَجِيءُ فَيُخْبِرُ

فَأَنْتَ أَعْلَى فِي النَفُوسِ وَأَخْطَرُ [٤١أ]
إِذَا ظَفَرُوا يَوْمًا زَهَوًا وَتَجَبَّرُوا
إِذَا سُدَّ مَسْمُوعٌ وَخَالَفَ مَضْمَرُ
لَهُ فِي يَدِ السَّبْقِ اللَوَاءُ المَشْهُرُ
تُرَاحُ بِهَا الأَمَالُ دَابًّا وَتُمَطَّرُ
فَأَنْعَمُ سَاعَاتِي بِهَا حِينَ أُسْهَرُ
نَمِيرٌ وَمَمْتَدُّ المَطَارِفِ أَخْضَرُ
وَلَكِنْ نَدَاكَ الغَمْرُ أَحْلَى وَأَنْضَرُ
جَمْعُهُمْ فِي حَلَّتِيهَا يَتَبَخَّرُ
وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا الإِمَامُ ٢ المَوْمَرُ

وَيُذَلُّ فِي آجَامِيهَا الآسَادَا
مَا ضَرَّهَا أَنْ لَمْ تَكُنْ أَعْيَادَا

١ المسالك . تطوى .

٢ المسالك الأمير

٣ منها أربعة أبيات في المسالك .

راقت محاسنها وطاب نعيمها
أسفي على زمن مضى في غيرها
فأنى الزمانُ حدائقاً وعهادا
يا ليت ذاهبه استعيدَ فعادا
وهذا كقول أبي العلاء^١ :

وأطربني الشبابُ غداةً ولتى
وفيهما يقول ابن الباجي :

من مبلغ عني الأجابة إذ نأت
أنتي وجدت الجوى طلقاً بعدهم
فليكبت الأعداء أنك واحد
فليكن معتمد عليه مؤيد
لا يصرف النصحاء عزم سماحه
جود يفيض البحر منه ومنته
وأناة حلم في إباء حفيظة
أوطانهم والمعشر الحسادا
والماء مصقول الأديم برادا
رجح الجموع وقلل الأعدادا
بالنصر منه عفا وجاد وذاذا
سبحان من طبع الجواد جوادا
في البأس يد هيش ذكرها الأنجادا
كالأرض تطلع سوساً وقتادا

وله من قصيدة في تأبين المقتدر بن هود . أولها^٢ :

كأنك ما اتخذت القصر دارا
ولا غدت الجموع عليك خرسا
سكينة ألمي في حباها
خلاتق يستنير الفضل منها
ولا أوقدت بالعلياء نارا
يهابون السكينة والوقارا
شائل تكسب الأنس النوارا
رياض الحزن سامرت القطارا [٤١ب]

١ شروح السقط : ٢٨٤ .

٢ م د ط س : صوب .

٣ منها أربعة أبيات في المسالك .

تعالى الله كيف هوى ثبيره
أسرّ الدهر مقتدر المعالي
أباح لهاجم الحدّان منه
وطل به الزمان وكان قدماً
ريب وقائع بليت عليه
لتبك الخيل مرسلها رياحاً
ويض الطبع مصلتها بروقاً
ووافى البحر مسقطه مغارا
فليم يا بدر فارقت السرارا ؟
زعيماً لم يزل يحيي الذمّارا
يجير على الزمان من لستجارا
حمائله وما حمل العدارا
تلوث بمفرق الشمس الغبارا
وصفر النبع مقدحها شرارا

في ذكر الأديب الأريب أبي الحسن ابن الاستحي^٢

وكان شاعراً مجيداً ، وإماماً في سائر التعاليم محموداً ، وله سبق لا
يُنكر ، وحق لا يؤخر ، وإحسان لا يزال يُذكر ، أنشد له أبو الوليد
ابن عامر في كتابه المسمى بـ « البديع في فصل الربيع » قال ، أنشدني أبو الحسن
ابن الاستحي لنفسه^٣ :

قد قلت للروض ونواره
وعرفه مختلف طيبه
ووجه عبد الله قد لاح لي
وهو من البهجة دري

١ ط م س د : حام .

٢ هو علي بن عبد الله بن علي المعروف بابن الاستحي ؛ ذكره الحميدي مرتين (الجلدوة :
٢٩٥ ، ٣٧٠) وتصحف اسمه في الموضع الثاني إلى « الأشجعي » وكان فقيهاً نحوياً من أهل

قرطبة ، سكن اشبيلية (انظر البغية رقم : ١٢٢١ ، ١٥٢٢ والمساك ١١ : ٤٢) .

٣ انظر البديع : ١٨ والجلدوة : ٣٧١ والمساك والبغية .

شَمُّ غَرْسِكَ الْأَرْضِيَّ إِنَّ الَّذِي أَبْصَرْتُهُ غَرْسٌ سَمَاوِيٌّ
حُسْنُكَ نَوْرِيٌّ بِلَا مِيرِيَّةٍ وَحَسْنُ عَبْدِ اللَّهِ نُورِيٌّ

ومعنى البيت الرابع من هذه ناظر إلى قول الآخر :

لَا تَقِيسْ غَرْسَ رَبِّنَا بِالَّذِي يَتَغَرَّسُ الْبَشَرُ

وقال يمدح المعتضد^١ ويصف الشقائق^٢ :

إِنَّ الشَّقَائِقَ مِنْ حُمْرِ الْخُلُودِ قَدِ اشْدَتْ
كَأَنَّهَا فِي الْمَرْوِجِ الْخُضْرِ آتِيَةٌ
يَا ابْنَ الَّذِي قَدِ حَمَاهَا فِي مَنَابِتِهَا
فَلَمْ تَزَلْ فِي حِمَى مِنْهُ وَفِي حَرَمٍ
مَعْرُوفَةٌ بِاسْمِهِ فِي كُلِّ مُطَلَعٍ
مَحْفُوظَةٌ الْمُنْتَمِي مَرْعِيَّةَ الدَّمِ
جَدِّدٌ^٤ لَهَا مِنْ وَكَيْدِ الْعَهْدِ حُرْمَتِهَا
وَصَلُّ لَهَا مُحَدَّثَ الْإِكْرَامِ بِالْكَرَمِ

أشار إلى أن جدّه كان النعمان الذي نسب إليه الشقائق ، وروي أنه مشى يوماً في بعض شأنه ، فأفضى إلى موضع فيه من هذه الشقائق كثير فقال : احموها ، فحميت ، فسميت بذلك شقائق النعمان ، حكى ذلك أبو حنيفة^٥ ورفعها إلى الأعشى ، وذكر أنه كان حاضراً النعمان يومئذ .

وأذكرها هنا قطعاً من الشعر ، ما ضرّها أن لم تكن قطعاً من الزهر ،

١ البديع : ١٥١ .

٢ م : الشعر .

٣ البديع : أبنية . . اصطلمت .

٤ س د م ط : جرد ، والتضويب عن البديع .

٥ يعني أبا حنيفة الدينوري صاحب كتاب النبات .

تعلقتُ بذكر ابن الاستجعي هذا ، بارى بالمعارضة فيها صدورَ الرتب ،
وأفرادَ أهلِ الأدبِ ممنَ كان بأشيلية في ذلك الزمان ، أخرجتُها من كتاب
« البديع في فصل الربيع » لأبي الوليد بن حبيب المذكور .

قال أبو الوليد^١ : أنشدني أبو الحسن ابن الاستجعي لنفسه يمدح القاضي

ابن عباد من جملة قصيدة : [٤٢ أ]

كأنما الورد ^٢ لمتا	وشتت يدُ المزنِ أرضه ^٥
كواكبٌ في سماءٍ	من الزبرجدِ غضة ^٣
كأنَّ طلَّ الأقاحي	مدامعٌ من فضه ^٤
أو لؤلؤٌ فوقَ أرضٍ	من المها مبيضة
كأنما الوردُ صدرٌ	أبقى به اللثمُ عضه
كأنما النهرُ نصلٌ	جلا الصياقلُ عرضه
كأنما الشمسُ في الجوِّ	حين تقطعُ عرضه ^٥
وجهُ ابنِ عبّادِ الند	بِ حين تأملُ قرضه ^٦
حوى بطولِ يديه	طولَ الثناءِ وعرضه

ومن شعر أبي الوليد ابن عامر في معارضته من جملة قصيدة^٧ :

١ البديع . ٤٠ - ٤١ .

٢ البديع الروص .

٣ البديع . محصه .

٤ البديع . مرفضة .

٥ سقط البيت من م .

٦ ط د . يأمل . ط د . فرضه

٧ البديع ٤١ - ٤٢ :

انظر إلى النهر واعجب^١ بحسن مرآه وارضه^٢
 قد حل^٣ بين رياض^٤ من النواوير غصه
 من نرجس^٥ مثل لون^٦ الـ مهجور فارق غمصه
 وأقحوان^٧ أنيق^٨ بروده^٩ مبيضة^{١٠}
 كأنما النهر أفق^{١١} الـ سماء عائق^{١٢} أرضه
 وقد كسا^{١٣} عدوتيه^{١٤} بحومة الزهر مخضه^{١٥}
 كما ابن^{١٦} عباده^{١٧} الند ب^{١٨} قد كسا الصون^{١٩} عرضه

وقال ابن القوطية في ذلك^{٢٠} :

بشاطي^{٢١} النهر نور^{٢٢} كسا^{٢٣} الدرانك أرضه^{٢٤}
 نمارق^{٢٥} ووراب^{٢٦} من النواوير غصه
 فالورد^{٢٧} وجنة^{٢٨} نخود^{٢٩} غراء^{٣٠} بيضاء^{٣١} بضمه
 كما البنفسج^{٣٢} خد^{٣٣} أبقى به اللثم^{٣٤} غصه
 والياسمين^{٣٥} نجوم^{٣٦} حازت^{٣٧} من الحسن^{٣٨} مخضه^{٣٩}
 حكى سجايا^{٤٠} ابن^{٤١} عبا^{٤٢} د^{٤٣} الكريم^{٤٤} وعرضه^{٤٥}

وقال ابن الأبار من جملة أبيات^{٤٦} :

- ١ ط د م س . عضه ؛ خ بهامش ط . مخضه ؛ البديع : من الأزاهر مخضه .
- ٢ البديع : ٤٣ .
- ٣ م ط س : كما (كى) .
- ٤ البديع . بيضاء غراء
- ٥ البديع الحشم
- ٦ بمد هذا حدث سقط في م .
- ٧ البديع ٤٣ .

شقائق	شق	قلبي	رواؤها	واقترضه ^١
كأنما	الأرض	منها	خريدة	مفتضه
ونرجس	متفاض		كأنما	الحزن ^٢ مضه
يرنو	بطرف	كليل	كن	بجاول
وسوسن	إن	تشمه ^٣	فكالوذائل	بضه
أو ألسن	الدر	صيغت	أو الطلي	المبيضه ^٤
والأقحوان	نجوم		ليست	تُرى

ثم خرج إلى المدح بأبيات حذفها لطولها .

وقال أبو الاصبغ بن عبد العزيز :

يا من تأمل	نوراً	فيه	النواوير	غضه ^٥
وعاين	الحسن	منها	قد زين	البعض
فالنرجس	الغض	تبر	في صفرة	منه
والأقحوان	بياضاً	كأنه	سقط	فضه
والورد	ماء	ونار	سالا	على
ضد أن	في	صحن	خدا	قد ألفا

١ البديع : واقترضه .

٢ ط د س : الحسن .

٣ في النسخ : يشمه .

٤ هنا يستعمل السقط في م .

٥ البديع : ٤٦ .

٦ ط د م س : سلا .

٧ س ط . بعض .

والمُدح حذفته .

وعارضهم القاضي ابن عباد بسطاً لأمانتهم . وعجباً بما أوردوا من
الفاظهم ومعانيهم ، وكأنه نقد على ابن عبد العزيز هذا شيئاً في التشبيه ،
فقال يعرض به ويعاتبه فيه ١ :

أَبْدِخْ شَقِيحِي عَنِّي مَقَالَةً لَتَمَضُّهُ
بِأَنَّ وَصَفَ الْأَقَاحِي الَّذِي وَصَفَ لَمْ أَرْضَهُ ٢
هَلَاً وَصَفَ الْأَقَاحِي بِأَكْوَسٍ مِنْ فَضِهِ
أَوْ النُّجُومِ تَسَاقَطُ نَ فِي الْمَهَا المِيضَةُ

في أبيات غير هذه .

وقال ابن حصن في ذلك ٣ :

نَبَّهَ جَفُونَكَ لِلرُّو ضَ وَاهْجَرَنُ كُلَّ غَمَضَةٍ
قَدْ نَبَّهَ الطَّلَّ مِنْهُ ٤ جَفَنَ الَّذِي كَانَ غَضَّةً
مَنْ بَيْنَ وَرْدٍ كَخَدِّ ٥ حَبِيبٍ حَاوَلْتُ عَضَّةً
وَسُوسَنِي قَدْ حَكَى لِي سَوَالِفَ الْغَيْدِ بِضَّةً ٦
وَمَنْ بَهَارٍ تَدَلَّتِي جَمَاجِمٌ مِنْهُ غَضَّةً

١ البديع : ٤٧ .

٢ ورد البيت في م :

٣ بأن وصف الأفاحي باكوس من فضه

وهو سهو .

٤ البديع : ٤٨

٥ هذا البيت والذي يليه سقطا من م .

كأنه مُعْرِضٌ عن محدث لم يرَ ضه [٤٢ ب]
 ومن أقاح يباهي مصفرةً مبيضة
 كأنه نُقِرَ التَّيْبُ في مداهنِ فضه

ولم أسلك في هذه الأشعار طريق الاختيار ، إذ ليس فيها حظ لمختار ،
 وإنما أثبتتها لما تعلق بها ، وذكرت بسببها ، ولا أعطل جيد التأليف من
 غشلبها .

فصل يشتمل على مقطوعات أبيات لجماعة من الأدباء
 كانوا بعصر المعتضد عباد ، ولم أجد لهم أشعاراً تفسح لي
 في طريق الاختيار ، إلا ما أثبت لهم الوزير أبو عامر
 ابن مسلّم في عرض كتابه المترجم ؛ « الحديقة » فكل
 ما أثبت لهم في هذا الفصل فمن كتابه نسخت ،
 ومن خط يده نقلت

فمنهم الوزير أبو الأصبع بن عبدالعزيز^٢ أنشد له في قفول الخيريّ ورحلة
 البهار :

رحل الربيعُ عليه بندُ موال وأقيم للخيريّ رايةُ والِ
 في شهر كانونٍ أذيلٍ وقوّضتْ أيامُ بهجته فهن خوالي

١ س ط م د . نقد .

٢ ذكره الحميدي (الجدوة . ٣٦٧ والبغية رقم . ١٥١٣) في من ذكروا بالكنية ولم يتحقق
 من أسمائهم . والحميدي يعتمد أيضاً كتاب الحديقة لأبي عامر ابن مسلمة .

فاشكر أوائله فهن نوافج
وإذا سررت بخل صدق وافد
واحمد أوآخره فهن غوالي
ورضيته فانظر إلى الترحال

وأنشد له :

هام قلبي بغزال
شرب الكأس وأبقى
فعلمنا أنه ير
قال لي لولا الحميأ
كشفت من سيره ما
وبدا في الخلد منه
فجني الورد فيه
أتمنى منه عطفه
عامداً في الكأس نطفه
غب أن يمتح رشفه
ما خصصناك بتحفه
لم تكن تأمل كشفه
خجل خالط طرفه
وأنا أمتع قطفه

قال أبو عامر : وكتب إلي وإلى ابن الأبار وقد رأى معنا غلاماً فيما سلف
وسمياً . ثم عذر وأدبر ، بأبيات أولها :

أفتتريسي ظبي أغر غرير
لئن نلتما بالسحر من كل غرة
وقد يحرم الرامي المصيب فريسة
أترت من الصيد الذي قد عقرتما
وسعد الفتى في عمره جالب المنى
فطبا جميعاً واطربا وتمكنا
هل الراح إلا وجهه ورضابه
فان جُمِعَت حَلَّتْ بغير نكير
ومقنصي بدر أنار منير
ففي مقل الغزلان كل غرور
ويرزقها بالسحر كل سحور
وكم عاقري للصيد غير مثير
إليه وفي الحرمان كل عسير
فليس الذي أدركتما بيسير

د : فريضة .

فأجابه ابن الأبار :

لمعرك إن الطيِّبَ غيرُ غريبٍ
بدتُ لحيتهُ في وجهه هي لحيتهُ
وإنَّ حبيَّا البدرِ غيرِ منيرٍ
أتاحَتْ له موتاً بغيرِ نشورِ [٤٣أ]

ومنها :

إذا لم أقلُّ إلاَّ براحٍ وراحةٍ
سأقعدا عن ناهي النهي في اجتنابها
هل العيشُ إلاَّ أن أقبلَ تغرَّها
خبَّرتُ بني الأيامِ شرقاً ومغرباً
فما قدَّرتُ ذنبي في اغتفاري قديرٍ
وإن قام في فوديَّ شاهدُ زورٍ
وأصغي لي بمُ أجشٍّ وزيرٍ
فأثرتها إذ لم أفزُ بأثيرٍ

وأشده له أيضاً بما خاطب به ابن الأبار :

أما وخذُ له مُعدَّزٌ
وخصَّره المشعبِ المعنى
ولمةٍ أسبلتُ أثيئاً
ووردِ خديَّه بعدَ سُكْرِ
إنَّ لعينيه في فوادي
إنَّ خلتهُ ضيغماً قطوباً
فهو من الحسنِ كلُّ بدرٍ
ريقتُهُ خمرةٌ ولكنْ
لو كان في الخلدِ مثلُ هذا
في شبهه قال مثلَ هذا
«مظفَّرُ كاسمه مظفَّرٌ
ومبسمِ الخاتمِ المجوهزُ
بثقلِ ما ضاقِ عنه مثرزُ
كأتهِ وابلٌ معطرٌ
والفُنَّجِ من لحظه المحيِّرِ
أشدُّ من وقعِ كلِّ خنجرِ
أو أسدأ عابساً غضنفرِ
وهو من الطيبِ كلُّ عنبرِ
شيبَ شداها بطعمِ سُكَّرِ
تاه على الحوِّرِ أو تكبَّرِ
من أحسنِ الوصفِ ثم ندَّرِ
أخلاقِ ليثٍ وخلقِ جُوذَرِ»

فأجابه ابن الأبار بهذه الأبيات :

لست بصابٍ إلى معذّر بل أنا في حُبّه معذّر
لا أعشقُ الظبيَ ذا الجامِ لأنّه في الظباءِ منكر
أهواهُ والحدُّ منه صُبْحٌ حتى إذا ما دجا تغيّر
أحسّنُ ما فيه أن تراه بين مهابةٍ وبين جؤذر
متوجّجاً لمةً تبدّى بتاج كسرى ومَلِكٍ قيصر
إن ماس فالمرطُ منه مُثْرٍ بما حوى والوشاحُ مُعسّر
يرفقُ بالخلقِ حين يُغضي وينظرُ الموتُ حين ينظر
متى يَلْمُ عاذلٌ عليه يبدو له وجهه فيُعذّر
كم علّني الراحَ ثم حيّاً أحوى مريضُ الجفونِ أحور
كأنّما سحرٌ وجنتيه نَوَمَ أجفانه لتسهر
ما زلتُ أشتفتها ونُقلي طلاه والمبسمُ المجوهر
أمكن من طُرّةٍ وثغري فصرتُ في جنةٍ وكوثر

وأُشدُّ للوزير أبي الأصمغ بن سعيد^١ :

وما أنسَ لا أنسَ المدامةَ بيننا يناولنيها وهو بالسحرِ نافثُ
ويجعلُ نقلي ريقه^٢ بعد رشفها فيا لك من طيبٍ على السكرِ باعث
فسكرانٍ من خميرٍ ومن رشفِ ريقه وبينهما من سحرٍ عينيه ثالثُ

١ انظر الجدوة : ٣٦٧ (البغية رقم : ١٥١٢) ووصفه بأنه رئيس أديب شاعر؛ وانظر النفع

٣ : ٤٨٥ ، وذكر الحميدي ١٦٤ الأصمغ بن سيد وكناه أبا الحسن، وقال انه ، شاعر اشبيلي

رآه قتل ٤٥٠ ، ولعل الشخصين شخص واحد ، وإنما الخطأ واقع بين الاسم والكنية .

٢ م ط س . ريقها .

وأنشده :

يا أيها الساقى الذي بعثت لنا
لا تسقنيها دونَ ملءِ كؤوسها
إني اتخذتُ الغيَّ رشداً والهوى
فامزج بريقك لي الكؤوس وقلْ لنا
يُمنَاهُ من مُزْنِ الغمامِ رذاذا
وإذا سجدتُ بها إليك فماذا
ديناً ولدتُ عن الرشادِ لوإذا
خُذْ ، تلقني لكبارها أخاذاً

وأنشده :

بالفتّ في عدلي وفي تأنيبي
هيئاتٍ لستُ بتائبٍ عن شُرْبِها
إن كان أكرمني المشيب فانها
فلاشربنّ لكي أدافعَ كَرْبِها
في الراحِ حينَ وعظمتني بمشيبي
ما دامَ شُرْبِها أقلَّ ذنوبي
راحٌ تروحُ بكُرْبَةِ المكروبِ
عني وأطربَ فوق كلِّ طروبِ

وأنشد لأبي إسحاق بن خيرة الصباغ^١ [٤٣ ب]

يومٌ كأنَّ سحابه
حجبت به شمس الضحى
فالغيثُ يبكي فقدها
والرعدُ يخطبُ مفضيحاً
والروضُ يسقيه الحيا
فاطربُ ولدًا بحُسْنِه
لبستُ غمامي المصامت
كئال^٢ أجنحة الفواخت
والبرقُ يضحكُ مثلَ شامت
والجوُّ كالمحزونِ ساكت
والنورُ ينظرُ مثلَ باهت
واشربُ فإنَّ العمرَ فائت

١ هو إبراهيم بن خيرة أبو إسحاق يعرف بان الصباغ ، من شعراء اشيلية (الجدوة ٠ ١٤٥٠
والبنية رقم ٥٠١٠ والمغرب ١ ٢٦٠ والفتح ٣ ٠ ٤٨٥) وفي المصادر بعض أبياتته
التالية ؛ وقد نسبت الأبيات في المطبع . ٢٣ لأبي عامر ابن مسلمة نفسه .

٢ س والجدوة . بمثال .

صرفاً كأنَّ حَبَابَهَا
 تحكي خلالَ الحَاجِبِ الزَّ
 عبادِ السَّامِي الذَّرِي
 ملكٌ إِذَا نَطَقَتْ عُلَا
 أو طاشَ عَقْلُ مَعَاشِيرِ
 وأشدُّ له أيضاً :

انبذُ مقالَ النَّصِيحِ
 ورحُ وباكراً مُداماً
 خرقاءَ يُلغُ منها
 إِذا تناولتَ منها
 رقتَ على ظَهرِ كسرى
 فليس تَوجدُ إلاَّ
 ودينٌ بِشُرْبِ الصَّبُوحِ
 كالشمسِ وقتَ الجَنُوحِ
 لسانُ كلِّ فصيحِ
 حَسَنَتِ كلِّ قبيحِ
 وعهدِ عادٍ ونوحِ
 بنورِ لونِ وريحِ

وأشد له :

ربَّ ليلٍ طالَ لا صُبْحَ له
 في دجى ليلٍ بهيمِ حالِكِ
 فتراها حائِراتٍ في الدجى
 قد هتكنا جُنْحَهُ عن فلقِ
 إذ بدتْ شَبَّهتُها في كأسها
 وامتطيا للمَلاهي مَرَحاً
 صرَعَتْنَا إِذ عَلَوْنَا ظَهرها
 ذي نجومٍ أقسمتْ أن لا تَغورُ
 يستوي الأَكْمَهُ فيه والبصيرُ
 زاهراتٍ كَبصايحِ تنيرُ
 من خمورٍ ووجوهٍ من بدورِ
 نارَ ابراهيمِ في بردٍ ونورِ
 خيلَ راحٍ بمنايانا تدورِ
 في ميادينِ التَّصابي والسُّرورِ

١ س . طال .

فنعانا العُودُ في مبيتنا بأبجُ البمّ إسعافاً وزير
فرفعنا من كؤوسٍ نُكّسٍ وفتحنا من عيونٍ بفتور
فكأنا حين قُمنا مَعَشَرَ نُشِرُوا بعد مماتٍ من قبور

وأنشد لأبي بكر بن نصر الإشبيلي^١ :

أهدتُ إلى رُوحِي براحٍ يمينها راحاً أرقاً من الهوامِ وأعتقا
فكأنَّ حبَّ حَبَّابِها في وجهها درّ على أرضِ النَّضارِ تَفَرَّقا
وكانَ شَخْصَ الكَأْسِ شَمْسٍ وُشِحتُ قمرأ ففاضَ شعاعها وتمزقا
للهِ دركٌ من زمانٍ لم يَزَلْ حُلُوَ الحُلِي رَحَبَ الجَنابِ معتقا
زمنٌ هَصَرَنا عَيْشَهُ فكأنه من جُودِ إِسْماعيلَ كانَ منمقا
الحاجِبِ المَلِكِ الَّذِي حَجَبَ الوري عن كلِّ مَكْرُوهٍ يُخافُ ويُنقَى
وكانهُ بيديهِ صُورَ نَفْسَهُ فأجادها كيفَ اشتهى وتأنقا

وأنشد لمحمد بن ديسم الإشبيلي^٢ :

امزجُ حُميماً الكؤوسِ واشربُ بنفثةٍ من رُضابِ النَعَسِ
راحاً تَمَطَّى بطونَ راح لها خلالَ الضلوعِ مِكنَسِ
يديرُ منها البنانُ خمرأ صبغةً ماء اللجينِ ملبسِ
مَلَكٌ زها رفعةً ومجدأ كمازكا مَحْتَدِأ وَمَغْرِسُ [٤٤أ]

١ أبو بكر ابن نصر الاشبيلي ، ذكره الحميدي في الكنى اعتماداً على ابن مسلمة (الجلوة : ٣٦٩ والبعية رقم : ١٥١٩) .

٢ ذكره ابن سميّد نقلاً عن الحنجاري وانه من شعراء الدولة الممتضدية ، معتدلاً على أبي عامر ابن مسلمة (المغرب ١ : ٢٥٩) .

تَطْلَعُ أَنْوَارَهُ شَهَاباً
وَيُذْعِنُ الْمَوْتَ حِينَ يَسْطُو
إِنْ عَارِضٌ لِلْخَطُوبِ عَسَعَسُ
وَيَبْسِمُ الْمَوْتَ حِينَ يَعْجِسُ

وأنشد له في ترك الشراب ^١ :

تَجَافَيْتُ عَنْ شُرْبِي لَهَا لَا لِعِفَّةٍ
وَأَنَا كُفْرًا قَدْ عَرَجْتُ عَنْ حَقِّ حَبَّتِهَا
وَلَمْ يَكْ إِقْصَائِي لَهَا عَنْ تَحْرُجِ
فَمَا أَنَا عَنْ تَفْضِيلِهَا بِمَعْرُجِ

وأنشد له في مثله :

وَلَمْ أَجْتَنِبْ شُرْبَ الْمَدَامِ لِعِفَّةٍ
تُنَافِرُنِي أَنْ صِيرْتُ ضِدًّا لَشَكْلِهَا
وَلَمْ أَلْحِقِ الصَّهْبَاءَ ذِمًّا وَلَا عَدْلًا
فَلَيْسَتْ لَنَا أَهْلًا وَلَسْنَا لَهَا أَهْلًا

وأنشد لأحمد بن محمد البلخي الإشبيلي ^٢ :

وَأَقْدَرُ رَشْفَتُ مُدَامَةٍ
بِكْرًا وَلَكِنْ عَهْدُهَا
لَا تَنْتَ لَنَا لَكِنْ لَهَا
تَبْلُو وَقَدْ نَظَّمِ الْمَزَا
وَإِذَا تَوَارَتْ بِالْحُلُودِ
وَكَأَنِّي مَوْلَى الْوَرَى
أَشْهَى مِنَ الثَّغْرِ الْبِرُودِ
مِنْ عَهْدِ عَادٍ أَوْ تَمُودِ
بِعَقُولِنَا بِطَشٍ شَدِيدِ
جُ مِنْ الْحَبَابِ لَهَا عَقُودِ
قِي بَدَا سَنَاهَا فِي الْخُلُودِ
وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ عِيْدِ

وأنشد له :

...

١ وردا في المغرب ١ : ٢٥٩ .

٢ م ط د س : ولم .

٣ انظر ترجمته في المغرب ١ : ٢٥٩ والنفع ٣ : ٤٨٤ .

وَمُدَامَةٍ وَرَسِيَّةٍ أَعْمَلْتُهَا عُرِضَتْ عَلَيَّ بِشَرِبِهَا أَعْمَالِي
فَكَوَّسُهَا بِصَفَائِهَا كَلَّالِي وَشَرَابِهَا فِي جَوْفِهَا كَالْآلِ

وَأَنشَدَ لَهُ صَاحِبُ كِتَابِ «الْبَدِيعِ» ١ :

انظُرْ وَنَزَّهُ نَاطِرِيكَ بِرُوضَةٍ غِنَاءَ مَا زَالَتْ تُرَاحُ وَتُمَطَّرُ
لَتَرِيكَ مِنْ صِنْعَاءِ صِنْعَةٍ وَشِيهَا بِمَطَارِفٍ مِنْ تُسْتَرٍ لَا تُسْتَرُ
أَلْوَانِهَا مِثْنِي وَطَيْبُ نَسِيمِهَا يُقْصَى الْعَبِيرُ ٢ بِهَا وَيُنْسَى الْعَنْبَرُ

وَقَالَ ٣ :

أَمَا تَرَى الزَّرْجَسَ الْغَضَّ الذَّكِيَّ بَدَا كَأَنَّهُ عَاشِقٌ ذَابَتْ ذَوَائِبُهُ
أَوِ الْمَحَبُّ اشْتَكَى لَمَّا أَضْرَّ بِهِ فَرَطُ السَّقَامِ فَعَادَتْهُ حَبَائِبُهُ

وَقَالَ ٤ :

رَبِّ نَيْلُوفَرٍ غَدَا يَنْجَلِ الرَّا ثِي إِلَيْهِ نَفَاسَةٌ وَغَرَابَةٌ
كَلْبِيكَ لِلزَّنْجِ ٥ فِي قَبْتِهِ بِيضًا ٦ يَدْنُو الدَّجِي فَيَغْلِقُ بَابَهُ

١ البديع : ٢٩ .

٢ م ط س : يقضي العمور .

٣ هما في المهرب والنفع ٥ وقال ابن سعيدي ان صاحب البديع انشدهما له ، ولكنهما لم يردا في المصدر المذكور .

٤ البديع : ١٤٦ والمغرب والنفع .

٥ البديع . الأحموتس .

وأشبه للوزير أبي بكر بن القوطية^١ في تجنيس القوافي، عارض بها طريقة
أبي الفتح البستي :

سقاني كأسه^٢ ولها ديب^٣ . زادني ولها
غزال^٤ إن رأى ولهي زهنا عن قصتي ولها

وقال :

ومنادم لم أرض من أشري به فنلمت إذ أصبحت غير شريبه
يا ليت ما ألقاه من أرقى به وسهادي انفردا بعين رقيه

وقال :

ومُدِلْ بِسَقِيهِ يَتَلَقَى نُدْمَاه بِسَطْوَةٍ واقْتَدَارِ
فمتى أسأل الرجوع لداري قال لي : اشرب فلست في وقت دار

وقال في المردقوش^٢ :

عبري اللون في الخلقه قد فاق طيباً كل مشوم وبد
ذو جلايب له قلتصها فأت خلقاً كأذان الجُرْدُ [٤٤ ب]

١ المشهور هذا الاسم أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية صاحب كتاب الأفعال
وكتاب افتتاح الأندلس ، أصله من اشبيلية وسكن قرطبة ، وكان عالماً بالنحو حافظاً للغة وأخبار
الأندلس وأحوال فقائها وشعرائها ، وطال عمره ، وكانت وفاته سنة ٣٦٧ ، ولا يمكن أن
يكون هو المذكور هنا ، فلعل هذا حفيد له ، ولهذا وضعه الحميدي في باب الكنى (الجنوة :
٣٦٩ والبعية رقم : ١٥١٨) ، وقد كان أبو بكر هذا هو صاحب الشرطة وذكر أنه شاعر
متأخر (بالنسبة لزمان الحميدي) ، وقد أكثر له صاحب البديع من المختارات الشعرية .
٢ يسمى أيضاً المرزنجوش والمرزجوش ، وهو نبات كثير الأنفصان ينبت على الأرض ،
وله ورق مستدير عليه زغب ، وهو طيب الرائحة جداً .

ولذا سَمَّوْهُ إِذْ أَشْبَهَهَا مَرْدَقَوْشًا بِاشْتِقَاقِ يَوْمِئِذٍ
أشار إلى ما حكاه بعضهم أن المرد بالفارسية : الأذن ، والقوش : الفأر .

وقال في الترنجان :

وأخضَرَ فَسْتَقِيَّ اللَّوْنَ غَضًّا يروقُ بِحُسْنِ مَنْظَرِهِ الْعَيُونَا
ذِكْمِي الْعَرَفِ مَشْكُورِ الْأَيْدِي كَرِيمِ عَرْفُهُ يُسْلِي الْحَزِينَا
أغار على الترنج وقد حكاه فزاد على اسمه أليفاً ونونا

وأراه سمع قول صاعد اللغوي فيه ، حيث يقول ^١ :

من طيبه سَرَقَ الْأَنْرُجَ نَكَهَتَهُ يا قومُ حتى من الأشجار سُرَّاقُ

ولكنه عكسه ، إذ اقتبسه ، وترك الرائحة ومال إلى الاسم .

وقال في التفاح :

وجُلْتَارِيَّةٌ مَسْكِيَّةُ النَّفْسِ كأنها جلوةٌ في كَفِّ مُقْتَبَسِ
قد أَشْرِبَتْ مِنْ صِبَاغِ اللَّهِ حَمْرَتَا كأنها غُرَّةٌ أَوْفَتْ عَلَى لَعَسِ
كريمةٌ من بناتِ الْفَرَعِ مَا حَضَرَتْ إلاَّ وحضت على اللذاتِ وَالْأَنْسِ
حافت فنكَّسَتْهَا لما كلفتُ بها فان دعوتُ أجابت باسمِ مُتَكَسِ

قوله : « حافت » هو « تفاح » مقلوب .

وقال في السفرجل :

.....

١ البيت في الذخيرة ٤ ، الورقة : ٣٤ .

وزعفرانية في ثوب مخزون
مصفرة من بنات الحسن تحسبها
قد رنحت فوق أغصان ترجحها
وتروق طعاماً وشمماً في البساتين
في زغبها ميتاً في ثوب تكفين
وفلكت كئدي الربرب العين

وقال في الأترج :

جسم من النور في ثوب من النار
فابيض باطنها واصفر ظاهرها
مخوفة برماح من منابتها
عطرية لم تطيب للقاء ولا
كانه ذهب من فوق بلار
كانتها درهم من تحت دينار
مشحونة بين أرواح وأمطار
مدت يميناً إلى حانوت عطار

وقال في الخوخ :

وطيب الريق عذب آب في آب
مخمل الثوب لم تخمل رثاسته
خالسته نظري فاحمر من خجل
من اسمه فيه مقلوباً ومبتدأ
وزار مشتميلاً في زي أعراب
بين الفواكه من نقص ولا عاب
خداه ثم انثى عني كرتاب
أربى على اللوز في تطريز جلاب

يريد أن الخوخ يقرأ من طرفيه . وفيه يقول :

لم أر كالفريك جلابا
من طرفيه يتأتى اسمه
كانه قد سكن الزابا
فإن تفتنت له ثابا

وقال في الفستق : [٤٥ أ] .

صدف أبيض نقي
متفر عن جوهر
كل صبيغ يعزى إلى
ذو بهاء
أخضر فيه
لونه قيل
ورونق
مطبق
فستقي

وقال في العُنَّابِ :

أما ترى ثَمَرَ العُنَّابِ مُوقِرَةً
وقد تدلَّتْ به الأغصانُ مائلةً
وقد حمتها عن الأيدي أسننتها
بكلِّ أحمرٍ لَمَاعٍ من الخرزِ
مثلَ العثاكيلِ من صدرٍ إلى عجزِ
حذارَ مفترسٍ أو خَوْفَ منتهزِ

وقال :

ما طَلَعَتْ في قوسها
نَفْسٌ وما مِينُ نَفْسٍ
شِراةٌ تلمحها
ولستُ من شُرَّابها
ولا أنا مَغْتَبِقٌ
لكنني أمدحها
إلاَّ بدا قوسُ قُرْخِ
رُوحٌ ولكنَّ لا شِبحِ
قِراةٌ لمن لَمَحِ
ولا لها بمقترحِ
بها ولا بمصطبحِ
تَظَرُّفاً في من مدحِ

الوزير أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر الايادي

أحدُ الأفرادِ الأجمادِ من إيادٍ ، وهو وإن كان في وقتنا البحرَ الذي لم يُبلِّغْ بالتحصيلِ ، والصبحَ الذي لا يُفتَقِرُ معه إلى دليلٍ ، فإني أجريتُ ذكره في نفسِ هذا الديوانِ نَفَساً ، واجتلبتُ قطعةً من شعره أقمتها للآدابِ عُرُساً ، وجعلتها لألبابِ الشعراءِ والكتابِ مَدْوَساً ، مع أنه أعلى قدراً ، وأبهراً ذكراً ، من أن يعبَّرَ الدهرُ عن علاه ، أو يدَّعي الشعرُ أنه من حلاه ، ولم أظفرُ عند تحريري هذه النسخة بشيء من نثره ، فلذلك اقتصرنتُ على جملةٍ من شعره ، جعلتها ذريعةً إلى إجراء ذكره ، ولولا ترتيبُ اقتضاه

١ في النسخ : مدرسا .

هذا التأليف ، وقضى به التصنيف ، لحلّ ذكره من هذا الديوانِ مَحَلَّ زُحَلٍ من الفلكِ ، والتاجِ من مَفْرِقِ الملكِ .

وقد قَدَّمْتُ في أخبارِ القاضي ابنِ عبادٍ من إظلامِ أفعه - كان - على الأشكال ، واجتماعِ فَرَقِهِ من < غيرِ > الأفعال ، بما أغنى عن إعادة المقال . وكان الفقيه جدّه محمد بن مروان بن زهر^١ . مَنشأ تلك الدولة العبادية أوّلَ مَنْ تَثَنَى عليه الخناصر . وتشيرُ إليه القلوبُ والنواظر ، وتفترقُ إلى ما لديه الألبابُ والبصائر . فضاعت دولته عن مكانه . ضيقَ صدرِ العاشقِ عن كَتْمِ أشجانيه ، واسترابتُ لجلالة شانِه ، استرابة المنافقِ بتلججِ لسانه ؛ وأهمّةُ أمره حتى أخرجه عن بلده ، واستصفى ذاتِ يده ، فلحق بشرق الأندلس . وأقام بها بقيّةَ عمره ، بين جاهه ووفره ، وفي حصنِ حصينٍ من سلامة سيره وجهره .

ونشأ ابنه الوزير أبو مروان عبد الملك بن محمد^٢ فما بَلَغَ أشدّه ، حتى سدّ مسدّه . بل ما خلغ تمامه . حتى استوفى مناقبه ومكارمه ، وورث مباديتهُ وخواتمه . ومال إلى التفتنِ في أنواعِ التعاليم من الطبِّ وغيره من العلوم ، فجمع تتعاعها ، واستوفى أجناسها وأنواعها ، وجذب بضعها ، وفرّقَ بين غربيها وتبّعها ، ورحل إلى المشرقِ لأداءِ حجِّ الفريضة فملا البلادَ جلاله ، ورَجَحَ الأطوادَ أصالةً ، ولم يلقَ أحداً من زعماء تلك الأقطار إلاّ عولَ على ما عنده ، وتجاوز في الأخذِ عنه عَفْوَهُ وجَهْدَهُ .

١ توفي الفقيه محمد بن مروان بن زهر سنة ٤٢٢ (انظر المطرب . ٢٩٣ . والصلة . ٤٨٧ والبنية ص . ١٢٠ والوافي . ٥ . ١٦ وعبر الذهبي ٣ . ١٥٠) .

٢ راجع ترجمة أبي مروان عبد الملك في الذيل والتكملة ٥ : ٣٧ والتكملة رقم : ١٦٩١ وطبقات صاعد : ٨٤ وابن أبي أصيبعة : ٦٤ والمغرب : ٢٦٥ .

ونشأ أبو العلاء زهر بن عبد الملك^١ فاخترع فضلاً لم يكن في الحساب،
 وشرع نبلاً قصرت عنه نتائج الألباب، وكنا نتوقع الحمام حتى سطا،
 ومنتجع الغمام إلى أن أعطى، لو ساجل البحر لفضحه، أو وازن الدهر
 لرجحه، نشأ بشرق الأندلس والآفاق تنهادى عجائبه، والشام والعراق
 تدارس بدائعه وغرائبه، ومال إلى علم الأبدان، فلولا جلالة قدره،
 لقلنا جاذب هاروت طرفاً من سحره، ولولا أن الغلوة آفة المديح، لتجاوزت
 طلق الحموح، ولكن اكتفيت بالكناية عن التصريح، وصلوات الله
 على المسيح. [٤٥ ب] ولم ينزل مقيماً بشرق الأندلس إلى أن كان من غزوة
 أمير المسلمين وناصر الدين، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين، في من انضم
 إليه من ملوك الطوائف إلى حصن لييط ما كان، فشخص الوزير أبو العلاء
 معهم، فلقية المعتمد واستماله واستهواه. وكاد يقلب على نيره وتجوأه،
 وصرف عليه بعض أملاكه، فحن إلى وطنه، حنين النجيب إلى عطنه،
 والكريم إلى سنته، ونزع إلى مقر سلفه. نزع الكوكب إلى بيت
 شرفه، إلا أنه لم يستقر بأشبيلية إلا بعد خلع المعتمد، ودعا به أمير
 المسلمين، رحمه الله، فلباه، وحل من نفسه محلاً لم يحل الماء من الظمان،
 ولا الروح من جسده الجبان. وقد أخرجت من ملج أشعاره ما يعطل
 شدا الزهر، ويخجل سنا الأنجم الزهر.

١ انظر في أخبار زهر بن عبد الملك كتاب التكملة : ٣٣٤ والمطرب : ٢٠٣ والنفع ٣ : ٢٤٦ ،
 ٤٣٢ (نقلا عن الذخيرة) . وبدائع البدائنه : ٣١٠ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٦٤ - ٦٦ . وكانت
 وفاته سنة ٥٢٥ ودفن بأشبيلية خارج باب الفتح .

جملة من مقطوعاته الاخوانيات

كتب إليه حسام الدولة ابن رزين بهذه الأبيات ^١ :

وَدَعِ الحسودَ بِغِلِّهِ وِبدائِهِ	عَادِ اللثيمَ فَأنتَ من أعدائِهِ
مشغولَةٌ أفواهِهم بِجفائِهِ	لا كانَ إلاّ من غَدَتِ أعداؤُهُ
حُسيدَ الكَريمِ بِجودِهِ ووفائِهِ	أبا العلاءِ لئن حُسيدتَ لَطالما
ونأى السناءَ فكَنتَ من أبائِهِ	فخَرَ العلاءُ فكَنتَ من آباءِهِ
لا كانَ قلبٌ لستَ في سَوَدائِهِ	كنْ كَيفَ شئتَ مُشاهداً أو غائِباً
مملوءةً من وُدِّهِ وِصفائِهِ	وإليكَ كأساً من وُدودِ مُمحِضِ

فأجابه الوزير أبو العلاء بقوله :

وتعبَدُ الأحرارَ حُرّاً ^٢ وفائِهِ	يا صارماً حَسَمَ العلاءِ بِمضائِهِ
إلاّ بأنْ سُمِّيتَ من أسمائِهِ	ما أثيرَ العُضْبُ الحسامُ بِذائِهِ
حتى استمدَّ الرشدَ من آرائِهِ	ولقد غدا رأْيُ الزمانِ بِمعزلِ
وتبرَّقعتْ شَمْسُ الضُّحَى لسنائِهِ	عنتِ الملوكُ لفضليهِ وِعلائِهِ
سمّاً لما قابلتها بدوائِهِ	شرفتَ ذا أملٍ بِكأسِ لو غَدَتِ
وأرى رهينَ الرَّمْسِ من شهادتِهِ	كيما أمكونَ الدهرَ مكلوءاً به

قال ابن بسام : قول ابن رزين : « فخر العلاء فكننت من آباءه » ...

١ انظر النفع ٣ : ٤٣٢ - ٤٣٣ .

٢ النفع : حسن .

البيت ، للشعراء تصرّف في اشتقاق المدائح من أسماء المدوحين ، ومنه قول ابن الرومي ^١ :

كأنّ أباه حين سمّاه صاعداً رأى كيف يرقى في المعالي ويصعدُ

ولما سمع البحريُّ هذا البيت قال : مني أخذه في العلاء بن صاعد ^٢ :

سمّاهُ أسرتهُ العلاء وإنّما قصدوا بذلك أن تمّ علاهُ

وقال ابن البين البطلبوسي ^٣ في الوزير أبي الأصبح بن المنخر :

شمُّ الأنوفِ لذلك ما سمّوا بها ومن المسمّى تؤخذُ الأسماءُ

وقال أبو بكر بن سوار ^٤ في القاضي ابن حمدين : [٤٦ أ] .

من مجشّر حميدوا فأحمدَ سعيهمُ فلذلك ما سمّوا بني حمدين

وقال الصاحب بن عباد ^٥ : وقد فتّل المتنبي من هذا جبلاً اختق به ،

فقال ^٦ :

في رتبةٍ حجب الورى عن نيلها وعلا فسَمَّوهُ عليّ الحاجبا

وقال أبو الوئيد بن حزم ^٧ في الوزير أبي العلاء المذكور :

--

١ ديوان ابن الرومي ٢ . ٥٩١ رسالة الصاحب : ٢٤٢ .

٢ ديوان البحري ٠ . ٢٤٠٥

٣ ستجيه ترجمته في هذا القسم : ٧٩٩

٤ » » » » : ٨١١

٥ رسالة الصاحب ٢٤٢ .

٦ ديوان المتنبي : ١٠١ .

٧ ترجمه في ما يلي من هذا القسم

أما العلاء فلن تراحِمَكَ العدا فيه وَحَسَبُكَ أَنْ دُعِيْتَ له أبا

ومن جواب الوزير أبي العلاء له :

أجريت طيرُفَكَ في العتابِ وربِّما — وقيتَ— مَنْ أَجْرَى بلا قِصْدِ كِبا
عُتْبِي ولا عَتَبُ لَدِي ، وإن بنا استبدلتَ بَرَقاً شامَ لِحِظْكَ خَلْبًا
نحبا وضمَّنَ من سجايا ذاته نفحاتِ غَدْرِ ضِمَّنَ هَبَّاتِ الصَّبَا
ولطالما فيه انخدعتُ إِنْخَالَهُ تَصَلَّاءُ فلما أن ضربتُ به بنا
ما كلُّ ناضِرٍ دوحَةٍ روضاً ولا كلُّ ضياءٍ راقٍ حسناً كوكبا

وقول الوزير أبي العلاء : « وربما وقيت » ، من مליح الالتفات ، وهو عند بعض أهل النقد تميم ، والالتفات أولى به وأشكل بمعناه . ومنه قول كثير^١ :

لو أن الباخلين وأنتِ منهم رأوكِ تعلَّموا منكِ المطالا

وقوله : « وأنتِ منهم » التفات . وقد سمَّاه ابن المعتز^٢ : « اعتراضاً » وجعله باباً على حدثه بعد الالتفات ، وغيره^٣ جَمَعَ بينهما^٤ . وقال النابغة^٤ :

ألا زعمتُ بنو عبسٍ بأني ، ألا كذبوا . كبيرُ السنِّ فانِ

١ ديوان كثير ٥٠٧٠ . ومع مصادر تحريجه ، يضاف إليها . بديع أسامة : ١٣٠ . وبديع ابن المعتز : ٦٠ . واعجاز الباقلائي . ١٥٠ . ومعاهد التنصيص ١ : ١٢٥ . وشرح الهج ٤٠٧ : ٢ .

٢ بديع ابن المعتز : ٥٩ .

٣ يريد ابن رشيق في العمدة ٢٠٤ ، وهو يتابعه في أمثله .

٤ لم يرد في ديوان النابغة الذبياني وقال صاحب العمدة . ورواه آخرون للجهمي ، وهو في ديوانه : ١٦٢ . وروايته ، ألا زعمت بنو كعب

ف قوله : « ألا كذبوا » اعتراض ؛ وقال بعض العرب^١ :
 فظَلُّوا بيومٍ دَعُ أَخَاكَ بِمِثْلِهِ عَلَى مَشْرَعٍ يَرُوي^٢ ولما يُصَرِّدِ
 ف قوله : « دَعُ أَخَاكَ بِمِثْلِهِ » التفاتٌ مليح ؛ وقال عَوْفُ بنِ محَلِّم^٣ :
 إن الثمانين ، وَبَلَّغْتَهَا قَدِ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجَمَانِ
 وقال اسحاق الموصلي : سألتني الأصمعي وقال : أتعرف التفات جرير؟
 قلت : وما هي ؟ فأشدني^٤ :
 أتسى إذ تودَّعنا سليمي بفرعِ بَشَامَةِ سَقِييَ البشامُ
 وقال لي : أما تراه مقبلاً على شعره ثم التفات إلى البشام فدعا له ؟ وأنشد
 له ابن المعتز^٥ :
 متى كان الخيامُ بذِي طلوحٍ سَقِيَتِ الغيثَ أَيْتَهَا الخيامُ
 وأحسن^٦ ابنُ المعتزِّ في العبارة عن الالتفات ، حيث قال : هو انصراف
 المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة ، وعن المخاطبة إلى الإخبار وتلا قوله تعالى :
 ﴿ حتى إذا كنتم في الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا
 رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ (يونس : ٢٢) وأنشد لأبي عطاء السندي يرثي عمر بن
 هبيرة :

١ الممددة ٢ : ٤٥ ، وكذلك سائر هذا الفصل من الالتفات .

٢ س م ط د : يروي .

٣ طنقات ابن المعتز . ١٨٨ .

٤ ديوان جرير . ٢٧٩ ، ٢٧٨ .

٥ بديع ابن المعتز : ٥٩ .

٦ هذا كلام ابن رشيق ، وانظر ابن المعتز : ٥٨ .

وإنك لم تبعد على متعمد بل كلُّ من تحت التراب بعيدٌ
وهو عندهم استدراك ؛ وأنشد ابن المعتز في هذا النوع لبشار^١ : [٤٦ب]
نبئت فاضح أمه يغتابني عند الأمير ، وهل عليّ أميرٌ ؟
وما أملح قول نصيب^٢ :
وكدتُ ولم أخلق من الطير إن بدا سنا بارقٍ نحو الحجاز أظيرُ
فقوله : « ولم أخلق من الطير » عجب . ولما سمعت^٣ التي قيل فيها
هذا البيت تنفست تنفساً شديداً ، فصاح ابن أبي عتيق : أواه ، زاه ! !
قد والله أجابته بأحسن من شعره ، والله لو سمعك لتعتق وطار ، فجعله
ابن أبي عتيق غراباً لسواده . وأنشدوا للعباس بن الأحنف^٤ :
إن تمّ ذا الهجره يا ظلوم ، ولا تمّ ، فما لي في العيش من أرب
وقال عدي بن زيد ، وهو في حبس النعمان^٥ :
قلو كنت الأسير ، ولا تكُننه ، إذا علمت معدّ ما أقول^٦
واستقصاء ذكر هذا الباب ، ممّا يضخم حجم الكتاب .

١ ديوان بشار : ١١١ (جمع العلوي) .

٢ ديوان نصيب : ٩١ .

٣ أنظر الأغاني ١ : ٢١٣ .

٤ ديوان العباس : ٣٣ .

٥ م د : السحر .

٦ لم يرد في ديوانه .

٧ هنا آخر النقل عن العمدة لابن رشيق .

وقول الوزير أبي العلاء : « أثار العضبُ الحسامُ بذاته » ... البيت ،
من ملبح المدح في حسن التعرف بجنس السيفيّة ؛ وأبو الطيب ممّن اتخذ
سبباً إلى سمائها وعرج ، وقَرَعَ بابها حتى دخل كيف شاءَ وخرج ، كقوله ١ :

لقد رفع الله من دولة لها منك يا سيفها منصل

وقوله :

لولا سمى سيفه ومضاؤه لما سللنا لكن كالأجفان

وقوله :

تسمى الحسام وليست من مشابهة وكيف يشتبه المخدم والخدم

وقال :

قلد الله دولة سيفها أذ
فإذا اهتز للندى كان بجرأ
ت حساماً بالمكرمات محلى
وإذا اهتز للوغى كان نصلاً

وقال :

وإن الذي سمى علياً لمنصف
وما كل سيف يقطع الهام حده
وإن الذي سمأه سيفاً لظالمه
وتقطع لزبات الزمان مكارمه

وقال :

إن الخليفة لم يسمك سيفه
وإذا تتوج كنت درة تاجه
حتى بلاك فكنت عين الصارم
وإذا تختم كنت فص الخاتم

انظر في هذه الأبيات ديوان المتنبى : ٢٩٧ ، ٤١٣ ، ٣٥٥ ، ٤٠١ ، ٢٤٩ ، ٢٧٨ ،

٣٤٤ على التوالي .

وقال :

مَنْ لِلسَّيْفِ بَأَن يَكُون سَمِيحًا فِي أَصْلِهِ وَفِرْنَدِهِ وَمُضَائِهِ
طَبِيعَ الْحَدِيدِ فَكَانَ مِنْ أَجْناسِهِ وَعَلِيٌّ الْمَطْبُوعُ مِنْ آبَائِهِ

ولما أفضت الحال ، بالمعتمد إلى الاعتقال ، وحُبس بأغمار ، اعتلتُ
بعضُ كرائمه في أثناء ذلك ، والوزير أبو العلاء هنالك ، فبادر إلى مرغوبه ،
وسارع إلى تأتّي مطلوبه ، ولم يلتفتْ إلى ما كان سلف بين سلفيهما من معانٍ ،
قصتها صروفُ الزمان ، واقتضتها حمايةُ السلطان ، فلاطف علاجها ورفع
قدر المعتمد بالتبجيل ، ودعا له بالبقاء الطويل ، وكتب إليه المعتمد إثر ذلك
بهذه الأبيات ، وذكر قصةً غريبةً وهي : أن أكرم بناته ألبأها حينُ إلى استدعاء
غزلٍ بأجرةٍ تسُدُّ بعضَ خلَّتِها ، فأدخل إليها في جملة ما أخرج غزلٌ لنت
عريف شرطته^١ المنتقل إليه من دولة غرناطة ، وعلم الأمر بعد ذلك فتعجب
من تقلب الدهر ؛ وفي ذلك يقول للوزير المذكور^٢ : [٤٧ أ]

دعا لي بالبقاء وكيف يهوى أسيرٌ أن يطولَ به البقاءُ
أليسَ الموتُ أروحَ من حياةٍ يطول على الشقي بها الشقاء
[أرغب أن أعيش أرى بناتي عواري قد أضرت بها الحفاء]^٣
خوادمَ بنتِ مَنْ قد كان أعلى مراتبه - إذا أبدؤ - النداء
وطردُ الناسِ بين يديّ مروري وكفهمُ إذا غصرت الفناء

١ م ط س : شرطه .

٢ ديوان المعتمد ٩٠٠ والمحب ٢١٨ .

٣ زيادة من الديوان لاستيفاء المعنى .

وركض^١ عن يمين^٢ أو شمال^٣ إذا اختل^٤ الأمام أو الورا^٥
ولكن^٦ الدعاء إذا دعاه ضمير^٧ خالص^٨ نفع^٩ الدعاء
جزيت^{١٠} أبا العلاء جزاء بر^{١١} نوى برآ^{١٢} وصاحبك^{١٣} العلاء
سيسلي^{١٤} الكل^{١٥} عما^{١٦} فات علمي بأن^{١٧} الكل^{١٨} يدركه^{١٩} الفتاء

فأجابه الوزير أبو العلاء بأبيات ، قال فيها :

تنافست^{٢٠} المراتب^{٢١} فيك^{٢٢} حتى عزيز^{٢٣} أن ينال^{٢٤} البحر^{٢٥} نهي^{٢٦}
ويُلقي^{٢٧} في متون^{٢٨} الرمل^{٢٩} ماء^{٣٠} وتشكو^{٣١} غاية^{٣٢} المحل^{٣٣} السماء
ولكن^{٣٤} الزمان^{٣٥} بلوم^{٣٦} طبع^{٣٧} على الحر^{٣٨} الشريف^{٣٩} له اعتداء
ومجدك^{٤٠} إنه قسم^{٤١} عظيم^{٤٢} به^{٤٣} وجد^{٤٤} السن^{٤٥} وله^{٤٦} السناء
لكنت^{٤٧} الغيث^{٤٨} إن^{٤٩} محل^{٥٠} تبدى^{٥١} وكنت^{٥٢} الليث^{٥٣} إن^{٥٤} عن^{٥٥} اللقاء
ومثلك^{٥٦}، عز^{٥٧} قدرك^{٥٨} عن^{٥٩} مثل^{٦٠} . يؤمل^{٦١} أن يطول^{٦٢} له^{٦٣} البقاء
لأنتك^{٦٤} في^{٦٥} سماء^{٦٦} المجد^{٦٧} نجم^{٦٨} به^{٦٩} لنواظر^{٧٠} الدنيا^{٧١} جلاء
وغاية^{٧٢} كل^{٧٣} شيء^{٧٤} لانتها^{٧٥}

وخاطبه الوزير أبو محمد بن عبدون برقعة^{٧٦} خطب فيها ودّه ، فتخلف^{٧٧}
عن جوابه لشغل^{٧٨} عرّض^{٧٩} ، فأعاد^{٨٠} عليه^{٨١} ثانية^{٨٢} بهذه^{٨٣} الأبيات :

نصبي^{٨٤} من الدنيا^{٨٥} مودة^{٨٦} ماجد^{٨٧} أهمي^{٨٨} به^{٨٩} سرأ^{٩٠} وأخدمه^{٩١} جهرا

١ في المعجب :

وركض عن يمين أو شمال لنظم الحيش ان رضع اللوا

يعنيه أمام أو وراء إذا اختل الامام أو الورا

٢ م ط د : سبلي ؛ س : سنبل ؛ المعجب : سبلي النفس .

له الخبيرُ إنْ يأذنْ أقبلْ غيرَ عاذلٍ
خطبتُ إليه من هواه عقيلةً
فأطرقَ لم ينبسْ بحرفٍ ولم يُعدْ
وما الصمتُ في هذا المكانِ لِسُنَّةِ
فان زفَّها دوني إلى كلِّ خاطبٍ
وإن حدَّتْ منه إليَّ إجابةً

فأجابه الوزير أبو العلاء :

وفاؤك ما أسنى وفضلك ما أسرى
إذا رمت نثراً جثت بالسحرِ نائراً
بسطت بعفوِ القولِ يميني وملت أنْ
ولو نهضتْ بي نحو سؤلي قدرةً
عقيلةً نظمٍ عن يسارِ زففتها
فما بلحيميلِ الظنِّ يحسبُ أني
أنزّه ذاك الفضلَ عن كشفِ سوءة

ومجدك ما أسمى وزندك ما أورى
وإن حكمت شعراً جثت بالآية الكبرى
قبضت ولم أمددُ إليها يداً يسرى
إذن لم أدعُ في الشكرِ نظماً ولا نثراً
لكفوٍ ودادٍ لم تجد كفوه مهراً
صمتٌ لكبرٍ حين عدت به سرّاً
بلأت إليها حين أرهقني عسراً

ما وجدته من شعر أبي العلاء في النسب

كلفه حسام الدولة وصف غلام قائم على رأسه . فقال ٢ :

١ د . أعقبي .

٢ بدائع البداهة : ٣١٠ - ٣١١ .

تضاعفَ وجدي إذ تبدى عذاره^١
وقد كان ظني أن سيمحق لي^٢
فأظهر ضدَّه^٣ فيه إذ وشت^٤
وتمَّ فخان التلب مني اصطباره [٤٧ب]
بدائع حسن هام فيها نهاره
بعنبر صدغيته على الخد ناره

وقال فيه :

مُحِيَّتْ آية النهار فأضحى
كان يُعشي^١ العيون نوراً إلى أن
بدر تم وكان شمس نهار
شغل الله خده^٢ بالعدار

كأنه ألم في هذا بقول الآخر :

حلقوا رأسه ليزداد قباً
كان قبل الحلاق ليلاً وصباحاً
حذراً منهم^١ عليه وشحاً
فمحووا ليله وأبقوه صباحاً

وقال فيه :

عذار ألم فأبدى لنا
ولو لم يحن النهار الظلام^١
بدائع كنتا لها في عمى
لم يستبن^٢ كوكب في سما

وقال فيه :

تمت محاسن وجهه وتكاملت^١
وكذلك البدر المنير^٢ جماله
لما استدار عليه صبح^٣ موق^٤
في أن تكنفته جمال^٥ أزرق

١ م ط د س . يفتى .

٢ ط م د س . يستيق ، والتصويب عن بدائع الدائمه .

٣ بدائع البدائمه . لما استدار به عذار موق .

٤ بدائع البدائمه : استنار .

وهذا كقول ابن برد وقد تقدم^١ :

يا ثوبه الأزرق الذي قد فاق العراقي^١ في السناءِ
كأنه فيه بدرٌ تمُّ يشقُّ في زُرْقَةِ السماءِ

وإنما أخذه من قول ابن المعتز :

الآنَ صرتَ البدرَ خيِّ نَ لبستَ ثوبَ سمائِهِ

وله وهو مما طبّق المفصل في الغرض واستوفى معنى لم أر أحداً يستوفيه ،
وجمعه من ألفاظ أدبية ، ومعانٍ فلسفية ، وأبرزه في صورة من الحسن
يوسفية :

يا راشقي بسهامٍ ما لها غرضٌ إلا فؤادي وما منها له غرضٌ
ومرضي بجفونٍ لحظها غنجٌ صحّت وفي صنعها التمريض والمرض
امنٌ ولو بخيالٍ منك يؤنسي فقد يسدُّ مسدَّ الجوهري العرَض

١ أورد ابن بسام هذين البيتين في القسم الأول : ٥٠٦ وهما هناك منسوبان لابن الرومي ،
وانظر ديوانه : ١٣٧ .

٢ م : الأزرق .

ومنهم الوزير الفقيه^١ أبو عبيد البكري^٢

وكان بأفقنا^٣ آخر علماء الجزيرة بالزمان، وأولتهم بالبراعة والإحسان، وأبعدهم^٤ في العلوم طلقاً، وأنصمهم في المثور والمنظوم أفقاً، كأن العرب استخلفته على لسانها، أو الأيام ولتته زمام حدثانها، ولولا تأخر ولادته، وعهدة في زيادته، لأنسى ذكر كنيته المتقدم الأوان، ذرب لسان، وبراعة إتقان، لا يجمع الزمان حبه، إلا كما يؤلف كتبه، ولا يهز البرق حسامته، إلا كما يصرف أقلامه، ولا يتدفق البحر إلا كما يجيش صدره، ولا يكون السحر إلا كما يروق نظمه ونثره^٥، وله تقدم^٦ سبق. وسلف صدق. وقد كان لسلفه بغربي جزيرة الأندلس إمرة^٧ قعدوا منها مقعد أكابر الأمراء من الخروج عن الطاعة، والاستبداد عن الجماعة، ولهم في ذلك، وللمعتضد قريع أقرانهم، الذي طم واديه على

١ الفقيه : زيادة من ط .

٢ أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (٨٧٠ -) صاحب المؤلفات القوية البارعة مثل شرح الأمالي وفضل المقال ، والكتب الجغرافية مثل : المسالك والممالك ومعجم ما استمعتم ؛ انظر مقدمة السمط التي جمع فيها الأستاذ الميمني ما ورد عنه في الصلة والقلائد وبغية الملتصم والحلة والوافي وعد مؤلفاته ، وانظر دراسة عنه في الجغرافية والجغرافيين في الأندلس : ١٠٧ - ١٤٨ وقد نقل الأستاذ الميمني نص الدعيرة هذا أيضاً في مقدمة السمط .

٣ بأفقنا : سقطت من م ط س

٤ ط م س : وأبعدهم ؛ الميمني : وأبرعهم .

٥ يعني أبا عبيد القاسم بن سلام .

٦ ونثره : سقطت من م س .

٧ م ط : أميرة .

قُرْبَانِيهِمْ ، أخبار ذكرها ابن حيّان ، وقد أَلَمْتُ منها بلمع ليتصل الكلام ،
ويستقيم النّظام .

فصل في أخبار البكرين من أمراء الغرب^١

[١٤٨] قال ابن حيّان : لما تولّى الوزير أبو الوليد بن جهور
الإصلاح بين ابن الأفطس والمعتضد ، بعد امتداد شأوهما في الفتنة ، وسنّى
الله السلم بينهما في ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين ، اعتدى بعد ذلك المعتضدُ
على جارِيه ابن يحيى أمير لبلة ، وأبي زيد البكريّ أمير شلطيّش وأونبنة^٢
فأخرجهما عن سلطانهما الموروث ، وحصل له عملهما بلا كبير مؤنة ،
وضمّه إلى سائر عمله العريض ، وازداد بذلك المعتضد سلطاناً وقوة ، وذلك
أنه لمّا خلا وجّههُ من المظفر بن الأفطس فرغ لابن يحيى بلبله^٣
وصمّم في قصده بنفسه ، فنزل ابن يحيى له عن لبلة وخرج عن البلد ، وانزعج
إلى قرطبة: وردّها^٤ مسلوب الامارة ، لائلاً بكنف ابن جهور سادّ الخلة

١ نقل دوزي هذا الفصل عن الذخيرة في مجموعه عن بني عباد ١ : ٢٥٢ وانظر البيان المغرب ٣ :

٢٤٠ والجلّة السيرة ٢ : ١٨٠ - ١٨٢ .

٢ أونبة اسم آخر لمدينة ولبة (Huelva) وهي وشلطيّش (Saltes) في كورة اكشونبة
في الركن الجنوبي الغربي من شبه جزيرة ايبرية ، وتسمى المديرية اليوم مديرية ولبة. وفي ساحلها
جزر صغيرة أكبرها جزيرة شلطيّش (انظر الروض المطار ، الترجمة الفرنسية : ٤٤ ، ١٣٥)

٣ لبلة (Niebla) تقع شمال اقليم اكشونبة وتبعد عن اشبيلية إلى الغرب مسافة خمسين
كيلومتراً (الروض : ٢٠٣) .

٤ م س : وردّها .

ومأوى الطريد . وكان من الغريب النادر أن شاركه المعتضدُ بقطعةٍ من خيله
أوصلته إلى مأمنه بقرطبة .

ثم سقط إلينا النبأ بعدُ بامتداد يدهِ إلى البكري بولبة وشلطيش ،
وكان هذا الفتي أبو ريد البكري أوارث ذلك العمل لأبيه ، وكان أبوه
من بيتِ الشرفِ والحسبِ والجاهِ والنعمة ، والاتصال القديم بسلطان
الجماعة ، وكان له ولسلفه قبيلَ إسماعيلَ بن عباد جدَّ المعتضدِ وسائلُ
وأذمةٌ خلَّفها في الأعقاب اغترَّ بها عبد العزيز البكري ، فبادر البعثَةَ إلى
المعتضدِ ساعةً دَخَلَ لبلبة يهتته بما تهبأ له منها ، وذكره بالذمام الموصول
بينهما . واعترف بطاعته ، وعرض عليه التخلُّي عن ولبة ، وإقراره بشلطيشَ
ان شاء ، فَوَقَّعَ له ذلك من المعتضدِ موقعَ إرادة ، وردَّ الأمر إليه فيما يعزم
عليه ، وأظهر الرغبة في لقائه ، وخرج نحوه يبغى ذلك ، فلم يظمنَّ عبدُ
العزيزِ إلى لقائه ، وتحمَّلَ بسفنه بجميع ماله إلى جزيرة شلطيش ، وتخلَّى
للمعتضدِ عن ولبة . فحازها حوزةً ليلبلةً ، وبَسَطَ الأمانَ لأهلها ،
واستعمل عليها ثقةً من رجاله . ورسم له القطعَ بالبكري ، ومَنَعَ الناسَ
طُرّاً من الدخول إليه : فتركه محصوراً وسطَ الماء إلى أن ألقى بيده من قُرْبٍ
ولم يغرُبْ عنه الحزم . فسأل المعتضدَ أن ينطلقَ انطلاقَ صاحبه ، فأمنتهُ ،
ولحق بقرطبة ، وبوشر منه رجلاً سرياً عاقلاً عفيفاً أديباً يفوتُ صاحبه ابنَ
يحيى خِلالاً وخصالاً إلى زيادةٍ عليه بيتِ السَّرْوِ والشرفِ ، وبابنِ له
من الفتيانِ بزَّ الأقرانَ جمالاً وبهاءً وسروراً وأدباً ومعرفةً ، يكنى أبا عبيد .
وتحدَّثَ الناسُ من حزم عبد العزيز يومئذ أنه لما احتلَّ بشلطيش علم أنه لا

يقارِبُ عِبَاداً ، فأخذ بالحزم أولاً ، وتخلَّى له عنها بشروط وفتى له بها ،
فباع منه سفنه وأثقاله بعشرة آلاف مثقال ، واحتل قرطبة في كنف ابن جهور
المأمون على الأموال والأنفس ، وصفت لعباد تلك البلاد ، لو أن شيئاً
يدوم صفاؤه ، والملك لله وحده^١ .

[فصل من نثره^٢]

له من كتاب يهفيء فيه المعتمد بالفتح الذي كان سنة تسع وسبعين
وأربعمائة : أطال الله بقاء سيدي ومولاي الجليل القدر ، الجميل الذكر ،
ذي الأيادي النيرة ، والنعم الزهر ، وهناً ما منحه من فتح ونصر ، واعتلاء وقهر ؛
بطالع السعد يا مولاي أبت ، وبسائح اليمُنِ عدت ، وبكنف الخرز عدت ،
وفي سبيل الظفر سرت ، وبقدم البر سعيت ، وبجنتِ العصمة أتيت ، وبسهم
السداد رميت فأصميت ، صدّر عن أكرم المقاصد ، وأشرف المشاهد ،
وعوداً بأجل ما ناله عائد ، وآب به وارد ، فتوح أضحكت مبسم الدهر ،
وسفرت عن صفحة البشر ، وردت ماضي العمر ، وأكبت واري الكفر ،
وهزت أعطاف الأيام طرباً ، وسقت أقداح السرور نخباً . وثنت آمال الشرك

١ بهامش ط الأيسر بخط غير خط الأصل : « بقي منها عو نصف ورقة » وعل الغامش الأيمن
« هنا ترجمة للوزير الفقيه أبي عمراً أحمد بن محمد بن حجاج » . ولكن مما يلفت النظر أن النسخ
المتعددة لم تورد ترجمة ابن حجاج كما أنها لم تورد للكوفي شعراً أو نثراً . وهي في
الأرجح ناقصة عما رسمه ابن بسام نفسه ، لهذا أثبت هنا بعض نثر البكري وشعره ليكون
ذلك في نسق مع طبعة كتاب الذخيرة .

٢ نهاية الأرب ٥ : ١٤٥ ونقله الميمني في مقدمة السط .

كذبا ، وطوت أحشاء الطاغية رهبا ، فذكرها زاد الراكب ، وراحة اللاغب ،
ومتعة الحاضر ونقطة المسافر :

بها تُنْقَضُ الأحلاس في كل منزلٍ . وتعقد أطراف الحبال وتطلق^١

شملت النعمة ، وجبرت الأمة ، وجلت الغمة ، وشفقت الملة ، وبردت
الغلة ، وكشفت العلة .

كان داء الاشرار سيفك واشتدت شكاة الهدى وكان طبيبا

فغدا الدين جديداً ، والإسلام سعيداً ، والزمان حميداً ، وعمود الدين
قائماً ، وكتاب الله حاكماً ، ودعوة الإيمان منصوره ، وعين الملك قريرة ،
فهنا الله مولانا وهنا هذه المنح البهية مطالعها ، الشهية مواقعها ، المشهورة آثارها ،
المأثورة أخبارها ، ونصر الله أعلامه ففي البرِّ تحلُّ وتعقد ، وعضد جسامه
فبالقسط يُسَلُّ ويغمد ، وأيد مذهب فبالتحزم تُسدى وتُلحم ، وأمد
كتابه ففي الله تسرج وتُلجِم . فكم فادح خطب كفاه ، وظلام كرب
جلاه ، وميت حق أحياء . وحي باطل أرداه . وكم جاحم ضلالة أطفأ
ناره ، وناجم فتنة قلم أظفاره ، ومغلول أسنة أرهف شفاره ، ومستباح
حرمة حمى ذماره .

فله هذه المساعي الكريمة ، والمنازع القويمة . المتبلجة عن ميمون النقيبة
ومحمود العزيمة ، فقد تمثل بها العهد الأول والقرن الأفضل الذي أخرج
للناس يأمران بالمعروف وينهون عن المنكر ، والذي سطع هذا السراج ،
وانتهج هذا المنهاج ، فلا زالت الفتوح تتوالى عليه ، وصنائع الله تتصل لديه ،
إدالة من مشاقيه ، وإذالة لمحاربيه ، وإبادة لمناوئيه . وإن أجل هذه النعم
في الصلور ، وأحقها بالشكر الموفور ، ما من الله به من سلامة مولاي التي هي

١ للأعشى ، ديوانه : ١٤٩ والخيرة ١ : ٨٣٥ .

جامعة لعزّ الدين، وصلاح كافّة المسلمين، بعد أن صلي من الحرب نيرانها،
فكان أثبت أركانها ، وأصبر أقرانها :

وقفتَ وما في الموت شك لواقفٍ كأنك في جنن الردى وهونائمٌ
تمرّ بك الأبطالُ كلمى هزيمةً ووجهك وضاح وثغرك باسم

فله الحمد والابداع والالهام ، وله المنة وعلينا متابعة الشكر واللوم ،
وفازت الكفّ الكليم ، بأعلى قداح المكلم لدى المقام الأكرم ، وانها لمي
التالية للاصبح الدامية ، في المنزلة العالية :

بصرتَ بالراحة العُليا فلم ترها تُنالُ إلا على جسرٍ من التعبِ

جملة من شعر أبي عبيد البكري^٢

قال يخاطب أبا الحسن ابراهيم بن محمد المعروف بابن السقاء وزير ابن
جهور ، وقد خرج رسولاً إلى باديس بن حبوس بفرناطة :

كذا في بروج السعد ينتقل البدرُ ويحسن حيث احتل آثاره القطرُ
وتقتسم الأرض الخطوط فبقعةٌ لها وافر منها وأخرى لها نزر
لذلّ مكانٌ غاب عنه مملكي وعزّ مكانٌ حلّه ذلك البدر
فلو نقلت أرض خطاها لأقبلت تهنيه بغدادٌ بقربك أو مصر

وله في المعتمد عندما أجاز البحر مستجيراً بأمر المسلمين وناصر الدين :

- - - - -

١ ديوان أبي تمام ١ : ٧٨ .

٢ انظر الحلة السيرة ٢ : ١٨٦ وما بعدها ، ومقدمة السمع .

يهون علينا مركب الفلك أن يرى
فجزنا أجاج البحر نبغي زلاله
يذكرنا ذاك العبابُ إذا طمى
محياً العلا لما نبا مركب الجرْدِ
وذقنا جنى الشريان نبغي جنى الشهد
ندى كفك الهامي على القرب والبعْد

ومنها :

محمد يا ابن الأكرمين أرومةً
فلو خلد الانسانُ بالمجد والتقى
ليهنك تشييدُ المكارم والمجدِ
وآلائه الحسنى هنتت بالخلد

وله :

أجدَّ هوى لم يأل شوقاً تجددا
وما زال هذا الدهر يلحن في الورى
ومن لم يحط بالناس علماً فاني
ووجدأ إذا ما آتهم الحبُّ أنجدأ
فيرفع مجروراً ويخفض مبتدا
بلوتهمُ شتى مسوداً وسيدا

وله ، وكان مولعاً بالخمير :

خليليّ إني قد طربت إلى الكاس
فقوما بنا نلهو ونستمع الغنا
فليس علينا ، في التعلل ساعة
وتقتُ إلى شمِّ البنفسج والآسرِ
ونسرق هذا اليوم سرّاً من الناس
وإن وقعتُ في عقب شعبان من باس[أ

١ هنا تقع ترجمة أبي عمر أحمد بن محمد بن حجاج ، وقد نقل ابن سعيد شيئاً منها
عن الذخيرة (المغرب ١٠١ - ٢٥١) وفيها يقول : « كان بحر علوم ، وسابق
ميدان منشور ومنظوم » وأورد له ابن سعيد رسالة أو قطعة من رسالة، أثبتها البلوي
أيضاً على نحو أتم في العطاء الجزيل (ص : ٥) ؛ وأرجو أن أوفق الى العثور على
الترجمة كاملة وإلحاقها بهذا القسم من الذخيرة .

في ذكر ذي الوزارتين الفقيه الكاتب أبي بكر محمد بن سليمان
المعروف بابن القصيرة^١

وهو في وقتنا جمهورُ البراعة ، وبقيةُ أئمةِ الصناعة ، وعذبةُ اللسانِ العربيِّ ، وسويداءُ قلبِ هذا الإقليمِ الغربيِّ ، بحرُ علمٍ لا يتزح ، وجبلٌ حلمٍ لا يزحزح ، من بعضِ كورِ إشبيلية ، نشأ في دولةِ المعتضد ، شهر^٢ بالعفافِ فلزمه ، ويُسِرُّ للعلمِ فتعلّمه^٣ وعلمه ، وكانت له نفسٌ تأبى إلا مزاحمةَ الأعلام ، والخروجَ على الأيام ، وهو دائماً يَغضُّ عيانتها فتجتمع ، ويَطأطأ من غلوائها فتتطاول وتطمح ، ممتنعاً من خدمةِ السلطان ، قاعداً بنفسه عن مرتبةِ نُظرائه من الأعيان ، بين عفةٍ تزهده ، وهيبةٍ من المعتضدِ تُعدهُ ، حتى فطن له ذو الوزارتين ابن زيدون ، فلم يزل يَضْرَحُ قذى العُطلَّةِ عن مائه ، ويُعلي رمادَ تلكِ الهيبةِ عن نارِ ذكائه ، إلى أن نبه عليه المعتضد [٤٨ب] آخر دولته ، فتصرف فيها قليلاً على تقيّةٍ من تلكِ البقية ،

- ١ أبو بكر محمد بن سليمان الكلاعي الاشبيلي (٥٠٨) كان من أهل التفنن في العلوم كاتباً بارع الخط ، وبها فررسولا عن المعتضد بن عباد إلى الملوك غير مرة ، وقبيل وفاته أدركه الحرف ؛ انظر ترجمته في الصلة : ١٠٤ والمغرب ١ : ٣٥٠ والمطرب : ٨١ واعتاب الكتاب : ٢٢٢ والمعجب : ٢٢٧ والوافي ٣ : ١٢٨ والمحمدون من الشعراء : ٣٥٨ والخريدة ٣ : ٣٨٣ والذيل والتكملة ٦ : ٢٢٧ والنسخ ٤ : ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ والاحاطة ٢ : ٥١٦ .
- ٢ من هنا نقل ابن الأبار نص ابن بسام في ترجمة ابن القصيرة (اعتاب الكتاب ٠ ٢٢٢) حتى قوله : تقدمه ؛ ثم لخص بعد ذلك حتى آخر الترجمة .
- ٣ الاعتاب : فعمله .

وتقشّف من ذلك التعفّف ، إلى أن أفضى الأمرُ إلى المعتمد ، وأحسبه قد كان في أيام أبيه، من بعض من يداخله ويصافيه، فجاءه من علاه بنصيب، وسقاه من نداءه ببحرٍ لا يبدّ توب، وأنهضه إلى مثنى الوزارة، وأكثر ما عوّلَ عليه في السفارة ، فسفر غيرَ ما مرةٍ بينه وبين حلفائه من ملوك الطوائف بأفقنا ، حتى انصرفتْ وجوهُ أمالم إلى أمير المسلمين وناصر الدين ، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، فسفر ذو الوزارتين بينهما مراراً فكثُر صوابه ، واشتهر في ذاتِ الله مجيئه وذهابه ، واضطر المعتمد إليه قريباً من آخر دولته ، فعظمتْ حاله ، واتسعَ مجاله ، واستولى على الدولة استيلاءً قصّرَ عنه أشكاله ، إلى أن كان من خلعه ما كان ، فكان ذو الوزارتين أحدَ منْ حُرِبَ . وفي جملة منْ نُكِبَ . وأقام على تلك الحال، نحواً من ثلاثة أحوال ، حتى تذكّره أمير المسلمين بما كان عهد من حسن خليقته، وسداد طريقتة . وقد حدّثتُ أنْ سبّبَ ذلك الذكر ، كتابٌ كان ورد من صاحب مصر ، لم يكن بدّ من الجواب عليه والانصاف منه ، وتفقدَ يومئذ أعلامَ المشاهير ، فكان ذو الوزارتين أقربَ مذكور ، فاستدعاه لحينه ، وولاه كُتُبَةَ دواوينه ، ورفع شأنه ، حتى أنساهُ زمانه ، وقد أثبتُ من كلامه مما أنشأه في الدولتين ، ما يملأ ذكره الخافقين ^١ .

١ ذكر مؤلف المصنف : ٢٢٨ أن ابن القصيرة كان على طريقة قدماء الكتاب من إيثار جزل الألفاظ وصحيح المعاني من غير التفات إلى الأسجاع التي أحدثها متأخرو الكتاب ، اللهم إلا ما جاء في رسائله من ذلك عفواً من غير استدعاء .

جملة من إنشاءاته السلطانيات مع ما يتعلق بها ويذكر بسببها

له من رقعة وردت على الجناح بهزيمة الطاغية اذفونش، قصمه الله ، يوم الجمعة المشهور ، الذي أباد الله فيه عبدة الطواغيت على يدي أمير المسلمين وناصر الدين ، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، قال فيها :

كتبت^١ صبيحة يوم السبت الثالث عشر من رجب ، وقد أعز الله الدين ، وأظهر المسلمين ، وفتح لهم بفضلته على يدي مسعانا الفتح المبين ، بما يتسر الله في أمسه وسنائه ، وقدّره سبحانه وقضاه^٢ ، من هزيمة اذفونش بن فرذلند ، أصلاه الله - إن كان طاح - الجحيم ، ولا أعدمه - ان كان أمهل^٣ - العيش - الدميم ، كما قنعه الخزي العظيم ، وإتيان القتل على أكابر رجاله وحُماته ، وأخذ النهب في سائر اليوم والليلة المتصلة به إلى جميع محلاته ، وحضور العدد الوافر بين يدي من رؤوسهم ، ولم يحتز منها إلا ما قرب ، وامتلاء الأيدي ممّا قبض ونهب ، واتخذ الناس هوماتهم صوامع يؤذنون عليها ، ويشكرون الله تعالى على ما صنع فيها ، والتتبع بعد في آثارهم ، وتمادي الطلب من وراء فرارهم ؛ والذي لا مربة فيه أن الناجي منهم قليل ، والمفلت

١ فيه مشابه مما أورده صاحب الروض المطار (مادة : الزلافة) ونقله المقرئ في النفع ؛

٢٦٩ ، وانظر أيضاً القسم الثالث من كتاب أعمال الاعلام : ٢٤٥ .

٢ م : وقدره ممثلاً وقضاه ، س : وسناه ممثلاً وقضاه .

٣ اعلام : ان كان قد أمهله

من سيوف الهند بسيوف الجوع والبعد مقتول ، ولم يصبني بحمد الله إلا جرحٌ
أشوى^١، وعنتٌ رغبتُ حُسْنِ المآلِ عندي^٢ وزكّيتُ، فلا يشتغلُ لك
بذلك بال^٣، ولا تتوهم فيه غير ما أشرتُ إليه ، والحمد لله على ما صنعَ حتى
حمده ، وهو أهلُ المزيدِ الذي لا يرجي إلا من عنده .

قال ابن بسام : وشهر رجب الذي ذكره كان سنة تسع وسبعين .

ثم ورد بعدُ كتابٌ من إنشائه يشرحُ جُمْلَ هذا الفتح وتفصيله^٤ ، قال
في بعض فصوله : وقد علم ما كنا قبلُ مع عدوّ الله اذفونش بن فرذلند ،
قصمه الله ، من تطأطؤنا واستعلائه ، وتقامثنا وانتخائه ، وأنا لم نجد لدائه
دواء ، ولا لبلائه انقضاء^٥ ، ولا لمدة الامتحان به فتناء^٦ ، إلى أن سنّى الله
تعالى من استصراخ أمير المسلمين وناصر الدين ، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ،
معقلي الأحمسى - أيده الله - ما سنّى ، وأدنى من نأى دياره وشحط مزاره
ما أدنى ، فلم أزل أصلُ بيني وبينه الأسباب ، وأستفتحُ إلى ما كتُّ أنخيلُ من
نصره الأبواب ، إلى أن ارتفعتِ الموانعُ قبله^٧ ، وانتَهجتِ السبيلُ القصية^٨ له ؛
ثم أجاز - على بركة الله وعونه - يريشُ ويبري ، وصار بعدُ قدماً ما يخلُقُ
ويفري ، ويتتبعُ وجوه الخزامة [٤٩ أ] كيفما اتجهت ويستقري ، وأنا أنجده
بوسعي ، وأسعده على حسَب ما يُطيقه ذرعي ، إلى أن صرنا معشر الخلفاء

١ أشوى . أصاب الشوى أي الأطراف ولم يكن قاتلاً

٢ هذه العبارة قلقة هنا . وكذلك هي في الروض والنفح وأعمال الاعلام .

٣ ط د س . القيمة (ولعل الصواب : العصية) .

٤ م س : الخلفاء .

ببَطْلَيْبِوس - حرسها الله - واتفق رأينا بعد تشاورٍ على قصد قورية^١ - حرسها الله - وسمع العدو - لعنه الله - بذلك ، فصمد من مُحْتَشِدِهِ إليها في جيوشٍ تملأُ الفضاء ، وتسدُّ الهواء ، وتمنعُ أن تقع على ما تحت راياته ذُكاء ، قد تحصَّنوا بالحديد من قرونهم إلى أقدامهم ، وانخفوا من السلاح ما يزيدُ في جرأتهم وإقدامهم ، ولما أشرف على جنابها ، ولسنا بها ، ودنا من أعلامها ، ولم يتَّجه لنا بعدُ ما أردنا من إلامها ، دعاهُ تماظمه^٢ إلى مواجهة سيبلنا ، وحمله نَفْجُهُ وَهَوْرُهُ على السلوكِ في مَدْرَجِ سيولنا .

وفي فصل منها : فدنونا إليه بمحلاتنا - نصرها الله - ثم اضطربناها^٣ بازائه ، وأطللنا عليه براياتنا^٤ حتى كدنا نركزها بفينائه^٥ ، ورأى - لعنه الله - ما اعتمدناه من إصغاره وإخزائه ، فأجمع مضطراً على اللقاء ، وقدم بعضَ أخبيته دَهْشاً في الرقعة التي كانت بيننا على صفرها من بساطِ الفضاء ، وقد تيقنَ أَنَّهُ إن أخذ المسلمون مصافهم ، ورتبوا في مواقعهم كوافهم ، اضطلِّمَ عن آخره جَمْعُهُ ، واجتثَّ أصلُهُ وفرعُهُ ، فاهتبلَ فيما قَدَّرَ غَيْرَةً ، وحمل ولم يكن - بحمدِ الله - ما استشعره مرَّةً ، فتنادى المسلمون بشعارهم المنصور ، وأقبلوا عليه وعلى من معه في حالٍ مؤذنةٍ بالظهور والوفور ، فتواقف قليلاً الجمعان ، وتجاول ملياً الفريقان ، والسيوف حكمها ، ومن الختوف حدُّها المفهوم ورسمها ، ثم صدق أميرُ المسلمين وناصر

١ قورية (Coria) قريبة من ماردة (الروض المطار رقم : ١٥٣) وفي س م : مورية .

٢ م ط . تماظيه .

٣ م د . أخطرناها .

٤ م : برايتنا .

٥ بفائه : سقطت من م .

الدين - أيدته الله - الحملة ، وصددم في جمع لم يكثر عدد الحملة ، فلم يلبث أعداءُ الله أن ولّوا الأدبار ، واستصرخوا الفرار ، واتبعهم خيل المسلمين - نصرهم الله - بقية اليوم واللييلة ، تقتلهم في كل غَوْرٍ ونجد ، وتقتضي أرواحهم على حالين من كاليءِ ونقداً ، ولم يخلص منهم على أيدي المتبعين - آجرهم الله - إلا من سيلتهمه البُعد ، ويأتي على حُشاشته الجهد ، وأما محلّتهم فانتُهبت في أوّلِ وهلة ، وشربت بأسرها في نهلة .

وفي فصل منها :

ولم يُصَبِّ بحمد الله من المسلمين - وفرهم الله - على هول المقام ، وشدّةِ الاقتحام . كثيرٌ ، ولا مات من أعلامهم^٢ تحت تلك الجولة إلا عدد يسير ، فإن كان اذفونش - لعنه الله - لم يمت تحت السيوفِ بدداً ، فسيموت لا محالة أسفاً وكمداً ، ونحمد الله على ما يسره من هذا الفتح الجليل وسنّاه ، ومنحه من هذا الصنع الجميل وأولاه .

قول أبي بكر فيما كتب به عن المعتمد يومئذ : « ولم يصبني إلا جرح أشوى » تواتر النبا أنه جرحته يده في ضنك ذلك المأزق .

وقيل في يومِ الجمعةِ أشعاراً سارت بالمقارب والمشارك ؛

أخبرني أبو بكر الخولاني المنجم قال : كتب إليّ أبو عبد الله بن عبادة^٣

١ الكالغ : التسيئة والسلفة ، والنقد : الدفع المعجل .

٢ م : أعاليهم .

٣ يعني أبا عبد الله محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز .

من المربة بقصيدته في صفة يوم الجمعة ، فارتفعت إلى المعتمد على يدي ،
وهي التي يقول فيها^١ :

وقالوا كفضه جُرِحَتْ قفلنا أعاديه تواقعها^٢ الجراحُ
وما أثرُ الجراحة ما رأيتُم فترهبها المناصلُ والرماحُ
ولكن فاض سيلُ البأسِ منها ففيها من مجاريه انسياح
وقد صحَّت وسحَّت بالأمانى وفاض الجودُ منها والسماح
رأى منه أبو يعقوب فيها عُقَاباً لا يُهاضُ لها جناح
فقال له لك القِدْحُ المعلَى إذا ضُرِبَتْ بمشهدك القِداحُ

[٤٩ ب] وفي ذلك اليوم يقول عبد الجليل ، ويمدح أمير المسلمين وناصر
الدين ، رحمه الله تعالى^٣ :

فتار إلى الطعان حليفُ صدقٍ تثورُ به الحفيظةُ والذمَامُ
نُحِي في حميرٍ ونَمَتِكَ لحمٌ وتلك وشائجُ فيها التحام
فيوسفُ يوسفُ إذ أنت منه كيامن^٤ . لا وهي لكما نظام
نهجتَ لسيله نهجاً فوافى وفي آذيتِه الطامي عرامُ

١ انظر أبياتاً منها في القسم الثالث من أعمال الاعلام: ٢٤٩ وفي القلائد: ١٣ والمغرب والخريدة
وهي من قصيدة وردت في ترجمة ابن عباد القزاز في القسم الأول من الذخيرة: ٣٠٨
٢ م س . تواقمه .

٣ منها أبيات في المسالك: ١١: ٢٢١ والخريدة ٢: الورقة ٩٩ (في ترجمة عبد الجليل ابن وهبون)
والمغرب: ١٢٠ - ١٢١ والقسم الثالث من أعمال الاعلام: ٢٤٧ - ٢٤٨ والقلائد: ١٣ .
٤ كيامن . مثل يامن (يعني بنيامين أخا يوسف الصديق) وفي أعمال الاعلام: كبا بزا
وما لكما نظام (وهو غريب) .

فهبيلَ به كئيبُ الكفر هيبلاً وكلُّ رُفَيْغَةَ^١ منه ركام
وصاروا فوق ظهر الأرضِ أرضاً كأنَّ وهادهاً منهم اكام
عديدٌ لا يشارفُهُ حسابٌ ولا يحوي جماعتهُ زمام
تألفتِ الوحوشُ عليه شتى فما نقصَ الشرابُ ولا الطعام
فان ينجُ اللعينُ فلا كحُرٌّ ولكنْ مثلما ينجو اللثام

وكان اذفونش قد اضطره الخورُ يومئذٍ للفرار ، فتسنم قسنن الجبالِ
الشاهقة والأوعار ، إلى أن جنته ثوبُ الظلام . فنجا منجى الحارث بن
هشام . برأس طميرةٍ وبلحام^٢ ، ودخل طليطلة - أعادها الله - مع شيرذمة
من أتباعه قليلة . وبقية من طائفة له مخدولة مغلولة . فوصف ذلك كله
عبدُ الجليل في هذه القصيدة . فقال :

فأين العجب يا أذفونش هلاً تَجَنَّبْتَ المشيخةَ يا غلامُ
ستسألك النساءُ ولا رجالٌ فتخبرُ ما وراءك يا عصام^٣

وهذا لفظ أبي فراس في سيف الدولة . ونشده ما قبله لاتصال المعنى به^٤ :

سلي عني سرةَ بني كلابٍ ببالسَ عند مشتجرِ العوالي

.. .. .

١ ط : رقيقة ٤ ؛ والرقيقة : التراب اللين .

٢ فيه إشارة إلى قول حسان بن ثابت يميز الحارث بن هشام بالفرار .

إن كنت كاذبة الذي حدثتني فنحوت سجي الحارث بن هشام

ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طميرة وبلحام

٣ هو مثل ، انظر جمهرة المسكري ٢ : ٢٥٥ (تحقيق أبو الفضل) والميداني ٢٠ : ١٤٣

واللسان (عصم) .

٤ ديوان أبي فراس : ٣٠٦ .

لقيناهم بأسيافٍ قصارٍ كَقَمِينٍ مؤونة الآسَلِ الطَّوَالِ
تدورُ به نساءُ بني قَرِيظٍ^١ وتسالهُ النساءُ عن الرجال

وفي هذه القصيدة يقول كأنه يخاطب أذفونش :

أقمتَ لدى الوغى سوقاً فخذها مناجزةً ، وهونٌ ما تُسام
فان شئتَ اللجينَ فثمَّ سامٌ وإن شئتَ النصارَ فثمَّ حام
رأيتَ الضربَ تصلياً فصَلِّبْ فأنتَ على صليبك لا تلام
أنامَ رجالك الأشقونَ ؟ كَلَّا وهل يحلو بلا رأسٍ منام
رفعنا هامهمُ في كلِّ جِذْعٍ كما ارتفعتَ على الأيكِ الحمام
سعيدٌ بعدها الظلماءَ لَمَّا أتيجَ له بجانبها اكتتام
ولا ينفكُ كالحفَّاشِ يُغْضِي إذا ما لم يباشِرهُ الظلَّام
نضا أذراعهُ واجتابَ ليلاً يودُّ لو أنَّ طولَ الليلِ عام
وليس أوانَ للأيمِ^٢ انسلاخُ ولكنْ في ضمائرهِ احتدام

وقوله : « سعيد بعدها الظلماء » . . . البيت ، كقول المتنبي^٣ :

[٥٠ أ] .

وكم لظلامِ الليلِ عندك من يدٍ تخبرُ أنَّ المانويةَ تكذبُ

وكقول أبي تمام^٤ :

١ الديوان : إمام من قريظ .

٢ م س : الليل .

٣ ديوان المتنبي : ٤٦٤ والخريدة ٢ : ١٠٠ .

٤ ديوان أبي تمام ١ : ١٩٩ .

جفا الشرقَ حتى ظنَّ مَنْ كان جاهلاً
بدين النَّصارى أنَّ قِبَلَتَهُ الغربُ

وقوله : « يود لو أن طول الليلِ عامٌ » ؛ من قول المعري ، وقصر عنه :
يودّ أنَّ ظلام الليلِ دام له . . . البيت ١ ، ونقله التهامي نقلاً مليحاً
فقال ٢ :

وتودُّ لو جعلتُ سوادِ قلوبها وسوادِ عَيْنَيْها سوادِ عذارِ

وكانت طوائف الروم ، مدة ملوك الطوائف بأفئدة كلب داؤهم
بكلِّ إقليم ، فلاطفوهم بالاحتيال ، واستترلوهم بالأموال ، فلم يزل
دأبهم الإذعان والانتقياد ، ودأب النصارى التسلط ٣ والعدا ، حتى
استصَفوا الطريف والتلاد ، وأتى على الظاهر والباطن التفاد ، بما كانوا
ضربوا على أنفسهم من الضريبة ، إلى ما يتبعها من هديّات ونفقات ، وشعرُ
العصرِ ، شاهدٌ بالأمر ، كقول حسّان بن المصبِحي ٤ يمدحُ المعتمد ويهون عليه
تلك الاتاوات ، من جملة أبيات :

ولم تَطوِّ دون المسلمين ذخيرةٌ تُهينُ كرام المُتَنفساتِ لتكرما
تَحْيِلُ في فكِّ الأسارى وإنّما تعاقدُ كفّاراً لتطلق مسلما
وما كنت ممّن شحَّ بالمال والقنا فتكتز ديناراً وتركز لهذما
فترسله للصُّفْرِ أصفر عسجداً وإن خالفوا أرسلت أبيض مخذما

١ تمامه : وزيد فيه سواد القلب والبصر (شروح السقط : ١١٩) .

٢ ديوان التهامي : ٥٥ .

٣ م : التصليط .

٤ ستأتي ترجمته في هذا القسم : ٤٣٣

وفي ذلك يقول أبو بكر الداني من جملة قصيدة :

في نصره الدين لا أعدمت نصرته^١ تلقى النصارى بما تلقى فنخدع^٢
تنيلهم نعماً في طيها نقم^٣ سيستضر بها من كان ينتفع
وقل ما تسلم^١ الأجسام من عرض^٢ إذا توالى عليها الري والشبع^٣
لا يخطئ الناس عشوا عند مشكلة^٤ فأت أدرى بما تأتي وما تدع

وهذا مدح غرور ، وشاهد زور ، وملقى معتف سائل ، وخديعة^١
طالب نائل ، وهيات !! بل حلت الفاقة بعد بجماعتهم^٢ حين أيقن النصارى
بضعف المتن^٣ ، وقويت أطماعهم بافتتاح المدن ، واضطرت في كل^٤
جهة نارهم ، ورويت من دماء المسلمين أسنتهم وشفارهم ، ومن أخطأه
القتل منهم فلإنما هو بأيديهم سبايا ، يمتحنونهم بأنواع المحن والبلايا ، حتى
دتوا مما أبادوه من التوثب ، وأشرفوا على ما أمْلوه من التغلب^٥ .
وحصلت مدينة قورية وسرته أولاً في يد العدو ، إلى عدة حصون^٦
وقلاع ، كلها في غاية من الحصانة والامتناع ، ثم لم يزل التخاذل يترايد^٧ ،
والتدابير يتساند^٨ ، حتى حلت الفاقة ، وقضيت القضية ، وتُعجلت^٩
البلية ، بحصول مدينة طليطلة في أيدي النصارى ، وذلك في سنة ثمان^{١٠}
وسبعين ، وهي من الجزيرة كمنطقة الدائرة ، وواسطة القلادة ، تدركها
من جميع نواحيها ، ويستوي في الاضرار بها قاصيها ودانيها . وفي ذلك يقول

١ ط م س : تسام .

٢ ط د : المتن .

٣ وضعنا هذا النص بين أقواس ، لأنه سيرد من بعد في رسالة لمحمد بن أيمن ، فهو ليس
من كلام ابن بسام ، وإنما أورده مقتباً .

بعض الشعراء^١ :

حشوا مطاياكمُ عن أرضِ أندلسٍ فما المقامُ بها إلا من القلطِ [٥٠ ب]
فالثوبُ ينسلُ من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط

ولعمري لو^٢ قضى بالسّماع على العيان ، واستغنى بالإقناع عن
البرهان ، واطمأن قلبه إلى التّمويه ، وقد رآه محضاً لا شكّ فيه ، لكان
كلامُ الداني أبي بكر ، في ذلك المعنى المتقدّم الذكر ، برتبة ذلك أليق ،
وفي حليته أجمع وأسبق ، حتى لو سمعه الحارث بن هشام ، لتعلم
أنه قد ترك في حمند المذموم ، ومعارضة الصحيح بالسقيم ، طلقاً شاسعاً ،
ومجالاً واسعاً .

وأولُّ من حسنّ الفرار ، فما وقع ولا طار^٣ ، الملكُ الضليلُ حيثُ
يقول^٤ :

وما جبّنتُ خيلي ولكنْ تذكّرتُ مرابطتها من بربعيص وميسرا^٥

ثم تتابع الشعراء في خدعِ العقولِ ، بالتّمويه المستحيل ، فمن مُحسنٍ
برزّ ، ومن مقصّر عجزّ ، ومن أحسن ما ورد في ذلك قول حسان^٦ :

١ هو ابن العسال الزاهد عبد الله بن فرج اليحصبي ، انظر النفع ٤ : ٣٥٢ .

٢ في النسخ : لقد .

٣ م : عار .

٤ ديوان امرئ القيس : ٧٠ .

٥ قيل إن بربعيص بنواحي حلب ؛ وفيها وفي ميسر كانت وقعة فيما يبدو .

٦ ديوان حسان ١ : ١٧ .

نوليها الملامة إن ألمنا إذا ما كان مغثاً أو لحاء^١
ونشربها فتركنا ملوكاً وأسداً ما ينهنهننا اللقاء

الآبيات ، حتى قال الحارثُ بن هشام قطعتهُ في حُسْنِ الفرار، التي
التي صارتُ نهايةً في العجب ، وشهادةً في تحسين نتائج الحرب ، وهي
قوله^٢ :

الله يعلمُ ما تركتُ قتالهم حتى علّوا فرسي بأشقرَ مُزِيدِ
ونشيتُ ریحَ الموتِ من تلقائهم في مأزقٍ والخيلُ لم تبددِ
وعلمتُ أني إن أقاتِلُ واحداً أقتلُ ، ولا يضرُّ عدوي مشهدي
فصددتُ عنهم والأحبةُ فيهم طمعاً لهم بعقابِ يومِ سَرْمَدِ

وسمعاها بعض العجم فقال : قاتلكم الله معشرَ العرب ، حَسَنَتْكُمْ كُلُّ
شيءٍ حتى الفرار .

ومن أسحري^٣ ما وَرَدَ في ذلك للألباب ، وأخذَ عِـهِ عن الصواب ،
قولُ ابنِ الرومي في سوداء ، وقد تقدم في ما مرَّ من الكتاب^٤ :

أكسبها الحبَّ أنها صُبِغَتْ صبغةَ حَبِّ القلوبِ والحدقِ

إلى ما لا يُحصى عدده ، ولا يُستقصى أمده .

.. .. .

١ الممث : القتال ؛ اللحاء . السباب ؛ ألمنا : فعلنا ما نلام عليه .

٢ حساسة البهتري : ٥٠ ونسب قريش : ٣٠٢ والسيرة ٢ : ١٨ والمقد ١ : ٤٠ .

٣ م : أهر .

٤ انظر زهر الآداب : ٢٣٠ وتشبيهات ابن أبي عون : ٢٣٦ والقسم الأول من اللخيرة ١٥٠٠

والفيث ٢ : ١٦٠ .

ومن الشاهد أيضاً على ما تقدم من الأوصاف رِقَاعُ رأيتها تكتب يومئذ
بأحد بيوت الأشراف ، خوطب بها العمال ، في استعجالٍ قَبْضِ تلك
الأموال ، منها رقعة عن المعتمد قبل فيها :

الحال مع العدو - قصمه الله - بيّنة لا تخفى ، ومداراته - ما لم تمكن^١
مضاهاته - أولى وأحرى^٢ ، والتزيم له في الصلح المتفق عليه جملة مالٍ
رُسم عليك منه - بعد النظر لحالك ، والتحاشي من الإجحاف بمالك - كذا ؛
فمَجَلِّ النظر فيه ، وابعثه بكتابٍ تجاوبُ على ظَهْرِهِ بوصوله ، وبحسب
تعجيلك أو تأخيرك يكونُ الاستدلال على طيب نفسك ، وصدق ضميرك ،
فَتَدَارِكُ بالمشاركة في هذا الخطبِ الملمُّ الملمُّ الذي لا محيدَ عنه ، ولا
بدَّ منه .

وأخرى خوطب عنه بها قواد البلاد في هذا المعنى : الحال مع العدو -
قصمه الله - بيّنة لا تحتاجُ إلى جلاءٍ ولا كشفٍ ، معروفةٌ لا تفتقرُ إلى
نعتٍ ولا وصفٍ ، ومن لا يمكنُ مقاواته ومخاشته . فليس إلا مداراته
وملايئته . وكان - فلَّ الله حدَّه ، وفضَّ جنده - قد اعتقد الخروجَ في
هذا العام إلى بلادنا - عصمها الله - بأكثف من جموعه في العام الفارطِ
وأحفل ، وأبلغ في استعداده وأكمل ، إلا أنَّ الله تعالى يَسَّرَ من إنايته
إلى السَّلمِ ما يَسَّرَ ، ونظر لنا من حيثُ لا نستطيعُ أن ننظر ، ووقعَ
[٥١ أ] الاتفاقُ معه على جملةٍ من المال تُقدِّمُ إليه ، ونستكفُّ بها الشرَّ

١ ط م د : تكن .

٢ م . وأجدى .

المرهوب^١ لديه ، فكم حالٍ كانت بخروجه تتلّف ، ونعمة بأيدي طاغيته تُنتسِف ؛ والرعيةُ — حاطها الله — في هذا العام على ما يقتضيه ما عمّ البلاد من الفساد ، وشملتها من جائحة القحطِ والجراد ، وتكليفها أداءَ شيءٍ من المال الذي التزم مرتفعٌ ، وأخذها بالمعونة على ما ناب مُمتنعٌ ، فلم يبقَ إلاّ أن نميل بهذه الكُلْفَةِ على الخِدْمَةِ مَيْلَ العموم ، ونجربهم فيها على أحسنِ مجاري التحرير والتقويم ، وهي حالٌ تقتضي من كلِّ مَنْ أَحْسَنَ التأمّلَ المعونةَ فيها ، والمبادرةَ بحسب طاقته إليها ، وقد أدرجتُ طيَّ رُقْعَتِي هذه قِنْدَاقاً^٢ تُسمّى الخِدْمَةُ قِبَلِكَ فيه ، ورُسِمَ على كلِّ واحد منهم ما توجه به حاله وتقتضيه ، فتقدمُ في ما نصصته من الحالِ إليهم ، وكلّمَهُمْ بما يخففُ الحالَ عندهم ويُسهِّلُها لديهم ، ولتقبضُ ذلك كلّه في أعجلٍ ما يمكن ، فالحاجةُ إليه وكيدة ، والضرورةُ حافزةٌ شديدة .

قال^٣ : ولما كلبُ العدو — قصمه الله — في ذلك التاريخ ، وأعضل داؤه . وجعل يبطأ بلاد المسلمين ، آمناً لا يخافُ ، وآسأ لا يستوحش ، مُقْدِماً لا يكع ، ومجبرئاً^٤ لا يرتدع ، ينزل بساحاتِ القواعد الرفيعة ، والقلاع المنيعة ، فيعفّي الآثار ، ويستبيح الدّمار^٥ ، ويهتك مَصُونِ الأستار ، ورمّت

١ ط : الموهوب .

٢ ط : متدماً ؛ م س : قنداماً ؛ وبياض في د ، والقنداق لفظة يونانية تعني « بيان » أو « براءة » مدرجة ضمن رسالة أو رقعة ، كما يفهم من النص أعلاه .

٣ قال : سقطت من م د س .

٤ في النسخ : كمل .

٥ ط : ومجرماً .

٦ كذا ولعلها « الديار » ، وهي غير واضحة في م .

لها الأنوف ، واستُعذبت معها الختوف ، وحميت منها النفوسُ الأبيّة ، والعدوّ في كل ذلك تَلججُ الفؤاد ، رابطُ الجأشِ . لا يرقبُ سنانَ دافعٍ ، ولا يبدو له وَضَحُ سيفِ مدافع . لأنَّ أكثرَ ملوكِ هذا الإقليم ، كانوا يداخُلون طوائفَ الروم ، ويكثري كلُّ واحدٍ منهم عسكرياً بجملتهِ من المال ، يُخْرِجُهُ إلى بلدٍ كاشِحِهِ . ويسلِّطُهُ على معانده ممن يجاورُهُ من البلاد ، حسداً له وطمعاً في بلده أنْ يصيرَ طَوْعَ يده ، فكانت نيرانُ الفتنةِ بينهم مشتعلةً ، والرعيّةُ مهملةً ، لأنَّ جُمْلَةَ غَلَاتِهِمْ ، وجميعِ أعمالِهِمْ ، كانت تَتلفُ بأيدي تلك الطواغيت ، الخارجةِ إليهم في أكثرِ المواقيت ؛ وما كان يفلتُ من الخرابِ يَغْرَمونه في المغارمِ ، وما يُجَشِّمونهُ من المجاشمِ ، فمقطعوا أَيْامَهُمْ بقرعِ الظنابيبِ ١ ، وشرعِ الأنايبِ ، نكاياتِ قَعْدَةٍ ، لا نكاياتِ مَرَدَّةٍ ، إذ كان كلُّ واحدٍ منهم يَخْفِي عن قِرنِهِ بقصره ، ويَطِيلُ الهزَّ لسيفِ غيره . ويسلُّه على جاره ، حتى غدا ذلك السيفُ مسلولاً عليه ، كما قال أبو تمام ٢ :

عَبّاً الكمينَ له فظلاً لَحِيئِنِهِ وَكِينُهُ الملقى ٣ عليه كمينُ

لأنَّ النصارى لما اطلَعوا على عوراتِهِمْ ، زحفوا بطوائفِهِمْ إليهم ، ولما لم يبق إلا نَقَسٌ خافتٌ وَرَمَقٌ زاهقٌ ، ورأى المسلمون أنَّهم بالجزيرةِ على طرفٍ . وفي سبيلِ ٥ تمام وتلف . استصرخوا أميرَ المسلمين وناصر

١ قرع للأمر طنوبه (وهو عظم الساق) . استمد له وتهاياً .

٢ ديوان أبي تمام ٣ . ٣٢٠ .

٣ الديوان : المحفى .

٤ ط . نافع ، س م . راهق .

٥ م د . سيل .

الدين ، أبا يعقوب يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، فأجاز إلى جزيرة الأندلس في صدر سنة تسع وسبعين . وبادر بنفسه وجماعته عجالاً ، وتداركوها ركباناً ورجالاً . ونفروا نحوها خفافاً وثقالاً ، والنَّجْحُ يُقَدِّمُهُمْ ، والفَلَجُ يصحبهم . فكان من الفتح يوم الجمعة المؤرخ ما كان : صرع الله فيه عبدة الطَّوَاعِيَتِ ، ووفد عليه عوضاً من آلاف دنائير الأموال . ضِعْفُهُمْ من الفرسان الأبطال ، ففي ذلك يقول عبد الجليل من جملة قصيدة :

أَتُنْكَرُ العُجْمُ أَنْ العُرْبَ سادتها	وتشهدُ البيضُ والخطيئةُ السُّمْرُ
لما تعارض ^١ دونَ الشكرِ كفرهمُ	عادتُ بوادرَ فيهمُ تلكمُ البِدْرُ
وهبَّ عن كلِّ دينارٍ لهم بَطْلُ	كخالصِ التَّبْرِ مسبوكٌ ومُخْتَبِرُ
فليقبلوها ألوفاً من أسودٍ وغى	تزكوعلى السَّبِكِ لا جِبْنٌ ولاخَوْرُ
ولئيرَ قُبوا من أميرِ المسلمينَ ومن	مؤيدِ الدين ليلاً ما له سَحَرُ [هـ ب]
لم يهشموا الثغراً إذ عاثتُ أكفهمُ	لو يعقلون ولكنْ تلكمُ الثغرُ
وليس ما غيروا إلاً لأنفسِهِمْ	كأنَّما نبهوا إذ نامتِ الغيَرُ

قوله : « وهبَّ عن كلِّ دينارٍ لهم بطلٌ » . . . البيت ، بتهه على هذا

المعنى المتنبي بقوله^٢ :

ولو كنتُ في أسرٍ غيرِ ^٣ الهوى	ضمنتُ ضمانَ أبي وائيلِ
فدى نَفْسَهُ بضمانِ النَّضَارِ	وأعطى صدورَ القنا الذابلِ
ومناهمُ الخليلَ مجنوبةً	فجئنا بكلِّ فقى باسلِ

١ د : تعرض .

٢ ديوان المتنبي : ٢٥٩ .

٣ م ط : غير أسر ، وهي رواية أخرى .

وفي يوم الجمعة يقول أيضاً ابنُ جمهور^١ من جملةِ قصيدةٍ :
لم تعرفِ العُجْمُ إذ جاءتْ مُصمَّمةً يومَ العروبةِ أنَّ اليومَ للعربِ

وهذا ينظر إلى قول أبي تمام^٢ :

لئن كان نصرانياً النهرُ آلسٌ لقد وجدوا وادي عقرقرسَ مسلماً^٣

وفي ملوك الأندلس يقول أبو الحسن ابنُ الجدي^٤ يمدحُ أميرَ المسلمين
وناصر الدين ، رحمه الله :

في كلِّ يومٍ غريبٌ فيه مُعتَبَرٌ	نلقاهُ أو يتلقانا به خَبَرٌ
أرى الملوكَ أصابَتْهُمُ بآندلسٍ	دوائرُ السوءِ لا تُبقي ولا تَدْرُ
قد كنتُ أنظرها والشمسُ طالعةً	لو صحَّ للقومِ في أمثالها النظر
ناموا وأسرى لهم تحت الدجى قَدَرٌ	هوى بأنجمهم خَسَفًا وما شعروا
وكيف يشعرون في كفه قَدَحٌ	تحدو به مُدْهلاتُ الناي والوتر

١ في النسخ ابن جمهور ، والتصويب عن الحلة ٢ : ١٠١ حيث ذكر أنه أحد أدباء اشبيلية .
وابن جمهور ليس من اشبيلية ، وقد عرف محقق الحلة بمن اسمه عبد الله بن أحمد بن جمهور
ومن المستبعد أن يكون هو الشاعر المقصود هنا ، لأن عبد الله ولد سنة ١٦ هـ أي بعد الزلافة
بشافي وثلاثين سنة .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٢٤٢ .

٣ نهر آلس وادي عقرقرس ببلاد الروم ، وكان عند الأول نصر للروم وعند الثاني نصر للمسلمين .
٤ ترجم ابن سعيد (المغرب ١ : ٦٣٤٠) لأبي الحسن بن محمد بن الحد ، الذي سترجم له ابن
ابن بسام في هذا الجزء ويكنيه بأبي الحسين (والكنيتان تتبادلان في المخطوطات) فلعله هو
المعنى هنا .

صمّت مسامعهُ عن غيرِ نغمتهِ
تلقاه كالعجلِ معبوداً بمجلسهِ
وحوله كلُّ مغترٍ وما علموا
فقل لمن نام أصحّت. انته، فلقد
وانظر إلى الصبحِ سيماً في يدي ملكٍ
يرعى الرعايا بطرفٍ ساهرٍ يقظٍ
ردوا موارد قد أوردتم حنقاً
كأنني بكم قد صرتم سسراً
أما تم قبل موتٍ^٢ سوء فعلكم
فما تمرُّ به الآيات والسُور
له خوارٌ ولكن حشوه خور
أن الذي زخرقت دنياهم غررٌ
مضى لك الليلُ بحتاً وانقضى السحر
في الله من جنده التأيد والظفر
كما رعاها بطرفٍ ساهرٍ عمر
بها الأنام ولكن ما لكم صدر
وما لكم في الوري عيّن ولا أثرا
وكيف بالذكر إذ لم تحسّن السير

رجعت إلى إيراد فصول من ترسيل ذي الوزارتين المذكور

فصول من رقعة كتبها عنه إلى صاحب القلعة ، قال فيها^٣ :

ورد كتابك الذي أنفدته من وادي منى مُصَرَّفَكَ من الوجهة
التي استظهرت عليها [٥٢ أ] بأضدادك، وأجحفت فيها بطارفك وتلادك،
واخفقت من مَطْلَبِكَ ومرادك، فوقفنا على معانيه، وعرفنا المصريح به
والمشار إليه فيه، ووجدناك تتجنى وتُثَرِّب على من لم يستوجب التثريب،

١ سقط البيت من م

٢ م ط . صوت .

٣ هذه الرسالة موجهة إلى صاحب قلعة بني حماد على لسان يوسف بن تاشفين . كذا قال في
القلائد ١٠٥ والحريفة ٣ . ٢٨٥ .

وتجعل سيئتك حسناً ، ومُنكرك^١ معروفاً ، وخطأك^٢ صواباً بيئاً ،
وتقضي لنفسك بفتح^٣ الخصام ، وتوليها الحجّة البالغة في جميع الأحكام .
ولم تتأول^٤ أن وراء كل حجة أدلتيتها ما يدحضها ، وإزاء كل^٥
دعوى أبرمتها ما يثقفها ، وتلقاء كل شكوى صححتتها ما يبرئها ،
ولولا استنكاف الجدال ، واجتناب تردد القيل والقال ، لنصصنا^٦
فصول كتابك أولاً^٧ فأولاً^٨ ، وتقريناتها تفاصيلاً وجمالاً ، وأضفنا إلى كل^٩
فصل ما يبطله ، ويخرج من يتحلله ، حتى لا يدفع لصحته^{١٠} دافع ،
ولا ينبو عن قبول أدلته^{١١} راء ولا سامع ، ولا يختلف اعترافاً به دان^{١٢}
ولا شاسع .

وفي فصل منها : ونشُدك الله الذي ما^{١٣} تقوم السماء والأرض إلا^{١٤}
بأمره ، ألم نكن^{١٥} عندما نزع الشيطان بينك وبين أبي عبد الله محمد بن يوسف ،
رحمه الله ، وتفاقم الشنآن ، قد توفّرنا على ما كان بالحال من إقلاق ، وتأخرنا
عمّا كانت^{١٦} النصبة^{١٧} تستقدم إليه من بدار^{١٨} أو سباق . ولم نمد^{١٩} الجهة^{٢٠} حتى^{٢١}
إمدادها^{٢٢} ، ولا كثرنا فوق ما كان يلزم من جماهير أعدادها . ولا عدّنا

١ القلائد والحريدة : ونكرك .

٢ القلائد والحريدة : وخطأك .

٣ م ط س : يصلح .

٤ القلائد : لقصصنا ؛ الحريدة : لفضصنا .

٥ ط : ويخرج من حجته .

٦ القلائد والحريدة : حجته .

٧ د والقلائد : لا .

٨ د : الفصة .

٩ م ط : امتدادها .

عن^١ جهادِ المشركين ، ولا أقبلننا إلاّ على ما يحوط حريمَ المسلمين ، رجاءَ أن يثوب استبصار ، أو يقع إقصار ، وأنت خلالَ ذلك تحتفل وتحشيد ، وتقوم بحميّةٍ وتقعّد ، وتبرق غضباً^٢ وترعد ، وتستدعي ذؤبانَ العرب وصعاليكهم من مُبتعدٍ ومقرب ، فتعطيهم ما في خزائنك جزافاً ، وتنفق عليهم ما كتنزه أوائلك إسرافاً . وتمنح أهلَ العشرات مئين وأهلَ المئين آلافاً ، كلّ ذلك تعتصد بهم ، وتعتمد على تعصّبهم لك وتألّببهم^٣ ، وتعتقد أنهم جنّتك من المحاذير . وحمالك^٤ دون المقادير ، وتذهلُ عمماً في الغيب من أحكام العزيز القدير^٥ .

ونحن أثناء ما فعلت ، وخلال ما عقدت وحللت ، نؤمُّ العدوَّ — قصمه الله — فنجهه ونكافحه ، فنقدعه^٥ ونناطحه ، ونحيفه^٦ من أقطاره ، ونغزوه بدءاً وتعقيباً في عُقر داره ، إلى أن استجمعت أخيراً واستجشنت . وترجعت إلى عرفانك وأجهشت ، ولولا ماؤك^٦ الذي تمّنوه ، وشارفوا^٧ إلى أن يستنفلوه . ما أووا لشكواك ، ولزادوك ضغناً على إبالة بلواك ، وإنك لمتداوٍ منهم بسمٍ ، ومستريح إلى غمٍّ ، فبلغت معهم ما بلغت . وأرغنت بهم ما أرغت ، واستقبلتنا بما أثبت عن العدو واقعد أخذناه بمخنته ، وأضفنا

١ القلائد . ولا عنانا غير .

٢ القلائد والخريدة : : غيظاً .

٣ القلائد والخريدة : وحماتك .

٤ م ط س : القادر .

٥ س د : فنندهه (اقرأ : فنبدهه) .

٦ م س د وخ بهامش ط : مالك

٧ ظ : وشارفوا .

أنشودة وهتق الخزني على عنقه . وأشفى على انقطاع ذمائه ورّمقه ،
 ففرّجت عنه كربة لم يظنّها تنفرج ، ونهجت له منها وجه مخلص لم يحسبه
 يُنتهج ، وأخليت^١ وجهه لأذى المسلمين يُبدئه ويُعيده ، وبسّطت
 يهيم يده وكانت في جامعة تقصّره عما يريد ، ولو أنّ صاحب رومة^٢
 المشتمل معه بعبادة الكفر والشرك ، المتحلّ ما يَنتحله من كلمة الزور
 والإفك ، يكون مكانك من جوارنا ، ويصاقب كما صاقبت قاصية دارنا ،
 ما أتى من نصّره فوق ما أتيت ، ولا تولّى من انتشاله ، والسعي في استقلاله ،
 إلّا بعض ما تولّيت ، ولا أنحي على المسلمين من مضارّه إلا بدون ما أنحيت ،
 ولا بغاهم خبالاً بأكثر مما بغيّت .

وما في تلك الجزيرة - عصمها الله - من صالح ولا طالح إلا ما يعرضك
 على الله تعالى ، ويرفع إليه فيك عقيرته بالشكوى ، وكل ما سفك من
 دم ، وانتُهك من محرّم ، واستهلك من ذمم ، فإليك منسوب ، وعليك
 محسوب ، وفي صحيفتك مكتوب ، وموعدُ الجزاء غداً وإنه لقريب ،
 فانظر ما أنجح أترّك ، وأربح متجرك . وأصلح موردك ومصدرك .

وله من أخرى عنه إلى الفقيه قاضي الجماعة [٥٢ ب] بقربطبة أبي عبد
 الله بن حمدين^٣ : وصل كتابك فوقفنا على معانيه ، وأحصينا المجلّ والمفضلّ

.....

١ ط م : وأجلت .

٢ س م ط : ولولا صاحب رومة .

٣ هو محمد بن علي بن عبد العزيز بن حمدين التفلسي ، أبو عبد الله ، كان من أهل التفنن
 في العلوم ، حافظاً ذكياً تولى القضاء بقربطبة سنة ٤٩٠ وبقي في منصبه إلى أن توفي سنة ٥٠٨
 (الصلة ٤٣٩ - ٥٤٠) وانظر القسم الأول : ٨٣٩ (الحاشية ٤٠) وفي ما جاء هنا
 تصحيح لما ورد هناك حول أبي عبد الله قاضي الجماعة .

مما ذكرته فيه ، والذي أومأت إليه من أن الأمر الذي وليته ذو شغوبٍ
مُشغِبَةٌ ، وأشغالٍ على مُحَاوِلِهَا صَعْبَةٌ ، حقّ لا امتراء فيه . ولا غطاءً
عليه من مُحَصِّلِيهِ ، ولذلك ما اختير له . على وجه الزمان ، أهلُ المننِ من
أولي الديانة والصيانة ، الذين نرجو أن تكون منهم محسوباً ، وفي صدرِ
ديوانهم مكتوباً ، فاستهد الله يهدك ، واستعن بالله يعنك في صدرِكَ وَوَرْدِكَ ،
وتولّ القضاء الذي ولاّكهُ اللهُ بِجُدِّ وحزم . وَجَلَدٍ وعزم^٢ ، وأمضِ
القضايا على ما أمضاها الله تعالى في كتابه وسنة نبيه ، ولا تبال^٣ برغمِ راغم ،
ولا تُشفقْ من ملامةٍ لائم ، وآسِ بين الناس في وجهك وعدلك^٤ ، ومجلسك ،
حتى لا يطمع قوي في حيفك^٥ ، ولا ييأسَ ضعيف من عدلك ، ولا يكنْ
عندك أقوى من الضعيف حتى تأخذ الحقَّ له . ولا أضعف من القوي حتى
تأخذَ الحقَّ منه ، وانصحْ لله تعالى ولرسوله عليه السّلام ، ولما وجماعة
المسلمين .

وقد عهدنا إلى جماعة المرابطين أن يسلموا لك في كلِّ حقٍّ تمضيهِ .
ولا يعترضوا عليك في قضاء تقضيهِ ، ونحْنُ أولاً وكلهم آخراً مذ صرت
قاضياً ، سامعون منك ، غيرُ معترضين في حقِّ عليك ، والعمالُ والرعيةُ
كافةٌ سواء في الحقِّ . فان شككت إليك بعاملٍ وصحَّ عندك ظلمه لها ، ولا
يتجه في ذلك عمل غير عزله ، فاعزله ، وإن شكك العامل من رعية خلافاً

١ س ط د . وتولى .

٢ ، وحلد وعزم . سقط من م .

٣ ط د م س : تبال .

٤ م وعالك .

٥ س . لذلك

في الواجب فأشكته منها وقومها له ، ومن استحقَّ من كلا الفريقين الضربَ والسجنَ فأضربهُ وأسجنهُ . وان استوجبَ الغُرْمَ في ما استهلك فأغرْمهُ ، واسترجع الحقَّ شاءَ أو أبي من لدنه ، والأمرُ في استكفاء من يكفيك ، ويُغني في بعض الأمور عنك ، إليك ، ولا نشيرُ بشيء عليك . وتصرفُكَ أحياناً في إصلاح صنعتكَ وترقيح معاشك . غيرُ مُضَيِّقٍ عليكَ فيه . فاعلمه .

وله من أخرى عن المعتمد إلى ابن صمادح : إنما أشاركك^١ - أيتك الله - في النعمة بأسوغها ، وأطالعك^٢ في الهمة بأبلغها . لما أعلمه علمَ اليقين . وأتوسمه توسم الصبح المبين^٣ . أنك بكريم عهدك . وسليم ودك ، تأخذ من ذلك بالخطِّ الأوفى ، وتضرب في الارتياح له بالقدحِ المعلنى ، وأنفذته من حصن لبيط^٤ - سهّل الله مرامه . وأعاد إلى يد المسلمين زمامه - وقد جرى بين فرسان من النصارى وبين سرعانٍ من الجند - نصرهم الله - عند إطلائي عليه تناوش أطمعَ فيهم ، ودلّ بأنه قد سقَطَ في أيديهم ، ثم صوبحوا يومَ كذا بالحرب . وكوفحوا إلى أخرةٍ بالغرب . بالطعنِ والضرب . وانصرفوا ولاذوا بالانجحارِ ، واحتجزوا بالجلدرانِ والأسوارِ ، ولم يكنْ واحدٌ منهم يثور إلا إلى حمام . ولا يبدي جارحةً إلا إلى ستهم

١ م ط س : إشارتك . خ بهامش ط : أشاركك .

٢ د : وأطلعك .

٣ خ هامش ط : المستبين .

٤ م ط س : سبط ؛ د : لبيط (وهذا الوجه الأخير نكثرت وروده) .

ه ط : بالضرب .

رام ، وفي خلال ذلك ما أمرتُ بِشربهمْ فَغَوَّرَتْ^١ منابعه ، وَقَطَّعَتْ^٢ مشارعه ، وحصلوا منّا ومن العطش تحت حاربين : ظاهرٍ وباطن ، وعرضة^٣ لمجاولين : مستترٍ وعالن .

وغيرُ ذاهبٍ على أحد ما تقتضيه هذه الحالُ المبهجةُ بما يخالفها على علو كعب الإسلام ، وينصب على الشركِ وأهله من سوء الانتقام ، بعد البلوغ من الشكر لله تعالى إلى الغاية القصوى ، من اختصاصِ أمير المسلمين وناصر الدين ، أبي يعقوب حليفنا^٤ الأعز - أيده الله - بقسمٍ من الشكرِ وافرٍ ، وحظٍّ من الثناء والنثر^٥ طاهر . فانه الذي نهجَ بنفسه الكريمة - سناها الله - هذه السبيلَ ، وتجتشمَ فيها المجاشمَ حتى أذلَّ من المشركين العزيزَ وأعرَّ من المسلمين الدليلَ ، ثم لم يشغله - دام تأييده - عن صلةِ أيدينا بعد ذلك أمر . ولا ثناءُ عن النظر لنا عُدُر .

وفي فصل منها : وكان نعوذي إليها من لورقة^٤ بعد أن تملكَّتْ قصابها ، وتولجتُ على ما اقترحتُ أبوابها ، وكان تخلّي سعدِ الدولة أبي الأصبغ ابن لبون^٥ عنها على أفضل حال وأجمعها . بما [٥٣ أ] شئت من إلطاف

١ م د : معورت .

٢ ط د . حليفنا .

٣ كذا ورد في م ط د

٤ لورقة (Lorca) من أكبر مدن ولاية مرسية (الروض رقم : ١٦٢) .

٥ ط : ليون ، وأبو الأصبغ سعد الدولة هذا ذكره ابن سعيده في المغرب (٢ . ٢٧٥) وذكر

أنه ولي لورقة بعد أخيه أبي عيسى ابن لبون (الذي ترجم له ابن الأبار في الحلة ٢ . ١٦٧)

ثم صادرت للمعتد كما يذكر ابن القصيرة في هذه الرسالة .

وإجمالٍ : يأسرَ وتساهلَ ، وتناصرَ حيث كان له أن يتناولَ ، رأياً أدرك منه على صيغتهِ ، وقصّرَ ما قطعهُ من مسافةِ عمره ، ما يعجزُ عنه الكهلُ المجربُ ، ويقصرُ دونه الحولُ القلْبُ . وتأملتُ ذلك منه - أبقاه الله - حقّ التأمل ، ونظرتُ إليه بعينِ الملتفتِ المحصلِ ، فوفيته الجزاءَ ، وسرتُ معه حسبما سار معي إلى ما شاء ، فحصل لي من الناحيةِ ما لا يضاهاه معقلاً وبسيطاً ، وعاد الشملُ محوطاً والأمرُ مبسوطاً ، والعاجزُ الكاسلُ حازماً نشيطاً ، ورجع الضيقُ بها سعةً ، والهرجُ^٢ بحمدِ الله دعةً .

ومن جواب ابن صمادح ، من إنشاء ابن الوكيل^٣ كاتبه : إلى مخاطبتك - أيدك الله - تسكنُ النفسُ ، وبمطالعتكَ يتمكّنُ الأنسُ . فما تزال - واللهُ يُعْلي كعبتكَ ، ويجعلُ الأيامَ والليالي أنصارَكَ وحزبك - تُطلَعُ من الاهتبالِ ، في وفقٍ^٤ الإجمال ، ما يبدو ويتبينُ مع البُكرِ والآصال - لا أعدمك الله معلّوةً^٥ تبديها ، ومنقبةً تنافس هممَ الكرامِ فيها - .

وورد كتابك مفتوحاً بما كان من صنعه تعالى الكفيل ، وبلائه الجميل ، ومنته المتتابعِ الموصول ، في احتلاك بليطه^٥ - يسره الله ، وأحلّ الهلاك بمن احتواه - وما كان من ذلك التناوشِ الذي أبدى غوائل الاعتلاء ، وأذن بالملكِ والاستيلاء . ولا شك أن من سعى لله وحده ، ولم يرد الظفرَ والظهور

١ د : والأمل .

٢ ط : والهرج (وهي قراءة مقبولة) .

٣ لعل المعنى هنا هو أبو بكر عيسى بن الوكيل البغدادي الذي عاش إلى أيام دولة المرابطين واستعمل على الكتابة بفرنطة (اعتاب الكتاب : ٢٢٤) .

٤ د : أفق .

٥ د : بليط ؛ ط س م : بليط .

إلا بما عنده ، أن حزبته منصور ، وآماله موصول بها التسهيل والتيسير ، والحمد لله تعالى على ما منح متعنين ، وموضع الضراعة إليه في الازدياد ظاهر بيّن ، على ما أولى من نعم ، أظهرت الإسلام بعد خمول ، والشكر له على قسم ، أعزّت الدين وقد كان جيداً ذليلاً .

وتوجه على ما ذكرت شكر أمير المسلمين وناصر الدين أبي يعقوب ، حليفنا الأعزّ - أيده الله - على ما أجرى إليه بدءاً من الحفوف^١ بنفسه النفيسة - نسأها^٢ الله - وما اعتمده عوداً من الاهتبال الذي توخّاه ، فهو الذي نهج هذه السبيل ، وبرّد اللوعة والغليل ، وأعاد الحزب الاعين بعد عزته الحقيرة الدليل .

ورأيت - أراك الله مُنَاكَ - أن حركتك الميمونة كانت إلى هناك من لورقة بعد أن تملك قصابها ، وتولجت على اختيارك أبوابها ، على الصورة التي وصفتها . من متابعة^٣ أهلها ، وانطباع^٤ من فيها ، نعمة يعلم الله تعالى أن نصيبي منها النصيب الأوفر ، وذنوبي منها الذنوب الأكبر ، وكل نعمة أناخت بجنابك ، وحطت رحلتها ببابك ، فاني فيها الخليل المساهم ، والمشارك المقاسم ، على ما يقتضيه الإخاء ، ويستدعيه الانتظام والصفاء .

١ س ط م د الحفوف .

٢ ط م . ساما .

٣ كذا في النسخ . ولعلها مشايمة .

٤ ط م د س وانطباع .

وله من أخرى عنه : قلّ ما ينفع صلاح الظاهر إذا فسدت الدخلة^١ ، ولا يغني اندمال الخارج ما كانت العلة^٢ ، وكتابي هذا يوم كذا وفي ليلة طلّع عليّ الخبر بما تستغربه من غدر أهل فلانة لي ، وعقد السلم بيننا لم يجفّ ميداده^٣ ، وعهد التوائق لم يكدّ يفصل أشهاده^٤ ، فانظر فعلهم ما أقبحه^٥ ، وتأمّله فما أفصحه^٦ ، واعلم أن غائلتهم لا تُظنّفأ^٧ أبداً نائرتها^٨ ، ولا يؤمن^٩ على حال نائرتها .

وله عنه من أخرى ، إثر دخول ابن عكاشة قرطبة^{١٠} ، وقتله لابنه عباد ، وقد وجدت هذه الرقعة في بعض التعاليق منسوبة لابن الباجي : كتبت على أثر النازل الشنيع ، والرّزء الفظيع ، الذي صدّع كبدي ، وقت في عَضُدِي ، وأثكلني من^{١١} كان القرة لعيني ، ما جرى على الفقيه الشهيد عبادِ ابني مُجِلِّكِ - كان - رحم الله مَصْرَعَهُ ، وبرّد مَضْجَعَهُ ، وقتل قاتليه ، ووَقَرَ لي أجر المصاب فيه .

وشرح هذه الفاجعة ، والقاصمة الهاجمة : تسببت من مثابرة العدو المبين المفتون ، جاري الذميم الجوار ، القبيح الآثار ، ومجاهرة الفاسق المعروف بابن عكاشة ، دليله في سبيل التسلّط والعدوان ، وسهّمه إلى أغراض

١ ط م د س : الداخلة .

٢ قص الفتح في القلائد . ١٠ - ١٢ كيب استولى المعتمد على قرطبة بمدخلة أهلها وولاها ابنه الملقب بالظاهر « ولم يرل فيها أمراً وناهياً ، غافلاً عن المكر ساهياً . . . إلى أن ثار فيها ابن عكاشة ليلا وجر إليها حرباً وويلا » وقتل الظاهر ؛ وانظر أيضاً النصح ١ - ٦٢٣ - ٦٢٧ وأعمال الاعلام . ١٥١ - ١٥٨ واسم ابن عكاشة « حكيم » وانظر ما يلي : ٢٦٨ .

٣ م ط س . تم

٤ يشير هذا إلى ابن ذي النون ، كما سيذكر ابن بسام في ما يلي .

التمرُّدِ والطغيان ، على السعي الخبيث الذي لا يُصِرُّ على مثله إلا منحرفٌ عن الملتى ، منسلخٌ عن [٥٣ أ] الخبيرِ بالجملة . طَلَبَ الغيرةَ في قرطبة حتى أصابها ، وارتقب الفرصةَ حتى ولجَ بابها . ليلاً في زُمرَةٍ من أخابيثِ أصحابيه ، بعد أن هَيَّئَ له فَتْحُهُ ، ودخل المدينةَ ، وصادفَ السَّربَ آمناً غريباً . والعددُ قليلاً كثيراً ، ويممَّ موضعَ المطهرِ بالشهادة ، فنَدَرَ بهم وخرج مُطالماً للأمر ، فلم يبعدُ أن غَشِيَهُ^١ المردَّةُ فنبتَ لها مدافعاً عن نفسه حتى أفيظت^٢ - رحم الله موقعه فريداً مُسَلِّماً ، وأقره^٣ في جواره العزيز سعيداً مكرماً .

ثم عاث المذكورُ في البلد . واستثارُ أشباهه^٤ من السفلةِ الأراذلِ . في استباحةِ المنازلِ . فأجابوه وانضموا إليه ، وصار جمعه منهم وبتوت^٥ أمره بهم^٦ ، وأما سائر الأعلامِ والأسواطِ فبرءاءُ من هذه القصةِ . ناؤون عن المشاركةِ في هذه الدنيَّةِ ، بَعَثَهُمْ^٧ من الحالِ ما لم يعلموا ، ففوّضُوا وسلّوا ، وبادرت^٨ إلى عَرَضِ ما وقع على فِصْلِ تَأَمَّلِكَ . لترى جيداً هذا العدوَّ المطلبِ . المشاقِّ المناصبِ . وإكبابه^٩ على التسلُّطِ والتمرُّدِ ، إلى أن انتهكَ الحرمَةَ

١ قد تقرأ في م : « سني » .

٢ م : نشيته .

٣ ط : أفيضت .

٤ ط د س . واستشار .

٥ م : ومتون ، س : وتيور .

٦ زاد في د . مهم .

٧ د . إلا أنهم بقتهم .

٨ قد تقرأ في م . والباه . د . والنائه ؛ وفي ط : واكبابه والباه .

ووتر في الولد^١ ، غير مُبالٍ ببعيد ولا قريب ، ولا مُمسِكٍ مخافة إنكارٍ
ولا تريب ، والرَبُّ لِبَغْيِهِ بالمرصاد ، والقاطعُ بأمله في الانبساطِ والازدياد .

ذكر الخبر عما دار به نجم قرطبة يومئذ .
من تغلب ابن ذي النون عليها .
وعودة المعتمد بعد إليها^٢

قال ابن بسّام: قد قدّمتُ من عُجْبِ المعتمدِ بذاته. وتوفّرهِ - كان -
على لذّاته، وتقديره أنه يضبطُ أزمّةَ البلادِ ، ويملك رقابَ العباد، وخيلُهُ في
الأجلال^٣ . وكأسُهُ في يد الساقِ المختال . على مكابِه من العلم . ووفورِ
حظِّهِ من الحِلْمِ . ما فيه كفايةٌ لمن استغنى . وآيةٌ لمن تدبّرَ واجتلى .
وعندما أخرج قرطبة من أيدي بني جهور . في خبَرٍ قد شُرحَ في القسم الأول
وقُسر^٤ ، ولأَها ابنه عباداً ، وكان مِحْشَ حَرْبٍ ، ونشأة طَعْنٍ وضرب ،
فتى لا يبالي مَنْ لقي ، ولا إلى أيّ شيءٍ دُعِيَ ، هاجم ابنَ ذي النون في
بعض نَهْدَاتِهِ إلى قرطبة ، وجيشُهُ قد ملأَ الفضاءَ . وفات الإحصاءُ ،
ففلَّ أجناده ، واستباح طارِفَهُ وتلاده ، ونجا ابن ذي النون منْجَى أبي نصر ،
بعد ما أعطى على القَسْرِ ، وترجّحَ بين القتلِ والأسْرِ ، لا يحفلُ بما أُخّرَ ،
ولا يُلْوِي على مَنْ تَعَدَّر .

١ د : البلد .

٢ نقل دوزي هذا الفصل في ما جمعه من أخبار بني عباد ١ ٣٢٢ وانظر اعمال الاعلام : ١٤٩

. ١٥٢

٣ م ط ودوزي . الأجال .

٤ انظر القسم الأول . ٦١٠ - ٦١٤ .

غير أن المعتمد لما تهيأت له على ابن ذي النون الجسرة^١ ، وأمكنته^٢ منه تلك الغيرة^٣ ، أدار أمر قرطبة ، وأميرها ابنه ، على أحد عبيده المتجندين ، محمد بن مرتين^١ . وكان شهاباً لا يُصطَلَى بناره . وأسداً لا يُستقرُّ على زاره ، إلا أنه كان من الإدلال ببأسه ، والإهمال لنفسه ، والإقبال على كيسه وكأسه . والغفلة عن عادة الله في جنسه . آية من آيات الله الذي وَكَلَهُ إلى سوء القدر ، وقتله بيد أضعف البشر ، أحد الرجال المتلصصين ، والدائرة المتمردين ، المتصرفين في صغار المهن ، النابتين في مدارج سيول الفيتن . رجل كان يعرف بابن عكاشة ، لم تكن له سابقة قديمة^٢ ، ولا نباهة معلومة . فَرَأَشَتْ طارت حول نار الفتنة المبيرة ، المهتكة لمحارم هذه الجزيرة . فترقى من سُكْنَى الشَّعَابِ . والسكون إلى الذئاب ، وانتهاز الفرصة إن أمكنته^٢ في الطارق المتناهب . إلى تَسَنُّمِ المعامل ، وتدبير الأمور الجلائل ، وأذكاه ابنُ ذي النون عيناً على قرطبة ، في أحد الحصون المصاحبة لها ، وأبعدُ آماله كانت إخافة سُبُلها ، وتحيف عملها ؛ وكان إحدى^٣ الأعاجيب ذكاء لُبِّ ، وصرامة قلب . وتقدماً إلى ضرب ، لا يحلُّ إلا ريشما يرحل ، ولا يقول إلا بعد ما يفعل . وابن مرتين في خلال ذلك خال بشيطانه ، ساع في شأنه . بين بطالته وطغيانه ، كلما حَدَّثَ عن ابن عكاشة بغرة اهتلها ، وأشير عليه في أمره بنصيحة كمي

١ أبو بكر محمد بن مرتين . ذكره الحجاري وقال إنه كان يدام ابن انتاح (المغرب ١ : ٢٤٣) وقد ذكر في الفتح ٣ : ١٠٦ ؛ ولقب بالقائد ، وانظر ٣ : ٤٧٤ ، وذكره ابن الخطيب في أعمال الأعلام ١٥١ ، ١٥٨ وأشار إلى أنه وزر للطاهر أثناء توليه قرطبة ، وهو ما يتحدث عنه ابن بسام في هذا الفصل .

٢ دوزي . أمكنت .

٣ م : أحد .

يقبلها [١٥٤] أعرضَ عن الصادقِ الحبير ، ودَفَعَ في صدرِ الناصحِ المشير .

حدثني من أثيقٍ بخره ، ممن كان بعضُ أبوابِ قرطبةَ يومئذٍ إلى نظره ، أن ابنَ عكاشةَ كان يسري تحتَ الليلِ إلى أحدِ حُرَّاسِها فيخرجُ إليه بعضَ مرَدَّتها ، فيطعمهم ويسقيهم ، ويدبرُ كيف يفتحُ البلدَ على أيديهم ، ويولِّيهم الأعمالَ ويَقْطِعُهُم النفوسَ والأموالَ ، فأخبرَ بذلكَ عبادَ بنَ المعتمدِ . فقال له : القَ ذا الوزارتينِ الأعلى ابنِ مرتينِ ، وكان لا يستبدُّ^١ عليه ، ولا يقطعُ أمراً إلا بين يديه ، فأدبى ما كان عنده من ذلكَ إليه . فأظهر السرورَ ، ووعد الجلدَ والتشْميرَ ، وقال له : تقدِّمُ إلى فلانِ وفلانِ ، جماعةٍ كانت بالحضرةِ من الأعيانِ ، فليكونوا عندك في العَدَدِ الوافرِ ، والسلاحِ الظاهرِ . فأمرهم عنه فأتَمَرُوا . وتقدِّمَ إليهم بالحضورِ فحضرُوا :

في ليلةٍ من جمادى^٢ ذاتِ أنديّةٍ لا يُبْصِرُ الكلبُ في ظلماتها الطنبا^٣

وأقاموا منتظرين لأمره حتى بدا النور . وتكلم العصفور ، وهو مشغولٌ بجرِّ ديوله ، وعصيانِ عدولِهِ ، فيسوا من نصْرِهِ ، وجعلوا بعدُ يُلْحِدُونَ في أمره . وتمَّ لابنِ عكاشةَ تدبيرُهُ ، واستوسق له غيرهُ وتغيره . فانتَهك حُرْمَةَ قرطبةَ . سنةَ سبعِ وستينِ ، في شِرْذمةٍ قليلةٍ ، وشبابةٍ^٤ كليلَةٍ ، مُعلنين بشعارهم . متلبثين بين تغريهم واغترارهم ، لم تكن لهم هِمَّةٌ

١ بعد هذه اللفظة بياض عند دوزي . لا وجود له في النسخ الممتدة .

٢ من جمادى سقطت من ط م س .

٣ البيت لمرة بن محكان التميمي . شاعر مقل إسلامي ، انظر الحماسية رقم : ٦٧٥ .

٤ س م ط د ودوزي : وشبابة .

إلا دار عباد ، فثار إليهم عندما أحسَّ بهم ولا أهبةَ إلاَّ إقدامه ، ولا صاحب
إلا حسامه ، فجادلهم بالسيف صلناً ، حتى أذاقوه الموتَ بحتاً . ثم نهّدوا
إلى دار ابنِ مرتين وهو في منزلٍ راحته ، غافلاً عما نزل بساحته . ذُكِرَ
أنه كان ساعتئذٍ يُلْعَبُ بين يديه بالكُرَّجِ ، فعولَ على الفرار . واستتر
مُدَيْدَةً في بعضِ الأقطار ، حتى انقضت أيامه . وَعَتَرَ عليه حِمَامُهُ ،
أَخْرَجَ من قرطبةَ كأنه يُحْمَلُ إلى ابنِ ذي النون . وقد تَقَدَّمَ إلى
حَمَلَتِهِ ، فَطَوَّأَ خبرَهُ . وَمَحَوَّأَ أثرَهُ .

وبات ابنُ عكاشةَ ليلته يطرقُ دورَ الأعيانِ من أهل قرطبة . يتودَّدُ
إليهم ، ويعرض نفسهُ عليهم ، فمن أجابهُ قبله . وَمَنَ أبى عليه لم يعرِضْ
له ، وأصبح قد انضافَ إليه من بني المحن . وطغَمَ الفتر . مَنَ مَنَعَ
منه ، وحسمَ الأطماعَ عنه . ودعا الكافةَ إلى المسجدِ الجامعِ فأتوه خِفَافاً
وثِقَالاً ، وبابعوه بِطَاءٍ وَعِجَالاً ، وانثالت إليه طوائفُ الأمدادِ ، وقوَادُ
الأجنادِ ، فانتظم له الأمرُ ، واستوسق له المِصْرُ . ولحقَ ابنُ ذي النونِ
بعد ذلك وهو يرى أنه قد وَطِيءَ صَلْعَةَ السَّرِّ . وأخذ بِمُخَنَّقِ الدهرِ ،
أملأَ طالما علته به المطامعُ . وهزتهُ إليه المضاجعُ ، ولم يزل في يوم دخوله
قرطبةَ يُعْمِلُ الحيلةَ في إقصاءِ ابنِ عكاشةَ من دولته . وإخراجه عن جملته .

بلغني أنه دَخَلَ على ابنِ ذي النونِ يوماً . وقد رفل في الشارة . وتقلَّدَ
مُشْتَى الوزارة ، فرحَّبَ به وأذناه . وهشَّ إليه وناجاه ، فلما
خرج تنفَسَ الصُّعْدَاءَ ، وأتبعه نظرةً شوهاءَ ، وهَيَّنَمَ بكلمةٍ عوراءَ ،

.....

١ م ط : وهدته ؛ خ بهاش ط . وهزته .

فكان بعض الحاضرين أنكر عليه وجعل يُطْرِي ابنَ عكاشة ، ويذكرُ حُسْنَ بلائه ، وينبئه على مكانه من الدواة. وغنائه ، فلما أكثرَ قال له ابنُ ذي النون : دَعُ عنك ، مَنْ اجترأ على الملوكِ لم يصلح للملوك .

ثم لم يلبث ابنُ ذي النون إلا أشهراً لم تُتَعَبْ كَفَّ العاقد ، ولا أطالتُ غمَّ الحاسد ، حتى أتِيَ من مأمنيه ، أغبَطَ ما كان بسيسه وحسنه ، وسقاه السمَّ الوحيَّ - زعموا - بعضُ ثقاته ، فاستقلَّ بجسده تابوته ، وطار به إلى طليطلة جينه وعفاريته ، وخلا وجهه قرطبة بعد ذلك للمعتمد وعاد إليه ملكها . وانتظم في يديه سلكها ، وأخذ بثار ابنه عبادة بقتله لابن عكاشة فلم يكن كما قال دريدُ بن الصمة ٢ :

قتلنا بعبدِ الله خيرَ لداته ذؤابَ بنِ أسماءَ بنِ زيدِ بنِ قاربِ

ومما كتب عن المعتمد بعود قرطبة إليه ، وقتل ابن عكاشة على يديه رقعةٌ منها : وأنفذته عندما عادت الحضرةُ إلى يدي ، وانتظمتُ ببلدي ، على صورةٍ من التيسير ضاعفتُ [٥٤ ب] حُسْنَ مَوَاقِعِ العارفةِ بها . وبشرت بلواحقِ النصر المترادفِ بعقبها ، وذلك أن أهلها الصادقة في محبتنا أهواؤهم ، المتفقة على طاعتنا آراؤهم ، لم يزالوا على مثلِ الجمرِ ثقلباً مما جرى قبل على غيرِ اختيارِهِمْ . وتوجعاً لما كان انقضى علينا في جوارهم ، ناين عمّن وكبي أمرهم بعدنا . مُسْتَقْصِرِينَ لشانِهِ عندنا ، إلا النَّفْرَ اليسير ، والتافه الحقيقير . من سفهائهم الذين سببوا تلك الوهلة ، وظاهروا على تلك الغفلة ،

١ م ط د س . وحسنه

٢ البيت من قصيدة في الأصمعيات (رقم ٢٩٠) : ١١٧ - ١١٩ ، وانظر حماسة ابن الشجري : ١٣ والسمط . ٦٩٠ والحراة ٣ . ١٦٦ .

ولم يكن لهم أولاً علم بما سدّوه والحموه ، ولا رضوا آخراً بما جتّوه^١
وارتكبوه ، فتحركت من وقفي ، ولم أكد أطيل على أفقهم إلاّ والإشارة^٢
علينا ، بأثوابهم إلينا : أن أقدموا وصمّوا ، فافتحمت من النهر مخاضة^٣
توازي الرضّ الشرقي منها ، وثار أهلها معي ، داعين بشعاري ، معلنين
بانصاري ، وكلمة ثاري ، يكسرون بين يدي كل غلّقي يعرضني ،
ويفتحون كل مرتّج يتصبّ دوفي . وأحسّ ابن عكاشة ومن معه
من الشيعة المفلولة بمكاني ففرّوا بأرواحهم ، وألقوا ما كان معهم من
سلاحهم . وقد كنت أحطت بنواحي الحضرة خيلاً ترصدّهم ،
وتقطع من النجاة سببهم ، فوقعوا فيها وأتوا على آخرهم ، وسبق إليّ رأس^٤
ابن عكاشة ؛ وكان الحبيب إليّ . أن يمثّل بين يدي . فأبسّط له من العذاب
ما كان أشقى لنفسي . وأثلج لصدري .

وفي هذا الفتح أنشده حسّان بن المصيصي قصيدته التي يقول فيها ،
ووصف إشارة الناس يومئذ من سور المدينة :

وليسوا بفرقتي قد أشاروا لساحل^١ ولكنهم غرقى أشاروا إلى بحري^٢

وله عنه من أخرى إثر فتح مرسية على يدي ابن عمار ، وإخراج
بني طاهر منها : لم يغب عنك من مجرى الحال بمرسية وجه أجلوه ، ولا
انطوى من فحواه أمر أنشره وأيديه ، وها أنا أعرض عليك من باطنها
ما ربّما خفي ، وأني إليك من نجواه ما لعلته لم ينم على وجهه ولا أنهي^٣ ،

١ م : ويقتحمون .

٢ د : البحر .

٣ ط : نهي .

وذلك أن^١ الافرنج أيام تلوّمهم على صاحبها، وإلحاد قهيم بجانبها، أشخصوا
إليّ من أعيانهم من قرّب عليّ وجه مرامها، فاستجبت لندائهم، ولم
يكّد يخلج بيالي شك في صدق أنبائهم، وإذا الأمر بخلاف ما ذكره،
وعلى غير ما سهّلوه، ووقع من المطاولة ما وقع، وآلت الحال معهم إلى ما
قد فشا وسمع، فأعدت إليها الخيل مع فلان لإطالة حصرها، والإناخة
بعقرها، وصاحبها مع ذلك عم عن رُشدِه، يقدم رجلاً ويؤخر
أخرى في إعطاء صفة يده، ليقتضي الله تعالى قدره، ويبليغ أمره،
فلما رأى أهلها المتحنون بسوء نظره، المصابون من خطل تدبره، أن^٢
غمّاهم^٣ لا تُقرح^٣، وظلماهم لا تنجلي ولا تليح^٤، أبدوا إليه، ما كانوا
ينطوون له عليه، فتألّبوا وثاروا وطبّروا بالخبر من كان فيها من الأولياء
إلى فلان، وكان على مقربة منها، غير متراخ عنها، فانصب إليها كالشؤبوب
الماطر، وانقض عليها كالعقاب الكاسير، ووافاها وقد بولغ في حصاره،
وانبسط أيدي التهب في دياره، فكشفهم عن مكانه، ونفس عنه^٥
فانتشى^٦ ريح أمانه. ثم نقله وابن أخيه إلى أدنى معقل إليهما، وآمنه عليهما،

١ ط م د س : والاباحة .

٢ م : غمّاهم .

٣ م س . تنفذ ؛ ط : تنفذ ، وتقرح : تصيح قرحاه أي ذات غرة، والأقرح : الصيح لأنه
بياض في سواد .

٤ الياء غير ممجمة في السخ ؛ وهي من ألح بمعنى أضاء وندا وتلأ ؛ ويمكن أن تكون قراءة
هذه العارة على النحو الآتي « أن غمّاهم لا تنقرح ، وظلماهم لا تنجلي ولا تليح » ، ولكن
آثرت ما هو أقرب إلى الأصل .

٥ د . عنهم

٦ هذه القراءة من هامش ط ، وفي السخ . فانتشى

وأخذ في ضبط الحصون ، وما يُغني به الحزم من وجوه التحصين ، وأظهر أهلُ البلادِ [من] الاغترابِ بِمآلهم ، والاستبشارِ بمفاتيحِ حاكمهم ، ما يُظهِرُ مَنْ خَرَجَ من ضيقٍ إلى سعةٍ ، وانتقلَ من هَرَجٍ إلى دعةٍ .

ومن أخرى له عنه : ومن أحدثِ نعم الله الممنوحةِ عهداً ، وأبعدِها في التمامِ والوفورِ حدّاً ، ما أتاحه الله في المُعَالِطِ المُعْجَبِ ، القويِّ المَجِيءِ والمُتَدَهِّبِ ، فلان - ضاعف الله إذلاله وإخزاه . ووفاه على ذميمة السعي جزاءه - فانَّ حاله جَرَّتْ على ما أصفه : سلف من ضلَّته في موالاتِ التعريضِ^٢ للحضرة وسائرِ أعمالها ، ما أثاره الحسدُ المُدَوِي لصدوره ، والقلقُ الغالبُ على صبره ، واتفقَ له من [٥٥ أ] إمهال الله تعالى إياه ، وتنكيبِ الحوادثِ عن دراه ، مدةً عنه ، اتفاقُ أجره رَسَنَهُ ، وأسلكه في الغواية سَنَنَهُ ، حتى ظنَّ أنَّ الحوادثَ لا تربيه ، والنوائِبَ لا تنوبه ، وحَسِبَ أن الأيدي لا تُمدُّ إلى مطالبته ، والآمالَ لا تطمحُ إلى معارضته . وقديماً خان هذا المعتقدُ أهله ، وأبان لمن سكن إليه جهلته .

وفي فصل منها : ولم يبعد أنْ خرجَ في شهرِ رمضان على عادته من الاستخفافِ بعظيمِ حرْمَتِهِ ، وتَرْكِ المراقبةِ لأهلِ الاسلامِ وذمِّته ، بعد أن تاهَّبَ ، واستنجد واستمدَّ ، والعُجْبُ قد أطفاه وأبطره ، والشرةُ قد غطى سمعه وبصّره ، والمطامعُ قد تشغبتْ عليه ، وبَسَطَتْ في

١ م حرج (واللفظتان تتبادلان في السخ) .

٢ د التعرض

انتهازِ الفرصة يديه ، فأخرجتُ ابني الظافراً مستعيناً بالله معولاً^٢ عليه ، متبرئاً من الحولِ والقوةِ إليه ، فلما دنا من المحلّة الذميمة واصطفوا لآزاءها ، اقتحم سرعانُ رجالنا نهراً كان بينهم ، مبادرين غيرَ هيّابين ، ونشأتُ بين الفريقين حربٌ أجلّتْ عن أعدادِ صرْعِي من أصحابِ المخدول ، ثم تلا ذلك عيونُ كافةِ العسكرِ وصدقتُ الحملةُ على الخائنين ، فلم يلبثوا أن ولّوا مدبرين ، وألقوا بأيديهم منهزمين ، والأسنةُ تحفزهم ، والجلادُ يزعجهم ، فأنجزوا بالحصنِ وأسلموا محلّتهم ، فحيزَ جميعها ، وغنم من كراعهم وسلاحهم وسائرِ أسلابهم جُمْلُ نفوتِ الحصرِ ، وتُعجيزُ الوصفَ ، وبقي المخاذيلُ إلى آخرِ النهارِ ، ثم خرجوا مع المغيبِ ، وشُعيرَ بفعلهم ، فابتعثهم الخيلُ إلى النهرِ . فتهافتوا فيه تهافتَ القراشِ في النارِ ، وفرّوا على عاجلِ البوارِ ، وكان الشاذّ منهم من سلّم . والجُمُ الغفيرُ من غرقَ وتلف ، والله حسيبُ من أوزطهم وأغراهم ، والمنتقمُ ممن قادهم إلى منايهم . وأمّا المخدولُ المعهودُ خورُهُ ، والشديدُ تهوُّرُهُ ، فإنه سقط عن مركبه في تلك الصدمة سقوطاً أوهنته وكلمته ، ولولا من كره عليه حتى أقبلَ واحتملَ لحصلَ في رِبْقَةِ الأسرِ . ولغلبتْ رَهْنُهُ إلى آخرِ الدهرِ .

وله من أخرى : وقد كانت نشأتُ بيننا وبين فلان ، النطيفِ الودِّ ، السبيِّ العهدِ — جزاه الله جزاءً من خاس بدمامه . ونثرَ عِقْدَ الوفاءِ بعد انتظامه — مُداخلةً توسطَها رؤساء ، وتقلدها ورراء . طالت زمناً لا يتتهجُ فيها

١ م المظفر .

٢ م : ومعولاً .

إلى السلم سبيل ، ولا يبدو من ^١ الوفاق دليل ، ولا يلوح للنجاح وجه مقبول ، بما كان السفراء يَلْقَوْنَهُ من تَشَطُّطٍ في غير كُنْهِهِ ، ومقابلتي بما كان يأتي من شبهه ، إلى أن تطلّأ من سموه ، وتقاصر من علوه ، ونضا عنه ثوبَ الرياء ، وأبدى وجهَ حاجتِهِ إلى الانقياد والاستبقاء ^٢ ، فأنبتُ إناجَةَ من يؤثر الهدنة على الفتنة ، وتأيت إرادة من يريد إدالة المودة من الإحنة ^٣ ، وأنا اعتقدُ أنه مصحح فيما أراه ، صادق في الذي أعطاه ، أقضي على الظاهر ، ولا أتجاوزُ تصفُّحَ الحاضر ، وإذا هو مصرٌّ غُدرةٌ شواهه ، لو تهيأ مُرادُهُ منها لأغصتُ بالريق ، وللفت السوق بالسوق ، ولكن الله بما عودنا من فضله نبه على الغامض ، وأبان عن برق الخلب الوامض ، فرأيت مكنونَ الضمير ، بعين التفكير ، ونشرت مطويَّ الجوانح بيد التدبير ، فإذا كلُّ ما عقيدَ مُنحلّ ، وما أبرمَ مُضمحلّ ، فرددتُ عندما خلت عَقْدَهُ إليه ، وقلتُ غيرَ مُليمٍ ظَهَرَ المِجَنُّ إليه .

ومن أخرى عنه : كنت قد هادنت أهل غرناطة — لازلوا في أذيالِ مكرهم عاثرين ، وفي أيدي غوائلهم مستأسرين — مهادنةً دعوني إليها فأجبت ، واستندتوني نحوها فدنوت ، فلما أشرفت على التمام ، وأذنت بالانصرام ، راسلوني في تماديبها فساعدت . وأرادوني على اتصالها فانفعلت وأنفدت . وانعقد بيننا عقد بولع في تأكيده . وتُنوّهي في إحكام موثيقه وعقوده .

١ م ط س تبهو عن .

٢ د . والاستيماء

٣ م ط س . الأحنة .

٤ د . الحاطر .

٥ م : شهراء .

ولم تكذ صحيفته تُطوى ، ولا شهيدته يتولّى ، حتى غدروني في الحصنِ
 الفلاني باستنامةٍ منّ كان فيه من قبلي إلى السلم ، وإضاعته استشعار الخزم ،
 فلم أعجل بالتنكّر ، ولا سارعت بالتنمّر ، ورأيت الاستيناء ، وآثرت
 الاستبقاء ، رجاء أن يفكروا في العواقب ، فيفيثوا^١ إلى الواجب ، ويعطفوا
 [٥٥ ب] إلى الرأي الصائب ، وأعدت إليهم من أمكني إعادته من السفراء ،
 فلقوا منهم بدهة^٢ وإباء ، والتواء وانزواء ، ولما رأيت ذاهب رشادهم لا
 يرجع ، ودواء استصلاحهم لا ينجع ، وثأني نصفتهم^٣ لا يُرأب ، وغائب
 قياتهم لا يُرتقب ، عملت على الإيثار ، واستجمعت لذي الانتصار ،
 وسقيتهم^٤ بمثل كاسهم ، ورميتهم^٥ عن نظائر قياسهم ، فلم يتطلّ أمد ،
 ولا كثر من ماضي الأيام عدّد ، حتى حصّل من وجوه قوادهم ، ورؤوس
 أجنادهم ، فلان وفلان ، إلى ستة وعشرين رجلاً أحيط بهم أسراً ،
 وتقبّض عليهم طراً ، وجعلوا قيراهم البثّ والأهتف . وأبا مثوهم
 الهون^٦ والحسف .

وله من أخرى عنه : شرّ الناس لنفسه من جهيل مقدارها ، ولم يتهم
 اختيارها ، وقفاً إذا شرهت وعميت آثارها ، وطار بجناح طمّعها . إلى

١ ط . فيموا .

٢ البدهة . المباغثة والمفاجأة ؛ س ط د : بدهة .

٣ م ط د س : وثاني ؛ ط : نصيفتهم .

٤ خ جامش ط . تامة عشرين .

٥ م ط : أسرى .

٦ ط : الجهود وفوقها « كذا » ، وشكلها قريب من ذلك في م س .

ذميم طَبَعَهَا ، وَاتَّبَعَ رَائِدَ جِشْعِهَا^١ ، إِلَى وَخِيمِ مَرْتَعِهَا ، وَعَادَ إِلَى الصَّالِحِ
مِنْ خُلُطَائِهِ فَاسْتَفْسَدَهُ ، وَإِلَى الصَّفِيِّ فَأَحْقَدَهُ ، وَإِلَى الْمُسْتَنِيمِ فَأَوْحَشَهُ وَشَرَّدَهُ ،
وَلَا سِيْمَا فِي حَالِ تَحْضُرٍ عَلَى اسْتِدْنَاءِ الْبَعْدَاءِ ، وَتَبَعْتُ عَلَى مَصَادِقَةِ الْأَعْدَاءِ ،
وَمَعَ نَصِيبَةٍ قَدْ أَنْذَرْتُ بِمَالِهَا ، وَحَدَّرْتُ مِنْ بَغْتَةٍ اغْتِيَابِهَا ، بَلِ وَاللَّهِ قَدْ نَفَحْتُ
رَجُومَهَا ، وَلَفَحْتُ سَمُومَهَا ، وَصَرَّحَ بِالْبَأْسَاءِ شُومَهَا .

وليس يذهب عنك أني ، بما أشرت إليه ودرت حوالبه ، إلى صاحب
طلبلة ناظر، وإلى قُبْحِ ما عاملني به شاهر، وذلك أنه منذ زمن يتمرس بجاني ،
ويقوم في وجه ما لا يرييه من مذاهي ، فمن ذلك ما نعلمه من خُفُوفِهِ إِلَى
بَسْطَةِ^٢ الْقَاءِ فُلَانٍ - أَخَذَهُ اللَّهُ بِمَا أَلْبَسْتُهُ مِنْ حُرْمَةٍ^٣ فَجَرَدَهَا ،
وَأَوْلَيْتُهُ مِنْ نِعْمَةٍ فَغَمَطَهَا وَجَحَدَهَا - وَبِقَائِهِ هُنَاكَ يَشْجَعُهُ عَلَى
غَدْرِي ، وَيَشِيعُهُ مِنْ مَخَالَفَةِ^٤ أَمْرِي ، وَتَوَثَّقَ لَهُ أَنَّهُ إِذَا انْصَرَمَ مِنِّي ، وَانْخَزَلَ
بِعِضِّ عَمَلِهِ عَنِّي ، كَانَ لَهُ إِنْ هَمَّتْ بِهِ سِنْدًا ، وَوَصَلَ بِهِ إِنْ وَصَلَتْ
يَدًا ، فَحِينَئِذٍ صَنَعَ فُلَانٌ مَا صَنَعَ ، وَحَاوَلَ أَنْ يَطِيرَ فَوْقَ ، مِنْ تِلْكَ^٥ الْجَهَةِ
الَّتِي كَانَتْ انْخَرَطَتْ فِي سِلْكِ بِلْدِي وَعَمَلِي ، وَاطَّرَدَتْ فِي مَنَابِرِهَا الْخَطْبَةَ

١ س م ط د : خشمها

٢ د . نعلم .

٣ بسطة (Basa) واسمها في القديم (Basti) ، وهي اليوم أكبر مدينة في ولاية غرناطة
وتبعد ١٢٣ كم إلى الشمال الشرقي من غرناطة نفسها (الروض رقم ٤٦٠) .

٤ من حرمة : سقطت من م .

٥ م : عن مخالفته ؛ س : عن مخالفة .

٦ س م ط : ذلك .

لي ، حتى انصت^١ فيها فَوَاقَ بِكِبَةِ حُكْمِهِ^٢ . وَذُكِرَ عَلَى أَعْوَادِهَا اسْمُهُ ، « وَلَكِنْ قَلِيلاً مَا بَقِيَ التَّشَاوُبُ »^٣ وَوَسَمَهُ . إِلَى^٤ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ قَوَارِصِ^٥ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، سَتَصِلُ إِلَيْكَ عَلَى أَلْسِنَةِ الرِّسْلِ . وَأَنَا فِي كُلِّ ذَلِكَ أَحْتَمِلُ الْأَذَى ، وَأَغْضِي عَلَى الْقَذَى ، وَأَقْبِضُ يَدَ الْإِنْتِصَارِ . طَمَعاً فِي الْإِقْتِصَارِ وَالِاسْتِصْبَارِ ، وَذَهَاباً مَعَ عَادَةِ الْأَنَاةِ وَالْإِنْظَارِ . وَرَبِّمًا أَلْمَحْتُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ بِعِتَابٍ ، وَتَكَلَّمْتُ بِكَلِمَاتٍ غَضَابٍ ، فَظَنُّ^٦ أَنْ ذَلِكَ قُصَّارِي فِي إِنْكَارِي ، وَمَتَّهَى وَسُمِّيَ إِقْتِدَارِي ، فَزَادَ الْإِعْتِدَاءَ وَالِاسْتِهْدَافَ^٧ ، وَعَظُمَ الْإِزْدِرَاءُ وَالِاسْتِخْفَافُ . وَلَوْلَا تَنْظَرِي مِنْ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ - عَصَمَهَا اللَّهُ - إِلَى مَا يُنْظَرُ إِلَيْهِ ، وَإِشْفَاقِي مِنْهَا عَلَى مَا لَا^٨ يَشْفُقُ عَلَيْهِ . لِأَسْكَنْتُ أَوَّلَ أَنْبِعَائِهِ ذَلِكَ التَّرْوَانَ ، وَرَدَعْتُ قَبْلَ احْتِفَالِهِ ذَلِكَ الْإِسْتِنَانَ .

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : ثُمَّ خَتَمْتُ تِلْكَ الْمَنَاتِ ، وَتَلَا تِلْكَ السِّيَّاتِ ، بِخَبْرِ صَاحِبِ فَلَانَةِ . كُنْتُ أَوْطَأْتُهُ عَلَى عِلْمِكَ رِقَابَ أَهْلِهَا ، وَجَعَلْتُ إِلَيْهِ الْقَبْضَ وَالْبَسْطَ فِيهَا ، وَلَمْ أَشْرِكْ مَعَهُ أَحَدًا فِي مَعْنَى . فَخَانَ بِمَا اثْتُمِنَ . وَفَرَطَ فِي مَا احْتَجَجَنَ ، وَخَافَ عَاقِبَةَ ذَلِكَ فَتَنَغَّلَ وَاضْطَغَنَ . وَأَرَادَ أَنْ يَفُوزَ بِبَطْنَتِهِ

.. .

- ١ انصت . استقام ، س م : اقضات . د اتصلت
- ٢ عمر ديت لأحمد بن أبي هس . و صدره « متاهت كي لا ينكر الدمع منكر » (زهر الآداب : ١٠١٢ وقد مر تحريجه في المسم الأول ٣٢٣ وورد هناك روايه مختلفه)
- ٣ ط م س : التشاوب اسمه استقال . د . في اسمه
- ٤ ط م د س : قوارص
- ٥ د . الاقصار .
- ٦ م ط د . والاستهراف .
- ٧ كذا في السخ .

وما جمع ، وينجو مما حذر عليه وتوقع ، فأزعم على الانحراف والانزواء ،
واستجمع للخلاف والانتزاع ، وداخل فلاناً يعرض عليه ما ذهب إليه ،
ليؤيده على قبوله بما في يديه . فنأى عنه بجانب التزيه الكريم ، وأعرض لإعراض
الحرّ الصميم ، فانصرف إلى المذكور وهو لناها مستمطراً متوكّفاً ، وإلى
مثلها مستوقفٌ مُستشرفٌ ، فما دعاه حتى لبّاه ، ولا أومى إليه حتى تهافت
عليه ، لا يتهيبُ حالاً . ولا يتوقعُ مآلاً ، وبلغني الخبرُ وكفى به مُزعجاً ،
ولا كئله مُبهِماً مُحرجاً ، فصبرتُ حتى أعذرتُ ، وتأنيتُ حتى أبليتُ ،
ثم اعترمتُ على الانتصار . وتقدّمتُ اطلبِ الثار ، مستخيراً وعد الله لمن
بُغِيَ عليه ، مقتضياً حُكْمَهُ العَدْلَ فيمن تُسبَّبُ إليه ، فتقدّمتُ في معسكر
ألفتهُ يدُ الإعجالِ . [٥٦ أ] وحالتِ البديهةُ بينه وبين الاحتفال ، فأنخْتُ
به على بلده أياماً ، قطعتُ فيها دونه كلَّ الرفاق ، ولم أبقِ حوله سقفاً على
جدار ولا قائمةً على ساق . ثم مررتُ إلى جهةِ فلانةِ أجوسُ خلاتها ،
وأقرّرتُ بالنهبِ والإحراقِ أعمالها . وأتسّمُ معاقبتها ، وأجعلُ أعاليها
أسافيلها . إلى أن وقفتُ^٢ بجانبها^٣ منازلًا . وزحفتُ إلى بابها مقاتلاً ، وصاحبها
يرى الخويّ ملءَ عينيه ، ويقلبُ على خسارةِ صَفْقَتِهِ كَفْيِهِ ، ولا يعاينُ
إلا ناراً تضطرمُّ عليها . وتصطلمُ حواليتها ، فلو أضعفنا لسمعنا قمعمةً
أضراسه ، واستشعرنا لوجدنا حرّاً أنفاسه : وكلُّ كميّ عنده - وكانوا
عدداً لقيفاً ، وجمعاً كثيفاً - قد نُسيخَ جباناً . ومُسيخَ هِداناً ، لا يكادُ
يُقبيلُ حتى يُدبر ، ولا يبرزُ حتى ينجحر :

١ م ط . اسق . . . مقداً

٢ أجوس . . . وقفت سقط من م س .

٣ م ط : بجانبها .

تلقى الحمام على جراءةٍ حدهِ . مثلَ الجبانِ بكفٍ كلِّ جبانٍ^١
ثم انكفأتُ ، على غير الطريق التي كنتُ أنشأتُ ، عائداً بمثل ما بدأتُ ،
واطناً ما لم أكن قبل وطنتُ ، فتخيّلُ سبيلي ، في وجهتي وقفولي ، وتمثّلُ
أثري ، في وردي وصَدْرِي . وكنتُ قد وجهتُ أسطولاً بلغ في ساحلِ
بلده أقصى المبالغ من الإفسادِ والتدمير ، والتغيير والتأثير ، ثم انصرف
بحمد الله كما انصرفتُ على غاية الوفور والظهور .

وله عنه من أخرى: وإنّ فلاناً جارنا - لا أجاره الله من ريسب الزمان ،
ولا صرفَ عنه صروفَ الحدثنان - يأبى الله أن يراه حائداً عن فساد ، وعائداً
إلى رشاد ، ومقلِّعاً عن قبيح ، ومستمعاً من نصيح ، فهو - والأيامُ قد
وعظته لو اتعظ ، والأحوالُ قد نهته لو انتبه واستيقظ ، وحجةُ علو السنِّ^٢
قد قامت عليه ، ووجهه غير الدهرِ قد سفّرتُ إايه - بمتزلة الغرّ العابث ،
في مسلاخ السقمه^٣ العاث ، ولا يُقنصرُ ولا يبصرُ ، ولا يرعوِي ولا
يفكر .

واتفق الآن ، بمساعيه الخبيثة ، ومحاولاته الذميمة ، أن تسبب إلى مداخلة
الحصن الفلاني . على يدي خبيث من أهلها . قد دبّر الحيلة حتى اتجهت في مثلها ،
وأنفذ إليه قائداً من وجوه عبيده . واتصل بي الخبر ، فطيرت^٣ مَنْ ناشبهم^٤
الحرب ، فوهب الله لأوليائي الظهور ، ووقى الله المحذور ، من مضرّةِ

١ البيت المتنبي ، ديوانه : ٤١٦ .

٢ م س : السين .

٣ م : فطيرت .

كان الجاهلُ المطاولُ قرَعَ بابها، وأحصد^١ في ظنِّه أسبابها ، فتأمل^٢ كيف^٣ دؤوبُ هذا الموصوفِ بمقتضى صفاته ، المتابعِ لقبائح^٤ هناته ، على إضرام نارِ الفنِّ ، باستثارة^٤ دواعي الإحنِّ ، وتعريضِ المسلمين - عصمهم الله - للحوادثِ والمحنِّ ، وكيف لا يزدادُ على الأيام إلا جماحاً في ميدانه ، وانقياداً لشیطانه ، واستكثاراً من سوءِ عمله ، على قريبِ أجله ، وليشكر الله حقَّ شكره من لم يُضِعْهُ هذه الضبيعةَ الرِّهَاءِ الشَّوْهَاءِ ، ويشعرهُ هذه البصيرةَ العمياءِ الصمَّاءِ ، ومن طَبَّحَ على قلبه ، بمجاهرةِ عصيانِ ربِّه ، فشرُّهُ أبداً عتيداً ، وشیطانُهُ مریداً .

وفي فصل من أخرى : ورد كتابك مبيّناً عن ودِّ كماءِ المزج . وعهد كروضِ الحزنِّ ، مع برِّ حافلٍ وقبئتهُ ، وإلطفِ نالغٍ أحفيتهاُ ، متجلُّوئين في معرضِ سيادةِ لاحظتُ ضميري لها عبونٌ حورٍ ، وجاذبتُهُ منها ألفاظُ أوامسٍ نورٍ ، أرنتني البيانَ كيف يدبُّ سحره ، والافتتانَ كيف يطمُّ بحره . وزهرَ الآدابِ كيف يطلعُ من كماميه ، ولؤلؤَ الكلامِ كيف يتسقُّ من نظامه . كلُّ ذلك سافرٌ عن وجهِ طويةٍ سائلةٍ غرَّةِ الإحاضِ ، سليمةٍ جوهرِ الصفاءِ . مع علوقٍ مستحيلةِ الأعراضِ .

وله عنه من أخرى إلى صاحبِ المهدية : لاني - أيتدك الله - على ما بيننا من بلجٍ خضريٍّ ، وفيافٍ غبيريٍّ ، لمستكثراً من إخالِكَ ، مستظهورٌ بوفائكِ ،

١ س د م . وأحصل .

٢ زاد في م : شاء .

٣ لقبائح : موضعها دياس في م .

٤ ط م د : باستشارة .

متوفراً على إجمال ذكرك وثنائك، قياماً بما يتعين من مجدك وسنائك ،
ويعلم الله أنه ما أملي الأبعد ، وعملي الأحمد ، إلا أن يوم أفقك الطلق - صان
الله بهاءه ، وحسن أرجاءه - من الخواص النبلاء ، والأعيان الفضلاء ،
من يبلغك كتابي ، وينوب في إنهاء طاعتي إليك منابي .

وكان فلان [٥٦ ب] قد ألمّ بي زائراً ، وتلوم لدي مجاوراً ، فأقبلته
وجّه البشر ، وألحفته جناح البر ، بخلال رائحة ، وخصال بارعة ، لنفائس
المحاسن جامعة ، منها - وهي أحظى وسائله لدي ، وأدنى فضائله إلي -
إدمانه نشر تشيراً معاليك ، وإعلانه بثّ أياذك ، وكنت متى تشوّف
لمعاودة وطنه ، واستشرف لمطالعة سكنه ، أقوم في وجه زماعه ، وأغض
من طرف نزاعه . استمناحاً بما يثيره من ميامنك ، واستدامة لما يتلوه من
آيات محاسنك ، إلى أن جدّ به التوق . واستولى على مقادّتي الشوق ،
ولم يكن في صدّه عمّل . ولا بريدّه قبيل . فأصحبته كتابي هذا إليك
مجدداً رسم الوداد ، وعامراً سبيل حُسن الاعتقاد . ومعلماً بما بلوت من
صدق تشييعه لمجدك ، وخفّة لسانه بمجدك ، ومشيراً إلى ما عنده من كُننه
إجلال لك . وحقيقة استكثار منك . ثقة بأنه يُحسّن لإنهاءه ، ويوفي
أداءه . إن شاء الله .

قال ابن بسام : ومحاسن ذي الوزارتين أبي بكر أكثر من أن تحصى ،
وآياته أبين وأبهر من أن تستقصى . وإنما ظفرت بها بطرف . وحصلت

١ الشعر الرائحة . وقد ابردت بها ط ولعلها مكررة إذ المعنى يتم دونها
٢ م . واستولى مقادة

منها على نُتْفٍ ، ولم يقعْ إليَّ من شعره ما أوشحُ هذا المجموعَ بذكره ،
ولا بأس باثباته إن حصل ، وبالله أستعينُ وعليه أتوكل .

ومنهم الوزير الفقيه الكاتب أبو القاسم
محمد بن عبد الله بن الجلد^١

قريع وقتنا ، وواحد عصرنا ، ممن استمرى أخلافَ النظم والنثر ،
فدرتْ له بالبيان أو بالسحر ، فان تكلم فأبوجر ، أو نظم فكلثوم بن عمرو ،
حتى إذا أخذ في الجدل ، أو تفقّه في علم الحرام والحلال ، فرويدك حتى
ترى الصبحَ كيف يُسفر ، وتبجّج البحر كيف يزخر ، وهو على نباهاة
الذكر ، وعلو القدر ، وشرف المحلّ من فهر ، قد لزم داره ، وطوى
أخباره ، واقتصر على عِفّة^٢ من المعيشة رزقها ، فهو يتبرّضَ جَمِيمها ، لا
بل يتزوّدُ نسيمها ، والشمسُ ، وان سترها الضبابُ فغير^٣ خفيّة السّناء ،
ولا مجهولة الغناء . وكان على عهد المعتمد قد تقلّد وزارة ابنه يزيد^٤ ، فلم

١ محمد بن عبد الله بن يحيى بن مرج بن الحد الفهري: شلبي الأصل سكن اشبيلية، ويعرف بالأحذب،
أخو الحافظ أبي بكر ابن الجلد، كان من أهل التفص في المعارف والآداب والبلاغة دا حط جيد
من الفقه والتكلم في الحديث ، وكان يقني ببلده لبلة وتوفي سنة ٤١٥ (الصلة: ٥٤٤) والذيل
والتكملة ٦ ٣٢٦ . المطرب ١٩٠ . والمعجب: ٢٣٧ والقلائد ١٠٩٠ والخريدة ٣: ٣٩٣
والمغرب ١ ٣٤١ . وإحكام صنعة الكلام : ١٨٥ - ١٨٦) .

٢ العفة . بقية الأب في الضرع ، ولعلها أن نقرأ « غفة » - بالذيين المعجمة - وهي البلغة من
العيش .

٣ د : غير .

٤ هو الملقب بالراضي أبي خالد ، ولاء أبوه أولا الجزيرة الخضراء ثم رندة . ومهما استنزل
وقتل سنة ٤٨٤ (انظر الحلة ٢ : ٧٠) .

يزل معه عليّ الشان ، نابه المكان ، حتى كان من أمره ما كان . وهو اليوم في وقتنا قد اضطرّ إليه أهلُ قاعدة لبله فولّوهُ خطّةَ الشورى ، وألقوا إليه مقاليد الفتوى ، فمهّد لذلك جانباً من كفايته ، واحتسب فيه جزءاً من عنايته ، على كُرّهٍ منه شديد ، ومَرَامٍ في التزايد من العلم بعيد . وعلى ذلك فلم يدعُ مساجلةَ الإخوان ، ومراسلةَ من يرسم بهذا الديوان ، من بني الأوان ، بما يشهد له أنه بديعُ الزمان ، وفارس الميدان ، وقد أثبت له بهذا الديوان ، ما يقيمُ له أوضح برهان .

جملة من رسائله في أوصاف شتى

فصول^١ له من رقعة أنشأها على لسان مَنْ صَدَرَ من بيت الله الحرام وزيارة قبر^٢ نبيه عليه السلام : صلوات الله على خاتم الرسل ، وناهج السبل ، وناسخ جميع الملل ، ومجلى الظُّلم والظُّلم ، ومحبي القلوب بنور الهدى والحكم ، ومقلِّد التداراة والسفارة إلى كوافِ الأمم ، وعليه من لطائف التسليم ، ما يُرَبِّي على عدَد النجوم ، وَيُزْرِي بالمسك المختوم ، ويقنضي باتصاله واحتفاله رضى الحي القيوم .

كتبت يا أكرم الأنبياء وسائل ، وأعظمهم فضائل ، وأعمهم فواضل ، وأتمهم فرائض ونوافل ، وقلبي بحبِّك معمورٌ ومأهول ، وعلى الإيمان بك مفلورٌ ومجبول ، وبتمثل ما عاينتهُ من عظيم آثارك مهوولٌ مشغول ،

١ د ؛ فصل .

٢ قر ؛ سقطت من م ط س .

ومن لي بِمِيقَوْلٍ [١٥٧] لا يَخْلُقُهُ خَلَلٌ ، ولا يُدْرِكُهُ في الصَّلَاةِ
عليك والدُّعَاءِ لك مَلَلٌ ، ولا يَشْغَلُهُ عن ذِكرِ اللهِ تعالى وذِكرِكَ سَهْوٌ
ولا خَطَلٌ . حتَّى أَقْطَعَ بذلكَ آثاءَ ليلي ونهاري ، وآصالي وأسحاري ، وأجعله
شعاري ودثاري ، وهجيريّ في إعلاني وإسراري ؛ اللهم ألهمني من تحميدِكَ
وتسبيحِكَ ، والصَّلَاةِ على رسولِكَ الأمينِ ونصيحِكَ ، ما يَشْغَلُ لساني ، ويثقلُ
مِيزاني ، ويبسطُ يومَ الفَرَجِ الأكبرِ من أمانِي ؛ اللهم وفّرْ حظِّي من شفاعته ،
وأحسنْ عوني على طاعتِكَ وطاعته . واحشُرني في عِدادِ زمرةِ وجماعته .

ولما صدرتُ يا رسولَ اللهِ عن زيارتكِ الكريمةِ ، وقد ملأتُ هَيْبَتِكَ
ومحبتُكَ أرجاءَ فكري . وفضاءَ صدري . وعشيتي من نورِ برهانِكَ
ما بهر لي . وعمر قلبي . لحقني من الأسفِ لبعْدِ مزارِكَ ، والحزنِ إلى شَرَفِ
جوارِكَ ، ما أودعَ جوانحي التهاباً . وأوسَعَ جوارحي اضطراباً . وأشعرَ
ألمي عَوْداً إلى محالِّكَ المعطَمِ وإياباً ، وكيف لا أحينَ إلى قربِكَ ، وأتهالكُ
في حبِّكَ ، وأعفّرُ خدِّي في مقدّسِ تُرْبِكَ ، وبك اقتديتُ فاهتديتُ .
ولولاك ما صُمتُ ولا صلّيتُ . ولا سعيتُ ولا طفتُ ، بل كيف لا يتحرّكُ
نحوكَ نزاعي ، ويتأكّدُ انقطاعي ، وبك استشفاعي ، وإليك مفزعي يومَ
الدّاعي . فلا تنسَ لي يا رسولَ اللهِ عيادي بك ولياذي ، وإسراعي
إلى زيارتكِ وإغذاذي ، واذكرني في اليومِ العظيمِ المشهودِ ، عند حوضِكَ
المورودِ ، وظلِّكَ الممدودِ ، ومقامِكَ المحمودِ .

١ م : قلبك .

٢ ولا طفت : لم ترد في د .

اللهم كما أعتني على حج بيتك المحرم ، وزور نبيك المكرم ، فاجعله لي شفيعاً ، وتوفني على ميلته مطيعاً . ويسر لي كربةً إلى موطنه المقدسة ورحوعاً ، إنك على ذلك قدير . وبحقيقة دعائي عليم خبير ، والسلام المردد المؤكد على نبي الرضوان . وصفي الرحمن ، ما تعاقب الملوان ، وتناوب العصران .

وله من أخرى خاطب بها بعض من قدم من الحجاز : كنت وقد هزتي وافدُ البشري . واستخسني رائدُ المسرة الكبرى . بما سنّاه الله من قدومك محوط الجوانب والأرجاء ، مستوط الفخار بذوائب الجوزاء ، محطوط الآثار في مواطن الرسل ومواطن الأنبياء ، فيا لها حجة مبرورة ما أتم مناسكها ، وأوضح في مناهج البر مسالكها . لقد شهد فيه الميقات بجلوس إهلاك وإحرامك . واهتز البيت العتيق لطوافك واستلامك . ورضيت المروة والصفا عن كمال أشواطك . وتهلل بطن المسيل لسعيك فيه وانحطاطك ، تم بما وقف الأعظم من عرفة سَطَعَ عَرَفُ تحشعك ودعاك . وارتفع حفص تضرعك واستخدائك . وفي البيت الأكرم من المزدلفة حظي بقربك وتزلعك . وركا تهجدك^٢ وتنفلك . وعمد الإفاضة فاضت الرحمة عليك ، وكلت النعمة لديك ؛ وأما مني ففيها قضيت مناسك وأوطارك ، وقُبلت هداياك وحيمارك . وخطت خطاياك وأورارك . فما صدرت عن تلك المعالم المكرمة . والشعائر المعظمة . وإلا وهي راصية عن عجبك وثجك^٣ .

١ في النسخ بقربك

٢ في النسخ ١٠ عدد مر ٤ بوجدك

٣ النسخ الصحيح في الدعاء ، ثم سلك دماء المدن وعمرها ، وفي الحديث . تمام الحج العج

١٠ . الحج : د نحت

شاهدةٌ لك بكمالِ حَجِّكَ ، مشفقةٌ من فراقك وَبُعْدِكَ ، متعلقةٌ لو
أمكنها بِبِرِّدِكَ ، وقبلُ أو بعدُ ما تأتستُ بك يثرب ، وَرُفِعَ لك في جنبها
مضرب ، فشافهتَ منازلَ التتريل ، وطالعتَ معاهدَ الرسول ، وقضيتَ من
زيارةِ القبرِ الكريمِ واجباً ، وقمتَ بينه وبين المنبرِ صارعاً راغباً ، فما
حُجِبَ عنه عليه السلام زورُكَ وإلماُك . وقصدُكَ واثمامُك ،
وصلاتك وسلامك ، بل كان لكلِّ ذلك راعياً سامعاً ، ويكونُ لك بحولِ
الله شاهداً شافعاً ، فهنأكَ الله ما منحك من جزيلِ الأجر في مواقفِ الحرمين ،
وأطارَ لك من جميلِ الذكر في الخافقين .

ولما قعد بي عن قصدك ما قعدتَ ، ولم يمكنني الوفودُ عليك في جملة
من وقد ، استنبت كتابي منابي [٥٧ ب] .

وله من أخرى في صفةِ مطر بعد قحط : لله تعالى في عباده أسرارٌ ، لا
تُدركها الأفكار ، وأحكامٌ ، لا تنالها الأوهام ، تختلفُ والعدل متفقٌ ،
وتفترقُ والفضلُ مجتمعٌ متسقٌ ، ففي متحها نقائس المأمول ، وفي منحها
مدآوسُ العقول ، وفي أثناء فوائدها حدائقُ الإنعام رائقة ، وبين أرجاء
شدائدها بوارقُ الإنذار والإعذار خافقة ، وربما تفتحتُ كرائمُ النوائب ،
عن زهّراتِ المواهب ، وانسكبتُ غمامُ الرزايا ، بنفحاتِ العطايا ، وصدع
ليلَ اليأس صبحُ الرجاء ، ونخلع عاملَ البأس والي الرخاء ، ذلك تدبيرُ اللطيفِ
الخبيرُ ، وتقديرِ العزيزِ القدير .

ولما ساءت بنبط الغيث الظنون ، وانقبضت بتبسُّط الشكِّ اليقين ،

١ م : منحها ؛ س : فتحها .

واستراحت حياضُ الوهاد ، بعهود العِيهاد ، وتأهبت رياضُ السَّجاد ،
لبرود الحداد ، واكتحلتُ أجفانُ الأزهار ، يَأْتُمِدُ النقع المثار .
وتعطلت الأنوار ، من حُلِيِّ الديمة المذرار ، أرسل الله تعالى بين يدي رحمته
ريحاً بليلةَ الجناح ، مخيلةَ النجاح^١ ، سريعةَ الإلقاح ، فنظمتُ عقودَ السحاب ،
نظَّم السَّحاب ، وأحكمت برودَ الغمام ، رائحةَ الأعلام ؛ وحين ضربتُ
تلك المخيلةُ في الأفق قبابها ، ومدتْ على الأرض أطناها ، لم تلبث أن
انهتك^٢ رواقها ، وانبتت^٣ وشيكاً نطاقها ، وانبرت مدامعُها تبكي بأجفان
المشتاق ، غداة الفراق ، وتحكي بنان الكرام ، عند أُرْيَحِيَّة المدام ،
فاستغربت الرياضُ ضحكاً بيكائها ، واهترت رُفاتُ النبات طرباً لتفريد
مكائنها ، فكانَ صنعاء. قد نَشَرَتْ على بسيطها بساطاً مُفَوِّقاً ، وأهدتْ
إليها من زخارف بزَّها ومطارف وشيها أظافاً ونخفاً ، وخيَّل للعيون أن
زواهر النجوم ، قد طلعتْ من مواقع التخوم ، ومباسم الحسان ، قد وصلتْ
باقترار الغيطان ، فيا برْد مَوْقِعِها على القلوب والأكباد ، ويا خلوص
ريِّها إلى غلَّل النفوس الصّواد ؛ كأنما استعارتْ أنفاس الأحباب ، أو
ترشفتْ شنباً من الثنايا العذاب ، أو تحملت ماء الوصال ، إلى نار * البلبال ،
أو سرتْ على أنداء الأسحار وريحان الآصال . لقد تبين للصَّنْع^٦ الحميل

١ م : الجناح .

٢ م ط س : انتهك .

٣ انبتك : انقطع .

٤ م ط م : تشرفت .

٥ م ط س : ثار .

٦ م ط : الطبع .

من خلال ديميمها تنفس^١ ونصول ، وتمكّن للشكر الجزيل في ظلال نعمها
مُعَرَّس^٢ ومقيل ؛ فالحمد لله على ذلك ما انسكب قطر^٣ ، وانصدع فجر ،
وتوقّد قبَس^٤ ، وتردّد نفَس ، وهو الكفيل^٥ تعالى باتمام النعمى ، وصلة
أسباب الحياة ، بعزته .

وله من رقعة خاطب بها الوزير الفقيه أبا القاسم الهوزني^١ إثر قدومه من
حضرة أمير المسلمين ، رحمه الله تعالى^٢ ، غب^٣ نبوة خلصت إلى غرْبِه ، وروعة^٤
كادت تطير بسربه :

وكم نعمة لا يُسْتَقَلُّ بشكرها إلى الله في طي^١ المكاره كامينة^٢

قد يُجْتَنَى^٣ - أعزك الله - من شجر المساءة ثمر^٤ المسرة ، ويجتلى
وجه^٥ المحبوب غب^٦ المكروه مشرق^٧ الأسرة ، وربما تجهّم القدر وضميره^٨
مبتسم ، وتصابب^٩ الزمن^{١٠} وعقدة^{١١} محتشم ، وإنّما ينظر إلى مواقع الأقدار
في الإصدار ، وتُحْمَدُ^{١٢} مجاري الأعمال عند المال ؛ وفي هذه المقدمة دلالة^{١٣}
على النبوة التي ما اعتكر جناحها ، إلا^{١٤} ريشما وضح^{١٥} صبّحها ، ولا نعب^{١٦}
بالبعد غرابها ، حتى التفت^{١٧} إلى سائح السعد ركابها ، ولا استطار لها في
قلب الولي^{١٨} صدع^{١٩} ، حتى اشتمل منها على أنف^{٢٠} العدو جدع^{٢١} ؛ وما ذلك

١ أبو القاسم واسمه الحسن هو ولد أبي حفص عمر بن الحسن الهوزني الذي ترجم له ابن بسام
في هذا القسم من الذخيرة (انظر ص : ٨١ فيما تقدم) وأبو القاسم هو الذي سمي في فساد
دولة بني عباد عند أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أخذاً بشار أبيه، وكان فقيهاً مشاوراً ببلده،
توفي سنة ٥١٢ هـ (الصلة : ١٣٧ والمغرب ١ : ٢٣٥ وترتيب المدارك ٤ : ٨٢٦) .

٢ تعالى : زيادة من م .

٣ م : يتجنى .

إلّا لأن سلطان الحق أنجلك وأيدك ، وبرهان الفضل قام معك وأطال
 يدك ، وحاشا للعلم أن يُلْبِسَ حاملتهُ حمولاً ، أو يبحث له نحو الاذالة
 حمولاً ، فوشكان ما استقلت بك أيدي الآثار ، في صدر العثار ، وخاصمت
 عنك ألسنُ السنن ، عوارض المحن ، وما سرت إلّا وظل الكرامة
 عنك ظليل ، وصنّع الله لك رَسِيلٌ وبك كفيل ، فكن أوحش مسيرك ،
 لقد آنس ظهورك ، ولئن حسنَ اقترابك ، لقد سمحَ اغترابك ، ولئن
 سخنت العينُ بعلك ، لقد بينَ البينُ فقلك ؛ فالحمد لله الذي أوْشَكَ
 مقدّمك ، وأعلى قدامك ، ورفع في كلِّ مكرمة ومأثرة علكم ، [٥٨ أ]
 وإياه تعالى أسألُ أن يهنيك ويهنيءَ فيك عارفةَ السلامة ، ويُبقيك بعيدَ
 الصيت رفيعَ القدر في الظعن والإقامة ، ولولا ترددي في عقابل ربيع^١
 لزمّت جسمي شهوراً ، واتخذته ربعا معموراً ، لما استنبت في التهته خطاباً ،
 ولحشت نحوك ركاباً ، وأنت بسروك توسع العذر قبولاً ، وتقبّله
 وجهاً جميلاً .

وله من أخرى يهنيء بمولود : إن أحقّ ما انبسط فيه للتهته لسان^٢ ،
 وتشرف في ميادين معانيه بيان^٣ وبنان^٤ ، أمل^٥ رجّي فتأبى زماناً ، واستندعي
 فلولي عياناً ، وطاردته المنى فأتبعها^٦ حيناً ، وغازلتته الهمم فأسعرها^٧
 حينياً ، ثم طلع غير مُرتقب ، وورد من صحبة المباحج في عسكر بلج ،
 فكان كالمشير إلى ما بعده من مواكب الآمال ، والدليل على ما وراءه

... ..

١ يريد حتى الربيع .

٢ س م ط : فاتبعها .

٣ في النسخ : فأسعرها .

من كواكب الإقبال ، أو كالصبح افترت عن أنوار الشمس مباسمه
والبرق تتابعت إثر ومبضه غمائمه ، وفي هذه الحملة ما دل على المولود^١
المجدود ، المؤذن بترادف الحظوظ وتضاعف السعود . فيا له نجم سعادة ،
تطلع في أفق^٢ سيادة ، وغصن سناء . نفع من دوحه علاه ، لقد
تهللت وجوه المحاسن باستهلاله ، وأقبلت وفود الميامن باستقباله ،
ونظمت له قلائد التمام ، من جوهر المكارم ، وخص بالثدي الحوافل ،
بلبان الفضائل . وما كان منبت الشرف بانفراد تلك الأرومة الكريمة إلا^٣
مقشع الربى ، مغبر الثرى ، متهافت أغصان الرضى ، فأما وقد اهتز
في أيكه السيادة قضيب ، ونشأ من بيته النجابه نجيب ، فأخلق بذلك
المنبت أن تعاوده نضرتة ، وترف عليه حبرته ، ويراجعه رونقه وبهاؤه ،
وتضاحكه أرضه وسماؤه ، فالحمد لله على ما أتاحت من انشاء^٣ الأمل بعد
جماحه ، واختيال الجدال في حلية غرره وأوضاحه ، وهو المسؤول
أن يهنيك منه صنعا يحسن في مثله الحسد ، ويتمنى لفضله النسل والولد .

وله من أخرى خاطب بها ذا الوزارتين الكاتب أبا بكر بن القصيرة وقد
قربت بينهما المسافة ، حسبما ذكر ، ولم يتفق التقاؤهما :

لم أزل - أعزك الله - أستنزل قُربك براحة الوهم ، عن ساحة النجم ،
وأنصب لك شرك المني ، في خلس الكرى ، وأعلل فيه نفس الأمل ،
بضرب سابق المثل :

١ د : الوليد .

٢ ط : في أوفق .

٣ ط : انشائه ، م : انشاء .

ما أقدر الله أن يذني على شحطٍ من داره الحزنُ ممن داره صول^١

فما ظنُّكَ بي وقد نزل على مسافة يوم ، وطالما نفر عن خياله نوم^٢ ،
ودنا حتى همّ بالسلام ، وقد كان من خُدعِ الأحلام ، وناهيك من ظمأي
وقد حمتُ حول الوردِ الحَصيرِ ، وذمتُ الرشاءَ بالقصر ، ووقفَ بي
ناهضُ القدر ، وقِفَّةَ العَيْرِ بين الوردِ والصدر^٣ ، فهلا^٤ ، وُصِلَ ذلك
الأملِ بباع ، وسمح الزمانُ باجتماع ، وطويت بيننا رقعةُ أميال ، كما
زُوِيَتْ مراحلُ أيامٍ وليال ، وما كان على الأيام لو غفلت قليلاً ، حتى
أشفيَ بلقائك غليلاً ، وأتسّمَ من رَوْحِ مشاهدتك نَفَساً بليلاً ؛ ولئن
أقعدتني بعوائقها عن لقاءِ حرّ ، وقضاءِ برّ ، وسقَرِ قريب ، وظفرِ غريب ،
فما تحيَّفتُ ودادي ، ولا ارتشفت مدادي^٥ ، ولا غاضت^٦ كلامي ،
ولا أحفّت^٧ أقلامي ، وحسبي بلسانِ النَّبيلِ رسولاً ، وكفى بوصوله
أملاً^٨ وسولاً ، ففي الكتابِ بُلُغَةُ الوطر ، وَيُسْتَدَلُّ على العَيْنِ
بالأثر .

١ البيت لخنزج المري (البلدان : صول) ؛ وصول : مدينة في بلاد الخزر من نواحي باب
الأبواب .

٢ س ط م : عن حباله ؛ وسقطت « نوم » من م ط س .

٣ من قول أبي العلاء المعري (شروح السقط : ١٥٣)

هموا فأموا فلما شارفوا وقفوا كوقفة العير بين الورد والصدر

٤ فهلا : سقطت من م ط س .

٥ م س : مرادي .

٦ م س : حاصت .

٧ س : أجفت .

٨ د : أمداً .

على أني إنتما وحيث وحيي المشير باليسير ، وأحلت فهنمك على
المسطور في الضمير ، وإن فرغت للمراجعة ولو بحرف ، أو لمحة طرف ،
وصلت صديقاً ، وبللت ريقاً ، وأسديت يداً ، وشفيت صدىً ، لا زالت
أيديك بيضاً ، وجاهك عريضاً ، وليالك أسحاراً ، ومسايعك أنواراً .

ثم ختم رقعته بهذه الأبيات :

هو الدهر لا يفتأ^١ يمر^٢ ويحلولي
إذا أشكلت يوماً عليه مليم^٣
سألني بحدّ الصبر صم^٤ خطابه^٥
وأعرض^٥ عن شكواه إلا شكية^٥
روى لي أحاديث المني فيه غصة^٥
وجاد^٥ بقرب الدار غير متمم^٥
تراءى لي العذب^٥ النمر فليتي
أنحجب^٥ شمس العلم بردة^٥ ليلة^٥
ويخشن^٥ سراها لموطء^٥ أخصمي
أجل^٥ قبيد^٥ هذا الدهر أضيق^٥ حلقة^٥
سأبعث^٥ طيفي كل^٥ حين^٥ لعل^٥
ودونك من روض السلام نجية^٥

وسيان عندي ما يجيد^٥ وما يبلي^٥ [٥٨ب]
فمن ظهر قلبي يستمد^٥ ويستمي^٥
وإن صبغ فيها الشيب^٥ من حدق^٥ النبل
بها من هوى مرآك ضرب^٥ من الخبل
ولكنها لم تخل^٥ من غلظ^٥ النقل
ويا رب^٥ جود^٥ قد^٥ من شيم^٥ البخل
بردت^٥ لهاني منه في نغبة^٥ النهل
ولو وصلت^٥ أردانها ظلمة^٥ الجهل
ولو نبئت^٥ في جناحها إبر^٥ النحل
وأقصر^٥ للخطو^٥ الوساع^٥ من الكبل
يصادف^٥ من نبوي^٥ خيالك^٥ ما يسلي^٥
تنسيك^٥ غض^٥ الورد^٥ في راحة^٥ الطل^٥

١ ط م س د : يبقي .

٢ كذا في التنسخ ، ولعلها : خطوبه .

٣ ط م س د : غصة .

٤ ط م د س : وجاء .

٥ د س : الظل .

قوله : « وياربَّ جود قُدِّ من شيم البخل » يشبه قول الآخر :

الدهر ليس له صنيعٌ يُشكَّرُ شربٌ له يصفو وشربٌ يكدُرُ
يهبُ القليلَ وقد نوى استرجاعه هبَّةُ البخيلِ أقلُّ منه وأنزر

وكانَ هذا من قول بشار^١ :

أما البخيلُ فليستُ أعذله كلُّ امرئٍ يُعطي على قدره

فراجعه ذو الوزارتين برقعة نسختها : كتبت ولسانُ القلم يتلعم ، وقدمُ
الكلم يتأخر أكثرَ مما يتقدم ، هيبةٌ لانتقادك ، وعجزاً عن مواقع إصداارك
وإيرادك ، وإنَّ متعاطيَ جرائك^٢ ، ومناهضَ إعادتك أو إبدائك^٣ ، بلخديرٌ
بالتقصير ، وخليقٌ بحرمان حظِّ البُسوقِ والظهور ، والله يزيدك فضلاً ،
ويجعلك لكلِّ جليلةٍ من الخصالِ ونبيلةٍ من الأحوالِ أهلاً ، بمنته .

ووصل إليّ - وصل الله اعتلاءك ، وأثقلَ مجدك وسناءك - خطابك
الكريم نظماً ونثراً ، فأهدى برّاً ، واقتضى ما لا يُستطاعُ شكرًا ، ويعلمُ
الله الذي لا ينطوي دونه سرٌّ ، ولا يفوت إحصاءه أمرٌ ، أني أجيدُ من الشوقِ
إليك ، مثلَ ما أخبرتَ به لديك ، وأحسُّ من التشوقِ إلى لقائك ، بنحو
ما أطلعتَه من تلقائك ، واللهُ وليُّك حيثَ كنتَ ، وكالثُّك وكالتي

.. ..

١ لم يرد في ديوانه (جمع العالوي) ، وهناك بيت على شاكلته وهو (ص : ١٤٠) :

أعطى البخيل فما انتفعت به وكذلك من يعطيك من كدره

٢ م ط س : جوابك ؛ والجراه : بمعنى المجارة والمباراة .

٣ د : وإبدائك .

فيك أقيمت أو ظننت ، وإيَّاهُ أسألُ أن يبلِّغَكَ أوطاركَ ، ويؤتيك من كلِّ أملٍ وفي كلِّ موردٍ ومصدرٍ اختيارك ، بعزته .

وأنا أعتذر إليك من الاقتضاب ، وأن لا أَلَمَّ في النظم بجواب ، بما لا يذهب عليك من الأعذار ولا يستترُّ دونك من الأسباب ، وأنت بمعاليك تقبل العذر ، وتتأوَّلُ أجملَ تأوَّلٍ الأمر .

وله من أخرى : لم أزلُ مذجِّدًا اغترابكَ ، ونعب غرابك . أتعجَّبُ من تحوُّلكَ ، وأتسوّفُ إلى ما يبرِّدُ من قبيلِكَ ، فلم أظفر من خبرك بيقين ، ولا حصلتُ من كيفيةٍ مَقَرَّكَ على ثلجٍ مبين ، إلى أن وَرَدَ جُهَيْسَنَةُ أخبارِكَ ، وَعَيَّبَةُ أسراركَ . فلان . فكشف من صورة أمركَ ما التبس ، ووصف من جُمْلَةٍ حالكَ ما سرَّ وأتس . وذكر أن ذلك القطر - حرسه الله - رَحَّبَتْ بكَ معاهده ، وَعَدَدَتْ لك موارده [٥٩ أ] واشتملتُ عليك أفاؤه ، وتهلَّلتُ إليك أرجاؤه ، ولا غرو من نفاقِكَ حيث احتللت ، وقبولك أينما انتقلت ، فمن تحلى بمثلِ حلاك ، لم يَضِيعَ كيف تصرفَ ، ولا عدم اللطف أينما انحرف ، والله تعالى يصنعُ لك جميلاً ، ويُنيلكَ حيثما كنتَ أملاً وسُلاً .

ووصل خطابك الخطيرُ فجلاً وجَهَ بركَ وسيماً ، وشخَّصَ عهدك عميماً ، وأهدى إليَّ من رياض ودك نسيماً ، ومن عرار حمدك شميماً ، فيا حُسْنِ موقعه من الضمير ، ويا نُبلَ منزعه الجميلِ المشكور .

وله من أخرى : قد يرد من تحف الإخوان ما لم يراقب له مَوْرِدُ ، ولا

١ أجمل تأوَّل : سقطت من م ط س .

ضربَ فيه موعد، ولا غازله ضمير، ولا تقدّم فيه بشر، فيكون بالجامع
الأنسِ أجلب، ولجامع النفس أذهب، وعلى صفحات الفؤاد أندى وأبرد،
وإلى تلمعات الودادِ أهدى وأقصد، لا سيما إذا ورد وللوحشةِ جُثومٌ،
وبين الجوانحِ كلوم، كوردي خطابك، فإنه هجم ولا تأهّب له خلد،
ونجم وفي جفنِ الأنسِ رمد، فأذكرني حسنة زمن الصبا، وتقمّس
الصبا، وأنساني عهده زهرَ الربى، وثمرَ المنى، وجدّد من رسم الصباية
والمقّة قديماً، وأحيا من شخص القرابة رفاتاً ريمياً، ونشر من واشجها ما
دقنته الأيام خمولاً، ووصل من مقطوع أسبابها ما لم يكن قبل موصولاً^١،
فلله درُّ عهدك ما أجملَ مُحياّه، وأتمّ في روض الوفاء رياه، وسقياً
لمغرس مجدك فما أذكى ثراه، وأطيبَ جناه، وصل الله ما بيننا يوم تُقطّع
الأسباب والأنساب، وجعله ميراثاً في الأخلاف والأعقاب، وأبقاك أنساً
لنوي الألباب، ومعدنا للكرم اللباب، بمنّه.

وتلقيت المترجَ الجميل في جهة فلان، المُسنِدِ إلى مجدك بأحسنِ وجوه
الإجمال، وأتمّ معاني البرِّ المتوال، وأقبلت عليه، إقبال المصفي إليه،
المستوفي ما لديه، فنشر من أياديك الجميلة مآثر، وشبّ بِمَسندكِ ذكرك
الطيبِ مجامير، وعمر بأوصاف معاليك مشاهدَ ومحاضر، وجعلت أهُتُرُ
لسماعها طرباً، وأستعيد من أغانيها نُوباً، وأستريده من محاسنها عجباً
وعجباً، فأمتع بشهيقها أذني، وأذكر بلذيتها معسفاً زمني. ورأيتَه حَسَنَ
الأداء، لمعاني الثناء، متصرفَ اللسانِ، في شكر الاحسان، والله يعمر
بوفودِ الأملِ جنّابك، ويمدُّ في ساحةِ الكرمِ أطنابك، بعزته.

١ م : وصولاً .

٢ كذا في م ط د س ؛ ولعل الصواب « متفيف » أي مائل الأغصان (أو مسف) .

وله من أخرى : قد كنت - أدام الله عزك - بتواتر السماع ، وتظاهري
الإجماع ، أتقلد فضلك ، وأشهد بالسبق لك ، وأودُّ أن يسفرَ بيننا خطاب ،
ويتفقَ للمفاتيح أسباب ، رغبةً في الانتظام ، ولو بسفارة الأقلام ، واجتلاءً
بالاخاء ، ولو بالرقم في صمغ الماء ، إلى أن وافاني خطابك ففتح للمداخلة
باباً ، وأوضح في المواصلة شعاباً ، وتضمنَ من أدلة الودِّ ما لا يكذب
رائده ، ولا يخرج شاهده ، بل يقضى بشهادته ويحكم ، ويقطع
على عدالته ويختتم .

فأمّا ما نحلّنته من الوصف الجميل ، ومنحنيته من الغرر والحجول ،
فإنما هي حلاك ، أعزتها أخاك ، وأوصافك ، تبرعَ بها إنصافك ، وسماتك ،
تجافت عنها مكر ماتك ، وقد تقلدتها حلية جمال ، ورفلت منها في حلّة
إجمال ، واعتقدتها ذخيرة أيام ولبال . والله تعالى يؤكد بيننا دواعي الوداد ،
ويجعلُ خلقتنا من عدد المعاد ، ويعينُ على شكر برك المبدأ المعاد .

واجتليتُ منه الاشارة الكريمة في جهة فلان ، فمهدتُ له عندي كنتاً
رحيباً ، وبواته لبي محلاً قريباً ، وشغلتُ لحظي برعاية أمره ، وبسطتُ
يدي في شد أزره ، ومما أكد حقوقه علي تشيعه في علائك ، وتحدُّه
بالائك ، وتقلُّبه برهته من الزمن في ظل حرمك وقينائك ، والله تعالى
بييقك مؤثراً للحسنة ، محموداً بجميع الألسنة ، ولا يخلبك من الشيمة الدمنة
والكلمة اللينة .

وله من أخرى : إذا عددت [٥٩ب] أعزك الله - أعيان الزمان ، وأفاضل

١ د : موج ، س : يخرج .

الاخوان ، ثبتُ عليك خنصري ، وطمحتُ إليك ببيصري ، وطرتُ في
جوَّك ووقعتُ ، وانحططتُ في شعبك^١ وربعت ، لأنك - والله يقيمك
- حاملُ آدابٍ ومعارف ، ولابسُ من خلع الفضلِ مطارف ، ومتميزُ
بفضولِ محاسنٍ منيحتَ جمالها ، ومتفردُ بخواصِّ فضائلِ جمعتَ كمالها ،
لا أعلمني الله منك جملةً فضل ، وزهرةً نبلٍ ، وذخراً وفاء ، وعليقَ
سناء ، بمنه .

وطلع عليَّ خطابُك مع فلانٍ عبدك ، ولسانِ حمدِك ، فأهبَّ من
روحِ الأنسِ بك نسيماً ، وجدَّدَ عهداً سلفت ورسوماً ، وأجاني من رياض
بركٍ نوراً عطيراً ، وسقاني من حياضٍ ودكٍ عذباً خصرأ .

• فيا شيعي برونقيه وربي^٢ •

وأني إلى المذكور ما تنسمة من أريج ثنائك ، واجتلاه من تبلج
إخائك ، فاتصل البرُّ واتسق ، وتابح الفضلُ على نسق ، ثم استطرد إلى شكر
ما أوليته من غرِّ آيادٍ ، وإجمالٍ متمادٍ ، واستنفد في ذلك جهنـدَ لسانه ،
وجرى في ميدانه ملءَ عينانيه ، فأحمدتُ مقطعه ومترعه ، ووجدت العرف
واقعا فيه موقعا ، وأنت بسروك تؤكدُ فضلِكَ عنده ، وتصلُ إجمالك
معه ، لا أخلاك الله من بثِّ صنائع ، في أصنافِ مواقع ، وأشتاتِ مواضع .

ومن أخرى له : كتبت وأنا في عقابلِ شكوى سدي كتبتُ بي منذ أشهرٍ

١ م ط . سميك

٢ عجر بيت لأبي تمام ، وصدره (الديوان ٣ . ٣٥٦) :

فيا ثلج الفزاد وكان رهنفاً

سدك الغريم ، وعركني بأكف أمها وأيدي سقامها عرك الأديم ،
حتى لقد فقرت علي فاه المنون ، واستوت في اليأس مني الظنون ، إلا
أنه تعالى بلطفه من بالاقالة والإرجاء ، ونقلني عن جهة اليأس إلى جانب
الرجاء ، له الحمد^١ متواتراً . والشكر^٢ أولاً وآخرأ ، وهو المسؤول^٣ ، عز
وجهه ، أن يملك^٤ أطول الأعمار ، ويَزوي عنك مكروه الأقدار ، بمنه ؛

وكان خطابك قد وافى في عنفوانها ، وصدرت نورا ، فخفف من أوصابها ،
وخلع بعض أثوابها ، وكأنما ورد عائداً مُنطِفاً ، أو وفد زائراً مُنحفاً ،
ورمست المراجعة فلم تساعدني يد ، ولا نهض بي جلد ، ولما نضوت بُرد
الاعتلال ، وشيمت بترق الإبلال^٣ ، وجب إنهاء العذر المعترض ، وتعيين
قضاء الحق^٤ المفترض . وأما شكري لما تضمنته الكتاب الكريم من لطائف
البرِّ والثناء ، ونتائج الفضل والثناء ، فمسحوب الأذبال ، في طريق الاحتفال ،
مأخوذ الأنفاس ، من زهر الرملة الميعاس^٤ ، ويعلم الله تعالى المطلع على
خواطر الضمير ، وهو اجس الصدور ، استنامي إلى كرم نواحيك ، ونقي
بشرف مناحيك ، واغباطي بما أحكمت بيننا من نظام التألف ، ورفع لنا من
أعلام التعارف ؛ واجتليت من محم الكتاب سلام الوزير الكاتب نائراً درره ،

١ زاد في د : تعال .

٢ م : يملكك .

٣ م : الاجلال .

٤ الميعاس : الأرض التي توطأ ، وفي القول اشارة إلى بيت أبي تمام (الديوان ٢ : ٢٢٤) :

يكر إذا ابتسمت أراك وميضها نور الأفاح برملة ميعاس

ويروي : نور الأفاحي في ثرى ميعاس .

وراقم خبره ، ولك الفضلُ في إبلاغه من تحيبي ما يُضاهي تنفُّسَ الأزهار ،
في وجوه الأسحار .

وكتب معنياً بأحد الأدباء الشعراء : لئن كانت الأيام - أعزك الله - قد
قلَّصتْ أذيالَ أحوالك ، وسلَّطتْ هجيرَها على برْدِ ظلالك ، وكدَّرتْ
بأقْداءِ صرُوفها صَمَقَ زُلالك ، فما استلانتْ نَبْعَكَ ، ولا أحالتْ عن
عادةِ الجميلِ طَبْعَكَ ، ولا عَفَّتْ في منازلِ السَّنَاءِ والثناءِ رَبْعَكَ ، فقد
يجري الجوادُ وهو منكوب ، ويتجمَّلُ الحرُّ وبه ندوب ، والله تعالى
يجبرُ الصَّدْعَ ، ويُجمِلُ الصُّنْعَ ، بعزته .

ويتأدَّى من يد فلان ، وفي علمك ما دُهِي به وطنه من خطوب الزمن ،
وضروب المحن ، وتقلَّب عبَّاد الوثن ، ودفعته الضرورةُ إلى استرفاد الأحرار ،
والتكسُّب بالأشعار ، وهو ممن يتصرَّفُ في الصناعة بلسانِ صنع ، ويأوي
فيها إلى طَبْع غير طَبْع ، وله في قبول عفو المنيل إجمالٌ ، وعنده في شكر
العُرف المختصر احتفال .

ولما عرف ما بيننا من عهد لا يفارقُ نصابه كَرَمٌ ، ولا يلحقُ شبابهُ
هَرَمٌ ، اتخذ خطابي هذا عنواناً شعره ، ولساناً أمره ، ودليلاً على موضعه ،
ومشيراً إلى مقصده ومنتزعه ، وأنت بِسِرِّوك تصدِّقُ أمله ، وتبييضُ وجَّهَ
[١٦٠] الصنيعة قبيلته .

وله من أخرى في مثله : العهدُ وإنْ قدِّمتْ أحكامه ، وسلفتْ أيامه ،

١ م : ويحتمل .

٢ م : واسلفت ؛ س : واسلقت .

إذا استجدَّ عاد جديداً ، ونشأ حميداً ، لاسيما إذا غُرس في تربة وفاء ،
وسُقي بنطفة صفاء ، وتردَّد في نِصابِ كرم ، وتشبَّثَ بأطنا ب ذمم ؛
وكان بين سلفنا ما لا يُنسى ماضيه ، وإن خَلَّتْ لِياليه ، ولا يُهَجَّرُ حَسَنُهُ ،
وإن بَعُدَ زَمَنُهُ ، وإنَّهُ لِمَسْطُورٌ في صحيفَةِ تذكُّري ، وملحوظٌ بعين
تصوُّري ، ولئن لم يجمعنا مكانٌ ، ولا سَلَفٌ للمداخلة عنوان ، فإن ذلك
غيرُ قَادِحٍ في الضمير ، ولا مكدَّرٌ من العذب النмир .

وموصلُهُ فلان ، نشأةُ نعمتك ، توَسَّمَ رعايتك لها فسألها ، وتخيَّلَ
تحفُّيكَ بنواحيها فرغب فيها ، وما أجَبْتُهُ إليها إلا وقد علمت أنك
تُشَقِّعُ شفيعها ، وتؤثِّرُ ترفيعها ، وبوروده عليك تجتلي وجهَ مترعه ومذهبه ،
وتقفُ ١ على جليَّةِ أمله ومطلبه ، وأنت بفضلك تصدِّقُ تخيلتهُ ، وتراعي
وسيلته ، وتتجملُّ معه ، وتضعُ العُرفَ موضعه ، مقتضياً بذلك من شكري
أبرعهُ ، ومن ذكري أطيَّبهُ وأضوَّعهُ .

ومن أخرى في مثله : أما وَكَنَنْتُكَ وَسَاعَ ، وشرفكَ بِفَاعَ ،
والتحديثُ بتدقيق أدبك ونسبك إجماع ، فلا غرورَ أن تُقْصِدُ بِتُحْفِ القصيد ،
وتُطَوِّئَ نحوك صُحُفَ اليد ، ويجري من يعتمدك في مضممار تأمليك إلى
الأمر البعيد ، لا سيما من قد اعتمدك ، فأحمدك وانتقدك ، كفلان ، فإنه
رتع في برك ، واكتحل برهةً بيِّشركَ ، واشتمل بضاني عطاك ، وكرعَ
في صافي نطافك ، فهو إذا عَدَّ غُرَّرَ العصر ولمعَ الدهر ، بدأ بذكركَ
وختَمَ ، وطار في جوكَ وجَتَمَ ، وله في نشر المحاسن والفضائل لسانٌ
ذَرَبٌ ، وعنده في شكرِ الصنائع والودائع مقامٌ درب ، ولما عضَّه العُسرُ ،

١ في النسخ : يجتلي . . . ويقف .

٢ مقام : سقطت من م .

ومسّه الضمر ، وجب أن يتجمع جنابك ، ويستمطر سحابك ، ويوم
فناءك ، ويجبر ثناءك ، وهو بانتحاءك مسرور ، وبين يديه من رجائك
نور ، وقد سفرله قناع السفر ، عن أسيرة الظفر ، وجليةت عليه صورة الأمل ،
في معارض النص والزمّل ، فما أجدره بأن يجد ظلّك سجسجاً ، ومهلك
منبجاً^١ ، ويجني ربك غصّة النور والزهّر ، ويشني عن مشرب نذاك
حامد الورد والصدّر ؛ لا زال مقرّك معتمد الزوار ، ومترع الأجرار ،
ومحصّب جمار الأشعار .

وله من أخرى في مثل ذلك : كتبتُ عن كلال ذهن ، واتصال وهن ،
وركود خلد ، وفور جلد ، لتردي في أذيال العلة التي عرفت صفتها ،
واجتليت من خطابي المتقدم صورتها ، ولا مزيد على ما عندي من الإجمال
لذكرك ، والاحتفال في شكرك ، والتسحب^٢ على حواشي مجدك ، والانحطاط
في غورك ونجلك .

وموصيئه فلان ، لم يتفق له في غير الجهة الحالية بك أمل^٣ ، ولا اعتلق
به في سواها عمّل^٤ ، فحنّ إلى ما عهدته فيها من حُسن رائك ، وكريم
اعتنائك ، ورُحْب جنابك وخِصْب فينائك ، واستنهض مخاطبتي لتبوتّه^٥
تحت ظلك كنفاً ، وتؤكد له سبباً مؤتناً .

..

١ إشارة إلى قول البحري (ديوانه ٤٥٠) .

لا أنسين زمناً لديك مهذباً وظلال عيش كان عندك سجسج
في نعمة أوطنتها وأقمت في أفيائها فكأنني في منبج

٢ م ط س : والشعب ؛ د : والشخب .

وله من أخرى : كتبت وريحانُ العهدِ يتندى بمائه ، ويتأودُّ في
غُلُوَّائِهِ ، لم يلمَّ به مع القدم ذبولٌ ، ولا انسحب عليه للزمن ذبول ،
وكيف لا يرف وِرْقُهُ ، وبِمِ عَبَقَتُهُ ، وفي روض وفائِك يرتعُ أسحاراً وأصلاً ،
ومن ثَغَبٍ صفايِك يشربُ عكلاً ونَهلاً ، ولذلك ما يقعُ الإعتابُ
بالخطاب ، ويُجْتَرَى بتناجي القلوب وتصافي الغيوب عن الكتاب ، والله
يُبْقِي ما بيننا معقوداً بلوائب النجوم ، محجوباً عن كُفَّة العبوس والوجوم ،

وفلان لم يجدُ من ذلك الأفق بدلاً ، ولا غرس في سواه أملاً ، ولا
ألفى^٢ في تربةٍ غيره ثرى ولا بللاً ، فعاد إليه يحمدُ عهدَهُ ، ويذمُّ ما لقيَ
بعده ، وسألني مخاطبتك بهذه الحروف ، ايتريدُ بها من رأيك الشريف
وفضلك المعروف .

وله في مثله إلى الفقيه أبي القاسم ابن المناصف^٣ بقرطبة : أما وأحاديثُ
فضليِك صحيحةُ الإسناد ، وأدلةُ سرِّوك مَزَلَّةُ العناد ، ومطالبُ علمك
وفهمك ساطعةُ الأنوار [٦٠ أ] ومناهجُ هديِك وسعيك واضحة الصوى
والمناج ، فلا عَجَبَ أن تحومَ على شرعةٍ مداخلتك حوائمُ الألباب ،
وتُنشَهزَ في التماسِ مواصلتك فُرُصَ الدواعي والأسباب . ولم أزلُ أولعُ
برائقِ صفاتك ، وألتمسُ سببَ معرفتك ، حرصاً على التجميلِ بخلائِك ،
ورغبةً في التيمُّنِ بصلتك ، لأنك - والله يبيِّك - أحقُّ من احتُدِّي على

١ الثغب : الغدير .

٢ ط م د : ألقى .

٣ بنو المناصف كثيرون ترجم لهمهم ابن الأبار في التكملة وابن سعيد في المغرب ، ولم أجد
من بينهم من كنيته أبو القاسم .

مثاله، واقتدي بصالح أعماله، واستقيت آثار البر من مواقع خطاه، وانتسخت أخبار الزهد والقصد من صحائف هداه، وأحرى بمن اتخذك صاحباً، وسلك من سبلك أثراً لاحقاً، أن يأمن في جدد مسالكك العثار، ويعندم في جوارك^١ نفع الفتن المثار، والله يبقيك لأشتات الفضائل نظاماً، وفي كل^٢ صالحه إماماً، ويوسع النعمة بك وفيك سُبوغاً وتاماً .

ولما اتفق شخص^٣ فلان إلى الحضرة، وعلمت أن^٤ انجدا به إلى جنباتك، ووعيت عنه جملاً حسناً من صفاتك، رأيت أن أصحبه خطاباً، وأمد^٥ في ساحة الانتظام بك أطناباً، حرصاً على أن يتأكد في ذات الله إنحاؤنا، وتفق في سبل مرَضاتِه وطرق طاعته أنحاؤنا؛ وحملتُه مع ذلك من لطائم الحمد، ونخالل الود، ما إذا أعزته ناظري تأمليك، وصادق^٦ تخيلك، علمت به خلوص ضميري، وصفاء نميري، وسلامة عهودي، ودماثة تهامي ونجودي .

وهذا الرجل يشكر إجمالك معه شكر رَوْضِ الحزن، لعارفة^٧ المزن، ويود^٨ أن يستظهر على ذلك بكل لسان، ويستنجز فيه كل^٩ ناء ودان^{١٠}، وقد جاريته في مضمار شكرك طلقاً، وسميت^{١١} معه في ميدان الثناء عليك خبياً وعنقاً، فيني وبينه من شابك القربى، ما يقتضي أن آخذ من مشاركتك له بالقسم الأوفى والسهم الأعلى؛ وقد عرفت ما مني به من عض الزمان. وتمس^{١٢} الحرمان، ورأى أن يصرف وجهه^{١٣} همته إلى تلك الحضرة ليدرك بها أملاً، ويعلق من أعمالها عملاً، ومَعولُه في موارده ومصادره عليك،

١ د واستنحت .

٢ غ باش ط : جوادك .

٣ م ودان .

ونظره في مطامح أغراضه والحافظه إليك، وأنت بمجدك تسدّد سَهْمَهُ،
وتؤيد عزمه، متمماً يدك البيضاء، ومتتبعاً دلك الرشاء^١.

وله في مثله إلى الفقيه القاضي بها : إن كانت المداخلة بيننا لم يفتح^٢ لها
باب، ولا علقّت بها أسباب، ولا رُمي لنا في مُحَصَّبها جمار، ولا
عطف بنا نحو كعبتها اعتمار، فقد جمعنا في مُعرّف المعرفة مواقف،
وضممتنا من معالم العلم معاهد ومآلف، ووشجت بيننا من أواصر الأدب
أنساب، وضربت علينا في مدارج الطلب قباب، ولا غرو من تداني القلوب
على تنائي الديار، واتلاف النفوس مع اختلاف النجار، فقد يتعارف الأنداد
على البعاد، ويتناكر الأضداد مع قُرب السواد والوساد^٣، وربّما ألف
تساكُل الشيم والأخلاق، بين مستوطن الشام وساكن العراق، ودأباً
حنّ زهر الغور إلى نسيم نجد، وامتزج عنبر الشحر بمسك الهند. على أني
لا أدعي رُتبتك في فنون العلم والآداب، ولا أتعاطى صحبتك إلا
بشرط الانقياد والإصحاب، ومن يضاهي محلّ الفرقد، بمنبت الفرقد،
أويشبه رتبة التقليد، بدرجة النظر والتوليد، أو يقرن^٤ بين الالتياس والبيان،
ويعارض قوة القياس بضعف الاستحسان؟! لكنني وإن لم أعدّ في رعبك،
ولا أضيف مُبرّمي إلى سحيلك، فعندي من بضائع الكلم ما ينشق في

١ من قول قيس بن الخطيم : (الديوان : ٤) :

إذا ما اصطبحت أربماً حط مئزري واتهمت دلوي في السماح رشاهما

٢ م ط : يفرج ، س : يوج .

٣ السواد - بكسر السين - المرار ؛ وقيل لابنة الخس . ما أغراك بعبدك ؟ قالت : طول السواد

وقرب الوساد (الحيوان ١ : ١٦٩) .

٤ م ط د س : يفرق .

سُوقِكَ ، ولديّ من سوامي الهمم ما يَعْبَقُ بِسُوقِكَ ، ولعلّ بعض
كلامي يسجدُ في ذراك ، ويحظى برضاك ، ويصادف عندك رأياً جميلاً ،
ويستوقف لحظك ولوقليلاً ، بقيت حذيةً للدهر فائقةً ، وغرةً في وجه الزهر
رائقة .

ولما علم فلان ، أنّ القيمَ عندك بحسب الإنسان ، وأعلى قدر تصرّف
اليد واللسان ، وأنّ أحظى ما قُرِعَ به بابك ، ورُفِعَ له احجابك ، رقعةً
تشيرُ بها إلى علمٍ وأدب ، ولا يُخِيلُ بوجهها وشمّ نذب ، استنهضني شفيحاً ،
فأجبتُه سريعاً ، حرصاً على المداخلة أَسِمُ غُفْلَهَا ، والمواصلةِ أَفْتَحُ قُفْلَهَا ،
ورغبةً في مشاركةِ الرجل المذكور ولو بشفاعَةِ الكلام ، وسفارةِ الأقلام ،
فبيني وبينه نسبٌ موصول ، وثرى مبلول ، وآصرةٌ رَحِمَ ، وعاطفةٌ سَهَمَ .

وكان له بتلك الحضرة النيرة بعدلك فيما سلف ظهور ، وتصرّف [٦١ أ]
مشهور ، ثم أَلَقْتَ عليه العُطْلَةَ ثِقْلَ جرانها . وَجَرَتْ به ملءَ عَنايها ،
حتى انتسفت ما كان بيده . وحلّت جميعَ عُقْدِهِ ؛ وقد دفعته الأيام إلى جميل
نظرك ، وطيب مَكْسَرِكِ ؛ وهو بكرم الصنيعة خَلِيقٌ ، ولحمل المنزِ مطيق ،
وغرضه أنْ يُصَرِّفَ في بعضِ وجوهِ العمل ، ويختبر حاله في الشدِّ والزَّمَلِ^٢ ،
وأنت بمجدك تفرضُ له من شَرَفِ عَنايتك نصيباً ، وتوليه من رعايتك وجهاً
خصيباً ؛ وما أسديتَ إليه فلي فيه مَفْخَرٌ ، وهو عند الله مُدْخَرٌ ، واللهُ
يبقيكَ للحسنات تُعْرِسُ بأبكارها ، والمآثرات تَحْلِدُ كَرَمَ آثارها ، بمنه .

وله من أخرى يشفع لبعض^٣ الشعراء: لا عرو أن يقصدك - أثل الله

١ م : بمرصاك .

٢ الرمل . نوع من العدو ، وفي ط الرمل . وهو أيضاً نوع من العدو

٣ م ط س إلى بعض

سُودَ دَكَ - مُهْدِي حَمْدٍ ، ومقتضي رِفْدٍ ، ويلم بك مستوجب معروف ،
ومعاني صروف ، قديمًا غُشِيَتْ منازلُ الكرماء ، وثبَّتْ فضائل العلماء ،
وَهَزَّتْ أعطافُ الكبراء ، بنغم الثناء والإطراء ، وقد أصغى إلى الأشعار ،
جِلَّةُ الأخيار ، وأثابَ على المديح ، مَنْ بَعُدَ عن التجريح . ومثلُك سلك
تلك السبيلَ ، وآثر الحميل ، ورأى التأميل .

وموصلهُ - وصل الله اعتلامك ، وحرس أرجامك - فلان ، وهو
ممن اضطره كَلَبُ الحرمان ، ونُوبُ الزمان ، إلى اعتماد الكرام واسترفاد
الأعيان ، وله من صناعة القريض ، وبضاعة التفريض ، حظٌّ موفور ، وعنده
لأوجهُ الصنائع إذا برقعها الكفور ، ظهورًا وسفور ، وقد قصد تلك الجهة
فيما سلف منتجعًا ، وار تضع من أفاويقِ درّها جُرْعًا ، وما عدم منك تنويلاً ،
ورأيًا جميلًا ، لكنّ العود أحمدُ ، وربُّ العرفِ أوجب وأوكد ، ولا يدَهَبُ
العرفُ بين الله والناس ٣ ، وليس ممن يسألُ شَطَطًا ، ويتعسفُ غلطًا ،
وإنه ليتبلَّغُ بالنسيم ، ويستنجزُ الوعدَ بالتسليم ، وَحَسْبُهُ ما يَرَقَعُ ،
جانِبَ خَلَّتِهِ ، وينقعُ بعضَ غُلَّتِهِ ، وأنت بفضلِكَ تُشْفِقُ لما مُنِّيَ به
من الاغتراب والاضطراب ، وتحافظ على ما قبَلَهُ من الوسائل والأسباب .

.....

١ من قول بشار (ديوانه : ١٥) :

بسقط الطير حيث يبتثر الحب وتفشى منازل الكرماء

٢ ثبيت : مدحت وناولها الثناء .

٣ من قول الخطيب :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

٤ ط م د : يرفع .

وله من أخرى إلى الفقيه أبي الحسن ابن الأخضر^١ : إذا كان عهد الإخاء ممّا رقمته^٢ يدُ الطلب ، في صفحة الأدب ، لم ينسخ له الدهر حكماً . ولا أحالَ الزمنُ منه رسماً ، بل يتجددُ على تقادم الأحقاب . ويرددُ أبدأً في عصر الشباب ، وإنما هو في الحقيقة نَسَبٌ لا يخفى . ورحمٌ لا يحفُّ له ثرى ، وذمامٌ تُثنتى عليه الخناصر ، والتحامٌ تشيرُ إليه الأواصر ، فالأديبُ صِنوُ الأديب ، وكفى بتمازج القلوب . وفي علمك ما سَلَفَ بيننا من العهد ، المزري حُسْنُهُ بزمنِ الورد ، سقاها الله صَوْبَ العهد ، ولا زال مُخضراً المراد . فما كان إلا غُرَّةً انتهزتُ من تهاتف^٣ البيض الغرائر ، ولمعة^٤ كأنما اقتبستُ في تضاحكِ الترائب تحت سود الغدائر .

ولما علم فلان . حليفُ شكرك ، وأليفُ برك ، ما بيننا من المناسِبِ الروحانية . والمذاهب الأدبية ، استنهضني لشكر ما خصصتهُ له من تقريب محلِّ ، وتخفيف كلِّ ، فنهضتُ في ذلك نهوضَ المبدي المعيد ، واحتبيتُ برداءِ الثناء عليك في المحفل المشهود ، وسرّني كونُ هذا الفتي الدميثِ الخليقة ، السديدي الطريقة ، من أنشاء تخريجك وتفهمك ، وأغصانِ تثقيفك وتقويمك ، فإنه ممن يتصورُ مقداراً ما تُسدي إليه ، ويفي بصونٍ ما تُودعهُ لديه ، وليس كلُّ من أوليَ جميلاً يشكُر ، ولا كلُّ شجرٍ وإن سُقيَ يُثمر ، وأنت بسروك توسعُ قريحتهُ ذكاء ، وصحيفتهُ جلاء ، حتى يخلص خلوصاً

.....

١ هو علي بن عبد الرحمن بن مهدي التنوخي من أهل اشبيلية (- ٥١٤) ، كان من أهل المعرفة بالآداب واللغة حافظاً لها (الصلة : ٤٠٤) .

٢ م : رقمته .

٣ م ط : تهايف ؛ س : تهالف ، وهي غير واضحة تماماً في م .

٤ لعل الصواب : وصفته .

الذهب ، ويتخصّص بحلّية الأدب ، مُحَرِّزاً في ذلك ذكراً يَشْبِيعُ خبره ،
ويَفُوحُ عنبرُهُ ، والله يُبَيِّنُكَ لهذا الشانِ تَدْبِيعُ أسرارهِ ، وترَفَعُ منارُهُ ،
بعزته .

وله من أخرى عنايةً بأحد الأدباء الشعراء : مَنْ دَفَعْتَهُ الأيام -
أعزّك الله - إلى التقلبِ في الأقطار ، والتكسبِ بالأشعار ، لم يَخْفِ عليه
مواضع الأحرار ، في النجودِ والأغوار . على أنْ رَسَمَ الشعرُ قد درس
أو كاد ، ومرتاد البرِّ قد عَدِمَ المراد والمرادُ ، إلا أنْ صاحب هذا
الشانِ لا بد أن يتصرف ، أنجح أو أخفق ، ويتسوق^٢ كسد أو نفق .

وممن دخل ذلك الصقع^٣ فأحمدَه ، وتخيّل يُسْمَنَ معاودته [٦١ ب]
فاعتمده ، فلان ، وله في صنعةِ القريضِ باعٌ ، وبشكرٍ ما يوالاه اضطلاعٌ ،
وبين فكّيه لسانٌ كشفتةِ مبرد ، أو ظبّةِ حسامٍ فرد ، ولما كنت - أعزّك
الله - مقدماً في أعلامِ مصرك ، وأعيانِ عصرك ، وعلمَ ما بيننا من سهمِ
الودادِ ، وكرمِ الاعتدادِ ، سألتني مخاطبتك راغباً في أن تسدّ له هنالك غرضاً ،
وتسهّلَ من حياضِ أمله فُرْضاً^٤ ، وترفعَ له في سبيلِ التزكّيةِ مناراً ، وتقلّده
من صوغِ التحليةِ طوقاً وسواراً ، فأجبتُه لما يمتُّ به إليّ من وكيدِ ذمامٍ ،

.....

١ د . المرام .

٢ م س : وتسوق ، ط : وسوق .

٣ م ط : الصنع .

٤ د : شدقيه .

٥ مرصاً . سقطت من ط م س .

وحميدٍ لئلام ، والثقة بتزول رغبتي لديك على طَرَفِ ثَمَامٍ ١ ، وشرفِ
اهتمام . وأنت بسَرْوِكَ تُدْنِيهِ مِنْ كَنَفَيْ قَبُولِكَ وَإِقْبَالِكَ ، وَلَا تُخْلِيهِ
مِنَ الْأَنْسِ بِتَهْمَمِكَ وَاهْتِبَالِكَ ، حَتَّى يَصْدُرَ وَهْجِيرَاهُ شُكْرًا لِجَمَالِكَ ،
وَنَشْرَ صَنِيعَةٍ مِنْ جَاهِكَ أَوْ مَالِكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وله من أخرى في مثله : مَنْ عَهْدَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - أَنْسَ فِينَاكَ ،
وَحُسْنَ اعْتِنَاكَ ، وَأَلْفَ بَرْدَ أَفْيَاثِكَ ، وَلِينَ أَرْجَائِكَ ، لَمْ يَجْسَهُ
عَنْكَ سَكَنٌ وَلَا وَطَنٌ ، وَلَا لَدَّ لَهُ فِي غَيْرِ حَجْرِكَ وَظَلِّكَ وَسَنٌ ،
فَمَوْلَى الْجَمِيلِ مَحْبُوبٌ ، وَمَكَانَ الْأَنْسِ مَطْلُوبٌ ، وَالنَّفُوسَ عَلَى عِلْمِكَ
تَلْتَمِسُ الرَّجْحَانُ ٢ ، وَتَعْتَمِدُ الْفَضْلَ حَيْثُ كَانَ .

وفلان ، مَمَّنْ قَيْدُهُ إِحْسَانُكَ ، وَاسْتَعْبَدَهُ امْتِنَانُكَ ، فَهُوَ لَا يَعْدِلُ
بِكَ أَحَدًا ، وَلَا يَحِلُّ عَنْ عَصْمَةِ تَأْمِينِكَ بَدَأً ، فَإِذَا بَعُدَ عَنْ جَنَابِكَ لَمْ
يَسْغُ لَهُ قَرَارٌ ، وَلَا اطمَأْنَنَتْ بِهِ دَارٌ ، وَقَدْ بَعَثَهُ صَدَقُ الْاِنْقِطَاعِ إِلَيْكَ عَلَى
حَسْمِ الْعُلُقِ الْمَوْجِبَةِ لِبَعْدِهِ عَنْ ظِلِّ جَنَاحِكَ ، وَأَنْسِ التَّمَاحُكِ ، وَلَمْ
يَبْقَ لَهُ فِي غَيْرِ مَكَانِكَ سَبَبٌ ٣ يَجْدِيهِ ، وَلَا أَمَلٌ يَصْدَقُهُ أَوْ يَكْذِبُهُ ، وَأَنْتَ
بِمَجْدِكَ تَوَالِي اصْطِنَاعِهِ ، وَتَرَاعِي اِنْقِطَاعَهُ ، وَتَلْحَظُ بَعِينَ تَهْمَمِكَ
ضِيَاعَهُ .

١ العرب تقول للشيء الذي لا يمر تناوله هو على طرف الشام ، والشام نبت لا يطول ولهذا
لا يشق تناوله ؛ وفي النسخ : تمام .

٢ م : الرهان .

٣ د : سبب .

وله فصل من جواب مخاطب به بعض الأدباء الشعراء : وردتني لك
قطعتان من القريض، كقطع الروض الأريض، أو نَعَمٍ مَعَيْدٍ والغريض،
تسمتا عن ثغرٍ وفاء، وأهدتا إلي رَوْحَ شفاء، فأشعلت بذكرِ تهمتك مجمرًا،
ووضعتُ عليه من ثنائي نداءً وعبرًا ، ورأيت ما ذكرته من إزماعك على
الرحيل ، واستجماعك لركوب ظهْرِ السبيل ، فاسترجعت بذكرِ البين ،
ما وهبت من أنسِ السعدَيْن ، والله يردُّ ذلك الصعبَ ذلولًا ، والحزنَ
سهولًا ، ولا يعلمك ممَّنَ ترجوه ترحيماً وتسهلاً .

وله أيضاً من جواب علي كتاب في مثله : تكلفت المراجعة وحسني
القريحة مَشْمُودٌ ، وفي جوِّ الذهنِ ركودٌ وجمودٌ ، وبين أثناء الضمائر خُطوب
مُثُولٌ ، وفي صفائح الخواطر ثلومٌ^١ وفلول ، وما قصدتُ معارضةَ التبريزِ
بالتقصير ، ولا حاولتُ مناهضةَ الخطوِّ الوَساعِ بالباعِ القصير ، وإني لمن
ينصفُ ويعترف ، ويرى مدى السابقِ فيقف ، ولستُ ممَّنُ يجهلُ فضلَ
ما بين النَّبْعِ والغَرَبِ ، ويذهلُ عن فرقِ ما بين الشَّبَهِ والذهب ، على
أنَّ عُدري في الصناعة مقبول ، وذنبي في ساحة القريض محمول ، فأنني لم
أقرعُ له باباً ، ولا شددتُ به عِصَاباً ، وإنما يُعَدُّ من أهله ، مَنْ سَلَكَ
مضايقَ سُبُلِهِ ، وَيُكْتَبُ في فرسانه ، مَنْ تَصَرَّفَ في ميدانه .

ومن رسائله في التعزيات

نسخة رقعة كتب بها إلى الوزير الفقيه أبي القاسم الهوزني^١ يعزبه عن أخيه :

لا بدّ من فقدٍ ومن فاقدٍ هيهات ما في الناسٍ من خالدٍ^٢
كن المعزّي لا المعزّي به إن كان لا بدّ من الواحد

إذا لم يكن بدّ من تجرع الحمام ، وتشتت النظام ، وانصداع شمّل الكرام . فمن الاتفاق السعيد ، والقدر الحميد ، أن يرث أعمار البيته الكريمة مشيداً علاها ، وتسلم من القلادة وسطاها ، فمدار الكفاية على معلّاه . وفخار الحلبه بححرز مداها . وفي هذه النبذة إشارة إلى من قرط من الإخوة الفضلاء ، ودرج من السادة النجباء ، فإنهم وإن كانوا في رتبة الفضل صدوراً ، وغدوا في سماء النبل بدوراً ، فإن شمس علائك أهر أضواء وأزهر أنواراً ، وظلّ جنابك على بنيتهم ومخلفيتهم أندى أصالاً وأبرد أسحاراً [١٦٢] .

ونمي إليّ - أوشك الله سلوانك ، ولا أخلى من شخصك الكريم مكانك - الوزير أبو فلان - برّد الله ثراه وأكرم مثواه - فكأنما طعن ناعيه في كبدي ، وظعن باكيه بنخيرة خلكدي ، لاجرم أني دُفعتُ إلى غمرة من

١ هو الحسن بن عمر الهوزني الاشبيلي (٤٣٥ - ٥١٢) وقد مر التعريف به فيما تقدم ص: ٢٩١ .
٢ البيتان لأبي فراس الحمداني ، ديوانه : ٧١ والبيتية ١ : ٥٢٣ في تعزية سيف الدولة ، وقد وردا في القسم الثالث : ٢٢٥ ونسبا في محاضرات الأدباء لأبي نواس ، وذلك تصحيف .

التلذُّدِ لو صُدِّمَ بها النجمُ لُحار ، أو دُهِّمَ بمثلها الخزمُ لُحار . ثم ثابتٌ
إليَّ نفسي وقد وقَدَّها الجَزَعُ ، وعضَّها الوَجَعُ . فأطلتُ الاسترجاعَ .
وجمعتُ الجِلْدَ الشَّعاعَ . وما أنا عند الله أحتسبه جِماعَ فضائل ، وجمالَ
محافل ، وحديقةَ مكارم صَوَّحتُ ، وصحيفةَ محاسنَ دَرَسْتُ وامتحت .
وما اقتصرتُ من رسم التعزية المألوفِ ، على القليل المحلوفِ . إلا لعلمي
بأن المعزِّي لا يوردُ عليكَ غريباً ، ولا يُسَمِّعُكَ من موعظة عجيبة . فبك
يَقْتَنِدِي الديقُّ . وعلى مثالكَ يحندي الأديبُ ، وإلى غرضكَ في كلِّ
موطنٍ يَرْمِي المصيبُ ، وفي تجافي الأقدار عن حَوْبائكِ . وسقوطِها
دونَ فينائكِ ، ما يدعو إلى حُسْنِ العزاءِ ، ويهونُ جلائلَ الأرزاءِ . لا
صَدَعَ اللهُ جَمْعَكَ ، ولا قرَعَ بنبأِ المكروه سمعك ، بعزته .

وله من أخرى في مثله : وردني - أعزك الله ، وأشعرك الصبرَ لما قضاه
- خطابك الخطير ، فاستقبلني أوله بشراً وسيم . وبرٌ جسيم ، وتلقائي
آخره بوجهٍ شتيم ، ورزءٍ أليم . فبا قرُبَ ما انصرفتُ عن نهجِ الاستبشار ،
إلى سَمَتِ الاعتبار والاستعمار ، وانقلتُ من مطالعةِ صفحة العَهْدِ
الواضحة ، إلى ملاحظةِ صورة الوجد الكالحة ، فما وقع سانحُ البشري .
حتى أطاره بارحُ المنعَى ولا افتتر ثَغْر النُعْمَى ، حتى اكفهرَ وَجْهُ البوسَى ،
بما ختمتَ به الكتابَ الكريم ، وكان أحقَّ بالتقديم ، من ذكرِ وفاةِ الحبيبِ
الأديبِ ، أخيك ، ومحلِّ صِنوِي ، كان - رحمه الله ، وألفه رضاه -
فياله رزءاً ، حَمَلَنِي عبثاً ، ومصاباً ، جرَّعني صاباً ، وعند الله أحتسبه
جُمْلَةً عفافٍ ، وبقية أشراف .

ومما أوقد لوعتي ، وأكد روعتي ، أن دَرَجَ وللشباب عليه سرُّبال .

وللأمل في تراخي مدته مجال ، فاعتباطُ النفوس أفجع^١ ، وبَغْتُ المقادير
أوجع^٢ وأشنع ، وهي الآجال : فعمَّرتُ إلى أقصاها ، ومختصر^٣ دون مداها ،
ولا يزال المؤجلُ تُتَحَيَّفُ نواحيه ، وتختطفُ أذانيه ، ويُفَجِّعُ بأحبابه ،
ويروِّعُ بأترايه ، حتى يكونَ هو للغرضِ المصاب ، والمحلُّ المتتاب ،
والسوادِ المخترم ، والخيالِ المستقدم . فمن تصوَّرَ الدنيا تصوَّرَكَ ، وأوسعها
تدبَّرَكَ ، لم يرعهُ هاجمُ كربٍ وإنْ كَلَحَ وجلح ، ولاهزهُ واقعُ
خطبٍ وإن طمح وجمع ، ولعلمي بمضاءِ جنانك ، على مصادرةِ زمانك ،
واتساعِ صدرك ، لمضايقَةِ دهرِكَ ، سلكتُ في التعزيةِ مسلكَ التخفيفِ ،
واقترعتُ من معاني التسليةِ على اليسيرِ اللطيفِ ، ولو شهدتُ لحملتُ عنك
بعضَ الأتراحِ ، وشاركتُ في زيارةِ الغدوِّ والرواحِ ، والله يعوضُكَ العزاءِ
الجميلِ . ويُضَفِّي على ساقتهِ^٤ - جبرها الله - ظلكَ الظليلِ ، ويدمِّمَ
إمتاعكَ بمن بقيَ معك من أخِ كريمٍ ، وقريبِ حميمٍ ، بعزتهِ .

وله من أخرى في مثله : مِحَنُ الدنيا - وَسَعَ اللهُ لاحتماها ذرْعَكَ ،
وَأَنَسَ فِي إِحْشَاهَا رَبْعَكَ - ضروب ، ولسانُ العِبَرِ بِهَا خَطِيبٌ ، ونوائبها
أطوار وفنون ، ومصائبها أباكار وَعُؤُونٌ ، والمرءُ غَرَضٌ لِأَخْيَابِ سَهَامِهَا .
ومعرضٌ لِأَخْتِلَافِ أَحْكَامِهَا ، فان أخطأه منها صائبُ الحمام ، وتخطأه
واثبُ الإخترام ، رَشَقَتَهُ بِنَبْلِ أَرْزَائِهَا ، وطرقتهُ بِمُعْضَلِ أَدْوَائِهَا ،

١ م س د ط : أجمع .

٢ د ط : أشنع ، س : أشنع وأوجع .

٣ ط م د س : ومختصر .

٤ الساقه : مؤخرة الجيش ، والمقصود هنا - فيما يبدو - من خلفهم الفقيه بعد موته من

أبناء يحتاجون إلى رعاية . وانظر ما تقدم ص ١٢٠ .

وَعَرَفْتَهُ بِعُصْلِ أُنْيَابِهَا ، وَأَشْرَفْتَهُ بِمِرِّ شَرَابِهَا ، وَأَوْدَعْتَهُ مِنْ صَنُوفِ
التصارييف آلاماً^١ وأوصاباً ، وجرعته من فراقِ الأحبّة صبراً وصاباً ؛ فمن
فهمَ معاني صروفها فهشمك^٢ ، وعجم عودَ خطوبها^٣ عجمك^٤ ، لم
يتضعض منه لصدمتها^٥ جلدٌ ، ولا تروّع له عند ظلمتها خلدٌ ، ولا
شقت ليصبره في مآتمها^٦ جوب ، ولا طار بقلبه في ملاحمها وجيب ، بل
وجدته مشيع^٥ الجنان ، ثابت الأركان ، مهلل الجبين ، مشرق اليقين ، مشيع
الجوانب ، لزحام النوائب ، مستقل الكاهل ، بأعباء النوازل .

فلئن نفذَ القدرُ بوفاءٍ من كنتَ تأنسُ^٦ بحياتها ، وتبتمنُ على القرب
والبعد بينِ صلاتها وصلاتها ، وتضاعفَ الوجدُ بما افترق من فرقة المنون ،
وحرقة [٦٢ ب] النوى الشطون ، وانتظم من شحط المزار ، ونفوذ حتم
المقدار ، ففي تجلّدك لتحاملِ الخطبين محتمل ، ولتصبرك في سوم الخططين
تصرف^٧ وعمل ، وبجسيم عظيم المصاب ، وكرم الاحتساب ، يكون حُسنُ
الثواب ، ويؤمنُ المآب ، فللرزايا قيمٌ وأثمان ، وللحسنيات في موازنتها^٧
خفوفٌ ورجحان ، فلا تمكنُ من يدِ الجرّاعِ مقادك^٨ ، ولا تُسكينُ
زفرةَ الأسفِ فؤادك^٩ ، واعنصم عند الصدمة الأولى بعروّة الصبر

١ ط س . آلاما .

٢ م : خطبها .

٣ م ط س : لصدمةها .

٤ م : لعبارة نائمها ، س . مآتمها .

٥ المشيع : الشجاع لأن قلبه لا يخدله .

٦ راد في ط د : به .

٧ ط م س : موازنتها .

الوثقى ، وتجنَّب ما يقدحُ في كَرَمِ النَّصَابِ ، ويقبح عند ذوي الألباب ،
واحسب فقيدتك - قدس الله روحها ، وأنس ضريحها - حديقة أنس ،
نُقِلَتْ إلى جَنَّةِ قدس ، وذخيرةَ إيمان ، ضُمَّنْتَ أكرمَ صِوانٍ ، ولا
تذهبُ نَفْسُكَ حَسراتٍ ، ولا يتدارك نَفْسُكَ زفرياتٍ :

فقد فارق الناسُ الأحيَّةَ قبلنا وأعبأ دواءُ الموتِ كلَّ طيبٍ ١
وإذا كنا أهدافَ المنايا ، وأخلافَ الرزايا ، وأبناءَ الأحلام ، وأنداء
الغمام ، فأَيُّ معنى في الجزع على مَنْ فَرَطَ ، والتوجُّع لمن شَحَطَ ،
ونحن عن قريبٍ نقدمُ على من تقدَّم ونلحق بمن سبق .

وهذه جملة من شعره .

خاطبه بعض الأدباء والشعراء بنظم ونثر ، فراجعه بقوله من جملة
أبيات ٢ :

لئن راق مرأى^٣ للحسانِ ومسمعُ لَحَسْنَاؤِكَ الْغَرَاءُ أَيْبَى وَأَمْتَعُ
عروسٌ جلاها مطلعُ الفكرِ فانثنتُ إليها النجومُ الزاهراتُ تَطَلَّعُ
زففتَ بها بكرًا تَأرَّجُ طيبها وما طيبها إلاَّ الثناء المصوِّعُ

.....

١ البيت للمتبي ، ديوانه . ٣١٥ .

٢ انظر القلائد . ١١١ والحريذة ٣ ٣٩٤ - ٣٩٥ والمطرب . ١٩٠ .

٣ ط م معي .

٤ القلائد والحريذة تصوع .

لها من طرازِ الحُسْنِ وشي مهلهل^١ ومن صيغة الاحسان تاج مرصع
تبغيت منها متعة اللحظ فانزوت وقالت أدون المهر يُبغى تمتع
لئن لم تجدْ تقدأ لمثلي عاجلاً فما لكم عن قيمة البضع متزع
فلونك ذاك الحكم منها فانه قضاء لعمرى عادل ليس يُدفع
ولي همة لو طواع الدهر حُكمتها لكنتُ بفتوى الجود في ذاك أقطع

وخاطبه أيضاً بعض أدباء العصر بشعر ، فراجعه بقوله^٢ :

سلام كعَرَفِ المسكِ أوعَبَقِ الندَّ على مَنْ غدا بالفضلِ فذأ بلا نيد^٣
سلام كأنفاسِ الأحيَّةِ موهناً سرتُ بشداها العنبري صبأ نجد
سلام كإيماضِ الغزاةِ بالضحي إلى الروضة الغناء غب الحيا العيد^٤
على من تحدأني بمعجز شعره فأعجز أدنى عفوهِ منتهى جهدي^٥
غزاني^٦ من حوكِ اللسانِ بلأمةٍ مضاعفةِ التأليفِ مُحَكِّمةِ السردِ
دلاصٍ من النظمِ البديعِ حصينةٍ تردُّ سنانَ النقدِ منثلمِ الحدِّ^٧
عليها من الإحسانِ والحُسْنِ روتق كما ديسَ مثنى السيفِ من صدأ الغمدِ
وفيها على الطبعِ الكريمِ دلالة كما افترَّ ضوءُ السقطِ من كرمِ الزندِ
إذا خفَّ منها جانبُ الهزلِ كفته ووقرَ من أعطافِهِ ثِقَلُ الحدِّ^٨
أبا عامرٍ لا زال رَبُّعُكَ عامراً

١ د والقلائد والخريدة والمطرب : مهلل .

٢ انظر القلائد : ١١١ والخريدة ٣ : ٢٩٥ .

٣ د م س وأصل ط : جدي .

٤ الخريدة : حبابي .

لقد سُمّيتي في حَوْمَةِ القَوْلِ خُطَّةٌ
 زففتَ هدياً من ثنائِكَ حُرَّةً
 عقيلةٌ مجدٌ أتلعُ الفخرَ جِيدها
 وكلفتنِي أنْ أستقلَّ بِحَقِّهَا
 فلم أرَ برّاً أرْتضيه لِقَدْرها
 فعذراً فما عذري بِمُحتَجِبِ السنا
 فان كنتُ قد أحجمتُ عنكَ مقصراً
 «للفتُ لمارأسي حيا من المجد»^١ [١٦٣]
 يقصرُ ملكُ الأرضِ عن مَهْرها عندي
 فأغناه ذاك الحَلْتِي عن حِلْيَةِ العقدِ
 وهيهات من إدراكِ أيسرِهِ وحدي
 سوى الودِّ محمولاً على كاهلِ الحمدِ
 ولا وجهه عند الجلاءِ بِمُسوَدِّ
 فلا غروَ في الإحجامِ عن أسدِهِ وردِ

وكتب إليه أيضاً الأديب أبو عامر الذي ذكره بشعر أوله :

أعِدْها علينا أيها النَّدْسُ الحَبِيرُ
 هَدِيَّ قوافٍ ميسكُ صفحتها الحَبِيرُ

فأجابه الوزير أبو القاسم بقوله^٢ :

أما ونسيمِ الروضِ طاب به فحجرُ
 تجافى^٥ له عن سيرِهِ زَهْرُ الرُّبِي
 وهبَّ له من كلِّ زاهرةٍ نَشْرُ
 ولم يدِرْ أنَّ السرَّ في طيه جهرُ
 ففي كلِّ سَهْبٍ^٧ من أحاديثِ طيبه
 نائمٌ لم يعلِّقْ بِحاملها وزرُ

١ مقس من شعر أبي تمام ، وصدر البيت ، أتاني مع الركبان ظن ظننته (ديوان أبي تمام ٢ : ١١٥) ، وعند هذا البيت ينتهي ما ورد من القصيدة في القلائد والخريدة .

٢ د . المجد .

٣ القلائد : ١١٢ والخريدة ٣ : ٢٩٦ والمغرب ١ : ٣٤١ والمطرب : ١٩٠ .

٤ المطرب : طاب له نشر .

٥ المغرب والقلائد والخريدة : تحامى ، المطرب : يحامى .

٦ المغرب والقلائد والخريدة والمطرب : نشر .

٧ المطرب : سر .

لقد ففمتني من ثنائك نفحة
تضوعَ منها العنبرُ الوردُ^١ فانثنت
سرى الكبيرُ في نفسي بها ولربّما
وشيب^٣ بها معنىً من الراح مطربُ
أبا عامرٍ أنصفَ أخاكَ فإنه
أمثلكَ يعني في سمائي كوكباً
ويلتمسُ الحصباءَ في ثغيبِ^٤ الحصى
عجبتُ لمن يهوى من الصفرِ تومةً
تطلّبتها مردودةً اللحظِ برزةً
هي الثيبُ استعصتُ عليّ وإنما
فدونكها عذراءَ لم يعدُ وجهها
بدلتُ لها نقداً من الدرّ غالباً
وإني لصبٌّ بالتلاقي وإنما
أذوبُ حياءً من زيارةِ صاحبِ

قوله : « ففي كل سهب من أحاديث طيبه » كقول أبي المغيرة ابن حزم^٥ :

١ المطرب : الند .

٢ المطرب : صرامتي ؛ المغرب . ضرائبها

٣ ط : وشتت ، د . وشتت ؛ م والقلائد والخريدة : وشتت . . . مطرباً

٤ الثغيب : ما بقي من الماء في بطن الوادي ؛ المطرب والقلائد والخريدة : ثعب .

٥ هذا البيت نهاية القصيدة في المصادر المذكورة .

٦ ط م س : ولا .

٧ القسم الأول : ١٧٩ .

وَرَوَيْتُ بِالْحَاطِـِ تَدِيرُ كَوْوَسَهَا فِينَا فَنَشْرِبَهَا حَلَالًا مَسْكِرًا

وقوله : « أمثلك يبغي » ... البيت ، كقول الآخر^١ :

أَعْنَدُكَ الشَّمْسُ تُسْرِي فِي مَطَالِمِهَا وَأَنْتَ مُشْتَغِلٌ بِالْحَاطِـِ بِالْقَمَرِ [٦٣ب]

وَأَرَاهُ عَكْسَ قَوْلِ حَبِيبٍ^٢ :

إِذَا الشَّمْسُ لَمْ تَغْرُبْ فَلَاحَ طَلَعِ الْبَدْرِ

وقال أبو الطيب^٣ :

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلْعِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنِ زُحَلِ

انتهى ما أثبتته من كلام الوزير أبي القاسم ، وهو أبهى من النجوم وأبهى ،
وأسرى من النسيم وأسير ، وكنتُ جديرًا باستقصاء أخباره ، وحميد آثاره ،
لا سيما ومزاره كتبٌ ، وبينني وبينه من ذمام الأدب . والتزام الطلب ،
سبب ونسب ، ولكنَّ النوائب زاحمت ضمائري . وضربَّت وجوهَ
خواطري ، فما دفع إليَّ عَفْوًا تَلْقِيتهُ وَوَعَيْتُهُ ، وما كانت فيه أدنى كلفة
رجوته وأرجيته ، ولا بأس من الزيادة إن انتهجت سبيل ، والله نظرٌ جميل ،
وفيه مطمع وتأميل .

١ هو أبو تمام ، ديوانه ٤ : ٤٦٤

٢ الديوان : الاحشاء .

٣ ديوان أبي تمام ٤ : ٥٦٨ و صدر البيت : « وقالت أُنسى البدر قات تجلداً » .

٤ . تشرق .

٥ ديوان المتنبي : ٣٣٠ .

فصل في ذكر ذي الوزارين الكاتب أبي القاسم

محمد بن عبد الغفور^١ صاحب المعتمد^٢

وكانا قبل تمكن السلطان ، رضيعي لبان ، أمهما الكأس ، وفرسي^٣
رهان ، ميدانها الأتس^٤ ، فلما أفضى الأمر إليه ، وأدبرت رحي التدبير
عليه ، أراه^٥ تِلاعه^٦ ، وعصّب به خِلافه^٧ وإجماعه . وتوفي ذو الوزارتين
في عنفوان شباب ذلك الملك ، وهو منه بمكان الواسطة^٨ من السلك ، فقال
المعتمد فيه من جملة أبيات يرثيه^٩ :

أبا قاسم قد كنتَ دنيا صحبتها قليلاً ، كذا الدنيا قليلٌ متاعها

وقد وجدتُ لأبي القاسم شعراً إن لا يكن شديدَ المتن ، أزور الركن ،
فإنه مليحُ الاطرادِ ، سَلِسُ القيادِ ، يقربُ من متناوله ، ويدلُّ^{١٠}
على قائله ، ولم يقعْ إليّ وقتَ تحريري هذه النسخة شيءٌ من نشره ، وفيما

١ له ترجمة في المطمح ٢٩٠ والمغرب ١ : ٢٣٦ والخريدة ٣ : ٤٣٧ ، والنفع ٣ : ٥٥٢
(نقلا عن المطمح) . وهو جد صاحب «إحكام صنعة الكلام» (تحقيق د. رضوان الداية،
بيروت) .

٢ قد أشار صاحب إحكام صنعة الكلام الى جانب من هذه العلاقة (ص ١٩٧) وأورد بلده
بيتين طيرهما للمعتمد حين كان المعتمد ما يرال يلقب بالظافر ، وهما :
ظفرت بالأعداء يا ظافر ونلت مجداً نوره باهر
فمنك للباقي والمبني عصب جراز وندي غامر
فك المعتمد المعنى .

٣ انظر إحكام صنعة الكلام : ١٩٨ .

أثبت هنا من مقطوعات شعره ، شاهد صادق على ما أجريت من ذكره .

فمن شعره يخاطب أحد أعبان بني الدب^١ :

يا وزيراً تعنو له الوزراءُ ضاق ذرعِي وبانَ مني العزاءُ
أمنَ الحقّ أن أكونَ سقيماً لستُ أرجى وفي يدك الشفاءُ
يا كبيرِي وسيدي وظهيري كُنْ نصيري على أناسٍ أساعوا
قد توقفتُ في الشهادةِ حتى حرّمَ اليأسُ ما أحلَّ الرجاءُ
ولقد تعلّمَنَ مَحْضَ ودادي وثنائي ، وقلَّ فيك الثناءُ
ولكم سائلٍ أطالَ سؤالي هل على الأرضِ مَنْ لديه وفاءُ
فجعلتُ الجوابَ منه مقالي ليس يَخْفَى على العيونِ ذُكْاءُ
إنْ جهلتَ الوفاءَ في أهلِ حمصٍ فبنو الدبِّ سادةٌ زعماءُ
فيهمُ عفةٌ وفيهمُ وفاءُ ولهم ذمةٌ وفيهم حياءُ
وزراءُ أكابرٌ كرماءُ علماءٌ أفاضلٌ حلماءُ
أيُّ قومٍ وأيُّ أعلامٍ مجدٍ أنجبتهم إلى العلا آباءُ
يفخرُ الدهرُ منهمُ بأناسٍ ليس إلا لهمُ يدُ بيضاء [٦٤ أ]
مَنْ يجارِ الوزيرَ أعني أبا مر وان في الفضلِ طال منه العناءُ
من يجارية في متاعةِ دينٍ وعليه من الحياءِ رداءُ
أورثَ المجدَ والمكارمَ نجلاً منه هامتُ بمثله العلياءُ

١ هذا المخاطب هو الوزير أبو مروان ابن الدب كانت له منية بعدوة اشبيلية ، وكان صهره هو الوزير الفقيه أبو أيوب ابن أبي أمية (انظر المطمح : ٢٨ - ٢٩ والنفع ٣ : ٥٥٠) .

فاتَ أهلَ الزمانِ فضلاً ومجداً وذكاءً وأين منه الذكاء
ألمياً مهذباً لوذعيّاً للمروعاتِ في يديه لواء
وإذا ما اعتزى لأكرمِ خالٍ وقف . الفضلُ عنده والسَّاء
ولعمرُ العلا وسُمراً العوالي إنه خيرُ من تُظِلُّ السَّاء
يا عمادي ومَن عليه اعتمادِي عشُ كما شئتَ مُدركاً ما تشاء
ولئن كانتِ النفوسُ فدائي إن نفسي لمثلكمُ لَفداء

في ذكر الوزير الكاتب أبي محمد عبد الغفور^٢ ،
ابن ذي الوزارتين أبي القاسم المذكور ،
واجتلاب قطع من شعره ، وبلغ من ثره

وأبو محمد هذا في وقتنا عارض^١ إذا همع استوشلت البحار ، ونجم^٢
إذا طلع تضاءلتِ الشُّموسُ والأقمار ، وهو أحدُ من آوى من الحسب
باشبيلية إلى ثبَّجٍ عظيم^٣ ، ومشى من الأدب على منتهجِ قويم ، سابق^٤

١ م : العليل وهن .

٢ قال صاحب المغرب (١ : ٢٣٦) « ذكره الحجاوي فقال : قطع الله لسان الفتح صاحب
القلائد ، فانه شرع في ذمه ، بما ليس هو من أهله ، والله ما أبصرت عيني شخصاً أحق بفضله
منه . . . » وما قاله الفتح فيه (القلائد : ٦٠) : فانه يادي الموج ، وعمر المنهج ، له
ألفاظ متعمدة ، وأغراض غير متوقدة . . . وربما ندرت في ثره ألفاظ سهلة الغرض ، مستنبلة
الغرض ، وهذا الذي يقوله ابن خاقان ذو حظ كبير من الحقيقة ، ويتبين ذلك من قراءة
رسائله فان الغموض - بسبب التعمر - يرين على صفحاتها ؛ وانظر أيضاً في ترجمته :
الحريرة ٣ : ٤٢٩ ونقل عن اليسع قوله إن ابن عبد الغفور كان كاتباً بمراكش سنة ٥٢١ .

٣ ونجم . . . عظيم : سقط من م س .

لا يُمَسَّحُ وجهه إلا بهيادبِ الغيوم ، وصارمٌ لا يحلى غمده إلا بأفراد
النجوم ، وكان نشأ بين يدي أبيه من دولة المعتمد ، بحيث يفىءُ عليه ظلالُها ،
ويتشوفُ إليه قبولُها وإقبالُها ، وانشقتُ تلك السماءُ قبل أن ينوبَ متابَ
سلفه في سُرُجها ، ويحلَّ بيتَ شرفه من أبرُجها ، والله هو ، فلئن كان
نبا به الأوان ، وضاقَ عنه السلطان ، فلقد نهض به جنانٌ يتدفقُ بالغرائبِ ،
ولسانٌ يتقرى شتبا النوائب ، وإحسانٌ يملأُ أقاصي المشارقِ والمغربِ .
وقد أخرجتُ من غرائبِ نظمه وثره ما يُخجِّلُ الحدود ، ويعطلُّ
السوالف الغيد .

فصول من كلامه في أوصاف شتى

له من رقعة خاطب بها بعضَ أهلِ عصره ، وافتتحها بهذين البيتين^١ :

لولا عدىَ غاظلوا الصديقَ قَـ بِنَقِيهِمْ عَنِي الْكِتَابَةَ
لم أوذِ سَمْعَكَ بِالهُرَا ِـ وَلَا انْحَرَفْتُ عَنِ الْمَهَابَةِ

لعمرى - وإن كان نفى^٢ منفيًا ، وتفرع^٣ صديقاً حفيًا - لربّ
أعجمَ ضَجِيرَ فأفصحَ ، وأجدمَ عَيْرَ^٤ ففدحَ ؛ وإن لم يُسْتَأْلَفَا بَعْدَ

١ وردت الرسالة في العطاء الجزيل ٣٢ .

٢ د . وان كان لعمرى بقي .

٣ ط م : وتفرع .

٤ د : غير ، ط م س : عمر

الإفصاح . وما شقّ من كُلفة^١ التحاملِ في الاقتداح ، لم يؤمّنًا على ذكرِ
 ميت . وإحراقِ بيت ؛ فله من احتال لتخلصه^٢ ، ولم يُعجّب بتخصمه ،
 ودفع بيد جلدِه . في صدر حُسده . وفي هذه الجملة بلاغٌ لو ارتضيت^٣
 بها مُتَنَقصاً . ولم يرني ؛ بالاختصار عليها^٤ متخرّصاً ، في الكتابة متلخصاً ،
 إدا لعلّه ممسّ يظنُّ الإيجازَ حصراً وانقطاعاً ، ولا يعتدُّ الإجادة مع الاسهاب
 شيئاً موجوداً ولا مستطاعاً . لا جرمَ أني بحكمِ هذه التقيّة ساطيل قصصاً ،
 وأتطلبُ فيما لم يطرُق من القولِ قنصاً ، ليعلم من ناف^٥ ، ومن جلف
 حافٍ ، بل من نزرٍ حقيرٍ خافٍ ، أتني من كتابِ وقته ، وإن رَغِمَ أنفٌ
 مرقته ، والله ما عرفتهُ إلى اليوم ، ولعلي سأعثر عليه في النوم ،
 فأعرفه : مین^٦ أرعن ناقص الوزن والصراف فأصرفه ، بسمه من الهونِ
 تشغله بنفسه ، وتخلجه^٧ في رمسه ، والله يفنيه ، [٦٤ ب] ولا
 يعرفنيه ، وينزهه عن شخصه الوضير الدنيسِ عائر سهامي ، ومن عيرضه
 القدير النجس طاهر كلامي .

وكأني بفارس هذه الصناعة ، ومالك أزمّة البلاغة والبراعة ، قد
 سمع هدرِي ، وضحك من ضجري ، وعجّب كريمة وده ،

.....

- ١ العطاء الجريل . كلمة .
- ٢ د : بتخلصه .
- ٣ العطاء الجزيل . أرضيت .
- ٤ م تربي .
- ٥ العطاء الجريل عليه .
- ٦ أي الذي نفى عنه القدرة على الكتابة .
- ٧ م : وتحجبه .

وعقيلة عهده ، من خاطب ، يستخف^١ مخاطب ، في ليل من الجهل
 حاطب ، لم يأت خطبته^٢ من بابها ، ولا رفق في طلابها ، وهيهات لمرتقب
 الشعري ، من ملبسة الكرى ، ولمثل أمني في ذلك السماء ، من تقصير في
 الاحتفاء ، ولكن صدر التحبير ، بما يشتمل على الضمير ، فمضى سمح
 لغيره بمكانه ، فقد صُرم فجاء قبل أوانه ، وكُلّف نضجاً ولات حين
 إبانته^٣ ، وسأمهرها من جميل الثناء متهاً تشمة زهراً ، وتختمه نجوماً
 زهراً ، وترده^٤ كوثرأ ، وتحمده عيناً وأثراً ، وتحمل^٥ من بهائه تاجاً
 تعنو الشمس لضياته ، وتفرق^٦ في لجة لآلته ، فيكون بدءاً من المهور ،
 ويفخر دهره^٧ على سائر الدهور ، بمقتضى ما التزمت^٨ شروط الوفاء فيه ،
 وحرمت^٩ من غدر بني الأيام صححة مبانيه ، ولو اكتفيت بما مضى عليه
 سلفنا^{١٠} الكريم ، وتبعته ولم ترم^{١١} مركزها منه أعظمهم البالية^{١٢} الرميم ، من
 صفاء ود^{١٣} يعدي الجار فضلاً عن البنين ، ووفاء عقد^{١٤} يثني النار عن أن تحرق^{١٥}
 بالطبع أو بالمماسة عدد سنين ، أحرزت^{١٦} من الفضل نصاباً تجب^{١٧} فيه الزكاة ،
 وحريت^{١٨} من الفصل قصاباً لا تدرکها الكفأة^{١٩} ، ولا تبلغها العفاة^{٢٠} ، على أنه
 لا شيء أغرب^{٢١} من عقل^{٢٢} يمتار^{٢٣} مما في يديه ، ولا يحتاج إلى صدقة عليه ، ولا
 من فضل يتجاوز غلو^{٢٤} سهم^{٢٥} ، فضلاً عن غاية شهم .

وكنت قد استغنيت بما أصّلوا ، ولم أقطع بهذا الاستئناف ما وصلوا ،
 إلا أني وجدت^{٢٦} نسب^{٢٧} أدبه^{٢٨} قد كئل^{٢٩} ، ورسم^{٣٠} سبيه قد اضمحل^{٣١} ، والكلالة^{٣٢}

١ العطاء الجزيل : من خاطب سخف .

٢ ط م د س : إبانته .

٣ العطاء الجزيل : وتحمل .

في الآداب ، أمس^١ منها في الأنساب ، فاعتمدت بهذه النأمة سدادَ خلل ،
وعمارَة طلل ؛ وشائعُ مجده كان أولى بهذه الرتبة من التهمم ، وأهدى
إلى سنن التفضّل والتكرّم ، إذ كان أفسح^٢ في القول طلقاً ، وأحسنَ في
درّ كليمه العذب سرّداً ونسقاً ، فكيف نزلَ لي عن صهوة الانتداء ،
وتوقّر^٣ عليّ خطة الاقتداء ، هذا إذا قدرت ، وما أراها إلا كأختها قد تعدّرت^٤ ،
ليس إلا لمكاني^٥ من الحرمان والحمول ، وكلُّ عُدْرٍ يُدْفَعُ به في بحر هذا
الصدق فغيرُ مقبول .

وقد حطبتُ وخطبتُ ، وسببتُ بل ضربت ، وتكأبتُ حتى كتبت .
ولو خططتُ في صفحة البدر ، بأنجلي العشر ، أو في غرة الشمس ، بالمهودة
الخمسة ، وصغتُ لفظاً للرقعتين ، محاسنَ الحديدين ، لقليل رمى الغرض
فكاد ، ولو نسج على منوال فلان وفلان^٤ لأجاد ، وفلان^٥ إذا نقل الأثواب
توسّط ، وإذا رُفِعَ إلى فطرته الفطيرة تَوَرّط ، فان رأى أن يراجع بالقبول ،
وبما لديه من الرأي الحسن الجميل ، بشرط العدول عن التفريط المخجل ،
واللفظ المشترك المحتمل ، واعتماد تجريحي في الصناعة بمجرد التبصير ، وتزيه
خطوه الوَسَّاع فيها عن معارضة خطوي القصير ، دلّ على موضعي^٥ من
إيثاره ، وطار اسمي الواقع بيؤمن جواره ، عمّر الله ربّعه بالتأميل ،

١ المعطاء الجزيل : أمصح .

٢ م : عدرت .

٣ المعطاء الجزيل : بمكاني .

٤ المعطاء الجزيل : أو فلان .

٥ المعطاء الجزيل : ولي على موضوعين

وَسَمِعَهُ بِالْكَرِيمِ وَالتَّجِيبِ ، وَصَدَأُ ١ هَذَا الزَّمَانَ مُعَدِّ كُلِّ عَقْلٍ ، وَفِي
 مَا أَتَوَكَّفُ مِنْ جَوَابِ كَرِيمِ مِدْوَسِ إِسْمَاءٍ وَصَقْلٍ ، وَأَزَالَ ٢ جَاهِلَ
 شَبْحِي ٣ لَمَّا عَلَيْهِ مِنَ الْأَقْدَاءِ ، حَتَّى أَجْتَلِي صُورَةَ حَقِيقَتِهِ فِي رَوْنِقِ الْجَلَاءِ ،
 وَحَيْدًا تَعْجِيلُهُ قَبْلَ اسْتِيلاءِ ٤ الْعُجْبِ الْقَبِيحِ ، وَتَكَاتُفِ حُجُبِ الْغِيِّ عَلَيَّ
 مَتْنِ الصَّفِيحِ ٥ ، فَيَعَزُّ صِقَالَهُ ٦ ، وَيُحَسِّجُ ٧ انْتِقَالَه ، فَرَأَيْكَ فِي ذَلِكَ مَسَدًا
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَتَخَلَّفَ الْمُخَاطَبُ ٨ عَنِ الْمَجَابَةِ ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ ثَانِيَةً بِمُخَاطَبٍ قَالَ فِيهِ :

وَكَنتُ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - بِجَوَابِهِ لَا يَبْخُلُ عَلَيَّ ، وَقَدْ بَسَطْتُ
 لِنَيْلِي بِهِ الْأَمَلَ يَدِي ، وَمَدَدتُ لِاجْتِلَاءِ السَّرُورِ عَيْنِي ، وَحَتَّى الْآنَ فَلَمْ
 يَرْتَدِّ طَرْفِي الشَّيْقُ لِي ٩ ، بَلْ قَبِدْتُ بِشَطُورٍ ، تَشَوُّفًا إِلَى بَهْجَةِ تِلْكَ السُّطُورِ ،
 فَمَا ظَنَنَهُ بِصَفْرِ الْيَدَيْنِ مِنَ الْأَمَلِ ، نَاطِرًا إِلَى [٦٥ أ] أَحَدِ الشَّقِيينِ كَالْمَخْتَبِلِ ،
 بَلْ مَا ظَنَنَهُ بِقَوْمٍ يُكْتَرُونَ عَنْهُ السُّؤَالَ ، وَيَضْرِبُونَ فِيهِ الْأَمْثَالَ ، يُوَدُونَ
 لَوْ قَعَدَتْ حَمَتُ الرَّيْبَةِ مِنْ تَأَخُّرِ الْجَوَابِ ، وَأَطَاعَ دَاعِيَ الظَّنَّةِ فِي قَطْعِ رَحِيمِ
 الْأَدَابِ ، لَشَدَّ مَا قَدَحُوا زَنْدَ الْوَحْشَةِ فَصَادَفُوهُ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - جِدًّا
 شَحَاحٍ ، وَأَوْكَبُوا لِنَارِ الْفُرْقَةِ فَلَمْ يَسْتَضِيئُوا مِنْهَا بِمَصْبَاحٍ ، وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ

١ العطاء الجزيل : وصار

٢ د ولا زال ، م ط : ولا أزال .

٣ كذا يمكن أن تقرأ في العطاء الجزيل . وفي ط . يستحي .

٤ ط م د س : الاستيلاء .

٥ ط م د س : عن .

٦ ط س : الصفح .

٧ ط م س : المخاطبة .

وَرَدَّ مِنْ جَوَابِ كَرِيمٍ فَكَتَمْتُهُ كَتَمَ الْأَرْضِ ، وَلَمْ أَهْشُ لِنِيفَلَةِ الشُّكْرِ
 عَلَيْهِ فَضْلاً عَنِ الْفَرْضِ ، وَهِيَهَاتَ لَوْجَةِ الصُّبْحِ الْمُبْرِجِ مِنْ كَتَمْتِهِ ، وَلَنْسِيمِ
 زَهْرِهِ الْمَتَّارِجِ مِنْ خَتَمْتِهِ ؛ غَيْرُ كَلِمِهِ الْعَذْبِ ، بَلْ لَوْلَوْهُ الرُّطْبُ ، يَجْهَلُ
 لِلْخُمُولِ سُرَاهُ ، فَلَا يَفْضُلُ عَنِ سِتْرِ الرَّاحِ سِنَاهُ ، وَلَا يَحْمَلُ مُثْقَلَاتِ الرِّيَّاحِ
 مِنْ طَيْبِ شِدَاهُ ، فَلِيَحْيِيْنَا مِنْهُ بِقِطْفِ يُجْنِيْنَا ثَمَرَ السَّرُورِ ، وَيُعْفِيْنَا مِنْ
 وَصْمَةِ التَّقْصِيرِ بِنَا وَالْقُصُورِ ، فَمَا زِلْتُ - أَرَاهُ اللَّهُ مَا تَمَنَّاهُ - أَكْرَمَ بَنِي
 الْأَيَّامِ عَهْدًا ، وَأَحْكَمَهُمْ عَقْدًا ، وَأَبْعَدَهُمْ مِنَ الْآفَاتِ وَدَا ، وَأَحْمَدَهُمْ
 قَرَبًا حَمِيدًا وَبُعْدًا ، وَأَصْعَبَهُمْ عَلَى الزَّمَانِ الْغَادِرِ مَرَامًا ، وَأَشْدَّهُمْ أَنْفَقًا
 وَعَرَامًا ، مِنْ أَنْ يَنْقَادَ طَوْعَ زَمَامِهِ ، وَيَتَصَرَّفَ - وَقَدْ جِثُّ خَاطِبًا وَدَّهً فِي
 تَضْرِيحِ أَنْفِي بِدَمٍ - عَلَى أَحْكَامِهِ ، لَا هُمْ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْهُ - صَرَفَ
 اللَّهُ صُرُوفَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ عَنْهُ - سَتْرًا عَلَى مَا عَهْدَهُ مِنْ تَأَخَّرِ كَلِمِي ، وَتَعَثَّرِ
 قَلَمِي ، وَاسْتَعْجَامِ بِنَانِي ، وَقِيَامِ ظِلِّ الْبِلَادَةِ دُونَ إِحْسَانِي ، فَهَلْ شَعَرَ أَنَّهُ
 قَدْ نَبَّلَ النَّاسُ ، وَظَهَرَ النَّسْنَسُ ، وَكَلَّمَ الرَّمْلُ الْهَنْزَجَ ، وَسَيْطَ غَيْرُ
 مَا شَيْءٍ فَا مَتْرَجٌ ! ! وَلِذَلِكَ مَا أَقْدَمَ بِي قَدَمُ الْأَعْجَابِ ، وَاسْتَوْذَنْ لِي عَلَى
 دَوْلَةِ الْكِتَابَةِ بَعْدَ طَوْلِ حِجَابِ ، فَافْتَتَحْتُ مَطَالَعَةَ حَضْرَتِهِ الْبَهِيَّةِ ، أَرَانِي
 بِنَيْلِ هَذِهِ الرَّتْبَةِ الْعَلِيَّةِ لِلنَّجْمِ رَاكِبًا ، وَالسَّعْدِ مَوَاكِبًا ، وَإِنْ كُنْتُ مَتَكَاتِبًا
 لَا كَاتِبًا ، وَقَاعِدًا حِينَ تَطَارَدَ فُرْسَانُ الْكِتَابَةِ لَا جَائِيًا مَعَهُمْ وَلَا ذَاهِبًا ، مَا
 ضَرَّةٌ لَوْ قَارَضَنِي عَلَى الْجِلْدِ وَلَوْ هَازِلًا ، وَسَابِقُنِي إِلَى غَايَةِ الْوَدِّ وَأَنَا الرَّاكَ
 الْمُنْبَتُّ فَيَسْبِقُ مَسْتَرِيحًا نَازِلًا ، بَلْ مَا ضَرَّةٌ لَوْ فَتَسَقَ لَهَاتِي وَقَدْ
 هَمَّتْ ، وَسَدَّدَ سَهَامَ كَلِمَاتِي وَقَدْ أَلَمَّتْ ، بِمَكُونِ الدَّرِّ ، مِنْ أَلْفَاظِهِ
 الْغَرِّ ، وَمُخْجَلِ الزَّهْرِ ، مِنْ حِكْمَةِ الزَّهْرِ ، فَيَلِدُنِي مِنْ ذِي حَرَصٍ عَلَيْهِ

١ لا كاتباً . سقط في م س .

أمله ، ويبعث جذله ، ويكون جمالاً إصابته له ؛ فلم حرمني جوابه ،
وتغافل عني وقد قرعت بيد الثقة بابه ، ألا سلم للأيام ، في إحالتها طباع
الكرام ، وأنشد :

ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت على عينه حتى يرى صدقها كذباً^١

كلاً ، لا أسلم لها فيه ، ولا أوجدها^٢ السيل إلى شينٍ معاليه ، ولو
ضاعت هذه الثانية ضياع سراج في شمس ، ولقيت من إعراضه عنها ما
لقيت أختها بالأمس ، فليصل من وصله ، وليعذر في الاقتضاء من
مطلته ، ولو غيره عاملي مثل هذا الانزواء ، وقابلي بأيسر كبير وجفاء
لنظرت إلى كلمة أبي الطيب^٣ :

لا تحسبوا ربكم ولا طلته أول حي فراقكم قتله
فكنت أقول :

لا تحسبوا قولكم ولا عممه ؛ أول ركن بناصل هدمه

ورب كاتب أثقف مبان ، وأشرف أبيات معان ؛ ولكنه عيني التي
بها أبصر ، وعضدي التي بها أنصر ، فمن ذا الذي يعتمد بسوء بصره ،

١ البيت للمسي . ديوانه . ٢١٨

٢ س . أوجد لها

٣ ديوان المتبي . ٢٣٤ .

٤ س د ط عمله .

ويقلع^١ نابه^٢ حين يجني عليه أو ظفره^٣ .

وله من رقعة : توفي الصبر فهششتُ لاقامةِ رسمِ العزاء ، ثم تذكرت فتأخرت ، وأنَّ نفسي - فآدِيتَه - عَيَّرتني تَرَكَ المَقَالِ ، وقالت : أين ما ذخرتَ لهذه الحال ؟ فقلت : أحسنَ الله عزاءَ من بكاه ، وأرضى بقبضِ ذلك الظلِّ من اشتكاه ، حتى يُهدي إليهِ غفراناً ، يُلحِقَهُ رضواناً ، ويخفِّهُ رَوْحاً شهياً وريحاناً ، ليعلمَ الهالكُ - رحمه الله - حيث تصفو العقول ، وتُنسى الحسائِنُ السالفةُ واللحولُ ، أنَّ الباقِيَ بعده قد عطف على الأول <عظفا> ، وإلى ما يقربُه إلى الله زُلْفَى ، فأهدى سَتَا المغفرةِ ، إلى عظامه النخرة ، وكرهَ الشَّمَاتِ ، ولم يحقدُ على مَنْ مات . وإن كانتِ العربُ قد هجت قتلاها ، وشممت على مرِّ الدهور بموت عيِّداها . قال الحصين يهجو من قتله^٣ .

• [٦٥ ب] فلما علمتُ أنني قد قتلتُه •

وقال غيره يشمت :-

وان بقاءَ المرءِ بعدُ عدوُّه ولو ساعةً من عمرِه لكثيرُ

١ م ط : ويقتلع ، والتاء غير ممجمة .

٢ ط : نظمر ، وفوقها « كذا » .

٣ الحصين بن الحمام المري ، هو الذي يقول لما أكثر القتل في بني صرمة بن مرة وحلفائهم يوم دارة موضوع :

نعلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

أما قوله « فلما علمت أنني قد قتلتُه » فانه صدر بيت للقتال الكلابي ، وعجزه « ندمت

عليه أي ساعة مدم » (ديوان القتال . ٨٩) .

وقال حبيب^١ :

يا أسدَ الموتِ تخلصتَهُ من بين لحبيّ أسدِ القاصره^٢

وقال أبو الطيب^٣ :

قالوا لنا : ماتَ اسحقُ فقلت لهم : هذا الدواءُ الذي يشفي من الحمقِ

والله يعمرّ السيد حتى يرثَ أولياءه وأعداءه ، ويقتضي على الأيام
علاؤه وسناؤه . فليس لهذه المدّة منتهى ، ولا يبلغ منها مدى .

ومن أخرى : وإنما هو دأبُ فلكيّ ، وجريّ سُلَيْكِيّ ، يتأكّدُ ويتّصل ،
وتتولّدُ أسبابُهُ فلا تفتنى ولا تنفصل ؛ قال الأول^٤ :

فيوماً على سيربٍ نقيّ جلوده ويوماً على بيدانةٍ أمّ تولبٍ^٥

* وتلك المنى لو أننا نستطيعها^٦ *

وأنا أقول : فيوماً في سوقِ فليق ، ويوماً في طحنِ دقيق ، ويوماً أقتاتُ
فيه بسختٍ^٧ السويق ، ويوماً أقطعهُ على الريق ، ويوماً في شهيق ، ويوماً

١ ديوانه ٤ ٣٦٢٠ في هجاء عياش بن هزيمة .

٢ القاصرة : موضع على الطريق بين مكة ومصر .

٣ ديوان المتسبي ٢٢١٠ .

٤ هو امرؤ القيس ، انظر ديوانه : ٤٩ .

٥ البيدانة : الاثان التي تمش في اليد ولا تقرب الناس ، التولب : الولد الصغير .

٦ فيه إشارة إلى قول السحترى : « مى النفس في أسماء لو تستطيعها » (الديوان : ١٢٩٦) .

٧ السخت والسحتبت دقاق السويق . ط د . بسحت ؛ م س . سحت .

بالحامدة ويوماً بالسليق ، سبعة ألقاب ، لسبعة تأكل شلوة الأحقاب ،
تسع جميع الشهر ، وتجري كالروح في هذا الدهر ، فأنا ألم من السليم
بوجهه ، وأشغل بهذا الكد منه بأشجعه ، حتى آوي إلى عجوز . لنوبها
المرادفة من يجوز^١ ، آونة تطلب بمبيت^٢ سور ، وآونة بينان جسور^٣ .
وما في إناء رزقها المكسور . من بلالة سور^٤ ، ولم يبق على هذا القياس
بعد مغرم الثغور والدروب ، إلا أن تشمر عن ساق للحروب ، وإنما
عليهن جر الديول ، وعليها إجراء الخيول . فان رأى - أعزه الله - أن
يعفيها ويكفيها ، فلها أمثال^٥ ، في رببات الحجال ، وفي ذوي اليسار من الرجال .
وقد تقدم أمر الأمير باعفاء النساء ، بيمين فالقوادم فالخساء ، فما شأن هذه
المرأة تُخص بالغرامة ، وتستثنى بهذه الحضرة من الكرامة ؟ أفتراها التي
دلّت على ضيف لوط ، فتسعت من قاتل الظلم هذا السعوط^٦ ؟ كلا ولكنها
أمّ كاتب هذه الرقعة التي لو فسرت لفصحاء يونان ، لعضوا من حسرة
التقصير عنها البنان .

وله من أخرى : جعلت فداك ، هل ظفرت بمطوب يداك ؟ كلا
ولكنك رأيت سرايا ، فحسبته سرايا ، وغرتك دماثة ، تحتها غثاثة ،

...

١ ط د س . تجوز .

٢ م : مبيت .

٣ ط : بلقيان جبور .

٤ سور : مخفة من سور أي بقية .

٥ د . امتثال .

٦ من قول رهير (ديوانه : ٥٦) :

عفت من آل فاطمة الجواء ميمين فالقوادم فالخساء

وسكون^١ ، لا يصلح إلى جانبه ركون^٢ ، وبحكم الرغبة والحرص ، كانت فراستك في ذلك اللص^٣ ، وإلا فصموت^٤ عبي^٥ ، لا يذهب على المعني^٦ ، ودمع^٧ فاجر ، لا تروى منه المحاجر : وإذ قد نبا حدّ عتابك من قرع^٨ ذلك الحجر الصلد ، كما أعيأ قبل ذلك على ذي ميرة^٩ جلد^{١٠} ، فمن العناء^{١١} معاناته^{١٢} ، ومن الدناءة قربه^{١٣} ومدانائه^{١٤} ، فاستشعر^{١٥} اليأس^{١٦} منه ، واصرف^{١٧} عينان^{١٨} التريب والعدل^{١٩} عنه ، فانما هو كذئب في ثلثة^{٢٠} ، بأرض^{٢١} مذلثة^{٢٢} ، في ليلة^{٢٣} بعيدة مسافة^{٢٤} الصباح ، قعيدة^{٢٥} روعات^{٢٦} الصراخ والنباح ، يتملأ^{٢٧} من دمائها^{٢٨} ، ويهزأ هذا الخبيث^{٢٩} من ثغائها^{٣٠} ، بل هو أعق^{٣١} من صب^{٣٢} حرب^{٣٣} ، في جحر^{٣٤} خرب^{٣٥} ، يخاف على حرشائه من الحرش^{٣٦} ، ولا يعتصم من أعدائه كعقرب^{٣٧} الخرش^{٣٨} ، فهو إلى عقوقه^{٣٩} أنزق^{٤٠} من ذي خرق^{٤١} ، وقع^{٤٢} في حباله^{٤٣} ثم أبق^{٤٤} ، أحسن^{٤٥} الله فيه العزاء^{٤٦} حبياً ، وطوى^{٤٧} بيد^{٤٨} السلو^{٤٩} لتهجى^{٥٠} بشكايته^{٥١} طيباً ،

١ ط د قراع .

٢ م س . المعني

٣ في النسخ : لمسافة .

٤ في النسخ : يتملاه .

٥ في النسخ : الحبيب .

٦ م : بكائها ؛ س . بقائها ؛ ط د . بقائها

٧ الخرشاء : النقية من الحرب ، ولعلها « الخرشاء » أي الجلد ، الخرش . الحك والقشر ، والخرش أيضاً صيد الضب .

٨ د : يعقرب ؛ ط م س : لعقرب .

٩ الخرش : العض والחדش .

١٠ م : عقوبة .

١١ م : حباله أبق .

حتى أنساه ، ولا أعرفه حين أراه ، وفراستي في سواه أصدق من نار القُرسِ
في الصدق ، وأبصرُ في ظلمة الاشتباه من طالع الأفق .

وله من أخرى : وصل جوابك فشفى عيلاً ، وبرّد غليلاً ، ونسم من
رُوح الظفّر بالأمل نَفَساً بليلاً ، وما كان لِشَرَبٍ وداذِك العذب أن يستحيل
صاباً ، ولا لمحلِّ مجدك الموفى على الشهب أن ينحطّ نصاباً ، ولا لوفاء منك
رسا ثبيراً ، أن يذهب مع الرياح هباءً مستطيراً ؛ عَمْدَةً ودُّكَ أَحْصَفُ ،
وحجابُ مجدك أضفى من أن يُسْتَرَقَّ وأكثف ، بقيت لغماء تجليها ،
ونعماء توليها ، وعلياء تنافس فيها ^١ ، وإن أتبع سيدي فرس البرّ بي
بلحمتها ، وقرع عارضُ المسرة تكاتفها والثامتها ، فقد أمكن من الإحضار ،
وروى ظمء آمالي بمُنْهَلٍ القِطَارِ [١٦٦] .

وله من أخرى : من الأمور الشائعة ، والمعاني المتفككة الواقعة ، ما يُعَدَّلُ
له في الكتب عن قَصْدِ السبيل ، ويؤخَدُ في أساليب التطويل ، وشعاب التمثيل
أو التعليل ، فيقومُ عُدْرُ الكاتب ، ويُرْجَى الفلاحُ للمكاتب ، كالرأي
المستحكم مني في جانبك - أعزك الله - دون سبب أحكمه ، وأربِ قضى
لمّا عن فأبرمه ، ولكن فطرة في الميلاد ، وحكمة من خلّاق العباد ،
خَقِيَّتْ عن أذهان منّا حِدادِ ، وَضُرِبَ بيننا وبين سرّها المكتومِ بسدِّ بل
بعده أسداد ، فمتاً - معشر الانس - من يجيب المارّ الأجنبيّ لسلامه ،
ويبغضُ البارّ الحفنيّ من أخواله وأعمامه ، وربما زاد سوء المقدار ، في

١ ط . نيت ؛ د : بقية ، وسقطت اللفظة من م س .

٢ ط : فيه .

ذميم هذا الاختيار ، فهجر أحدَ أبويه أو كليهما ، وقد علم أن طَلَبَ الجَنَّةِ تحت قدسيهما ، فَفَضَّلَهُ النوعُ البهيميُّ بقَفْوِ أثرِ مُرْضِعِهِ ، وقد غي عن رضاعها ، وزاد على خطوة باعها ، وتبرأ منه الجنسُ الإنسيُّ بموجب عقله ، ومقتضى دليتيُّ برهانه عن الله تعالى ونقله ، فلا هو من البشر في شُكْرِ المحسن إليه ، ولا من البقر في إلفِ القائمِ ولا من الشجر ، بل هو أقسى من الحجر ، ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَنْ يَشْتَقُّ فَيُخْرِجُهُ مِنْهُ الْمَاءُ ﴾ (البقرة : ٧٤) فيكون باذن الله مورداً ، وَتَلَطَّفُ مِنْهُ الأجزاءُ فيكحلُّ لِمَدَّأ .

وقد لعمرى مُنيتُ بهذا النوع من الولد ، وكادت به أُبْرَحَ كمد ، واشتغال نفسي بِقُسُوءِهِ ، بعد حُنُوءِهِ ، وبعده بعد طول دنوهِ ، مزج شكيتي ، بالبسط لأمنييتي ، حتى هرفتُ بما لم أعقِدُ عليه نيتي ، ولا قصدته في هذا المقام بِرِوَيْتِي : كالمخاريف : « اصبحوا الركبَ اغبقوا الركب »^١ ، والمخارفة : « زوجوني زوجوني »^٢ .

« إن اللسانَ على الفؤاد دليل »

والله^٣ يُحْسِنُ فِيهِ العزاءَ حَيًّا ، ويطوي بيد السلو^٤ نهجي بهذه الشكاية طيًّا ، حتى أنساه ، ولا أعرفه حين أراه ، وفراستي في سواه ، أصدقُ من نار الفرس في الصدق ، وأبصرُ في ظلمة الاشتباه من طالع الأفق .

١ فيه إشارة إلى النمر بن تولى ، فقد كبر حتى خرف وأهتر فحمل يقول . اصبحوا الركب (الشعر والشعراء : ٢٢٧ والخزانة ١ : ١٥٦) .

٢ منه أيضاً إشارة إلى قصة امرأة جعلت تردد هذا القول عندما خرفت وأهترت .

٣ من هنا حتى آخر هذا الفصل مكرر ، انظر ما سبق ص : ٣٣٦ - ٣٣٧ .

وفي فصل منها : وإذا اتفق من المشاكلة ما صدّرنا الكتاب به ، ومن المماثلة ما قد اختلفت نفوسنا بسببه - وهي كما قال عليه السلام : «أجنادٌ مجتدة» - فمن حقنا أن نألف ولا نختلف ، ونتعاون أعضاء وآراء ، وأقوالاً وأفعالاً ، ونطيب نفوساً : ونستوي في حُسن العشرة أقداماً ورؤوساً ، فنصرف على الأيام جمالَ أنبائها ، ونرتسم في جريدة وفائها ، ونسربل من الحمد لبُوساً ، ونقمع من استيلاء الدمّ معرفة وبُوساً .

ومن أخرى : من طال - أعزك الله - أمد ارتياده ، ودوم به جناح جِدّه واجتهاده ، في طلبِ كريمِ الأخلاق ، ثم قدر له^١ به تلاقٍ ، فما أحراه وقد وجده ، أن يشدّ على عِلتِ منه يده ، حتى إذا اعتمد اختياره ، وأحمدَ في كلِّ الضرائب آثاره ، شدّ عليه بالعشْرِ ، وسجد له سجدة الشكر ، وصان منه بعدُ تميمة^٢ تاج ، وفارج رتاج ، فأسكنه في جفّن ناظرٍ كريم ، ورباً به عن جفّنٍ متّخذٍ من الأديم .

وأنت حقيقةً ذلك العِلتِ الشريف المشدود عليه ، ومجازاً شبه العصبِ المشرفي^٣ المشار إليه ، مَنْ أَحْرَزَكَ أَغْنَيْتَهُ ، أو هَزَكَ شَقَيْتَهُ ، أو استكفأك خَطْباً مستليماً كفيته ، ولتناهي ودادي فيك ، وتشبهي الشائع لمعاليك ، أقتصرُ معك على لقيّةٍ في العام ، وأعتدّها في سَنَيِ الإنعام .

١ له : لم ترد في ط م .

٢ د ٠ وصان منه بيمينه ؛ ط د : بعد تمة ؛ س : تميمه ؛ وفوقها «كذا» في النسخ .

٣ في النسخ : أشبه العصب المشرف .

٤ د : واعتقدتها س .

وفي فصل منها: وإنما يثابر على عمارة ما غرس، ويترجح في الإقامة على ما أسس، من استراب بخبث التربة التي احتلها بغرسه، واختطها لوقاية نفسه، وأما من أحمد نراه، فقد طابت يقظته وكراه؛ على أن لقاء سيدي ومشافهته، ومحدثته ومفاكتهته، كان أحب إلي، وأمتع لمسمعي، وأجلب لقرّة عيني، ولكتني مشغول بيومي، مدفوع إلى تقوية قومي: «أحارب خيلاً من فوارسها الدهر»^٢ ولا عدة إلا التجلّد والصبر

قد عدت أعمرى من نواة، وكنت أكسى من قطة، فإذا لقيت ذا هيئة خجلت خجل بخرء [٦٦ ب] اضطرت إلى سرار، وفوهاه همت بافترار، ووزير بل أمير دفع بعد ركوب الفاره إلى ركوب حمار.

ومن أخرى^٣: ربما كان من اللطاف ما لا سبب له، إلا تنفيق كتب كاسدة، وتسويق سلع فاسدة، لأنّ الملتطف أحوج بسوء عيشة إلى تقويم، أو غلظ قشرة إلى ترفيق أديم، ولا أن الشيء المهديّ يُسمن ولا يغني من جوع، فيمنع^٤ بالفرح له أو الترح عليه عينا^٥ من المهجوع،

١ م س : تقوية .

٢ صدر بيت المشبي ، وعجره : « وحيداً وما قولي كذا ومعني الصبر » .

٣ وردت في العطاء الجزيل . ٥ وتكرر بعضها فيه ص ٩٧ .

٤ م ط س : أهل اللطاف .

٥ م س ط والعطاء الجزيل . كنية .

٦ م س ط والعطاء الجزيل : شعرة .

٧ الشيء : سقطت من العطاء الجزيل .

٨ العطاء الجزيل : فيمتع .

٩ ط . سيبأ .

لاهمم إلا أن يكونَ طلوع ذلك الشيء النَّزْرِ، من وَدودٍ بَرٍّ ، أو مودود رفيع القدر ، فهو أوفر ما يُقْتنى^١ . وأبعد ما يُتَمَسَّى .

وفي فصل منها : فالمودات ، ما خلَّت من تهادٍ مُكرَّرةٍ^٢ ، كطبيخ خلا^٣ من اللحم يُدْعَى مزورة^٤ ، والمهدى بين يدي هذه الأحرف عدد^٥ كذا من سفرجل ، وتصحيفه عندي سفرجل ، وإذا سفر عن ثغره جل^٦ ، فالظفر بطارقِ الهمم^٧ مجل^٧ ، يشبه صورَ العذارى ضمخت بالعبير^٨ ، وثديهن بالتقييس^٩ والتقدير ، كأنما لبست من الحرير سرقاً ، أو شكت بألوانها وجمالاً قد برح بها وأرقاً ، بل كأنما سرقت الثدي طوايع مسكٍ أحَمَّ . ضمَّت عليه جوانحها إذ^{١٠} خافت الدم^{١١} ، أفداح عَرَب^{١٢} ، علَّتْ ماءً ذَهَبَ . طَبِيعَ من العبير^{١٣} نواها ، وناب عن شداها الفائح للشرب ساطع شداها . وربما^{١٤}

١ م ط س : مما ينقى ، د . يعنى ؛ والتصويب عن العطاء الجزيل .

٢ د . مكدره .

٣ العطاء الجزيل . حلاء .

٤ المزورة نوع من الحساء دون لحم .

٥ العطاء الجزيل عدة .

٦ ط د . نخل

٧ ط د . مخل .

٨ م ط . بالعبير .

٩ د : بالتقييس ؛ ط م س : بالتميين .

١٠ العطاء الجزيل : ثم .

١١ م ط . الدم .

١٢ ط : أفرح عرب .

١٣ العطاء الجزيل . العبير .

١٤ العطاء الجزيل : وربما .

فضلت شهياً التفتاح ، وفتكت بأدواء المعد فتكة السفاح ، وإن فاكهة
تشبه الثدي ، وتتشرك في بعض صفاتها الهدي ، بلحديرة بأن يحفظها عناقاً ،
ولا يعدل بالواحدة منها عناقاً^١ ، بل يجعل فدية قضمها أن تُشد وتناقاً ،
وتضرب أعناقاً . وإن حملك من نفسي لخصيب جناب الصفاء ، نقي جيلباب
الوفاء ، فصيح طير الثناء ، نصيح جيب الصناعة والولاء ، وداداً لا يبلغ
مداه ، ولا تويس هواجر البعد ثراه ، والله يُلحِفُه من التمهيد ظللاً ،
ويزيد يانع روضه نضرةً وجمالاً ، حتى لا تكري عيون أزهاره ، ولا
تعيأ السنة أطياره ، ولا يتعري من ورق عوده ، ولا تخشى من حل نظام
عقوده .

وفي فصل : وعذب شيم ، لو أنطقها الله لقات : معشر الأيس
على شفا ، لن تجلوا في غيري مُرتشفاً ، فردوا نيراً سائفاً ، وتفاوا ظللاً
سابقاً .

وعرضت عليه رسالة أبي عمر الباجي وأبي القاسم بن الجحد المتقدمين في
صفة المطر بعد القحط ، فعارضهما برقعة قال فيها^٢ :

ولله جلّت عظمته أوامر تُحيل المنيرة عن طباعها ، وتسلب^٣ من حمى
المعزاءِ قَصَل شُعاعها ، وتردُّ في خيلفِ تمره حَلَب ارضاعها ، لا

.....

١ العطاء الجزيل : تحفظها . . . تمدل . . . م ط : عماقاً .

٢ وردت في العطاء الجزيل : ٩٧ ، ١٢٩ ؛ وانظر ما تقدم : ٢٨٩ .

٣ العطاء الجزيل : وتسلب .

٤ في النسخ : من خلف الممرية جلب ؛ م : يجلب .

تُلْحَقُ بسوابق الرهانِ ، في ميادين الأذهان ، ولا تُدْرَكُ بقداح القمار ،
من معليات الأبصار ، تُطْلِعُ المِنَحَ من ثنِيَّاتِ المحن ، وتحوّل العاجزَ
الزمن ، مُنْفِيسَاتِ الزَّمَنِ ، وقد تَذْهَبُ بما تهب ، وتُغَيِّرُ على ما به تَغَيِّرُ ،
حكمةٌ بهرت حقيقتُها زواهرَ الأفكارِ ، وغمرت دقيقتُها^١ زواخيرَ بحارِ
الاعتبار ، له الخلقُ والأمرُ ، وبيده النفع والضررُ ؛ وإنَّ أحقَّ النعمِ بشكرِ
لا تَنْضَبُ مُدودُه ، وحمدُ تتجاوزُ حدَّ المعهودِ حدوده ، نعمى أحييتُ
بالسُّقْيَا أرضاً مواتاً ، وأُنشِرتُ بِدَرِّ الحيا أملاً رفاتاً ؛ وقد غَبَطَ طيرُ الماءِ
صِيَابَ اليهماءِ ، وحجب كاسفُ الرجاءِ نِيرَاتِ العماءِ ، وشابت مفارقُ
الرياضِ ، وغاضتْ مُفْعَمَاتُ الحياضِ ، واقشعرتِ الرَبِي ، وحلَّ نبتُ
الحاجرِ عَقْدَ الحُبَا ، وباتتُ أزهارُ الغيطانِ . عليلاتِ الأجنانِ . تستسقي
نجومَ السماءِ ، وتتوسَّلُ بالشَّبَهِ إلى ذواتِ الأنواءِ ، فعندما أمست البسيطة
على شفا ، وأجسَلَ^٢ المحفَرُ ولم يجدْ مُرْتَشِفَا ، أرسل اللهُ تلكَ النعمةَ ، بين
يدي الرحمةِ ، ريحاً ليثَّةَ هُبُوبِ النسيمِ ، في الروضِ المشيمِ . شديدةَ حفزِ
الغمائمِ ، لتداركِ ما في الكمامِ ، فنسجتُ بِإِذْنِهِ مَلَاءَها ، ورمتُ أمراسَها
وَدَلَاءَها ، فلما لَمَّتْ قِرْزَعَا^٣ . وَوَصَلَتْ بِقَدْرَةِ الخلاقِ قِطْعَهَا ، سفحتُ
عيونُ تلكَ النجومِ ، بمكفهرِ الغيومِ . رحمةً لعليلِ النباتِ ، ورقَّةً لأليلِ
المُهَجَّجَاتِ ، فَتُنْمِ وَشْيُ التلاعِ ، بيدِ لطيفةِ [٦٧أ] صنّاعِ ، ورصعِ

١ العطاء الجزيل . من معسات .

٢ في النسخ . تعير ، تعير . تفيد وتمنح .

٣ ط م د : رقيقتها .

٤ العطاء الجزيل : الدجى .

٥ ط م د س . وأخيل .

٦ م ط س . ألت قرعها ؛ د : فرعها .

تيجانُ الأكام ، يَنْطَفِ الغمام السَّجام ، فاهترت القطاريَّةُ لذلك القطار ،
واشتملت على مُحسِّنِها من الأوطار ، وضحكَ تَغَرُّ الروضِ بعد عبوس ،
ونُقِلَ إلى سَعَةِ الرحمة من ضنكِ البوس ، وسحبتُ فواهِقُ الأنهارِ مَذانِبِها ،
ونشرتُ عرائسُ الأزهارِ فوائِبِها ، ناظمةً من لآلِءِ الطلِّ عقودَها ، مائلةً^١
لِبَيْتِها^٢ من جوهره الرائق وجيدَها^٣ ، تفوحُ مجامرُ أزهارها ، وتلوحُ خضياتُ
أسرارِها ، في مرآئي أنوارها ، فترمي الداهلَ برياًها ، وتحمي النائمَ وما
حيَّها ، مؤذنةً بأدراكها ، على لسانِ مِسْكِها في ساحةٍ مَدَّ آكِها ، وقام
من مترنمٍ * الأطيَّارِ ، على منابرِ الأشجارِ ، خطيبٌ يتلو ما جبرَّ من الثناءِ ،
على سابعِ النعماءِ ، وسائِعِ رحيقِ الآلاءِ . فيا لها نعمةٌ ما أحسنَ موقعَها ، ورحمةٌ
ما ألطفَ محلَّها من النفوسِ وموضِعِها ، لقد بردَّتْ حرَّ الأكبادِ ، وشفَّتْ
غليلَ القلوبِ الصَّوادِ ، وفديتُ بنفائسِ النفوسِ^٤ والأولادِ ، نفستُ خِناقَ
الآمالِ ، وحلَّتُ عِقالَ^٥ الإقبالِ ، وكادت تُجْري الأرواحَ في الرَّمَمِ
البوالي ، والحمد لله كما حضَّ عليه منتهى الحمد ، ومَبْلَغِ الوُسْعِ والجهدِ ،
وما لا يحصره العَدُّ ، وما شاء تعالى من شيءٍ^٨ بعد .

.....

١ ط م : مائلة .

٢ العطاء الجزيل : لبيتها .

٣ ط : وتجيدها ، س : وتحميها .

٤ ط م د س : استارها .

٥ ط م د س : سر .

٦ العطاء الجزيل : ومحمبي .

٧ العطاء الجزيل : عقل .

٨ شيء : سقطت من العطاء الجزيل .

ووصف له أحد إخوانه امرأة ومدحها وحصه على أن ينكحها ، وكان
لذلك الصديق امرأة سوداء ، فكتب إليه ابن عبد الغفور^١ :

بينما كنتُ ناظراً في المرأة من شعر أحم^٢ ، ورأس أجم^٣ ، لا أخافُ
معه الدم^٤ ، إذ تقدم رسولك إلي^٥ ، يخطبُ بنتَ فلانِ علي^٦ ، ويرغب^٧ منها
في سعة مالٍ ، وبراعةِ جمالٍ ، ويُقسِمُ أنها لَبْرَةٌ بالزوج بريكة^٨ ، لا
تُحَوِّجُهُ عند النوم إلى أريكة^٩ ، ولو يُسْرَتُ – وعياداً بالله – لهذا النكاح ،
لرزقتُ^{١٠} قبل الولد منها^{١١} آلة النطاح ، ولا حاجة لي بعد الدعة والسكون ،
إلى حرب زبون^{١٢} ، وقيراع بالقرون ، ولو حملتُ إلي^{١٣} تاج كسرى وكنوز
قارون . فاطلبْ لهذه السلعة المباركة مشرباً غيري ، ولا تسوقها^{١٤} ولا في
النوم على أيري ، وابتعها ولو بأرفع الأثمانِ لنفسك ، وأضيف^{١٥} عاجها
النفيسَ إلى أبنوس عرسك ، ولا عُدْرَ لها في النشوز والإعراض ، فانما
حَسُنَ السوادُ الحالكُ بالبياض ، والله بمدك بقرتين قبل الحين^{١٦} ،
ويصنع لك صنعتين ويبلين ، فيسقطك بهذا النكاح الثاني كما أسقطك^{١٧}
بالأولِ للبدن .

١ وردت في العطاء الجزيل : ١١٢ .

٢ العطاء : ورغب .

٣ م ط س . ولو رزقت .

٤ العطاء : منها قبل الولد .

٥ ط والعطاء : تشوقها .

٦ م : وأضعف .

٧ في النسخ : بالبدن .

ومن أخرى . بلعني من ثناء الوزير الجليل . النَّقَابِ العلامَة النبيل ،
سَيْدِي وَسَيْدِ أَهْلِ مِصْرِهِ ، لَلِ وَقْتِيهِ وَأَعْصَارِ خَالِيَةِ قَبْلِ عَصْرِهِ ، مَا
فَنَعَمَ أَنْوْفَ النُّجُومِ ، وَأَرْغَمَ مَعْطَسَ حَاسِدِيٍّ بِمِذْلَةِ الوَحُومِ ، وَإِنَّمَا
يُنْفِي مِنْ رَهِينِ شُكْرِهِ ، وَمَعْظَمَ شَأْنِهِ الرَّفِيعِ وَقَدْرِهِ . عَلَى سَهْمِ ذَرْبِهِ ، أَوْ شَهْمِ
قَدْرِهِ ، أَوْ تَلْمِيزِ أَدَبِهِ وَعِلْمِهِ ، فَكَانَ لَهُ الْفَضْلُ الْأَكْمَلُ بِأَنْ كَلِمَتُهُ ،
فَكَانَهُ - أَعَزَّهُ اللهُ ، بِحُكْمِ جَلَالِهِ - أَمِيرٌ شَهِيدٌ لِنَفْسِهِ فَتَوَقَّفَ بَيْنَ حَدِّ الْقَبُولِ ،
وَبَيْنَ مَا فِي رَدِّ شَهَادَتِهِ مِنْ خَوْفِ الْحَبُولِ^١ ، وَهَبَهُ مَنْ كَلَّمَ مَكْلُومَ الْمَاجِسِ ،
مَكْلُومَ السِّيَّاتِ وَالْمَعَاجِسِ . قَدْ صَحَّحْتُ فِيهِ الدَّعْوَى لِصَاحِبِ ، وَمُحَّتِ
الشَّبْهَةُ فِي سَبْقِهِ بِأَوْضَحِ لَاحِبِ ، أَيُّ خَلَّلِ سَدٍّ ، وَأَيُّ سَلَبِ اسْتَرَدَّ ،
لَا بَلَّ أَيُّ خَطْبِ دَرَأٍ ، وَوُطِبِ مَلَأٌ ؟ ! فِإِذَا قَدْ اعْتَرَضَ عَلَى مَا قَدْ انْجَلَّ
مِنَ الْإِحْسَانِ ، مَقْدُورِ الْحَرَمَانِ . فِإِذَا فِي حَيْرَتِي بِهِ حَسْرَتِي . وَفِي الْفَقْرَةِ
الطَّالِعَةِ فَاقْرَأْتِي ، وَفِي حَطِّي لَهَا حَظِّي . وَلَا فَائِدَةَ لِهَذِهِ الْأَسْجَاعِ ، سِوَى
تَحْرِيكِ أَشْجَانٍ وَتَوَلِيدِ أَوْجَاعٍ ، فَانْ رَأَى - أَعَزَّهُ اللهُ - أَنْ أَنْبَذَهَا بِالْعَرَاءِ ،
وَأَطْلَقَ مِنْهَا دَاعِيَةَ الضَّرَاءِ ، فَقَدْ وَافَقَ إِرَادَتِي . وَاخْتَارَ لِي أَجْدَى مِنْ
مَكْنُوبِ إِجَادَتِي ، وَاللَّهُ يُقَدِّرُ الْوَزِيرَ الْجَلِيلَ - سَيْدِي وَسَيْدِ أَهْلِ عَصْرِهِ -
حَتَّى يُشْكِيَّ مِنْ شُكَا ، كَمَا ؛ لَمْ يَزَلْ يِرْقُ لِمَنْ بَكَى ، وَيُنْصِيخُ لِلْمَكْرُوبِ
إِذَا شُكَا ، بَعَزْتَهُ .

١ م : رهون .

٢ ط : اكمله .

٣ م ط : الحبول .

٤ كما : سقطت من ط .

وكان الوزير أبو الحسين بن سراج^١ قد خاطب بعض أهل العصر برقعة يشفعُ لرجلٍ يعرف بالزريرير يقول في فصل منها :

كُتبتُ أحرُفي هذه ، والودُّ صقيلُ الودائيل ، مطلول الخمائل .
جميل البكتر [٦٧ ب] والأصائل ، والله تعالى يزيدُ أرهاههُ وضوحاً
وأطيابهُ صدوحاً ، وظباءهُ تيامناً وسُنوحاً ، بمنته .

ويصل به - وَصَلَ اللهُ علوكَ ، وكبتَ علوكَ - شخصٌ من الطيورِ
يُعرَفُ بالزريرير ، أقام لدينا أيامَ التحسير ، وزمانَ التبليغِ بالشكير^٢ ، فلما
وافى ريشهُ ، وَتَبَّتْ بأفراخه عَشُوشُهُ ، أزمع عنَّا قطعاً ، وعلى ذلك
الأفقِ اللدن^٣ تديلاً ووقوعاً ، رجاءَ أن يلقي في تلك البساتين معمرأ^٤ ،
وعلى تلك الغصون حبباً وثمرأ ، وأنت بجميل تَأْتِيكَ ، وكرم معاليك تصنعُ
له هنالك وكوناً ، وتستمع من نغم شكره على ذلك أغاريدَ ولحوناً ، دون أن
يلتقط في فنائك حَبَّةً ، أو يسترطَ من مائك غَبَّةً :

وإذا امرؤٌ أهدي إليك صنيعَةً من جاهه فكأنَّها من ماله^٥

وانتهت هذه الرقعة إلى الوزير أبي القاسم ابن الجلد^٦ فعارضها برسالة قال فيها :

١ قد مر التعريف به في القسم الأول ص : ٨٢١ .

٢ التحسير : إلقاء الريش العتيق ؛ الشكير : صفار الريش .

٣ ط : الدين .

٤ المعمر : المنزل ، وقيل هو اسم موضع في قول الراجز « ياك من قرة بمعر » .

٥ البيت لأبي تمام من أبيات كتب بها إلى إسحاق بن أبي رهمي كاتب أبي دلف ، ديوانه ٣ .

٦ وتمام المتون ٣٦٤ ، ٣٦٦ .

٦ مرت ترجمته في هذا القسم ، ص ٢٨٥ :

حَسُنْتَ لكَ يَا سَيِّدِي أَبَا الْحَسَنِ ضَرَائِبُ الْأَيَّامِ ، وَتَشَوَّفَتْ نُحُوكَ
غَرَائِبُ الْكَلَامِ ، وَاهْتَزَّتْ لِمَكَاتِبِكَ أَعْطَافُ الْأَقْلَامِ ، وَجَادَتْ عَلَى مَحَلِّكَ
أَلطَافُ الْغَمَامِ ، وَأَشَادَتْ بِفَضْلِكَ وَنَبْلِكَ أَصْنَافُ الْأَنَامِ ، فَان كَانَ رَوْضُ
الْعَهْدِ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - لَمْ يُصِيبْهُ مِنْ تَعَهْدِنَا طَلٌّ وَلَا وَايِلٌ ، وَلَا سَجَعَتْ
عَلَى أَيْكِهِ وَرُزْقٌ وَلَا بِلَابِلٌ ، فَانْ أَزْهَارُهُ عَلَى شِرْبِ الصَّفَاءِ نَابِتَةٌ ، وَأَشْجَارُهُ
فِي تَرْبِ الْوَفَاءِ رَاسِخَةٌ نَابِتَةٌ ، وَقَدْ آنَ الْآنَ لِعِصْمِ شَجَرِهِ أَنْ تُطْلِعَ مِنْ
الْشَمْرِ أَلْوَانًا ، وَلِعِجْمِ طَيْرِهِ أَنْ تُسْمِعَ مِنَ النِّغَمِ أَلْحَانًا ، بِمَا سَقَطَ
إِلَيَّْ ، وَوَقَعَ عَلَيَّ ، مِنْ طَائِرِ شَهِيٍّ الصَّفِيرِ ، مَبْنِيَّ الْأَسْمِ عَلَى التَّصْفِيرِ ،
فَإِنَّهُ رَجَعَ بِذِكْرِكَ حَنِينًا ، وَابْتَدَعَ فِي نَوْبَةِ شُكْرِكَ تَلْحِينًا ، وَحَرَّكَ مِنْ
شَوْقِي إِلَيْكَ سَكُونًا ، وَدَمَّتْ فِي قَلْبِي لُودُوكَ وَكُونًا ، ثُمَّ أَسْمَعَنِي أَثْنَاءَ تَرَنَّمِهِ
كَلَامًا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ، لَو تَغَنَّنْتَ^١ بِهِ الْوَرَقَاءَ ، لِأَذْنَنْتَ^٢ لَهُ الْعَنْقَاءُ ، أَوْ
نَاحَ بِمِثْلِهِ الْحَمَامُ ، لَبَكِي لِيَشَجَّنُوهُ الْغَمَامُ ، أَوْ سَمِعَهُ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ فِي
نَادِيهِ ، وَبَيْنَ أَعَادِيهِ ، لِحُلِّ الزَّمْعِ^٣ حُبَّاهُ ، وَاسْتَرَدَّ الطَّرْبُ صَبَاهُ ،
فَتَلَقَيْتُ قَضْلَ صَاحِبِيهِ بِالتَّسْلِيمِ ، وَاعْتَرَفْتُ بِسَبْقِهِ اعْتِرَافَ الْخَيْرِ الْعَلِيمِ .

وبعدُ فلنني أعودُ إلى ذكر ذلك الحيوانِ الغرَّيدِ، والشيطانِ المرِيدِ فأقول:
لئن سمِّي بالزُرَيْرِ ، لَقَدْ صَغُرَ للتكبيرِ ، كَمَا قِيلَ «حُرَيْقِيصٌ»^٤ ، وَسَقَطَ

١ م ط س : تيقنت .

٢ ط : لأدانت .

٣ الزمع : القلق .

٤ فيه إشارة إلى قصة أوردتها القالي في أماليه (١ : ٦٥) وهي أن الأصمعي وقف على غلام
من بني أسد اسمه حريقيص فقال له : أما كفى أهلك أن يسموك حرقوصاً حتى حرقوا أسلك؟
فقال : إن سقط ليحرق الحرجة .

يحرقُ الحَرَجَ ، و « دويبة »^١ وهي تلتهمُ الأرواحُ والمهجُ ، ومعلومٌ أنَّ
هذا الطائرَ الصافرَ يفوقُ جميعَ الطيورِ في فهمِ التلقينِ ، وحُسْنِ اليقينِ ،
فإذا عَلَّمَ الكلامَ لهجَ بالتسيحِ ، ولم ينطقْ لسانُهُ بالقبيحِ ، ثم تراه يقومُ
كالنصيحِ ، ويدعو إلى الخيرِ بلسانِ فصيحٍ ، فمن أحبَّ الاتعاضَ ، لقيَ
منه قَسَّ إِيادٍ بعكاظٍ ، أو مالٍ إلى سماعِ البسيطِ والنشيدِ ، وَجَدَ عنده
نُخْبَ الموصلِ للرشيدِ ، فطوراً يبكيكُ بأشجى من مرثيِ أربدٍ^٢ ، وحيناً
يسلِّكُ بأحلى من أغاني مَعْبَدٍ ، فسبحانَ مَنْ جَعَلَهُ هادياً خطيباً ،
وشادياً مطرباً مطيباً^٣ .

ولما طار ببلادِ الغربِ ووقع ، وَرَقاً^٤ في أكنافها وَصَقَ ، وعابنَ ما
اتَّفَقَ فيها هذا العامَ من عَدَمِ الزيتونِ ، في تلكِ البطونِ والمتونِ ، أزمَعَ
عنها فِراراً ، ولم يجدْ بها قراراً ، لأن هذا الثمرَ بهذا الأفقِ هو قَوَامُ مَعاشِهِ ،
وَمِلاكُ انتعاشِهِ ، إليه يقطعُ ، وعليه يقعُ ، كما يقعُ على العَسَلِ الذبابُ ،
وتقطعُ إلى العرادِ الضُّبابُ^٥ ، فاستخفَّهُ هائجُ التذكارِ ، نحو تلكِ الأوكارِ ،
حيث يكتسي ريشهُ حريراً ، ويحتشي جوفهُ بريراً ، ويحتشي قراحاً

١ وردت دويبة مصغرة لتنظيم في قول لبيد :

وكل أناس سوف تدخل بينهم دويبة تصفر منها الأنامل

٢ يعني مرثي لبيد في أربد أخيه .

٣ مطيباً : سقطت من م س .

٤ م ط د س : ورقا (ورقي) .

٥ فيه إشارة إلى قول الراجز في الضب :

لا يشتهي أن يردا

إلا عراداً عردا

والمرادة : شجرة صلبة العود .

نميراً ، ويغتدي على رهطه أميراً . فَخُذْهُ إِلَيْكَ ، نازلاً لَدَيْكَ ، ماثلاً بين
يديك ، يترنمُ بالثناءِ ، ترنمُ الذبابِ في الروضةِ الغنّاءِ ، وقد هزّه
قوادمَ الجناح ، لعادة الاستمناح ، وحبرَ من لُمعِ الأسجاعِ ، ما يصلحُ
للانتجاع ، واثقاً بأنّ ذلك القطرَ الناضرَ ستَنفِحهُ حدائقُهُ ، ولا تلفحه
وَدَائِقُهُ ، لا سيما وَقَضَلْتُكَ دليلاً إلى تُرعِ رياضه ، وفَرَضَ حياضه ،
مع أنه لا يَعْدَمُ في جنابك حبّاً كثيراً ، وخصباً كثيراً ، وعشّاً وثيراً :
. [١٦٨] .

فإذا ما أراد كنتَ رشاءً وإذا ما أراد كنتَ قلبياً

والله تعالى يكفيه ، فيما ينويه ، شرّ الجوارح ، ويقبه شؤمَ الجبابِ
والبارح ، بمنه .

وبعد هذا الهزلِ العجَابِ ، جدُّ كالظلامِ المُنجابِ ، وبروزِ صَفْحَةِ
الشمسِ من الحجابِ ، أخطبُ به من رسائلِك بكثرًا ، أجعلُ نَقْدَها
شُكْرًا ، وأبذلُ بها لها من ودِّي مَهْرًا ، وأمتعُ بها لحظي دهرًا ، فإن
فَرَجَتِ لِحْطِي بَابًا ، ووصلتُني مواصلي أسبابًا ، جدّدتَ للعهدِ شبابًا ،
واستوجبتَ من الحمدِ محضاً لُبَابًا . واقراء على سيدي سلاماً أعطرَ من ميسكِ
دارين ، وأكثرَ من رَمَلِ يبرين ، يجميه مع العشيّ شروقاً ، ومع النجمِ
طروقاً ، والسلامُ المعادُ الموصولُ ، ما عَضَدَتِ الفروعَ الأصولَ ، وألِفَتِ
الجفونَ النُصُولَ ، على سيدي ، ورحمة الله .

١ ط س . وصلت .

وله^١ من أخرى : إنَّ عجباً بَرُّ الوزير بالزعانف والزرارير ، وحَظْرُهُ^٢
على قَلْبٍ يكاد من الشوق إليه يطير ، ومن الظماً بتشكّي قُطْعاً^٣ ويستطير .
ولأنه مع عَرَضِهِ على نارِ الجفَاءِ غُدُوّاً ، ونبوّ مضجعِ الاحتفَاءِ به هُدُوّاً ،
ووصمةِ التقصيرِ في جزائه ، وممارسةِ جَرَعِ أرزائهِ واختزائه ، إن لهيَجَ
فبذكرة ، أو هزَجَ فبأفانين شكره ، فكيف به لو ضاحكٌ مِينٌ خفيُّ بَرِّهِ
فَرُصٌ شُوبوبٍ شُنَانٍ^٤ ، غَمَرَهُ بدوبٍ عزاليه نَوَعِ الانسان ؟ !

ثم نبدأ من شأن الحيوان بزرزور ، لا يَعْرِفُ حقاً من زور ، مشهورٍ
في الطير بالضَرَعِ ، كثيرِ العاديّةِ قليلِ الوَرَعِ . كأنما رَهْطُهُ عبيدٌ للبلابل ،
ولغَطُّهُ وَقَعُ الحصىِ المقابلِ ، وفي غيره من ذواتِ الريشِ ، النازحةِ بكلِّ
ضراءٍ وعريش ، أنجبُ منه على اللّغْنِ^٥ ، وأحسنُ تصريفِ لسانٍ وذقنٍ ،
كسَبْتِغاً لا تلعثُمُ في عويصِ اللّغَى . وشقننٍ ، بشرِ اللوعةِ بالرنيين ،
كأنما عاسرتُهُ عند التلقينِ الرّاءِ ، وداخلتهُ بعد الظّفْرِ بها امتراءِ ، فاستظهرها
بالنكير ، استظهار قَبْنٍ بيكبير . وبُهْمَةِ في المِصَاعِ بيكثيرير ، ووُرُقِ
كالقيان ، خضبت أَرْجُلَهَا بالعقيانِ ، فوارت لآلِءَ في الأجيادِ ، وزبرجداً
أنعلتُ به حوافرَ الأجيادِ ، تستر بورقِ الغصونِ ، وتشهرُ بِحُرْقِ الوجدي

١ الضمير هنا يعود - على الأرجح - إلى ابن عبد الغفور لا إلى ابن الجلد صاحب الرسالة السابقة
وعلى ذلك تعد الرسائل التالية حتى آخر الترجمة لابن عبد الغفور .

٢ د م ط س : وحطره .

٣ القطع : انقطاع ماء البشر في القيظ ، وأقطمت السماء إذا انقطع مطرها .

٤ الشنان : البارد ، ط م د س : شان .

٥ ط م د س : عمر .

٦ اللعن . أن يتكلم المرء بكلام خاص .

المصون، وَيَصْقَعُ مشتاقها كالخطيب، ويقعُ على قاسٍ من الأيكِ ورطيب،
 فيلينُ لشجوه ويميد، ويكاد ينوب^١ له العميد؛ وربَّ عصفورٍ، صمقرَ
 لذاتِ سفور، فحكتُ نقرَ الزير، وبعثتُ العينَ على الدمعِ الغزير، وبلبلِ
 حرَّكِ بلابلِ واقدمات، وشكَّ القلوبِ بمقابلِ نافذات^٢، وكائنُ من غردٍ،
 حرَّ أن قلبٍ أو صردٍ، يفوت مدى العدِّ، ويملأُ ديار معدِّ، ولوتقصيننا لما أحصيننا،
 ونضب^٣ عِدُّ الكلامِ على ثرارته، وعَصَبَ ريقُ الأقلامِ على غزارته،
 فلتسهبُ بما تشهدُ لفضله رجاحُ الألبابِ، ولتغرب^٤ من مُدركِ ثمره بلبابِ
 اللبابِ، حتى تُبِيرَ على الغريضِ، يَنْسَقِي كالأغريضِ، وتَدُلُّ بِيسرٍ
 التعريضِ، على سرِّ الأضرِبِ والأعاريضِ، على أني قد تُحُوميتُ وما
 نُوغيتُ، أي كآني من الحِقارةِ أَلغيت، ولا نعيمِ لعينِ الوهمِ وقد وضحتُ
 شاكلةً اليقينِ للمتوهمِ، وسأطْفَلُ^٥ على السمعِ، وأبذلُ مَذْخُورِ الدمعِ،
 فأبثُ شجوناً، وأنبذُ نَبْذَ النَّوَاةِ مجوناً، فلا أرقُ البهارةِ، ولا أخفيضِ
 البهارةِ^٦، ولا أصفُ أزاهر، ولا أنعتُ القمرَ الزاهر، بل أندبُ ربوعاً،
 وأحرزُ العمرَ أسبوعاً :

١ ط: يدب .

٢ نافذات : سقطت في م س .

٣ ونفس : سقطت من ط س .

٤ ط م د س : والمغرب .

٥ نعيم عين : كرامتها وقرتها ؛ س ط : نعيم ؛ م د : نعيم .

٦ م د : شاغلة ؛ ط : شاغلت .

٧ يعني « وسأطفل » .

٨ البهارة : عظم الجسم ، وأرق البهارة نسبة إلى الرقة (أو إلى الدقة) ، والبهارة : ارتفاع

الصوت أو حسن المنظر .

وأبكي على فقد الدراهم إذ لها أبا قاسم غيري من الناس يُكْرَمُ

وما سَلَفَ للأدب مع الذهب إخاء ، ولا هاله منه انتخاء ، هذا خالد
موجود ، لا يلحقُ جوهره بُيُود ، وذلك قد راب منه الشحوب ، وأخلق
ذيلُ عُمُرِه المسحوب ، فيا لمياه أسجاع هذا النَّقَابُ تطردُ لغير حاتم ،
ولأجناء ثمرٍ منها مع ذوات الثَّقَابِ تتهدَّلُ على غير طاعم ، ولعراس
نورها تضاحكُ ثغراً عابساً ، وتستدرُّ جلمداً يابساً ، تبرُّجُ وليس من فيعل
النَّوار ، وتأرجُ لأنفٍ لا يعرف فضل الصَّوار ، وتعاضمُ على أكفائها ،
وتسرعُ إلى ما دون الحضيض لانكفائها ، وحسبك من نهودها ليهودها ،
وشرودها تعرُّ في أذيال برودها ، فعَلَّةٌ والله يُنْكِرُهَا الشرف ، ويتنبُّلُ
عنها المنصرفُ ، فلتحدث العلياءُ منها متآباً ، ولتكتفِ بقرع هذه
العصا ٢ عتاباً . فشدَّ ما منحت البرَّ عقوقاً ، ومنعت الشيع لها حقوقاً .

طلعت - أعزك الله - بهذه الشكاية مستريحاً ، ومثلت لها قلباً قريحاً ، وهو
بحكم جلالتها يودعها من الكتمان ضريحاً ، ويرضعها من أخلاف التجاوز
محضاً صريحاً ، فَيَسَّرَهُ اللهُ لبرِّ حرِّ ، وجعله بنجوةٍ من كلِّ ضرِّ .

وله من رقعة شفاعة للزريزر^٣ المذكور : لله قُطْرٌ باهى بك على الأقطار ،
واستغنى بيخضيل ظلك عن صوب القطار ، أذكرَ نعم الجنان بِنَضْرِيهِ ،
وسكَّن نافر الجنان بلألاء زهرته ، أيِّ مُحَسَّب أنيسٍ وطير ، ومائحٍ

.....

١ في الأصول : السوار ، والصوار : وعاء المسك .

٢ في النسخ : هذا العصى .

٣ م ط : للزريزر .

من النَّعَمِ زَخَارٍ من الخَيْرِ ، وَأَنَا لِقَاطِعٍ ، قُطِّعَ بِهِ مَعَ الفَجْرِ السَّاطِعِ ،
 وَيَحْيٍ^١ خَلَّتْصَ من بَحْرِ لُجْبِي ، فَاهْتَا جَ طَرَبَ الْجَذَلِ النُّجْبِي ، لَهْفًا^٢ بَعَثِرِهِ
 فِي البَيْتِ عَلِ الْجَنِيِّ ، سَبَّحَ قَبَّحَ لِشَّرْبِ الصُّبْحِ ، وَصَدَّحَ فَمَدَّحَ لَهْمَ من
 نَارِ النَّيِّ مَا قَدَّحَ ، وَلرَبَّمَا نَطَقَ بِالتَّوْحِيدِ ، وَيَجِدُ عن سَجْدَةِ الشُّكْرِ
 كُلِّ^٣ مَحِيدِ ، وَيَهْزِجُ وَيَسْنَحُ^٤ ، وَإِلَى رَهْطَيْنِ من الطَّيْرِ يَمْنَحُ^٥ ، مَرَّهَوْبِ الصَّقَعِ
 فِي الدِّيَارِ ، وَمَحْبُوبِ السَّجْعِ بِأَعَالِي الأشْجَارِ ، يُمْنَعُ بَشْتَى أَفَانِينَ ،
 وَيُخْجِلُ البَلَابِلَ وَالشَّفَانِينَ .

وفي فصل منها : حتى اشتد منه الفَقَارُ ، واسودَّ فَرَعُهُ والمنقَارُ ، ولم
 يكنْ به إلى العَوَلِ افتقَارُ ، فنهضَ وكسبَ ، وأعربَ عن نَجْرته وانتسبَ ،
 وأخذَ بالطَّبَاعِ فِي التَّوْلِيدِ ، وصدحَ غرداً ببيتِ الوليدِ ، إلا ما غيَّرَ منه وأحالَ ،
 ولا يعرف الممكَنَ ولا المحالَ :

لك الله عَشْتًا غصَّ ليلًا بأفرخٍ بعلياءِ فرعِ الأثلةِ المتهدِّلِ
 فيا للعجب العجيب ، ولسانِ هذا الزرزورِ النجيبِ ، أنطقتهُ فضلُ
 الوزيرِ بلسانِ ، نطقتهُ من نواعِ الزرازيرِ إلى نوعِ الإنسانِ ، فشكروا وشعروا^٦ ،

١ م : ربحي ، ط : ربحا .

٢ م ط د س : لهفي .

٣ ويسنح : يياض في م ط س .

٤ يمينح : يياض في م ط س ، وفي د : ينح .

٥ يعني البحري ، ولكن البيت التالي لم يرد في ديوانه ، لأن الكاتب ربما غير فيه ، حسب قوله .

٦ ط م د س : غبر .

٧ ط م د س : وسمر .

حتى غلا مِرْجَلُ أَشْرِهِ واستمر ، وأخذ عن وكنه في الرحيل ، وباع
مُبْرَمًا من العيش بسحيل ، فرشقَ السّماح من جسمه بسهم ، وسبق الرياحَ
عن عزمه بمثل الوهم ، فما احتلّ من الجانب الغربي شرفاً ، حتى اعتقدَ
إلى الجانبِ المرضيِّ مُنْصَرَفًا ، وشُغِلَ عن النظر في عطفه ، بالنظر في
أسرارِ كَفْيِهِ ، يا له من عازمٍ ، خواني عادتْ باللائمةِ على القوادم ،
يتمنّى لغرغرتة بالندم ، أن يُخْضَبَ من أوداجه بدم ، لأنه سَقَطَ من شَجَرِ
زيتونه ، بعقم بطونه ، في هذا العام ومنونه ، على خالياتٍ من الميبرِ ،
موحشاتٍ مثلِ جَوَفِ العَيْرِ . ولما نشر جناحاً للإياب وخفت ، وتنفسَ
الصعداءَ والتفت ، أشفقتُ منه لغريبٍ غريب ، وصعدتُ فيه وصوبتُ
نظَرَ المستيب ، فشفت له بهذا الكتاب ، بقيه^٢ من السيّد الأوحده حرّاً
العتاب ، وقد تقلّدهُ تيممةً تكفيه اختطافَ الجوارح في الهواء ، وتثنيه عن
إطاعة البوارح في الالتواء ، وهو بمجده الصميم ، وبرّه العميم ، يشفع ويرفع
ويسوغه قراحاً وقرواحاً^٣ ، ليمرح في هذه مِرَاحاً ، وينال من هذه الرّبي
مغدى^٤ ومَراحاً ، ولو اقتصر من مذنبٍ على مُقْتَضَى المتاب ، لتغنيَ عند
سيده عن شفاعَةِ الكتاب .

وفي فصل منها: ولو صرّفتُ فيها الأنفاسَ كلاماً، والأشجارَ أقلاماً ،

١ ط د : الجانب .

٢ م ط س : لقيه (اقرأ : لقيه) .

٣ القراح : الأرض المخلصة لزروع أو لغرس ، والقرواح : الفضاء من الأرض التي ليس بها
شجرة .

٤ ط : مفراً ؛ م س : صغراً ، د : معزاً (اقرأ : مقرأ) ولفظه « الرّبي » زائدة إذ
الإشارة بقوله « هذه . . . وهذه » إلى القراح والقرواح .

والبسيطة قرطاساً، والدجنتة أنقاساً ، لرأيتني مقصراً لم أبلغ ما أريد، وكنت أسألُ عوناً واستزید ، وبودئي لتناهي المحبة والولاء ، واعترافي بالأيادي الجسيمة والآلاء ، لو أضحي مكانَ كتابي ، فأسعدَ بالوفود عليه ، وأخترمَ من حَيْثُفِ الزمن الغَشُومِ بالثولِ بين يديه، ولكنه قد حيل بين عبْدِهِ البائسِ وبين مُرادِهِ ، وشُغِلَ بقوتِ يومِهِ لنفسه الشقيّةِ وأولادِهِ ، فتأخَّرَ عن حضرته السنيّةِ تأخَّرَ الكسيرِ ، ونظر إلى سنا حوزته البهيّة نظراً الأسير .

وله من أخرى : مثلك مَنْ لم يَعدِلْ* [به] شُحُّ التجارة ، عن كَرَمِ الوزارة ، ولا شَرَه المَكسبِ ، عن شَرَفِ المنتسبِ ، فرأى الخَطيرَ بعينِ نزاهة نفسه حقيراً، والجليلَ [٦٩ أ] بحكم جلالته منتسباً فتيلاً؛ ولم أوقظك بهذا التنبيه من سِنَةٍ ، ولا نفسي عن إباءِ المنية بالعاجزةِ الزمينة ، وقد أوفيتُ رسولك الميزانَ حتى رضي ، وإنه لمحضُ النصيحة فليحظْ عندك فيمن حظي ، بصّرنا الله الرشدَ فيمن بصّره^٣ ، وحسبَ إلينا تَجَنُّبَ ما مَقَّتَهُ من الشحِّ وَحَظَّرَهُ .

وفي فصل من أخرى : وردَ لسَيدي أيُّ كتابٍ ، بل أيُّ قِطْفٍ من ثمراتِ الألبابِ ، حيناً به على البعادِ ، وبرْدَ غُلَّةِ قلوبِ صوادِ ، فهجرنا له الزُّلالَ ، وحسبناهُ السلسيلَ الحلالِ ، ودرُّ درّه من كاتبٍ أقسمَ بالطورِ ، لقيدَ عيني بشطورِ ، تشوقاً إلى بهجة تلك السطورِ^٤، وفيها من شغفٍ بها أقول :

١ م : نظير .

٢ م س : نفسه ؛ ط د : فسه .

٣ في النسخ : أبصرنا . . . أبصره .

٤ انظر هذه العبارة ص : ٣٣٠ س : ١٠ .

سطورٌ أفادتُ كلَّ خالٍ بوجنةٍ كما خَطَقَتْ منها لماها المباسمُ

سَحَبَتْ ذِيلاً على بلاغة سَحَبَانَ ، وسرتُ ليلاً فيا فَوَحَ ما بين قرطبة
وبغدان ، ولولا ودَّ يمدُّ بتشوقٍ إليه النَّفْسُ ، وَوَجَدُ يَمْنَعُ ثرى ما بيني وبينه
أن يَيْبَسَ^١ ، لما ناضلتُ فائزاً^٢ كَلِمِهِ بمعراض ، ولا ضاهيتُ جواهره
الخالدةَ بأعراض ، والله يَصِلُهُ في الأحفاد ، ويجرسُهُ في حوادثِ الآباد ،
ويعمرُّ ببشره بِشَرَّةِ الجماد^٣ ، وَيُعَلِّمُ به مجاهلَ الأجياد .

وفي فصل منها : شفع الله تلك الغزوة الميمونة بغزوات ، وكتب لنا
في ساحات أعدائه عدَّةَ مواطئٍ وعدوات ، حتى يُحَرِّزَ أسيراً ذا التاج ،
ويفرج عن شخصه مُغْلَقَ الرتاج ، ونؤوبَ بغير رضى الكندي^٤ ، بل على
وصفِ النابغة سمي الجعدي^٥ ، راضين عن كلِّ عقيلة ، نيرةَ أسيرة القسمات^٦
صقيلة ، كريمة مثل الديمة ، تدرى دمعاً على الأحنان ، وتُخْفِي ترائب
كترائب الحفان ، صُقِلَتْ بالنعيم ، وصافح عنهنَّ الصفيح كلُّ بطريقٍ
زعيم ، ان اصْطَفَيْتَ لم تجيء بِفَسْلٍ ، وتُنَجِّبُ بإذنِ الله في النسل ،
كعلي بن الحسين وسالم^٧ ، والمعتصم^٨ المشهور العين في المكارم ، وغيرهم

١ ييس الثرى كناية عن العداوة والجفاء ، ومنه قول جرير :

فلا توبسوا بيني وبينكم الثرى فان الذي بيني وبينكم مثري

٢ د : قائد .

٣ م ط س : الحياه .

٤ يشير برضى الكندي إلى قول امرئ القيس :

وقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب

٥ م : أسير القصة ؛ ط د : أسر .

٦ ذكر هؤلاء لأنهم أبناء إمام ، وقد أنجبهم بولادتهم .

من أمير وخليفة ، وذي منزلة في الفضلِ مُنِيْفَتِه ، وربّ فخور مختال ،
يدفعُ في هذا بيتِ القتالِ ٢ :

أما الإمامُ فلا يدعوني وكدأ إذا ترامى بنو الإمانِ بالعمارِ
وليس كما زعم ، من عارٍ ، لا بسِ ثوبِ الكِبْرِ المستعارِ :

لا تُزْرِنَنَّ بفتى من أن تكون له أمٌ من الروم أو سوداءُ دعجاءُ
فلنما أمّهاتُ الناسِ أوعيةٌ مستودعاتُ وللأبناءِ آباءُ

ما كلُّ الحرائرِ ، ببيّاتٍ ٣ من الجرائرِ ، ولا كلُّ الإمامِ بمخلاتٍ
في الانتماء ، وإني مع ذلك لأنوفّرُ على الرَّهْطِ ، ولا أرغبُ في رقيٍّ عنه
ولا هبطٍ ، وأنشيدُ :

لئن علي شتفتي بما في خُمُرِها لأعفُ عمّا في سراويلاتها
والله يعرفُ المعترِضاتِ دونَ الواجباتِ ، ويسمعُ عنّا الخيرةَ في المحيا
والمماتِ .

١ م ط : البيت .

٢ ديوان القتال : ٥٣ - ٥٥ وروايته :

أنا ابن أسماء أصامي لها وأبي إذا ترامى بنو الاموان بالعمار
أما الاماء فما يدعوني ولدأ إذا تحدث عن نقضي وإمراري

والبيت كما ورد في الذخيرة هو رواية سيويه ٢ : ٩٨ وشرح المفضليات : ٤١٢ واللسان
والتاج (أما) .

٣ خ بهامش ط : بسالمات من .

٤ خ بهامش ط : بقاصرات عن .

٥ ديوان المتنبي : ١٧١ .

وفي فصل : وما زلت معتزياً إلى أدبه ونسبه ، منفقاً من غَرَبِ كَلِمِهِ
 الراقق وذهبه ، مقرأً بفضلِهِ ، معترفاً بتبريزِ خَصْلِهِ ٢ ، مرتسماً في جريدة
 من أدبتهُ ودربتهُ ، وأرففه وذربته ، ولقته وعلّمه ، وكان له الفضلُ الأكلُ
 بأن كَلِمته ٣ : فليصل منّي ولدًا ثانياً ، وليجبرُ كسيراً وانياً ، وليأسُ
 بالكلامِ العذبِ ، بل اللؤلؤِ الرطبِ ، كَلِمًا دامياً ، أصابَ والعدارُ مُبْقِلُ ،
 وما أجتلبَ والشيبُ عليّ مشتمل . وليمنّ عليّ وليه ، وخذني وَسْمِيهِ ،
 برقعة يضمنتها وجهَ الحيلة ، في مُداخلة تلك الدولة الجليّة ، أيد الله
 سلطانها ، ووطدَ أركانها ، لينبى عليّ ما أسسَ ، ويحتني من ثمر النجاحِ ،
 ما رَشَحَ وَغَرَسَ .

وله من أخرى : ما ظنُّهُ بعليلِ ذِلَّةٍ ٤ وقيلتهُ ، وهما أشدّ مرض
 وعلتهُ ، عُلِمَ دأؤه ودواؤه ، وتعذّرَ برؤهُ وشفاؤه ، وقد أوجبَ النظرُ
 الطبيّ والقياسُ الصناعيُّ إذا عُلِمَ الداءُ ووُجدَ الدواءُ ، ولم تعترضْ منيةُ
 أن يكون الشفاءُ ، فهو بحكمِ وصيّهِ ، وتقطعُ أسبابُ الفرجِ به ، أنزقُ
 من فحل محفورٍ ٥ ، أو ذئبٍ محصورٍ ، قد ثقل على ذويه ، وأبغضه مُحِبِّهِ

١ م ط . عرب ؛ د : عذب ؛ والغرب : الفضة ، وقيل الذهب . والغرب في بيت الأضي
 « تراموا به غرباً أو نضاراً » تعني الفضة .

٢ م ط : حصله .

٣ انظر عبارة مشابهة في ما تقدم ص : ٣٤٦ س : ٥ .

٤ م ط : الجناح .

٥ م س : دولة ؛ ط : دلة .

٦ د : مز أن .

٧ م ط س . عمل محفور .

فضلاً عن مُجْتَوِيهِ ، ولم ألهجُ بِذِكْرِ قَلْتِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَلَا خَشِيتُ مَعَ الْقَسْنُوعِ مِنْ إِمْلَاقٍ ، فَأَنَا رَأْسُ الْأَغْنِيَاءِ ، وَعِنْدِي مِنْ كِيمِيَّاتِهِ قَتُوقُ الْكِيْمِيَاءِ ،
وفي ذلك قلت : [٦٩ ب]

عَيَّرْتَنِي بِفَقَارِي عَاطِلٍ حَلِيَّتٌ جِيداً بَدَمَعٍ سَجَمًا
بِفِي عِزَّةٍ نَفْسٍ لُكْشُهَا مَلَأَتْ مَنِيَّ بَطْنًا وَفَمَا

وجعلتُ مُدَّةَ بَابِ صَلَاتِي بِكُتْبِهِ ، ضَرْباً مِنَ النَّظَرِ لِقَلْبِهِ ، وَلِقَلْبِي
الْمَنْقَطَعِ الْقَرِينِ فِي حَبِّهِ ، إِذْ كُنْتُ لَا أُحْلِي أُجُوبَتَهَا مِنْ صَحِيحِ الشُّكَايَةِ ،
وَلَا أَقْتَصِرُ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ سَقِيمِ الْحِكَايَةِ ، فَأَكُونُ قَدْ صَدَعْتُ صَمِيمَهُ
بِتَعْدِيدِ الْفَاهِ ، وَبَيْتُ غَرِيمِهِ بِمَا عَسَى أَنْ يَتَكَلَّفَهُ مِنَ السَّعْيِ وَيَتَوَلَّاهُ .

وله من أخرى : جَائِزٌ فِي حُكْمِ الثَّقَةِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ أَنْ تُرْجَى الْمُتَمَنِّعَاتُ ،
وَتُتَرَقَّبَ بِطُلُوعِهَا السَّاعَاتُ ، مَعَ اسْتِيْلَاءِ الْيَأْسِ عَلَى النَّفْسِ ، كَتَعَقُّدِ
هَذَا الْمَبِيعِ ، الَّذِي عَقَدَ الصَّيْفَ بِالرَّبِيعِ ، فَكَأَنَّمَا وَقَفَ الزَّمَانُ فَلَا جِزْوَهُ
الْوَاقِعُ وَقَعَ ، وَلَا مَاضِيَهُ انْقَطَعَ ، وَلَا مُتَنظَرُهُ أُطْلِعَ ، وَإِنَّمَا هُوَ جِزْءٌ دَائِمٌ ،
وَنَفُوسٌ عَلَى الْوَرْدِ حَوَائِمُ ، وَعَهْدِي بِعِزَّةِ الْفَقِيهِ مُسْطَلَعٌ بِشَائِرِ ، فَلَا
يَذْكَرُ الْمَثَلَ السَّائِرَ :

وحتى يؤوبَ القارظانِ كلاهما وينشرَ في الموقى كليبٌ لوائلِ^٢

١ م ط د س : بتعد يدك .

٢ البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، ديوان الهذليين ١ : ١٤٧ ، والمثل الذي يشير إليه هو « حتى
يؤوب القارظان » ، انظر القسم الأول : ٧١٦ .

وفي فصل من أخرى : سألتُ الفقيه - أعزّه الله - حاجةً منذ عامين ،
وأخرى منذ شهرين ، ولم تكونا كبيرتين ، وفي كليهما تَفَضَّ من ودِّيَ اليدين ،
فليت شعري على أيِّ ودٍّ بعد ودِّي يشدُّهُما ، أو إلى أيِّ عَقْدٍ مِثْلٍ وثيق
عقدي يمدُّهُما ، تالله لَيُدْفَعَنَّ من بني الأيام ، إلى لثامٍ غيرِ كرام ،
أغرَّ من السَّرَابِ ، وأغدر من الذُّثَابِ ، وأعقَّ من الضُّبَابِ^١ ، وأوهى
حبلاً من مضمحلِّ الضُّبَابِ ، وسأله ثالثةً والثالثةُ الصادقة ، فان قضاها
شكَّرتُهُ ما ذرَّتْ شارقة ، وان أباهما فخيْلُ عتايي إليه سارية طارقة .

وفي فصل من أخرى : أنا في فرطِ برِّي بالوزير الجليل - صنع الله له
كلَّ صنْعٍ جميل - إذا رماني ببهي شَخْصِهِ الطَّرِيقُ ، عَصَبَ من استحيائه
بني الرِّيقِ ، فلم أكُذُ في التسليمِ عليه أَيْنُ ، وَجَعَلْتُ معترضاتُ حاجاتي
إليه تَفَرِّقُ وتَبِينُ ، حتى كَأَنِّي ما بَتُّ لها أَرْقاً ، ولا طويتُ بها كشْحاً
مُحْتَرَقاً . وكيف لا أستحييه - أعزّه الله - وإنما ألقاه باسِطَ راحةٍ ،
أوسائلَ إراحةٍ ؟ ولولا بيْشُرٌ له يؤنِسُ ، ونَهْلٌ من وصمة
الودِّ يَعْنِمُ ويؤيسُ ، لما انبسطتُ عليه في أمرٍ ، ولومستني مُهِمَةٌ بالدع
من جمر ، وكنْتُ قد أعددتُ لِسَعَةِ كرمه أربعَ حوائجٍ ، ولعلها عند حرصه
على الفضلِ أربعُ نتائجٍ ، سلاهيبَ أو مرابيع^٢ ، أشباهها^٣ للجري بنابيع ، وتَأَمَّتْ
بعدُ بهذا المنظوم وَجِعاً ، وإن كنتُ متصرفاً لا مضطجعاً ، ولو سریتُ من

١ انظر في هذه الأمثال : الدرّة الفاخرة : ٣٢٢ ، ٣٢١ ، ٣٠٦ .

٢ د : وأنا .

٣ السلاهيب : الطوال من الخيل ؛ المرابيع : جمع مربع وهي الناقة ومعا ولدعا وهو ربع .

٤ م ط : أشبايعها ، س : لشبا بجمعها ؛ د . أشبالها .

الصحةِ بدليل ، لاهتديتُ إلى ما يليق^١ بقدره السامي الجليل .

ومن أخرى : فما ظنّه^٢ بأمد يومٍ^٣ يُشيبُ الوليدَ ، ويستخفُّ الحليمَ
الجليدَ ، ولعمري لئن جعل الولدانَ من جهةٍ^٤ شيئاً ، ليردَّن^٥ الشيخَ اليقنَ
من أخرى قشياً .

ومن المنظوم الذي ذكر فيها :

يا حبّنا قصدُ الوزيرِ	ر وان تُكَلِّفَ في المجيرِ
ذكرى له ظلّ يرفُّ	وَبِشْرُهُ ماء نَميرِ
نفسى الفداءُ لنفسه	من كلِّ دائرةٍ تنورِ
شَهْم حوى قَصَبَ العلا	دونَ الورىِ بيها ^٥ وخيرِ
وأقامها ببراعة	أَمْضَى من السيفِ الطريرِ
بَهْتِي الأميرَ حُصُولُهُ	منه على العليقِ الخطيرِ
فَعَلَيْهِ واقيةٌ تردُّ	قنا ^٦ الهادمِ تستطيرِ
يا سامياً وهو الصغيرِ	ر بعزمة الرجل الكبيرِ
مهلاً فَضَحَتْ معاشرأ	خانوا الأمانة في الدهورِ
وبنيت ما هلموا فهلُّ	خجلوا لذلك في القبورِ

١ م ط س : ملىق .

٢ م ط : نلته .

٣ زاد في م : ليله .

٤ م : تزور

٥ م : بنهى .

٦ هذه قراءة خ بهامش ط ٤ م س : قى .

وعليك من كَلَّفَ بما يسديه رأيك أو ينير
عدداً النجوم تحيةً ولربما قلَّ الكثير

واه من أخرى : يا سيدي الذي به أفاخرُ الشرفاء ، وأكثرُ منهم العددَ
الجَمِّ واللِّقَاءَ ، فمن أنوفٍ تُسْعَطُ بالرَّغَامِ ، ومن ألوفٍ تسقُطُ كحروف
الإدغام ، بلغني من ثنائك عليَّ ما به أهرف ، وبالتقصير في جميعه أعرِف ،
ما يزيدُ منه [١٧٠] التَّشْرِعُ على مِسْكَ دارين ، ويقلُّ عليه الشكرَ عَدَدَ
رَمَلٍ يبرين . لله فَضْلٌ نَزَّهَ ذلك المنطقَ الشريفَ عن القَدْحِ ، واستعمله
فيما استولى عليه الشَّحُّ ، من التقرِيطِ والمدح ، لقد ألسني من السُّرورِ بتكرُّمِهِ
أضْمَتِي جِلْبَابِ ، وكاد يطفئُ المشيبَ في تضرُّمِهِ بكرَّ ماءِ الشباب ، لم تُدْهِبِ
الفضائلُ من الحسدِ ، فشهدنا له فيها بقوةِ المسدِّ ، ولولا أنْ أكونَ مادِحَ
نفسه لقلت : شتَانِ بين مُنْصِفٍ وَمُتَعَسِّفٍ ، وطالعٍ من بينِ ٢ الكلامِ
وَمُنْكَسِفٍ ؛ وقد لعمرى كنتُ مضطراً ، وكدتُ أحكمُ لنفسي على
معاصريها طُراً ، وذلك بحكمِ معاشرَةِ قَوْمٍ ، يستعذبونَ في جَنبِ الغضِّ
من كلِّ مِرٍّ عَضَّ اللومِ ، أيقاظُهم أم رقودُ ؟ أم ليس بين الشَّبهِ
والذَّهَبِ نقودُ ؟ فيا مطلعي بِقُرَّةِ عَيْنٍ ، لا منصفِي لتعيِّنِ دينَ ، دَرَّ دُرٌّ
علائك حتى تصبحَ لك الجوزاءُ داراً ، وتسحبَ بها البدرَ إزاراً ، وتعقدَ

١ ط م د س : عد .

٢ ط س م : على .

٣ د : نير .

٤ م : ومتأسف .

٥ ط د س : بمصمي .

٦ م . وتسحب بهذا البدر .

عليك الشمس أزراراً^١ ، فتفوق محلاً وتهول مقداراً .

وأنفذته من كتاب ، غبَّ قصد الخجل المرتاب ، بنفسي فناديته ،
لينظر حين مشافهته ، كيف عمل آلتها^٢ ، في شكر موالاتها ، فكان من
الشقاء ، ما تعذر من محبوب اللقاء ؛ وحمَّلتُهُ المتطبِّبَ أبا فلان ، كريمة
رهطه ، النَّابِهَ الذِّكْرَ في أعلام سبَّطه ، زعيمَ يهود ، المسودَّ فيهم
المسود ، بحكم التوقُّف عن الملة الحنيفة ، والتردُّد في المذاهب
الأخبارية ، وطويتهُ على كليم جاش به صدر مكلوم ، وهاجس بمقارعة
أقران^٣ الهوم ، مصدوع مثلوم ، وأريدُ تحقُّقَ كيفية حُسْنِه ، بالنظر
في مرآة ذهنه الصقيلة ، وتعلمَ كمية وزنه ، بسجية إربه الراجحة
الثقيلة ، فان كلفت بعد هذا به العيون ، ولم يُشكِّلْ منه الجيرمُ الموزون ،
فبِئْسَ مَنْ^٤ الاقتداء به ، والاهتداء بنجم أدبه ، لا زال علماً نهدي بمناره ،
ونعشو إلى ضوء ناره ، والسلامُ عليه ما تلالُاتُ القورُ^٥ ، وصرَّ العصفور ،
تحيةً تراحمها في سمعه تحيات السُّعود ، وتملاً رَحْبَ رَبِّه بإنجاز
مودودٍ منها وموعود .

وله من أخرى : أطلَّ الله بقاء الفقيه الحليل ما زخرت أودية الكلام ،
وانتشرت أودية الغمام ، وصرَّت في القراطيس الأقلام ، وسرت إلى
النائمين الأحلام ، ولو علمتُ مزيداً له في البقاء ، ومحلاً فوق أرفع الكواكب

...

١ ط م : ازارا .

٢ ط م س : الاتهاد .

٣ د : أقدار .

٤ في السخ : فيمن .

٥ القور : الغباء ، يقال : لا أفعل ذلك ما لآلات القور ، أي بصبغت بأذنانها ، أي لا أفعله أبداً .

في الارتقاء ، سألته ضارِعاً إلى الخالق ، ولو قرنت الإجابةُ فيه بالتردي
من حائق ، بادرتُ ذلك غيرَ رَعْدِيدٍ ، وأقدمتُ منه على الخطبِ الشديدِ ،
والله ينيرُ منارَ الأيامِ ، وينسخُ بائباتٍ^١ عينه آثارَ اللثامِ . وإن العاقلَ والمتعاقلَ^٢
لينضحُ بِصُبابَةِ صَبْرِهِ ، حَرّاً لاجعِ^٣ الهمِّ المعترضِ في صدره ، فربما أدنى له
ذلك نازحَ مني ، وأتمرّ أحلى من ضربِ العَسَلِ جنى ؛ وقد آثرتُ هذا
النوعَ من المعاشرةِ ، وانتبذتُ بحمدِ الله من كلِّ نَزَقٍ ومعاصرةٍ^٤ ، مشبهاً
بهما وإن كنت عن توقيهما^٥ بمعزل . كما ألفتُ الجمجمةَ البيضاءَ^٦ ثالثةً^٧
أثافيّ المنزلِ ، فدُعيتُ أئفيةً^٨ ، وكم باتت بطارقها المستطعم حَفِيّةً^٩ ، فصبرتُ
عن^{١٠} اقتضائه موعودَه ، وَحَمَيْتُ لإرصائه كاذبَ طيفي المشفقِ أنْ
يعودَه ، مبالغةً في أدبٍ لا تُنصِفُهُ الأيامُ ، ولا تُسَعِفُهُ في أربٍ وقد
جدَّ به الهيامُ^{١١} ؛ وإني إلى لقائه - أعزّه الله - لأشوقُ من الساجعةِ ، ومَن
لِذاتِ الأرقِ براحةِ الهاجعةِ ؟ ! ولو شاء لأغنى بأيسرِ إيماءٍ ، وأدالَ من
غِلْظَةِ^{١٢} الحرّةِ برقةِ الإمامِ ؛ والآن حينَ فتعمَ الماءُ الحوضَ ،

١ د : بايات .

٢ ط : والمتعاقق ، م : والمتعالي .

٣ ط م : ومعاشرة .

٤ ط د : توقيهما

٥ ط م س : ثابتة (م : ن) .

٦ ط م د س : خفية .

٧ د : حل .

٨ م : الحمام ، س ط : الحمام .

٩ ط د م س : غلظة .

وغمر التربة وشمل الروض ، ومشيتُ على قدميَّ الأيمالَ ، ودُسْتُ^١
والله بهما ماءَ المنى السَّيَّالَ ، ولبت بيبي صيدح^٢ ، قَضَى عَنِّي دِيناً فَدَحَ ،
ولكن شَفَعَ خُمُولَ العطلة ، بِخَجَلِ الرحلة ، فَقِيضَ لي إصران ،
وخصِصْتُ بالشَّقْوَةِ من بين الأقران ، وقد كان وعد في حالي بِجَمِيلِ نَظَرٍ ،
ولما طال عليَّ أمد ذلك الوعدِ المنتظر ، رأيتُ أن أذكّر :

وإني لأدري^٣ كيف أرضى وأقتضي ولكنه الحرمان يقضي بأن ألحى [٧٠ب]
وأصرفُ عن وِرْدٍ وقد غمَرَ الندى خفيفَ عِذارٍ والمُهِنَقَةَ الألحى
ومن عَجَبٍ أن يُقَطِّعَا كلَّ نَحْتَةٍ ؛ وأمنعَ للقُرُصِ الذي فاتني الملاحا

وليس - أعزّه الله - قُرُصَ بُرٍّ ولا شعير ، فأنه قد يكونُ مَرْتَعَ
بعير ، ومستوقدَ سعير ، إنما عنيتُ أَرِيضَةَ ضَيْقَةِ الساحة ، تكادُ
تُشْتَمَلُ بِظِلِّ الرَّاحَةِ ، وتُلْغَى في كُسُورِ المساحة ، ضَعُفْتُ عن
عمارتها ، وطمس الكلالَ عَيْنَ أمارتها ، فلولا ضِدُّها من جَنَّةِ جَارٍ ،
خبيثِ الطُّعْمَةِ لثيمِ النجارِ ، جرى له بالحرارة قَدَرُ جَارٍ ، فمَنى صَدِقتُ
له صَفْحَةَ أرضٍ صَمَلَّتْهَا ، ولو اشتكتُ إليه نُبُوَ المنزلِ لنقلها ، لأصبحتُ
هذه اليابسة ضالَّةً أنشدُها في القرى ، ولو وقع منها اليأسُ لاقطع
مني القمرا^٥ .

.....

١ م ط : وجست .

٢ صيلح : ناقة ذي الرمة ، وبمها يعني التخلي عن شيء عزيز .

٣ م ط د س : لا أدري .

٤ النخعة : البقر العوامل أو الحمير أو الرقيق .

٥ القرا : الظهر .

كُتِبَتْ وَإِنَّمَا يَكْتُبُ الْخَلِيءُ ، وَلَا يَحْسُ غَيْرَ عَوِيلِهِ الشَّجِيءُ ، وَمَنْ لَا يَمْلِكُ لِحَدِّهِ زَمَامًا ، فَأَحْرَى بَأَنْ تَصِيرَ يَدَاهُ الْبَاطِشْتَانِ أَكْثَامًا ، وَكَأَنِّي بِهِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - قَدْ قَالَ : بَلْ تَنْفَعُ الْأَكْثَامُ وَتَضُرُّ ، وَيُطْرَدُ بِهَا الْحَرُّ وَالْقَرُّ ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ الْأَهْمَّ وَالْأَعْمَّ ، وَمَا يَنْفِي الْغَمَّ ، وَيَحْرُزُ الْمَعْنَى الْأَتَمَّ ، لَا قَرًّا صَابِرْتُهُ حَتَّى انْضَرَمَ وَتَوَلَّى ، وَلَا حَرًّا مَا أَرِمَ عِنْدِي ذَبَابَهُ وَلَا تَفَنَّى ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَأْلَفُ مَنَازِلَ أَهْلِ التَّرَفِ ، وَيَحُومُ عَلَى مَا فِيهَا مِنْ صَنُوفِ مَا كُلَّ وَضُرُوبِ طُرْفِ ، وَإِنَّمَا لَآتُكَ بِسَبَّاسٍ وَحَشِيشٍ ، مُؤْتَمِدٍ بِزَيْتِ مَبَارِكِهِ وَمِيلِحِ جَرِيشٍ ، فَمَا ضَجَرَ مِنْهَا لِعُدْدَةِ ، وَلَا جَاءَ نَطَاسِيًا شَاكِيًا بِرَدَّةٍ ، فَمَنْ حَيْثُ صَحَّ اعْتِرَاضُهُ ، لَمْ يَحْلَلْ بِإِصَابَةِ الشَّاكِلَةِ مِقْرَاضَهُ ؛ وَكُنْتُ أَجْدَعُ ١ هَذَا الْمَقَالَ لَوْ لَمْ أَخْفَ عَلَيْهِ تَطْوِيلًا ، وَإِنْ تَطَارَدَ لِي مَا أَمِيلُ مِنْهُ شَيْئًا قَلِيلًا ، فَسَوْفَ أَعِدُّ فِي الْبَلْغَاءِ ، وَأَحْسِنُ سَجْعَ فَوَاتِ الْأَطْوَاقِ بَعْدَ الرَّغَاءِ .

وله من أخرى: بيني وبين الفقيه النبيه^٢ - صنع الله له كل ما يشتهي - ما لا زيادة لتعميق البيان فيه ، من ودّ مفسى عليه الأسلاف ، ولم يعترض فيه على من تخلّفوا بنوع من أنواع التّداني خلاف ، إذ السبب في فساد أكثر الأشياء دنوّ وامتزاج ، ولم يَجْنِ على الصّعدَةِ أَنْ تَبِيَّتَ طُعْمَةٌ للنار إلا الزّجاج ، ككبكرِ الراح ، أمنت حولاً مُجَرَّمًا من عاب التخليل ، حتى مُنِيبت من الماء القراح بأشأمِ خليل ، فجرى لها مقلورُ التلاقِ ، بكرَاهةٍ

١ ط : لفردة ؛ م س : لفردة .

٢ م ط س : أجمع .

٣ النبيه : سقطت من ط م .

مذاق ، وشراسة أخلاق ، وإنهما بلا ميتين ، لمن عُنْصُرَيْنِ كَرِيمَيْنِ ،
 سلاطة غمام ، وسلافة مُدام ، وأي شيء اصطحب إلا انتحب ؟! الراحةُ
 - أعزك الله - في الانفراد ، ولا بدءاً من الإصدار للنوي الإيراد ، فاحمد
 الله على نوع من الوداد ، غريب الميلاد ، كأنما أصبح حبيساً^١ على الأبناء ،
 واستمر من الوفاء به على مثال حال البناء ، فما تغيّرت له حركة قط ،
 وأنتى ذلك ولا يرفّع ولا يُحطّ ، بل تُجدد نضارته ، وتؤكد - وقد
 أجدب ثرى كل ود - غصّارته ، فما شئت ليروح ذلك العلاء من شداً
 ذكي ، وعرف من زهر^٢ الثناء مسكي ، تندى بذكره ألد الشفاء ، وتحترم
 من الخلوف الأفواه^٣ .

ومنهم ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار^٤

وكان غربي المطلع ، شلبي المقطع ، شنبوسي^٥ المصيف والمربع ، إلا أن

.....

١ ط م : حمياً .

٢ ط م د : زهو ، وسقطت من س .

٣ عند نهاية هذا الفصل في ط بخط مختلف ، ما يفيد سقوط ترجمة الوزير أبي أيوب سليمان

ابن أبي مدينة وأبي الحسين القرشي العامري ، ولا وجود لهاتين الترجمتين في فهرس الذخيرة .

٤ ترجمته في وفيات الأعيان ٤ : ٤٢٥ والخريدة ٢ : ٧١ وبغية الملمس رقم : ٢٢٧ والمغرب

١ : ٣٨٩ والقلائد : ٨٣ والحلة السيرة ٢ : ١٣١ والمطرب : ١٦٩ والمعجب : ١٦٩

ورايات المبرزين : ٢٥ وأعمال الأعلام : ١٦٠ والنفع ١ : ٦٥٢ (نقل عن القلائد)

وانظر صفحات أخرى متفرقة ، والوافي ٤ : ٢٢٩ وهجر الذهبي ٣ : ٢٨٨ والشذرات

٣ : ٣٥٦ وللدكتور صلاح خالص مؤلف عنه جمع فيه شعره (بغداد ١٩٥٧) وللأستاذ

ثروت أباطه كتيب عنه (في سلسلة اقرأ) .

٥ ط م : شنبوسي .

شعره غرب وشرق ، وأشأم في نغم الحداة وعلى السنة الرواة وأعرق ؛
لا جرم فإنه كان شاعراً لا يجارى ، وساحراً لا يبارى ، إذا مدح استترل
العصم ، وإن هجا أسمع الصم ، وإن تغزل ، ولا سيما في المعذرين من
الغلمان ، أسمع سحراً لا يعرفه البيان ، وكيف لا يرغب في شعره ،
ويستأفس فيما ينفث به من سحره ، وهو يضرب في أنواع الإبداع بأعلى
السهام ، ويأخذ من التوليد والاختراع بأوفر الأقسام ، وقد أثبت منه في
هذا الديوان ، ما يشتمل على غرائب الحسنى والإحسان ، وأدرجت في
أثناء مقطوعات أشعاره ، نكتاً ولَمَعَاتٍ من نوادر أخباره ، وذكرت آخر
أمره مع المعتمد ومباشرة قتله [١٧١] له بيده ، وأجريت شرح صفة
الحال ، من المبدأ إلى المآل .

وكان قد نشأ والشعر بأفقنا أنفق ما عهدهت سوقه ، وأعمر ما كانت
إلى الجاه والمال طريقه ، فاتخذه مدّة صناعته ، ثم خلع بعد طاعته ،
رغبة عن نِحْلَةٍ سؤدها سؤال ، وأجودها كذب ومحال ، وكان أبو
بكر من نقائذ البوس ، ونوافض الجذّ البييس ، أحد من امترى أخلاف
الحرمان ، وقاسى شدائد الزمان ، وبات بين الدكّة والدكان ، واستحلّس
دهليز فلان وأبي فلان ، جرّت على رأسه من ذلك أحوال ، دلّت على أن
الدنيا إدبار وإقبال ، وأن عيش المرء فيها تهاويل وأهوال .

بلغني عنه أنه لزمته إحدى ليليه التكرات ، في أيامه المنكرات ، إلى
انتجاع بعض أعيان شلب ، أحد من طرفت عنه أعين التوب ،

.....
١ د : بعد ذلك

وَسَعِيدَ بِمَا كَانَ ابْنُ عِمَارٍ شَقِيًّا بِهِ مِنَ الْأَدَبِ ، فَاعْتَمَدَهُ بِأَيَّامِ عَمَلِهَا عَلَى سَبِيلٍ قَدْ تَنَكَّرَتْ لَهُ وَتَنَكَّرَ لَهَا ، وَبِنَفْسٍ لَوْلَا نَفَاسَتُهَا لَقَتَلُوهَا ، وَاتَّفَقَ أَنْ قَصَدَهُ بِهَا يَوْمَئِذٍ حِينَ جَنَحَتْ ذِكَاةُ ، وَصَبَّغَتْ الْغَيْطَانُ لَوْنَهَا السَّمَاءُ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنَ النَّهَارِ إِلَّا تَعْلَةُ عَلِيلٍ ، وَبُلُغَةُ ابْنِ سَبِيلٍ ، أَضْيِقُ مِنْ عُدْرٍ الْجَبَانِ فِي الْفِرَارِ ، وَأَقْصَرُ مِمَّا بَيْنَ الْحَيَةِ وَالْعَذَارِ ، فَلَمَّا أَنْشَدَهُ قِطْعَةَ شَعْرِهِ ، وَهَتَكَ لَهُ الْحِجَابَ سَاعِثُذٍ عَنْ وَجْهِ عُدْرِهِ ، أَسْرَّ إِلَى غَلَامِهِ بِكَلَامٍ قَصِيرٍ ، فَغَابَ عَنْهُ غَيْرَ كَبِيرٍ ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِ وَفِي يَدِهِ مِخْلَاةٌ شَعِيرٌ^١ ، وَقَالَ لَهُ : خُذْ مَا حَضَرَ ، وَأَنْتَ أَحَقُّ مَنْ عُدْرٍ . فَجَاشَتْ نَفْسُ ابْنِ عِمَارٍ جَيْشِيَّةً أَذْهَلَتْهُ عَنْ اسْمِهِ ، وَكَادَتْ تَسِيلُ عِرْقًا عَلَى جِسْمِهِ ، وَهَمَّ بِصَرْفِ نَائِلِهِ النَّزْرِ إِلَيْهِ ، فَفَكَّرَ فِي مُهَيِّرٍ كَانَ يَرْكَبُ عَلَيْهِ ، فَاحْتَمَلَ الْغَضَاضَةَ فِي قَبُولِ ذَلِكَ النَّيْلِ ، رَاجِعًا بِالْمَلَامَةِ عَلَى هَجُومِ اللَّيْلِ ، مُحْتَجًّا بِكُلِّ بَيْتٍ كَانَ حَفِظَهُ^٢ فِي إِثَارِ الْخَيْلِ ، وَقَامَ يَخْدُ الْأَرْضَ بِرِجْلَيْهِ ، وَيُدْمِي بِالْعَضِّ يَدَيْهِ . فَلَمَّا صَارَ ابْنُ عِمَارٍ إِلَى الْحَالِ الَّتِي وَسَّوَسَتْ لِلْعَصْفُورِ بِصَيْدِ الْعُقَابِ ، وَسَوَّلَتْ لِلْكَبِيرِ ارْتِجَاعَ الشَّبَابِ ، هَتَجَمَّ عَلَى مَنْزِلِ ذَلِكَ الرَّجُلِ ، وَقَدْ صَارَتْ إِلَيْهِ أَعْنَاقُ الدُّوَلِ ، وَغَصَّتِ الْأَرْضُ حَوَالِيَهُ بِالْخَيْلِ وَالْخَوَالِ ، فَقَامَ يَفْدِيهِ بِمَالِهِ ، وَيَحْسِبُهُ يَوْمَئِذٍ خَطِرَةً بِيَالِهِ ، أَوْ خُلُوعًا بِطَيْفِ خِيَالِهِ ، فَذَكَرَهُ ذَلِكَ الزَّمَانَ ، وَقَرَّرَهُ عَلَى مَا كَانَ ، وَالرَّجُلُ يُتَلَاشَى بَيْنَ الْوَجَلِ وَالْحَيَاءِ ، وَيَتَمَنَّى لَوْ ابْتَنَى نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ ، وَلَمْ يَرِمْنِهِ أَبُو بَكْرٍ ، حَتَّى أَخْرَجَ إِلَيْهِ قِطْعَةَ الشَّعْرِ ، فَبَرِيءٌ إِلَيْهِ ابْنُ عِمَارٍ مِنْ تِلْكَ الدَّنِيَّةِ ، وَأَعْطَاهُ مِخْلَاةً مَمْلُوءَةً بِدِرَاهِمٍ قَاسِمِيَّةٍ ، وَقَالَ لَهُ : لَوْلَا حُرْمَتُكَ

.....

١ د : من شعير .

٢ د : يحفظه .

لأَوْجَعْتُكَ أَدْبًا ، ولو ملأت تلك أمسِ بُرًا ، ملأت لك اليومَ هذه تبراً .
فسبحان من لا مُنَازِعَ له في خَلْقِهِ ، ولا عِترَاضَ عليه في قِسمَةِ رِزْقِهِ ، له
النِّعمَةُ السَّابِغَةُ ، والحِجَّةُ البَالِغَةُ .

ثم لحظ ابن عمَّارِ الاقبال ، وحالتُ به الحال ، وقُلِّدَ الأعمالَ
السلطانية فأتهمَّ فيها وأنجَدَ ، وقام بأعبائها وقعد ، ثم لحق آخرَ عمره ،
وبين يَدَيَّ إِدبارِ أمرِهِ ، بثغرِ سَرَ قُسطَةَ بعد خروجه من مرسية - في
خبر سيأتي ذكره - ولم يزل بذلك الثغرِ يترددُ ، وفسادُ حالِهِ عند المعتمد
يتريَّدُ ، إلى أن كان من خبره ما كان ، حسبما يأتي به الشرح والتبيان .

وأوَّلُ تعلقِهِ بالمعتمد كان حينَ وجَّهه لحربِ شِلْبِ أبوه المعتضد ،
فترع ابنُ عمَّارِ إليه ، وبلغ من المتزلة لديه ، أنْ غَلَبَ عليه ؛ وبعد انتبازه
شلب ، وفراغِهِ من تلك الحرب ، صَحِبَته بحضرةِ إشبيلية ،
وأحضره معه مجالسَ أنسِيهِ ، إلى أن أوجَسَ خيفةً في نفسه من أبيه المعتضد ،
ففرَّ عن البلد ، ولحق بشرق الأندلس ، وتمكَّنَ بها من المؤمن يوسف بن
أحمد بن هود ، فخاطب المعتمدَ بهذا القصيدِ الفريدِ^١ ، وقد أثبتُّ أكثرَهُ
لاشماله على البدائع ، فإنه من كلامه الرائعِ الرائعِ^٢ ، وأوله^٣ :

١ حلق ابن الأبار (الحلة ٢ : ١٤٨) حل هذا بقوله : « ومن فاحش الفلظ قول ابن بسام
ان ابن صمار قال هذه القصيدة لما خاف من المعتضد لعلَّه على ابنه المعتضد ، لأن هذا كان
قبل ٤٦٠ أو ٤٥٠ بينما تولى المؤمن في جمادى الأولى سنة ٤٧٤ .

٢ الرائع : سقطت من ط م س .

٣ انظر ابن خلكان ٤ : ٤٢٦ والخريدة ٢ : ٧٣ والواقي ٤ : ٥٤ والمعجب : ١٧٠ والنفع
١ : ١٩ وصلح خالص : ٢٠٩ - ٢١٩ ومعاهد التنصيص ٣ : ٧٥ والفريشي ٣ : ١٧٥ .

عليّ وإلا ما نباح الحمائم
وعني آثار الرعد صرخة طالب
وما لبست زهر النجوم حدادها
وهل شقت هوج الرياح جيوبها
خلوا بي إن لم نهدأوا كل سايح
من العابسات الدهم إلا التفاتة
طوى بي عرض البيد فوق قوائم
وخاض بي الظلماء حتى حسبته
ألا قاتل الله الجياد فأنها
أشلب ولا تنساب عبرة مشفق
كساها الحيا برّد الشباب فأنها
ذكرت بها عهد الصبا فكأنما
ليالي لا ألوي على رشد لائم
أنال سهادي عن جفون نواعس
وليل لنا بالسد بين معاطف

وفي وإلا ما بكاء الغمام^١
لثار وهز البرق صفحة صارم
لغيري ولا قامت له في مآتم [٧١ ب]
لغيري أو حنت حنين الروائم
لريح الصبا في إثره أنف راحم
إلى غرة أهدت له تغرر باسم
توهمتني^٢ منهن فوق قوادم
له مربوط بين النجوم العوام
نأت بي عن أرض العلا والمكارم
وحمص ولا تعتاد زفرة نادم
« بلادها عن الشباب تلامي »
قدحت بنار الشوق بين الحيازم
عناي ، ولا أثنيه عن غي هائم
وأجني عذابي من غصون نواعم
من النهر ينساب انسياب الأرقام

١ الوفيات والخريدة والمعاهد :

علي وإلا ما بكاء الغمام وفي وإلا فيم نوح الحمائم

٢ الخريدة : توهمته .

٣ الوفيات والخريدة : من عيون .

٤ الخريدة : وقوم (اقرأ : ويوم) .

بحيثُ اتخذنا الروضَ جاراً تزورنا
 يبلِّغُنَا أنفاسَهُ ففردُها
 تسيرُ إلينا ثمَّ عنَّا كأنَّها
 سقتنا بها الشمسُ النجومَ وَمَنُ بدت
 وبتنا بلا واشٍ يُحسُّ كأنَّما
 هو العيشُ لاما أشتكبه من السرى
 وصحبةِ قومٍ لم يُهتدبْ طباعهم
 صمالكُ هاموا بالفلا فتدرَّعوا
 زدامي وما غيرُ السيوفِ أزاهري

هداياه في أيدي الرياح النوام
 بأعطرِ أنفاسٍ وأذكي لناسم^١
 حواسدُ تمشي بيننا بالنَّمام
 له الشمسُ في قِطْعٍ من الليل فاحم
 حلتلنا مكانَ السرِّ من صدرِ كاتم
 إل كلِّ نغريِ أهلٍ مثلِ طامم
 لقاءُ أديبٍ أو نواذرُ عالم
 جلودَ الأفاعي تحت بيضِ النعائم
 لديهم وما غير الغمودِ كئامي

يجري ابنُ عمَّارٍ في أكثر ما له من الأشعار جريَ الجموح ، ولا يقنع
 بالكناية عن مذهبه إلاَّ بالتصريح ، لأنه كان - - - سمح الله له - - مع ما
 مكَّن في^٢ دهره من تدير الاقليم ، او انبسطت بنائه في التأخير والتقديم ،
 واجترأ على الأيام ، واقتاد من الجماهير العظام ، زيرَ قيانٍ وغلمان ، وصریح^٣
 راجٍ وريحان ، أمَّتهُ - - زعموا - - كان بين شُرْبِ كاس ، وشمِّ آس ،
 وجَدَّكُهُ في نصبِ حباله ، لغزالٍ أو غزالة ، ترى ذلك كثيراً في أشعاره ،
 وتسمعه أثناء أخباره ، حتى ثلَّ ذلك عرشه ، وأوهنَ بطشه ، وطأطأ من
 سموه ، وساقه صاغراً إلى يد عدوه ، ألانراه كلما نظم أو نثر ، <تفتى> بالنَّاي^٤

١ خالص : مناسب .

٢ ط م : من .

٣ م ط س : وصریح .

٤ م ط س : بالثاني .

والوتر ، ونحلى بالحسن والخور^١ ، وعاب على أهل سرقسطة وأنكر^٢ ، من
هيئات الثغور ما عرف^٣ ، ووصفهم بما وصف ، كأنه لم يسمع قول الأول :
ومن تكن الحضارة أعجبته فأى رجالٍ باديةٍ ترانا^٤

ولا قول أبي العلاء^٥ :

من كل أروع لم تأثر ضمائرهُ^٦ للشمِ خدٌ ولا تقبيلِ ذي أشترِ [١٧٢]
لكن يقبلُ فوه مِسْمَعِي فَرَسِ مقابلِ الخلقِ بين الشمسِ والقمرِ

إلى غير ذلك مما هو أوضح ، من أن يُشْرَحَ ، في أكثر الأشعار ؛ وما
ينقضي عجبى من ابن عمار أن ينكر تلك الهيئة ، على أهل ثغر ، أبناء قتلى
وبقايا أسر ، قلما خلوا من هبئة من النصارى ، إذ مسافة ما بينهم أقصر
من إبهام الحبارى ، وبلدهم مسجّر عواليهم ، وموقد صاليهم ، ومخفق
أعلامهم ، وذريّة سهامهم .

وفي هذه القصيدة يقول :

وما حالٌ منْ نخلِي بلادِ أعرابٍ^٦ وألقتْ به الأقدارُ أرضَ أعاجمِ

.....

١ م ط س : بالجن والخور .

٢ ط : وأكثر .

٣ بحاشية ط هنا تعليق بخط مختلف منقول من القلائد .

٤ هو القطامي ، انظر ديوانه : ٧٦ .

٥ شروح السقط : ١٤٤ .

٦ خالص : وما حال من ربه أرض أعراب .

يقبَحُ لي قومٌ مقاميَ عندهم^١
 يقولون لي دَعُ أَيْدِي العيسِ لِنِهَا
 فديتهمُ لم يبعثوا حِرْصَ عاجزٍ
 ولكنها الأيَامُ غيرُ حوافلٍ
 واني لأدعو لو دعوتُ لسامعٍ
 أريد حياةَ البينِ ، والبينُ قاتلٍ
 وتنبُثتُ إخوانَ الصفاءِ تغيَّروا
 لقد عتبوا ظلماً على غيرِ عاتبٍ^٢
 ولو أنَّ عَفَواً من هنالك زارني
 أجرٌ ذبولَ الليلِ سابغةَ الدجى
 فأوردُ ودِّي صافياً كلَّ شامتٍ^٣
 وأغضي لمن يلقى بوجهٍ مُكارهٍ
 وما هو إلا لثمٌ كفُّ محمدٍ
 إن اتفقتُ لي فالعدوُّ مُساعدٍ^٤
 وأيُّ حياءٍ طيَّبه أيُّ سورةٍ

وفيها يقول :

.....

١ خالص : بينهم .

٢ خالص : وإني لأفكر .

٣ خالص : سخطوا . . . ساخط .

٤ خالص : شارب .

٥ خالص : موافقي .

وقد رَسَقَت رِجْلُ السرى في الأدهم
 تؤدِّي إلى أيدي الملوكِ الخضارم
 ولا نبَّهوا إذ نبَّهوا طَرَفَ قائم
 يلزِبُ أريبٍ أو حَزَامَةَ حازم
 مجيبٍ وأشكو^٥ لو شكوتُ لراحم
 وأرجو انتصارَ الدهرِ ، والدهرُ ظالمي
 وذموا الرضى من عهدي المتقادم
 عليهمُ ولاموا ضلَّةً غيرَ لائم
 لزرتُ وما عدوُّ الزمانِ بدائم
 وأركبُ ظهرَ العزمِ صعبَ الشكائم
 وألبسُ حمدي صافياً كلَّ شائم
 حياءً فألقاه بوجهٍ مكارم
 وتمكينُ كفي من نواصي المظالم
 على كلِّ حالٍ والزمانُ مسالمي
 كما كَمَنْتُ في الروضِ دُهمُ الأرقام

له هزة في الجودِ معتضديةً
إذا نَشَرَتْ لحمٌ بذكرها فخرها
أبي أن يراهُ اللهُ غيرَ مُقَلَّدِ
ومَنٌ مثلُ عبَادِ ومَنٌ مثلُ قومه
أليكني بالتسليم منهم إلى في
إذا ركبوا فانظره أولَ طاعنِ
أخرٌ ٣ مكينٌ في القلوبِ محببٌ
توباً من لحمٍ وناهيك مقعداً
أبا القاسمِ أقبلها إليك فلانما
حُمَّةٌ عذراً فإنك جُمَّةٌ
أنا العبدُ في ثوبِ الخضوعِ لو أنني
وما عزٌّ في الدنيا مرادٌ لمجدبٍ
ولكنٌ ذاك الظلُّ أُندي غضارةٌ
وإني إذا أنصفت بَعْدَكَ خادمٌ
لعمري لقد أفحمتُ كل مفاخرِ
أنازعه فيك الثناءَ فيثني
تراك تنسَّمت الذي قد أذعتهُ

تهزُّ إلى التشتيتِ شَمَلِ الدراهم
طَوَتْ طيءٌ من خجلةٍ ذِكْرَ حاتمِ
حِمَالَةَ سيفٍ أو حمالةَ غارمِ
ليوثِ حروبٍ أو بدورِ مواسمِ
تهادى به جُرْدُ العناقِ الصلادمِ
وإن نزلوا فارصُدُهُ آخرَ طاعمِ
إليها عظيمٌ في نفوسِ الأعظمِ
مكانَ رسولِ الله من آلِ هاشمِ
ثناؤك مسكي والقواني لطائمي
من الفضلِ لم أستوفها بتراجمِ [٧٢ب]
أرى البدرَ تاجي والنجومَ خواتمي
ولا اعتاصَ في الآفاقِ وردٌ لحائمِ
لضاحٍ وذاك البرقُ أشفى لشائمِ
لدهري وكان الدهرُ عندك خادمي
لما فيك من تلك السجايا الكرائمِ
كأنِّي نازعت الكؤوسَ منادمي
فأرضاك أم غابت عليك مقادمي

١ خالص : منهم بالسلام .

٢ ورد في الرواقي للرندي : ١٠٢ .

٣ م ط : أعز .

٤ خالص : طلاب لما جد .

٥ م : الأيام .

٦ د : مغارمي .

ولا غرو أن حيثك بالطيب روضة^١ سمحت لها بالعارض المتراكم

قال ابن بسّام : أما معاني هذه^١ القصيدة فمحنة مسلوكة ، ومُضغمة^٢ ملكوكة ، قد كثر تجاذب الشعراء أهدابها ، وقرعوا بابها ، حتى صارت كالحمل المدلل ، والمهنيع من السبل . فمن سلك من أهل أفقنا هذا السنن^٣ ، أبو الأصبح عيسى بن الحسن^٣ ، من شعر كتب به من سجن ابن أبي عامر ، يقول فيه :

وإن سمعت أذناك للورق رنة^٤ فحزني يبكيها وفرط تفجعي
وإن هطلت يوماً على الأرض مزنة^٤ فلي سمحت بالدمع في كل مربع

وهو شعر ضعيف ، بين التكليف .

وقال يوسف بن هارون الرمادي :

على كدي تهمي السحاب وتلدرف^٤ ومن شجني تبكي الحمام وتهتف^٤

١ د : أول هذه .

٢ د : السيل .

٣ أحد شعراء الدولة العامرية ، باطن عبد الله بن المنصور ، فلما ضرب أبوه عنقه سجن أبا الأصبح هذا ، وهو يشكو في شعره طول سجنه بقوله :

ليت شعري كيف البلاد وكيف النا س والوحش والسما والماء
طال عهدي عن كل ذلك وليلي ونهاري في مقلي سواء

أنظر المغرب ١ : ٢٠٦ - ٢٠٧ .

٤ المطمح : ٧٣ .

وما أحسن قول أبي الوليد بن زيدون من قصيدة قد تقدمت ، أومها^١ :
لم يأن أن تبكي الغمامُ على مثلي ويطلب ثأري البرقُ مُنصَلتَ النصل
ولما قتل الوزير الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم^٢ بمدينة الأشبونة ،
رفع الله منزله ، وقَتَلَ قَاتِلَهُ ، قال بعضُ أهلِ العصرِ فيه يرثيه :

غَلِيكَ ابنَ إبراهيمَ تبكي الغمامُ وفيك إذا ناحتُ تنوحُ الحمائمُ
فلا يأمنوا رعدَ السماءِ وبرقَهُ فما هي إلا أنصُلٌ وغمامُ
وقلّ لنعش سار شِلْوُوكَ فيه أنْ يرى لبني نعشٍ عليك ماتم
وأن تلبس الزهُرُ النجومُ حدادَها عليك وتبكيك العلاءُ والمكارم
وتنتثرَ الجوزاءُ من نَظْمِ عقدها وتسقط من كف الثريا الخواتم

وقول ابن عمار : « لريح الصبأ في إثره أنفُ راغم » هو أيضاً من
متداولات المعاني ، منها قولُ محمد بن هاني^٣ :

وأجلُ عِلْمِ البرقِ فيها أنها مرّتْ بِحاشيتيه وهي ظنونُ
وقال المعري^٤ :

ولما لم يسابقهنَّ شيءٌ من الأشياءِ سابقتنَّ الظلالا

١ ديوان ابن زيدون : ٢٦١ ، والذخيرة ١ : ٣٥١ .

٢ ذكره ابن بسام في القسم الثالث : ٨٦٣ ، وذكر أن الذين قتلوه هم آل أعطل ، وأورد
لأبي عامر الأصبلي قصيدة في رثائه : ٨٦٦ .

٣ ديوان ابن هاني : ١٧٥ .

٤ شروح السقط : ٤٦ .

٥ شروح السقط : من الحيوان .

وقوله : « من العاساتِ الدُّهُمِ . . . » كقولِ ابنِ نُبَاتَةَ يصفُ فرساً
أغرَّ محجلَ الأربع^١ :

وكانما لطمَ الصبَّاحُ جبينَهُ فاقصرَ منه فخاضَ في أحشائه

على أن^٢ ابن الرومي قرَّبَ له مرَّماه ، وإن كان في غير معناه ، حيث
يقول في صفة الشُّمُولِ^٣ : [١٧٣]

أخذتُ من رؤوسِ قومٍ كرامٍ ثارها عند أَرْجُلِ الأَعلاجِ

وقوله : « تسيرُ إلينا ثم عنا » . . . البيت ، ينظر من طرف خفي^٤ ، إلى
قول الرضي^٥ :

وأمتِ الرِّيحُ كالغيري تجاذبنا على الكتيبِ فضولَ الرِّيطِ والمم

والذي عوَّل عليه الرضي قولُ ابنِ المعتز^٦ :

والريحُ تجذبُ أطرافَ الردامِ كما أفضى الشفيقُ إلى تنبيهِ وسنانِ

وبهذا ألمَّ ابنُ نُبَاتَةَ في قوله^٧ :

إذا ما الصبَّحُ أسفَرَ نبتَهتي جنوباً مسها مسُ الشفيقِ

١ البيتة ٣ : ٣٩٢ وابن خلكان ٣ : ١٩٠ ورفح الحجب ١ : ٨٦ .

٢ ديوان ابن الرومي : ٤٩٠ ورفح الحجب : ١٥٠ .

٣ ديوان الرضي : ٢٧٤ والخيرة ١ : ٣٦٥ .

٤ الخيرة ١ : ٣٦٥ .

٥ البيتة ٣ : ٣٩٤ .

وقوله : « وتمكينُ كفتي من نواصي المظالم » منتصبٌ من قول أبي الطيب^١ :

كأنَّ رحيلي كان من كفٍّ طاهرٍ فأنبتَ كُوري في ظهوري^٢ المواهبِ

وقوله : « وأيُّ حياءٍ طيِّبه أيّ سورةٍ » كقول الآخر :

لا تفرّنتك هذه الأوجهُ الغرُّ فيا ربَّ حيةٍ في رياضِ

وقوله : « إذا ركبوا فانظره أولَ طاعنٍ » . . . البيت ، معنى قديم ، وأول من أثاره ، ورفع مناره ، عنتره^٣ بقوله^٤ :

يخبركِ منْ شهيدِ الوقائعِ أنتي أغشى الوغى وأعفُ عند المغنمِ

ولما قتلَ عليُّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، عمرو بن ود^٥ يوم الأحزاب وسقط وانكشف ، قال^٦ :

وعففتُ عن أثوابه ولو أني كنتُ المقتطراً^٦ بزني أثوابي

وقال أبو تمام^٧ :

.....

١ ديوان المتنبي : ٢١٠ .

٢ ط م : أكف .

٣ ديوان عنتره : ٢٠٩ .

٤ م ط : أد . .

٥ عيون الأثر ٢ : ٦١ .

٦ د : المقتطر .

٧ ديوان أبي تمام ١ : ٧١ .

إنَّ الأسودَ أسودَ الغابِ همتها يومَ الكريهةِ في المسلوبِ لا السلبِ

وقال المعري^١ :

أدنى الفوارسِ من يُغيرُ لمغمٍ فلجملٌ مُفاركٌ للمكارمِ تُكْرَمِ

والتناسبُ في الألفاظِ والمعاني حبلٌ يتصل ولا ينفصل ، وإنما نلّمعُ منها
باليسير اللطيف ، وقد اندرج منها جملةٌ وافرةٌ في تضاعيف هذا التصنيف .

وقال ابن عمار من قصيدة في المعتضدِ عبّاد أوّلها^٢ :

أشاقك برقٌ أم جفاك حبيبٌ فليلك فضاوضُ الرّدامِ رحيبُ

يقول فيها :

إلى الله أشكو أن مالِكٍ في دمي أتدرين من كلّفت عينك قتله
ستنصره من مهرة الخيل ترمي تساموا بلخمٍ فاستهلت سماؤهم
بدورٌ ولكنّ السماء محاربٌ وأسندٌ ولكنّ العرين حروب
لأفشي سرّاً صمّته قلوب بريء وإن كان الفتور يريب

١ شروح السقط : ٢٢٧ .

٢ خالص : ٢٠٥ ورفع الحجب ١ : ٦١ .

٣ د : فأشهد .

وكيف أرى في الغدر نهجاً لسالكٍ
فتىً نسخَ العذرَ اقتضاءً وفائه
أغرُّ ينيرُ الملكَ منه بكوكبٍ
وعهديّ بالسلكِ الوفيّ قريب
فلا تحكمني أنّ الوفاءَ غريب
له في سماءِ المشكلاتِ ثقب [٧٣ب]

وله فيه من أخرى ١ :

أدير الزجاجةَ فالنسيمُ قد انبرى
والصبحُ قد أهدى لنا كافورَهُ
والروضُ كالحسنا كساهُ زهرُهُ
أو كالغلامِ زها بوردي رياضيهِ
روضُ كأنّ النهرَ فيه معصمٌ
وتزههُ ربيعُ الصبا فتظنهُ
عبادُ المخضرُّ نائلُ كفه
قد أحُ زئدِ المجدِ لا ينفكُ من
يختالُ إذ يهبُ الخريدةَ كاعباً
أيقنتُ أني من ذراهِ بجنّةِ
وعلمتُ حقاً^٢ أنّ ربيّ مُخصبٌ
من لا توازنهُ الجبالُ إذا احتبي

والنجم قد صرّفَ العنانَ عن السرى
لما استردّ الليلُ منّا العنبرا
وشياً وقلدَهُ نداءُ جوهرها
خجلاً وتاه بأسهنّ معذراً
صافٍ أطلّ على رداءِ أخضرا
سيفَ ابنِ عبادٍ يُبددُ عسكرا
والجوُّ قد لبسَ الرداءَ الأخرى
نار الوغى إلاّ إلى نارِ القرى
والطرفَ أجردَ والحسامَ مجورها
لما سقاني من نداءِ الكوثر
لما سألتُ به الغمامَ الممطرا
من لا تسابقهُ الرياحُ إذا جرى

١ م : وقال أيضاً ، وانظر هذه القصيدة في القلائد : ٩٦ والمعجب : ١٧٣ والنفع : ١ : ٦٥٥
٣ : ١٩٤ والخريدة : ٢ : ٧٢ والواني : ٤ : ٢٣٠ والوفيات : ٤ : ٤٢٦ وخالص : ١٨٩
ورايات المبرزين : ٥٥ (٢٦ غ) والزيجان : ١ : ١٥٦ ب ورفع الحجب : ١ : ١٧٣ .

٢ ط م د : منها .

٣ ط د س : جدأ .

ماضٍ وصدراً الرمحُ يَكْنَهُمُ والظبا
لا خلقَ أقرأ^١ من شفارِ حسامِهِ
السيفُ أصدق^٢ من زيادِ خطبة^٣
وإليكَها كالروضِ زارته الصبَا
تَمَقَّتْهَا وشياً بذكرِكَ مُذْهِباً
من ذا ينافخي وذكركَ مندَل^٤
فلئن وجدتَ نسيمَ حمديّ عاطراً
تنبو، وأيدي الخيلِ تعرُّ في البُرى
إن كنتَ شبّهتَ المواكبَ أسطرا
في الحربِ إن كانتَ يمينكَ منبرا
وحنا عليها الطلُّ حتى نوراً
وفتقَّتْها مسكاً بحمدك أذفرا
أوردتهُ من نارِ فكري مجمرا
فلقد وجدتُ نسيمَ بركَ أعطرا

قوله : « لا خلقَ أقرأ من شفارِ حسامِهِ » . . . البيت ، كأنه من قول
محمد بن هاني^٣ :

ولم أرَ أنفدَ من كُتْبِهِ إِذَا جُعِلَ السيفُ حيثَ القلمُ

وذكر أن المعتد^٤ أقام برهةً بقرطبة يرفعُ بعضَ الأمور السلطانية فسثم
طلَّقَهُ ، وتذكَّرَ على عادته خُلُقَهُ ، ودعته دواعي نفسه ، إلى قبنته وكأسه ،
فاستشار يومئذٍ ابنَ عمار ، وكان خاطبه في ذلك بشعر^٥ ، وظنَّ عنده أهبةً ،

١ الخريدة : أفرى (والملاقة واضحة بين « أقرأ » والأسطر) .

٢ القلائد : أفصح .

٣ ديوان ابن هاني : ٢٨١ .

٤ بعض هذا النص في الحلقة ٢ : ١٣٢ .

٥ قال ابن الأبار (الحلقة ٢ : ١٣٢) : وسرى إلى ابن عمار أن المعتد كتب من قرطبة
إلى بعض كرائمه شعراً يعتذر فيه من اللحاق بها ، آخره : إن شاء ربي أو شاء ابن عمار ؛
فأجابه ابن عمار بهذه الأبيات : « مولاي عندي لما تهوى ... » ، وذلك ما حكاه أبو الطاهر
التميمي المرقسلي في ديوان شعر ابن عمار من جمعه ؛ وانظر خالص : ٢٣٦ .

إذ كانت عليه منه بعضُ الرقبة ، فوجده أهلكَ سراً ، وأقلَّ عن اللذات
صبراً ، وأشار عليه بتعطيل الثغرِ ، وإضاعة الأمر ، وجاوبه على ذلك بهذا
الشعر :

مولاي عندي لما تهوى مساعدة* كما تتابعَ خَطْفُ البارِقِ الساري
إن شئتَ في البحرِ فاركبْ ظهرَ ساجدةٍ* أو شئتَ في البرِّ فاركبْ ظهرَ طيارِ
حتى تحلَّ وحفظُ الله يكلؤنا* رحابَ قصرِكَ واتركني إلى داري
وقبلَ خَلْعِ نجادِ السيفِ فاسعَ إلى* ذاتِ الوشاحِ وخذْ للحبِّ بالثارِ
ضمماً ولنمأ يغني الحليُّ بينكما* كما تجاوبُ أطيَّارُ بأسحارِ [٧٤ أ]

ومعنى البيت الرابع من هذه القطعة ينظر إلى قول عبد المحسن الصوري
وأنشيدُ الأبيات لحسنها :

أفدي الذي زارني بالسيف مشتملاً* ولحظ عينيه أمضَى من مضاربه
فما خلعت نجادي في العناق له* حتى كساني نجاداً من ذوائبه
وكان أسعدتاً في نبلِ بُغْيَتِهِ* مَنْ كان في الحبِّ أشقانا بصاحبه

وقال ابن عمَّار للمعتضد^١ :

الكأسُ ظامئةٌ إلى يمناكا* والروضُ مرتاحٌ إلى لقيماكا
والدهرُ جارٍ في عنانِكَ لم تقلْ* هاتِ المنى إلا أجابَ بهاكا
فأدرِ بِأفاقِ الزجاجِ^٢ كواكباً* تحذتُ أكفَّ سقاتها أفلاكا

.....

١ خ بهامش ط : للمعتد : وانظر الخريدة ٢ . ٧٧ وخالص : ٢٠١ .

٢ الخريدة : بأفاق السرور .

راحاً إذا هبَّ النسيم حَسَبَتْهَا مسروقةَ الأنفاس من رِيَاكَا
 في مجلسٍ بسطَ الربيع بساطه زهراً ورقرقه عليكَ أراكَا
 سقطَ الندى فيه سُقوطَ نداكَا^١ وَجَلَّتْ عليه الشمس مثلَ سناكَا
 يسري على رِيحَانِهِ نَفَسَ الصَّبَا سَحَرَاً فيوهم أنه ذكراكَا
 رِدْ مودَ اللذاتِ عذباً صافياً فلقد وردتَ المجدَّ قبلَ كدراكَا

قال ابن بسّام وأخبرني الحكيم النديم أبو بكر ابن الاشيلي ، قال :
 حضرت مجلس أنسٍ مع أبي بكر بن عمار بقصر الرشيد بن المعتمد ، فلما
 دارت الكأس ، وتمكّن الأنس ، وغنّيته أصواتاً ، وذهب به الطرب كلَّ
 مَدْهُبٍ ، قال ابن عمار ارتجالاً^٢ :

ما ضرَّ أن قيلَ إسحاق ومُوصِلُهُ ها أنتَ أنتَ وذِي حمصٍ وإسحاقُ
 أنتَ الرشيدَ ودَعُ من قد سمعتَ به وإن تشابهَ أخلاقُ وأعراقُ
 لله دركٌ دَارِكُهَا مشعشةٌ واحفزُ بِسَاقِيكَ ما قامتَ بنا ساقُ

وقال في المعتمد في حين نزولهٍ بعضَ الحصون^٣ :

على اليُمْنِ والطائرِ السَّانِحِ نَزَلْتَ وَغَيْرِكَ للبارِحِ
 وما اهتجتَ إلاً وقد هَيَّجَتْكَ دواعٍ إلى البلدِ النَّارِحِ
 وإلاً فكم خفَّ من خفٍّ جهلاً^٤ فما هزَّ من حلمك الراجِحِ

١ نداكا : لا وجه للتثنية هنا ، ولعل الصواب « نداكا » .

٢ خالص : ٢٣٣ .

٣ خالص : ٢٢٥ .

٤ اضطرب هذا الشطر في م فجاه : « وإلا فكم خف جهلا من خف » .

تطلبُ حقوقكَ لا لائمٌ فقد بينَ الصبحُ للأمع
ومن يعترضكَ بأوداجِهِ فكلمهُ إلى سعدكَ الذابح
وكم يزعجونَ وكم ينصحونَ فما يقبلونَ منَ الناصح
وما كان أنصتَهُم لو رموا زنادَ الوضي ليدِ القادح
ولا عجبٌ لثبوتِ القلاعِ على بأسِكَ الهادمِ الناطح
فلولا امتناعُ الفتاةِ الكتابِ لما كملتُ لذةُ الناكحِ [٧٤ب]
خلعتَ الكرى في طلابِ العلا على نائمٍ دونها طافح
هنيئاً فانتَ ملكُ الملوكِ فقد صرحَ الجدُّ للمازح
وما أخرتني عنكَ النجومُ يا غرةَ القمرِ اللائح
ولا النهرُ لم يتثنى عن ورودِ ندى بحركِ الزأخرِ الطافح

وهذا البيت الأخير ، كأنه إلى بيت المتنبي بشيراً :

قواصدُ كافورٍ تواركُ غيره ومن قصدُ البحرِ استقلَّ السواقيا

وقوله : « ومن يعترضك بأوداجه » من قول الآخر في سعدٍ ، حاجبِ

ابن خاقان :

يا حاجبَ الوزراء إنك عندهم سعدٌ ولكن أنت سعدُ الذابحِ °

.....

١ ط د م س : نيا .

٢ ديوان المتنبي : ٤٤٠ .

٣ د : ركب .

٤ هو البحري ، انظر ديوانه : ٤٦٢ .

٥ يعد هذا البيت يبدأ بحرم في م س .

وفيه أيضاً يقول البحري^١ :
 سمّاه سعداً للتناؤل باسمه حقاً^٢ لقد ألفاه سعدَ الدايحِ
 والمعريُّ القائل ما هو شبيه به ، وإن كان في غير مذهبه^٣ :
 يا سعدَ أجنبيةِ الذين تحمّلوا لَمّا ركبَتِ دعيتِ سعدَ المركبِ
 وقوله : « زناد الوغى ليد القادحِ ، وقد بيّن الصبح للآمح ، من
 المثلين المضروبين وهو قولهم : « قد بيّن الصبح لذي عينين^٤ » و« أعطِ القوس
 باريها^٥ » .

وقوله : « فلولا امتناع الفتاة الكعاب^٦ » . . . البيت ، كقول كشاجم :
 لولا اطرادُ الصيّدِ لم تك لذّةُ فتطاردِي لي بالوصالِ قليلاً^٧
 وأصلُ هذا المعنى المثلُ السائرُ : « تمنّعي أشهى لك^٨ » .

- ١ ديوان البحري : ٤٧٦٣ .
 ٢ الديوان : ظن أن يحيا به ، صري .
 ٣ شروح السقط : ١١٢٦ .
 ٤ المثل في فصل المقال : ٦١ والميداني ٢ : ٣١ والمسكري ٢ : ١٢٥ .
 ٥ فصل المقال : ٢٩٨ والميداني ١ : ٣١٣ والمسكري ١ : ٥٠ والفاخر : ٢٤٦ .
 ٦ انظر جمع الجواهر : ٦٥ وزهر الآداب : ١١ وتمام المتن : ٣٩٩ .
 ٧ الميداني ١ : ٧٤ .

ما وُجد له من شعره في النسب وما يناسبه

قال في غلام من عبيد ابن هود^١ :

وأحور^٢ من ظباء الروم عا ط بسالفتيه من دمعي فريد
نبيل الخلق جاني الخلق عبد^٣ هو المولى ونحن له عبيد
بكيث وقد دنا ونأى رضاه « وقد يبكي من الطرب الجليد^٤ »
قسا قلباً وسن^٥ عليه درعاً فباطنه وظاهره حديد
وإن^٥ فني تملكه بنقد^٥ وأحرز رفته^٥ لفق^٥ سعيد

وَسَجَنَ الْمُؤْتَمَنُ يَوْمًا هَذَا الْغَلَامَ لِبَعْضِ الْأَمْرِ فَتَخَلَّفَ ابْنُ عِمَارٍ عَنِ
الرُّكُوبِ لِلْقَصْرِ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ^٥ :

أنا المطبق المسجون لا من سجنته^٥ وأطبقته فانظر لعبدك أودع
حرام^٥ حرام^٥ أن تراني عين من^٥ تراه فان شئت ارنجاعي فارجع
وياحسنا حال الود إن سمحت يد^٥ ولقبت فيها بالشفيع المشفع

فضحك المؤتمن وأخرج ذلك الغلام .

- ١ انظر قلائد المقيان : ٩٤ والمطرب : ١٧٢ وخالص : ٢٩٩ والنفع : ٣ : ٢٢٨ والواني
لرندي : ٧٦ والمسلك السهل : ٤٣٦ .
٢ خ بهامش ط : وأغيد .
٣ مضمن صدره : « فقالوا قد جزعت فقلت كلا » (أمالي القاضي ١ : ٤٩ وروايته :
وهل يبكي) وانظر النخبة ١ : ٣٢٥ .
٤ النفع : وأحرز حسنه .
٥ خالص : ٣٠٠ .

وساير ابنُ عمَّارٍ في بعض الأسفار غلامين من بني جهور ، أحدهما أشقر والآخر عذاره أخضر ، فكان يميلُ بحديثه من ظهر دابته إلى الذي وصف منهما في هذه القطعة ، وهي من ملحمة النادرة ، وغرائب السائرة^١ :

تعلقتهُ جهوري^٢ النجاري حلو اللمي جوهرى الثنايا
من النفر البيض جروا الزمان رفاق الحواشي كرام السجايا [١٧٥]
ولا غرو أن تغرب الشارقات وتبقى محاسنها بالعشايا
ولا وصل إلا جمان الحديث نساقطه من ظهور المطايا
شتت المثلث للزعفران وميلت إلى خضرة في الثنايا^٣

ومعنى البيت الثالث منها من مشهور المعاني ، ومنها قول الطليق المرواني^٤ :

وإذا ما غربت في فيه تركت في الخلد منه شفقا

ومعنى البيت الرابع يشبه قول البحري ، ويتعلق به خبر حكاة الصولي

١ نفع الطيب ٣ : ٣٢٦ وعالص : ٢٥٤ ، والقصة والأبيات في القسم الرابع من الذخيرة (الورقة : ٤٠) .

٢ ط د : جوهرى .

٣ المثلث : عند الاندلسيين أنواع من الأطعمة يطلق عليها هذا الاسم منها المجبنة المثلثة ، والمثلث من رؤوس الخس (كتاب الطبخ : ٢٠١ ، ٢٢٢ ومعجم دوزي) وألوانها تغرب للصفرة لأن الزعفران يدخل في تركيبها ؛ والثنايا : من بسائط الأطعمة ، تحضر من لحم الضأن التي مضافاً إليه ملح وفلفل وكزبرة يابسة . . . (كتاب الطبخ : ٨٥ - ٨٨) والخضراء منها يضاف إليها ماء الكزبرة الرطبة .

٤ انظر نفع الطيب ٣ : ١٩٧ وقد وردت أبيات الطليق في القسم الأول من الذخيرة : ٥٦٥ .

عن يحيى ابنه ، قال ١ : لما ابتدأ أبي بعمل قصيدته في أبي الصقر ويهجو أحمد
ابن صالح ، التي أولها :

أَمِينٌ أَجَلٌ أَنْ أَقْوَى الْغَوِيْرُ فَوَاسِطُهُ

قلتُ له : لمَ ركبت هذه القافية الصعبة مع رجلٍ لا حظاً لك معه ؟ اركب
قافيةً سهلة ، فقال : لعمرى إن الكلام في القوافي السهلة أمكنُّ ، إلا أن
الحاذق لا يعملُ إلا جيِّداً في أي شيءٍ أخذ ، ثم رأيتُه قال في نسيبها :
ولمَّا التقينا واللوى موعدٌ لنا تعجَّبَ رائِي الدرَّ حسناً ولاقطه
فمن لؤلؤٍ تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤٍ عند الحديث تساقطه
فطابت نفسي وقلت : ليقلُّ بعد هذا ما أراد ، فقد أجاد وزاد .

وشبيه بهذا قول بعضهم ٢ :

كَلَّمَتْنِي فَقَلْتُ : دُرٌّ سَقِيظٌ فَتَأَمَّلْتُ عَقْدَهَا هَلْ تَنَازَرُ
وَزَادَهَا تَبَسُّمٌ فَأَرْتَنِي نَظْمَ دُرٍّ مِنْ التَّبَسُّمِ آخِرُ

وقال ابن عسار في مثل ما تقدّم من صنفته لأهل العذار ٣ :

- ١ أخبار البحري : ١٢١ - ١٢٢ وديوان البحري : ١٢٢٩ .
٢ ورد البيتان في الحلة السيراد : ٢٦٠ وكتاب التشبيهات : ١٤٤ والمسالك ١١ : ١٧٤
والمرقص والمطرب : ١٦ والدرة المضيئة ٦ : ٥٧٦ ورفع الحجب ١ : ١٢٤ . وينسبان
لمصحفي أو لابن فرج ، وقال المقرئ في النفع ١ : ٦٤ إن صاحب المطمع نسيبها للمصحفي ،
ولكنهما لم يردا في المطمع .
٣ قلائد المعيان : ٩٦ والنفع ١ : ٦٥٣ ، ٣ : ٣٢٨ وخالص : ٢٩٧ وهدائع البدائع : ٣٧٢
والريحان ١ : ١٥٦ ب .

وَهَوَيْتُهُ يُسْقِي الْمُدَامَ كَأَنَّهُ
 مَتَّارِجُ الْحَرَكَاتِ تَنْدَى رِيحُهُ^١
 يُسْقِي بِكَأْسٍ فِي أَنَامِلِ سَوْسَنِ
 عَنَّا بِكَأْسِكَ قَدْ كَفْتَنَا مَقْلَةً^٢
 يَا حَامِلَ السِّيفِ الطَّوِيلِ الْمُرْتَدَى^٣
 إِيَّاكَ إِيَّاكَ الْوَعَى^٤ مِنْ فَارِسٍ
 جَهْمٍ وَإِنْ حَسَرَ اللَّثَامَ فَإِنَّمَا
 سَلَّمَ فَقَدْ قَصَفَ الْقَنَا غُصْنُ النِّقَا
 قَمْرٌ يَدُورُ بِكَوْكَبٍ فِي مَجْلَسٍ
 كَالغُصْنِ هَزَّتْهُ الصَّبَا بِتَنْفُسٍ
 وَيَدِيرُ أُخْرَى مِنْ حَاجِرٍ نَرَجِسٍ
 حَوْرَاءُ قَائِمَةٌ بِسُكْرِ الْمَجْلَسِ
 وَمَصْرُفَ الْفَرَسِ الْقَصِيرِ الْمَحْبِسِ
 نَخْسِنُ الْقِنَاعَ عَلَى عِدَارٍ أَمْلَسِ
 رَفَعَ الظَّلَامَ عَنِ النَّهَارِ الْمَشْمَسِ
 وَسَطًا بَلِيثِ الْغَابِ ظُهْيُ الْمَكْنَسِ

ومعنى البيت الرابع كقول ذي الوزارتين ابن الحضرمي^٤ ، في رثاء غلام
 وسيم وكان اسمه فعال ، كان المتوكل يهواه ، ومات الغلام فرثاه ، فقال :

أَوْدَى فَعَالَ^١ فَلَهْفِي لَهُ وَلَهْفِي عَلَيْهِ^٢
 غَالَتْهُ^٣ أَيْدِي الْمَنَايَا وَكُنَّ^٤ فِي مَقْلَتِيهِ
 وَكَانَ يُسْقِي النَّدَامَى بِطَرْفِهِ وَيَدِيهِ
 غُصْنُ^٥ ذَوِي وَهَلَالٍ^٦ جَارَ الْكُسُوفِ عَلَيْهِ

- ١ النفع : متناوح . . . يندى عطفه .
 ٢ خ بهامش ط : نجاده (بخط مغاير لخط الأصل) .
 ٣ النفع : إياك بادرة الوعى .
 ٤ هو أبو الوليد ابن الحضرمي ، وزير للمتوكل بن الأظنن صاحب بطليوس ، فداخلة تيه
 وعجب وتجب ، كرهه من أجلها أصحاب الدولة فنزله المتوكل (المغرب ١ : ٣٦٥ والنفع
 ٣ : ٤٥٠ والشريشي ٤ : ١٢٤ . وفيه ثلاثة من الأبيات التي وردت هنا) .
 ٥ خ بهامش ط : وشوقي إليه .

وقال ابن عمّار :

غزا القلوبَ غزالٌ حجّتُ إليه العيونُ
قد خُطّ في الحدّ نونٌ وآخرُ الحسنِ نون

وكان له غلام وسيم يميل إليه ، فعتب في بعض الأمر عليه ، وزال عنه إلى دار الوزير أبي المطرف ابن الدبّاغ^١ ، فشفع له أبوالمطرف برقعة وصلها ذلك الغلام ، فكتب ابن عمّار إلى الوزير المذكور^٢ : [٧٥ب]

قرأتُ كتابك مستشفياً لهجه أبي الحسن من رده
ومن قبل فضي ختم الكتاب قرأتُ الشفاعة في خده^٣

وقال من قصيدة^٤ :

قالوا : أضرّ بك الهوى فأجبتهم
قلبي هو اختار السقام بحسبه
من قدّ قلبي إذ تثنى قدّه
أم من طوى الصبح المنير نقابه
يا حبّذا وحبّذا إضراره
زيّاً فخلّوه وما يختاره
وأقام عندي إذ أطلّ عذاره
وأحاط بالليل البهيم خماره

منها :

- ١ وردت ترجمته في القمم الثالث : ٢٥١ .
- ٢ النفع ٤ : ٧٣ ، ٣٠٦ وخالص : ٢٤٤ .
- ٣ هنا ينتهي السقط في م نس .
- ٤ المعجب : ١٧١ والقلائد : ٨٦ وخالص : ٢٢٠ .

عبرتموني بالنحول وإنما شرف المهتد أن ترق شفاؤه
فوحسبني لقد ابتديت لوصفه بالبخل لولا أن حمصاً داره
بلد متى أذكره تهيج^١ لوعي وإذا قدحت الزند طار شراره

ومن مقطوعاته الاخوانيات

اجتاز على بني عبد العزيز بيلنسية ، وكانوا يضمرون عداوته ، فأخرجوا
إليه ضيافات ، وتخلّفوا عن لقائه ، وناب في ذلك عنهم أقوام عوام^٢ ، فكتب
إليهم^٣ :

تاهيتم^٤ في برنا لو سمحتم^٥ بوجه صديق في اللقاء وسيم
وسلستم^٦ راح الباشة بيننا فما ضرر لو ساعدتم^٧ بنديم
سألتمس^٨ العذر الجميل عن العلا وأحتال^٩ للمجد احتيال^{١٠} كريم
وأني على روض الطلاقة بالحنى وان لم أفر من طيبه^{١١} بنسيم
ضنتم^{١٢} بأعلاق^{١٣} الرجال على النوى فلم^{١٤} تصلونا منهم^{١٥} بزعيم

١ القلائد : انتدبت .

٢ القلائد : ميج .

٣ القلائد : ٩٠ والخريدة ٢ : ٨١ والحلة ٢ : ١٤٥ وخالص : ٢٧٨ .

٤ القلائد والخريدة والحلة : للفضل .

٥ م : بالحيا . . . القلائد والخريدة والحلة : من نشره .

٦ الحلة : بظلم بأعيان .

٧ ط م : ولم .

واستهدى منه بعضُ إخوانه خمرآ، فبعث بها مع تفاحتين ورمّانيتين
وكتب مع ذلك^١ :

خُذْهَا مِثْلَ مَا اسْتَهْدَيْتُمُوهَا عروساً لا تُزَفُّ. إلى اللثامِ
ودونكمُ بها ثديي فتاةٍ أضفتُ إليهما خدّي غلامِ

وأهدى إلى ذي الوزارتين ابن لبون تفاحاً وإجاصاً، وكتب معهما^٢ :

خُذْهَا كَمَا سَفَرْتُ إِلَيْكَ خَدُودُ^٣ أو أوجست في راحتك نهودُ
خُذْهَا مِنَ التَّفَاحِ نَشْرَأُ^٤ بينها ولها بأغصان الجنان عقود
وَشَفَعْتُ بِالْإِجَاصِ قَصِداً إِنَّهُ شَكْلُ الْجَمَالِ وَحُدُّهُ^٥ المحلود
عُذْراً إِلَيْكَ فَإِنَّمَا هِيَ أَوْجُهُ^٥ بيضٌ تقابلها عيونٌ سود
إِيهِ^٥ وعندي من فراقك لوعةٌ يعزى إليها ثابتٌ ويزيد
أَفْطَرْتُ مِنْ صَوْمِي بَغْرَتِكَ الَّتِي كَانَتْ هَلَالاً^٥ كان عنه العيدُ
لِللَّيْتِنَا الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا هَذَا الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ مَحْسُودُ

وكتب إليه ابن لبون بهذه الأبيات^٥ :

خُتِمَتَ بِعَصْرِكَ أَعْصِرِ الْأَجْوَادِ وَعَنَتَ لِلذِّكْرِكَ أَلْسُنَ الْوَرَادِ
وَسَبَقَتْ أَمْلَاكَ الزَّمَانَ إِلَى مَدَى ضَلُّوهُ حَتَّى كُنْتَ أَنْتَ الْهَادِي

١ خالص : ٢٦٤ .

٢ خالص : ٢٦٣ .

٣ م ط س : نثرأ .

٤ وقع البيت في م س وهامش ط .

٥ القلائد : ٩٣ .

وغدوت أكثرهم حسوداً في العلا
 وبدا بفضلك نقص كل معاند
 ففقت بمغناك العيون فقابلت^١
 وأتتكَ وافدة الركاب فقابلت
 وصدرن قد حُمَّلن عنك عوارفاً
 فضل أرانا جود حاتم طيء
 إليه أبا بكر أتظلم ساحتي
 عجباً لو عدك كيف تُمسك يدي
 ولستيب جودك كيف لم تسمح به
 لاني لمعتقد إخوانك موثلي
 وأصول منك على الزمان بمنصل
 فسقى ديارك نائياً أو دانياً^٤
 ولئن رحلت لقد حلت بمنزل

إن الكريم طليبة الحساد [١٧٦]
 تبيّن الأشياء بالاضداد
 أسد العرين به وبدر^٢ النادي
 أمّل الحريص ومنية^٣ المرتاد
 أصبحن كالأطواق في الأجياد
 وفخار كعب في قبيل إياد
 ظلماً وصبح العدل عندك بادي
 موصولة الأفعال بالأوعاد
 لصحيح ظني أو صريح ودادي
 وأرى وفاءك معقبي وسنادي
 جعل الطلي بدلاً من الأعماد
 صوب الغمام المستهل الغادي
 من نور عيني أو سواد فؤادي

فأجابه ابن عمار بهذه القصيدة الفريدة التي برز فيها، وأحسن ما شاء
 في ألفاظها ومعانيها ، وأولها * :

عطّلت من حناني السروج جيادي وسلبت أعناق الرجال صعادي
 وثبت عزمي عن مسير هزني سعدي إليه وحشي إسعادي

١ القلائد : فلاحظت .

٢ خ بهامش ط : ولاح بدر .

٣ القلائد وخ بهامش ط : ونجمة .

٤ القلائد : دانياً أو نائياً .

٥ القلائد : ٩٣ وخالص : ٢٧٢ .

وَسَلَّتْ مِنْ ثُوبِ المَرُوءَةِ وَالوفا ثُوبِي وَحَلَّتْ عَلَي بَنِي عِبَاد
 إِنَّ لَمْ أَحِلِّكَ مِنْ فُؤادِي مِثْرًا يُنِيكَ أَنْكَ مالِكٌ لِقِيادِي
 وَأَخْصَّ جَانِبَكَ الرَفِيعَ بِخِدمَةٍ أَسْقِيكَ صَفوً أَحَبَّةً وَأَعادِي^٢
 وَأَرِدُ بِذِكْرِكَ مِنْ ثَنائِي رِوضَةً غَناءَ حَالِيَةٍ بِنُورِ وِدادِي
 حَتَّى تَبَيَّنَ أَنَّ غَرَسَكَ قَدْ دَنَا بِبِحْنِي وَزَرَعَكَ قَدْ أَنَى لِحِصادِ

قال ابن بسام : وكان هذه الأقسام التي جرت على لسانه وحلف بها
 أجيت عنه ، فإنه لم يرجع إلى إشبيلية بعد من سفرته تلك لشيء صفا له ،
 ولا رفا ، لابن عبّاد ولا وفي له .

وذكرت بهذه الأقسام - إذ الشيء بالشيء يُدْكَرُ ، إذا كان من واديه
 أو تعلق بالفاظه ومعانيه - خبراً نقلته من خط الوزير أبي عامر ابن مسلحة ،
 في كتابه المترجم ؛ « الحديقة » قال : كنا يوماً في مجلس أنسٍ مع أبي جعفر
 ابن الأبار ، فغني بشعر الأشر في التحريض على معاوية ، حيث يقول^٥ :

بَقِيَّتُ وَقَرِي وانحرفتُ عن العلا ولقيتُ أضيافي بوجهِ عبوس
 إِنَّ لَمْ أَشُنَّ عَلَي ابنِ هِنْدٍ غارَةً لَمْ تَحُلْ يوماً مِنْ نهابِ نفوسِ

.....

١ القلائد : نغمي .

٢ د : وصلت .

٣ هذا البيت والذان بعده من هامش ط .

٤ رفا : مخفف من رفا بمعنى حابهاء ورفق به ؛ ط م د س : وفا .

٥ انظر البيتين في الإصابة ٦ ١٦٢٠ والحماسية رقم ٢٥ : (شرح المرزوقي : ١٤٩) .

٦ الحماسة : ابن حرب .

قال أبو عامر: فسألت ابن الأبار الردّ عليه، والانضمام على السلامة من ذكر أحدٍ ، حميةً للأُموية وولاءاً^١ إلى الحربية ، فقال على الارتجال، وقد أخذت منه الجريال :

غادرتُ عرضي عُرْضةً وأبجتهُ وتُركتُ نهب نفائسٍ ونفوسٍ
وقدفتُ أمّ المؤمنين تمرّداً وكفرتُ من حربٍ بكلّ رئيسٍ
إن لم نصبّحكم بكلّ مصمّمٍ وبكلّ ذِميرٍ في اللبوس عبوسٍ
خيلٍ كأمثالِ الأجادلِ فوقها ليس غطارفُ عامدون ليس^٢ [٧٦ب]
فلذا كسوناكم حِداد مآتمٍ أبنا بصافيةٍ الأديم عروسٍ
نسقيكمُ خمر الردى بصوارمٍ ونُعَلُّ من خمر المني بكؤوسٍ

قال أبو عامر : وقد سلّم ابنُ الأبار لتلك الطائفة المردود عليها ، وتخلّصَ اللطفَ تخلّص ، على أن الاشر ما سلم ولا كرم .

قال ابن بسّام : والذي وصف الوزيرُ أبو عامر من الحمية للأُموية ، وولائه لآل الحربية صحيح ، لأن جدّهم الأول أبان بن عبيد المعروف بالشرح^٣ مولى لمعاوية بن أبي سفيان ، أهديَ إليه من سبي البربر^٤، وأبان بن عبيد هو الداخل مع عبد الرحمن بن معاوية ، فأنزله بربض الرصافة من حضرة قرطبة ، وتلك التزل دورٌ يتوارثها بنو مسلمة من تاريخ دخول عبد الرحمن إلى وقتنا هذا ، فلها بأيديهم نيفٌ على أربعمائة سنة .

١ ط د م : ولواء .

٢ اليس : جمع أليس وهو الشجاع الذي لا يبالي الحرب .

٣ د : بالشرح ؛ م : بالشرح .

٤ نقل ابن سعيد هذا في المغرب ١ : ٩٧ .

وفي هذه القصيدة يقول ابن عمار :

يا سيدي وأنا الذي ناديتُهُ
أعطاك فضلَ الإبتداء ولو جرى
لله درُّ عقيلةٍ أبرزتَها
فراءُ عاطرةِ الدوائبِ واللمى
وصلتُ^١ إليَّ مع المساءِ فعارضتُ
خطُّ من النظمِ البديعِ أفادني
يفدي الصحيفةَ ناظري فيياضِها
أهدى تحيتك الزكيةَ طيبها
وشيَّ سخَّتَ يدُكَ الصنَّاعُ برقمه
ولقد تعيَّنَ لو أعانتَ قدرةً
لكن عجزتُ فما استقلَّ بنشأتِي
عُدراً ففبك لكلِّ طالبِ حُجَّةٍ
بك فاخر القلمُ القصيرُ فطاولَ الـ
فلكَ الفصاحةُ أو لسيفِكَ كلِّما
ثبتَ عليك حلي الوزارة مثلما
وتتوجت منك القيادة بالذي
أنت الحلال الحلورقُ طبيعةً

لرَضِيَّ فلبِّي منك خير منادي
ظلمٌ لأنكر أن تكونَ البادي
من خيِّدِرِ فكرك في حُلَى الإنشاد
غَيِّدَاءُ حاليةُ الطلى والهادي
صلةَ الحبيبِ أتى بلا ميعاد
حفظاً الكرامِ وخُطَّةَ الأجداد
ببياضهِ وسوادها بسوادٍ^٢
كافور قرطاسٍ ومسكٍ مدادٍ^٣
فكسوتنبيه مذهباً بأبادي
حَسُنَ الجزاءُ بها وهزُّ النادي
ماءُ الفراتِ ولا ثرى بغداد
خَصَمٌ ألدُّ ووجهُ عُدْرِ بادي
رُمَحَ الطويلِ كتابةً بطراد
استمطبتَ متني منبرٍ وجواد
حملَ الحسامِ عليه نبي نجاد
ترك الرياسة مهنة القواد
وصفا مزاجاً كالسحاب الغادي

١ خ بهامش ط : خلصت .

٢ ورد في الرايات : ٥٦ .

٣ هذا البيت والذي قبله من هامش ط .

٤ هذا البيت وخمسة أبيات بعده من هامش ط .

كتشرف الأيام بالأعياد
 كمكافة الآلاف في الأعداد
 شكري وقل له الفدا والفادي
 وبلغت أقصى غايي ومرادي
 ظلّ ونمت على وثير مهاد^١
 ونفضتها بزعانف أنكاد
 ضحك الطيب لها مع العواد
 ولقيت شدته^٢ بلين قياد
 طبع يسلى سخائم الأحقاد
 جذب ابن سفيان بضبع زياد
 واعتضت منه بطيب الميلاد
 منه على السرح الويل الصادي
 إن كنت محتاجاً إلى الإعداد
 يوماً بساطي حجة وجلاد [٧٧أ]
 وخصمت عنك بالسن الأعماد
 بك واعتمدني اتخذك عمادي
 وافيتني لرضاك بالمرصاد
 أعداء ثم بكثرة الحساد

امن معشر تتشرف الأذوا بهم
 جلوا فحلوا في الأنام مكانة^١
 أفديك من حرّ تعبد بره
 ولقد ظفرت من اقتبالك بالمنى
 وأرحت من تعبي بعهديك في ندى
 وشدت منك يدي بعلق مضنة
 يتعللون^٢ من الوفاء بعلنة
 جمحوا إلى ظلمي فسست جماهم
 واستبطنوا حقداً وبين جوانحي
 ولكم دعي في الإخاء أعرته^٣
 حتى إذا رفض الوفاء رفضته^٤
 لا ذنب لي في طرد سائمة الهوى
 أنا قد رضيتك فارضتي وأعدتني
 إني لمن إن دعوت لنصرة
 أذكيت دونك للعدا حدق القنا
 صلني أصيلك وصل فديتك بي أصيل^٤
 ولئن بدرت إلى رضاي فر بما
 وعلى تظاهرننا الضمان بقلّة ال

١ هذا البيت من هامش ط .

٢ خالص : متعللين .

٣ م س : شدتهم (وكذلك عند خالص) .

٤ م ط س : دحاك .

إيهٍ وقلت إلى الوفاء محرّكاً
وزعمت تُظلم ساحة ما بيننا
كلاًّ فما التسويفُ من خُلقي ولا
وهل التوت بهواك إلا لقيّة
أخطرتها وأكرُّ بعد إلى التي
لا بدّ من ذاك السّفارِ وان عدّتْ
سَتَرٌ إذا استبعدته فسأمتطي
خُدّها نتيجةً منكرٍ لودادها
حذراً من الردّ المخلّ فلانها

إيهٍ فما خطرتُ بعطف جمادُ
ظلماً وَصُبْحُ العدلِ عنديّ بادي
ليّ الجميلِ بعادةٍ من عادي
أحلى لعيني من لديدِ رقادِ
يدعو المطيّ لها ويشدو الحادي
عنه الليالي إنهنّ عوادي
حرصيّ ، وأجعلُ من ثنائك زادي
بَرِم بها قالٍ لها متفادي
بَعَثُ² الزيوف إلى بَدَيّ نقادِ

وكان بينه وبين حسام الدولة أبي مروان بن رزين تمكّن أنسٍ ، فاتفق
أن اجتاز على مقربة من بلده ، ولم يلتقيا ، فعتب ابن رزين عليه ، فكتب
ابن عمار إليه ٣ :

لقاؤكَ النُّجْحُ لو أعقبته ٤ سفري
وقصرك ٥ البيتُ لو أني قصدتُ به
لم تُثِنِ عنكَ عِناني سلوةٌ خَطَرَتُ

ووجهك الصبحُ لو أقبلكهُ نظري
حجّي ويمناكَ منه موضعُ الحجرِ
على فؤادي ولا سمعي ولا بصري

١ هذا البيت مقدم عن موضعه عند خالص .

٢ خالص : فأتما أهدي .

٣ خالص : ٢٦٢ .

٤ ط د س م : أعفيته .

٥ س : وقصدك .

لكن عَدَّتْني عَنْكُمْ حَجَلَةٌ عَرَضَتْ كَفَانِي العَدْرَ فِيهَا بَيْتٌ مَعْتَدِرٌ
« لو اِخْتَصَرْتُمْ مِنَ الإِحْسَانِ زُرَّتْكُمْ وَالْعَذْبُ يُهْجِرُ للإِفْرَاطِ فِي الخَصْرِ »^١

وما قِيلَ فِي العَجْزِ عَنِ الشُّكْرِ ، بِكثرةِ البِرِّ ، أَحْسَنُ مِنْ بَيْتِ المَعْرِي
هَذَا ، وَقَدْ تَضَمَّنَهُ ابْنُ عَمَّارٍ أَحْسَنَ تَضَمِينٍ .

وَنَزَلَ ابْنُ عَمَّارٍ فِي بَعْضِ حَرَكَاتِهِ بِحِصْنِ شَقُورَةَ ، وَانْقَبَضُوا عَنِ
لِقَائِهِ اسْتِيحَاشًا مِنْهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ^٢ :

الإِخْوَانَتَا هَلْ حَالَ مِنْ دُونِنَا أَمْرٌ تَرَاءَى لَكُمْ أُمٌ وَحِشَةٌ جَرَّهَا الدَّهْرُ
بِحَلَامٍ بَلَقِيَانَا وَكَانَ نَزُولُنَا عَلَى جَفْوَةٍ مِنْكُمْ وَإِنْ عَطَّيْتُمُ البِرَّ
وَمَا هُوَ إِلَّا مَقْطَعٌ كَهَوَائِكُمْ عَصِيبٌ وَخَلَقٌ مِثْلُ مِثْرَلِكُمْ وَعَرَّ
ثَقْوَا بِي إِذَا عَنَّ اللِّقَاءَ فَمَا اعْتَزَى إِلَى شَيْمِي غَدْرٌ وَلَا بِيَدِي سِحْرُ

وَكَتَبَ مِنْهُ إِلَى أَبِي الفَضْلِ بِنِ حَسَدَايِ^٣ يَصِفُ حِصْنَ شَقُورَةَ وَحِصَانَتَهُ :

أَدْرِكُ أَخَاكَ وَلَوْ بِقَافِيَةٍ كَالطَّلِّ يَوْقِظُ نَائِمَ الزَّهْرِ
فَلَقَدْ تَقَاذَفَتِ الرِّكَابُ بِهِ فِي غَيْرِ مَوَاقِعٍ وَلَا بِحَرِّ
طَفَحَتْ صَحَابَتُهُ بِلَا سِنَّةٍ وَتَمَايَلَتْ سُكْرًا بِلَا خَمَرٍ [٧٧ ب]

١ انظر شروح السقط : ١٢٠ .

٢ خالص : ٢٩٥ .

٣ ترجمته في القسم الثالث : ٤٥٩ .

٤ القلائد : ٩٢ وخالص : ٣٠٢ .

٥ م ط س : طفقت .

ومنها في صفة الحصن :

وحشٌ تناكرتِ الوجوهُ به حتى استربتُ بصفحةِ البدر
متجبرٌ سال الوقارُ على عطفه من كِبَرٍ ومن كِبَرٍ
عالٍ كأن الجنَّ إذ مرَدَتْ جعلتهُ مرْفأةً إلى السرِّ

وكتب في ذلك إلى ابن المطرِّز^١ :

تراءَ لعيني إن أردت مبرِّقي وسببُ إلى الحُسْنَى ولو بقسيمٍ
فما شمَّ عَرَفُ المسكِ دون تنشُّقٍ ولا اهترَّ عطفُ الغصنِ دون نسيمٍ

وكان في ضيافة المعتصم صاحب المرية ، بالمنية الصمادحية ، فلما أزمع
على الرحيل استسرحه^٢ بهذه الأبيات :

يا واثقاً وصلَ السَّماحَ الجَوَدَ^٣ في فضلِ السَّماحِ
ومطابقاً يأتي وجوهَ الجِدِّ من طُرُقِ المزاحِ
أُسْرَفْتُ في برِّ الضيافِ فَجِدُّ قَلِيلاً بالسَّراحِ

فأجابه المعتصم^٤ :

يا فاضلاً في شكرِهِ أصيلُ المساءِ مع الصِّباحِ
هلا رفقتَ بمهجتي عند التكلُّمِ بالسَّراحِ
إنَّ السَّماحَ بمثلِكُم واللهِ ليس من السَّماحِ

١ ط م س : إلى المطرِّز ؛ وسيرد « ابن المطرِّز » ص : ٤١١ ؛ وانظر خالص : ٣٠٤ .

٢ القلائد : ٥٠ وخالص : ٢٦٥ والحلة ٢ : ٨٥ والمغرب ٢ : ١٩٨ .

٣ المغرب والحلة : فضح السحاب ؛ المغرب : الجون .

٤ القلائد : ٥١ والحلة ٢ : ٨٥ والمغرب ٢ : ١٩٨ .

فلما أُرِيعَ على الرحيل ، وشرع في سلوك السبيل ، وحضر المعتصم
لوداعه ، أنشده ابن عمار جواباً على أبياته الثلاثة^١ :

أَلْمَفْظُكَ- أم كَأْسُ الرِّحِيِّ المَعْتَقِ وَخَطُّكَ- أم رَوْضُ الرِّبْعِ المَنْتَقِ
وَنظْمُكَ أم سَلَكٌ مَن الدَّرِّ نَاصِعٌ يَرُوقُ عَلَي جَيْدِ العُرُوسِ المَطُوقِ
بَعَثَ بِهَا يَا قِطْعَةَ الرِّوَضِ قِطْعَةً شَمِمْتُ^٢ بِهَا عَرَفَ النِّسِيمِ المَخْلُوقِ
ثَلَاثَةَ أَيْيَاتٍ وَهِيَهَاتِ إِنَّمَا بَعَثَ بِهَا الجُوزَاءَ فِي صَفْحِ مُهْرَقِ
هِيَ السَّحْرُ أَسْرَى فِي النُّفُوسِ مَن الهَوَى وَكَيْفَ يَكُونُ السُّحْرُ فِي لَفْظِ مَتَّقِ^٣
أَمَعْتَصَمًا بِاللهِ وَالحَرْبُ تَرْتَمِي بِأَبْطَالِهَا وَالحَيْلُ بِالحَيْلِ تَلْتَمِي
دَعْتَنِي المَطَايَا لِلرَّحِيلِ وَإِنِّي لِأَفَرِّقُ مَن ذَكَرِ النُّوَى وَالتَّفَرَّقِ
وَإِنِّي إِذَا غَرَبْتُ عَنْكَ فَإِنَّمَا جَبِينُكَ شَمْسِي وَالمَرِيَّةُ مَشْرِقِ

وكتب إليه المعتصم يوماً بنثر وشعر يقول فيه^٤ :

وزهدني في الناسِ معرفتي بهم وطولُ اختباري صاحباً بعد صاحبِ
فلم تُرِنِي الأيامُ خِبالاً تُسْرِنِي مبادية إلا ساعني في العواقبِ
ولا قلتُ أرجوهُ لدفعِ مَلَمَّةِ مَن الدهرِ إلا كان إحدى المصائبِ

فأجابه ابن عمار بقوله^٥ :

.....

١ القلائد : ٨٦ والمطرب : ١٧٣ وخالص : ٢٩٧ .

٢ م ط : بعثت .

٣ ط والقلائد : منطق .

٤ القلائد : وإن .

٥ القلائد : ٤٩ والخريدة : ٢ : ٨٣ وابن خلكان : ٥ : ٤٠ والحلة : ٢ : ٨٤ والمغرب : ٢ : ١٩٧ .

٦ القلائد : ٥٠ والخريدة : ٢ : ٨٤ وخالص : ٢٦٩ .

فديتك لا تزهد^١ وتسم^٢ بقرية^٣
وأبى على الخُلصان^٤ إن^٥ لديهم^٦
تكنفتني بالنثر والنظم عاتياً^١
وقد كان لي لو شئت رد^٢ وإنما
ولا بد^٣ من شكوى ولو بتنفس^٤
كتبت^٥ على رسمي وبعد نسيئة^٦
ثلاثة أبيات وهيهات إنما^١
وكيف يلد العيش^٢ من عتب^٣ سيد^٤
وقبل^٥ جرت^٦ عن بعض كتي^٧ جفوة^٨
سلكت^٩ سبيل^{١٠} للزيارة إثرها^{١١}
وما كنت^{١٢} مرتاداً ولكن لنفحة^{١٣}
ولو لمت^{١٤} لي من سائلك^{١٥} برقة^{١٦}
فقبلت^{١٧} من يملك^{١٨} أعذب^{١٩} مورد^{٢٠}
وأبت^{٢١} خفيف^{٢٢} الظهر إلا^{٢٣} من النوى^{٢٤}
سواك يعي قول^{٢٥} الوشاة^{٢٦} من العدا^{٢٧}

سترغب فيها عند وقوع^١ التجارب^٢ [١٧٨]
على البدء^٣ كرات^٤ بحسن^٥ العواقب^٦
وسقت^٧ علي^٨ القول^٩ من كل^{١٠} جانب^{١١}
أجر^{١٢} لساني ذكر^{١٣} تلك^{١٤} المواهب^{١٥}
يسكن^{١٦} من حر^{١٧} الحشا^{١٨} والترائب^{١٩}
قرأت^{٢٠} جوابي من سطور^{٢١} المواكب^{٢٢}
بعثت^{٢٣} إلى^{٢٤} حربي^{٢٥} ثلاث^{٢٦} كتاب^{٢٧}
وما لذ^{٢٨}ني يوماً^{٢٩} على^{٣٠} عتب^{٣١} صاحب^{٣٢}
ألحت^{٣٣} على^{٣٤} وجهي^{٣٥} بغمز^{٣٦} الحواجب^{٣٧}
فقابلت^{٣٨} دفعاً^{٣٩} في صلور^{٤٠} الركائب^{٤١}
تعدت^{٤٢} من ربحان^{٤٣} تلك^{٤٤} الضرائب^{٤٥}
ركبت^{٤٦} إلى^{٤٧} مغناك^{٤٨} هوج^{٤٩} الجنائب^{٥٠}
وقضيت^{٥١} من لقياك^{٥٢} أوكد^{٥٣} واجب^{٥٤}
وخلقت^{٥٥} للعاني^{٥٦} الخائب^{٥٧}
وغيرك^{٥٨} يقضي^{٥٩} بالظنون^{٦٠} الكواذب^{٦١}

١ القلائد وخ بهامش ط : جاهداً (بغير خط الأصل) .

٢ القلائد وخ بهامش ط : بمض (بخط مختلف) .

٣ الخريدة : يخفف ؛ القلائد : يبرد .

٤ ط م ص : لغمز .

٥ القلائد : قبلها .

٦ الخريدة : فصادفت .

تلخيص التعريف بآخر أمره وكيفية مقتله

كان حب الرياسة في رأسه يدور، وأما انتراؤه بمرسية فمشهور، وأفضت الحال بالرشيد هنالك إلى الاعتقال، بأيدي نصارى الافرنجة، في جملة من المال كانوا أكثروا بها، فحبسوا الرشيد بسببها، إلى أن افتكّه أبوه المعتمد في خبر طويل، وابن عمار صاحب ذلك الرعيل^٢، والمعلوم في المعلوم من أمره والمجهول، وفساد حاله عند المعتمد يتزايد، وتدابره يتساند. وفي أثناء ما وقع من تدبير تلك الأمور، ونجوم ذلك الاستيحاء والتغيير، خاطبه المعتمد عاتباً متمثلاً بهذين البيتين^٣، وكان قد خرج عنه:

تغيير لي في من تغيير حارثُ وكلُّ خليلٍ غيّرتهُ الحوادثُ
أحارثُ إنْ شوركتُ فيك فطالما نعمنا وما بيني وبينك ثالثُ
فأجابه ابن عمّار بقوله^٤:

١ نقله ابن الأبار في الحلة ٢ : ١٤٤ .

٢ الحلة (٢ : ١٤٤) : الرحيل ، وذلك تغيير من المحقق ، ليطابق ما اقترحه ابن عمار من خروج إلى شرق الأندلس مع الرشيد بجيش اشبيل للاستيلاء على مرسية (وفي أصل الحلة : الرحيل) .

٣ هما لإبراهيم بن العباس الصولي قالهما لما انحرف عنه ابن الزيات ، وكان الحارث بن بسخر صديقاً له ، فهجره فيمن هجره من إخوانه (الأغاني ١٠ : ٤٥ وديوان العباس : ١٨٢) وقيل إن البيتين لإسحاق بن إبراهيم الموصل .

٤ الحلة ٢ : ١٤٣ وخالص : ٢٨٤ وتمام المتن : ٣٠٨ .

لك المثلُ الأعلى وما أنا حارثُ
ولا شاركتكَ الشمسُ فيّ وإنه
فديتُكَ ما للبشرِ لم يَسْرِ بَرَقُهُ
أظنُّ الذي بيني وبينك أذهبتُ
تتكبرتَ لا أني لفضلك ناكراً
ولكنّ ظنونٌ ساعدتها نمامٌ
أبعدتْ متصتٌ خمسٌ وعشرونَ حجّةً
مضتْ لم تَرِبْ مني أمورٌ شوائبُ
حللتَ يدأ بي هكذا وتركتني
وهل أنا إلا عبدٌ طاعتكَ التي
أعيدُ نظراً لا توهنِ الرأيَ إنه
ستذكرني إن بان جبلي وأصبحت
وتطلبني إن غاب للرأي حاضرٌ
أعوذ بعهدِ نطئتهُ بك أن تُرى

ولا أنا ممنٌ غيرته الحوادثُ
لينأى بحظي منك ثانٍ وثالث
ولا نفحتْ تلك السجايا الدمائثُ
حلاوتهُ عني الرجالُ الأخابثُ
لديّ ولا أني لعهدك ناكثُ
كما ساعدتْ متصتٌ المثنى الثالثُ
نجافتْ بناتلك الخطوبُ الكوارثُ [٧٨ب]
ولا تُلِيَّتْ مني مساعٍ خبائثُ
نهاباً وللأيام أيدٍ عوابثُ
إذا متُّ عنها قام بعدي وارثُ
قديماً نبا^٢ هافٍ وأدرك راثُ
تثن^٤ بكفيتكَ الجبالُ الرثائثُ
وقد غاب مني للخواطر باعثُ
تحلُّ عراه العاقلاتُ النوافثُ

قوله : « قديماً نبا هافٍ وأدرك راثُ » معنى مشهور ، القولُ فيه كثير ،
ومن أشهره قول عبيد^٥ :

.....

١ الخلة : صوت .

٢ الخلة : أبعد انقضا خمس وعشرين .

٣ الخلة : كبا ؛ ط م د س ؛ بنا .

٤ د : تمر .

٥ ليس لعبيد ، وإنما هو لعدي بن زيد ، ديوانه : ٧٠ .

قد يدركُ المبطلُ من حظه والخير قد يسبقُ جهْدَ الحريصِ

وقال القطامي^١ :

قد يدركُ المتأنِّي بعضَ حاجته وقد يكونُ مع المستعجلِ الزَّلُّ

ولما سمعه أعرابي قال : هذا ضَبَطَ الناسَ . هلاً قال بعد هذا :

وربّما ضرَّ بعضَ الناسِ بطئُهُمُ وكان خيراً لهم لو أنّهم عجلوا

وفي أثناء تلك الحال، التي أفضت بالرشيد إلى الاعتقال، كتب إلى المعتمد

بهذه الأبيات^٢ :

أصدّقُ ظنّي أم أصبحُ إلى صحبي وأمضي عزيمي أم أروحُ مع الركبِ
إذا انقدتُ في رأيي مشيتُ مع الهوى وإنّ أتعتبتهُ نكصتُ على عقبي
ولنّي لتثنيي إليك مودّةٌ يغيّرُها ما قد تعرّضَ من ذنبِ
فما أعجّب ٣ الأيام في ما قضت به تُريني بُعدي عنك آنسَ من قربي
أخافُك للحقّ الذي لك في دمي وأرجوك للحبّ الذي لك في قلبي

وهذا^٤ البيت على سهولة مبناه^٥ ، من أحسن ما قيل في معناه ، وبمثله

.. ..

١ ديوان القطامي : ٢٥ وتمام المتون : ٥٦ .

٢ الحلة ٢ : ١٣٥ وديوان المعتمد : ٥١ ؛ وعند الفتح في القلائد : ٩٠ - ٩١ أبيات اختلطت

بها بعض هذه ، كتبها ابن عمار إلى المعتمد ، وانظر خالص : ٢٧٩ .

٣ الحلة : أغرب .

٤ نقل التعليق في الحلة ٢ : ١٣٦ .

٥ د : مبتناه ؛ ط : معناه .

فلتنخدعِ الألبابُ ، وتستعطفِ الأعداءُ للأحبابِ^١ ، إلا أن^٢ المصراع الأولُ كأنه شيءٌ تكهنته^٣ من شأنه ، وطيرة^٤ ألقاها الله تعالى على لسانه ، وصدق كان له في عنقه ربتق^٥ ، وفي دمه حق^٦ ، احتال له فئاله ، والمرءُ يعجزُ لا المحالة . وفيها يقول :

وكم قد فرتَ بمنك بي من ضريبةٍ ولا بد^٧ يوماً أن يُقتلَ من غربي
ولا بد^٨ ما بيني وبينك من ثنا يطبقها ما بين شرقٍ إلى غرب^٩
وأعلمُ أن العفو منك سجيّةٌ فلم يبق إلا أن تخفّف من عتب
فلي حسناتٌ لو أمتُ ببعضها إلى الدهرِ لم يرتعْ لناثبةٍ سربي

فأجابه المعتمد بقوله^٤ :

تقدّم^{١٠} إلى ما اعتدت عندي من الرحب ورد^{١١} تلقّك العتبي حجاباً عن العتبِ
متى تلقني تلق الذي قد بكتوته^{١٢} صفوحاً عن الجاني رؤوفاً على الصحبِ
سأوليك مني ما عهدت من الرضى وأصفحُ عمّا كان إن كان من ذنب
فما أشعر الرحمنُ قلبي قسوةً ولا صارنسيان الأذمة من شعبي [١٧٩]
تكلّفته^{١٣} أبني به لك سلوةً فليس يجيدُ الشعرُ مشتركُ اللبّ

١ د : للأصحاب .

٢ الخلة : ولا غرو .

٣ هذا البيت ورد في ط م س ، وذكر ابن الأبار (الخلة ٢ : ١٣٧) أن أبا الطاهر التميمي أورد هذا البيت زيادة على ما أورده ابن بسام في روايته .

٤ الخلة ٢ : ١٣٦ وديوان المعتمد : ٥٢ ؛ والرد الذي أورده الفتح في القلائد يتضمن أبياتاً على الروي نفسه ، لكنها غير هذه .

فلم يزد جواب المعتمد هذا إلاّ توحّشاً ونفاراً، وتوقفاً عن اللحاق به
وازوراراً ، والله درّ أبي الطيّب في قوله^١ :

إذا ساء فعلُ المرءِ ساءتْ ظنونُهُ وصدق ما يعتادهُ من توهمِ
وعادى محبّه لقولِ عدائه وأصبح في ليلٍ من الشكِّ مظلمِ

ونقله المتنبي من قول أعرابي :

أسأت إليّ فاستوحشتَ مني ولو أحسنتَ ما استبعدت عني
أسأت فساء ظنُّك بي بلحاجاً وما أولى المسيء بسوءِ ظنِّ

وقول المعتمد : « تكلفته أبغي به لك سلوة » . صدق فيما وصف .
وزاد على التكلف .

وقول ابن عمار : « فلي حسنات لو أمتُّ ببعضها ، إلى الدهر » مما
ردّد لفظه ومعناه ، وأصله فيما أراه من قول الفيلسوف : « قد تكلمتُ
بكلامٍ لو مدّح به الدهرُ لما دارت عليّ صرفه » ، وأخذ الناجم^٢ فقال^٣ :
ولي في أحمدٍ أملٌ بعيدٌ ومعنى حين أنشدتهُ ظريفُ
مدائحُ لو مدحتُ بها الليالي لما دارت عليّ لها صرف

وقال المتنبي^٤ :

.....

١ ديوان المتنبي : ٤٥٦ .

٢ م ط س : الناظم .

٣ زهر الآداب : ٦٣٣ وذهب الحصري إلى أن الناجم أخذه من قول بشار في المهدي : « لقد مدحت
بشعر لو قلت مثله في الدهر لما خيف صرفه على حر » .

٤ ديوان المتنبي : ٣٧ .

في فيلقٍ من حديدٍ لو رميت به^١ صرف الزمانِ لما دارت دوائره^٢
وكانت حالُ ابنِ عمار ، حين تردّد بتلك الأقطار من بلد بني هود ،
قد تمكّن منهم بالمؤمن ، إلاّ أن بني عبد العزيز كانوا يُشْرِقُونَهُ بِرِيقِهِ ،
ويوعِرون عليه السهّل من طريقه ، ويبلغُهُ عنهم ما توقّد له ضلوعه^٣ ،
وتسكبُ منه ذموعه^٤ . بلغه عنه^٥ وعن ابن طاهر أنّهما نَدَّرا فيه بسبب
خاتميين كان المؤمن ختمه بأحدهما ، والآخر اذفونش بن فرذلند ، فكتب
ابن عمار إلى ابن عبد العزيز^٦ :

قلّ للوزير وليس رأيَ وزير أن يُتَّبَعَ التَّنْدِيرَ بالتَّنْدِيرِ^٧
إنّ الوزارةَ مذ لبتَ رداها^٨ وقفَ على التَّغْيِيرِ والتَّزْوِيرِ^٩
وأرى الفكاهاةَ جُلّ ما تأتي به رحماك في التَّعْجِيزِ والتَّصْدِيرِ^{١٠}
بلغتْ دُعابَتُكَ التي أهدَيْتَها في خاتم التَّأْمِينِ والتَّأْمِيرِ^{١١}
وأظنّها للطاهري^{١٢} فإن تكنْ فجديرةُ التَّقْدِيسِ والتَّطْهِيرِ^{١٣}

١ الديوان : لو قذفت به .

٢ يعني ابن عبد العزيز ، ولم يصرح بذكره فيما سبق .

٣ الحلة ٢ : ١٤١ والقلائد : ٦٤ وخالص : ٢٩٣ .

٤ القلائد : التزوير بالتبديل .

٥ الحلة : لو سلكت سبيلها .

٦ د : والتدوير ؛ الحلة والقلائد : التعزيز والتوقير .

٧ يعني أبا عبد الرحمن ابن طاهر ، وكان مشهوراً بنوادره ، كما وضع ابن بسام في ترجمته
في القسم الثالث : ٢٦ - ٢٧ .

فرسا رهان أنتما فتجاريا بالقول في التقديم والتأخير^١
 وإذا سلكت سبيله فحقيقة^٢ كمي تتبع التصغير بالتصغير
 وأرى بلنسية^٣ وأنت قُدارها^٤ سيناها التدمير^٥ من تدمير

وفي بني عبد العزيز أيضاً يقول مغرباً بهم ، خاطباً لنفسه ، ونحلها ابن
 المطرز الشاعر^٦ :

بَشْرٌ^٧ بلنسية^٨ وكانت جنة^٩ أن قد تدلّت في سواء النار^{١٠}
 جازوا^{١١} بني عبد العزيز فلأنهم جَرُوا إليكم أسوأ الأقدار
 ثوروا بهم متأولين وقتلوا ملكاً يقوم على العدو بثار
 هذا محمد^{١٢} أو فهذا أحمد^{١٣} وكلاهما أهل لتلك الدار [٧٩ب]
 جاء الوزير^{١٤} بها يكشف^{١٥} ذيله^{١٦} عن سوءة^{١٧} سوى وعار عار
 وأوى لينصر من نبا المثوى به ودهاه خذلان^{١٨} من الأنصار^{١٩}

١ في الخلة :

ولعل يوماً أن يصير نعمته في طينة التقديم والتأخير
 وفي القلائد : أن يصير نقشه .

٢ قدار : عاقر الناقة ؛ وفي د : مدارها .

٣ كان ابن عمار شديد التنقص للوزير أبي بكر أحمد بن محمد بن عبد العزيز ، ويقال إنه نظم
 هذه الأبيات حين غدره ابن عبد العزيز في حصن جملة (Jumilla) من أعمال مرسية
 (انظر الخلة ٢ : ١٥٥ وديوان المعتمد : ٧١) .

٤ الخلة : شبر .

٥ د : سواد القار .

٦ ط د س : جاروا .

٧ ط م د س : ذيلها .

٨ البيت من هامش ط ، وهو والأبيات المزيدة هنا من تقييد معلق آخر عدا الناسخ .

وقضى على الإقبال بالادبار
 فرماكم من طاهر يقدر
 ورمى دياركم بالأم جارا
 ونفوسكم بمصارع الفجار
 لطمته غدراً غير ذات سوار
 ساع إذا ونت الكواكب سار
 رجل الحقيقة من بني عمار
 طرفين في الإحلاء والامرار
 فدع العنان لهبة التيار
 فطن لأسرار المكابد دار
 حول إذا التفت عليه مدار^٢
 فسا فأدرك خمسة الأشبار
 نفاع أهل زمانه ضرار
 منه ، وطود في القنا الخطار^٣
 شراب أكواس الدم الموار
 قد زاركم في الجحفل الجرار
 هوي إليكم من سماه غبار
 آثارها خبراً من الأخبار
 تلك الذخائر من خبايا الدار

نكت اليمين وحاد عن سنن التقى
 ما كنتم إلا كأمة صالح
 هذا وخصكم بأشام طائر
 بر اليمين ولم يعرض نفسه
 لا بد من مسح الجبين وإنما
 هيهات يطمع بالنجاة لطالب
 كيف التفت بالخدعة من يدي
 رجل تطعمته الزمان فجاءه
 سلس القيادة إلى الجميل وإن يهيج
 طين بأعراض الأمور مجرب
 ماض إذا برزت إليه مصمم
 ما زال مذ عقدت يده إزاره
 كشاف مظلمة وسائس أمة
 عجباً لأشمت راضع ندي الوغى
 شراب أكواس المدام وتارة
 جرار أذيال القنا ، ظنوا به
 وكأنكم بنجومه ورجومه
 وأنا النصيح فإن قبلتم فاتركوا
 قوموا إلى الدار الحبيبة فأنهبوا

١ هذا البيت والذي يليه من هامش ط .

٢ هذا البيت والذي بعده من هامش ط .

٣ زيادة من هامش ط .

وتعوضوا من صفرةٍ خبيثةٍ بأغرٍ وفلاحٍ الجبين نضارٍ

ولما سمع المعتمد هذا القصيد ، وقرع سمعته فخارُ ابن عمار ، قال
هذه الأبيات ، وهي من مליح التعريض ، ومقلوبٍ التقريض ، وأضافها
إلى بيت ابن عمار حيث قال عن نفسه :

كيف التفلتُ بالخدِعةِ من يدَيِّ رجلِ الحقيقةِ من بني عمارِ

فقال المعتمد ٢ :

الأكثرين مسوداً ومملكاً
المكثرين من الكباء لنارهم
والمؤثرين على العيال بزادهم
الناهضين من المهود إلى العلا
إن كوثروا كانوا الحصى أوفوخروا
يضحي مؤملهم يؤمل سيبه
تبكي عليهم شتبوس بعبرة
يبكي بها القصر المنيف ثلاث
ما ضاحكته الشمس إلا خلته
يا شمس ذاك القصر كيف تخلت
لما تنلكت شعوب حتى جاوزت
كم كان من أسد هنالك خادر

ومتوجاً في سالف الأعصار
لا يوقدون بغيره للساري
والضارين لهامة الجبار
والمنهضين الغار بعد الغار
فمن الأكاسر من بني الأحرار
وبيت جارهم عزيز الجار
كأيتها المتدافع إلتيار
شرفاته في خضرة الأشجار
نضحت جوانبه بماء نضار
فيه إليك طوارق الأقدار [أ٨٠]
غلب الرجال وسامي الأسوار
لك حارس بأسنه وشفار

١ ط د : التقريظ .

٢ الحلقة ٢ : ١٥٦ وديوان المعتمد : ٧٢ .

من قومك الزُّهْرُ الوجوهِ إذا الوغى كستِ الوجوهَ الغُرَّ ثوبَ القارِ
من كلِّ أشوسٍ خائضٍ في لُجَّةٍ نحو الكُماةِ بشعلةٍ من نارِ
لَمَّا نَمَّاهم للعلا عَمَّارُهُمْ تركوا العداةَ قصيرةَ الأعمارِ

وشنبوس^١ التي ذكر هي اسم قرية ببادية شلب ، كانت مقرَّ سلفِ
ابن عمَّار .

وقوله : « يا شمس ذاك القصر » كانت والدة ابن عمَّار — زعموا —
تدعى بشمس مصغرة .

فلما بلغ ابن عمَّارٍ شعرُ المعتمد هذا ، وقد بلغ من التندير^٢ فيه الغاية ،
وتجاوز من الطَّننِزِ عليه النهاية ، فُلَّ حَدُّ صَبْرِهِ ، ولم يَشْكُ أَنَّهُ من
شعره ، فشاعت في الناس أشعارُ ، عَزَّيَّتْ إلى ابن عمَّار ، في القدح في
المعتمد وآله وذويه وعياله ، منها قصيدة^٣ أولها^٤ :

ألا حيَّ بالغرب حيًّا حِلَلا أناخوا جِمَلا وحازوا جَمَلا
وعرَّجَ بيومينَ أمَّ القسرى ونَمَّ فَعسى أن تراها خيالا
لتسألَ عن ساكنيها الرَّمادَ ولم تر للنارِ فيها اشتعالا
وَبَعْدَهُ ما أَضْرِبْتُ^٤ عنه ، رغبةً بكتابي عن الشَّيْنِ ، وبِنَفْسِي أن

.....

١ ط م د : وشنبوش .

٢ ط م س : التندير .

٣ الحلقة ٢ : ١٥٧٦ والخريدة ٢ : ٧١ والريحان ١ : ١٥٦ ب والوفيات ٤ : ٤٢٨

والوافي ٤ : ٢٣٠ .

٤ د : أضرب .

أكون أحدَ الهاجيينِ ، فقد قالوا : الراوية أحد الشائمين .

وقوله : « وعرج بيومين » هي أيضاً اسمُ قريةٍ بقطر لإشبيلية كانت أوليةً بني عبّاد منها .

فلما قرّعتِ الأسماعَ تلك الأشعار^١ ، وتُسبِتُ لابنِ عمّار ، اشتدَّ حنقُ المعتمد عليه ، ونفوذُ المقلدورِ يتسبّبُ لموته على يديه ، فلم يزل المعتمد يرتصدُّ فيه الغوائل ، وينصبُّ له الحبال ، إلى أن لاح لابن عمّار عند ساحبِ شقورة برقٌ خُلب ، وكان قد تجاوز بطمعه في الرئاسة طمعَ أشعب ، فسوّل للمؤمن ابن هود امتطاءً صهوتها ، وسهّلَ له تسنُّمَ ذروتها ، وإنما أراد أن يخدعه كما خدع ابن عبّاد ، فدَفِيعَ في صدره ، وحقّ به سيءٌ مكره ، فلما طرق إليه ولحق بحصنه ، لم يلبث أن حصل في سجنه ، خلدراً به ، فجعل ابنُ عمّار يلاطفه ويسترحم ، وينشدهُ اللهُ في حنقِ الدم ، ووعدَه في نفسه وضمينَ له أموالاً ، فلم يُصْغِرِ إليه وشدَّ صفاده اعتقالاتاً ، وطبّرَ إلى المعتمد بالخبر . واتفق أن اجتاز الوزير أبو جعفر ابن جرج^٢ بذلك الأفق ، وابنُ عمّار في المطبق ، فخطابه بهذه الأبيات^٣ :

كأني أراكَ أبا جعفرٍ تقولُ وتبسمُ نحوي مشيراً
سفرتُ ليرجعَ هذا معي وزيراً فلم أرَ إلا أسيراً

١ ذكر ابن الأبار (الحلة ٢ : ١٥٧) أن ابن عبد العزيز دس إلى مرسية نهبلاً من يهود الشرق ليلايس ابن عمار ويروي ما يقوله من أشعار ، وأن هذا اليهودي هو الذي حصل على هذه القصيدة وطار بها إلى ابن عبد العزيز ، فطيرها هذا مدرجة على كتابه إلى المعتمد .

٢ ترجمته في القسم الثالث : ٤٤٨ .

٣ خالص : ٣٠١ .

وهل يملكُ المرءُ من أمره قبيلًا فينقله أم ديرا
هو القدر الحتم يُعَمِّي الفتي وإن كان بالدهرِ طبياً بصيرا

واتفق أيضاً وقت القبضِ عليه يومئذٍ دخولُ المعتمدِ حصنَ بيّاسةٍ ،
وتطارحُ أهلها عليه ، وحصول تلك الجهة في يديه ، ورأيت رقعةً صدرت
عنه في ذلك إلى أحد بنيهِ ، وذكر الخائن^١ ابن عمّار في فصلٍ منها قال فيه :

كتابي يوم كذا ، وفي أمسه ورد كتابُ المأمون أخيك من داخل حصن
بيّاسةٍ ، وأن أهلها لما بلغهم تأهبي لمحاصرتهم ، واحتفالي منازلهم ، وعلّموا
أنّ تديبرهم قد اضمحلّ في أيديهم ، وأنّ صرينّهم قد خرسَ عن إجابة
داعيهم ، وتيقنوا أنّي إذا نويتُ مضيتُ ، وإذا بلّجتُ حجّجتُ ، خامرهم
الفرعُ ، وضاق بهم المتسعُ ، ومشى بعضهم إلى بعضٍ يتشاورون كيف
المصنعُ ، وأين المتزعُ ، فلم يروا لأنفسهم طريقاً أنجى ، ولا مهرباً أجدي [٨٠ب]
بالخلاصِ وأحجى ، من الترامي عليّ ، والاستسلام إليّ ، فبادروا
نحوي رجالاً وركباناً ، وتسربوا قبلي زرافاتٍ ووحداناً ، ولم أردُ حضرةَ
قرطبةَ إلاّ وقد لحقَ بها منهم أفواجٌ ، وسالتُ بمن وراءهم أباطحُ وفجاجُ ،
كلٌّ يستعطفُ ويستترِلُ ، ويسألُ لمن وراءه عفواً يعمّ ويشملُ ، فأقبلتُ
وقبلتُ ، وعذرتُ واغتفرتُ ، وبالغتُ في تأنيسهم ، وتطبيب نفوسهم ،
والحمدُ لله على ما منّ وتطولّ ، وأنعم وأفضل .

ووافي هذا الصنعَ الجميلَ ، والفتحَ الجليلَ ، آخرُ تقدّمه خطّاً ،

١ ط : الخيان .

٢ د : الصنع .

وكان له - ونعم ما كان - فَرَطًا ، وذلك بقبضِ عتادِ الدولة أبي محمد ابن سهيل^١ على الغادرِ الملحدِ ابنِ عَمَّارٍ ، قطع الله به وبمن أوى^٢ إليه وآل بكلِّ مَنْ سعى سَعْيَهُ أو نزع منزعه مآله، بجائِلَ نصبناها له هناك حتى عَلِقَتْهُ ، وغوائلَ أرصدناها حتى أوبَقَتْهُ ، وتلك عادةُ الله الحسنى عندنا ، في من غمطَ نعمتنا ونكثَ عهدنا ، فله الحمد دائماً والشكر واصبأ .

قال ابن بسَّام : وكان القبض على ابن عَمَّارٍ بشقورة يوم الجمعة لستَ بقين لربيع الآخر سنة سبع وسبعين ، وورد على المعتمد غيرُ ما خطاب في معناه وَوَجَّهَ الشفاعة فيه ، وَجَبَّرَ صَدْرَهُ وتلافيه ، فسدَّ بابَ الشفاعة في ذلك ، وشدَّ صفادَه هناك . وممن كان شفع له يومئذ ذو الزارتين ابن محفور صاحبُ شاطبة ، بخطابٍ مشهورٍ معروف ، ورأيت عليه الجواب من إنشاء أبي الوليد ابن طريف^٣ ، قال فيه :

وقفتُ على الإشارةِ الموضوعِ من قبيلِكَ على أخلصِ وجوه
السَّلامِ ، المستنم فيها إلى شَرَفِ محمدِكَ وِصفاءِ مُعْتَقِدِكَ أَكْرَمِ

١ لم آجد تعريفاً به ، ولكن يبدو من سياق الأحداث أنه كان صاحب حصن شقورة ، حيث تم القبض على ابن عمار . وقد قص لسان الدين كيف احتال صاحب هذا الحصن على ابن عمار وجعل البلد بيده باللسان ، وطلب منه الصعود بنمسه لمباشرة قصته . فأسرع لذلك في طائفة يسيرة من الرجال فلما تحصل في القصبه وثب به صاحب الحصن وكبله وأودعه المطبق (أعمال الأعلام : ١٦٠) .

٢ د : أووا .

٣ ذكره في النفع ٣ : ٤٢٩ وأورد له أبياتاً في زوال دولة المعتد، وانظر اللخيرة ١ :

٨١٨ - ٨٢١ .

استنامة ، في الشفاعة في من أساء لنفسه حظاً الاختيار ، وسبب لها سبب النكبة والعثار ، يغمطه لعظيم النعمة ، وقطعه لعلائق العيصمة ، ونخبطه في ستن غيه واستهدافه ، وتجاوزه في ارتكاب الجرائم وإسرافه ، حتى لم يدع للصلح موضعاً ، وخرق ستر الأبقاء بينه وبين مولى النعمة عنده فلم يترك فيه مرقعاً ، وقد كان قبل استشهاده ، وكشفه لصفحة المعاندة وإبدائه ، عذره في جميع جنائياته مقبول ، وجانب الصفح له معرض مبدول ، لكن غيرته الغواية ، عن طريق الهداية ، فاستمر على ضلاله ، وزاغ عن ستن اعتداله ، وأظهر المناقضة ، وتعرض - بزعمه - إلى المساورة والمعارضة ، فلم يزل يريغ الغوائل ، وينصب الحبال ، ويركب في العناد أصعب المراكب ، ويذهب منه في أوعر المذاهب ، حتى عاقتته تلك الأشرار التي نصبها ، وتشبثت به مساوىء المقدمات التي جرّها وسببها ، فذاق وبال فعله ولا يحق المكر السيء إلا بأهله ﴿ (فاطر : ٤٣) ﴾ ولم يحصل في الأنشطة التي تورطها ، والمنحسة التي اشتملت عليه وتوسطها ، إلا ووجه العفو له قد أظلم ، وباب الشفاعة فيه قد أبهم ، ومن تأمل أفعاله الذميمة ، ومذاهبه اللثيمة ، رأى أن الصفح عنه بعيد ، والإبقاء عليه داء حاضر عتيد ، ومثلك في رجاحة ميزانه ، ومعرفته بأبناء زمانه ، لم يجهل بداية حاله من القل والضعة ، وارتقاءه منها إلى الرفعة والسعة ، وإنشاله من ذل الخمول ، إلى العز العريض الطويل ، وتسويغه عقائل الأموال ، وجلال الأحوال .

وفي فصل منها : ففوق المناضلة الدولة نباله ، وأعمل في مكائدها

١ ط د س : راته .

جَهْدَهُ واحتياله ، ثم لم يقتصر على ذلك ، بل تجاوزَه إلى إطلاقِ لسانِهِ
بالذمِّ الذي صدر عن لؤمِ نجارِهِ ، والطعنِ الشاهدِ بِنِحْتِ طويتهِ
وإضماره ، ومن جهلِ مقدارِ تلكِ النعمةِ التي كان سَوْغها أوْلاً ، أخْلِقُ
به أنْ لا يعرفَ مقدارَ العفوِ عنه آخراً ، ومن فسد هذا الفسادَ كيف
يُرْجى استصلاحُهُ ؟ ومن استبطنَ مثلَ غلِّهِ كيف يؤمِّلُ فلاحَهُ ،
ومَنُ لكَ بسلامةِ الأديمِ النَّغِيلِ ، وشفاءِ القلبِ الدَّغْلِ ؟ ا وعلى ذلك
فلا أعتقدُ عليك [٨١ أ] فيما عرضتَ به مِن وجهِ الشفاعةِ غيرَ الجميلِ ،
ولا أتعدِّي فيه حُسْنَ التَّأويلِ ، ولو ا وَقَدتْ شفاعتكِ في غيرِ هذا الأمرِ
الذي سبق فيه السيفُ العذلَ ، وأبطلَ غافلُ الأقدارِ فيه الألفاظَ والحيلَ ،
لَتَلَقَّيْتِ بالإجمالِ ، وقوبلتِ ببالغِ المبرِّةِ والامتنالِ .

ما أخرجته من سري نظمه وجزل مقاله مدة اعتقاله

من ذلك أبيات خاطب بها صاحب المريّة يقول فيها ٢ :

أصبحت في السوقِ ينادى على رأسي بأنواعٍ من المالِ
فهل فتيّ يبتاعني ماجدٌ أخدمه مدّةً إِمهالي
تالله لا جار على نَقْدِهِ مَنُ ضمّني بالثمنِ الغالي

١ ط د م س : ولقد .

٢ القلائد : ٩٢ والموجب : ١٨٣ وخالص : ٣٠٥ .

أُرْبِحُ بِهَا مَوْلَايَ مِنْ صَفْقَةٍ فِي سَلْعَةٍ مِنْ بَرَكَ الْعَالِي^١

وَكُتِبَ أَيْضًا إِلَى الْمُعْتَمِدِ^٢ :

نَفْسِي تَحْنُ إِلَى فِسْدَاءِ تَقْدِيكَ نَفْسِي مِنْ شِرَاءِ
فَاسِقٍ بِنَقْدِكَ وَعَدَهُمْ مَسْتَرِخَصًا لِي بِالْغَلَاءِ
ثُمَّ امْضِ فِيَّ عَلَى اخْتِيَا رَكَ مِنْ قَنَاءٍ أَوْ بَقَاءِ
وَاللَّهِ مَا أُدْرِي إِذَا قَالُوا : غَدَاً يَوْمَ الْلِقَاءِ
مَا أَقْتَلُ الْحَالِينَ لِي إِنْ كَانَ خَوْفِي أَوْ حَيَاتِي

وَكُتِبَ إِلَيْهِ أَيْضًا^٣ :

سَجَايَاكَ إِنْ عَافَيْتَ أُنْدَى وَأَسْمَحُ ؛ وَعَذْرُكَ إِنْ عَاقَبْتَ أَجْلَى وَأَوْضَحُ ؛
وَإِنْ كَانَ بَيْنَ الْخَطِيئِينَ مَزِيَّةٌ فَأَنْتَ إِلَى الْأَدْنَى مِنَ اللَّهِ أَجْنَحُ
حَنَانِيكَ فِي أَخْذِي بِرَأْيِكَ لَا تُطِيعُ عِدَائِي ° وَلَوْ أَثْنَوْا عَلَيَّ وَأَفْصَحُوا
فَلَنْ رَجَائِي أَنْ عِنْدَكَ غَيْرُ مَا يَخْوَضُ عِدْوِي الْيَوْمَ فِيهِ وَيَمْرَحُ
وَلَمْ لَا وَقَدْ أَسْلَفْتُ وَدَّآ وَخُدْمَةً يَكْرَانُ فِي لَيْلِ الْخَطَايَا فَيُصْبِحُ
وَهَبِي قَدْ أَعْقَبْتَ أَعْمَالَ مُفْسِدٍ أَمَّا تَفْسُدُ الْأَعْمَالَ ثَمَّتْ تَصْلِحُ

.....

١ ط د م س : ترك ؛ د . المال .

٢ الحلقة ٢ . ١٥٤ وخالص : ٣٠٦ .

٣ الحلقة ٢ : ١٥٣ - ١٥٤ والقلائد : ٩٨ والمعجب : ١٨٥ وأعمال الاعلام : ١٦١

والنفع ٥ : ١٨٢ وخالص : ٣١٩ والرياحان ١ : ١٥٧ وأتمام المتون : ٩٢ .

٤ المعجب : وأسجح .

٥ القلائد : عداتي ؛ الحلقة : وشاي .

أَقِيلَنِي لِمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ رَضَى
وَعَفٌّ عَلَى آثَارِ جُرْمٍ سَلَكْتُهُ
وَلَا تَلْتَفْتُ رَأْيَ الْوَشَاةِ وَقَوْلِهِمْ
سَيَأْتِيكَ فِي أَمْرِي حَدِيثٌ وَقَدْ أَقَى
تَحْيَلْتُهُمْ لَا دَرَءَ لَلَّهِ دَرُهُمْ
وَقَالُوا : سَيَجْزِيهِ فُلَانٌ بِذَنْبِهِ^٢
أَلَا إِنَّ بَطْشًا لِلْمُوَيْدِ يَرْتَمِي^٤
وَمَاذَا عَمِي الْوَأَشُونَ أَنْ يَتَزِيلُوا
نَعَمْ لِي ذَنْبٌ غَيْرُ أَنْ لِحْلَمِهِ
سَلَامٌ عَلَيْهِ كَيْفَ دَارَ بِهِ الْهُوَى
وَيَهْنِيهِ إِنَّ مَتَّ السَّلْوُ فَإِنِّي
وَبَيْنَ ضَلُوعِي مِنْ هَوَاهُ تَمِيمَةٌ

له نحو رُوْحِ اللهُ بَابُ مَفْتَحٍ
بِهَيْبَةٍ رَحِمَى مِنْكَ تَمْحُو وَتَصْفَحُ^١
فَكُلُّهُ إِذَاءٌ بِالَّذِي فِيهِ يَرْشَحُ
بِرَأْيِ^٢ بَنِي عَبْدِ الْعَزِيزِ مُوشِحُ
أَشَارُوا تَجَاهِي بِالشَّمَاتِ وَصَرَحُوا
فَقُلْتُ : وَقَدْ يَعْفُو فُلَانٌ وَيَصْفَحُ
وَلَكِنْ^٤ حَلْمًا لِلْمُوَيْدِ يَرْجَحُ
سَوْى أَنْ ذَنْبِي ثَابِتٌ^١ مَتَصَحَّحُ
صِفَاةٌ يَزَلُ الذَّنْبُ عَنْهَا فَيَسْفَحُ^٧
إِلَى^٨ فَيَدْنُو أَوْ عَلِيٌّ فَيَتْرَحُ
أَمُوتُ وَلِي شَوْقٌ إِلَيْهِ مَبْرَحٌ
سَتَنْفَعُ^٩ لَوْ أَنَّ الْحِمَامَ يُجَلِّحُ^{١٠}

١ س و الحلة : وتمصح .

٢ الحلة والقلائد والمعجب : بزور .

٣ القلائد والمعجب : بفعله .

٤ القلائد : يتقى .

٥ ط : أرحح .

٦ المعجب و خ بهامش ط : واضح .

٧ الحلة . . . فيفصح ؛ م ط س : فيمرح .

٨ م ط س : علي .

٩ النفع . . . ستشفع .

١٠ القلائد : مجلح .

قال ابن بسام^١ : بلغني أنه لما وصلت هذه القصيدة إلى المعتمد جعل من بحضرتة [٨١ ب] من أعداء ابن عمّار ينتقدونه ، ويطلبون به عيباً لو يجدونه ، فجعلوا يقولون : أيّ معنى أراد ، ما قال شيئاً ولا كاد ، فقال لهم المعتمد : مهما سلّبه الله من المروة والوفاء ، فلم يسلبه الشعر ، إنّما قلب بيت الهدلي^٢ فأحسن ، وهو قوله :

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ألفت كلّ تيممة لا تنفع

فسكت القوم في ناديبهم ، وسقط في أيديهم . غير أن أبا سالم العراقي جعل يتمضّع بقوله : « بكرّان في ليل الخطايا » وقال : ما معناه ؟ وهلاًّ بدّل هذا اللفظ بسواه ؟ فقال له المعتمد ، وأراه طنّز عليه ، وأشار بالتقصير إليه : أبا سالم ، أنزله^٣ ، وإن استطعت بفضلك فأبدله^٤ ! فأحجم وتلعم ، ولم يتأخر ولا تقدّم . وكذلك قوله : « فماذا عسى الواشون أن يتزيّدوا » ، وهو لفظ المجنون^٤ :

وماذا عسى الواشون أن يتحدّثوا سوى أن يقولوا إنني لك عاشق

وإن كان المعنى مختلفاً فحذو اللفظ واحد .

ولحق بشقورة بعد القبض على ابن عمّار يزيد بن المعتمد الملقّب بالراضي ،

١ انظر المعجب ١٨٦٠ .

٢ يعني أبا دؤيب الهذلي ، ديوان الهذليين ١ . ٨ .

٣ ط س . أزله .

٤ ديوان المجنون : ٢٠٣ .

فكتب إليه ابن عمّاراً :

قالوا أتى الراضي فقلتُ لعلّها
فألّ جرى فعسى المؤيدُ واهباً^١
قالوا نعم ، فوضعتُ خدّي في الثرى
يا أيّها الراضي وإن لم يلقي
هَبْكَ احتجبتَ لوجهِ عليّ بين
خفّفَ على يدك الكريمة أسطراً^٢
خُلِعَتْ عليه من سِماتِ أيّه
لي من رضاه ومن أمانِ أخيه
شكراً له وتيسّناً بينيه
من صفحةِ الراضي بما أدريه
بذلُ الشفاعةِ أيُّ عليّ فيه
في مَنْ أسرتَ فتشني تفدييه

ثم صدر^٤ عن شقورة ، وجاء به إلى قرطبة يوم الجمعة السادس من رجب من العام ، وقد برز الناسُ لدخولِ الراضي ، وابنُ عمّار في ذلك الحفل ، في قيوده ، على دابّة هجينة ، حاسراً في توبِ خلتقٍ بين عيديّ تيسنٍ ، عظةً لمن اعتبر مجاريّ الليالي والأيام ، ولتعيّبها بالأنام ، فكم دخل قرطبة قبلُ في أبهة الرؤساء ، يسحبُ ذنبلَ الكبرياء ، فسبحان من يتبسّطُ للمحسن والمسيء عدلته ، ولا تدومُ العزّةُ إلاّ له :

حدثني الوزير أبو عمر الفرضي كاتبُ حشَمِ المتوكل أنّه شهد دخولَ ابنِ عمّار يومئذ قرطبة ، فلم يترّز عيماً من زعماء البلد ، ولا عظيماً من أهل دولة المعتمد ، إلاّ وهو يمسحُ عِطْفَه ، ويمشي بين يديه أو خلفه ، توقفاً

١ القلائد : ٨٦ والحلة ٢ : ١٥١ وخالص : ٣٠٨ والريحان ١ : ١٥٧ . أ .

٢ القلائد والحلة : واهباً .

٣ القلائد والحلة : سهل . . . أحرناً .

٤ قارن بالحلة ٢ : ١٥٨ وأعمال الاعلام . ١٦١ .

لكرته ، واستدفاعاً لمضرته ، فقد كان أكثرهم لا يشك أن غضب المعتمد عليه ، ناراً يطفئها نظره إليه ، وتياراً يكفه مثله بين يديه ، فقد كان من قلبه بمكان ، ومن إثاره قربه في شان .

وأخبرني الوزير المذكور أن ابن عمّار كان يباهي يومئذ بدلته وقلته ، عدّد آسره الراضي وعدّته ، ويقاوم بهوائه وامتهانه بأسه وشدته ، حتى كآته أحد خدمه ، أو بعض حشمه . قال : وكتب في أثناء ذلك إلى المأمون بهذه القصيدة الفريدة ، وهي من حرّ النظام ، وجزل الكلام ، وأولها :

هلاّ سألت شفاعت المأمون	أو قلّنت ما في نفسيه يكفيني
ما ضرّ لو نبهته بتحية	يسري النسيم بها على دأرين
وهزرت منه فقد يقلّب سيفه	يوم الجلال الحين بعد الحين [أ٨٢]
مالي أتبه ناظراً لم يتغف عن	حتظيه من دنيا ولا من دين
وأهز من عطف ثناه عطفه	حتى خشيت عليه قرط الأين
بيدي من المأمون أوثق عصمة	لو أن أمري في يد المأمون
أمري إلى مولى ^٢ إليه أمره	وكفاه من فوق كفاه ^٣ ودون
حيث استوى ^٤ الحصمان حقاً والتقى	عزّ الغني بدلة المسكين
ملك طوى سرّ المهابة شخصه	لولا أسرة وجه الميمون

١ الخلة ٢ . ١٥١ وتام المتن : ٣٦٣ وخالص : ٣١٣ .

٢ الخلة : ملك .

٣ الخلة . وكفاه . . . كفاه .

٤ د : التقى .

جَبَلٌ سَمَا بَدْوَابِيهِ إِلَى الْعَلَا
مَتَوَقِّدُ الْجَنَابَاتِ كُلُّلَ دَوْحِهِ
ذَلَّتْ لِأَيْدِي الْمَجْتَنِينَ قَطْوْفُهُ
وَنَأَى لِأَبْصَارِ الْعُصَاةِ فَإِنَّمَا
بَحْرٌ إِذَا رَكِبَ الْعَفَاةُ سَكُونَهُ
وَإِذَا طَمَى لِلذَّنْبِ لَمْ يَسْمَعْ بِهِ
كَمْ أَسْكَبَ الْعَذَبَ الْفِرَاتِ عَلَى فَمِي
وَالْيَوْمَ قَدْ أَصْبَحْتُ فِي غَمْرَاتِهِ
بَعْدَتْ سَوَاحِلُهُ عَلَيَّ وَأَدْرَكْتُ
لَا شَكَّ فِي أَنِّي غَرِيقٌ عُبَابِهِ
يَا فَتْحُ جَرِّدْهَا عَنَابَةَ فَارِسٍ
مَتَقَدِّمٌ مِنْ جَدِّهِ بَكْتِيَّةِ
وَاقْرَنْ شِفَاعَتَكَ الْكَرِيمَةَ عِنْدَهُ
فِي شِكَاةٍ مِنْ هَيْبَةٍ وَسَكِينَةٍ
فَأَبُوكَ مَنْ تَغْشَى الْمُلُوكُ بِسَاطِهِ
مَا يَعْزُضُ الْجَبَّارُ مِنْهُ لِحَاجَةٍ
يَا فَتْحُ إِنْ نَازَلْتَهُ مَسْتَرْتَرًا

ورسا بهَضْبَتَهُ عَلَى التَّمَكِينِ
بِحَنِيٍّ وَفُجِّرَ صَفْحُهُ^١ بَعْيُونَ
وَدَنَا إِلَيْهِمْ مِنْ ظَلَالٍ غَصُونِ
يَتَوَهَّمُونَ نَعِيمَهُ بظُنُونِ
وَهَبَ الْغَنَى فِي عِزَّةٍ^٢ وَسَكُونِ
إِلَّا الدَّعَاءِ يُعَانُ بِالتَّأْمِينِ
وَرَمَى يَدِي بِاللُّؤْلُؤِ الْمَكُونِ
إِنْ لَمْ تُغْشِي رَحْمَةً تَنْجِينِي
أَمْوَاجَهُ فَتَلَاعَبْتُ بِسَفِينِي
إِنْ لَمْ يَمُدَّ الْفَتْحُ لِي يَمِينِ
بَطْلٍ عَلَى حَرْبِ الْوَلِيِّ^٣ أَمِينِ
مَسْتَظْهِرٍ مِنْ لَفْظِهِ بِمَكِينِ
بِتَوَاضُعٍ عَنِ عِزَّةٍ لَا هُونِ
وَبِضَجَّةٍ مِنْ رَحْمَةٍ وَحْنِينِ
شُؤْسًا فَمَا يَرْمُونَهُ بَعْيُونَ
إِلَّا بَرَفَعُ يَدِي وَوَضَعُ جَبِينِ
فَاهِنًا بِفَتْحٍ مِنْ رِضَاهِ مَبِينِ

.....

١ د : صفحه .

٢ م ط : غرة .

٣ الحلة : درب على نصر الولي .

٤ د : حله .

٥ ط م : لدفع .

وليبخلصنَّ إليك من أعلاقه^١ عِلِّقْ يَشُدُّ عَلَيْكَ^٢ كَفَّ ضَمِينِ

وكان قد كتب أيضاً يومئذ^٣ إلى الرشيد بهذا القصيد، وهو من قصائده
الحرّة وقلائده المبرّرة^٤ :

قل لبرقِ الغمامِ مِطْوِيَّ البريدِ قاصداً بالسلام قصرَ الرشيدِ
فتقلَّبْ في جوِّهِ كفوادي وتناثرتُ في صَحْنِهِ كالفريدِ
وانجذبْ^٥ في صلاصِلِ الرعدِ تحكي ضَجَّجَتِي في سلاسلِ وقودي
فجزاك الإله من ملكٍ حُرِّ
من مطيعٍ عهد^٦ الوفاءِ مطاعِ
كنت أشدو عليك يا دوحَةَ المج
إذ جناحي نَدِي بظلكَ طَلَّقِ
وأنا اليوم تحت ظلِّ عُنُقَابِ
بقاءَ التمكينِ والتمهيد^٧
وودودِ على النَّوى مودودِ [٨٢ب]
دِي ويا روضةَ النَّدى والجودِ
ولساني رطبِ على التفريدِ
لَقَوَّةٍ مُخَوِّتِ الجناحِ صيودِ

.....

١ الخلة : أنماله .

٢ الخلة . عليه .

٣ يومئذ سقطت في م .

٤ د . المنيرة ؛ ط س . المنيرة ؛ م المذبذبة ؛ وانظر أمياتاً من القصيدة في الخلة ٢ . ١٥٢

وهي عند خالص ٣٠٩٠ .

٥ مطو البريد صاحبه ، وفي م ط . مطهر البريد ؛ الخلة . ظاهر بويدي .

٦ الخلة . وانتحب ، ودوق العطة في م كذا . ولعل الصواب . وانحدر

٧ بعده في الخلة بيتان متصلان به وهما

فإذا ما اجتلانك أو قال ماداً قلت إني رسول بعض العبيد

بعض من أعدته عنك الليالي فاجتني طاعة المحب البعيد

٨ ط . عبد .

٩ في النسخ . محوة ؛ والمخوت التي إذا غاتت أي انقصت سمع بلخاجها دوي .

أنتِمْها بناظرٍ خافقٍ اللح
غير أني سأصطفى لك جهدي
في قليلٍ من القوافي كثيرٍ
كلماتٍ كأنها الدرُّ نظماً
أنت بدر النجوم تحت سنا الشم
أنت ريحانةُ العلابني عباً
أنت إما اعترضتمُ دُرّة النّ
وإذا ما مُدحتُم نُكّتهُ الخط
وإذا ما ركبتُم الخيلَ صدّر الجي
أنت فيهم إن يُعتموا ليلة القدرِ
فهنيئاً أبا الحسينِ خلال^١
وشفوفاً على الجميعِ بسن^٢
وهنيئاً من المؤيدِ حظ^٣
لك في نفسه العزيزة حب^٤
وعلى لحظه التزيهِ طلوع^٥
وإذا ما شدا بذكركَ شاد^٦
فعلامَ السرى بصبحِ رضاه
وإلى أين في الشفيح إذا ما
بفتى نازحِ المكانِ مُطيل^٧

ظِ مَرُوعٍ وخاطرٍ مزوود^١
من ثنا طيبٍ وذكرٍ حميد
وَذَلُولٍ من المعاني شرود
طَوَّقَتْ مِنْكَ أَيَّ طوقٍ وجيد
سِ أتنكم على سماءِ السعود
دِ السّادّةِ الكرامِ الصّيد
ج فرندُ الحسامِ وسطى الفريد
بِ قَصِّ الحديثِ بيتُ القصيد
شِ عين اللواءِ قلب الحديد
وإذ يُصبحونَ يوم العيد
وصفاتُ جلتُ عن التحديد
وسناءٍ إلى سنا ممدود
لا مزيدٌ عليه للمستريد
شابَ فيه حلاوةَ التوحيد
كطلوعِ البشيرِ بالتأييد
قال أحسنتَ هزةَ المستعيد
معُ سنا وجهك الأغرّ السعيد
لم ألدُ منكَ عنده بالرشيد
غائبِ الشّخصِ ذي اعتناءٍ عتيد

١ مزوود : مذمور .

٢ د : بمن .

مشفقٍ يستجيب لي من قريبٍ وأنا أستغيثُهُ من بعيدٍ
لو أطلتُ عليَّ رحمةَ عينيه ه انجلتْ شِدَّتِي وذابَ حديدِي

قال ابن بسام : فصلدت هذه الأشعار ، يومئذٍ عن ابن عمار ، وهو في قيود الحديد ، وقالها على البديه والارنجال ، في تلك الحال ، من شِدَّةِ الاعتقال ، وبالِ يناجيه البلبال ، قد تيقنَ أنه لا يُفْلِتُ ، ولا ينظر إلاً إلى عدوِّ يَشْمَتُ ، والموت يلاحظه من حيث لا يتلفت^١ ، إذ كان المعتمد قد أحضره في تلك الحال غيرَ ما مرَّ بين يديه ، ويعدد ذنوبه عليه ، ولو قال كلَّ قصيد ورواه حولاً كاملاً^٢ ، في أمنٍ ودعة ، وفرطِ شهوة أو شدة حمية وعصبية ، لما زاد على ما أجاد ، فكانت هذه القصائد القلائد ، مع ما تشتمل من البدائع الروائع ، رقي لم تنفع ، ووسائل لم تنجع ، فإذا سبق القدر ، فلا ورد ولا صدر . [٨٣] .

أخبرتُ عمَّن صحب الراضي في وجهته يومئذٍ من شقورة وكان ممن رقبَ على ابنِ عمار ، فجعل يكلأه في طريقه ، خوفاً على نفسه ومراعاةً أيضاً لسالفِ حقوقه ، فاما انتهى^٢ إلى قرطبة وسلم للقصر ، دعى ذلك الرجل مع أصحابه بعد العصر ، في سلاح شكٍ وتعبئةٍ ظاهرة ليصبحوه إلى اشيلية ، فبينما هم عند بابِ السدةِ ينتظرون إلى أن يسلم إليهم ابن عمار ، وقد انسلخ النهار ، إذ أوجسوا نبأه^٣ ، فإذا المعتمد قد خرج والشمع بين يديه

.....

١ في النسخ : يلتفت ، وإنما نثر قول تميم بن جميل السدوسي (الوافي للرندي : ٢٠) :
أرى الموت بين السيف والنطع كامساً يلاحظني من حيث ما أتلفت
٢ قارن بالحلة ٢ : ١٥٨ .

وخدمه^١ حوالبه ، وابن عمار^٢ بينهن^٣ على بغل^٤ يهزأن به ويتضحكن ، فأعربت^٥ حاله يومئذ^٦ بمباديها ، على^٧ سوء العاقبة^٨ فيها .

وحدثني أبو بكر الخولاني المنجم قال^٩ : لما وصل المعتمد إلى اشبيلية من وجهته تلك ، سجن^{١٠} ابن^{١١} عمار داخل^{١٢} القصر على قُرب^{١٣} منه ، وأحضره مراراً بين يديه ، يعدد^{١٤} ذنوبه عليه ، فبقي مدة^{١٥} كذلك ، في سجنه هنالك ، لا يتنفس ولا يتحرك إلا تحت سَمْعٍ وَعَيْنٍ ، فاستدعى يوماً سحاة^{١٦} ودواة^{١٧} فَبُعِثَ^{١٨} إليه بِزَوْجِ^{١٩} كَاغِدٍ^{٢٠} ، فكتب إلى المعتمد شعراً استرحمه فيه ، فعطف عليه ، وأحضره ليلته تلك ، ووعدته بالعفو عنه ، فخطب^{٢١} ابن^{٢٢} عمار من حينه الرشيد^{٢٣} بذلك ، فلمح^{٢٤} تلك^{٢٥} المخاطبة^{٢٦} عيسى بن الأعمى^{٢٧} وزيره يومئذ^{٢٨} ، فتحدث^{٢٩} بالأمر ، وذاع^{٣٠} السر^{٣١} ، وانتهى^{٣٢} الخبر إلى الوزير أبي بكر بن زيدون صاحب^{٣٣} الدولة وقتئذ^{٣٤} ، وعداوت^{٣٥}ه لابن^{٣٦} عمار أوضح من أن تُشْرَحَ^{٣٧} ، فَدَمَعَتْهُ^{٣٨} من ذلك دامية ، وبات^{٣٩} بليلة^{٤٠} النابغة ، وتخلّف^{٤١} عن^{٤٢} الركوب إلى القصر صبيحة^{٤٣} الغد ، حتى^{٤٤} ورده رسول^{٤٥} المعتمد ، وحَدَسَ^{٤٦} أن^{٤٧} مجلس^{٤٨} سير^{٤٩}ه مع ابن^{٥٠} عمار وصل^{٥١} إليه ، واستفهمه فوجد نص^{٥٢} المجلس عنده ،

.....

١ الخلة : وحرمه .

٢ الخلة : عن .

٣ انظر الخلة ٢ : ١٥٩ .

٤ هو عيسى بن يوسف بن سليمان الشتمري ، ولد أبي الحجاج الأعمى اللفوي المشهور ، روى عن أبيه واختص بعبيد الله بن المعتمد حتى استوزره ونال معه دنيا عريضة (الذيل والتكملة

٥ : ٥١٥ والتكملة : ٤٠٩) .

٥ د : في وقته .

٦ ط : وحَدَسَ إليه .

فازداد حنقاً على ابن عمّار الحائز ، وحرّك ضيقه الساكن ، فقال لأحد الصقالب : سل ابن عمّار كيف وجدّ السبيل ، مع عظيم الترقيب ، إلى إفشاء ما أخذت معه فيه ^١ ، فلما سأله أنكر ، قال المعتمد : فما أراد بالكاغد الذي طلب ؟ قال : إنه أخبر انه كتب إليك فيه بشعر ، قال : هو في ورقة مفردة ، فما فعل بالأخرى من الزّوج الكاغد المبعوث به إليه ؟ قال : كتب فيه مسوّد ذلك الشعر ، قال المعتمد : خذها منه لأتيف على ذلك ؛ فلما لم يجد بُدّاً من النطق بالصدق ، رجع إلى الحقّ ، وقال : إنني خاطبت الرشيد بما وعدني به مولانا من العفو ، فاتقد ^٢ المعتمد ، وقام من قوره كما كان ، وأخذ طبرزينا ^٣ ، وجاء إلى موضع ابن عمار الذي كان فيه مسجوناً ، ودخل إليه ، ففرغ - كما كان في قيوده - إلى تقبيل رجله ، فضربه به ، ثم أمر بأن يتمّ عليه ، وأخرج ووري في قيوده ، خارج باب القصر المبارك المعروف في اشبيلية باب النخيل ، فمضى رحمه الله على هذا السبيل . واتفق بأن وقع حفرة بموضع رسمه من ذلك المكان ، لبنان عرّض فيه بعد نيّف على عشرين سنة من مقتله ، فأخبرني منّ شهد إخراج جمجمته وأعظم ساقه بكتّبله وهي رميم ، « وعند الله تجتمع الخصوم » ^٤ . وما وقفت في

١ الحلة : مع البارحة فيه .

٢ ط : فالتقد ؛ د : فانقد .

٣ اضطربت كتابة اللفظة في ط م س (ط : طبر بزيراً ، وفوقها : كذا) .

٤ بحاشية ط شعر بخط الأصل وهو .

أما والله إن الظلم لوم وما زال المعية هو الظلوم
إلى ديان رب العرش نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

قلت : والبيتان لأبي العتاهية وقد مر تخريج الثاني منهما :

تأيين ابن عمار على شعرٍ لأحدٍ من أهل العصر ، غير بيت مُفردٍ شهد أن^١
المعتمدَ باشر قتله بيده ، وهو لعبد الجليل حيث يقول^٢ :

عجباً لمن أبكبه ملءَ مدامعي وأقول لاشأئتُ يمين القاتلِ

وكان عبد الجليل متعصباً لابن عمار ، مائلاً إليه بطبعه ، إذ كان الذي
جذبَ بِضْبَعِهِ ، ونوّهَ بذكره ، ونفقَ من شعره ، وعرفّه بالمعتمد حتى
استخلصه لنفسه ، وأحضّرهُ مجالسَ أنسِهِ .

ويتعلّقُ بهذا القتلِ الشنيع ، خبرٌ غريب المسموع ، في ذلك الأوانِ ،
وحديثٌ ظريفٌ من الحدّثان^٣ ، أخبِرتُ به عن غير واحد من وزراء المعتمد ،
وذلك أنه لما مَضَتْ لقتلِ ابنِ عمار أيام ، حضروا مع المعتمد في مجلسِ
أنسٍ ، فلما طابتِ الأنفس ، وأخذت [٨٣ ب] منهم حُمِيّاً الأكوّس ،
وارتاح المعتمدُ وهزَّ عِطْفَهُ ، وبدأ على قسماته عطفه ، سُئِلَ عن هذا
الخبرِ المستظرف ، الذي كانوا سمعوه من بعضِ السَلَفِ ، وأقسموا عليه
بتخليدِ ملكه في أنْ يحدّثهم بحديثٍ كان إليه ينسبُ ، وقالوا : هو من قمِ
مولانا أطيّبُ ، فقال لهم كلاماً معناه لعلّ هذا الاستخبار عن شأنِ ابنِ عمار ،
قالوا : أجل ، وطفقوا يقدّونهُ بالأنفس ، وأكثروا في ودادهِ من شربِ
الأكوّس ، فأخبرهم أنه كان أيامَ مقامِهِ بشلبُ ، قد غلب ابنُ عمار على
نفسِهِ ، وأخذ بمجامعِ أنسِهِ ، فأمره وأخذَ عليه - إذا دعا أصحابه - أن
يكونَ أوّلَ داخلٍ وآخرَ خارجٍ ، ليأنسَ به ويتمتّعَ بأدبه ، فيجده ينفرُ

١ الحلة ٢ : ١٦٠ .

٢ انظر الحلة ٢ : ١٦١ .

نِفَارَ الشَّارِدِ ، وَيَتَسَلَّلُ مِنْ مَجْلِسِهِ تَسَلَّلَ الطَّرِيدَةُ مِنْ يَدِ الصَّائِدِ ؛ فَلَمَّا أَبِي
إِلَّا اطْرَادًا عَنْ أَصْلِهِ ، وَطَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ مِنْ فَعْلِهِ ، تَقَدَّمَ إِلَى أَصْحَابِ سُدَّتِهِ
لِيَاةً فِي تَرْقُبِهِ ، وَمَنَعِهِ مِنْ مَذْهَبِهِ ، وَأَنْذَرَهُ وَهَدَّدَهُ ، وَأَقَامَ فِي ذَلِكَ وَأَقْعَدَ ،
وَقَامَ ابْنُ عِمَارٍ كَعَادَتِهِ ، فَلَمْ يَحْفَلُ الْمَعْتَمِدُ لَيْلَتَهُ بِمَكَانِهِ ، لَمَّا كَانَ قَدَّمَ
فِي شَانِهِ ؛ فَلَمَّا انْفَضَّ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ ، التَّمَسَّهُ فَفَقَدَهُ ، وَطَلَبَهُ مُنْتَهَى
جَهْدِهِ فَمَا وَجَدَهُ ، وَأَحْضَرَ مَنْ كَانَ أَوْصَى فِيهِ إِلَيْهِ ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَمْ تَقَعْ
لَهُ عَيْنٌ عَلَيْهِ ، فَرَابَهُ أَمْرُهُ ، وَخَفِيَ عَنْهُ سِرُّهُ ، فَشَهَرَ فِيمَا بَلَغَنِي سَيْفَهُ
وَأَخَذَ الشَّمْعَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَجَعَلَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ يَحْسِبُهُ وَلَا يَحْسِبُهُ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى
بَعْضِ الدِّهَالِيزِ إِذَا بِحَصِيرٍ مَطْوِيٍّ ، وَابْنَ عِمَارٍ فِيهِ أَغْمَضُ مِنْ سِرِّ خَفِيِّ ،
عَرِيانٌ كَالْأَفْعَوَانِ ، فَأَمَرَ بِحَمَلِهِ ، وَهُوَ قَدْ تَعَجَّبَ مِنْ فَعْلِهِ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ
بِالْمَعْتَمِدِ الْمَجْلِسَ ، جَعَلَ يَبْسُطُ جَانِبَ ابْنِ عِمَارٍ وَيُؤْتِسُّ ، وَابْنُ عِمَارٍ يَبْكِي
فِيضْحِكٍ ، وَيَشْكُو فَيُشْكِكُ ، فَلَمَّا سَكَنَ قَلِيلًا ، وَأَفْرَخَ رَوْعُهُ ، وَرَقَا
دَمْعُهُ ، سَأَلَهُ عَنْ شَأْنِهِ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ كَلَّمَا كَانَتْ تَأْخُذُ مِنْهُ الشَّمُولُ سَمِعَ كَأَنَّ
قَائِلًا يَقُولُ : يَا مَسْكِينَ ، هَذَا يَقْتُلُكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ ، كَلَامًا هَذَا مَعْنَاهُ ، فَلَا
يَزَالُ يَطْلُبُ الْأَنْسَ بَوَسْعِهِ فَيَبْعُدُ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَيَمْتَنِعُ ، حَتَّى يَصْنَعَ مَا يَصْنَعُ ،
إِلَى أَنْ كَانَ لَهُ مَعَهُ الْمَذِي قُدْرٌ .

ومن مقاله في أثناء اعتقاله هذه القطعة البديعة ٢ :

يقول قومٌ إنَّ المؤيِّدَ قد أحالَ في فديتي على نَقْدِهِ

.....

١ د : يسمع .

٢ ذكر ابن قاسم الشلي الذي أخذت عنه أكثر أخبار ابن عمار أن هذه القصيدة وجدت في قراب
ابن عمار بعد قتله (الحلة ٢ : ١٦٠) ؛ وانظر الأبيات عند خالص : ٣١٧ .

يا قوم^١ ماذا الشراءُ ثانيةً ترى لمعنى يَريبُ من عنده ؟^٢
أوحشتني والسَّماحُ عادتهُ سماحهُ بالغلاءِ في عبده
الحمد لله إن يكنُ حرجاً فليس في مثلهِ^٣ سوى حمده
وحيلة إن وصلتُ حضرتَه جعلتها رغبةً إلى جنده
لو ساءوا في الفرندِ أرمقهُ من طرفه لم أخفه من غمده
يا ربُّ بَشِّرْ برحمةٍ وحيّاً يؤنسُ من برقهٍ ومن رعدِه

ومنهم الوزير الكاتب أبو الوليد حسان بن المصيصي^٤

وهو أيضاً من شلب ، ومن ذلك الأفقِ طلعتْ نجومُ الكلام ، فأضاعت
البلاد ، ونشأتْ غيومُ النثارِ والنظام ، فطبقتْ الهضابَ والوهاد ؛ إلا أن
حساناً^٥ هذا وصاحبيه أبوي بكر : ابن عمار وابن الملح كانوا هنالك رؤساء
الأمّة ، ورؤوس إجماع الأئمة ، ونجمتْ دولةُ المعتمد ابن عباد بتلك البلاد
وهم أغصانُ دَوْحَةٍ ، وأخذانُ عَدْوَةٍ إلى طلبِ العلمِ وَرَوْحَةٍ ، يتدارسون

... ..

١ الخلة : فقلت .

٢ الخلة : مثلها .

٣ انظر المغرب ١ : ٣٨٥ والمسالك ١١ : ٤٢٨ (وفيه نقل عن الذخيرة) ورايات المبرزين :

٢٧ (غ) والخريدة ٢ : ١٩١ ، ٣ : ٥٨٨ (ط . تونس) والفتح ٤ : ٣٠٧ ؛ ولفظة

« حسان » سقطت من م س ط .

٤ في الأصول : حسان ؛ وقد اضطرب الاسم فجاء حيناً مصروفاً وحيناً ممنوعاً من الصرف ،

وهذا جائز فيه ، لأنه ان كان من « حسن » كان مصروفاً لأصالة النون فيه ، وإن كان من

« حس » كان ممنوعاً من الصرف لأن النون فيه زائدة ؛ ولكني أجريت ما جاء في هذا النص حل

سياق واحد . أي اعتبرته مصروفاً .

آياته ، ويتبارون^١ إلى أبعد غاياته ، ولكل دليل^٢ في السنا مشتهر ، وسبيل^٣ إلى العلياء مختصر . ونهض تصريف المقدار منهم بـ ابن عمار ، فشب عن طوقه^٤ ، بالحمل وأوقه^٥ ، وبلغ المبلغ الذي استغنى باشتهاره عن تكراره ، وتبعه هذان في الانقطاع إلى الدولة ، بحسبان كل^٦ بيضاء شحمة^٧ ، ويتخيّلان كل^٨ ضوء نجمة^٩ ، والله في بريته أقدار^{١٠} يُمنّضها ، ومن مشيته أسرار^{١١} يتفرّد بها فيخفيها ، فلم يحصل إلا^{١٢} على لبس ما خلع [١٨٤] والارتسام حيث أشار ووضع ، فأما ابن الملح فإنه نفّر نفرة الأنيف ، وفرّ فرار الحنق الأسيف ، مؤثراً للانزواء ، على الاستخفاء ، مكتفياً بالدون ، من التصرف على الهون ، وكانت له خلال ذلك مدائح^{١٣} يُهنديها ، ورحل^{١٤} إلى الحضرة يحمل^{١٥} على نفسه الأبيّة فيها ، فيطراً جديداً ، ويصادف عهداً بها بعيداً ، فيؤوب^{١٦} ضخم العياب ، محمود المقام والإياب . وأما حسّان هذا فصّدق^{١٧} الحملة ، ولزم الحملة ، معتبطاً^{١٨} بما حوّل ، جاعلاً نفسه حيث جعل^{١٩} ، ورضي من ابن عمّار^{٢٠} بوطء عتيبه^{٢١} ، ولزوم مركبه ، وابن عمّار^{٢٢} يرعاه لمكانه ، ويخاف انتباه المعتمد^{٢٣} لشانه ، حتى زاحمه أخيراً بالأديب أبي محمد عبد الجليل ، فأقرّ له بالفرق ، وأخذ منهما جميعاً قصبات^{٢٤} السبق . وكان ابن عمّار^{٢٥} بعد ذلك كلّه

١ م : ويتبادرون .

٢ الأرق : الثقل .

٣ ناظر إلى قول الشاعر :

وكنا حسينا كل بيضاء شحمة عشية لاقينا جذام وحميراً

وهو من المثل : ما كل بيضاء شحمة (الميداني ٢ : ١٦٩ والسكري ٢ : ٢٨٧ تحقيق أبو

الفضل ، وانظر ما تقدم ص : ١١٤) .

٤ معتبطاً : سقطت من م .

كلّما مرّ ذكرُ عبد الجليل ألقى يديه^١ ، وشهد له بالفضل عليه ، وليست الحظوظُ بالأقدار ، ولا الأمورُ على الاختيار . ولما أنشأ المعتمدُ لابنه الفتح ، دولته بقرطبة المتقدّمة الشرح ، أصحبه حسناً هذا كاتب سرّه ، وصاحباً أكثرِ أمره . وقد أخذتُ من شعره عدلَ شاهدٍ على ما أُجريتُ من ذكره .

جملة من شعره في المدح وما يتصل به

له من قصيدة في المعتمد أوطأ :

أضاءَ بك الأفقُ الذي كان أظلماً	وقد لحتَ في الإكليلِ بدرأ متمماً
على أيّ وجهٍ لم يُشعشعْ طلاقةً	وفي أيّ ثغرٍ لم ينورْ تبسماً
وقد صغتَ من ذلك المحيّا وحُسنه	صباحاً ومن تلك الخلائقِ أنجماً
إذا غبتَ عن أرضٍ تمثّلَ أهلها	« عسى وطنٌ يدنو بهم ولعلّما » ^٢

ومنها :

ألاّ قلّ لأربابِ المخائضِ أهملوا	فظلّ ابنِ عبّادٍ عليهنّ أينما
فهل تقندي الأعلامُ فيك بحارها	لتحظى بعقْدِ السّلمِ منك فتسلما
مع الله بمضو ^٣ إن متضوّاً مع غيره	ولله أحرى أن يتقلّ ويفغما
وليدتَ مع الإقدامِ في ساعةٍ معاً	فقدأك في الهيجاءِ كَوْنُكَ توأما

١ م : بيده .

٢ صدر بيت لأبي تمام (ديوانه ٣ : ٢٣٢) وعجزه : وأن تعب الأيام فيهم فرجماً .

٣ يقال في مضارع مضى : يمضو ويمضو .

والله عاداتٌ لديك جميلةٌ يُفيدك أرياً حيث تحسبُ علقما
 ولو جببني طيً رميتَ بفرقةٍ لجاءَ أجا سلمى إليك مسلماً
 لذلك ابنُ عمّارٍ نبي أذفونش طائماً بسعدك حتى لو أمرتَ لأسلما
 ولم يبقِ روميّاً بفضلك مشركاً وان أشركوا بالله عيسى بن مريما
 تفاءلتَ باسم الفتح^١ لما لقيتهُ لتفتحَ أمراً خاله^٢ الناسُ مبهما
 تلاقيتما للسعدِ بدرأً وكوكباً أباً لا يُبارى في المكارمِ وابنما

ومنها :

أراهُ وأرجوه وأنشرُ فضلهُ فيملاً مني العينَ والكفَّ والنما

ومعنى هذا البيت الأخير كقول ابن شرف^٣ :

سلّ عنه وانطق به وانظر إليه تجدُ ملءَ المسامعِ والأفواهِ والمقلِ

وإلى هذا المعنى أيضاً ينظر قولُ الحسن^٤ على رأي بعض من فسّر وهو :

* ألا فاستقي خمرأً وقل لي هي الخمرُ *

وقوله : « ولم يبق روميّاً بفضلك مشركاً » كقول محمد بن هاني^٥ :

.. " " " " ..

١ ط م د س : تفاءلت بالفتح اسم الفتح .

٢ ط د : داله ؛ م س : دله .

٣ يرد مع أبيات أخرى له في القسم الرابع من الذخيرة (الورقة : ٩٠) .

٤ يعني أبانواس ، ديوانه ٢٧٣٠ ، وعجز البيت : « ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهر » .

٥ ديوان ابن هاني : ١٧ .

لم يشركوا في أنه خيرُ الورى ولذي البريةِ عندهمُ شركاءُ [٨٤ب]

وله من أخرى فيه ، أولها ١ :

من استطال بغير السيفِ لم يَطلِ
أعدتكَ^٢ صحبتك الأرماحَ شيمتها
وإن أتتكَ أمورٌ لم تُعيدْ لها
أقدمُ على عَجَلٍ وارغب على زهد
حاز المؤيدُ مما قلتُ أفضله^٣
ولم يخبُ من نجاحِ سائلِ الأسلِ
فانفذ نفوذَ القنا في الأمرِ واعتدل
فانهضُ برأيك بين الرئسِ والعجل
واغلظ على رقةِ واسفرُ على خجل^٣
وزاد للفرق بين القولِ والعملِ

وهذا البيت الأخير مما بعدَ شأوهُ ، وفات سرؤهُ ، وتجاوز أكثر
الحدِّ عفوهُ .

ملكٌ توأصلهُ الدنيا وبهجرتها
لا تحمدن زُهدَ منٍ لم يُعطرَ رغبتهُ^٤
وكم له سنَّةٌ ضاءَ الزمانُ بها
تعطي الهواءَ ومثنَّ الأرضِ غرتهُ
سراً ويلبسُ تقوى الله في الحلالِ
لعلَّةٍ غصَّ من جفنيه ذو الحوَالِ
ضوءاً بلا لبٍ كالشمس في الطمَلِ
نوراً وتوراً عطاءَ الشمسِ في الحملِ

وهذا البيت لحسان من حسنات شعره ، وأبين آياتِ ذكره ، فيه توليدٌ ،
شَهِيدٌ أنه شاعرٌ مجيدٌ :

١ منها أبيات في العرب والمسالك والرايات .

٢ ط م د : أغرتك ؛ س : أعزتك .

٣ في الأصول : واغلظ على رقة وارغب على زهد ، والتصويب من المغرب .

٤ الرايات : قدرته .

تَناهَ عِفَّتُهُ عَن أَمْرِ بَطْشَتِيهِ فَالمشترى عنده قاضٍ على زحل
وهذا البيت أيضاً من مליح المنظوم ، وله اختصاصٌ "حَسَنٌ" بأحكام
النجوم ؛ ومنها :

بَطْوي على نُورِ إيمانٍ جَوَانِحَهُ فالنفسُ من كوكبٍ والجسم من رجل
لم يَتَعَقَّ يوماً ولا احلولى لمَسْطَرِطٍ وإنما هو بين الصَّابِ والعسل
جرَّ الدبولَ ولكنْ من جحافلِهِ على القَتَادِ ولكن من شبا الأسل

وهذا البيت أيضاً مما برز في لفظه ومعناه ، وأراده كثير من الشعراء
فأحياه :

فلم يَطَّ غَيْرَ ما نَحكي شمائلُهُ مع الجزالةِ من سَهْلٍ ومن جبل
جلالةٌ أَدْخَلْتِ أَملاكَ أندلسِ تحت الخناعةِ والإحجامِ والفشل
كَانَ مُلْكُكَ أَسنى من ممالكِهِمْ وَأَنَّ دَوْلَتَكَ العُلْيَا على الدول
لما دعا القادرُ المضعوفُ قال له أخوه عنك : أخي لا تَبكِ في طلل
صَفَحَتْ عنه لآمالٍ له سَلَقَتْ وربما كُرِهَ التفصيلُ للجمل
قد يدخل المسلمُ المخطي الجنانَ غداً بنبيِّ أرتجي الغفرانَ لأ عملي

وهذا البيت مما خلصَ فيه يقينُهُ ، وَحَسُنَتْ بِخالقه ظنونُهُ ، وعسى
الله أن يلقِيه مآلها ، فربَّ مرحومٍ بكلمةٍ قالها .

وما أحسنَ أيضاً ما أنشدته للحسن بن رشيق^١ ، وقد مُنِّحَ من التوفيق

١ ديوانه : ١٥٣ .

لسلوك هذه الطريق :

إذا أتى الله يومَ الحشرِ في ظلِّ وحاسبَ الخلقَ مَنْ أَحصى بقدرته ولم أجدُ في كتابي غيرَ سيِّئةٍ رجوتُ رحمةَ ربِّي وهي واسعةٌ
وجيءُ بالأممِ الماضينَ والرُّسلِ أنفاسَهُمْ وتوفَّاهُمْ إلى أجلٍ تسوعني وعسى الإسلامُ يسلمُ لي ورحمةُ الله لي أرجى من العملِ [١٨٥]

وفي هذه القصيدة يقول أحسان :

لولا الكتابُ لم تنظم مواكبها
من كلِّ مُعتَقِلٍ بالبأسِ مخترِطٍ
يقودهم من بني قحطانَ ذو بدعٍ
ينبيك سؤددُهُ عن صيِّدٍ معشره
لا تعجبنيك عكيا لا قديمَ لها
بيضٌ يمانون إن سلَّوا بمانيةً
وكم جلتوا بالندى من ليلٍ مفتقرٍ
إذ كلُّ نابتةٍ شوكٌ بلا ثمرٍ
طلبتُ مثلَهُمْ في غيرِ حيثهمُ
ما زال يندى على كفِّي بنائليه
مَنْ مُبلِّغٌ يندهُ أني نظمتُ لها
شكراً ذكرتُ به من جوده سرفاً

نظمتُ العقودِ لكانَ الدهرُ ذا عطلٍ
للعزمِ ، مدرِّعٍ للحمزِ مشتملٍ
من الندى والمعالي لا من النحلِ
فليس يُزري أخيراً المجدُ بالأولِ
ولا نحلُّ غُرَّةً ما ابيضُّ بالكفلِ
لم يُعرفِ السيفُ في الهيجا من الرجلِ
كانتْ دمةٌ في جفنٍ مكتحلٍ
وكلُّ طائفةٍ شوزٌ بلا عسلِ
فلم أجدُ غُرَّةَ الأفراسِ في الأبلِ
حتى مسحتُ على عيني من بللِ
شكراً جعلتُ قوافيه من القبلِ
كانه مُفرِّغٌ في قالبِ العذلِ

.....

١ م : يقول فيها .

٢ س : وكان .

لعلّ عذريّ في ذا الغزو قد عرفتُ أسرارهُ بلسانِ صادقٍ مدلٍ
وما الحروبُ ومثلي أنْ يشاهدَهَا وإنما أنا حسّانٌ وأنت علي

قال ابن بسّام : وأظنّ حسّاناً هذا لم يكن له علمٌ بالسير ، ولا
تصرفٌ بعلم الخبر ، وقد رأيتُ جماعةً من أهلِ الأدب ينسبون حسّان
ابن ثابت رحمه الله إلى الجبن ، ويخرجونه من أهلِ الضربِ والطعن ، يحتجّون
في ذلك بقعوده عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم ، في مغازيه وسراياه ،
وينشدون له في ذلك شعراً أظنهم نخلوه إياه . وهي هذه الأبيات على رواية
بعض الرواة^١ :

أيها الفارسُ المشيخُ المُطيرُ إنَّ قلبي من السلاحِ يطيرُ
ليس لي قوّةٌ على رَهجِ الخيِّ ل إذا ثورَ الغُبَارَ مثيرُ
أنا في ذا وعند ذاك بليدٌ وليبٌ في غيره نحريرُ

ولا أمّري أنّها منحولةٌ إليه ، ومفتعلةٌ عليه ؛ وبلغ من حججهم على
ذلك حديثه في شأن اليهوديّ يوم الأحزاب^٢ المطيفِ بالأطم الذي كان النبي
صلى الله عليه وسلم ، أحرز فيه النساء والأبناء ، وإن حسّاناً حضّ صفية
بنت عبد المطلب على قتله وأخذ سلاحه ، ويقولون لم تكُنْ به قوّةٌ
على سلبه ، فضلاً عن حربته ، وذهب عليهم أن حسّاناً ، رحمه الله ، كان

.....

١ لم ترد هذه الأبيات في ديوان حسان .

٢ انظر هذا الخبر في السيرة ٢ : ٢٢٨ والإصابة ٢ . ٨ وفيه قول حسان عندما حضته صفية
على قتل اليهودي : « يهتر الله لك يا ابنة عبد المطلب ، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا »
وقوله بعد أن قتلتته وحرضته على سلبه : « ما لي بسلبه من حاجة . . . » .

قد أصيب في بعض حروبهم في الجاهلية ، فقطع أكحله ، وفي ذلك يقول^١ :

• وخانَ قراعَ يدي الأكحلُ •

ومن أدلّ شيءٍ على ذلك أنه هاجى في الجاهلية والإسلام أكثرَ من ثمانين شاعراً ، لم يَصِفْهُ أحدٌ بالخبث ولا عيِّره به ، ولم يكن شيءٌ يتعايرون به أشدَّ . ولحسن أيامٍ مشهورة ، ومواطنٍ في الحروب المذكورة ، وكان ممن له كنيّتان في السلم والحرب ، كما كان الأبطال تفعلُ على عهده ، كان يكنى في السلم بأبي الوليد . وفي الحرب بأبي نعام^٢ .

وقد أولع ابنُ المصيصي [٨٥ ب] بهذا المعنى فأعاده وأبداه ، وألحمته وأسداه . وأعجبه ما اتفق له منه . حتى أخرجه إلى ما كان في مندوحةٍ عنه . والشعرُ ميدانٌ ربما دعا الأرنَ إلى المراح ، وأخرج السابقَ إلى الجماح ، فقال من قصيدة يمدح بها المعتمد ، وذكر نفسه وابن عمّار :

كأن أبا بكرٍ أبو بكرِ الرضى وحسانُ حسانُ وأنتَ محمدُ^٣

فأراد أن يُعرب فأعجم ، وأحبَّ أن يضيء فأظلم ، ونعوذ بالله من الخطل في القول ، ونبرأ إليه من القوّة والحول .

.....

١ ديوانه ١ : ٤٣٢ وصدر البيت : « أضرب جسمي مر الدهور » .

٢ كان حسان يكنى أبا الوليد - وهي الأشهر - وأبا المضرب وأبا الحسام وأبا عبد الرحمن ؛ ولم أجد أحداً ذكر له كنية في الحرب ؛ وأبو نعام كنية قطري بن الفجاءة ، ولا مانع من أن يتكنى بها غير واحد من الناس .

٣ إزاء البيت بهامش ط تعليق بخط الأصل ، وهو : يا مصيصي لقد أفرطت ، وفي قبيح القول تورطت ، وفي التأديب فرطت .

وقول ابن المصيصي : « مَنْ مَبْلَغُ يَدِهِ » . . . البيت كقول ابن عبدون :
بَلِّغْ سَلامَ فَمِي يَدَيَّ مَلِكٍ غابَ الملوِكُ عن العِلا وشَهدُ
وكوَرَه ابنُ عبدون في موضعٍ آخِر ، فقال :
وبلِّغْ عن فَمِي يَدَهُ سَلاماً كما أدنَى الأَزهيرَ الرِبابُ
وقول حسان : « ويلبسُ تقوى الله في الحِللِ » لفظ أبي الطيب :
• وكساني الدرَعَ في الحِللِ •

وقوله : « لا تحمدنُ زهداً مَنْ لم يُعْطَ رَغبتَه » . . . البيت ، معنى
قد أكثر الناس فيه ، وإن كان لحسان فضلٌ بزيادة التشبيه ؛ ومن مشهوره
قول حبيب^١ :
إذا المرءُ لم يزهدْ وقد صُبِغَتْ له بَعْضُهَا الدُنيا فليس بزاهدٍ
وقد أحسن فيه أبو الطيب بقوله^٢ :
والظلمُ في خُلُقِ النفوسِ فإن تجدِ ذا عَفْةٍ فلعلَّتهِ لا يظلمُ
وقال بعضُ أهلِ عَصري :
تورَّعُوا بينَ لا عِزٍّ ولا ظفِرٍ وأَكثُرُ الضَّعْفِ محسوبٌ على الوَرَعِ

١ ديوان المتنبي : ٣٢٩ وأول البيت : جاد الأمير به لي في مواهبه ، فزاتها . . .

٢ ديوان أبي تمام : ٢ : ٧٣ .

٣ ديوان المتنبي : ٢١٩ .

٤ د : لا عزوا ولا ظفروا ؛ م س ط : ولا ظفروا .

وقوله : « كالشمس في الطفّل » معنى بيتنُ النقصانِ . قصيرُ الباعِ
في مدى الإحسانِ . وفيه نقدٌ أعربَ عنه بعضُ أهلِ زماننا . ومَنُ في
طبقةِ ديواننا . وهو أبو حاتمِ الحجاري^١ . وزاد فيه بقوله :

فكفى من الدينارِ صُفْرَةً وجهه . الشمسُ صُفْرَتها من أجلِ زوالها

وقد نقله بعضُ أهلِ عصري إلى النسيب ، فقال :

يَعْيُونَهَا عِنْدِي لَصْفَرَةٍ وَجْهَهَا فَقَلْتُ الْمِرْقَلِيَّاتُ^٢ أَوْجُهَا صَفْرُ

وقوله للمعتمد : « فلم يظأ غير ما تحكي شمائله » . . . البيت . أرى
حساناً مما بلّح فيه سبّره^٣ . ووقعَ طيره^٤ . هذا يظأ المعتمد فليت شعري
ما يظأ غيره ؟ !

وقوله : « من كل معتقل بالباس مخترط » . . . البيت من التقسيم^٥
الملبح في القريض . الذي كثيراً ما يتفقُ في هذه العروضِ ، وهو شبيه
بقولِ أبي سعد المخزومي^٦ :

وما يريدون لولا الحين^٧ من رجلٍ بالليلِ مدرّعٍ بالجريرِ مكنتحلٍ

وشبيه أيضاً بقول أبي تمام^٨ :

١ ترجمته في القسم الثالث : ٦٥٢ .

٢ المرقليات : الدناير .

٣ المعتمد . . . التقسيم : سقط من م .

٤ السمط : ٧٦٦ وزهر الآداب : ٣٣٠ والمختار : ٨٠ ، وديوان أبي سعد : ٥٢ .

٥ في النسخ : الجبر ، وهو ما في زهر الآداب أيضاً .

٦ ديوان أبي تمام ١ : ٦٣ .

تديبرٌ معتصمٌ ، بالله منتقمٌ في الله مرتقبٌ ، لله مرتقبٌ^١
إلى غير ذلك مما لا يُحصَى ، والإحاطة لله تعالى .

وقال حسّان من قصيدةٍ أوّلها^٢ :

بياضَ أياديكَ نَحكي الصَّفاحُ
وأنبَتِ^٣ الحربُ شوكَ القَتَادِ
وكم لك في السّلم وجهٌ حيٌّ^٤
فما غيرُ أصلِكَ عودٌ نضارٌ
فجودُكَ صِرْفٌ عداهُ المزاجُ
فلو كان خيَمُكَ من ماءٍ كرمٍ
ألم ترَ غادِرَ أسطبةٍ^٥
سيدعى براقشَ أصحابِهِ^٥
فداسوا على قِصْدِ الذابلاتِ
وغنى الحمامُ برقصِ الرُّوسِ
أينخى عَلاك على ذي جفونٍ
ولما زَجَرْتُ بذكركَ شعري

ومثلَ نفاذِكَ تحلُو الرِّماحُ [١٨٦]
وفتحتِ الوردَ فيها الجراحُ
وكم لك في الحرب وجهٌ وقاح
ولا غيرُ لَحْمِكَ حيٌّ لقاحُ
وطبعك جيدٌ عداهُ المزاجُ
لما شابههُ فيك ماءٌ قراحُ
حوَى الخُسْرَ صَفْقَتَهُ لا الرِّباحُ
فقد دلّ منه عليهمُ نُباجُ
تبكي دماءٌ عليها الصَّفاحُ
ولدّ اغتباقٌ وطابَ اصطباحُ
ويطمعُ يبدو إليه الصِّباحُ
تبيّنَ يَنشالُ فيها المراحُ

١ الديوان : لله مرتقب في الله مرتقب .

٢ منها أبيات في المسالك وبيتان في تمام المتن : ٢٩٠ .

٣ م س ط : فانبئت .

٤ اسطبة أو اصطبة (Estepa) على بعد ٢٣ كم إلى الشرق من أشونة (Osuna) وتقع

ضمن ولاية اشبيلية (الروض رقم : ١٨) .

٥ فيه إشارة إلى المثل : « على أهلها دلت براقش » .

ولولا أياديك خابَتُ يدي
برقةٍ معناه يسري كلامي
وَجَدْتُ معاليك أصلاً لشعري
لك الفضلُ أن طاب شكري ونشري
ولم يورِ مِن زَنْدٍ فكري اقتداح
إذا الحصرُ رقَّ يجولُ الوشاح
وهل نُظِمَ الدر لولا النَّصاحُ
بطيبِ الرياضِ نفوحِ الرياح

وله فيه^٢ أيضاً من قصيدة^٣ :

ليس العلا إلاً على كرمٍ
من لحمٍ أصلك يا مملِّكُ أمْ
كأسُ المسرةِ قد سكرتُ بها
شِدِّ في الوغى لك منزلاً خشناً
ودعِ الرياضَ لمن يلدُّ بها
أذكى من الآسِ النضيرِ قناً
إنَّ النطاحَ من الورى خلقُ
أيقومُ خطُّ ما له سَطْحُ
في الخطِّ نبتكُ أيها الرمح
والحدُّ يلزمني متى أصحو
لا يهلكِ الدباجُ والصَّرح
ما إنْ لغيرِ مكارمِ نفع
وأئمُّ من ورْدِ الرى جرح
حتى الكواكبُ بينها النَّطْحُ

قال أبو الحسن : وهذه المقطوعة له من التحريضِ الحسن ، لولا اعتراض
المقادير أن تمرَّ^٦ بأذن .

١ النصح . السلك يخاط به .

٢ فيه : سقطت من م س .

٣ وردت الأبيات في المسالك ، وانظر الغيث ٢ . ٦٠ .

٤ م : المضرة

٥ المسالك . حسناً .

٦ م ط ثم

وقال فيه من أخرى^١ :

غنى الحمام ولو رأني ناحا
ونعم كلانا فاقد محبوبه^٢
وأعارني نحو الحبيب^٣ جناحا
قلبي^٤ ، ولكنني كنت وباحا

ومنها :

ثم انثى ليلتي ريقاً ومن^٥
فغففت عن رشفي مدام رضابه
وثلاثة خالطتها بثلاثة^٦
المسك والشعر المخلخ والدجى^٧
ليس الملاحه في الوجوه تروفي
سبحان من خص المؤيد بالعلا
ملأت بطاعته القلوب أناته^٨
يا أهل قرطبة اغرفوا من بحره
هل لي إلى الشعراء من ذنب سوى
ومنابد ناء حذرت أناته^٩
لا تأمن مكر العدو لبعده

قدمت سكرأ كيف يشرب راحا
وجنيت من وجناته التفاحا
ما ينتشق منه المتيم فاحا
والوجه والكافور والإصباحا [٨٦ب]
يوماً إذا الأخلاق كُن قباحا
كلاماً وعم بجه الأرواحا
أضعاف ما ملأت لهاته الراحا
فلطالما خضخضتم الضحفاحاحا
سبقي إلى عليائك المداحا
ما غرني أمّا أتى وانزاحا
إن امرأ القيس اشتكى الطمّاحا^{١٠}

قال ابن بسّام : وخبر الطمّاح على ما ذكره الرواة : رجل من بني

.....

١ منها أبيات في المسالك ١١ : ٤٣٠ .

٢ المسالك : نحو الديار .

٣ ورد هذا البيت في النفع ٤ : ٣٠٧ .

٤ م س : ذكره .

أسد كان امرؤ القيس قتل أخاه ، فلمأ توجّه إلى أرض الروم مع صاحبه عمرو بن قميئة الذي يقول فيه ^١ :

• بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونهُ •

ووصل إلى قيصر وأكرمه ، ووجه معه جيشاً فيه أبناء الملوك ، فلما فصلَ أتى الطمّاحُ فوشى ^٢ به إلى قيصر ، وقال : إنه أعرابيٌّ عاهر يشبُّبُ بابتك في شعره ، ويشهرها عند العرب ، فبعث إليه قيصرُ بحلّةٍ منسوجةٍ بالذهب مسمومة ، وقال : إني أرسلتُ إليك بحلّتي تكرمةً . فالبسها باليمنِ والبركة ، فسُرَّ بذلك ولبسها ، فأسرع إليه السمّ ، وسقط جلده ، ولذلك سُمِّيَ ذا القروح ، وقال في ذلك ^٣ :

لقد طمّح الطمّاحُ من بُعدِ أرضه ليبلُغني من دائه ما تلبّسا
ولو أنّها نفسي تموتُ جميعةً ولكنها نفسٌ تساقطُ أنفسا

وقد كرّر معنى هذا البيت وأوجزه بقوله ^٤ :

• وإن كنتِ قد أزمعتِ قتلي فأجملي •

أي اقتليني جملةً ولا تنوعيه . وإلى هذا المعنى ينظر من طرف مريب ،

..... ..

١ ديوان امرئ القيس : ٦٥ ، وحجز البيت « وأيقن أنا لاحقان بقيصرا » .

٢ في النسخ : يوشى .

٣ ديوان امرئ القيس : ١٠٨ ، ١٠٧ .

٤ ديوانه : ١٢ وصدر البيت : « أفأعلم مهلا بعض هذا التدلل » .

قولُ عبدة بن الطبيب^١ :

فما كان قيسٌ هُلُكُهُ هُلُكَ واحدٍ ولكنَّهُ بِنِيانٍ قومٍ تهتما

هذا على تفسير مَنْ جَعَلَ هُلُكَهُ هُلُكَ جميعٍ من اتبعه وعاش
في رِفْدِهِ ، كما قال الآخر :

ولكنَّ الرزيةَ فَقَدُ قَرْمٍ يموتُ لموته خلقٌ كثيرٌ^٢

وأبينُ منه وأولى بقولِ امرئ القيسِ قولُ المجنون^٣ :

وعروةٌ مات موتاً مستريحاً وها أنا ميتٌ في كلِّ يومٍ

لا بلُ أشبهُهُمُ عندي بقولِ امرئ القيسِ ذي القروح ، قولُ قيسِ
ابن الذريح^٤ :

تساقطُ نفسي حينَ ألقاكِ أنفساً يَرِدُنَ فما يَصْدُرُنَ إلا صواديا

وتمام الحديثِ عن امرئ القيسِ أنه رأى هنالك حينَ احتضِرَ قَبْرَ امرأةٍ
من بناتِ الملوكِ ، في سَفْحِ جبلٍ يقال له عسيب . وأخبر بقصتها فقال^٥ :

١ انظر البيان والبيان ٢ : ٣٥٣ ، ٣٦٠ : ١٨٨ وعمون الأخبار ١ : ٢٨٧ والحماسة رقم :
٢٦٣ والأغاني ١٠ : ٢٠٢ .

٢ ورد البيت للمليل بن الدهقانة التغلبي في الحماسة البصرية ١ : ٢١٢ ومعجم المرزباني : ٤٤٥
ونسب في الأمالي ١ : ٢٧٢ لأعرابية ، وفي البيان والبيان ٢ : ٣٥٣ ورد البيت التالي دون نسبة :
إذا ما مات مثلي مات شيء يموت بموته بشر كثير

٣ ديوان المجنون : ٢٥٦ .

٤ الأغاني ٩ : ٢٠٠ .

٥ ديوان امرئ القيس : ٣٥٧ ومادة « عسيب » في معجم ياقوت .

أجارتنا إننا غريانِ ما هنا وكلُّ غريبٍ للغريبِ نسيب
ومات فدفن إلى جنب^١ تلك المرأة . وروي^٢ أن امرأ القيس دفن بأنقرة
الروم ، وأنهم اتخذوا صورته كما يفعلون بمن يعظمونه . وحدث المأمون أنه
مرَّ بأنقرة ورأى صورةَ امرئ القيس قال : فإذا رجلٌ "مُكَلِّثٌ" الوجه ،
يريد مستديره ؛ وقيل المدفون بعسيب صخر أخو الخنساء^٣ ، وهو القائل :
* وإني مقيمٌ ما أقام عسيب *

رجع :

وقال حسان بن المصيصي^٤ :

روضُ الشبابِ تناوبتْ أزهارُهُ وليّ بنفسجهِ وجاءَ بهارُهُ [١٨٧]
ودَّ المها^٥ لو أنَّ أسودَ لحظهِ^٦ أضحى خضاباً حين شابَ عذاره
قد كان يعجبهنَّ خِفَّةُ حلْمِهِ فالآن ساءَ الغانياتِ وقاره
تركَ الذي اشتملَ الكثيبَ إزارُها منه الذي اشتملَ العفافَ إزاره

ومنها :

لأني على هذا لأسمعُ بالصبا فيسرّني ممن صبّأ^٧ أخباره

١ م : حانب .

٢ انظر هذا الخبر في معجم ما استعجم ١ : ٢٠٤ (مادة : أنقرة) .

٣ معجم ما استعجم ٣ : ٩٤٣ وابن خلكان ٦ : ٣٤ .

٤ المسالك ١١ : ٤٣٠ - ٤٣١ .

٥ د : امرؤ .

٦ ط م : لحظها .

٧ المسالك : فيسرّني تمللا .

وأميلُ نحو الروضِ فارقهُ الحيا
 وكأنما خدُّ الحبيبِ شقيقهُ
 فكأنني ممّا ظمئتُ وشاحهُ
 حيناً فدمعُ إثرهُ نُواره
 خجلانَ أو وجّههُ المحبُّ عراره
 وكأنني ممّا شرقتُ سواره

ومنها في المدح :

هو أعرَفُ الكرماءِ ، إن سَمَّيْتَهُمْ
 لا تَعَدِلْتَهُ على إهالتهِ اللّهي
 لا تَغْتَرِرُ بالبشرِ من سَطَوَاتِهِ
 يَأبى لمولايِ الموانِ وظلمه
 لا يَسْتَطِيعُ النكسُ ينطقُ باسمه
 قلْ للمؤيدِ إذ تَقَيَّلَهُ ابنه
 يحكيك في شأوِ العلاءِ وإنّما
 إن تُمَضِّبِهِ ربحاً فأنتَ وشيجهُ

وقال يداعبُ ابنَ جمهورٍ ٢ :

شكوت إليه بفرطِ الدنفِ
 وقال الشهود على المدعي
 فأنكرَ من عثتي ما عرّفِ
 وأمّا أنا فعليّ الخلف

١ لم يرد البيت في م ط س ، وقصة عرار الذي أرادت زوج أبيه إهالته فامتعض أبوه لذلك ،
 تتحدث عنها الحماسية :

أرادت عراراً بالهوان ومن يرد عراراً لعمري بالهوان فقد ظلم

٢ انظر الخريدة ٣ : ٥٨٨ والمسلك السهل : ٤٣٥ ووردت الأبيات في زاد المسافر : ١٤١
 والوافي للرندي : ٣٠ والنفع ٣ : ٣٨٢ منسوبة لأبي عبد الله محمد بن الفراء الأحمسي ، وفيها
 زيادة على ما هنا ، واختلاف في الختام .

فجئنا ابنَ جمهورِ المرتضى فقيهَ الملاحِ وقاضيَ الكتف^١
وكان بصيراً بنكمِ الملاحِ ويعلم^٢ من أين أكلَ الكتف
فأومى إلى الخلد أن يجتني وأومى إلى الريقِ أن يرتشف
وقال له جاهداً في انتصافي دعوا يا مخائثُ هذا الصلف
كلنا تقتلون مشاهيرنا إذا مات هذا فأين الختف^٣ ؟

وأرى حسناً أراد أن يسلكَ من هذه السبيل ، متسلكَ ابنِ معمرٍ
جميل ، في قصيدته حيث يقول^٤ :

وقلتُ لها : اعتديتِ بغيرِ جرمٍ وغبُّ الظلمِ مرتعهُ وبيل^٥

فجاء بين الشعرين ما بين الشاعرين ، وبين القطعتين ما بين الزمانين ؛
على أن محاسنَ حسانٍ كثيرة ، وحسناته مشهورة ، ولأنما ألمتُ منها بقليل ،
لزهدني في التطويل .

١ روايته في زاد المسافر والروائي والفتح: فجئنا إلى الحكم الألمي شيخ المجون وقاضي الطرف.

٢ م س : يعلم .

٣ ديوان جميل : ١٦٤ .

٤ الديوان : فقلت له قتلت .

٥ د : وخيم .

ومنهم الوزير انفيقه أبو بكر بن الملح^١

قال ابن بسّام : وأبو بكر ، -فرد من أفرادِ العصر ، وهو من بيت أصالة ، وبجبوحه جلاله ، وفارسٌ ميداني الزهد والبطالة ، وشاعرٌ ناد ، وخطيبٌ أعواد ، غبّر صدرأ من زمانه لا يحفلُ بعاذل ، ولا يُصغي في الفتوةِ إلى قولِ قائل ، وكان في ذلك أحسنَ من التوريد في الخدّ ، وبمكان الحلمة من النهدي ، والدينُ في أثناء [٨٧ ب] تلك الوهلة ، وبين خصاصات تلك الغفلة ، يستطيلُ غَيْبَتَهُ ، وينتظرُ أوبَتَهُ ، فلما أقصرَ باطله ، وأسمعه عذّاله وعواذله ، تلقّاه باليمين ، واشتراه بالثمنِ الثمين ، فأصبح سَجِيرَ عَتَزَةٍ ومنبر ، وأمسى سَمِيرَ مصحفٍ ودفتر ، وفي ذلك يقول من أبيات :

وكنْتُ في الكاسِ عهدَ الشبابِ فصيرني الشيبُ شيخَ الدعاء
ومُدُّ لأبي بكر هذا في العمر وعاش إلى وقت تحريري هذا المجموع
سنة خمسمائة ، وتوفي رحمه الله في شهر رمضان منها ؛ وقد أثبتُّ من شعره
ما يملأ الأسماع بياناً . ويبهر الطباعَ حسناً وإحساناً .

١ هو أبو بكر محمد بن اسحاق اللخمي من أهل شلب يعرف بابن الملح وابن الملح ، كان له ابناء هما أبو القاسم أحمد وأبو محمد عبد الملك وقد روي عنه . (انظر ترجمته في الذيل والتكملة ٦ : ١١٨ والتكملة ٤١٤٠ : ١ والمغرب ١ : ٣٨٣ والرايات : ٢٧ (غ) والقلائد : ١٨٧ والنفح ٤ : ٧٠ ، ١٤٨ ، ٢٦٣ ، ٣ : ٤٦٦) ؛ وفي ترجمة ابنه عبد الملك انظر الذيل والتكملة ٥ : ٣٢ والتكملة رقم : ١٧٠٥ وأما في ترجمة ابنه أحمد فانظر الذيل والتكملة ١ : ٤٠٠ والتكملة : ٥١ ، وكان أحمد هذا ريان من الأدب شاعراً ، ولي الصلاة والخطبة بجامع بلده زماناً ، وعن أحمد وعبد الملك يروي أبو بكر ابن خير ، وقد مر لأحمد هذا شعر في النفح ٤ : ٧١ والمغرب ١ : ٣٨٤ وفي أخباره ما يشير إلى أنه انقلب بعد الغفة إلى الانحلال وتزوج امرأة كانت ترقص في الأهراس باشبيلية .

ما أخرجته من شعره في النسيب وما يناسبه

قال^١ :

حَسِبَ القومُ أني عكّ سالي أنت تدري سريري^٢ ما أبالي
قمري أنت كلّ حين^٣ وبدري فمتى كنتَ قبلَ هذا هلالي
أنت كالشمسِ لم تَغَيَّرْ^٤ ولكن حُجِبَتْ ليلها جِدارَ الملال
ما مللنا فكان ذا غَيَّرَ أنا قد حسبناه من صروف الليالي

وقال^٥ :

ظي يمجُّ الهوى لناظره حتى إذا ما رنا^٦ به انبعثا
مبتدع البخل^٧ لا كفاء له يعدُّ شكوى صبايتي رفثا
أنكرتُ سُنَّتي وما قصدتُ له وما تعرَّضتُ للهوى عبثا
أقسمَ في الحبِّ أن أموتَ به فما قضى بره^٨ ولا حتثا

وقال :

حبيب إلينا أن نراك على طيب حراماً بشربِ الراح من كلِّ تأنيب
تُكسِّبُكَ الصهباءُ ففضلُ خلائق وعندك ففضلُ آخر غير مكسوب

١ منها ثلاثة أبيات في الحريرة ٣ : ٤٦٧ والقلائد ١٨٨٠ (وبيتان في المغرب ١ : ٢٨٤) .

٢ أصل ط والقلائد : صبايتي ؛ الحريرة والمغرب . قصيتي .

٣ المغرب كل يوم

٤ القلائد لم تعب لي .

٥ انظر القلائد والحريرة .

٦ القلائد والحريرة رمى .

٧ القلائد والحريرة الخلق .

ومن قصائد ابن الملح المطولات^١ في المدح

قال من قصيدة في المعتمد أولها^٢ :

سَكَنَ اشْتِيَاقُكَ مَا عَدَا عَمَّا بَدَا
لَمْ يُطْفِئْ وَجَدُكَ إِنَّمَا هِيَ شَعْلَةٌ
وَالعَضْبُ يَسْرُهُ القِرَابُ وَرَبْمَا
وَالرَوْضُ يَبْعُثُ بِالنَّسِيمِ كَأَنَّمَا
سَكَرَانُ مِنْ مَاءِ النَّعِيمِ وَكَلَّمَا
يَأْوِي إِلَى زَهْرٍ كَأَنَّ عِيونَهُ
زَهْرٌ يَفُوحُ بِهِ اخْضِرَارُ نَبَاتِهِ^٣
وَيَبِيتُ فِي فَنَنِ تُوهِمُ ظِلَّهُ
قَدْ خَفَّ^٤ مَوْقَعُهُ لَدَيْهِ وَرَبْمَا
أَعْلَى حَلِّ الشَّعْرِ أَنَّ قَصَائِدِي
خَطَبَتَهُ تَرْكَبُ بَطْنَ كَفِّي مِنْبَرًا
أَثَقَلَتْ أَعْنَاقَ المَّارِبِ لَوْلَوْأ

أَرَوَيْتَ أَمْ خَمَّتِ الحَطُوبُ الوَرْدَا
كَالسَيْفِ جَرْدَهُ المَقَامِ وَأَعْمَدَا
خَشَّسُنْتَ مَضَارِبَهُ الرِّقَاقُ مِنَ الصِّدَا
أَهْدَاهُ يَضْرِبُ لِاصْطِبَاحِكَ مَوْعَدَا
غَنَاهُ طَائِرُهُ وَأَطْرَبَ رَدْدَا
رُقَبَاءُ تَقَعْدُ لِلأُحْبَةِ مَرَّصَدَا
كَالزُّهْرِ أَسْرَجَهَا الظَّلَامِ وَأَوْقَدَا
بِالصُّبْحِ فِي عَيْنِ القَرَارَةِ^٥ مَرُودَا
سَمِحَ النِّسِيمِ بِعَظْفِهِ فَتَأَوَّدَا
جَعَلْتِ مَدِيحَكَ بِالمَعَانِي مَقْصِدَا [أ٨٨]
وَدَعَتِكَ تَعْمُرُ ظَهْرَ كَفِّكَ مَسْجِدَا
وَمَلَأَتْ أَمَاقَ البَصَائِرِ إِعْمَدَا

١ د ط . المطولة .

٢ منها ستة أبيات في كل من الحريرة والقلائد والرياحان ١ . ١٥٧ / أ وأربعة في المغرب .

٣ المغرب : سأنه .

٤ ط د : فنن .

٥ القلائد والحريرة : يسمي ويصبح في القرارة

٦ ط د س : حف .

كم قد ركبتُ إليكَ كاهلَ همةٍ كادتُ تغالطُ في أخيهِ الفرقداء
أبني لديكَ العيشَ أخضرَ يانماً فأجوبُ جنحَ الليلِ أسفَعَ أسوداء
يقظانَ تحسبني الكواكبُ ناظراً فيها يراقبُ للغزاةِ مولدأ
وإذا تكننني النهارُ لبستهُ وهجأً لفوحاً أو سراياً مزبدا
رطب الجوانح في اليبابِ كأنما اس تهديتُ في الماء الخفي الهدهدا

قال ابن بسام : لو قطع المغازة التي اهتدى فيها أصحابُ رسول الله ،
صلى الله عليه وسلم ، ببيت الضليل حيث يقول :

تيممتِ العينَ التي عند ضارجٍ يفيءُ عليها الظلُّ عرمتضها طامي^١

ما زاد على ما وصّفَ ، فكيف في رُقعةٍ من الأرض مساحتها يومان ،
لراكبٍ أتان ، أكثر بلادِ الله ماءً ، وأرطبها هواءً ، إلاّ أنّه والله قال
فأجاد ، وخيّلَ فسحر وزاد . وليس هذا البيت في شعر امرئ القيس في
أكثر الروايات . وفي العرب عشرة رجال يسمون كلهم بامرئ القيس .

وروى ابن الكلبي قال : جاء قوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فضلّوا
في طريقهم ووقفوا على غير ماء . فمكثوا ثلاثاً لا يقدرّون على الماء ، فجعل
رجلٌ منهم يستدري^٢ فروعَ السّمُرِ والطلّحِ ، فبينما هم كذلك إذ أقبل رجل
راكبٌ على بعير ، فأنشد بعضُ القوم بيتَ امرئ القيس المتقدم الذكر ،
فقال الراكب : ما كذب ، هذا والله ضارجٌ عندكم ، وأشار إليه ، فأتوه ،

١ انظر مادة « ضارج » في معجم ما استعجم والروض المطار .

٢ م . يستدر ؛ ط : يستدير ؛ د : يستدر .

فإذا ماء غدق^١ قد غطاه العرْمَضُ ، والظلُّ يفيءُ عليه ، فشربوا منه
 وارتووا . فلمَّا بلغوا النبيَّ . صلى الله عليه وسلم ، وأخبروه القصة ، قال
 لهم : ذلك رجلٌ مذكورٌ في الدنيا شريفٌ فيها . خاملٌ في الأخرى منسيٌّ^٢
 فيها ، يجيء يومَ القيامة معه لواءُ الشعراء إلى النار .

وقال ابنُ الملح من أخرى في المتضد بالله :

نشرتُ للحمدِ طيباً عن شدِّنا نَفَسِ
 فنوّرتُ بالقوافي روضةً أنْفُ
 ليّ الثوابُ فلم أرجعْ لمشكلةٍ
 لي همةً ما يزالُ الدهرُ يطلبها
 وما تحمّلْتُها في ظهري فاحشةٍ
 ما لي وللناسِ عَمَّتْ لي مناقبهم
 تمزّقتْ بردةُ الإنصافِ بينهم
 ليُقصِرَ الدهرُ خصمي لستُ مكرثاً
 بعثتُهُ عن ضميرٍ غيرِ مُتَّهَمِ
 في تربةِ العقلِ تُسقي وابلَ النعمِ
 عن اليقينِ ولم أعكُفْ على صنمِ
 وما تزالُ من التأميلِ في حرَمِ
 ولا وقفتُ بها في برزخِ التهمِ
 تباينَ المسِ بين الآسِ والسَلَمِ
 في منكبِي ولم تُضغَطْ بمزدحمِ
 من الخصومِ وفي بيتِ الندى حكيمِ

وله فيه من أخرى :

قد صيرتُ في أخرى المقاصدِ فأنصرف
 واخترُ لهذا الدرُّ أجيادِ العلا
 واشهدُ صروفِ الدهرِ تظفر^١ عندها
 فصغيرُ مرأى العين عن بُعدِ المدى
 وشرعتُ في شتى المواردِ فاصدُر^٢ [٨٨ب]
 يزدنُ فحُسنُ الجيدِ زينُ الجواهرِ
 بالظافرِ ابنِ أبي الكرامِ وتنصرِ
 كالنجمِ أصغرَه^٣ تنائي المنظرِ

١ د . حروب ؛ ط م س : صروب .

٢ م ط د س : يظفر .

وهذا كقول المعري^١ :

والنجم تستصغرُ الأبصارُ صورته^٢ والذنبُ للطرفِ لا للنجمِ في الصغرى

وقال منها :

حازَ النساءَ^٣ وما أسنَّ وإنما
من معشرٍ يُمسي ويصبحُ طفلهم
ألفوا مُضاجعةَ الطبَّا بمهودهم
فلتحفظِ الأيامُ منهمُ عصبه^٤
ثبتوا على الأصلِ القديمِ فأثبتوا
وبَنَوْا على السَّمي الجميلِ فبيَّنوا
ولتحفظِ الأيامُ سالفَ أمةٍ
بقيَ الثناءُ عليهمُ فكأنما

نمتِ الفروعُ بطيبِ ماءِ العنصرِ
من حبٍّ [. . .] العلا في معشر
ولولا مطاولةَ الوشيحِ الأسمرِ
سكنتُ بأرجاءِ الوغى والمنبرِ
نَسَبَ الكواكبِ في قبائلِ حميرِ
أنَّ المكارمَ في تراثِ المثررِ
ملأتُ مفاخرهُمُ فروجَ الأعصرِ
ركبوا المنابرَ في بطونِ المقبرِ

ومنها :

أهدى إليكَ الودَّ عبدٌ يدعي
طابتُ مواردُهُ لديكِ كأنما
وسما يبلغُهُ إليكِ كأنما

شرفاً بصهرٍ في بناتِ المحبرِ
وقفتُ ركائبُهُ بريفِ الكوثرِ
قَطَعَ المراحلَ في بروجِ المشتري

١ شروح السقط : ١٦٣ .

٢ د : رؤيته ، وهي رواية البطليوسي .

٣ م ط س : حان النساء ؛ د : حاق .

٤ بياض في ط م س ؛ وفي د : أنهار ، ولا معنى له .

نقل الوداد على قطارِ قصائدِ
يحملنَ طيبَ الحمدِ فيكَ كأنَّما
رتعتُ زماناً في جنابِ الدفرِ
ينشرنَ بالفلواتِ طيبَ العنبرِ
وله فيه من أخرى :

ضمائلكَ ملء الأرض كالأخذ باليدِ
لذلك يبدو الموتُ ناراً ولُحجةً
لذلك مادتُ بالرماحِ صِعادُها
يهزُّ بها أعطافهُ كلُّ باسلِ
على شُرْبٍ لو سايرتها خَطوبُها
يصلن السرى والماءُ غُورٌ^٢ كأنما
لذلك هَوُلُ الأمرِ بالغدِ في الغدِ
على صفحتي صمصاميكَ الواقدِ الندي
وليستُ ليوهي في الكعوبِ بمبيدِ
رحبِ ذراعٍ أو طويلِ مُقلدِ
عَرَضُنَ عليها من وجوه التجلدِ
حَمَلُنَ عصا موسى على كلِّ جلمدِ
ومنها :

له حدولٌ من صارمٍ مُتَسَلِّلِ
هناك ربيعٌ للسيوفِ مُرَجَّسِ
إلى غُصْنِ من ذابلٍ متأوِّدِ
قريبٌ أوانٍ من ربيعٍ مورِّدِ
وهذا كقول أبي العلاء^٣ :

روض المنايا على أن الدماءَ بها وإن تحالفن أبدالاً من الزهرِ

وقال ابن شهيد من شعر قد تقدم^٤ : [١٨٩ أ] :

١ دم الوافر .

٢ ط ٠ غرو ٠ س ٠ عرق

٣ شروح السقط ١٥٨ .

٤ ديوان ابن شهيد ١٠٨ والدخيرة ١ : ٢٨٩ .

فذا جدول^١ في الغمدِ تسقى به المنى

وذا غصن^٢ في الكف^٣ يُجنى فيشمر^٤

وقال المتنبي^١ :

أأخلع^٢ المجد^٣ عن كيتفي وأطلبه

وأترك^٤ الغيث^٥ في غمدي وأنجع^٦

وقال ابن الملح من أخرى :

ومزجن^١ كأسي في لهة الأرقم^٢
وهجاً تحف^٣ به عيون^٤ المرزم^٥
بأحم^٦ طامي اللجين^٧ عرمرم^٨
متخاذل^٩ الأنصار^{١٠} مطول^{١١} الدم^{١٢}
من كل^{١٣} ناحية^{١٤} بكل^{١٥} الأسم^{١٦}
قد كان قبل^{١٧} صروفها لم يخظم^{١٨}
إني لأزهد^{١٩} في عقاب^{٢٠} المجرم^{٢١}
ولو احتديت^{٢٢} بها فروع^{٢٣} الأنجم^{٢٤}
وأبيع^{٢٥} حظي^{٢٦} والكريمة^{٢٧} مغنمي^{٢٨}
إن^{٢٩} كان يعبس^{٣٠} للندى^{٣١} المتبسم^{٣٢}
وأتي^{٣٣} في الغمرات^{٣٤} أول^{٣٥} مقدم^{٣٦}
أنفد^{٣٧} على ضيق^{٣٨} المكر^{٣٩} وأسلم^{٤٠}
بمزية^{٤١} العيلم^{٤٢} الذي لم يعلم^{٤٣}

أوطان^١ في ظبة^٢ الحسام^٣ توسدي^٤
وإليك^٥ من نار^٦ الحياء^٧ بوجني^٨
ولكم^٩ لقيت^{١٠} لهم^{١١} يملأ^{١٢} أرضه^{١٣}
وتركت^{١٤} ذاك الجيش^{١٥} نهياً للظبا^{١٦}
حتى^{١٧} إذا رمست^{١٨} الليالي^{١٩} جانبي^{٢٠}
خطمت^{٢١} بجبل^{٢٢} الشيب^{٢٣} أنف^{٢٤} شبيبة^{٢٥}
لو كنت^{٢٦} أقدر^{٢٧} قادر^{٢٨} لم أجزها^{٢٩}
إني لأقبض^{٣٠} في مراجعها^{٣١} يدي^{٣٢}
وأرد^{٣٣} عزمي^{٣٤} والحقيقة^{٣٥} مطلبي^{٣٦}
أناضحك^{٣٧} للدهر^{٣٨} ضحكة^{٣٩} شامت^{٤٠}
قصده^{٤١} الزمان^{٤٢} الآملين^{٤٣} بحربه^{٤٤}
وعلمت^{٤٥} أني^{٤٦} إن^{٤٧} أصل^{٤٨} بمحمد^{٤٩}
الله^{٥٠} أكبر^{٥١} لو قضى^{٥٢} لخليفة^{٥٣}

١ ديوان المتنبي : ٣٠٢ والذخيرة ١ : ٢٨٨ .

٢ الديوان : الأطرح .

٣ ط : وأرود (اقرأ : وأذود) .

لرؤوا حديث النفس غير مرجح
يا أيها البشر المتزّه جملة
خذ بالندى والبأس أعدك وجهة
واحطم عداك مكابداً ومكابداً
واقنع بعذر من فذاك^١ فإنه
بيديك صعدته^٢، وكل قبيلة

وله من أخرى في المعتضد بالله :

سروا تحت ليل في الظلام بهيم
تواصلوا بأعمال الشقاوة بينهم
مقامة شرب ما قضاوا حق مجلس
ولا وجدوا برّد السرور كأنما
مذاهب سوء غيرت من معاشر
تعاموا بلاداً مزقتهم كأنما
سروا تحت أطراف الرماح كأنها
ومالوا على حدّ السيوف كأنما
كان المنايا الحمر دانت نفوسهم

مكلل آفاق كليل نجوم
وعاذوا بشيطان هناك رجيم
ولا فرحوا في سكرهم بنديم
أديرت على الأقوام كأس حميم
نفوساً فلم تسلم لها يجسوم
مضت في رباها عاصف بهشيم [٨٩ب]
شياطين ضلّت تحت رصد نجوم
تميل إلى آذانهم بنميم
محلّت على عسر حلول غريم

١ ط د : فتاك

٢ في يوم الكديد بارز ربيعة بن مكرم عدداً من الفرسان تواتروا لمبارزته ، وحسب الظعينة ،
فلما ذهب دريد بن الصمة لبري ما حدث ووجد ربيعة حديث السن ، أعطاه ربحاً وعاد عنه
دريد وادعى لأصحابه أن ربيعة انزع منه الرمح ؛ وفي ذلك اليوم يقول ربيعة :
إن كان ينفعك اليقين فسألني عني الظعينة يوم وادي الأخرم
(انظر المقدمه : ١٧١) .

ومنها :

ألا فاخطبوها للعقولِ فلإنها
ولا تبخسوها في المهورِ فلإنها
وان رَحُصَت يوماً بناتِ كريم
إباءِ ستي في الملوكِ عظيم

وقال من أخرى أيضاً :

كم قَصَصِ أنسٍ لهُونا في مطالعِهِ
فمن مُغَنِّ نالخانِ المني غَرِدِ
وغافلِ بالصبا عن قَطْعِ مُدَّتِهِ
حتى إذا جئتُ آمالي تحرَّفَ لي
إذا الهوى فاضَ طوفاناً ركبْتُ له
لولا الحياءُ وقد شَبَّتْ معاركُهُ
قد عاد والعهدُ دانٍ موحشِ الطَّلِ
وشاربٍ بين طاساتِ الهوى ثمل
قد راش أجنحةَ الأيامِ بالجدلِ
خَطَبُ دَفَعْتُ به في غُرَّةِ الأملِ
فُلُكَ الغزاءِ ولم آوي إلى جيل
لقد كشفتُ لثامَ الصبرِ عن بطل

ومنها :

ضاق الزمانُ بما حطمتَ من قُضْبِ
لا تُغْمَدِ البيضِ إلاَّ في ضرائبها
رواقُ مُلْكِكَ بالأسيافِ ذو طنبِ
وبابِ حربكِ مفتوحٌ لقارِعِهِ
كَأَنَّهُ بِكُمْ وَاللَّهُ يَكَلِّؤُكُمْ
لو كانت الشمسُ من خدامِ دولتكم
في رَعِيهِنَّ وما قصَدتَ من أسلِ
حتى لقد عادتِ الأعمادُ للقللِ
وَبَرُدِ مجدكِ بالأرماحِ ذو خَمَلِ
عن قَسْوَرِ أهْرَتِ الشَّدَقِينِ ذِي عَصَلِ
يقضي على الدهرِ أو يختارُ للدولِ
والعدلُ ما العدلُ لم تبرحِ من الحملِ

.....

١ ط : نبات .

قال ابن بسّام : ولم أسمع بمثل هذا البيت لمن سبق ، فإن كان اتباعاً فما أحسن ما أرق ، وإن يكن اختراعاً فما أولى وأخلق .

وفي هذه القصيدة يقول :

كم حُطِّتُمْ من ضياع في الأنام وكم وصلتم من شتية غير متصل
بِسُنَّةِ كسنانِ الرمحِ ماضية ومَدَّهَبِ كقناةِ الرمحِ معتدل
مَدَحْتَكُمْ حيثُ لا فخرٌ أزيدكمُ فقد كحلتُ عيوناً جَمَّةَ الكحل

كما أن هذا البيت أشار فيه أبو بكر إلى التقصير ، فلعله أراد أن يجعله في شعره تيمية من الفتور ، وأحسن مما انتحاه ، قول بعضهم في معناه :

لم أفيدكَ المديحَ إلا لنفسي ليس للسيفِ إربةٌ في الصِّقالِ

وقال ابن الملح :

لا حدٌّ للوجدِ إلا أنتَ عارفُهُ كأنَّ قلبكَ للأشواقِ ميزانُ
ولا صِبايةَ إلا أنتَ واسِعُهُ كأنَّ صَدْرَكَ للأشجانِ ميدانُ [١٩٠]

ومنها :

سيرتَا نراقبُ إعلانَ الصباحِ بنا كأننا في ضميرِ الليلِ كتمانُ

وهذا كقول الصاحب بن عباد :

• كأنِّي سيرَ والظلامُ ضميرُ •

ومنها . سقطت من م س .

وقال أبو الطيّب ١ :

• سریت وكنت السرّ والليل كاتمہ •

وقال أبو الوليد بن زيدون ٢ :

سِرَّانٍ فِي خَاطِرِ الظُّلَمَاءِ يَكْتُمُنَا حَتَّى يَكَادَ لِسَانُ الصُّبْحِ يَفْشِينَا

وفيها يقول ابن الملح في المدح :

هو المُتَمِرُّ العِلاَ والخَيْلُ سَارِحَةٌ وَاللَّابِسُ الحَمْدَ والصَّمَامُ عَرِيَانُ
والمبصرُ الرشدَ في أقصى مطالبه والناسُ من فتنةِ الأهواءِ عميانُ
تاهتُ بمجدك قحطانُ وعدنانُ وقد تخاضعَ يونانُ وساسانُ
وسار ذكركَ والأفواهُ تنقلُهُ حتى تطارحَ فيه الإنسُ والجانُ
وشكَّ في العصرِ أقوامُ فقلتُ لهم فلانُ في ثقلتيها لا سليمانُ
ذكيتُ جودك حرباً والعدا جزراً وَسَيَفُكُ النارُ والأطيارُ ضيفانُ
همي عليها من الموتِ الرُّعافِ حَبِياً مُجَلَّجِلٌ بصليلِ البيضِ حنانُ
وماجَ فيه وريحُ البأسِ تنسجه جيشُ هو اليمُّ والأسيافُ خلجانُ
وللدماهِ غديرٌ فوقَ ضفتيه للجيشِ دَوْحٌ وسُمرُ الخطِّ أغصانُ

وله من أخرى يصف حَلْبَةَ الخيلِ :

خوافقُ قد ريشتُ بأجنحةِ الهدى فطارتُ ببحرِ الرومِ كلُّ مطارٍ
فهنَّ بشدِّ الجريِ عِقبانُ شاهقٍ وهنَّ بألحانِ الصهيلِ قماري

١ ديوان المتنبي . ٢٤٨ و صدر البيت . « وكنت إذا يمت أرضاً بعيدة » .

٢ ديوان ابن زيدون : ١٤٦ والذخيرة ١ . ٣٦١ .

بكلّ مباءٍ بالسّلاحِ كأنّما
 مهينٌ لدنياه يظنُّ^١ حياتهُ
 تسنّمَ جدرانَ المكاره فانتهى
 سقى من قلبِ الحربِ أشجارَ مفخر

يجرُّ من الخطيِّ فضلَ لزار
 إذا لم يمّتْ في الله دارَ بوار
 مآثرَ لم تُحجّبَ له بجدار ،
 تدلّتْ له من ساعةٍ بشمار

ومنها :

فمن سابحٍ ورّدٍ تجلّبتَ خلقه
 وأبلى كالريمِ المدمى مُفضّضٍ
 وأشهبَ تجلوهُ المعاني كأنّما
 وأشقرَ نوريّ يهبُ كأنه
 وأدهمَ كالليلِ البهيمِ تعلّقتُ
 إذا ما علاه ركبٌ فكأنه
 بلبّته خيْطُ المجرّةِ فصلت
 سفينةٌ برُّ سُخرتْ غيرَ أنّها
 تُطّاطأ من عونِ الطباعِ بحاذفٍ
 له خلُقٌ لولا تواردُ غيره

بنسجٍ^٢ دمٍ قبل التّاجِ مमार
 تخالُ بشقيه مَسالَ نُضار
 تزيّنُ منه زندّها بسوار
 وقد قدحتهُ الحربُ مِقْبِسُ نار
 به تحت كمّ الفجرِ كفُّ نهار
 بغرّته تحت المطالبِ سار
 له موهناً أوساطه بدراري
 تجوبُ من الإلهابِ لُجّ غبار [٩٠ب]
 وتُهناُ من لَوْنِ الأديمِ بقار
 على عتقهِ لم ينحرفُ لنفار

ومن الحسن في تشبيه الخيل بالبحر ، قولُ بعضِ أهلِ العصر ، وهو
 الأديب أبو بكر ابن العطار اليابسي^٣ ، من شعرِ أنشدنيه لنفسه ببَطْائِيوسَ

١ م د ط س : يظل .

٢ بنسج : سقطت من م س .

٣ هو محمد بن العطار اليابسي نسبة إلى جزيرة يابسة ، انظر المغرب ، ٢ : ٤٧٠ والمسالك
 ١١ : ٤٥٨ والنفح ٤ : ١٠ وله ترجمة في القسم الرابع من الذخيرة .

سنة ست وثمانين^١ :

والجيشُ قد جعلتْ أبطالهُ مرحاً تختالُ عن خيلاءِ السَّبْقِ العتقِ
إذا تسعَّرتِ الهيجاُ أخذها ما في معاطفها من نُدْوَةِ العرقِ
هيَ البحورُ ولكنْ في كواثبها^٢ عند الكربةِ منجاةٌ من الفرقِ

والشيء يذكر بالشيء إذا ناسبه أو قاربه ؛ كان للمتوكل فرس^٣ أخضر
أغرَّ محجل^٤ ، وعلى كفله ست^٥ نقط بيض ، فتناخست^٦ لمة^٧ من الشعراء يومئذ
بيطليوس في صفته ، فكل^٨ جهد جهده ، وبذل ما عنده ، فما سبق إلى
الغاية ، ولا أخذ الراية إلا النحلي^٩ ، على أنه كان مَرْجَى البضاعة ، في هذه
الصناعة ، فقال^{١٠} :

حمل البدرَ جوادٌ سابحٌ تقفُ الريحُ لأدنى مهلكه^{١١}
لبسَ الليلَ قميصاً سابغاً فالترياً نُقَطَ في كَفَلِه
وكانَ الصبحَ قد خاضَ به فبدا تحجيلة من بلله
كلُّ مطلوبٍ وإن طالَتْ به رجُلُهُ ، من أجلِه في أجَلِه

بيته الثاني أراه أخذت^{١٢} من قول ابن صاحب الاسفيري^{١٣} معناه :

- ١ منها بيتان في المغرب ٢ ٤٧٠ .
- ٢ ط : كواثبها ؛ د : كواثبها .
- ٣ بدائع البداه : ٢٦٩ والنفع ٣ : ٣٢٣ والشريشي ٣ : ١٥٤ .
- ٤ البدائع والنفع : ركب البدر حواداً سابغاً .
- ٥ البدائع والنفع : خيضر .
- ٦ ط د م س . أخذه .
- ٧ هو أبو المطرف عبد الرحمن بن فتوح . وقد وردت ترجمته في القسم الأول : ٧٧٠ .

لبسَ الظلامَ أديمهُ فبدأ لنا من بين عينيه سنا جَوَزَائِهِ

والثالث نبّه عليه ابن نباتة بيته^١ :

وكانتْما لطمَ الصبّاحُ جبينَهُ فاقْتَصَرَ منه فمخاضَ في أحشائه

وما أراه نقل إلا لفظ ابن شهيد ومعناه ، من جملة قصيد له قد أنشدناه ،
وهو قوله^٢ :

• وكانما خاضَ الصبّاحُ فجاءَ مبيضَ القوائمِ •

وقال فيه أبو بكر الداني^٣ :

لله طيرٌفٌ جال باين محمدُ فحوتُ به حَوْبَاؤُهُ التأميلا
لما رأى أنّ الظلامَ أديمهُ أهدى لأربعة الهدى تحجيلا
وكانتْما في الردف منه مباسمُ تبغي هناكَ لوجهه تقيلا

ولأبي عبد الله بن عبد البرّ الشتريني فيه جملة أبيات^٤ :

فعلّ المحيّا كوكبٌ متلألئٌ وعلى القطاةِ بناتُ نَعَشٍ تسطعُ
وكانتْما عمّرٌ على صَهَوَاتِهِ قمرٌ تسيرُ به الرياحُ الأربعُ

.. ..

١ قد مر البيت ص ٣٧٩ من هذا القسم .

٢ مر في القسم الأول : ٢٠١ وانظر ديوانه : ١٥٧ .

٣ بدائع البدائيه : ٢٧٠ والنفع : ٣ : ٣٣٣ .

٤ البدائع والنفع : يا ابن محمد .

٥ ورد البيت الثاني في البدائع والنفع .

ولم يحضرني من شعر أهل العصر في وصف هذا الطرف إلا ما أثبت،
 وكانت لهم عندي في صفتيه عدةٌ مقطوعات وجملةٌ أبياتٍ ، سقطت من
 ذكرى ، وطارت من شركِ صدري ، وتعلقَ بحفظي أشعارٌ لمن تقدمهم
 من أهل هذا الأفق، ممن تقدم زمانه ، وشهيراُ إحسانهُ بالقول ، في صفة
 الخيل ، رأيت إثباتها ، إذ لها موقع بهذا الموضع

قال يوسف بن هارون الرمادي^١ : [١٩١] .

وأبلقَ من شرطِ الطرادِ^٢ لزينةٍ وإخوانِ^٣ ميدانِ ويومِ قتالِ
 فخضرتُهُ ثلثٌ وثلثاهُ شُهبةٌ^٤ فأخضرُ قُدَامِ وأشهبُ تالِ
 له لَهَبٌ من دُهْمَةٍ فيه شُهبةٌ^٥ كعامِ صلودٍ فيه يومٌ وصلِ
 تدرعَ بدرِ التيمِّ حُسناً وبهجةً^٦ فالنِزَمِ^٦ في حيزومهِ بهلالِ

وقال أبو عامر بن عبدوس في صفة أشهب ، حاشا عرفه كان أحمر :

يا حُسْنَ هذا الجوادِ حينَ بدا في شيةٍ لم تكنْ للذي بَلَقِ
 قام عليه النهارُ مدعياً فاعترفتْ عَرْفَهُ يدُ الشفقِ

. . .

١ كتاب التشبيات : ١٩٣ .

٢ التشبيات : الكمي .

٣ التشبيات وإحراز .

٤ التشبيات : لبب من شهبة بون دهمه .

٥ التشبيات : نوراً وظلمة .

٦ التشبيات . ولبس .

وقال أبو بكر بن حجاج^١ :

وأشهبَ صافي بياضِ الأديم
كبدري سماءٍ بدا زاهراً
له شبيبةٌ زانها عرقُهُ
وقد مُسَّ في شفقٍ طرفه

وقال ابن فتوح :

طِرفٌ يفوتُ الطِّرفَ شأواً عدوهُ
بيدي سوادَ الليلِ في إداره
متبختراً تيهاً كأنَّ بلحامةً
عقدَ الجيادَ بشأوه وجرى على
ذرعتُ ممتنَّ الأرضِ منه بذارعٍ^٢
تعي الرياحُ وراءَهُ في لآيه
ويضيقُ وسعُ الأرضِ عندَ مجاله
ويريكَ وجنَّ الصُّبحِ في إقباله
إكليلُ كسرى لاحَ فوق قذاله
عرقٍ نماه عللاً إلى عَقَّاله
كادت تكونُ الأرضُ من أمياله
ويكلُّ شأواً الدهرِ دونَ كلاله

وقال الرمادي :

ومعارضٍ للريحِ في حركاته
ذو منظرٍ حسنٍ تضمَّنَ مخبراً
حسُنَّتْ به الحركاتُ والمعشوقُ لا
حطَمَتْ حوافِرُهُ السَّلامَ صلابةً^٣
لولا اللجامُ لجالَ كلُّ مجالٍ
حسناً وكان لزينتهِ وقاتل
يصبي لغيرِ براعةٍ ودلال
فكانه من أوجهِ البُخَّال

١ هو أبو بكر عبد الله بن حجاج العافقي . من شعراء المعتصم ، هجر إشبيلية إلى الجزيرة الخضراء
ومدح صاحبها محمد بن القاسم بن حدود . وقد لقيه الحميدي في حدود ٤٣٠ (انظر البغدوة :
٢٤٣ والبغية رقم . ٩١٩ والمغرب ١ . ٢٦٠ والنسخ ٣ . ٣٨٥) .
٢ ٥ د . بأدرع .

وهذا كقول حبيب^١ :

أَيْقَنْتَ^٢ إِنْ لَمْ تَشَبَّتْ أَنْ حَافِرَهُ^٣ من صخرٍ تلمرَ أو من وَجْهِ عِثْمَانِ^٤

وأخذه البحرِيّ فقال^٥ :

ما إِنْ يَعَافُ قَدَى وَلَوْ أوردتهُ^٦ يوماً خلّلقَ حمدويه الأحولِ

وقال القسطلي^٧ :

سامي التليلِ كأنَّ عِندَ عذاره في رأسِ غصنِ البانةِ الميَادِ
يُهدَى بمثلِ الفرقدينِ ونابَ عن رَعِي السَّمَاكِ بقلبهِ الوقَّادِ
فكأنَّما أطفأُ الأباطحَ والرَبِي بعقابِ شاهقةِ وحيّةِ وادي [٩١ب]
وكأنه من تحتِ سوطي خارجاً في الرَّوْعِ شعلَةُ قَادِحِ بزنادِ

وقال يحيى بن هذيل^٨ :

في خُضْرَةٍ مَفْتَرَةٍ في غُرَّةِ كالصبيحِ كَشَفَ عنه ليلُ النَيْلِ^٩
يمشي العِرْضَنَةَ فهو يحكي بالطلِ كيف الصدودُ عن الحبيبِ فيقبلِ

١ ديوان أبي تمام ٤ : ٤٣٤ وأخبار أبي تمام : ٦٨ .

٢ الديوان : حلفت .

٣ هو عثمان بن إدريس الشامي (أو السامي) .

٤ ديوان البحرِيّ : ١٧٤٥ وأخبار أبي تمام : ٧٠ .

٥ من ملحقات الديوان : ٥٤٣ عن الذخيرة ، وانظر الشريشي ٣ : ١٥٤ .

٦ عن يحيى بن هذيل (- ٣٨٩) انظر كتاب التشبيهات ص ٣٣٦ - ٣٣٨ حيث ورد ذكر القطع

الكثيرة التي صمها ذلك الكتاب من شعره مع نبذة عن حياته وذكر لمصادر ترجمته .

وقال أبو تمام بن رباح^١ من أهل عسرة :

وأقرب تنقده البروق إذا جرى من غيظها حسداً بأن لم تلحق
ملك الرياح قوائماً فجرى بها فيكاد يأخذ مغرباً في مشرق

وقال فيه^٢ :

وتحى ريح تسبق الريح إن جرت
لها في المدى سبق إلى كل غاية
وهمة نفس نزهتها عن الوجى
وما نلت أن الريح ذات قوائم
كان لها فيه نفوذ عزائم
فيا عجباً حتى الملا في البهائم

رجع :

بقية ملح ابن الملح

له من قصيدة عتاب قال فيها :

لقد ظلمني أمة ما خمشتها
توهمتهم سلماً فسولت ظاهراً
وثقت بهم في النابات فأخلفوا
فكم صاحب منهم يبيت بقلبه
إذا لاح خير ذادني عن حياضه
وإن عن شر قادني نحو ضنكة
بلحظ وقد عمّت حشاي ندوبا
وشبوا على ظهر المغيب حروبا
وكانوا إلى جنب الخطوب خطوبا
بعيداً ويغدو باللسان قريبا
كما ذادت الزجر العرامس نيبا
جنياً وأنى لي أقاد جنيبا

١ ترجمته في القسم الثالث : ٨٢١ والبيتان في الشريشي ٣ : ١٥٤ .

٢ انظر الشريشي أيضاً .

وآخر قد فاجأته الودَّ أولاً
 سريتُ له من حُسْنِ ظنِّي بطالعٍ
 وكنتُ إذا بَلَّ الودادَ بلفظةٍ
 جفاني ولكتني أهبُّ بعشرني
 وآخر لم أسأل به مَنْ ولا ابنُ مَنْ
 نشرتُ له بُردَ الإخاءِ كأنما
 وكنتُ إذا رثتُ من الودِّ بُردَةً
 سقى كأسَ حِقْدٍ فوق لحنِ نيمَةٍ
 فماذا يرى العبدان في ذنْبِ أمةٍ
 ومن ينكرُ الشكوى إلى الله منهم
 سأغفرُ لا عجزاً ولكن سجيَّةً
 بديهة ساعٍ ماجدٍ وأديبا
 أمينتُ له حتى المماتِ غروباً
 أدرتُ عليه بالمحبةِ كوباً
 شمالاً إذا هبَّ الصديقُ جنوباً
 فلستُ لما بُرتابُ منه طلبوا
 خضبتُ بها في العارضينِ مشياً
 عليه صرفتُ الإهتبالَ قشياً
 تشقُّ قلبوا لا تشقُّ جيوباً
 رأيتُ حسناني في الوفاءِ ذنوباً
 وقد ملأوا الصدرَ الرحيبَ وجيباً
 نمتني نجيباً أو ورثتُ نجيباً

ومن شعره في الأوصاف

قال يصف سوار فضة مذهباً ، وأخبر عنه :

أنا من الفضة البيضاء خالصةً لكن دهنني خطوطٌ غيرتُ جسدي [١٩٢]
 علّمتُ عضي بما أحوي فأحسدني جرّي الوشاح فهدي صفرةُ الحسد

وقال في شمّامة فضة مُتَيَلِّة^١ :

١ م : مثيلة ؛ أما المثيلة فقد شرحت في القسم الثالث : ٤٣٢ (حاشية : ٣) ومعناها مرصع أو مزخرف .

أنا المدارةُ بين الكأسِ والطَّبِقِ والمستعمارةُ للأَنافِ والحدَقِ
أكونُ للوردِ والخبري آونةً وتارةً لغصونِ الآسِ والحبقِ
لولا صيانةُ^١ جسمي عن مجاذبةٍ لثارتِ الحربُ بين النورِ والورقِ
خفتُ الزمانَ على تغييرِ عهدتها ففي إهابي آثارٌ من الحرقِ
كأني نقطةٌ في الصحو صافيةٌ قد غيرتُ بعضَ لوني خضرةُ الورقِ^٢

وكان^٣ في بعض قصور المعتمد باشييلية في من جملة التصاوير صورةً
من خالص اللجين على صورة الفيل . وهو الذي يقول فيه عبد الجليل :

ويُفْرِغُ فيه مثل النصلِ بدعٌ من الأفيالِ لا يشكو ملالا
رعى رَطَبَ اللجين فجاء صلدأً وقاحاً قلماً يخشى هزالا

فجلس المعتمد يوماً على البحيرة والماءُ يسيل^٤ . من فم ذلك الفيل .
وقد أوقدتُ شمعتان من جانبيه . ومعه ابنُ الملح ، فقال في ذلك عدة مقطوعات
منها قوله :

كأتما النارُ عند الشمعتين سنا والماءُ من نَفَدِ الأنبوبِ ينسكبُ
غمامةً نحت جنحِ الليلِ هامةً في جانبيها جناحُ^٥ البرقِ يضطرب

.....

١ ط م د س : صباية .

٢ الورق : موضعها بياض في ط م س .

٣ انظر نفع الطيب ٤ : ٢٦٣ وبدائع البدائه . ٣٧٢ .

٤ النفع والبدائع : يجري .

٥ النفع والبدائع : منسكب .

٦ النفع والبدائع : حفاف .

وقال في ذلك :

ومِشْعَلَيْنِ من الأضواء قد قرنا بالماء والماءُ بالدولابِ متزوفُ
لاحا لعيني كالنجمين بينهما خَطُّ المجرَّةِ ممدودٌ ومعطوفُ

وقال فيه :

وأنبوبِ ماءٍ بينَ نارينِ ضُمْنَا هوىً لكؤوسِ الرّاحِ تحتِ الغياهِبِ
كأنَّ اندفاعَ الماءِ بالماءِ حَيَّةٌ يحركتها بالليلِ لمعُ الحياجِبِ

وقال فيه :

كأن سراجي شربهم في النظاهما وأنبوبَ ماءِ الحوضِ^٢ في سيلانيه
كريمٌ تولّى كِبْرَهُ من كليهما لثيمانِ في إنفاقه يعذلانه
إذا هزّةُ للجود بُرْدُ سماحةٍ أصراً على تربيته يحرقانه

في ذكر الأديب أبي محمد عبد الجليل بن وهبون المرسي^٣

شمس الزمان وبدره، وسرُّ الإحسانِ وجهه، ومستودعُ البيانِ ومستقرُّه،

.....

١ النفع والبدائع: في الماء .

٢ النفع والبدائع: الفيل .

٣ ترجمته في بغية الملتبس رقم : ١١٠١ والمطرب : ١١٨ والقلائد : ٢٤٢ والخريدة : ٢ :

٩٥ والمعجب : ١٥٩ والنفع : ١ : ٦٥٧ (نقلا عن القلائد) ومواطن أخرى متفرقة .

والمسالك : ١١ : ٢١٩ والسلفي : ١٩ ومواطن مختلفة في بدائع البدائع، ورايات البرزين

٧٧ (غ) .

آخرُ مَنْ أفرغ في وقتنا فنونَ المقال^١ ، في قوالبِ السحرِ الحلال ، وقيّد
شواردَ الألباب ، بأرقّ من مُلحِ العتاب ، وأزوق من غفلاتِ الشباب ؛
وكورةٌ تُدمّرُ أفقه الذي منه طلع ، وعارضُهُ الذي فيه لمع ، وإعما ذكرته
في هذا القسمِ الغربيّ مع أهلِ إشبيلية لأنها بيتُ شرفه المشهور ، ومسقط
عيشه المشكور . طرأ عليها منتحلاً للطلّيب ، وقد شدا طرفاً من الأدب ،
وكان الاستاذ أبو الحجاج الأعلم^٢ يومئذٍ زعيمَ البلد ، وأستاذَ وتَدِ المعتمد ،
فعول عليه من رحلته . وانقطع إليه بتفصيله وجملته ، وكانت له في أثناءِ
ذلك همّةٌ تترامى به إلى العلا ، ترامي السَّيْلِ من أعالي الزُّبى ، وكان بين
الاستاذين أبي الحجاج وأبي مروان بن سراج^٣ ما يكون بين فحلين في
هَجْمَةٍ . وزعيمين [٩٢ ب] من أُمَّة ، فاتفق أن كتب ابنُ سراجٍ إلى
المعتمد بشعرٍ بائيٍّ من شطير الوافر يمدحه فيه ، وكأنه - زعموا - عرَّضَ
بِقَرْنِهِ ومُباريه . وأعلِّمَ بذلك الأعلم ، فصمت عن جوابه وأحجم ،
وولّاهَا عبدَ الجليل فأطلّعهُ في أفقها قمرأ . ونبّه منه لحربها عمراً^٤ ،
فقال قصيدته البائية التي أوّلها :

١ م دس . المال .

٢ أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشتمري (٤١٠ - ٤٧٦)
كان عالماً بالعربية واللغة ومعاني الأشعار ، وكف بصره آخر عمره (انظر ابن خلكان ٧ :
٨١ والصلة ٦٤٣٠ ومجم الأدباء ٢٠ : ٦٠ ونكت الحميان : ٣١٣) .

٣ أبو مروان ابن سراج : له ترجمة في القسم الأول من الدخيرة : ٨٠٨ وفيه فصل من أشعار
رثي بها . وانظر صورة من هذه الحصومة بينه وبين الأعلم حول الرسالة الرشيدية في
إحكام صنعة الكلام : ٦٨ .

٤ فيه إشارة إلى قول بشار (ديوانه : ٢١٧ جمع العلوي) :

إذا أيقظتك حروب العدا فيه لها عمراً ثم ثم

• هوى بين النجوم له قباب •

ومع أنها ليست لاحقةً بعيون شعره ، لما سمعها ابنُ عمارٍ خادماً الدولة يومئذٍ طار بذكره ، وأجناه ثمارها ، وباهى به أقمارها ، وخلع عليه أصائلها وأسحارها ، ووافق من المعتمد ناقداً بصيراً ، وعاشقاً قديراً ، فأغلى بتلك الأعلاق ، وأقام له الدنيا على ساق ، وقصر عبد الجليل على هواه ، فلم يرحلُ إلى ملكٍ سواه .

وكانت له كلَّ عامٍ رحلة ، يتعهد فيها بلده وأهله ، فحدثني غيرُ واحد أنه اجتاز بالمرية ، في بعض رحلته الشرقية ، وملكها يومئذٍ قبله الآمال ، وقطب رحي الآمال ، ومرمى جمار المدائح ، أبو يحيى ابن صمادح ، فاهترَّ لعبد الجليل واستدعاه ، وعرض له بجملة وافرة من عرض دنياه ، فلم يعرج على صفده ، وبادر العيد - وكان قريباً - بالارتحال عن بلده ، وقال في ارتجال^١ :

دنا العيدُ لو تدنو لنا كعبةُ المنى وركنُ المعالي من ذؤابة يعربِ
فيا أسفاً^٢ للشعر ترمى جماره ويا بُعد ما بيني وبين المحصبِ

ولما ابتدأت الفتنة بالمعتمد ، بادر الخروج عن البلد ، فلم يُغْنِ عنه فقاره وأدركه مقداره ، على قربٍ من مرسية ، لقي قطعةً من خيل النصارى فتورط فيهم ، وقضى الله له بالشهادة على أيديهم .

١ القلائد : ٢٤٤ والمطرب : ١٢١ والخريدة ٢ : ١٠٢ .

٢ الخريدة : فيا ويلتنا .

وذكرت بمقتل عبدالجليل - رحمه الله - ومقره أعجوبة من الزمان ،
 وحديثاً ظريفاً من الحدثان : كان بحضرة إشييلية أيام ماجت بها على المعتمد
 الفتنة ، ودارت عليه^١ رحي المحنة ، أبو القاسم ابن مرزقان^٢ ، من شعراء
 الدولة ، ونهائ أهل الحضرة ، ميمّن^٣ متّ إليها بقديم جوار ، لا يبارع
 أشعار ، وأدلّ عليها باسم مرزقانيه ، لا بفضل بيانه ، وكان في بني عبّاد
 عجبٌ بكثرة عددهم ، وعصبية لأهل بلدهم ، وكان أبو القاسم هذا حلّو
 الحوار ، نادر الأخبار ، وكان به على ذلك توهّم^٤ يُخرجه إلى جبن الفرار
 السلمي^٥ ، وغفلة تشهد عليه بلوثة أبي حية النمرى ، وكان هو وعبد
 الجليل من بين سائر أهل القريض ، في طرفي نقيض ، هذا يتعصب لسلطانه
 بهواه ، وعبد الجليل يقفو الصواب^٥ بزعمه ويتحرّاه ، فكانا ربّما اجتماعاً
 فيكون بينهما بونٌ بعيد ، وشقاقٌ شديد : فأما عبد الجليل فقد ذكرت
 الخبر عمّا فعّل ، وشرحت كيف قُتِل ، وأما أبو القاسم هذا فإنه غرّة
 القتال فأقدم عليه ، وهيت له القتل فبرز إليه ، على حالٍ لو تحيّل بها
 المجد بلحده ، وفي يومٍ لو رآه دون الماء لما وردّه ، فأدركه سرعانُ الرجال

.....

١ م : عليهم .

٢ ترد ترجمته في ما يلي من هذا القسم ص : ٥٢٠ .

٣ هو حيان بن الحكم السلمي (انظر حماسة البحري : ٦٥ وحماسة الخالديين ١ : ١٤٢
 والعيون ١ : ١٦٤ والحيوان ٤ : ١٨٥) .

٤ اسمه الهيثم بن الربيع (ترجمته في الشعر والشعراء : ٦٥٨ والأغاني ١٦ : ٢٣٦ وطبقات
 ابن المعتز : ١٤٣ والخزانة ٤ : ٢٨٣ والسمط : ٢٤٤ وقد جمع شعره رحيم صفي
 التويلي - مجلة المورد (١٩٧٥) المجلد الرابع - العدد الأول : ١٣١ - ١٥٢) .

٥ م : على الصواب (اقرأ : يقف على الصواب) .

فهبروه بالسيوف ، وحرّعوه^١ أكثره ما كان له من الخنوف ، فصار حديثهما
عجبا من الخبرِ عجيباً ، ومثلاً في تصرفِ القدرِ مضروباً ، كلاهما أنهب
نفسه الأقتال . وذاق منيته^٢ على يدي من خال .

ولابن مرزقان هذا أخبار طريفة ، ونوادير في الشعر معروفة . ونأخذ
فيما بعد بطرف مستطرف منها . ان شاء الله .

وقد أثبت هنا من شعر عبد الجليل في ميدحه المائقة ، وأوصافه الرائقة ،
ما يشهد أنه سابقُ الحلبّة . وصدُرُ الرتبة . وضاق ذرعُ هذا المجموع ،
عن تضمين ما له من البديع . فجمعت شعره على حروف المعجم في تصنيف
ترجمته بـ « كتاب الاكليل المشتمل على شعر^٢ عبد الجليل » وكذلك معلتُ
في سائر أعيان الوزراء الكتاب . لم يتسع لاستيفاء محاسنهم هذا الكتاب .
فجمعت في تأليفِ ترجمته^٣ بـ « سلك الجواهر [٩٣ أ] من نوادر
توسيل ابن طاهر » وفي تصنيف رابع^٣ وسمّته^٣ بـ « كتاب الاعتماد على
ما صحّ من أشعار المعتمد بن عباد » وفي كتاب خامس ترجمته بـ « نخبة
الاختيار من أشعار ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار » . ولبعض الناس إلى
كلام بعض صغرى ، وذلك الكلام عند آخرين — على جنودته — لغو ، وإنما
كان ذلك لتباين النحائر . واختلاف الفرائز . فاستوفيت في هذه التواليف
لكل^٣ فرقة مرادها ، وخلصت لها موادها ، إن شاء الله .

.. . . .

١ م : وجروه .

٢ على حروف . شعر . سقط من م .

٣ كذا . وهو ثالث بحسب ما عده في هذه الفقرة ، إلا أن يكون قد عد الذئيرة صنفاً

ما أخرجته من شعر عبد الجليل في شتى الفنون
من ذلك ما له في الرثاء والتأبين

من ذلك قصيدته^١ في الأستاذ أبي الحجاج يوسف بن عيسى المعروف
بالأعلم ، أوّلها :

سَبَقَ الفناءُ فما يدومُ بقاءُ تَفنى النجومُ وتسقطُ البيضاءُ^٢
يقول فيها^٣ :

نفسى وحسّى إنْ وصفتها معاً آلٌ يذوبُ وصخرةٌ تخلّقاءُ^٣
لو تعلمُ الأجيالُ كيف مآلها علمي لما امتسكتُ لها أرجاء
إنا لتعلمُ ما يراد بنا فلمُ تعيأ القلوبُ وتُغلبُ الأهواء
طيفُ المنايا في أساليبِ المي وعلى طريقِ الصّحةِ الأدواء
بتعاقبِ الأضدادِ مما قد ترى جُلِبَتِ عليكِ الحكمةُ الشّعاء
ماذا على ابنِ الموتِ من إبصاره ولقائِهِ هل عَمَّتِ الأبناءُ^٤
أيفرّني أن يستطيل بيّ المدى وأبي بحيثُ تواصتِ الغبراء

.....

١ م : قصيدة .

٢ يقول فيها : سقط من م

٣ خلقاء : مصعقة ملاء .

٤ م : لما امتست

٥ د : عفت الأبناء

لم ينكرُ الإنسانُ ما هو ثابتٌ في طبَّعِهِ لو صحَّتِ الآراءُ
ونظيرُ موتِ المرءِ بعدَ حياته أن تستوي مِن جنسه الأعضاء
دنيفٌ يبكي للصحيح وإنما أمواتنا لو تشعرُ الأحياءُ
وسواءٌ أن تجلي الحافظُ من القذى أو تنتضي من شخضها الحوَّاءُ
ما النفسُ إلا شعلةٌ سقطتْ إلى حيثُ استقلَّ بها الثرى والماءُ
حتى إذا خلصتْ تعودُ كما بدت ومن الخلاصِ مشقةٌ وعناءُ

قال ابن بسّام : لعلَّ عبد الجليل اكتسب في هذا البيت والذي قبله من العمل^١ بحقيقة النفس ما جهله في وصفه لها قبل أنها « آلٌ يذوب » وما أعجب أيضاً قوله عن جسمه بأنه صخرةٌ خلقاء ، اللهم إلا إن كان عنى بذلك رأسه لأنه كان يلقَّبُ بالدمغة^٢ . وذهب هنا من صفة النفس إلى مذهب كلامي ، كقول بعض أهل بلدنا ، وهو أبو عامر ابن سوار^٣ الشنبريني ، من جملة أبيات :

يا لقمومي دفنوني ومَضَوَا وبَنَوَا في الطينِ فوقِي ما بَنَوَا
ليت شعري إذ رأوني ميتاً وبكوني أيّ جزأيّ بكوا
أنعوا جسمي فقد صار إلى مركزِ التعفينِ أم نفسي تَعَوَا
كَيْفَ يَنْعَوْنَ نفوساً لم تزلْ قائماتٍ بحضيبِضٍ ويجوَّ
ما أراهم ندبوا فيّ سوى فُرْقَةِ التَّأليفِ إن كانوا دروا

- ١ كذا في النسخ^١، وأظن صوابه : « العلم » .
٢ لعل لهذا اللقب صلة بقولهم : « الدائمة » وهي الشعة التي تبلغ الدماغ ، وإن كنت أرجح أن اللقب يشير إلى ضخامة رأس عبد الجليل وأنه لذلك نهب عامي .
٣ ط د : نوار .
٤ د : التعيين .
٥ ط م س : كان .

وهذا معنى فلسفيّ ، قلّما عرّجَ عليه عربيّ ، وإنما فرغ إليه المحدثون من الشعراء ، حين [٩٣ ب] ضاق عنهم منهجُ الصواب ، وعلوموا رونقَ كلامِ الأعراب ، فاستراحوا إلى هذا الهديانِ استراحَ الجبانِ إلى تنقّصِ أقرانه ، واستجادةِ سيفهِ وسنانه ؛ وقد قال بعضُ أهلِ النقدِ إنه عيبٌ في الشعر والنثر أن يأتي الشاعر أو الكاتب بكلمةٍ من كلامِ الأطباءِ ، أو بألفاظِ الفلاسفةِ القدماءِ ؛ وإني لأعجبُ من أبي الطيبِ ، على سعةِ نفسه ، وذكاءِ قلبه ، فإنه أطال قرعَ هذا البابِ ، والتمرّسَ بهذه الأسبابِ ، وكذلك المعريّ : كثرَ به انتزاعه ، وطال إليه إيضاعه ، حتى قال فيه أعداؤه وأشياعه ، وحسبك من شرِّ سماعه ، وإلى الله مآله ، وعليه سؤاله .

وإنما سلك عبد الجليل في هذا المعنى سبيل القائل حيث يقول :

يا سالكاً موثلاً^١ يكلمنا عرّجَ أخبَرَكَ خالصةَ الفائدة^٢
جِسْمُكَ وَالنَّفْسُ خُلْتَا عَرْضِي وكلَّ نخلٍ نخلتهُ قائد^٣
والنفسُ تلقى الخلودَ إن خلصت والجسم لا باقياً ولا خالد

وقال المتنبي^٣ :

تخالفَ الناسُ حتى لا اتفاقَ لهم إلا على شجَبِ والخُلْفِ في الشجبِ
فقبل تخلُّصِ نفسِ المرءِ سالمةً وقيل تشركُ جسمَ المرءِ في العطبِ

وقال :

..

١ ط م : منزلاً (دون اعجام) .

٢ ط د م س . قائد .

٣ هذه القطع في ديوان المتنبي : ٤٢٦ ، ٢٢٦ ، ٤٧٨ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ .

والأسى قبل فرقة الروح عجز
فأسى أن الحيمام مر المذاق
والأسى لا يكون بعد الفراق

وقال :

تمتع من سهاد أو رقاد
فإن لثالث الحالين معنى
ولا تأمل كرمي تحت الرجام
سوى معنى انتباهك والمنام

وقال :

تبخل أيدينا بأرواحنا
فهذه الأرواح من جنوه
على زمان هن من كسبه
وهذه الأجسام من تربه
يموت راعي الضأن في جهله
وربما زاد على عمره
ميتة جالينوس في طبه
وزاد في الأمن على سربه

ولما نقل أبو الطيب هذا المعنى من قول أبي غسان المتطرب^١ :

حكيم كأس المنون أن يتساوى
ويحل البليد تحت ثرى الأر
في حماها الغبي والألمي
ض كما حل تحتها اللوذعي
أصبحت رمة ترايل^٢ عنها
فضلها الجوهري والعرضي

١ لعل الصواب ابن غسان ؛ وقد سماه الثعالبي (البيومة ٣ : ٤٢٨) أبا الحسن ابن غسان
البصري الشاعر الطيب ، وذكر أنه ورد الأهواز مع الشعراء ومدح عاملها ، وذكره التوحيدي
باسم «ابن غسان» في الامتاع ٢ : ١٦٩ وحكى أنه غرق نفسه لأسباب تجمعت عليه من فقر وجرب
وعشق ؛ وترجم له القفطي (تاريخ الحكماء : ٤٠٢) وذكر أنه كان يخدم بصناعته ملوك
بني يويه .

٢ م ط : أصحا . . . يزاييل .

وتلاشى كيانها الحيواني^١ وأودى^١ تقويمها المنطقي

وهذا كلام^٢ من الإلحاد ، على غاية الاضمحلال والفساد ، فليس تساوي
الناس في الموت والفناء ، حجة^٣ في عدم البقاء ، والمراتب في دار الجزاء .

ومن شعر أبي العلاء ، في هذه الأثناء ، التي ولع بها أيضاً وشغف ،
وصرف كلامه فيها فتصرف ، قوله^٤ :

والنفس^٥ أرضية^٥ في قول^٣ طائفة^٣ وعند قوم^٦ ترقى في السموات^٦
وكونها في طريق^٦ الجسم^٦ أحوجها^٦ إلى ملابس^٦ عنثها^٦ وأقوات^٦
وقال^٤ :

وأوصال^٥ جسم^٥ للتراب مألها^٥ ولم يدر^٥ دار^٥ أين تذهب^٥ روحها^٥
وقال^٥ :

والروح^٥ تنأى ولا يدرى^٥ بموضعها^٥ وفي التراب^٥ لعمرى^٥ يرفت^٥ الجسد^٥
[وقال^٥] :

١ ط م د س : وأردى .

٢ الزوميات : ٥٥ ب (نسخة ليدن رقم : ٩٠٦) ١٤ : ١٤٨ - ١٤٩ (ط . هندية) .

٣ الزوميات : والروح . . . في رأي .

٤ الزوميات : ٦٦ ب ، ١٦ : ١٧٨ .

٥ الزوميات : ٨٧ أ ، ١٦ : ١٩٧ .

٦ الزوميات : ٩٠ أ ، ١٦ : ٢٠٠ .

والعيشُ كالماء يغشاه حوائنا فصاحرون وقومٌ إثرهم وردوا [١٩٤]
ومدُّ وقِيَ مثلُ القَصْرِ غايته وفي الهلاكِ تساوى الدرّ والبرد

وقال ١ :

أما الصحابُ فقد مرّوا وما عادوا وبيننا في لقاءِ الموتِ ميعادُ
سيرانٌ ضدّ أن من روح ومن جسد هذا هبوطٌ وهذا فيه إصعاد

وقال ٢ :

وفكري سلّ حبّ المالِ مني ووجدني بالحياة أطالَ شعفي
ستفريني الحوادثُ في نظيري فتمحني ولا يزدادُ شعفي

رجعت إلى ما قطعت من قصيدة عبد الجليل .

وفيها يقول :

كذبتُ حياةَ المرءِ عند وجودها وُجِدَ الحمامُ ومنه كان الداءُ
لله أيُّ غنيمةٍ غنيمَ الردى ومن الفجائعِ غارةٌ شعواء
من كان غرّةً جنسه حتى احتُ فإذا البريّة كلُّها دهماء
جبلٌ تقوّضَ لو تشخّصَ عظمه لتواصتِ الغبراءُ والخضراء
ومَغِيضُ ما قد غاضَ منه شاهدُ أن لا يدومَ بحاله الدأماء

...

١ اللزوميات : ٩١ أ ، ١٠٤ : ٢٠٣ - ٢٠٤ .

٢ ط م د س : شيطان .

٣ اللزوميات : ١٨٩ ب ، ٢٠٤ : ٩٧ .

٤ اللزوميات : ولا أزداد .

أكبرتُ نَعْيَ جلالِهِ فنفتيتُهُ
مات ابنُ عيسى مَنْ يقولُ به عسى
وهو الجليّةُ ما عليه خفاء
شفقاً وليس مع الحمام رجاء

ومنها :

أفلا حَمَتُهُ فضائلٌ موفورةٌ
وأذمةٌ في سرِّ لحمٍ طالما
شهرُوا سلاحَ الدَمِّ مع خَلْفِ سريرهِ
رُحْنَا به بل بالسيادةِ والعلا
نظاً القلوبَ على سواءِ سبيله
أخذَ الأسي في البرودِ بشاره^١
حتى إذا بلغوا به ملحودةً
ضرب الهدى في لحدِهِ يمينه
وأظله التزليلُ يتلو نفسه
مستصحباً أعماله متأنساً
ولربما استخلصت منا أنفساً
وهناك لو كُشِفَ الغطاءُ لناظري
في الحبِّ إذ يحوي سميكَ أسوةً
يا تُرْبَةَ استبقي سناه ، ويا فلا
اللهَ فيّ وفي جوانحِ رطبةِ
أبيه نحن وأنتمُ شرعٌ به

وجلالةٌ تعنو لها العظام
خَدَمَت رعايةَ حقها الأمراء
إذ لم يكن للباترات غناء
والشمسُ نجمٌ والنهارُ مساء
فالسيرُ مهلٌ والعمارُ ولاء
مما جناهُ الزهُوُ والخيلاء
قمنا به لو أنّهُ الجوزاء
فتناولتُهُ عَرَصَةَ فيحاء
بتلاوةٍ لم يؤتها القراء
بزواهيرٍ هي والنجومُ سواء
ملأتْ ضريحَكَ والصدورُ جلاء
حول القلبِ حديقةً غناء
لو حُمُّ منكَ وقد حُجِبَت لقاء
لا تَلْحَقَنَّكَ^٢ جريمةُ شعاء
لم تخلُ من شفقاتها الأعداء
وعلى المصابِ بفقدهِ شركاء

١ بشاره : سقطت من م س .

٢ ط م س : مناه (دون اعجام في ط وفوقها كذا) ويا فل ؛ د : لا تخلقنك .

هزوا قوادمكم إلى علياته
 أمّا وقد شبهتُ مائلَ رَسْمِهِ
 واعجبُ لذلك الخطُّ في صفحِ الثرى
 أنى وسعتَ وأنت مضجعُ واحدٍ
 يا زائريه تكحلوا بصعيدِهِ
 فغرتَ له فاها الجدالة^٢ فانطوى
 قسَمَ الأنامُ تراثَ علمك فاستوى
 كنتَ عبيدكَ في اعتقادِ نفوسنا
 يا مُلبَسَ الشعى يجرُ ذيوها
 وبكتَ عليك الشمسُ حقَّ بكائها
 خذها علالةَ خاطرٍ دلتهتهُ
 قامتُ تناوحُ فيك كلَّ قصيدة

قد رَشَّحتُ أبناءها الفتحاء [٩٤ ب]
 سطرا فمَّ الحكمة الغراء
 أن حاز علماً ما له إحصاء
 من هذه الآفاقُ منه ملاء
 كُحلُّ البصائرِ تلکم البوغاء^١
 في طيها الإسهابُ والإيماء
 في تيلهِ البُعْداءُ والقرباء
 إذ في اعتقادك أننا أبناء
 لبستُ ثراكَ غمامةً وطفاء
 أن كان قد تنفاقد النظرأء^٣
 من حيثُ ينشطُ جاءهُ الإعياء
 ثقفتُها وقناتها زوراء^٤

أنشدتها على توالي الانتخاب ، حسبما صنعتها في أكثر أشعار هذا الكتاب .

قوله : « أيفرنى أن يستطيلَ بي المدى » . . . البيت ، يلمح من بعض
 الوجوه ، وإن لم يشبهه كلَّ التشبيه ، قولَ أبي العلاء :

وقبيحُ بنا وإن قدّمَ العو دُ هوانُ الآباء والأجدادِ

١ البوغاء : التراب عامة ، أو التراب الهابي في الهواء .

٢ الجدالة . الأرض .

٣ د : القرناء .

٤ شروح السقط . ٩٧٥ .

وأبو العلاء إنما ذهب إلى قول أبي الطيب^١ :

يدفنُ بعضنا بعضاً ويمشي أوأخيراً على هامِ الأوالي

وقوله : « وسواء أن تجلِّ اللحاظ » . . . البيت ، كقول التهامي^٢ :

واستلَّ من أترابهِ ولِداتِهِ كالمقلَّةِ استلَّتْ من الأشفارِ

إلاَّ أنَّ عبد الجليل قد نفخ فيه روحاً ، وسلك به مسلماً مليحاً ، وولَّد له إحساناً صريحاً .

وأما قوله : « أكبرتُ نَعْيَ جلاله » . . . البيت ، فقلَّ أحدٌ من الشعراء

ال بيتاً في الرثاء ، إلا ولهذا المعنى أشار ، وحواله دار ، لأنَّه من متداولات المعاني ، قال صريح الغواني^٣ :

تأمل أيها الناعي المشيد أحقَّ أنه أودى يزيدُ
أتدري^٤ من نعتٍ وكيفَ فاهتَ به شفتاك كان بها الصعيد

وقال أبو الطيب^٥ :

طوى الجزيرةَ حتى جاعني خبرٌ فرعتُ فيه بآمالي إلى الكذبِ

١ ديوان المتنبي : ٢٥٧ .

٢ ديوان التهامي : ٥٣ .

٣ ديوان مسلم بن الوليد : ١٤٧ ورجح ابن خلكان ٦ : ٢٢٨ أن الشعر لمبداه بن أيوب النيمي .

٤ الديوان : تأمل .

٥ ديوان المتنبي : ٤٢٣ .

وقال أبو إسحاق بن معلّى من أهل عصرنا^١ :

وتلجج الناعي به فسأتهُ عن ذا الحديث لعله يرتابُ

وقال أبو الحسن ابن الجدي^٢ :

تصامتُ عنها مستريماً إلى المنى وقلتُ عساها في الأحاديثِ بهتانُ

وقال أيضاً بعض أهل عصرنا^٣ :

ونبّهني ناعٍ مع الصبح كلّمّا تشاغلّت عنه عنّي في وعنائي [١٩٥] أغمّض أجفاني كأنّي نائمٌ وقد بلّغتِ الأحشاءُ في الخفقان

ولبعضهم أيضاً في قريب منه وإن لم يكن به :

أيحي وما أدعوك إلاّ تملّة^٤ نغالط فيك بالنفس حينا من الدهر
وإنّا لندرى أنّه لا يبيّننا ولكنّ تحلّينا الجواب فما ندرى

وقوله : « شهروا سلاح الدمع » . . . البيت ، كقول أبي الطيب^٥ :

• بيكي^٦ ومن شرّ السلاحِ الأدمعُ •

١ ترجمته في القسم الثالث : ٨٤٠ وانظر البيت : ٨٤٤ .

٢ سيرد البيت في هذا القسم . وانظر الثالث : ٨٤٩ .

٣ هو الأعمى التعليل ، انظر ديوانه : ٢٢٨ ومتأني ترجمته في هذا القسم : ٧٢٨

٤ ط م : لملة .

٥ ديوان المتنبي . ٥٠٨ وصدوره : بأبي الوحيد وجيشه متكاثرا .

٦ ط د م س : أبكي .

وقوله^١ : « والشمس نجم » . . . البيت ، معنى أحسن فيه وإن لم يكن
اخترع ، فقد أحسن وأبدع حيث اتبع .

وقوله : « نطأ القلوب » . . . البيت ، من قول التهامي^٢ :

كَأَنَّ وَخَدَّ مَطَايَاهُمْ إِذَا وَخَدَّتْ
يَطْأَنَّ فِي حُرِّ وَجْهِي أَوْ عَلَى بَصْرِي

وقوله : « أخذ الأسي فيه البرود » . . . البيت ، نبهه عليه ابن الرومي
بقوله^٣ :

أَخَذْتُ مِنْ رُؤُوسِ قَوْمٍ كَرَامٍ ثَارَهَا عِنْدَ أَرْجُلِ الْأَعْلَاجِ

وقوله : « يا تربة استبقي » . . . البيت ، من قول المعري^٤ :

فِيَا قَبْرُ وَاهِ مِنْ تَرَابِكَ لَيْتَا عَلَيْهِ وَآهِ^٥ مِنْ جِنَادِكَ الْخُشْنِ
لَأَطْبِقْتَ إِطْبَاقَ الْمَحَارَةِ فَاحْتَفِظْ بِلَوْلُؤَةِ الْمَجْدِ الْحَقِيقَةِ بِالْحَزَنِ

وقوله : « أنى وسعت وأنت مضجع واحد » . . . البيت ، كقول
أشجع السلمي^٦ :

١ وقوله : سقطت من ط م .

٢ لم يرد في ديوانه .

٣ مر قبلا ص : ٢٧٩ مع تحريجه .

٤ شروح السقط : ٩٣٨ - ٩٣٩ .

٥ ط د م : واهأ . . . وآهأ .

٦ أمالي القتالي ٢ : ١١٥ والحماسية رقم : ٢٨٠ (شرح المرزوقي) وزهر الآداب : ٧٩٤

والسمط : ٧٤٥ ووفيات الأعيان ٤ : ٨٩ .

فأصبح في الحدير من الأرض مبيتاً وكان به حياً^١ تضييقُ الصحاحُ
وأجمع أئمة الأدباء^٢ ، أنه لا فرق بين المدح والرثاء ، إلا أن يقال :
أودى وعُدِمَ به كيت وكيت وشبهه ، مما يُعلمُ أن المدوح ميت ،
هذا إذا كان المؤبّن ملكاً أو ذا صيت وقدر ، كقول النابغة في حصن بن
حذيفة بن بدر^٣ :

يقولون حصنٌ ثم تأبى نفوسهم فكيف بحصنٍ والجلالُ جُشوحُ
والفاظُ النساء ، أشجى في بابِ الرثاء ، من كثير من الشعراء ، لما
ركبَ في طباعهن من الحور والهلح ، وألفاظ الناس مبنية على كثرة التفجع
كما قال حبيب^٤ :

لولا التفجعُ لادّعى هَضْبُ الحمى وَصَفَا المشقرُّ أنه محزونُ
ولذلك عرّوا المراثي من ألفاظ النسب ، وجرت بذلك سنةُ البعيدِ
والقريب ، على قديم الزمان ، إلا ابن مقبل فإنه قال في رثائه لعثمان بن عفان
رضي الله عنه^٥ :

١ الأما لي : وكانت له حياً .

٢ متابع للعمدة ٢ : ١٤٧ .

٣ ديوان النابغة : ٢١٣ والعمدة ؛ ط د : حصن بن بدر ؛ م : حصن والفاظه بدر .

٤ قارن بالعمدة ٢ : ١٥٣ .

٥ ديوان أبي تمام ٣ : ٣٢٤ والعمدة .

٦ ط د م : حسب .

٧ ديوان تميم بن أبي بن مقبل : ١١ ومطلع القصيدة .

عفا بطحان من قریش فيثرب فملقى الرجال من منى فالحصب
وهذا الذي أورده ابن بسام هو ما جاء به ابن رشيق في العمدة ٢ : ٢٥٢ .

ولم تنسني قتلى قريش ظمائنًا تحملن حتى كادت الشمس تغرب
ودريد في تأبين أخيه ، تغزل أيضاً فيه ^١ ، والشاذُّ لا يُلْتَقَتُ إليه ، ولا
يُعَوَّلُ عليه .

ومن أشدَّ الرثاءِ صعوبةً على الشعراء ، تأبينُ الأطفال والنساء ، ألا
ترى أبا الطيب - وهو الذي قال ، فأصاحت الأيامُ والليال ، قد عابوا قوله
في رثائه أمَّ سيف الدولة :

سلامُ الله خالِقنا حَنُوط على الوجه المكفَّنِ بالجمالِ

وقالوا : ما له ولهذه العجوز يصف جمالها ؟؟ وتعصَّبَ له بعضهم وقال :
إنها استعارة . فقيل : إنها استعارةٌ حدادٍ في عرس ^٢ ، وكذلك قوله في أخته :

ولا ذكرتُ جميلًا من فائلها ^٣ إلا بكيتُ ولا ودُّ بلا سببِ [٩٥ب]

ولولا الإطالة ، وأنها تُفْضِي إلى الملالَةِ ، لزدنا ، فلنرجعُ إلى ما وعدنا

١ مطلع قصيدة دريد في رثاء أخيه :

أرت حديد الحبل من أم معبد نعاقة وأحلفت كل موعد

٢ العمدة ٢ : ١٥٤

٣ هو قول الصاحب بن عباد في رسالته : ٢٣٣ .

٤ الديوان . صائمهـا .

ومن شعر عبد الجليل في المدح ، وهو فيه فائز القدح

قال من قصيدة في المعتمد بالله ، أولها^١ :

بيني وبين الليالي همّة جَلَلُ لو نالها البدرُ لاستخذي له زُحَلُ
سرابٌ كلُّ يَبَابٍ عندها شَتَبُ وهَوَلُ^٢ كلُّ ظلامٍ عندها كحل
من أين أَبْحَسُ لاني ساعدي قصر عن المساعي ولا في مقولي خَطَلُ
ذنبِي إلى الدهر إن أبدى تَعَنُّهُ^٣ ذنبُ الحسام إذا ما أحجمَ البطل
يا طالبَ الوفْرِ إني قمت أطلبها علياءَ تَغْنَى بها الأسماعُ والمقل
لا كان للعيش فضل لا يجود به يكفي المهتدَ من أسلابه الخلل
لكن بخلتُ بأنفاسٍ مهدّبةٍ تروي العقول وهنُّ الجمرُ والشُعَلُ
إذا مدحتُ ففي لحمٍ وسيدها عن الأنامِ وعمّا زخرفوا شُغَلُ
وإن وصفتُ فكاليوم الذي عرفت بكَ الفرنجةُ فيه كُنْهُ ما جهلوا
وقد دلفتُ إليهم تحتَ خافقةٍ قلبُ الضلالةِ منها خائفٌ وجل
فراعهم منكَ وَضَاحُ الجبينِ وعن نشر الحسامِ يكونُ الرعبُ والوهل
وحينَ أسمعتُ ما أسمعتُ من كلمٍ تمثَلتُ لهمُ الأعرابُ والرَّعَلُ^٤
وكلما نفحت ريحُ المهدي خَمَدتُ ذمّاؤهم^٥ وسيوفَ الهند تشتعلُ

١ بعض أبياتها في القلائد والحريدة والبغية والمسالك والرايات .

٢ الرايات : ودحن .

٣ الرايات : والحريدة فلتكره سجيته .

٤ م ط د : والوهل .

٥ م ط س : دماؤهم .

جيش فوارسه^١ بيض كأنصله وخيله كالأقنا عسالة^٢ ذُبُل
يمشي على الأرض منهم كل ذي مرح^٣ كأنما التيه في أعطافه كسل

ومنها :

أشباه^٤ ما اعتقلوه من ذوابلهم فالحربُ جاهلةٌ مَنْ منهمُ الأسَلُ
لولا اعتراضكَ سدّاً بين أعينهمُ لكانَ يَغْرَقُ فيها السهل والجبل
أنسيتهما النظرَ الشزَرَ الذي عهدتُ فكلُّ عينٍ بها من دَهْشَة قَبَلُ
ترسلوا آلَ عبادٍ فربّما لم يُدْرِكِ الوصفُ ما تأتون والمثل
إذا أسرتمُ فما في أسركم قنطُ وإن عفوتم فما في عفوكم خنطُ
يقبلُ الغلّ مرتاحاً أسيركمُ فهو البشيرُ له أن تُسحبَ الحلل

قوله : « ذنب الحسام إذا ما أحجم البطل » ، أشار إلى قول حبيب^٥ :

وقد يكهمُ السيفُ المسمى منيةً وقد يرجعُ المرءُ المظفرُ خائبا
فأفةُ ذا أن لا يصادفَ مضرباً وآفةُ ذا أن لا يصادفَ ضاربا

وأخذه البحرني فقال^٦ :

وعذرتُ سيفي في نبو غراره إني ضربتُ فلم أقعَ بالمضربِ

ونعم ما نقله بعضُ أهل عصرنا ، وهو أبو الفضل ابن شرف ، وزاد

.....

١ جيش فوارسه : موصفاً بياض في طس .

٢ ديوان أبي تمام ١ : ١٤٨ .

٣ ديوان البحرني : ٢٨٣ .

فيه حسن النقل وبراعة التشبيه فقال^١ :

تقلدني الليالي وهي مدبرة^٢ كأنني صارم^٣ في كف^٤ منهزم.

وقال ابن عبد الصمد السرقسطي^٥ : [١٩٦]

ذلّ في ذا الزمانِ نظمي ونثري ذلّةَ السيفِ في يمينِ الجبانِ

وإن كان أبو الطيب سلك سبيلها ، وكان في حسن مذهبه دليلها ، حيث يقول^٦ :

أنى الزمانَ بنوه في شبيته فسرّهم^٧ وأتينا^٨ على الهرم.

وقال أبو تمام^٩ :

نظرتُ في السَّيرِ اللَّائِي مَضَّتْ فإذا وجدتها^{١٠} أكلتُ باكورةَ الأممِ.

فجمع ابنُ شرفِ المعنِينِ ، واتخذ طريقاً معلماً بين الطريقتين ، وأجاد المعري في هذا المعنى ما أراد وزاد ، حيث يقول^{١١} :

تمتّعَ أبكارُ الزمانِ بأيديهِ وجئنا بوهنٍ بعدما خَرِفَ الدهرُ

.....

١ الذخيرة ٣ : ٨١٢ .

٢ الذخيرة ٣ : ٨١٢ .

٣ ديوان المتنبي : ٥١٣ .

٤ ديوان أبي تمام ٣ : ١٩٢ .

٥ الديوان . أيامه .

٦ اللزوميات : ١٠٩ / ١٤٤ . ٢٤٧ .

فليت الفتي كالبدرا جُدّد عمره يعودُ هلالاً كلما فيّ الشهر
وقال ٢ :

كأنما الخيرُ ماءٌ كان واردَهُ أهلُ العصورِ وما أبقتوا سوى العسكرِ
وقال ابن شماغ^٣ من أهل عصرنا :

صفا للألى قبلي أتوا درّ دهرهم فلم يصف لي مذجتُ بعدهم عمرُ
فجاءوا إلى الدنيا وعصرهمُ ضحىً وجئتُ وعصري من تأخره عصرُ
وقال أبو جعفر المحدث من أهل عصرنا^٤ :

لقي الناس قبلنا غرّة الدهر ولم نلق منه إلا الدثاني

وقال عبد الجليل من قصيدة في ابن عمار :

قتلتُ بني الأيامِ خيراً فباطني مشيبٌ وما يبدو عليّ شبابُ
ولما رأيتُ الزورَ في الناس فاشياً تخيّل لي أن الشبابَ خضابُ
وآليتُ لولا ملكُ لحمٍ محمد لما كان ملك في الأنامِ لبابُ
ولولا ابنُ عمّارٍ وفاضلٌ سعيه لأصبح ربّعُ المجدِ وهو خرابُ
وما كان يؤتى المجد من حيث يتنقى ولا كان يُدرى للحوادث بابُ

١ ط م د س : كالفجر .

٢ الزوميات ١٣٧ / ١٤١ : ٣١٥ .

٣ أبو مروان عبد الملك بن شماغ ، وردت ترجمته في القسم الأول : ٨٢٧ .

٤ ترجمة أبي جعفر المحدث في القسم الأول س : ٩٠٥ وقد ورد البيت هناك .

ولا أحرقت أرضَ العدوِّ صواعقٌ
وما كان هارونُ أصحَّ وزارةً
بعيدُ الرضى في النصح ما كان راضياً
نهوضٌ ولو أن الأسنَّةَ مركبٌ
مضى مثلما يمضي القضاء وهزه
كما اقترنت بالبدْرِ شمسٌ منيرة
فكأَيْلَهُ صاعَ المودَّةِ وافياً
ومن كأبي بكرٍ لبكرٍ مكارمٍ
أنافتَ به فوق السماكين هيمَةً
فلفظتُهُ يومَ المهابةِ خطبةً
له سِنَّةٌ في الجددِ والمزلِ مثلما

ومنها في وصف كلامه^١ :

رقيقٌ كما غنَّتْ حمامةٌ أَيْكةً

وله من أخرى :

أطلتُ في الدهرِ تصميدي وتصويبي
وربَّ أحرقَ لا يُهدى إلى فمه
وأقني أدبٌ بادٍ فضيلتهُ
كفى من اللحظِ أني لا أنافسُ في
وقد أرى صوراً في الناسِ مائلةً

ولا مَطَرَتُ أرضَ العفاةِ سحابٍ
لموسى . وهل دون السحابِ حجابٍ
لوأنَّ له السبعَ الشدادَ قبابٍ
ورودٌ ولو أنَّ الحمامَ شرابٌ
همامٌ يهزُّ الجيشَ وهو مضابٌ
له عن سناها في الخطوبِ منابٍ
وكلُّ مُثيبٍ بالوفاءِ مثابٍ
لها من ثنائي حليَّةٍ ومَلابٍ
أنافَ عليها عنصرٌ ونصابٍ
ولحظتُهُ يومَ اللقاءِ ضرابٍ [ب٩٦]
تُدارُ كؤوسٌ أو تُدقُّ حرابٍ

وجزلٌ كما شقَّ الهواءَ عقابٍ

ودهرٌ ذي اللَّبِّ مضمارُ التجارِبِ
أصابَ غرَّةَ مأمولٍ ومرغوبٍ
من حيثُ يشفعُ لي قد صار يغري بي
حظٍ ومَخْبِرُتي تكفي ونجري بي
أشيمها بين تحقيقٍ وتكذيبٍ

١ انظر الذخيرة ، القم الأول : ١٤ .

لما ملأتُ يدي منهم لأخبرهم
بيضٌ وجوهمهم ، سودٌ ضمائرهم
الصدقُ أولى بمن يُبدي ضغينتهُ
نفضتُ كفتي بأشباهِ العاسيب
فما حصَلتُ على عُرْبٍ ولا نوب
لا تجعلِ الصدقَ في نعتِ الأصاحيب

ومن المدح :

في حسن رأي عبيد الله لي عيوض^١
وإن صحبتُ فتأملي لغرتهِ
بذلك الوجه تُجلى كلُّ غاشيةِ
عاد المصلّي بوضاحِ أسيرتهُ
فاستقبلت قبلةُ الإسلامِ بدرَ علا
وغرةً تطلبُ الآمالِ قبلتها
أدنى المؤيدِ إذ شطَّت منازلهُ
كالطرفِ والقلبِ فيما بين ذلك وذا
وفضلهُ بدَلٌ من كلِّ مطلوب
وذِكْرُهُ خَيْرُ مألوفٍ ومصحوب
عن ناظرٍ بوجوه اللومِ محسوب
تنبيك عن خلدٍ بالفهمِ مشوب
يُسمي له البدرُ نجماً غيرِ محسوب
بين المحاربِ طرّاً والمحارِبِ
فضلاً بفضلٍ وتهدياً وتهذيب
مسرى الضميرِ وتبعيدٍ كتقريب

يتطرف هذا ، وإن لم يكن به ، قول ابن الرومي^٢ :

كضميرِ الفؤادِ يلتهمُ الدُّنيا ويحويه دفنًا^٣ حيزومِ

ومنها :

فبتُّ من وصفه في غايةِ قَدَفٍ
كأنني واجدٌ من عَرَفٍ سؤدده
والطبعُ ينجدني والفكرُ يسري بي
ريحَ القميصِ سرّتْ في نفسِ يعقوبِ

١ م : عرض ؛ وسقطت « لي » منها ومن ط .

٢ زهر الآداب : ٣٩٢ وتشبيهات ابن أبي حون : ٣٤٧ .

٣ م ط د : دفنا .

وايه من أخرى^١ :

يعزُّ على العلياء أني خاملٌ وإن أبصرت مني خمودَ شهابٍ
وحيثُ يرَى زَنَدُ النجابهِ واريأ فتمَّ يرَى زَنَدُ السعادةِ كابي

الم في هذا بقول أبي الطيب^٢ :

وما الجمعُ بين الماءِ والنارِ في يدي بأصعبَ من أن أجمع الوفرَ^٣ والفهما

بل إلى قول الآخر أشار ، وحواليه دار ، وهو :

إذا جمعت بين امرأين صناعةً فأحببت أن تدري الذي هو أحقُّ
فحيثُ يكونُ الجهلُ فالرزقُ واسعٌ وحيثُ يكونُ النبيلُ فالرزقُ ضيق

وفي هذه القصيدة يقول عبد الجليل : [١٩٧]

وإني لفي دهرٍ فرائسُ أسدِه سدى عبثتُ فيه نيوبُ كلابِ
أتحفى على الأيامِ غرُّ مناقبي وقد بذتُ شأوي شأوَ كلِّ نَقَابِ
ويركبنِي رسمُ الحمولِ وقد غدتُ خصالُ العلاءِ والمجدِ طوعَ ركابي

١ انظر الميث ٢ : ٧٤ والشريشي ٢ : ١٣٩ .

٢ ديوان المتنبي : ١٦٢ .

٣ الديوان : الجد .

٤ الشعر لأبي إسحاق الصابي ، انظر اليتيمة ٢ : ٢٩٣ ومعجم الأدباء ٢ : ٨٥ - ٨٦ وبهجة المجالس ١ : ١٩٤ .

٥ اليتيمة والمعجم : النقص ؛ بهجة المجالس : النول .

٦ اليتيمة والمعجم : الفصل ؛ بهجة المجالس : الخلق

سأرقى بهمّاتي قُصَارَى مرانبي
لتعلم أطرافُ الأسنّةِ أني
وتشهد أطرافُ البراعاتِ أني
وليس نديمي غيرَ أبيضِ صارمٍ
مضمتخةٌ لا بالخلوقِ أنامي
ولكن بنفحِ يُخجِلُ الروضَ زاهراً

ومنها ٢ :

ومن لم يخضبَ رُمحَهُ في عداته
ومن لم يُحَلِّ السيفَ من بهمِ العدا
إذا ورقُ الفولاذِ ٣ هزَّ تساقطتْ
ومن يتخذُ غيرَ الحسامِ محالباً
ومن غرهُ من ذا الأنامِ تبسمُ

وله من أخرى أولها :

لولا تبسمُ ذاك الظلّمِ والبرّدِ
بل لا أطيعك في غصنِ أهِمِ به
وَأين بي وبصبري عن جفونِ رشا
بعدي على اللومِ قلبي وهي تؤلمه

وإن كان أذناها يُطيلُ طلابي
كفيلٌ بها عند الصدا بشراب
بين مصيبٍ فصلَ كلِّ خطاب
وليس سميري غيرَ شخصِ كتاب
مزعفرةٌ لا بالعبيرِ حرابي
ولكن بدعسٍ في كُلى ورقاب

تساوتُ به في الحيّ ذاتُ خضاب
تحلّى بجزي في الحياة وعاب
ثمّارُ حتوفٍ أو ثمّارُ رغب
فما هو إلّا واردٌ بسرّاب
فبالعقل قد أضحى أحقّ مصاب

قبلتُ نُصْحَكَ إلّا في هوى الغيّدِ
كأنه نابت في طيِّ معتدي
غوامضِ السحرِ لا ينفثن في العقدِ
كما تضرُّ كميّاً شِكَّةُ الزردِ

١ د : كتابي .

٢ وسها . سقطت من م .

٣ م د : الفلاد .

وهذا من قول أبي الطيب^١ :

بنو كعبٍ وما أثمرت فيها^٢ يدٌ لم يُدْمها إلاّ السّوارُ
لها^٣ من قَطْعِهِ ألمٌ ونقصٌ وفيها من جلالته افتخار

ومن قصيدة عبد الجليل حيث يقول :

قل للرشيد وقد هبّت نوافحها أسرفت يا ديمةَ المعروف فاقصدِ
أشكو إليك الندى من حيث أحمده كو فاضَ فيضاً عليّ البحرُ لم يزد

قال ابن بسّام : وأخبرني من لا أَرُدُّ خبره أنه دخل على عبد الجليل يوماً
وقد تناول حتى كاد يمسُّ رأسهُ السماء ، فقال له : قد أتيت [بيت] فلم
أزد^٤ ، وما أحسب حسنته لأحد ، وأنشد هذا البيت ، قال الحاكمي ،
فقلت له : فأين أنت من قول أبي عبادة* :

تنصّب البرقُ مختالاً فقلتُ له لو جُدّتْ جودَ بني يزداد لم تزدِ

قال : فبدا عبوسه ، وتضاعل حتى كدتُ أدوسه ، وقال : كسرني
والله ، لو خطر هذا على بالي ما قلت [٩٧ ب] ذلك .

وفيها يقول :

١ ديوان المتبّي : ٣٩٧ .

٢ الديوان : فيهم .

٣ الديوان : بها .

٤ م س : هل أتيت فلم يزد .

٥ ديوان البحترّي : ٦٥٩ .

يا قاتلَ الشكرِ بالإحسانِ يعمره
عجبتُ من كَرَمٍ في راحتِكَ بدا
جادتُ سحابُكَ إذ جادتُ على أملي
أثريتُ عندَكَ^٢ من جاهٍ ومن نسب
يا واحداً تقتضي الآؤه جملاً
للناسِ بعدكَ في العتيا منازلُهُم
يُدعَى^٣ الرشيدَ ولم تعدم به صفة
لك الرشادةُ أخلاقاً وتسمية
أيُّ الفضائلِ تستوفيه مكتهلاً
بادهنتي بأيادي لا يقومُ بها
عاد الزمانُ بما أوليتني غصناً
ما عذر طبعي أن ينبو وما تركتُ

مهلاً أما لقتيلِ الجودِ من قودِ
إشراقه كيف لم يُعزَّزَ إلى الفند
فقال أشياءها جادتُ على بلد
حتى وجدتُ الغنى في همتي ويدي
برَّحتَ بي وبنظم الشكلِ فاتتد
والواحدُ الفردُ يحوي مبدأ العدد
يا مَنْ هو الفصلُ بين الغيِّ والرشد
مثل البسالة إذ تُعزَى إلى الأسد
وذا شبابُكَ قد أربى على الأمد
ما في لساني من قصدٍ ومن لد
غضاً فقامتُ مقام الطائرِ الفرد
به أياديك من أمتٍ ومن أودِ

وله من أخرى في المعتمد أولها :

قالوا صحا وأدال الغيِّ بالرشدِ
لئن صحوتُ فغن كرهٍ وقد علموا
لم يقصد الدهرُ إصلاحي ولي مثلُ

من لي بذاك الصبا في ذلك الفندِ
بأي علقٍ من الدنيا فتحتُ يدي
في الغصن تذهبُ عنه صورةُ الغيد

١ س : يفره .

٢ ط د : عيدك .

٣ م س : تدعو .

٤ د : فقامت فيه .

٥ رقت لفظة « ومنها » في ط بعد هذا البيت .

٦ م س : سورة .

ومنها :

طوى الزمانُ لبيلاتٍ نعمتُ بها
وقاتل الله أدوار السنين فكم
لم يرسم الشيبُ في فوديَّ خطتهُ^١
ضيفُ الوقارِ أفدنا منه تكرمتهُ
وأسمرُ الخطِّ لا تبدو فضيلتهُ
للدهرِ عدي بنات^٢ من تجاربه
الحرُّ يرزأُ إلّا فضل شيمته
وما الغنى في يدٍ مملوءةٍ عرضاً
أو في رجاءِ ابنِ عبادٍ وقد رغبت
استوثق الناس مما في أكفهمُ
ولا يرى العنقدُ إلّا في أذمتيه
بقيةُ الفضلِ في دنيا قد ارتضعت
مستجمعُ الفكرِ لا ينحوه معاندُهُ^٣
إذا استخفت حلومُ القومِ وقرها
يكفي المؤيدَ في الأعداء أن له

رنا بعينِ الرضى منها ولم يكد
مزجن بالسمِّ ما احلولى من الشهدِ
إلّا ترحلت اللذاتُ من خلدي
بما تثقف^٤ من أمتٍ ومن أود
بغير أزرق كالنبراسِ . متقد
أولى وأجدرُ بي من بيضها الخرد
وإن تقلب بين البؤسِ والنكد
لكنه في وفورِ العزمِ والجلد
أيدي الملوك عن الإفضال والصنم
وربما نفثوا بخلاً على العنقد
وما حوته يداه غيرُ منقده
ورحمة الله في سلطانه النكد
على بوائده من آرائه بدد [٩٨ أ]
يقظانُ يَسْمَى إليهم سعي متد
عيناً من الله لا تخفى^٥ من الرصد

١ م : قطته .

٢ ط د : فما تثقف .

٣ ط د : نبات .

٤ سقط هذا البيت واثنان بعده من م .

٥ ط س : ينجو .

٦ م : لا تخفى .

تلقى به صيلٌ أصلالٍ وآيتهُ
وما تمرُّ بأدهى من ليوثٍ وغى
يجرُّ من شجر الحطّي غابته
أن تستبين عليه قشرةُ الزرد
يتبعن منه أباناً وافر اللبد
وذاك ما لم تَسَعهُ عزمةُ الأسد

ومنها :

جاريتمُ الدهرَ في مضمار حلتبها
لكن تحيتها قدماً وقد شهدت
لحمُ ابن يعربَ أولى أن يضاف إلى
أنت الجميع وأنت الفرد قد علموا
جرباً سواءً إلى أقصى من الأمد
« يا دار ميةً بالعلياء فالسند »^١
سواء معتضد فيكم ومعتمد
سريرة لم تكن في واحد العدد

ومنها :

يا أشبه الناسِ آداباً بما لك من
من أين لي قدّمٌ في الفضلِ سابقةً
هذا الأنيُّ لذلك المزنِ منتسبٌ
أرسلتها في سماءِ المجد طائفةً
تُصْحِي النهى أبداً من حيث تسكرها
لو أن لقمان يُعْطَى عمرها بك لم
طبعها ولك التبرُّ الذي طُبِعَتْ
جمال وجهٍ تحدتني وفضل يد
لو أن طبعي في واديك لم يرد^٢
عاري الأديمِ من الأقداء والزبد
عن غير جهدٍ وفيها متعةُ الأبد
وتسمع^٣ اللحظَ صوتَ البلبل الفرد
يُخْضِنُ عليها الذي أخنى على لبد
منه فأسلّمها في كفٍّ متعقد

وله وقد توقف مرتبه عند العامل :

.....

١ لم يرد هذا البيت في م س .

٢ ط د : يزد .

٣ م س : وتشيع .

أَلَسْتُمْ مَعشَرَ الْأَمْلاكِ طائفةً
 فإِنْ نَقَصْتُمْ أَنْاساً مِنْ نَوَالِكُمْ
 لَكُمْ خُلِقْنَا وَلَمْ نُخْلَقْ لَأَنْفُسِنَا
 يَا صَاحِبَ الْمَجْدِ إِنْ الْمَجْدَ سَائِمَةٌ
 خُدَّتِي بِمَا شِئْتَ مِنْ غَرَاءَ شَارِدَةٍ
 وَاعْذِرْ بِتَقْصِيرِهِ مَنْ لَا يَزَالُ لَهُ
 لَا يُدْرِكُ الْقُوَّةَ مِمَّا أَنْتَ وَاهِبُهُ
 وَلَيْسَ لِلشَّعْرِ إِلَّا خَاطِرٌ يَقْطُ
 وَمَا الْمَدَائِحُ إِلَّا بِالْمُلُوكِ وَهَلْ
 تَقْضِي بِتَخْلِيدِهَا هَذِي الْأَنْشِيدُ
 فَحَقٌّ مِنْكُمْ لِأَهْلِ الشَّعْرِ تَرْبِيدُ
 فَإِنَّمَا نَحْنُ تَحْمِيدٌ وَتَمْجِيدُ
 تَضَلُّ إِنْ لَمْ يَكُنْ^١ بِالشَّعْرِ تَقْيِيدُ
 يَصْغِي الْأَصْمُ إِلَيْهَا وَهُوَ مَفْزُودُ
 فِي سَاقَةِ الرِّزْقِ إِرْقَالٌ وَتَوْخِيدُ
 حَتَّى يَطُولَ مِنَ الْعَمَالِ تَنْكِيدُ
 يَهْزُهُ مِنْكَ تَرْفِيهُ^٢ وَتَأْيِيدُ
 يَبْدِي سِنَا الْعَقْدِ إِلَّا النُّحْرَ وَالْجَيْدُ

وهذا كقول أبي الطيب^٣ :

• وفي عتق الحنساء يُسْتَحْسَنُ الْعَقْدُ •

وله من أخرى إذ جاز المعتمد البحر إلى أمير المسلمين وناصر الدين ،
أولها^٤ :

عزمٌ تجرَّد^٥ فيه النصرُ والظفرُ وفكرةٌ خمدت من تحتها الفكرُ
وقال فيها^٥ :

١ م : يحق .

٢ ديوانه : ١٩٤ ، صدر البيت : وأصبح شعري منهما في مكانه .

٣ منها سبعة أبيات في المطرب : ١١٩ ، وبيت في الحريرة ٢ : ٩٥ وسبعة في الحريرة ٢ :

١٠١ وثلاثة عشر بيتاً في المسالك ١١ : ٢٢١ .

٤ م : تجدد .

٥ وقال فيها : لم يرد في م .

أذيه وبسوطِ الريحِ ينحصر^٢ [٩٨ب]
 وليس مما تضمُّ الحزمُ والعُدْرُ
 غضبانَ تقدحُ من أنفاسِهِ الشرر
 دهباءَ لا ملجأَ منها ولا وزر
 يسموله رَهَجٌ في الجوّ متشر
 وحيث تملكُ ما تأتي وما تذر
 تعودُ الخوضَ فيه طِرْفُكِ الأثيرُ
 تحاربُ الجيشَ أو مصقولةً بئرُ
 تنفي الحلدارَ ، ومما يؤثرُ الحلدر
 وليس يُحمّدُ في أمثالكِ الفرر
 فقد تعلقَ من أذياله البشر
 عليكِ واستولتِ الأشواقُ والذكر
 شحاً عليكِ وأحيا ليله السهر
 وللقلوبِ بذاك اللجّ مُحْتَضِرُ
 لنا مساعيكِ أن يعنو لكِ القدر
 ذاكِ المجازِ فأجرى فُلُكْكَ النهر
 فناله دَهَشٌ أو نابه^١ حصّر

ركبتَ في الله حتى البحرَ حين^١ طالما
 طِرْفٌ يَزِلُّ عليه سرجُ فارسه
 كأنَّ راكمه في متنٍ ذي لبدٍ
 حملتَ نفسك فيه فوقَ داهيةٍ
 عُدِرَتْ لو أنه ميدانُ معركةٍ
 في حيثُ للكرِّ والإقدامِ مضطربُ
 عسكُ خلتَ حجابَ الماءِ من زردٍ
 أو قلتَ في الموجِ خرصانَ معرضةً^٢
 هي البسالةُ إلاَّ أنها سرفُ
 لا تحملُ الدينَ والدنيا على خطيرِ
 إن كان ثوبُكِ مختصاً بلباسه
 هلاً رحمتَ نفوساً حام حائمها
 وعاد أجبتَها من كان أشجعها
 إنا لفي حمصَ نستقري محاضرها^٤
 لا نحسنُ الظنَّ إشفاقاً وقد ضمنتُ
 كأنما النهرُ لما سرتَ سار إلى
 كأنما قمتَ بالجلدوى تساجلُهُ

١ م : حيث .

٢ لعلها : ينحصر .

٣ ط د : الملح . . . معوضة ؛ م : قرصان .

٤ ط : محاضرنا .

٥ ط : الدهر .

٦ ط د : وارتابه (اقرأ : وانتابه) .

أحاط جودكَ بالدنيا فليس له
وما حسبت بأن الكُلَّ بحملهُ
لم تننِ عنكَ يداً أرجاءُ ضفتيه
تواصلُ اللحظَ حسرى من هنا وهنا
فصرتَ فوق دفاعِ الله تهصرهُ
كأنما كان عيناً^٣ أنتَ ناظرها

إلا المحيطَ مثالُ حين يُعتَبر
بعضُ ، ولا كاملاً يحويه مختصر
إلا^١ ومَدَّتْ يداً^١ أرجاؤه الأخر
وليس غيرَ الدعاءِ الجِصُّ والحجر
براحةِ البرِّ والتقوى فينهرهُ^٢
وكلُّ شَطِ بِأشخاصِ الورى شفرُ

وهذا قول أبي الحسن السلامي . وقد دخل مع بعض إخوانه دجلة ،
فقال^٤ :

وميدان تجولُ به خيولُ تقودُ الدارعين وما تقادُ
ركبتُ به إلى اللذاتِ طيرُفاً له جسمٌ وليس له فؤاد
جرى فظننتُ أنَّ الأرضَ وجهُ ودجلة ناظرٌ وهو السواد

وعبد الجليل أيضاً الذي^٥ يقول في صفة الأسطول^٦ :

يا حُسْنَهُ يوماً شهدتُ زفافها بنتَ الفضاءِ إلى الخليجِ الأزرقِ
ورقاءُ كانتُ أَيْكَةً فتصوّرتُ لك كيف شئتَ من الحمامِ الأورقِ

١ م : وحدت بها ؛ س : وهدت بها ؛ ط د والمسالك : ومدت به ، والتصويب عن المطرب
والخريدة .

٢ هذا البيت والذي يليه في الفَيْث ١٦٠٠٢ ، والأخير في مختارات ابن الصيرفي : ١٢٤ .

٣ المطرب والخريدة والصيرفي : كأنما البحر عين .

٤ البيهقي ٦٠٢ قال : وركب في صباه سارية ، ولم يكن رأى دجلة قبل ذلك ؛ وابن
خلكان ٤ : ٤٠٤ .

٥ الذي : زيادة من م س .

٦ نفع الطيب ٤ ٥٩٠ - ٦٠ والمسالك ١١ : ٢٢ .

حيثُ الغرابُ يجرُّ شملةً عَجْبِيهِ
من كلِّ لابسَةِ الشبابِ ملاءةً
شهدتُ لهنَّ العينُ^٢ أنَّ شواهِناً
من كلِّ ناشرةٍ قوادمَ أفتخِجُ
زأرتُ زئيرَ الأسدِ وهي صوامتُ
ومجادفٍ تحكي أرقامَ ربوةٍ
والماءُ في شكلِ الهواءِ فلا ترى

وكأنَّه من عزَّةٍ لم يننقِ^١ [١٩٩]
حَسَبَ اقتدارِ الصَّانعِ المتأنقِ
أسماءُها فتصحت^٣ في المنطقِ
وعلى معاطفها فراهةٌ شوذَّقِ^٤
وزحفن زحُفَ مراكبٍ في مَأزِقِ^٥
نزلت لتكرعَ في غدِيرِ مُتَأَقِ
في شكلها إلا جوارحَ تلتقي

ومن البديع في وصف الأسطول قول محمد بن هانيء الأندلسي من جملة قصيدته ، قال فيه^٦ :

قبابٌ كما تُرُخَى القبابُ على المها
أنافتُ بها آطامُها^٧ وسما بها
من الطيرِ إلاَّ أنهنَّ جوارحُ
إذا زفرتُ غيظاً ترامتُ بمارجِ^٨

ولكنَّ من ضُمَّتْ عليه أسودُ
بناءً على غيرِ العراءِ مشيدُ
وليس لها إلاَّ النفوسَ مصيدُ
كما شبَّ من نارِ الجحيمِ وقودُ

١ ط د : يمتق .

٢ النفع : لها الأعيان .

٣ ط د : فتصحت .

٤ الشوذق والسوذق - بالشين والسين - الشاهين ، و«فراهة» في النسخ قد وردت « وهادة » ، وتصحيحها على التقدير ، لا أنها قراءة دقيقة .

٥ لم يرد البيت في م س .

٦ م س : قصيدة قال فيها ؛ وانظر ديوان ابن هانيء . ٥٢ وزهر الآداب : ١٠٠١ .

٧ الديوان : أعلامها ، وما هنا موافق لزهر الآداب .

وقال عليّ بن محمد الإياديّ يصف أسطولَ القائم من كلمة يقول فيها^١ :

يتنزّلُ الملاحُ منه ذؤابةً لو رام يركبها القطا لم يركبِ
وكأتمّا رام استراقةً مفعديً للسمعِ إلاّ أنّه لم يشهبِ
وكأتمّا جنّ ابن داودٍ همُّ ركبوا جوانبها بأعنفِ مركبِ
من كلِّ مسجورٍ الحريقِ إذا انبرى من سجنه انصلت انصلات الكوكبِ
عريان يقدمه الدخانُ كأنّه صبحٌ بكرُّ على ظلامٍ غيبِ^٢
ولواحقٍ مثل الأهلهِ جتججِ لحقِ المطالبِ فائتاتِ المهربِ
بذهبنَ فيما بينهنّ لطفةً ويجنّ فعلَ الطائرِ المتقلبِ
كنضائفِ الحياتِ رُحنَ لواعباً؛^٣ حتى نقعنَ ببردِ ماءِ المشربِ^٤
شرعوا جوانبها مجادفَ أتعبت شأوَ الرياحِ لها ولما تعب
تنضاعُ من كتّيبِ كما نفرَ القطا طوراً وتجتمعُ اجتماعَ الربربِ
والبحرُ يجمعُ بينها فكانه ليلٌ يقربُ عقرباً من عقربِ

رجع :

١ من هذه القصيدة ثمانية وعشرون بيتاً في زهر الآداب: ١٠٠٣ ورفح الحب ١٤١٠١ .

وثمانية عشر بيتاً في النفع ٤ : ٥٧ - ٥٨ وبمضها في المقتضب من تحفة القادم : ١٢٢

ومنها بيتان في الحلة ١ : ٢٨٥ .

٢ النفع : مسجون ؛ م س : مزجور .

٣ زهر : الطلام الغيب .

٤ زهر : لواعباً .

٥ زهر : ببرك ماء الميزب .

٦ ط : نوائبها .

وقال عبد الجليل من قصيدة أولها^١ :

محلُّ ألبسِ الدنيا جمالاً وإنْ فَضَّحَ المقاصِرَ والخلالا
بناه كما بنى العلياء بانٍ يَشِيدُ مآثراً وَيُبِيدُ مالا

ومنها في وصف القصر :

ولزاهي الكمالُ سناً وحسناً كما وَسِيعَ الجلالةَ والكمالا
يحاطُ بشكلِهِ عرضاً وطولاً ولكنْ لا يُحاطُ^٢ به جمالا
تواصلتِ المحاسنُ فيه شتى فوفدُ اللحظِ ينتقلُ انتقالاً [٩٩ ب]
وقورٌ مثلُ ركنِ الطودِ ثَبَتٌ ومختالٌ من الحُسْنِ^٣ اختيالا
تدافعُ من جِوانِبِهِ اتِّلافاً فكاد المستينُ يقولُ مالا
فلو أدنوا حرامَ السحْرِ منه لأضحى يعبدُ السحرَ الحلالا
سماً ترتمي بعبابٍ بحريٍّ كأنَّ بها إكاماً أو تلالا
فقد كاد اللبيبُ يُهالُ^٤ منه ويحسبُ أنَّ بحرَ الجورِ سالا
فما أبقى شهاباً لم يصوبَ ولا شمساً تنيرُ ولا هلالا
وللبهو البهيَّ سماً نورٍ تمثلَ شكلها حلقاً دِخالا^٥
مزخرقةً كأنَّ الوشي ألقى عليها من طرائقِهِ خيالا

١ منها أبيات في المسالك ١١ : ٢٢٢ - ٢٢٣ والنفع ٤ : ٢٦٣ وانظر ما مر منها في القمم

الثالث ٧٦٦ - ٧٦٧ .

٢ م يحيط .

٣ المسالك : من الأنس .

٤ م س والمسالك : تبر .

٥ س م : يهاب .

٦ م س : خلقاً دبالاً ؛ المسالك : خلقاً وحالا .

وما خلّتُ الهواءَ يكونُ روضاً
بلى حققتُ أنّ النارَ كانتُ
فلم أعدِلْ بِجَآمِدِهِ مَدَابِئاً
وكلّ مصوّرٍ حيّ جمادٍ
له عملٌ وليس له حراكٌ
ولا سقفاً يكونُ كذلكُ آلا
له ظنراً وعصره زلالاً
ولم أنكرُ لِنَدْوَتِهِ اشتعالاً
تبيّنَ فيه رهواً أو دلالاً
وافهامٌ وما أَدَى مقالاً

ومنها :

ويُفرغُ فيه مثلَ النصلِ بدعٌ
رعى رطبَ اللجين فجاء صليداً
كانَ به على الحيوانِ عتباً
وأوصى بالرياحينِ اغتراساً
وكان الغرسُ والأثمارُ وقفاً
وقامت يومَ قننا منشداتٍ
من الأفيالِ لا يشكو ملالاً
وقاحاً قلّما يخشى هزالاً
فلم يرفعُ لرؤيتهاً قدالاً
همامٌ طالما اغترس الرجالا
لمن جعل التدى والوعدَ حالاً
ففضت من رويتنا ارتجالاً

ومنها :

براعةُ مصنعِ جليبتِ فاضحت
فكم طلب العويصَ فما تأبى
ولكن المؤيدَ عزاً وصفاً
براعةُ منطقي منها مثالا
وكم قلب العيانَ فما استحالا
وأعيتني حقيقتهُ منالا

- ١ م : لذوبته ؛ س : لذويته .
٢ ط د : فما .
٣ انظر ما تقدم ص : ٤٧٢ .
٤ المسالك . فلم ترفع لرؤيته .
٥ ط د س : رويتها .

إذا استوضحتهُ أبصرتَ دهرأ
 أقامَ لها معاليها^٢ شمساً
 وآراءَ يُنتجها رزاناً
 وفيه أناةٌ مقتدرٍ حلِيمِ
 ويبطشُ بطشةً تُنبئُ الأعادي
 من البيضِ الذين إذا تولّوا
 وبيننا نجتلي منهم بدوراً
 تألقَ وجههُ وزكتَ نهاه^٤،
 وما يومُ العَرُوبةِ يومُ سرّ
 عجزنا أن نحققَ منه وصفاً
 يعارضهُ بكلِّ سبيلٍ مجدٍ
 ولما لم يُطقَ يتغي صباه
 وكاد يكونهُ حتى تراه
 وأبهجتنا طلوعهما بدستِ
 فلم أرَ قبله بدرأ كساه

لو أنَّ الدهرَ لم يُنسخَ فعلا^١
 ومدَّ لنا مساعيهُ ظلّالا
 فبرسلهنَّ أقداراً عجّالا
 تكاد تغرُّ بالأُسْدِ^٣ النمالا
 أكفّهُمُ وما حملوا اعتقّالا
 صنيعاً لم تجدُ فيهم شمالا
 إذا بهمُ قد اعترضوا جبّالا
 فقلتُ مثالهُ محقُّ الضلالا [١٠٠ أ]

لقد نطق الزمانُ به^٦ فقلا
 وما عجز الرشيدُ له امتثالا
 فتحسبه ينافسُه خلّالا
 أحالَ على شمائله اكتهالا
 يجاذبهُ ولا يقوى انفصالا
 طلوعَ الأصلِ والفرعِ اتصالا
 جوارُ الشمسِ تمأً واكتمالا^٧

.....

- ١ المسالك : مقالا .
- ٢ م س ٠ لنا معاليه .
- ٣ م ٠ تغرب الأسد .
- ٤ م س : وذكت بها .
- ٥ د : عز ، ط : عن ؛ م . عن ، والتصويب عن المسالك .
- ٦ م س : بها .
- ٧ م س : واكتهالا .

وفيها يقول :

أنتك على خلّاقها جيادي^١ وإن كان الضياعُ لها شكالا^٢
وما يبيلك ذهنٌ أحوذي^٣ إذا أصبحته جدّاً تفالي^٤
تراحمتِ المهمومُ خلالَ صدري فما تركتُ لأنفاسي مجالا
وما خلّتُ النسيمَ يكونُ ثِقْلاً ولا نَفْحَاته تَأْتِي وبالا
كأنّي كلما استنشقتُ منه أردُّ به إلى كبدي نصالا^٥
وكيف يصحُّ ذو قلبٍ أبيّ إذا كان الإباءُ له نكالا
مضى ماءُ الشبيبةِ في الأمانِي ومن ولتي فما يرجو اقتبالا
وكنتم خَيْرَ مَنْ يُرْجَى فما لي وجدتُ يقينَ آمالي محالا
ولم أحملُ ودادكمُ ادِّعاءً ولا أظهرتُ مدحكُمُ انتحالا

احتذى عبد الجليل فيما وصف به الرشد من تقبله^٥ لمذهب^٦ أبيه قول
الخنساء^٧ ، وقد قيل لها مدحت أخاك حتى هجوت^٨ أباك ، فقالت :

- ١ م س : خلّاقها جياد .
- ٢ مر البيت في الذخيرة ١ . ٨٢ .
- ٣ م : حدّاً نفالا ؛ س : حدّاً ثقّالا .
- ٤ المسالك : أردد منه للكبد النصالا .
- ٥ س م د : تقبله .
- ٦ س م : لمذهب .
- ٧ أبيات الخنساء في زهر الآداب : ٩٢٥ وأمالي المرتضى ١ : ٩٨ وحماسة ابن الشجري .
- ١٠٤ والأول في الخزانة ٣ . ٢٧٧ وأنيس الجلساء ٤٣ .
- ٨ أمالي المرتضى : هجنت .

جارى أباه فأقبلا وهما يتعاوران ملاءة الحُضري
حتى إذا جدَّ الجراءُ وقد ساوى^١ هناك العذرةَ بالعذري
وعلا هتافُ الناسُ أيهما قال المجيبُ هناك لا أدري
برقت^٢ صحيفةُ وجهِ والدهِ ومضى على غلوائه يجري
أولى فأولى أنْ يساويةُ لولا جلالُ السنِّ والكبر
وهما كأنهما وقد برزا صقرانٍ قد حطَّا إلى وكر

وقيل لأبي عبيدة^٣ : ليس هذا في مجموع شعر الخنساء . فقال : العامةُ
أسقطُ من أن يجادَ عليها بمثل هذا .

وقد أحسن البحري حيث يقول^٤ :

جدُّ كجدِّ أبي سعيد إنَّه تركَ السماك كأنه لم يشرفِ
قاسمتَه أخلاقهُ وهي الردى للمعتدي ، وهي الندى للمعتفي
فإذا جرى في غايةٍ وجريتَ في أخرى التقى شأوا كما في المنصف

وقول الخنساء : « يتعاوران ملاءة الحُضري » أبدع استعارة ، وأنصح
عبارة . وقال عدي بن الرقاع^٥ : [١٠٠ ب] .

١ ط د . سارت ، م س . صارت ؛ أمالي المرتضى . لزت هناك .

٢ أمالي المرتضى : بررت .

٣ م س . لأبي عبيد الله .

٤ متاع لزهرة الآداب . ٩٢٦ وانظر ديوان البحري . ١٤٢١ وأنيس الحلساء : ٤٣ .

٥ رهر الآداب : ٩٢٦ والمختار : ٢٦٣ والطرائف الأدبية : ٩٦ وديوان أبي تمام ٢ : ٣٣٧ .

يتاوران من الغبارِ ملاءةً غبراء محكمةً هما نسجاها
تُطوى إذا وردا مكاناً جاسياً وإذا السناكبُ أسهلتُ نشرها

ولى هذا أشار حبيب بقوله ١ :

يثيرُ عجاجةً في كلِّ ثغرٍ بهيمُ بها عديُّ بن الرقاعِ

وأول من نظر لى هذا المعنى شاعر من بني عقبل فقال من جملة أبيات ٢ :

قفارٌ مَرَوْرَاتٌ يحارُ بها القطا ويمشي بها الجأبان يقتربان ٣
يثيران من نسجِ الغبارِ عليهما قميصين أسمالاً ويرتديان

وقال عبد الخليل : « يثير مائراً ويبيد مالا » ، سماه بعضُ أهلِ
النقد معاقدة ، وهو أن يشترط الشاعرُ شروطاً في معان يريد التوفيقَ بينها ،
فيحقد لكلِّ صنف منها ما يشاكله ويمثله . ومن عجيب ذلك قول جنوب
أخت عمرو ذي الكلب ٤ :

فأقسمتُ يا عمرو لو نبهاكَ إذا نبها منك داءٌ عضالاً

.....

١ زهر الآداب : ٩٢٦ وديوان أبي تمام ٢ : ٣٣٧ .

٢ زهر الآداب : ٩٢٦ - ٩٢٧ وأنيس الجلماء : ٤٣ .

٣ زهر الآداب : يقتربان .

٤ ديوان المهديين ٢ : ٥٨٣ وحماسة ابن الشجري : ٨٣ والحماسة البصرية ١ : ٢٢٥

وزهر الآداب : ٧٩٥ والخزانة ٤ : ٣٥٣ وبلاغات النساء : ١٧٣ وحماسة البحري :

٢٧٣ وأمالى المرتضى ٢ : ٢٤٣ وكتاب الصناعتين : ١٤٢ ؛ وقد أورد ابن رشيق هذا

الشعر في العمدة ٢ : ٣١ (تحقيق محي الدين عبد الحميد) في باب التسهيم أو ما يسميه

قدامة « التوشيح » ويسميه ابن ركيح « المطمع » ولم أعر على من سماه « معاقدة » .

إذا نبتها لبث عريسة^١ مُفيتاً مفيداً^١ نفوساً ومالا
فعاقدت بين مفيت ومفيد^٢ .

وقال المجنون^٣ :

وأدنيته حتى إذا ما سببني بقولٍ يُحِلُّ العَصْمَ سهلَ الأباطح
تجافيت عني حين لا لي حيلةٌ وخطبت ما خطبت بين الجوانح

فعاقد بين قوله : « أدنيته » و « تجافيت عني » حيث تشابها رسماً
وشكلاً ، وعاقد أيضاً بقوله : « وخطبت ما خطبت » وبقوله : « يحل العصم
سهل الأباطح » .

ولى هذا أشار العباس بن الأحنف بقوله^٤ :

أشكو الذين أذاقوني مودتهم حتى إذا أيقظوني في الهوى رقدوا

ومن مליح هذا لبعض أهل أفقنا قول يحيى بن هذيل القرطبي^٥ :

لما وضعتُ على قلبي يدي بيدي وصحتُ في الليلةِ الظلماءِ واكبدي
ضجعتُ كواكبُ ليلى في مطالعها وذابتِ الصخرةُ الصماءُ من جلدي

١ م : عرينة . . . مفيداً .

٢ م : ومفيد .

٣ ديوان المجنون : ٩٤ والزهرة : ٤٧ والعقد ٥ : ٣٧٨ .

٤ ديوان العباس : ٨٤ والعقد ٥ : ٣٧٨ .

٥ الذخيرة ٣ : ٣٤٧ .

فعاقد بين قوله : « يدي بيدي » و « ذابت الصخرة السماء من جلدي » ،
وذكر أن المتنبي أنشد من شعر أهل الأندلس ، حتى أنشد هذين البيتين ،
فقال : هذا أشعر القوم .

ولما سمع المعتمد بن عباد قصيدة عبد الجليل هذه ووعاها ، سرّت في
نفسه حميماًها ، وكانت سبباً لصلةٍ من كان يباهه من الشعراء ، غير أنه وفي
لعبد الجليل في الحياء .

وكنت يوماً بدار أبي بكر الخولاني المنجم ، فاتفق أن دخل علينا
عبد الجليل وفي كفه صلة المعتمد من ضرب السكة لديه ، قيمتها ثلاثة آلاف
درهم ، فرفع إليه إثر ذلك قصيدته التي أولها^١ :

ما الشعر مرتجلاً أو غير مرتجل	ببالغ كنه ذاك السؤدد الجلل
بأي لفظ أحلّي ^٢ منك ذا شيم	لولا حلاها لكان الدهر ذاعطّل
لا حلة الشمس مما قد أحاوله ^٣	ولا نظام النجوم الزهر من عملي
وسائلين أجداً في مباحثي	خذاحديثي عن الأملاك والدول [١٠١أ]
جيش المؤيد يقضي من خلائقه	أن الملوك له ضرب من الخول
فالفرق ^٣ بينهما في كل معلوّة	كالفرق يوجد بين النقص والكمّل
سلّ المكارم ^٤ عنه كيف تعلّمه ^٤	أو لا فسّل شفرات البيض والأسل

١ انظر المسالك ١١ : ٢٢٤ - ٢٢٥ .

٢ ط : أحبي .

٣ م س : والفرق .

٤ ط د : المكاره .

أحدٌ من ذهنه في كلِّ معضلة
 واري البصيرة لا تزري الأناةُ به
 لذلك الحلم في الاعداء قد علموا
 صاحبي النهى عربدت فيهم مكايده
 يميزنا^١ كلما حكنا مدائح
 لله آذارُ من شهرٍ سموتَ به
 ما بين نورِ جبينِ منك^٢ مؤتلقٍ
 ونائلِ أسديّ النوءِ طوعَ يدي
 فديتُ موسومةً^٣ باليُمنِ مدَّ بها
 لثمتها فرشفتُ العزَّ ممتزجاً

إذا تعرُّ في العسالة . الذبل
 ولا تعودُ عليه آفةُ العجل
 فتكُ يَسُدُّ طريقَ الأمنِ بالوجل
 فطار عنهم خُمارُ السُّكْرِ والشمل
 والصبحُ عُرْيَانُ مستغنٍ عن الحلل
 حتى لقيتَ عليه الشمسَ في الحمل
 وبين فضلِ طباعٍ منه معتدل
 يسطوعلى القيرنِ أو يسطوعلى البخل
 فكان تقبيلها أسنى النهى قبلي
 فيه الغنى وأخذتُ الريَّ في النهل^٤

وقال عبد الجليل أيضاً من قصيدة في المعتمد ، أولها ° :

أربع [الندى] تهمي [به] وتصوب
 ومغنى العلا ناوي له ونثوبُ
 بحيثُ استقلَّ المجد فوقَ سريره
 وقام لسانُ المجدِ وهو خطيب
 سقاك غمامٌ مثلُ ودِّي ضاحكٌ
 كأنَّ سماءَ^٧ الصَّحْوِ منه تذوب

- ١ ط م : يميزنا ؛ د : فخيرنا ؛ المسالك . يميزنا .
- ٢ ط م د س : منه .
- ٣ ط م د س : مرسومة .
- ٤ إلى هنا تنتهي الترجمة في ط د . وما تبقى منفرد به م س ، ولهذا سيجد القارئ أن النص قد يجهى قلقاً في بعض المواضع
- ٥ منها أبيات في المسالك ٠ ٢٢٤ .
- ٦ ما بين معقفين زيادة من المسالك .
- ٧ هذه هي قراءة س والمسالك ؛ وفي م : سمى .

ولا فاءَ ظلُّ العيشِ وهو مقلّصٌ^١
 ولا آلٌ مزوراً عليك غُدَيَّةٌ^٢
 ولا انفكَّ للخطيِّ حولك هزَّةٌ^٣
 لقد رُقَّتَ حتى قيل إنَّك رحمةٌ^٤
 كأنَّك بيتٌ نادرٌ وأكفَّهم^٥
 طلعتَ كريمانَ الشبيبةِ روقةً
 عليكَ ولا صافيه^١ وهو مشوبٌ
 زمانٌ يُسمِّي الصفحتينِ طروبٌ
 وللأعوجياتِ الجيادِ ديبٌ
 وإنَّ أكفَّ الضارعينَ قلوبٌ
 خواطر أوري زندهنَّ حبيبٌ
 فكذبَ في دعوى البياضِ مشيبٌ

ومنها يخاطب الربيع :

أراق على عطفيه منه طلاوةً
 إذا رسبت يوماً حلاهُ فإنَّما
 مدى الدهرٍ ملتاحُ الجبينِ مهيبٌ
 سِماكُ العلا في متدالكِ رسوبٌ

ومنها :

فيا أيها القصر المبارك لا تزلْ
 ويا أيها الملكُ المؤيدُ دُمُ به
 أسيمٌ فيه سَرَحَ اللحظ من طَرْفِ باسل
 ستظأره أمُّ النجومِ تحلُّه^٦
 وأنتَ جديدُ الحلتينِ قشيبٌ
 ليُترعَ كوبٌ أو يثارَ عكوبٌ^٥
 مراد الوغى في ناظره عشيبٌ
 لها كوكبٌ لا حان منه غروبٌ

١ س : صافيه .

٢ صورة اللفظة في م : مويه ؛ وسقطت من س .

٣ س : حكمة .

٤ يريد بحبيب الشاعر أبا تمام .

٥ الكوب - الفبار .

٦ س . تخاله .

عيظ^١ بما أحببت من كل صورة
 ومن حُبك دون السموك كأنها
 إلى طُورٍ تحكي أصائل ملكه^٢
 ومن مرمٍ أهداه روثقه^٣ المها
 وبهرٍ عليه للرياحين فيئة
 لئن كان مكظوماً كغيطك إنّه
 أرى حورَ الأحداقِ أوروبقِ الطلى
 أجل^٤ إنما يمتابُ منك بشاشة^٥
 وإلا^٦ فمن آدابك الزهرِ يجتلي
 كما ضاع من أهدابِ ثوبك نشره^٧
 وكل^٨ هواءٍ تحت ظلكِ سَجَسَجِ
 إليك أشارت أعين وأنامل^٩
 كأنك من طبع الحياة^{١٠} مركب^{١١}
 ملك كما تهواه أمّا دِلاصه^{١٢}
 موفّرُ أعطافِ السيادةِ لم يزل^{١٣}
 إذا ضاق في الهيجا متجرّ سنانه^{١٤}

ومنها :

١ المسالك : مريب .

٢ المسالك : سلكه .

٣ خشيب : صقيل كالسيف .

٤ المسالك : من كل القلوب .

لهم حارك^١ للملك ثم^٢ حنيفه^٣ ا
 وكانوا عليه في الزمان فوارساً
 وسنة^٤ مجد^٥ من نعيم^٦ وشدة
 ليخضب^٧ منها اليوم^٨ والأفق^٩ أشيب^{١٠}
 سما كاهل^{١١} منه وسال^{١٢} سيب^{١٣}
 علكته^{١٤} وشبان^{١٥} تروق^{١٦} وشيب^{١٧}
 على الدهر^{١٨} منها محكة^{١٩} وقطوب^{٢٠}
 وينصل^{٢١} ثوب^{٢٢} الليل^{٢٣} وهو خضيب^{٢٤}

ومنها في صفة بنية :

ثغور^{٢٥} على المجد^{٢٦} التليد^{٢٧} ضواحك^{٢٨}
 تفرق^{٢٩} عنه الملك^{٣٠} واهتر^{٣١} عطفه^{٣٢}
 مشابه^{٣٣} لا تخطي^{٣٤} علاك^{٣٥} سهامها^{٣٦}
 تملأ^{٣٧} أثناء^{٣٨} النداء^{٣٩} مهابة^{٤٠}
 وبينك^{٤١} عيد^{٤٢} للصيام^{٤٣} ذخرت^{٤٤}
 وعيد^{٤٥} عليه^{٤٦} منك^{٤٧} رسم^{٤٨} طلاقة^{٤٩}
 خلعت^{٥٠} عليه^{٥١} من بهائك^{٥٢} حلة^{٥٣}
 ونمت^{٥٤} عليه^{٥٥} من مديحك^{٥٦} فوحة^{٥٧}
 وأيد^{٥٨} إلى المجد^{٥٩} التليد^{٦٠} تصوب^{٦١}
 كما اهتر^{٦٢} غشوب^{٦٣} الغرار^{٦٤} قضيب^{٦٥}
 فتهدى^{٦٦} إلى أغراضها^{٦٧} فتصيب^{٦٨}
 وتبسم^{٦٩} عنها^{٧٠} الحرب^{٧١} وهو قطوب^{٧٢}
 كفيل^{٧٣} بأن^{٧٤} الله^{٧٥} عنه^{٧٦} مئيب^{٧٧}
 كأوب^{٧٨} حبيب^{٧٩} طال^{٨٠} منه^{٨١} مغيب^{٨٢}
 كما عصفرت^{٨٣} فوق^{٨٤} العروس^{٨٥} جيوب^{٨٦}
 كما مسحت^{٨٧} فوق^{٨٨} الرياض^{٨٩} جنوب^{٩٠}

١ يعني أصلح مائله ؛ وهذه قراءة محتملة لهذا الشطر لا نقطع بصحتها .

٢ فليخطب ؛ س : فليخضب .

٣ م : مصيب .

الوزير الأديب أبو القاسم بن مرزقان^١

هو أكثر القوم قولاً وإصابة ، فأنه يوفقُ في إصابة الأغراض ، وكلامه سهلٌ قريب. فمما أخرجتُ من شعره في أصنافٍ شتى قوله في وصف شمعة ، بحكمةِ الصنعة ، على صورة مدينة ، أهديت إلى المعتمد على الله بالمحددة^٢ :

مدينةٌ في شمعةٍ صوّرتُ قامت حُماةٌ فوق أسوارها
وما رأينا قبلها روضةً تتقدُّ النارُ بنوارها^٣
تُصَيِّرُ الليلَ نهاراً إذا ما أقبلتُ ترفلُ في نارها
كأنها بعضُ الأيادي التي تحت الدجى تسري بأنوارها
من ملكٍ معتمدٍ ماجدٍ بلادُهُ أوطانُ زوارها
أكفُّ ذات الشعرِ تغنى به وشعره حلّي لأشعارها

وأصبح^٤ المعتمد على الله على حال راحته في القصر المبارك ، ودخل إليه

١ ذكره في المغرب ١ : ٢٦١ والنفع ٣ : ٢٦٤ ، ٦١٤ ، ٤ : ١٢٤ وبدائع البدائيه : ١١٤ ، ٣٦٦ وانظر قصة له فيما تقدم ص : ٤٧٦ - ٤٧٧ وهذه الترجمة لا تفي بما وعد به ابن بسام من نوادره ، ولعلها زيدت من بعده ، وقد سقطت من ط د .

٢ الأبيات في المغرب والنفع ٤ : ١٢٤ ما عدا الأخير .

٣ هذه هي القراءة في المغرب والنفع ؛ وأما في م فقد تقرأ « نفوذاها » وفي س : بموادها ، وهو غير منسجم مع القافية .

٤ المغرب : تصحك .

٥ المغرب : أصبحت .

٦ انظر النفع ٣ : ٦١٤ وبدائع البدائيه : ١١٤ .

الرشيد ابنه ، فتبادل الأُنس معه ، ثم أمر بإحضار من جرت عادته بمشاهدة المجلس الكريم من الأصحاب ، فحضروا ، فقال لهم المعتمد بعد كلام حذفناه للاختصار طلباً للمعنى : قلت البارحة بيتَ شعر وهو :

بعثنا بالغزالِ إلى الغزالِ وبالشمسِ المنيرةِ للهِلالِ^١

وذلك أن المعتمد على الله قد أمر بصناعة غزالين من ذهب ، فصنعا معاً من سبعمائة مثقال خالصة ، فأهدى أحدهما إلى الرشيد ابنه ، والآخر إلى السيدة العروس بنت ابن مجاهد ، فقال في ذلك البيت المذكور ، وأحب أن يُذَيَّلَ ، فذيل هذا البيت ممن حضر هذا المجلس ذلك اليوم وممن لم يحضره ، منهم أبو القاسم ابن مرزقان ، وأصاب الغرض ، فقال :

بعثنا بالغزالِ إلى الغزالِ وبالشمسِ المنيرةِ للهِلالِ
فذا سَكَنِي أَسَكَّنُهُ فُوَادِي وَذَا نَجَلِي أَقَلَّدَهُ الْمَعَالِي
شَغَلْتُ بِذَا وَذَا خَلَّدِي وَنَفْسِي وَلَكِنِّي بِذَاكَ رَخِيُّ بِالِ
زَفَفْتُ إِلَى يَدِيهِ زَمَامَ مَلِكٍ مَحَلِّيِّ بِالصَّوَارِمِ وَالْعَوَالِي
فَقَامَ يُقْرِئُ عَيْنِي فِي مِضَاءٍ وَيَسْلُكُ مَسْلَكِي فِي كُلِّ حَالِ
فَدَمُنَا لِلْعَلَامِ وَدَامَ فِينَا فَأَنَا لِلْكَفَّاحِ^٢ وَلِلتَّرَالِ

ورفع أبو القاسم ابن مرزقان قطعة شعر في ذلك أيضاً وهي :

عاطني القهوةَ مثلَ الجَلْتَارِ حَمَلَتْهَا أَكْوَسُ^٣ مِثْلَ الْبَهَارِ

١ التفع والبدايع : وللشمس . . . بالهلال .

٢ التفع والبدايع : السماح .

وأدريها بين زهرٍ عتيقٍ
 ملكٌ إن قلتُ مَنْ ربُّ العلا
 نخميَّ ماجدٌ معتمدٌ
 ما دجا ليلٌ على أمليه
 بين كفيه وفي ناديه
 عجي منها وهذا أسدٌ
 أنست من أنها مُرسلةٌ
 ولها عدّة إلى غرتها
 في قدودٍ^٢ تنهادى وبها
 لا عدتُ موضعَ هوٍ وددٍ
 واسقني ودٌ كبيرٌ بكبار
 فإليه كلُّ مخلوقٍ أشار
 كلُّ عسرٍ حين تلقاه^١ يسار
 كلُّ ليلٍ بأياديه نهار
 ظبيةٌ ريقتها صرْفُ العقار
 كيف لا تُبْعِدُ عنه بنفار
 باتصالِ الوصلِ من أشرف دار
 أنهم قد صوروها من نضار
 سترى في حرَمٍ ذات الفقار
 فلقد تنهضُ في خير سفار^٣

١ م س . تلقاهم .

٢ م س . قدود .

٣ س : سفار .

فهرس المحتويات

٥	مقدمة التحقيق
١١	فصل في ذكر الأعيان المشاهير بحضرة إشبيلية
١٣	فصل في ذكر أبي القاسم محمد بن عباد
٢٣	فصل في ذكر المعتضد بالله عباد بن أبي القاسم
٢٩	جملة من أشعاره
٣٣	جملة من حروبه مع المظفر وغيره
٤١	فصل في ذكر المعتمد على الله محمد بن عباد
٤٣	جملة من شعره في النسب
٤٦	مقطوعاته السلطانية
٤٩	ذكر الخبر عن حديثه بمالقه وانصرافه مغلولاً
٥١	[شعره في الدفاع عن ابن زيدون]
٥٢	[شعره بعد تضعيع بنيانه]
٥٤	[استطراد بذكر أبي دلامة]
٥٦	رجع إلى شعر المعتمد
٦١	[نقل المؤلف عن نظم السلوك لابن البانة]
٦٧	عود إلى شعر المعتمد
٧٧	مما قيل فيه بعد خلعهم
٨١	باب يشتمل على طائفة من الوزراء والأعيان بدولة بني عباد
٨١	فصل في ذكر الفقيه أبي حفص عمر بن الحسن الهوزني

٨٩	من شعره يحض على الجهاد
٩٤	فصل في ذكر القاضي أبي الوليد الباجي
٩٨	أشعاره في أوصاف شتى
١٠٥	الوزير أبو عامر بن مسلمة
١٠٦	جملة من شعره
١١٢	الوزير أبو الوليد محمد بن عبد العزيز المعلم
١١٣	فصول له من مقامة
١١٨	[رقعة له عن المعتضد]
١٢٠	جملة من شعره
١٢٤	الأديب أبو الوليد اسماعيل بن محمد الملقب بحبيب
١٢٥	فصل من نثره
١٢٧	[رسالة ابن برد في تفضيل الورد]
١٣٠	رسالة حبيب في مناقضتها
١٣٢	من شعر أبي الوليد
١٣٥	الأديب أبو جعفر أحمد بن الأبار
١٣٥	شعره في أوصاف شتى
١٣٦	[استطراد بأشعار الحب العفيف]
١٤١	[أشعار في العفاف للأندلسيين]
١٤٤	[أشعار في الحب الماجن]
١٥٠	ومن مجون ابن الأبار
١٥١	[استطراد متفرع عنه]
١٥٥	سائر أشعار ابن الأبار
١٥٧	من قصائده الطويلة في المدح

- ١٥٨ الأديب أبو الحسن علي بن حصن الأشبيلي
١٦٠ جملة من أشعاره
١٦٦ من قصائده المطولة في المدح
١٦٨ [استطراد بالأشعار في الحرباء]
١٧٠ [عود إلى شعر ابن حصن]
١٨٦ الوزير الكاتب أبو عمر بن الباجي
١٨٧ جملة من رسائله
١٩٧ جملة من شعره
٢٠٠ في ذكر الأديب أبي الحسن ابن الاستجعي
٢٠٢ [أشعار له ولعاصريه في المعتضد]
فصل يشتمل على مقطوعات أبيات لجماعة كانوا بعصر المعتضد
٢٠٦ مأخوذة من كتاب الحديقة لابن مسامة
٢٠٦ أبو الأصبح ابن عبد العزيز
٢٠٩ أبو الأصبح ابن سعيد
٢١٠ أبو إسحاق ابن خيرة الصباغ
٢١٢ أبو بكر ابن نصر الإشبيلي
٢١٢ محمد بن ديسم الإشبيلي
٢١٣ أحمد بن محمد البلخي الإشبيلي
٢١٥ أبو بكر ابن القوطية
٢١٨ الوزير أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر الأيادي
٢١٩ محمد بن مروان بن زهر
٢١٩ عبد الملك بن محمد بن مروان
٢٢٠ أبو العلاء بن زهر

٢٢١	جملة من مقطوعاته الاخوانيات
٢٢٣	[استطراد في الالتفات]
٢٢٧	[بين ابن زهر والمعتمد]
٢٢٨	[بين ابن زهر وابن عبدون]
٢٢٩	شعره في النسب
٢٣٢	الوزير الفقيه أبو عبيد البكري
٢٣٣	فصل في أخبار البكرين
٢٣٥	[فصل في نثر أبي عبيد]
٢٣٧	[جملة من شعره]
٢٣٩	في ذكر ذي الوزارتين أبي بكر ابن القصيرة
٢٤١	جملة من إنشأته السلطانيات
٢٤٤	[أشعار في يوم الزلافة]
٢٤٨	[شيء عن ملوك الطوائف واستخذائهم لاذفونش]
٢٥٠	[التخييل والإيهام في الشعر]
٢٥٢	[رقاع تصوّر مدى استخذاء ملوك الطوائف]
٢٥٧	فصول من ترسيل ابن القصيرة
٢٦٨	ذكر الخبر عن قرطبة بين ابن ذي النون والمعتمد
٢٧٣	[عود إلى رسائل ابن القصيرة]
٢٨٥	الوزير الفقيه أبو القاسم ابن الجحد
٢٨٦	جملة من رسائله
٣١٤	من رسائله في التعزيات
٣١٨	جملة من شعره
٣٢٣	فصل في ذكر ذي الوزارتين أبي القاسم ابن عبد الغفور

٣٢٥	في ذكر الكاتب أبي محمد عبد الغفور
٣٢٦	فصول من كلامه
٣٤٧	[رسالة أبي الحسين ابن سراج في الزرير]
٣٤٧	[رسالة أبي القاسم ابن الجدي في الموضوع نفسه]
٣٥١	[رسائل أبي محمد عبد الغفور]
٣٦٨	ذو الوزارتين أبو بكر ابن عمار
٣٨٨	شعره في النسب
٣٩٣	من مقطوعاته الاخوانيات
٤٠٥	تلخيص التعريف بآخر أمره
٤١٩	نظمه مدة اعتقاله
٤٢٨	[قصة الاعتقال والقتل]
٤٣٢	[ومن مقاله أثناء اعتقاله]
٤٣٣	الوزير الكاتب أبو الوليد حسان بن المصيصي
٤٣٥	جملة من شعره في المدح
٤٤٠	[استطراد بذكر حسان بن ثابت]
٤٤٦	[خبر الطماح وامرء القيس]
٤٤٩	[رجع إلى شعر حسان]
٤٥٢	الوزير الفقيه أبو بكر ابن الملح
٤٥٤	من قصائد ابن الملح المطولات
٤٦٥	[استطراد في أوصاف الخليل]
٤٧٠	بقية ملح ابن الملح
٤٧١	من شعره في الأوصاف
٤٧٣	الأديب أبو محمد عبد الخليل بن وهبون المرسي

٤٧٨	شعره في الرثاء والتأبين
٤٨٠	[أشعار فلسفية]
٤٨٣	عود إلى قصيدة عبد الجليل
٤٨٩	[استطراد في الرثاء]
٤٩١	من شعر عبد الجليل في المدح
٥٠٦	[استطراد في وصف الأسطول]
٥٠٨	[عود إلى شعر عبد الجليل]
٥١٣	[استطراد بذكر المعاقدة]
٥١٥	[عود إلى شعر عبد الجليل]
٥٢٠	الوزير الأديب أبو القاسم ابن مرزقان

الذخيرة في مجالس أهل الجزيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (٥٤٢)

تحقيق
الدكتور إحسان عباس

دار الثقافة
بيروت - لبنان

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

٢ *

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي بكر محمد بن ذي الوزارتين المشرف أبي مروان بن عبد العزيز^١ وإثبات جملة من نظمته ونثره

وبنو عبد العزيز يعرفون ببني المرخي^٢ . نسبهم في لحم . وهم جملة
فضل . وبيتة^٣ نبل . وعلم وفهم . وفيهم يقول الوزير أبو محمد بن عبدون

١ هو محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن محمد بن الحسين بن كميل اللخمي الأشبيلي المعروف بابن
المرخي أخذ عن أبي الوليد العتبي وأبي عبيد البكري وأبي الحسين ابن سراج وأبي علي الغساني
وسكن قرطبة . واختص بأمرها المرابطي محمد بن الحاج داود الممتوني . فلما توفي يوسف
ابن تاشفين سنة ٥٠٠ رفض ابن الحاج أن يبايع علي بن يوسف وانحاز له الملائمة من أهل قرطبة،
ثم إن ابن الحاج نكب وفسد تدبيره . فهرب أبو بكر ابن المرخي إلى شرق الأندلس، حتى إذا
رضي أمير المسلمين على ابن الحاج عاد ابن المرخي إلى صحبته عندما ولي فاس وغيرها من
أعمال المغرب ثم سرقسطة وبلنسية عندما وليهما . وظل في صحبته حتى قتل سنة ٥٠٨
بمعركة الجورت (ومعناها الهيب) . وبأخرة من عمره ، جلس يقرئ الناس الكتب الأدبية،
وكان مقرباً إلى الممتونيين . يستفح به الناس لحسن وساطته لديهم . وكان محدثاً متقناً ضابطاً
حسن الخط . واستكتبه علي بن يوسف مع أبي عبد الله بن أبي الخصال . وروى عنه ابنه الوزير
أبو الحكم وغيره . ونوفي سنة ٥٣٦ وقال العماد سنة ٥٤٠ . ودفن بمقبرة أم سلمة وشهد جنازته
والي قرطبة الزبير بن عمر الممتوني . (انظر المغرب ١ : ٣٠٧ والصلة : ٥٥٥ والذيل والتكملة
٦ : ٥٠٤ ومعجم الصدي : ١٣٢ والخريدة ٣ : ٤٣٣ والغية رقم : ٢٠١ والمطرب :

٢٠٨ والقلائد : ١٦٣ والنفيح ٣ : ٤٥٨ . ولا بد من التفرقة بين بني عبد العزيز
هؤلاء وبني عبد العزيز الذي كانوا ببلنسية وكانوا خصوماً لابن عماد ومنهم أيضاً أبو بكر ابن
عبد العزيز وقد ترجم له ابن بسام في القسم الثالث : ٤٠ وكانت وفاته سنة ٤٥٦) .

٣ د : ومنبت ٤ ط : وثبته (اقرأ : وبيتة) .

من جملة أبيات خاطبهم بها بقرطبة^١ :

بني عبد العزيز لئن سلوتم^٢ فما أنا عن علائكم^٣ بسالِ
وما عهدي بناسٍ أيّ ناسٍ توأصوا بالمكارمِ والمعالي
وإثارِ الغريبِ على سواه وإن لم يُثْرِ^٣ من جاهٍ ومالِ
بحورِ بلاغةٍ ونجومٍ عزّ وأطوادٍ رواسٍ من جلالِ
سلامٍ يملأُ المدّوين طيباً على تلك السجايا والكمالِ
فكم كافورٍ أيامٍ خلطنا . ولم نظلمُ بمسكٍ من ليالِ

ومن جواب أبي بكر له :

أمالكَ رِقٍّ أبكارِ المعاني وربّ السَّبِقِ في يوم الرهانِ
وفائتَ كلَّ منطقٍ بليغٍ بطولِ الباعِ واليدِ واللسانِ
بدأتَ وكان منك الفضلُ عوداً فمن عذراءَ تُردِّفُ بالعَوَانِ
فجاءَ الشعرُ متسقاً حداهُ كما اتسقتَ حِلَى السيفِ اليماني
تقاصرَ دونك البلغاءُ حظاً كما قصُرَ السماعُ عن العيانِ
لئن أهدتَ بدائعَ كلِّ حسنٍ فمهدبها غريبٌ في الزمانِ
غريبِ سيادةٍ غربيُّ أفقٍ وقد عرّضتَ إليه المشرقان^٤ [١٠١ب]

١ م س . من قرطبة .

٢ م س : علائكم : ط : علائكم .

٣ م س : يوثر .

٤ م س : على .

٥ د : له بالمشرقان : ط . له المشرقان .

وأبو بكر في وقتنا هذا مهبطُ صَبَا البراعةِ وجَنُوبِهَا . ومنتهى بعيدِ
هذه الصناعة وقريبها . وكان جَدُّهُ^١ صَدْرَ الفتنَةِ الناشئةِ في آخرِ دولةِ بني
عامرٍ قد انزوى بضِيعَةٍ له بمدينةِ شذونة^٢ أحدِ أقاليمِ القطرِ الغربيِّ من الأندلسِ
حيثَ ظنَّ أنه يخفى على الدليلِ منارُهُ . وتلفَّعَ برمادِ الخمولِ نارهَ ، وتَأبَى
الرَّهْرَةَ إلا مروفاً من الكمامةِ . والشمسُ إلا شروقاً تحتِ الغمامةِ . فاهتدى
له أحدُ أمراءِ البرابرةِ^٣ المتغلبِ - كان يومئذٍ - على مدينةِ قرمونةِ وذواتها
من أقطارِ الجزيرةِ . فاستخلصه لنفسه . وغلبَ عليه أهلَ جنسه . فلم يزل
يقتدحُ بزنده . ويُلقي إليه بمقاليدِ حَلَّةِ وَعَقْدِهِ^٤ . ونشأ ابنه أبو مروان
المذكورُ في حِجْرِ دولتهم . فحمى حماها . ودارتُ عليه رحاها . إلى أن
انتحاهَا من قَدَرِ الله تعالى على يدي عبَّادِ^٦ ما انتحاهَا . فلم يجدْ أبو مروان
بُدْءاً من لزومِ طاعتهِ . والدخولِ في جماعتهِ . فأقامَ باشييليةِ بقيَّةَ أيامِ المعتضدِ
وصدراً من دولةِ المعتمدِ . يتبرَّضُ جَمِيمِهَا . ويتزوَّدُ نَسِيمِهَا . إلى أن أنشأ
المعتمدُ لابنه الفتحَ دولتهِ بقرطبةِ - حسبما نوميء^٧ إلى خبرها بالشرح -

١ يعني عبد العزيز بن محمد .

٢ تذكر المصادر أن أبا بكر بن عبد العزيز شراني الأصل أي من قرية شرانة إحدى قرى شريش
بولاية شذونة .

٣ م س : أحد من البرابر .

٤ فلم يزل . . . وعقدته : سقط من م س .

٥ أبو : سقطت من م .

٦ استولى عبَّاد على قرمونة سنة ٤٥٩ من يد المستظهر عزيز بن محمد البرزالي (ابن عذاري ٣ :

٣١٢) وفي م : على يد ابن عبَّاد .

٧ م س : سنوميء .

فانتقى لها^١ من حَمَلَةِ السِوْفِ والأَقْلَامِ . مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ ظَنُّهُ مِنْ الأَعْيَانِ
والأَعْلَامِ ، فَكَانَ أَبُو مَرْوَانَ عَلَّمَ بِرُدِّهَا ، وَوَسَطَى عَقْدَهَا ، وَمَالِكَ زَمَانِيَّ
عَقْبِيهَا وَجَهْدَهَا .

وَنَشَأَ ابْنَهُ أَبُو بَكْرٍ هَذَا فِي حَجْرِهَا . وَبَيْنَ سِمَاكِهَا وَنَسْرِهَا . طِفْلٌ
دَقَّعَ فِي صَدْرِ الكَهُولِ . وَغَيْرٌ بَهَرَ الأَبَابَ ذَوِي التَّجْرِبَةِ وَالتَّحْصِيلِ . وَبِخَلِ
المَأْمُونُ بِهِ بِخُلِّ الحَازِمِ بِسِرِهِ . وَشَدَّ عَلَيْهِ شِدَّةً يَدِ الضَّنِينِ^٢ عَلَى وَقْرِهِ ؛
فَلَمَّا انْقَضَتْ تِلْكَ الدَّوْلَةُ . أَخْلَدَ إِلَى العُطْلَةِ . وَتَمَيَّزَ مِنَ الجَمَلَةِ . مَتَلَفِعًا
بِالْحِيَاءِ . مُسْتَحْلِمًا لِلوَفَاءِ . وَقَدْ لَحِظْتَهُ اليَوْمَ هَذِهِ الدَّوْلَةُ^٣ فِي وَقْتِنَا . فَأَخَذَ مِنْ
حَبْلِهَا بِطَرْفٍ . وَتَوَلَّى مِنْ ظِلِّهَا إِلَى كَسْفٍ . وَلَمْ يَحْضُرْنِي وَقْتُ تَحْرِيرِي
هَذِهِ النُّسخَةَ مِنْ نَظْمِهِ الفَائِقَةِ دُرَّرُهُ . وَلَا مِنْ نَثْرِهَ الرَّائِقَةِ أَحْيَالِهِ وَغَرَرِهِ .
لَمَّا أُجْرِيَتْ مِنْ ذِكْرِهِ ، إِلا مَا لَا يَكَادُ يَفِي بِقَدْرِهِ ، وَفِيمَا أُثْبِتُ مِنْ ذَلِكَ دَلِيلٌ
وَبِرْهَانٌ بِرَبِّكَ الفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سِوَاهِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ .

جملة ما وقع إلي من نثره

مع ما ينخرط في سلك ذلك من شعره

كنت بحضرة قرطبة أولَ سفري إليها سنة أربع وتسعين . فدخل عندي
هلال بن الأديب . وقرع سمعي من شعر أبي بكر هذا بكلِّ حَسَنِ غريب .

١ م س : فانتقله .

٢ م س : البطش .

٣ تلك الدولة . . . الدولة : سقط من م س .

٤ م س : إلى وقت .

فكتبت معه رقعةً أخطبُ فيها ودّه . وأستجلبُ ما عنده ، أقول في فصل
منها :

كلّ يبلغُ^١ - أعزّك الله - من حسناتِ نيلك وفضلك . ومعلّواتِ
حسبك ونسبك . ما يُحدّثُ إليك طرباً في الموتان . فضلاً عن الحيوان .
وما زلتُ أسمعُ فأتطلّع . وأستشعرُ فأستبصرُ . وأحنُّ إلى مفاتحة الخطاب .
وقلّما يقعُ إلاّ بأسباب . إذ الدخولُ لا يكونُ إلا على باب . وعندهم -
على علمك - أنّ الهجومَ عليه . دون سبب يدعو إليه . نوعٌ من الخفاء . وضربٌ
من مفارقة الحياء . ولا يستجيزُهُ إلا مَنْ كان عن الأدب بمعزل . وللأمورِ
غيرَ محصّل . ومع هذا فإنّ الزمانَ شأنُهُ البخلُ إذا استعطي . والمطلُّ إذا
اقتضي . وربّ مرغوب فيه لا يَنفُقُ . ومجروصٍ عليه^٢ قد سُدّتْ
دونه الطرق . ومذ^٣ دخلتُ الحضرة . في هذه السفرة . تحدّثتُ بلقائك .
لأكتبَ اسمي في ديوان أوليائك . فارتقتُ ذلك ارتقابَ الصائمِ للهِلال .
إلى أن كتبتُ هذه الأحرفَ مع صديقنا أبي الحسن الفاضل دلال . فلك الفضلُ
بمالك من شرفٍ خيّم . ومحتدٍ كريم . في الغضِّ على ما تراه من زيوف .
والمراجعة إن تأتت^٤ عنها ولو بقليل حروف . فهذا الخطاب . الذي قرعت
به هذا الباب من مواصلتك . وجعلته سائلاً إلى مخاطبتك . أس^٥ يقوم^٥ عليه

١ م : يبلغه .

٢ عليه دون سبب ومجروص عليه : سقط من م س .

٣ م س : وقد .

٤ تأتت : سقطت من م .

٥ م س : أمر سيقوم .

بنيان". و غرس "ستلتف فوقه أفنان، وهمس" سيكون بعده إعلان. ثم ختمت
الرقعة بهذه الأبيات^١ :

أبا بكرٍ المجتبي للأدب	رفيعَ العماد قريعَ الحسبِ
أيلحنُ فيكَ الزمانُ الخؤون	ويُعربُ عنكَ لسانُ العربِ [١٠٢أ]
وتعدلُ في الفهمِ ^٢ بالخاصرين	لديهم وما النبعُ مثل الغرب
أراك بعينِ أراهم بها	إذا فأرى الدرَّ كالمخشب
لقد كان جيلُ ^٣ الوري أدهماً	بقرطبةٍ عجمها والعربُ
إلى أن تبسمَ عنكَ الزمانُ	فأسفرَ عن واضحٍ ذي شنب
فجنتَ كما شئتَ ذا ميقولٍ	يفلّلُ حدّاه بيضَ القضب
فوا حزنًا لزنادٍ كبتاً ^٤	وروضٍ ذوى وزلالٍ نضب
وما كان جيلكَ هذا الأنامُ	ولا لك في أفقيهم من أرب
وطبعتك ^٥ ينثُ عن لؤلؤٍ	تنظّمه في نحور الكتب
فأين العميد ^٦ وعبد الحميد	وما حويا من خطيرِ الخطب
وأين البديعُ وشمسُ المعالي	بديعك مدّ عليهم طنب
ولما سمعتُ هلالاً يُعيدُ	قوافيَ لؤلؤك المتخب

١ انظر نفع الطيب ٣ - ٥٨٠ : ٥٨٠ .

٢ د ط : وتعام ربهم .

٣ م س : جبل .

٤ ط : أعجم لا عرب . م س : عجم لا عرب .

٥ ط : كتب ؛ س : كبت .

٦ م س : فطيمك .

٧ ط د : الحميد .

شَفَعْتُ بِهَا لَوْ وَقَّتْ ذِمِّي بواجبها إذ عليها وَجَبَ
 وخامرني حبُّ سمي لها كأنتي خَدَوْتُ بِنْتِ العنْبِ
 فقلتُ جريرُ يجيدُ القريضَ والآن جاد بحوك الخطبِ
 وقرطبةٌ بَدَلَتْ بالعراقِ أمِ الأَرْضِ تُحْمَلُنَا مِنْ كِثْبِ
 فجتتك خاطبَ ودٌ فلا تردُّ أبا بكرَ من قد خطبِ
 وإن لم يكن أفقننا واحداً فينظمننا شَمَلُ هذا الأدبِ

فراجعني أبو بكر برقة^١ قال فيها^٢ : وقفت - أعزك الله - من كتابك
 الكريم . المضمن^٣ من البرِّ العميم . ما أيسره يُثْقِلُ الظهر . ويستنفدُ
 الشكر . ويستعبدُ الحرَّ . ورأيتك - رأيت أملك - نخطبُ من مودتي ما ليس
 بكفوٍ لخطبتك . ولا بازاء جلالته ربتك^٤ . لكننه فضلٌ ملكت زمامه .
 وأعطيته مِقْوَدَةً وَخَطَامَهُ . ولا شك أن صديقنا أبا الحسن - أعزك
 الله - أنطقه هواه . ونامت عن الخبرة^٥ عينُ رضاه . فسمع بالمعيدي لا
 أن تراه . ولعمري لقد أخبرتُ الجواب فرقاً من كشف السرِّ ؛ وإرادة
 التصادي^٦ في تدليس الأمر . ثم علمتُ أن فضلاً وُضِعَ في يدك^٧ ، وقصير

١ د . مصدق . وسنعت اللفظة من م ؛ وفي س : رقعة .

٢ ورد بمصه في المغرب ١ : ٣٠٨ .

٣ المغرب . المهدي .

٤ المغرب ؛ ولا بازاء ربتك

٥ م . عن الخبر .

عليك ، يوسعني في النقد طَوَلًا ، كما شرفنتني^١ في البدءِ قَوْلًا . وعند
اللقاء أنهي عذري . وأعرفُكَ حَقِيقَةَ قَدْرِي . إن شاء الله .

ثم أتبع النثر بهذا النظم :

أمحني معاهدَ رَسْمِ الأدبِ ومبقي مشاهدَ فخرِ العربِ
ومن نَظْمِ الفَصلِ تَظْمِ الحمانِ ومن سَبَكِ الشَّعرِ سَبَكِ الذهبِ
بدأتَ فلبيكَ منْ خاطِبِ وأين الكفِيُّ له إنْ خطبِ
أحتلُّ يا بدرُ في أفقِنَا ولما تحيَّيكَ^٢ زهُرُ الشهبِ
ويهتزُّ نصلك في غمدهمُ ولما تُحجَّجَبُك بيضُ القضبِ
فَمِنَ تلكِ جلاَسِك الواصلونِ ومِنَ هذه لك غيلُ أشبِ
تَناءتْ عَلَيْنَا مساعي العلا ورُقِيَّتْ منها قصي الرتبِ
لك الفضلُ حرَّكتني للنهوضِ نحوك^٣ وهو بعيدُ الطلبِ
وَحَدَّثتْ عني وهذا الحديثُ يدخلُهُ صدقُهُ والكذبِ
فمَعذرةٌ إنَّ بعضَ المقالِ محضٌ وأكثَرُه مؤتَشبِ
برئتُ إليك من الزائِفَيْنِ نظمِ القريضِ ونثرِ الخطبِ
وعمداً تأخَّرَ عنك الجوابُ أنْ لم يكن قاضياً ما يجبِ
تعرضتُ شأوك يومَ الجزاءِ فإذ لم أجِبْ نَهجَه^٤ لم أجِبِ
وأقدمني العذرُ والإعترافُ فجاءتكَ تسجد أو تقربِ

١ م : شرفني .

٢ كذا وصوابه « تحيك » .

٣ م : بجوك .

٤ ط د : المآل .

٥ ط : بهجة .

ولولا الحياءُ لقد كنتُ قبلُ
لأبقيتَ ذكري بما صُعقتَهُ
قوافٍ تعطلُ في وزنها
وإن تكُ أحمدَ هذا الزمانِ
أرغبُ من سيدي ما رغب [١٠٢ب]
بخطُ علي صفحات الكتب
« قرأتُ الكتابَ أبرَّ الكتبِ »^١
فأين عليُّ لنا أو حلب

وقال يخاطب الوزير^٢ أبا محمد بن عبدون معتذراً من تخلفه عن تشييعه^٣ :

في ذمّةِ الفضلِ^٤ والعلياء مرتحلُ
ضاءتْ به برهةً أرجاءُ قرطبةِ
يا قاطعاً أملاً قد كان واصلتهُ
عذراً إلى المجد عني حينَ فارقتي
قد كنتُ أصحبتُهُ قلبي فأقعديني
صُبَّ أيها القطرُ موروداً شرائعه
إني لأحسدُ هذا الطرسَ تلمسهُ
والشمسُ تحسدُ والخضراءُ موضعها
لا زعزعتك الليالي النكدُ يا جبلا
فارقت صبري إذ فارقتُ موضعهُ
ثم استقلّ فسدَّ البينُ مطلعهُ
ونائراً جدلاً قد كان جمعهُ
ذاك الجلالُ وأعيانُ أشييعه
ما كان أودعهُ عن أن أودعه
فقد ظمشتُ وعمَّ الريُّ موقعه
كفناه أو تجتلي عيناؤهُ مودعه
للفضلِ تعرفُ في الغبراءِ موضعه
لم ترنجُ غيرُ الليالي أن تزعرعه

وله فصل^٥ من رقعة شفاعة: أحسنُ الصلّةِ - أعزّك الله - بين الأخوان

١ صدر بيت للمتنبّي ، ديوانه : ٤٣١ وعجزه : « فسمماً لأمر أمير العرب » .

٢ الوزير : سقطت من م س .

٣ القلائد : ١٠٤ والخريدة ٣ : ٤٣٣ والمطرب : ٢٠٨

٤ في المصدر : المجد .

٥ ط د : في فصل .

٦ ط م : حسن الصلّة . . . بين .

ما كان الفضل موجبها، والمجدُ مسببها . وطيبُ الخبرِ منشيها وَحُسْنُ
 الثناءِ ممهدُها ومدبِطُها^١ ؛ والوزيرُ أبو فلان - أبقاه الله - ممسِّنُ يفتنٍ في
 شكركَ فيسحرُ المسامعَ . ويوقعُ ذكركَ في القلوبِ أكرمَ المواقعَ . حتى
 يستميل إلى مودتكِ النفوسَ فتتقادُ سمحةَ القيادِ . ويهتفُ بالثناءِ عليكِ في
 المحافلِ فلا يخافُ المعارضةَ والعنادَ . وكان له من رأيكِ الجميلِ في سالفِ
 المدَّةِ^٢ . أشرفُ ذخيرةٍ وعدَّةٍ . فلما ملكتكِ الفضلُ أزمتهِ النقضِ والإمرارِ .
 ورتبَكِ في ديوانِ الإيرادِ والإصدارِ . علم^٣ أنه لا يسقطُ نجمُه مع علوِّ نجمكِ .
 ولا تلدغُه عقاربُ الدهرِ وهو يرقبُها باسمكِ . وأنتِ - دام عزكُ - تسمه
 بميسمِ إيجابكِ^٤ . وتقيدهُ بالإحسانِ في جنابكِ . وتطيعُ الكرمَ^٥ في رعاية
 نزاعه . ومحافظةِ تأمليهِ وانقطاعه . ومهما تعتمدُه به من مبرِّرةٍ . وتُسديدهِ
 إليه من عادةٍ مستمرةٍ . فلنما تسقي غرسكِ . وتبني أسكُ .

وله من أخرى : أما الودَّ - أعزك اللهُ - فمقيم . والعهدُ كريم . والإنشاءُ
 محيِّمٌ لا يبرِّمُ ؛ لكنني أخبرك عن حالٍ مختلفةٍ . ونفسٍ معتلَّةٍ . وشغلٍ
 بك قد ضيَّقَ الصدرَ . وأظلم منيرَ الفكرِ . بما وقفتُ عليه من كتابكِ .
 واستطلعتهُ من خطابكِ . فتجرعتُ الكمدَ - علم اللهُ - مرَّةً المذاقِ^٦ ،
 وشربتُ من كأسه المترعِ الدِّهاقِ . وعلمتُ أنه جنسٌ ذليل . ورهطٌ مخذول

١ م : منشأها . . . ومطبوها .

٢ م س : المودة .

٣ م : علم لنا .

٤ م : إلحافك ؛ س : إلحافل ؛ ط د : إلحائك .

٥ م : الدر (لعلها : الود) .

٦ م : من المراق .

وحزبٌ مفلولٌ بل مقتولٌ ؛ حيث لا ناصرَ فيُسْتَصْرَخُ . ولا فحْمَ لِقَيْنٍ فيُنفَخُ . ولا وِزْرَ إلاَّ العَبْرَاتُ تُسْتَنجَدُ ، والزفراتُ تستحثُّ فتوقدُ . وقلَّ غناءً عنك دمعٌ تجريه ، أو حزنٌ تبديه ، أو صديقٌ لا يملكُ إلا التفجعُ . ولا يستطيعُ إلا التلهُّفُ والتوجُّعُ ، لكنه في الشرِّ خيارٌ ، وفي الأرضِ قرارٌ . وفي الناسِ منتجعٌ ومزْدَارٌ . وإلى الله انقطاعٌ وفرارٌ ؛ وصاحبُ الشرعِ عليه السلام قال ٣ : « لا تُلْثِمُوا بدارِ معْجِزَةِ » ٤ ؛ وقال الأول : « وإذا بنا بك منزلٌ فتحوَّلِ » ٥ ؛ وأنت — ولاعتب — تقيمُ بذلك ٦ الإقليمَ . مقامَ عَيْبِرِ الحَيِّ والوَتِيدِ ٧ . ولا تتعوَّضُ منه ببلدٍ . ولا من أهله ٨ بأحدٍ ؛ حتى كأنك إنما تُشْفِقُ من خرابِ عامرٍ ضَيْعِكَ . ودروسِ جديدي أربُعِكَ . ومعذرةٌ إليك من هذا الجفاء . فما يبعثُ إليه إلاَّ حَنَقٌ يقوده شَفَقٌ . وقلقٌ تذكِبه حُرْقٌ . [١٠٣ أ] وقد عرضتُ على عِدَّةٍ من إخواننا — أعزَّهم الله — شَخْصَ كتابك . فكلَّهْمُ تألَّمَ بمصائبك ٩ . وتوجَّعَ

١ م س : وزفرات .

٢ م : صديق ؛ س : صديق .

٣ م س : يقول .

٤ في النسخ : تلبثوا . . . م : المعجزة ؛ وفي اللسان (عجز) أنه من حديث عمر . ومعناه لا تقيموا ببلدة تمجزون فيها عن الاكتساب والعيش . (والمعجزة بفتح الجيم وكسر ها) .

٥ التمثيل والمحاضرة : ٤٠٠

٦ ط د : ذلك .

٣ يريد مقام ذل . مشيراً إلى قول الشاعر :

ولا يقيم على صميم يواد به إلا الأذلان غير الحي والوتد

٨ ط د : أجله .

٩ م : لمصائبك .

لأوصابك . وارتضى لعزة الأحرار التي لا تقال . ودولة الذلّ التي لا تذلّ^١ ،
جبر الله الكسر ، وحكم على الدهر . وكشف الضرّ . ورزق فيما بقي
حُسْنِ التسليم والصبر .

قال ابن بسّام : وإنما امتعض أبو بكر في هذا الجواب على خطاب كان
شرح له فيه الأديب أبو جعفر الكفيف^٢ محنته مع مقاتل . غلام كان لابن
مطري أوّلاً . ثم لابن^٣ الأغطس . لتنازعٍ وقع بينهما على بيتٍ شعرٍ ظهر
عليه فيه أبو جعفر . فحمد ذلك له . فبينما هو ماشياً فازغ القلب . آمنَ
السَّرب . إذ اعترضه مقاتل^٤ في الطريق ، على مقربة من السوق . على هملاجه .
بين طوقه وتاجه . فجرى شوطه^٥ . وأخرج سوطه^٥ ، الذي كان يبحث به
فرسه . وأمر سائسه^٥ بحبس يديه . وانحنى به عليه . قائلاً : لم تعرضتَ
بِطُشْتِي . ولم تخفَ سطوتي ؟ ! فلا النعمان بن بشير يوم الأخطل . ولا
الزبرقان بن بدر في مسألة جرّول^٦ . ولا المأمون بسطو بدعبل . وتالله لو كان
مقاتل^٦ كليب وائل . أو قيس بن عاصم . أو مُعَرِّقاً في بني هاشم . لثنى
من عنانه . وقصّر من يده ولسانه . فكيف وهو مقسومُ الولاء . معدوم
الآباء ! ! وإنما أقدره يومئذ الكبير . وأبطره الوفر . بعد الكُدَيْتَةِ في
الرفاق^٦ . والقَصَصِ في الأسواق . ونَقْلِ اللحم بالأشبونة من الدور

١ ط : تزال ؛ س : لازال .

٢ انظر مقدمة ديوان الأعمى التطيلي : ح - ي .

٣ م : ليبي .

٤ س : فبينما .

٥ ط : سيه ؛ س : منيه .

٦ س : في الرياق .

إلى ١ الوضم، فكيف لا ٢ يُتَرَبَّصُ خروجهُ الدجال، أو ينزل المطرُ على هذه الحال، أو تتأخر القيامة، ومقاتلٌ قد صار ٣ قدامه، يقتلُ الأحرار، ولا قودَ ولا ناراً! ألا مُغيثاً، ألا مَشِيئاً إلى الموتِ ٤، حيثما، ألا دعوةَ نوحٍ، من قلب قريح ١١!

ولأبي بكر أيضاً فصولٌ من جوابٍ عن أهلِ قرطبة على خطابٍ ورد من قبيلِ المستعينِ بن هود قال فيه: وصل كتابك، فوقفنا على جميع معانيه، وأحطنا علماً بما فيه، ورأينا ما تضمنتهُ من المقال الذي لم يوفيه أعزّه الله - حقّ النظر، ولا تدبّره أحسنَ التدبّر، بل أطاعَ فيه سلطانَ هواه، ودعاه الحرجُ ٥ إليه فاستهواه، ولو حكّمَ عادلَ النصفَةِ، وعصى أمرَ الأتفةِ، لخاصم نفسه قبل أن يخاصمَ عنها، وكان قبل أن يأخذَ لها أخذاً منها، ولعلم أن الحقَّ ليس بأقوال تُسَطَّرُ، ولا حُجَجٍ ٦ تُصَرَّفُ عن طريقها وتغيّر؛ والشيطانُ قد ينصبُ للعاقلِ أشراكَ الخدع، ويرومُ أن يستنزلَ الحليمَ بأصنافِ الطمع، فمن صرَفْتَهُ عَصمةُ الله انصرف ٧، ومن وقَفْتَهُ خَشِيئَتُهُ أحجمَ ووقف.

وفي فصل منها: وقد كنتُ ٨ خاطبتُنا المرّةَ بعدَ المرّةِ، وكاتبنا الكرّةَ بعدَ

١ م س: إلى الصدور من .

٢ لا: سقطت من م س ط .

٣ قد صار: سقط من م س .

٤ م: للنبية .

٥ م: الخروج .

٦ م: بحجج .

٧ ط: أنصف .

٨ وقد كنت: سقطت من م .

الكفرة ، تذكرُ أنك^١ قد حلتَ عن تلك البلاد يدك ، وأصفتَ^٢ في طاعة أمير المسلمين وناصر الدين - أيده الله - مُعْتَقِدَكَ ، ورأيتَ أنها^٣ أمانةٌ تؤديها ، إلى حافظها وراعيها ، وتسلمها إلى من يقومُ بحقّ الله - عزَّ اسمه - فيها ، إلا مواضعَ يسيرةٍ استثنيتها ، وأماكنَ قليلةٍ سمَّيتها ، فما الذي نقلك عن هذا الرأي الحميد . والمذهب السديد ، إلى التمسك بما قد بان لك وجهُ الخيرة في تركه ، وإرادة التملك بما لا قدرةَ لك على ملكه ؟ ! ولو كنتَ - أحسنَ الله توفيقك - مليئاً بالدفاع ، قديراً على التحصن من أعداء [الله] الكفرة^٥ والامتناع ، لكنتَ معذوراً فيما ترغبه ، وجديراً أن يُخلّني بينك وبين ما تطلبه ، لكنَّ العجبَ كلَّ العجب أن يكونَ سعيك للكفار ، وتوفيرك للدمار ، وكيف يسوغُ لك أن تحذّرَ من الله وأنت لا تحذّره^٦ ، وتذكرَ به تعالى ثم لا تذكره^٧ ؟ ! ألسنتَ تعلم أن النصارى - لعنهم الله - قد استولوا على ثغور المسلمين التي كانت بنظرك منسوبةً ، وبمستقرّ قداميّك^٧ مخلوطة ؟ فهل كانت لك طاقةٌ بمحاربتهم ، أو قوةٌ على مقارعتهم ، أو إصراخٍ لمن استصرخك من قتلٍ مستشهد ، أو أسيرٍ مضطهد ؟ !

وفي فصل منها : فحين وصلت دعوتهم لسامعها ، واتصلت مظلمتهم

١ تذكر أنك : سقطت من م .

٢ م : وأضفت .

٣ م : لنا .

٤ مليئاً : سقطت من ط .

٥ د : الأعداء والكفرة : ط : الفكرة .

٦ زاد في م : العجب أن يكون .

٧ م : تحمدك ؛ ط : قدمك .

برافعها ، وتعلقوا من أمير المسلمين وناصر الدين - أيده الله^١ - بالسبب المتين ، وأووا منه إلى الحصن الحصين ، أردت - والله يقيدك^٢ - أن تقطع^٣ منه جبالهم^٤ ، [١٠٣ ب] وتفرق اتصالحهم ، وتذرهم^٥ بين أيدي^٤ الأسر والقتل نهاباً ، لا ترجو فيهم ثواباً ، ولا تخاف^٥ عقاباً . وهو - أيده الله - لم يبلغ بلادك ولا غيرها لمال^٦ يبتز^٦ ، ولا لتملك^٦ يستفز^٦ ، وإنما بغيت^٧ أن يجمع شيطان الشرك ، ويستنقذ المسلمين من الهلك^٨ ؛ ولما^٨ نرجوه من حسن إنابتك ، وإسراعك إلى داعي الحق وإجابتك ، خاطبنا أمير المسلمين - أيده الله - محيلين على ما تضمنته خطابك ، ووعاه كتابك ، مبهتين عنده عذرك فيما تضمنته من القول الذي لا تصح شواهد ، ولا ترتبط^٩ لتأمل معاقده ، وإننا لنخشى أن ينفض^{١٠} عن ذلك الثغر يده^٩ ، ويحل^{١٠} من عزمه^{١١} فيه ما كان عقده^٩ ، فحينئذ لا ينفع النادم قرع^{١٠} سنه ولو هتمها ، والعاض يده^٩ ولو كلمها ، وقد كان لك مندوحة^{١١}

١ م س : أدام الله تأييده .

٢ ط : يميذك .

٣ منه : سقطت من م .

٤ أيدي : سقطت من م .

٥ م : يرجو . . . يخاف .

٦ م س : الملك ؛ وسقطت من ط .

٧ م : بغية .

٨ ط : وإنما .

٩ م : ترتبطه .

١٠ م س : لينفض .

١١ م : العزم .

في القول اللين ، والاحتجاج المبين ، عن^١ الموافقة والمخالفة ، والمدافعة
بغير الحق والمكاشفة ، حتى انتهيت^٢ إلى أن تقول إنه لك في من سلف
واعظ يزعمك ، أو زاجر يردك ، والله يعصمك من أن تختار اختيارهم ،
وتؤثر ليارهم .

وفي فصل منها : وقبيح بمن عليم بما^٣ عند الله علمك ، وفهم بما
لديه فهمك ، أن يزهد في الدنيا وهو يطمع منها في غير حاصل ، أو
يذم العاجلة وهو يعتد بعرض من أعراضها غير طائل ، ونرجو أن يكون
وراء هذا من ركوبك المثلى ، ورجوعك إلى التي هي أولى ، وتكذيب
ما تلقيه الوسوس ، وتمنيه خادعات الهواجس ، ما يبقى به دينك نقياً
لا يتدنس^٤ إزاره ، وذكرك جميلاً لا تقبح آثاره ، وهو الذي يشبه
مذهبك الكريم ، وآراء سلفك القديم ، الذي أنت متقبل حميد آثارهم ،
مستضيء^٥ بأنوارهم ، مشيد^٦ على^٧ ما أسسوه من الأثر الصالح ، والعمل
الراجح . وما كان في هذا الكتاب من^٨ مراجعة ، فيها موافقة^٩ ومنازعة^{١٠} ،
فلنما دعا إليها ما ننوي من النصيحة ، والموالات^{١١} الصحيحة ، وقد يعاتب

١ م : على ؛ س : الهين على .

٢ م : انثيت .

٣ م س : ما .

٤ ط د : تلقته .

٥ د : وتمته ؛ م س : وتلقيه .

٦ م : يدنس .

٧ على : سقطت من ط د .

٨ الكتاب من : سقط من م س .

الشفيقُ فلا يُحجم ، ويقولُ الصديقُ فلا يكتّم ، وأنت تحملُ ذلك على سبيله^١ الواضحة ، وطرائقه اللائحة ، وتعلمُ أن أخاك من أرضاك باطنه^٢ ، وإن عصاك ظاهره وعالته^٣ .

وله من قصيدة^٣ في القاضي^٤ :

وكيف أجزتِ الحيَّ جيبكِ عاطرٌ
تجاوبُ أفرادُ الحيِّ وساوساً
وكيف شقتِ الليلَ خدكِ زاهرٌ
وكيف استطعتِ السيرَ حجلتكِ مفعمٌ
ومسعرجُ الوادي ظباً وأسنةً
وقد نصتِ^٥ الجوزاءُ جيداً^٦ كأنه
تأرجحتِ المومة أن سرتِ وسطها
أقبلُ تربَ الأرضِ حتى كأنما
فما سجدَ الرهبانُ^٨ في كلِّ بيعةٍ
ورِدْ فُكْ فضفاضٌ وعِقدكِ صائحٌ
عليكِ كما غنى الحمامُ النوائح
وجيدكِ برّاقٌ وثغرُكِ واضحٌ
ورِدْ فُكْ رجراجٌ وحلّيتكِ قادحٌ
ومنقطعُ البيداءِ خببٌ وكاشحٌ
عيونٌ إلى تلكِ الطروقِ لوامحٌ
فكلُّ سبيلٍ جُزّتِ بالطيبِ فائحٌ
تضمُّ ثناياكِ العذاب^٧ الأباطحٌ
كما أسجدتني أرضها والصحاصح

١ م : سبيله .

٢ م : وغالبه .

٣ م : ومن قصيدة له .

٤ انظر ديوان ابن زيدون : ٣٩٠ ، ٤٨٣ وقصيدة فائية لأبي المغيرة ابن حزم في القم الأول :

١٧٦ فهذا كله نسق واحد من المعارضات ؛ ولم يتضح أي القضاة يمدح ، ولعل هنا نقصاً

في النسخ .

٥ م : نصب .

٦ م ط : جيد .

٧ م : العراب .

٨ ط : البرهان .

ومنه في المدح :

فان أكُ في سبيلهِ بيَراكضاً فاني للقاضي الأجلُّ لمدحُ
هوالسببُ المدنيُّ لسلوةٍ وكفارةُ الآثامِ وهي فوادح
به تنهضُ الأيامُ بي عواثرُ وتُسندُركُ الآمالُ وهي نوازح [١٠٤أ]

قال ابن بسّام^١ : قول أبي بكر : « أقبَلْ تُرْبَ الأرضِ » . . . البيت
مع الذي بعده ، من الوصف الغريب ، في توفية إكرام ربيع الحبيب : وأوّل
من بكى بالربيع ووقف واستوقف ، الملكُ الضليلُ ، حيث يقول :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

ثم جاء أبو الطيب فتزل وترجّل ومشى في آثار الديّار وقال^٢ :

نزلنا عن الأكوارِ نمشي كرامةً لمن بان عنه أن نُلِمَّ بها ركبا
ثم جاء المعري فلم يقنع بهذه التوفية من الكرامة حتى خنع وسجد ،
وقال^٣ :

تحية كسرى في السّناء وتبع لربّك لا أرضى تحية أربع
وأبو بكر إنّما ألمّ بهذا المعنى .

ومحاسنه أكثر من أن تحصى ، ولم أحاضر وقي هذا إلاّ بقليها^٤ ، ولا

١ نقل الصفدي جانباً كبيراً من هذا النص في الغيث ١ : ٦٧ وصرح أنه ينقل عن الذخيرة .

٢ ديوان المتنبي : ٣١٨ .

٣ شروح السقط : ١٥٢٧ .

٤ ط د : بأقلها .

بأس من الزيادة - إن شاء الله - عند حصولها .

ومما سمحت^١ به الأيام ، وفازت به الأزلام ، من نثر أبي بكر المتدفق
عن بحر^٢ ، المزري بدرّ انتظم في لبيّات الزهر، رقعة يقول فيها :

مولاي وسيدي الأجل لا يزال بمعونة الله تخدمه الأوطار ، وتطيعه
الأنصار . وتتنافس فيه الأقطار ، وتستأذنه في صوبها القطار ، فدعاؤه
متقبّلٌ مستجاب ، والغيمُ عند استصحابه منجّاب ، وقد كان الغمام أسفّاً
ودُقُّهُ^٣ ، ورجيَّ صدقه ، فصعد وتعلّى ، ثم دنا فتدلى ، فكاد من قام
بالراح^٤ يدفعه ، وانتظرت شأبيبهُ ودُقُّعُهُ^٥ ، إلاّ أن تلك الدعوة رَدَّتْ
مخيلته جهاماً . وفرقت جمعه وكان لماما ، وعاد المحلُّ يلتهمُ التهاماً ؛
فرفقاً - رفق الله بك - فانّ الناس مُسْتِنْتُونَ . ولما لا يُرْضَى
من القولِ بسوء الظنِّ مُبَيَّنُونَ ، وماذا عليه - أعزّه الله - في أن يُخْصِبَ
محلّه ، سقى الغيثُ بلداً يحلّه ، وتشبّعه حيث ارتحل ديمةً مدرار^٤ . وينزل
حيث ينزل النوار ، وننالُ من بركة دعائه نصيباً ، ولا نلقى منه يوماً عصبياً .
وإن دام دعاؤه في استصحاب الشمس ، فسيركها خاوية كأن لم تغرب
بالأمس .

١ هذا مما زيد من بعد وقد انفردت به النسختان م س حتى آخر الترجمة .

٢ م س : بحر .

٣ م س : بالراجي ؛ وفيه إشارة إلى قول الشاعر يصف السحاب :

دان مسف فويق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح

٤ من قول المتنبي (ديوانه : ٢٦٨) :

وإذا ارتحلت فشيعتك سلامة حيث اتجهت وديمة مدرار

وأخرى يقول فيها :

سقى بلداً أمستُ سليماً تخلُّهُ^١ من المزن ما تَرَوِي به وتسيم^١

كيف لا أستسقي لثواه - أدام الله نعماه - عزالي^٢ الغمام ، وأنتقي
لعلياه حُرَّ الكلام ، وأعيد^٣ النفس بمقدار سعده ، وأنفي الأنسَ جملةً
من بعده ، وهو - أعزه الله - سرُّ الضمير ونجواه ، وذكر اللسان ودعواه ،
وشغلُّ القلب والصدر ، والصدقُ الوفيُّ الذي بَعُدَتْ أخلاقه عن
الغدر^٤ ، والواحدُ الذي يَعدِلُ ألوفاً في جلاله القدر ، ويزيد على الأ[نام]
كما زادت على الليالي ليلةُ القدر ؛ ما هذا الاطراء ، والقول بالآراء^٥ ؟ !
تكفي شهادة الضمائر ، وتَنَاجِي السرائر . ما أولاني بالنَّجْهِ ، وحثي التراب
< في > الوجه ! ! كيف وجد - أعزه الله - تلك البلاد الكريمة ؟
أظنه أكرم فارتبط ، وانتاب^٦ فاغتنب ، وحثَّ الرحلَ عند الملك الظاهر ،
المكنيَّ بأبي الطاهر ، فأنشد قول أبي تمام في عبد الله بن طاهر^٧ :

إذا ما امرؤ ألقى إليك برحله^٨ فقد طالبتَه بالنجاحِ مطالبُه

١ انظر الأغاني ٢ : ١٩٨ وأمالي القالي ١ : ٣٦

٢ م : عز ؛ س : عن (اقرأ : عين) .

٣ س : واعتد ؛ م : واعند .

٤ م : بعدت عن الضمير الغدر .

٥ م س : الاراء (لملها : الهراء) .

٦ م س : وارتاب .

٧ ديوان أبي تمام ١ : ٢٣٩ .

٨ الديوان : بربك رحله .

وفي فصل منها : وماذا عليه لو عرف من شأنه بقضه^١ ، من عدة
النسيم اجتاز على أرضه ، فتنشق عرقفه^٢ ، وتقبّل عرقه :

يقبّلُ الريحَ من صبابتهِ ما قبّلَ الريحَ قبله أحدُ

ومنها : ولما علم أن تلك الحضرةَ مجرّ العوالي^٣ ، بل مُستَقَرَّ المعالي ،
ومَجْرَى السوابق ، بل مَسْرَى البواشق ، أمَلها فأَمَّها ، وقدم أرجاءها
فجاءها ، وغرضه أن يكونَ هنالك خادماً قائداً ، أو جامعَ فائد ، وإذا
ظفرت يدها بجواد ، يحمله على جواد ، فقد أنخصب مراده ، وأكثب
مراده .

ومنها : وإن خفّت بالمراجعة بالحالِ العليةِ وصلّةُ الإجمالِ ، وختِمتْ
بالحسنَةِ الأعمالِ ، أسمعني الله عنك أنباء طيبة ، وأمطركَ من المعروف
ديمةً صبيبةً ، برحمته .

وأخرى يقول فيها :

ولني واسماعيلَ يومَ وداعِهِ لكالغمدِ يومَ الرّوعِ فارقهَ النَّصْلُ^٣

لا بل كالجفنِ فارقهُ السّوادُ ، والصدرِ بان عنه الفؤادُ ، هذا تعدادٌ
يطول ، ودهرٌ بأحدائه يصول ، وعلى ما جرّ من خطوبه ، وأعقبنا من

١ صورتها في م : يقضه .

٢ م : بحر العزالي .

٣ البيت لصريع الغواني ، ذيل ديوانه : ٣٣٢ والشعر والشعراء : ٧١٣ .

عبوسه وقطوبه ، لنقرينته صبراً يردّه ، وجلدأ يهدّه ١ ، وتحملأ يرَدَعُه
ويصدّه ٢ ، فلا يجد لسهامه منفذاً ، ولا يعرف للقدح فيها مأخذاً ، وإنأ
لرَضِي بالقَدَر ، ونشربُ على القذاة ٢ الكدر . ولا تؤثر فينا لأواءُ ، ولا
تبلغُ منأ عزأء ؛ أمأ وقد ذقنا طعميه . وحلبنا شطريه ، وخطرنا قُطْرِيه .
وَجَرَبْنَا حالِيه ، فما يُحدِثُ جديدأ ، ولا ينشئُ شديداً . وإن الله سبحانه
ليختار للعبدِ . ويهديه إذا استهداه للرشدِ . إذا انتهى به العسر : طالعه
اليسر . ووافاه النصر .

ومنها : فذكرنا ٣ - أعزك الله - وطالعنا بأبناك - أطابها الله - فانا
نرتقب أخبارك . ونستوضح آثارك . ونلحظُ على البعدِ ديارك :

كما نظرَ الأسيرُ إلى طليقٍ يومُ بلادَهُ لشهودِ عيدِ

ومن الحقُّ أن تشدَّ يدَ اغتباطك . وحبَّبلَ ارتباطك ، بفلان ، فهو للصحة
ذاكرٌ . وبعهدك مكائر . ومن أعبائك في تلك الرحلة معتذرٌ متنصل .
وودهُ وكيدٌ متأصل . وستفرح معه أياماً . وترى الفضل إماماً . والزمان
غلاماً ، إن شاء الله .

وأخرى افتتحها بهذين البيتين :

أخاطبَ ودٌ من أخٍ لكَ عنده إنابةٌ مخلوع العنان إذا لبى
تفياً إذا ما شئتَ ظلَّ ضلوعه ظليلاً وِردٌ من ودّه شبماً ؛ عذبا

١ م : يردده . . . يهدده .

٢ م س : القدار .

٣ أهل الصواب : « ناذكرنا » .

٤ م س : طلوعه . . . أشبأ .

وصلَ لسَيدي - وصله الله - تحيةً أهداها ، مقترنةً ببغيةٍ اهداها ،
فلولا أنَ تموجَ الهواء . لا ينقلُ الأهواء ، لوافاه يحملُ من رَجْعِ السَّلامِ
أحفاه . ولو صف ما نشأ له من الولوع ، < و > انتهى < حتى > هدَّ
الضلوع . فما غريبٌ أوحشهُ سلطانُهُ ، وجَصَتْ أوطانُهُ ، فباتَ يستهدي
البوارحَ نسيمها . شوقاً إلى وسيمها ، ويستكشفُ الرِّكْبَ عن أنبائها ، كلفاً
بأحبائها :

بأشوقَ مني إلى حضرةٍ تحذتُ بساحتها موطننا

وأتمشَّلُ بما بين يديَّ من الأشواق ، إلى تلك الأخلاق . فأقول : ما
غريب . نأى عنه هووى قريب . فكلَّمنا أمَّ بابه قطع < أسبابه > ،
أو همَّ أن يثني إليه عنانه . شغلت الأيامُ بنانه ، فبات مُراقٍ كأسِ الوَسَنِ .
فضفاضَ رداءِ الحزنِ ، بأشوقَ مني إلى ذلك الخلقِ الكريم . فهل يسمح
به صرف الزمانِ اللثيم . وله الدم : ما وهبَ إلاَّ خلالَ ما انتهب . ولا
أباح إلاَّ ريشما استباح . وإن تكنِ الأيَّامُ أتتْ دونَ لقائك . فانا أسأل
الله طولَ بقائك . عسى أن يدنو بك داراً . أو يدور بنا عليك مزاراً .

وله ٢ :

قد هزَزْنَاكَ في المكارمِ غُصْنَا واستلمناك في النوائبِ ركنا
فوجدنا الزمانَ قد مالَ ٣ عطفاً وتأتى علاً وأشرقَ حسنا

١ م س : لا ينفع .

٢ وردت الأبيات في القلائد والخريدة والمطرب .

٣ في المصادر : لان .

فإذا ما سألته كان سمحاً وإذا ما هزرتَه كان لَدُنَا
مؤثراً أَحْسَنَ الخلائقِ لا يَعُدُّ رِفْ ضِنّاً ولا يكذِبُ ظنّاً
أنت ماءُ الزمانِ أخصبَ وادياً هـ ورفَّتْ رياضُهُ وانتجعنا
نزعَت بي^١ إلى ودادِكَ نفسٌ قلِّمًا استصحبَت سوى الفضلِ <خدنا>

في ذكر الوزير الكاتب أبي الحسين يوسف بن محمد بن الجلد^٢
واجتلاب قطعة من نظمه ونثره^٣

قد قدِّمت ذكر بني الجلد^٤ ، وذكرتُ أنهم كانوا صدورَ رُتبٍ ،
وبجورِ أدبٍ ، توارثوه نجيباً عن نجيب . كالرمح أنبوباً على أنبوب ، مع
اشتهارهم بصحبة السلطان ، وشرفهم على وجه الزمان . وأبو الحسين هذا
كان من أسنى نجوم سَعْدِهِمْ ، وأسمى هضابِ مجدِهِمْ ، ولولا ما خلا به
من معاقرة العُقارِ ، وتمسكَ بأسبابه من قضاء الأوطار ، للملأ ذكره البلاد ،
وطبَّقَ نظْمُهُ ونثرُهُ الهضابَ والوهاد . وقد استكتبه ذو الوزارتين أبو بكر
ابن عمار أيام حربه بمرسية ، وله معه أخبارٌ مذكورة ، وعنه رسائل مشهورة ،

١ بي : سقطت من م .

٢ كنيته في المغرب (١ : ٣٤٠) أبو الحسن ، وورد في مواضع أخرى من الذخيرة مرة أبو
الحسين ومرة أبو الحسن ؛ وفي هذا الموضع من النسخة ط « أبو الحسن » ، وانظر مسالك
الأبصار ١١ : ٤٣١ ؛ وسقطت لفظة « يوسف » من م س .

٣ م : نثره ونظمه .

٤ ذكر ابن سعيد (المغرب ١ : ٣٤٠) أن بيت بني الجلد بيت جليل ، وهم فهريون سكنوا لبله
وسادوا أيضاً باشييلية . ثم ترجم لأربعة منهم ، ولكن ليس من السهل تبين صلة القرابي
بينهم . وقد مرت ترجمة أبي القاسم منهم في هذا القسم من الذخيرة : ٢٨٥ .

ولم أقع من كلامه وقت تحريري هذا التصنيف ، إلا على اليسير الطفيف ،
وفيما أثبت منه ما يقر له بالفضل ، ويرفع لواءه في النبيل .

جملة من نثره مع ما يتشبه به من شعره

له من رقعة خاطب بها من استنهضه إلى معارضة الحصري في قصائده
المعشرات^١ قال فيها :

يا سيدي^٢ - أبقاك الله شاحذَ فكري . نافذَ ذكري ؛ من حقّ ذمتك ،
الذهابُ مع وفقِ همّتك . ولما أكملتُ رغبتك من كتبِ معشرات^٣
الحصري . هبّ من خاطري النائمُ البكيّ ، فنظمتُ في معناها ، ما لا يُغني
من الضنّاعةِ مغناها ، فالدرُّ لا يُعارضُ بالمخشَلَبِ ، والبحرُ لا يناهضُ
بالميدتَبِ ، وإنما ذلك لما في طباعِ الإنسان ، من اتباعِ الإحسان ؛ مع أنّي
أردت أن أملأَ سمعَكَ . بصورةِ حالي معك . وأنت تعلمُ أنّي حين
تعرّضتُ ، وأوانَ ترَبصتُ ، غريبٌ حريب ، قليلٌ قليل ، مريضٌ
الحنان ، مقروض اللسان ؛ فالشعرُ إذا لم يحكِّه قلبٌ فارغ ، ولم يسبِّكه

١ المعشرات: قصائد تتألف كل قصيدة منها من عشرة أبيات. في موضوع من الموضوعات كالنسيب
أو مدح النبي أو الزهد . ومعشرات الحصري في النسيب ، وقد نشرت مع دراسة عن الحصري
قام بها الاستاذان محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى : ٢١٢ - ٢٤٠ (تونس ١٩٦٣)
وفي م : المعشرات .

٢ يا سيدي : سقطت من ط .

٣ م : معشر .

٤ م : ترصنت (اقرأ : تبرصت) .

لبُّ من ظلماء الشغلِ بازغ ، لم يكملْ خلقه ، ولم يروِ الصدورَ ودقُّه ،
وجاءَ خديجَ النتاجِ : أجاجَ المزاجِ . فإنْ نظر في هذي إليك ناظر . وعطف
من عنانِ المناظرةِ بينها وبين تلك - على تباعدها - مناظيرٌ ، فأطلِّعهُ على
غيبِ حالي . قبل أنْ تُطلِّعهُ على عيبِ مقالي . ليعلمَ أنها زبدةُ
الماءِ . وعصارةُ الصخرةِ الصماءِ . والله المرجوُّ للإدالةِ . والمدعوُّ في الإقالةِ .

وله من أخرى خاطب بها عمته من ميورقة . عند تناثر عقد^١ رؤساء
الجزيرة :

يا مولاي وسيدي الذي أفترض بره^٢ . وألتزم شكره^٣ . ومَن لا زال
في أمان من الزمان . وسلامٍ من الليالي والأيام :

طوى الجزيرةَ حتى جاعني خبرٌ فرعتُ فيه بآمالي إلى الكذب^٤ [١٠٤] اب
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملًا شرقتُ بالدمع حتى كاد يشرق بي

وإن عيناً لم تصب بدمٍ بعد دمٍ لبخيلة . وإن نفساً لم تدب على تلك
النازلة العظمى لجلدة حدولة . لله تعالى التسليم فيما حلَّ وجل . وفجع
وأوجع . وإن تكن تجافت عن النفوس . ورتعت في العرض الحسيس .
فخطبها حقير . وكسرها مجبور . على أنها كيف تصرفت مشكلة ،

١ عقد : زيادة من م س .

٢ س : ذكره .

٣ لأبي الطيب . ديوانه : ٤٢٣ والنخيرة ٢ : ٤٨٦ .

٤ م س : تصب دماً .

٥ م : وولعت .

٦ م : المجبور .

وعلى ما تُخِيلت^١ مُذْهِلَةً، وَصَفَاتُكَ - أعزك الله^٢ - أصلبُ من أنْ
تؤثرَ فيها النوازلُ، وأُثبتُ من أنْ تُضَعِّضَ فيها الرواجفُ والزلازلُ؛
وأنا حينَ خططتُ هذه الأحرفَ على جمرِ الأسي متقلبٍ، وبارتقابٍ ما
خَصَّكُمْ^٣ - لا زال خيراً - مُعَذِّبٍ، وقد أودعتُ مُناوِلَها من خبري،
وحملته من عُجْرِي وَبُجْرِي، ما لك الطَّوْلُ في الإصغاءِ إليه. واستيفاء
ما لديه، ثم في مراجعتي بما تقررتِ الحالُ عليه.

وختمها بهذه الأبيات^٤ :

كتبتُ وقد غالتُ عزائي^٥ أشجانُ
وقد وقدتني نِباءُ الخطبِ لم تصخُ
تصاممتُ عنها مستريحاً إلى المني
إلى أن جلاها الصدقُ عندي فهدني
كذا فارقبوا يومَ القيامةِ بفتة^٦
عزاءً وأنى بالعزاءِ وقد هوتُ
وغاضتُ بحور^٧ للندى وتقلصتُ
ظلالُ العلا وانهدتُ للمجد ببيان

١ م : خيلت .

٢ م س : دام عزك .

٣ د : يخصكم .

٤ منها بيتان في كل من المغرب والمساك .

٥ د : غرامي .

٦ سقط هذا البيت والذي بعده من م س .

٧ ورد البيت في القسم الثالث ٣ : ٨٤٩ وفي هذا القسم الثاني أيضاً : ٤٨٧ .

٨ م س : بحار .

لبانَ بما قد بانَ آمنٌ^١ وإيمانٌ
همُ حَسَنُوا بالدهرِ ظناً فخانهم
ولولا الأُسى لم يبدُ في العيشِ عذره
وكم قبلها من مثلها ثم بعدها
وبين ضلوعي والحقونِ تنازعٌ
ولا شكَّ أني بين هاتين طائِحٌ
تقسّم صبري والحوادثُ جمّةً
لعلّ الليالي ، والليالي لواعبٌ
وفي الفمِ ماءٌ مانعٌ من زيادةٍ ؛
فَطَوَّلَكَ في إرعاءِ سَمْعِكَ ساعةً
وراجعٌ ولو في صفحةِ الماءِ راقماً

وفضلٌ وإفضالٌ وحُسْنٌ وإحسان
وما الدهرُ إلا ناقضٌ^٢ العهدِ خوَّانٌ
وحسبي ولم أبعُدْ عليّ وعثمان
وليس علي دهر جني^٣ ذلك عدوان
على الرِّسمِ من جسمي فسُحِبٌ ونيران
فَيَسْغُرِقُ طوفانٌ ويحرقُ بركان
ملوكٌ وجيرانٌ وقومٌ وأوطان
ستأتي التي فيها عن الغمِّ سلوان
وعند الذي يُهدي كتابي تبيان
لتسمعَ ما شطّطتْ به عنكَ أزمان
وطالعٌ فيكفيني من الطُّرسِ عُنوان

وله من أخرى : يا سيدي الأجلّ ، وغمامي المستهلّ ، وكوكبي النيّر
المطلّ ، ومن أبقاهُ اللهُ في الشملِ الأجمعِ ، والأملِ الأمتعِ . أوذِنتُ
بِمَقْدَمِكَ الميمونِ ، المُقَرِّرِ للنفوسِ والعيونِ ، فارتحتُ ارتياحَ من أنشدتْ
ضالَّتُهُ . وأعيدتْ عليه بعد السَّقَمِ صِحَّتُهُ . وقد كان مِن وِرْدِ اشتياقي
إليك ، أن أقع بين يديك ، غيرَ أنَّ الوجَلَ^٥ قيّدَ القدمَ ، فلم أجِدْ بُدّاً
من أن أستنيبَ القلمَ ، ومثلك - دام عزُّك - شَرَحَ لِعُدُّرِ وليهِ صَدْرًا ،

١ م س : يمن .

٢ س م : ناكث .

٣ م ط : حتى (حنا) ؛ د س : حتى .

٤ م ط : زيارة .

٥ م : الوجد .

ولم يظنَّ بصفيةٍ فيما يقعُ من إخلالهِ بخلاله وجماله^١ غدراً . ومع هذا فلو كنتُ على ثقةٍ من وجدانك بمكانك ، لمشيتُ ولو على شوكٍ [١٠٥ أ] القناد ، مجتنباً من تلك الخلائقِ الناضرة^٢ العاطرة زهراً الربى والوهاد ، وناقماً من تلك السجايا الباهرة حرارة الجوانحِ والأكباد - لا زلت لأودائك أملاً ، ولأوليائك فضلاً من الزمان كلاً^٣ .

ومن شعره^٤

أهدى الزمرد مورقاً^٥ ومنوراً
فحسبته من قلبه ومودتي
وزجرتُ منه بأنَّ قسوته انثنتُ
قد كان سري فيه ممنوع الحمى
عجباً تطلّع كلُّ لحظٍ أبصرا
حجراً وريحاناً يرفُّ معطرا
ليناً كخدِّ منه رقٍّ وعدترا
فاليوم هتكت كلُّ سرِّ سترنا
ولألسنٍ ثوبَ الهوى متبخترا
حتى أغاطى كأسَ وصلٍ سكرنا
وضنائة فكفى بجسمي مخبرا
فعليه من قلبي السلامُ مكررا
وإذا سما بسمائه بدرُ الدجى

١ ط : من إخلاله بجماله .

٢ س : الباصرة (اقرأ : الباهرة) .

٣ س . وكلا

٤ انظر المسالك ١١ : ٤٣١ .

٥ المسالك : موقناً .

٦ م : على .

واستكتبه العامل ابن القروي^١ الإسلامي ، فغاب عنه أياماً يشرب النبيذ
فلامه على خَلْعِ عِذاره ، في استهتاره ، وترك خدمته ، فكتب إليه أبو الحسين :
أَمْسِكْ عِنَانَكَ^٢ إِنْ رَكِبْتَ قَلِيلاً واسمِعْ وَإِنْ كَانَ الْحَدِيثَ طَوِيلاً
إِعْزِلْهُ وَوَلِّ فِى حَدِيثِكَ آيَةً لو أَنْ قَوْمَكَ أَحْسَنُوا التَّأْوِيلاً
هَلَاءَ عَذْرَتَ عَلَى الْبَطَالَةِ أَهْلِهَا ورَأَيْتَ رَأياً فِي الْمَدَامِ أَصِيلاً
هِيَ مَا عَلِمْتَ فَإِنْ عَدَرْتِكِ^٣ جِهَالَةً فاستفسرنُ مِنْ سِرِّهَا الْإِنْجِيلاً

وقال ٤ :

تَحَكَّمَتِ الْيَهُودُ عَلَى الْفُرُوجِ وتاهتُ بِالْبِغَالِ وَبِالسُّرُوجِ
وقامتُ دَوْلَةُ الْأَنْدَالِ فِينَا وصارَ الْحَكْمُ فِينَا لِلْعُلُوجِ
فَقُلْ لِلْأَعْوَرِ الدِّجَالِ هَذَا زَمَانُكَ إِنْ عَزَمْتَ عَلَى الْخُرُوجِ

وله يخاطب بعض من نهض به زمانه لا إحسانه ، وكانت لداره بابان
إذا انتظير من الواحد طلوعه ، خرج به من الثاني عدوله عن الفضل
ونزوعه ، وفي ذلك يقول أبو الحسين وقد اختلف إليه فلم يلقه ، ولا شام
يوماً برقه :

يا ماجداً والزمان عدلٌ طال اختلافي لساحتك
لقد رأيت الغريب حتى رأيت شعراً براحتك

١ ط : ابن القروي .

٢ م س : عتابك .

٣ م ط د س : عدتك .

٤ المسالك ١١ : ٤٣١ - ٤٣٢

٥ م : شعري .

في ذكر الأديب أبي الحسن [غلام] البكري وإثبات جملة من محاسن شعره

وأبو الحسن في وقتنا بحرٌ من بحورِ الكلام ، قذفَ بدرُ النظام ، فقلَّده
أعناقَ الأيام^٢ ، أسحرَ من أطواقِ الحمائم ، وأبهرَ من النجومِ العوالم ؛ من
شعراءِ الدولة العبادية ، لم تكن له رحلةٌ لسواها^٣ ، ولا قدَمٌ في غير
ذراها ، وكان أخيراً هو وعبد الحليل وأبو بكر الداني هتعةَ جوزائها ،
ونسرَ سمائها ، وطبقتها التي قال بتفضيلها الإجماع ، وشهد لها [١٠٥ ب]
العيانُ والسَّماع . ولما انجابت غيومُها ، وامسحت نجومُها ، بخلعِ صاحبها .
خلعَ أبو الحسنِ صنعةَ الشعرِ خلعَ النجاد ، وتبرأ منها تبرؤَ العبادية^٤ ،
من دعوة زياد ، إلا إلامَ الطَّيِّفِ بَعَيْنِ الفَدْرِقِ . والثقاتِ الدليلِ بيناتِ
الطرق ، واشتمل عليه البكريون لِكَوْنِهِ إحدى ذُرَى بنيانهم . وأحد^٥ .
دعائم أركانهم . ولتعويله عليهم ، وانقطاعه بالولاء اليهم ، فألحفوه نعماهم ،
وأغنوهُ عن سواهم .

وقد أثبتُ من شعره ما يقضي له بالفوق^٦ . ويخصهُ بِقَصَبَاتِ السَّبْقِ .

١ اسمه حكيم بن محمد : وله ترجمة في القلائد : ٢٩٠ (وانظر ص : ٢٤٢ وعنه النفع : ١ :
٦٥٧) والمغرب ١ : ٣٤٨ ويغية الملتبس رقم : ٦٩٢ والمساك ١١ : ٣٨١ ولفظة
« غلام » موجودة في فهرسة الذخيرة ، وفي المصادر .

٢ ط د : الأنام .

٣ ط : سواها .

٤ م س : العباسية .

٥ م س : وإحدى .

٦ د م س : بالفرق .

جملة من شعره

له من نصيدة أولها^١ :

ألاحت وللظلماء من دونها سيدل^٢ عقيمة برق مثلما انتضي النصل^٣

بقول فيها^٤ :

نكبرت الدنيا والأهل^٥ فيها فليس لي
وأفردني صرفُ الزمان كأنني
فيا ليت شعري هل مُقامي لنية^٦
وسير يخلّي المرء منه قرينه^٧
فكم من حبيب كان روضة ناظري^٨
ضحى ظلّه إذ كورت لي شمسهُ
غبرت وبادوا غير أن تلبّثي
إذا كان عيش المرء أدهى من الردى

بها عقوة^٩ آوي إليها ولا أهل^{١٠}
طيرير^{١١} من الهندي أخلصه الصقل^{١٢}
تصيخ^{١٣} لنجواها المطية والرحل^{١٤}
فريداً كما خلّى تريكته الرأل^{١٥}
يرف^{١٦} ويندى بين أفانها الوصل^{١٧}
فشخص^{١٨} نعيمي لا يقوم له ظل^{١٩}
وراءهم^{٢٠} عيش يلد له القتل^{٢١}
فعائدة الأيام^{٢٢} داهية خبل^{٢٣}

١ انظر القلائد والمسالك وبغية الملتبس .

٢ يقول فيها : سقطت من م س .

٣ د والقلائد : والأرض .

٤ ط : يصيح ؛ والقلائد : تصيح بنجواها .

٥ القلائد : والرجل .

٦ القلائد : قريبه .

٧ القلائد : خاطري .

٨ القلائد : ختل .

وللناسِ هَمَّاتٌ تَبَحِّبُحُ بِالغنى^١
 اذا قنع المضطرُّ كانت بكفِّهِ
 ومن راد^٢ لم يعدم^٣ من الله نجمة^٤
 رأيتُ النهى في المرءِ فضلاً يُشْفِه^٥
 ومن ميَّزَ الدنيا بتمييزِ أهلها
 فيا ليت علمي^٦ فيهم^٦ أنه عمى
 وطئتُ من الأيام أنخسَ جانبِ
 ولكت^٧ من الأعداءِ شرِّيَ ضغينة^٧
 وقارعتُهُمْ حَتَّى فُلَّتْ شَبَاتُهُمْ^٨
 ولكنَّ صرفَ الدهرِ قِرُنٌ إذ سطا

ومنها^٩ :

حُبِسْتُ كما ضَمَّ المهنَّدَ غِمْدُهُ
 وَعَرَيْتُ من مالي وما ملكتُ يدي

وان كان جمعاً ضمته اللؤمُ والبخلُ
 مقاليد^٢ لم يَبْهَمَ لها أبدأً قُفْلُ
 ففي كلِّ مَحَلٍّ من غمامته وبَلُّ
 ولكنَّ مَنْ يحويه ليس له فضلُ
 تبيِّنَ أنَّ العقلَ مثلُ اسمِهِ عقلُ
 وحلمي الذي أشقى به أنه جهلُ
 فهل ليَ منها حانبِ دَمِيثٍ سَهْلُ
 لبستُ بها ماذيَّةً مجَّها النحلُ
 بيسورةٍ عَزُّ لا يكفكفها الذلُ
 يخرُّ حفافيه^٨ الفوارسُ والرَّجُلُ

وقِيَّدْتُ مثلَ القَرَمِ يَضغطه العَقْلُ
 كَأني منه مُحْرِمٌ ما له حلُّ

١ م د . سجع : م : نالقا : س . فالقن .

٢ القلائد : معاتيج .

٣ ط . داك : د : ذاك : م . أراد .

٤ م س : تحف : ط : نعمد .

٥ د . يشقه . ط : يشينه

٦ م : شعري .

٧ م : ولو كنت من . . . أسرى صغينة : ط : طعينة : د س : طعينة .

٨ د : يجر حفافيه ، ط : يجد حفافيه .

٩ ومنها . سقطت من م س .

أري أعين الأعداء بِشْرَ طَلاقةٍ
فمن لي بأنّي في جناحِ غمامةٍ
وأوجهُ آمالي مُقَطَّبةٌ طُحْلُ
لها بارق نحو الأحيّةِ مُنْهَلُ

وله من قصيدة^١ في المعتمد^٢ :

مضيتَ كما يمضي الحسام المصمّم
وأسفرَ من مراكٍ صبحُ مَسْرَةٍ
تحفُّ به الأجنادُ؛ تخطرُ بالقنا
لكَ العزّامُ النافذاتُ التي بها
سيعلمُ من ناواكَ أنتكَ لا الذي
دعِ السيفَ يُوهي ما بناه فإنما
لكيما يُقرّ الشاؤون أنوفهمُ
أحلّكَ ربيعَ الملكِ^٣ مجدّ مؤثّل
لِتَرْبأ^٤ بك الأيام عن حدثانها
لربك يَخْدي كلّ نِضْوٍ كأنها
ويومِ كريعانِ الشبابِ شهادتهُ

وأبّتَ كما آب الحيا المتبسّم^٥ [أ١٠٦]
تجلّى به قِطْعٌ من الليل مظلم
فخلناك بدرَ التيمِّ حَقَّتْهُ أنجم
رأينا قناةَ الدين كيف تقومُ
يَخيمُ عن الحربِ العوانِ وَيُحجم
على السيفِ أن يبي بما هو يهدمُ
بأنّ علاكم للمعاطسِ مرغم
وسرو على مرّ الحديدِ قَشْعم
فإنك في يَهْماءِ دهرِكَ معلّمُ
قسيّ عليها من عَفَاتِكَ أسهُمُ^٦
يقيناً ولم يطمحُ إليه التوهّم

١ س م : قصيد .

٢ المسالك ١١ : ٣٨٢

٣ ط د : المتنم .

٤ م : الأجياد .

٥ وقع هذا البيت رابعاً في م س .

٦ ط د : المجد .

٧ ط : لتقرأ (اقرأ : لتبرأ) .

٨ اقترن الشطر الثاني من هذا البيت بالشطر الأول من البيت السابق في م .

فما خلت أن البحر يحويه مجلس^١
لقد طرّرت نِعْمَاكَ بِمَنْطِقِي
لك الخَيْرُ إنَّ القلبَ واعٍ وإنما
ولولا الأسي ما رقَّ شعْرُ مهلهلٍ

ولا يجتبي وَسَطَ البديّ يللمم
فراق بها وشيُّ القريضِ المسهم
يروحُ بما فيه اللسان المترجم
ولا حاز سبقاً في الرثاء متمم

وله من أخرى^٢ :

إذا أنت عاينتَ الأنامَ ودهرهم
تأهلَ قلبي وحشة حَشَّتِ الحشا
فلا جَبْرَةٌ^٣ إلا لإراقةُ عبْرَةٍ
هما تَصْرَتَا من لم تؤيدَهُ قدرةُ
تدرَعْتُ قلبي جرأةً وحزامةً
فإن خدعتُ دنياي مني مُنْجداً
وإن أفتقِدُ عزمي فقد أظأ العدا
هبتُ عليهم بالردي فاطرُهم^٤
علّوا وهووا من غير نفعٍ كأنهم
أرى النقص عازاً في الجوارح والنهى

ترى نَقْدًا يادو لِغِيْرَتِهَا سِمْعُ
وأقفر من أنسٍ كما أقفَرَ الربيع
وزفرةٌ منجودٍ يقومُ لها الضلع
وبشس النصيران التنفسُ والدمع
ومن يدرعُ قلباً يهْنُ عنده الدرع
فإنَّ سرابَ القاعِ شيمتهُ الخدعُ
بأخمصِ ضيمي مثلما يوطأ الفقع
كما نفحتُ عَصْفًا مؤوِّبةً مِسْعُ^٥
سماء ولا رجوعٌ وأرض ولا صدع
فما لفي أخذ ولا ليدي منع

١ م س : فلولا .

٢ منها بيتان في المسالك .

٣ م س : خبيرة .

٤ من قول الخليلي : « قد حال بين دريسيه مؤوِّبة ، مسع . . . » والمؤوِّبة : ريح تهب مع الليل

والمسع : ريح الشمال .

أصونُ ببدلِ الجهدِ عِرْضِي وَإِنِّي
وَأَفْتِشُ أَعْضَائِي مَخَافَةَ أَنْ يُرَى
وَأَصْمَيْتُ أَفْوَاهَ الرِّوَاةِ بِمَقُولِ

وله من أخرى في المعتمد :

قَرَعْتُ الصِّيَاصِي بِشُعْثِ النِّوَاصِي
خَمِيسٍ يَضَاهِي الْحَيَا الْمَكْفَهْرَةَ
وَدَانَيْتٍ حَتَّى تَغُورَ الظُّبَا
وَحَلَقْتِ قَتْلَكَ لَمَّا عَتَا
تَحَاجَزُ عَنْهُ الْعَلَا فُرْكَآءُ^٥
يُرَاعِيكَ مَرْتَقِبًا مِثْلَ مَا^٦
فَخَفَضَتْ مِنْ طَرَفِهِ إِذْ سَمَا
وَعَاوَدَتْ قَرَطِبَةً عِنْدَمَا

ومنها ^٧ :

فَلَوْ أَنَّ جَدِّي كَوْدِي لَكَمْ
أَلَيْسَ ثَنَائِي وَسَطَ النَّدِي

لِبَوَائِي الْجَدُّ أَعْلَى الرَّتَبِ
يَجْرُ الْمُقَاوِلُ أَنْ تَخْتَطِبَ

١ ط د : ملح .

٢ في النسخ : قليل .

٣ د : بادي .

٤ م س : تحاد عنه ؛ ط د : تحاجر .

٥ ط د : بركا .

٦ ط د : كلما .

٧ ومنها : زيادة من م س .

أَلطَّ الرِّوَاةُ بِهِ فَازْدَهَتْ قَلَانْدُهُ فِي نَحْوِ الْكُتُبِ

وله في القاضي أبي عبد الله بن حمد بن يشعُ لبني البكري :

بعدك رِشْتِ جَنَاحِ الْقَضَاءِ وَسِرْبَتِ حُكْمِكَ ثَوْبِ الضِّيَاءِ
وصارتُ خَطَاكَ عَلَى مَنَهْجِ مِنْ الْقَصْدِ بَيْنَ السَّنَا وَالسَّنَاءِ
ومدَّتْ ظِلَالُكَ نَارَ الْهَجِيرِ وَدَرَّتْ سَمَاوُكَ بِالْجَرِيَاءِ
وقد كُنْتُ فِيكَ سِيمَا التَّقَى كَمَا كُنَ الْعُودُ تَحْتَ اللِّحَاءِ
وما يُحْمَدُ الرَّعْيِيُّ فِي كُلِّ وَادٍ وَلَا يُوْجَدُ الرَّيُّ فِي كُلِّ مَاءِ
خَتَمَ الْقَضَاءِ بِحُكْمِ الْإِلَهِ كَخْتَمَةِ أَحْمَدٍ لِلْأَنْبِيَاءِ
دُعِيَ بِكُنْيَتِهِ وَاسْمِهِ فَنُورُ الْهَدْيِ طِيَّ ذَاكَ الدَّعَاءِ
أَهْنَيْكَ لَا بَلْ أَهْنَيْ الْوَرَى بَأَنَّ فَازَ نَقَبَهُمْ بِإِلْهِيَاءِ
طلعت لهمْ وَسَطَ عَدِيَاءِ لَا تَرَى الْعَيْنُ فِيهَا سَبِيلَ اهْتِدَاءِ
ولحت منار هدى نارهُ يُورِثُهَا مَلَكَوْتُ السَّمَاءِ
فَهَدَيْكَ شَمْسُ يَطِيرُ الضَّلَالُ شَمَاعاً بِأَرْجَائِهَا كَالْهَبَاءِ
وسَعَيْكَ فِي ذَاتِهِ لَمْ يَنْزَلْ يَبِيحُ الْجَنَّتَى فِي جَذْوَعِ الْأَشَاءِ
فَحُطُّ أْفْرُخًا ضَمَّهُمْ فِي يَدَيْكَ حَمِيمِ ثَوَى فِي رُبُوعِ الْفَنَاءِ
أغاض الردى منه ماء الندى وَأَخْمَدُ مِنْهُ شَهَابُ الذِّكَاةِ
يضمُّكُمْ مُنْتَمَى وَائِلٍ وَقُرْبُ النُّفُوسِ أَجْلُ انْتِمَاءِ
وأكرمُ حَيٍّ وَفِي رَعْيٍ أذْمَةُ مَيْتِ كَرِيمِ الْإِنْعَاءِ

١ في هامش ط بخط الأصل : انظر هذا التمثيل البشيع ، فليته لم يمثل به .

همُ كبنيك فان تَحْمِيهِمْ^١ تنلُ من إهلك حُسْنُ الجزاءِ^١
 وتبدو مساعيك وضاحةً^٢ تُعيرُ الدجنته بِشَرِّ الضحاهِ^٢
 وليست بيديعِ فكم مثلها صنعت وأوليت في الأولياءِ [أ١٠٧]
 وذلك أنك من أسرة^٣ مهدبة كقدهاح السراءِ^٣
 نَضتُ^٤ منك تغلبُ مشحودةً^٤ مصممةً في المجنّ السواءِ
 فمن شام برةًك لم يعتمدُ ثراك ببذرٍ بطيءِ النماءِ
 بعثتُ إليك بها رايةً^٥ تقودُ لواديك سرحَ الثناءِ^٥
 ولم يأتك الشعرُ من بابه ولكنّه واثيقُ بالوفاءِ

وله من أخرى يصف بعض المصانع^٦ السلطانية المعتمدية^٧ :

أقرنُ الغزاةَ أم مَعْقِلُ^٨ يكاد الحمادُ به يَعْقِلُ
 قرارةُ أنسٍ تُبِينُ^٨ الظباء به والضراغمةُ البسل
 تجردُ أفواهُها في الصفا سيوفاً بشمس الضحى تُصْقِلُ
 وليست سيوفاً ولكنها لظامي الثرى^٩ منتهل سلسل

١ ط : العزاء .

٢ د : نشر الضياء .

٣ السراء : ضرب من شجر القسي ، الواحدة سراءة .

٤ ط د : قضت .

٥ سقط البيت من م س .

٦ م س : المصانيع .

٧ انظر المسالك ١١ : ٣٨٣ .

٨ تبين : تقيم .

٩ ط د : بصافي ؛ د : الندى .

تشق^١ المياهَ بهنَّ المياهُ
محاسنُ للروضِ فيأضة^٢
ترضعُ أطفالَ أشجارها
يلي الحوضَ مذبذبهُ مثلما
تلفُ الثرى في برود الربيع
وفي صحنِ ساحته^٣ مجلسُ
كان تماثيلَ جذرانهِ
تُبينُ بفصلِ الخطابِ الفصيح
وترنو وما راقها منظرُ
تودُّ الكواكبُ لو أنه
ولو ظفرتُ بالمى لم تزلُ
كانَ أعاليه روضةً
ينمُّ سناهُ بأسرارهِ
ويجري عليه فرندُ^٤ الحبورِ
وتكرعُ في ماء لألائهِ
فلو أنَّ زهرته للهجير

كما شقَّ في الأمة المنصل
بها تضعُ الأرضُ ما تحمل
ضروعُ مشاعبيها الحفل
جنا^٥ الردفِ واندمجَ الأبطل
إذا عزَّتِ الروضةَ الشمالُ
شروُدُ اللحاظِ به يُعقلُ^٤؛
على منْ يقابلها تُقبِلُ
لديك وإن أخرسَ المقول
وتُصغي وما رابها أزمَلُ
لها يعتلي^٥ أو له تنزل
خفافيه تطلعُ أو تأفلُ
ومرمرُ أسفلهِ جدول
فتعلم عينك ما تجهل
فكلُّ كتيبٍ به يَجْدَلُ
ظماءُ العيونِ ولا تنهل
بدا^٦ وردهُ وشدا البلبل

١ تشق : بياض في ط .

٢ جنا : مخفف جنا أي احدودب ومال ؛ وفي الأصل : جنى ؛ المسالك : جنا .

٣ المسالك : صفحته ؛ م س : صاحته ؛ ط : ساجته .

٤ ط د : تعقل .

٥ ط د : له تعتلي .

٦ ط . فريده .

٧ ط د : للنحوم ؛ م س : بقى .

وله من أخرى ، أولها :

شكري لنعمك شكرُ الروضِ للديمِ
أبتِ خِلالِكَ إلا كلَّ مَكْرُمَةٍ
سجِيَّةٌ في العلا شابت ذوائبُها
جَيْشٌ أَيْدِيكَ الحسنى تقدُّ لِحَباً
تهزمُ أَعَادِيكَ اللَّائِي إذا فحَصَتْ
والقَّ انتعاشَكَ عند العَثْرِ^٢ منفرداً
والفظُّ جَتَّاهُ^٣ وإن لذت مذاقتهُ
كم من سريرة عَلياً بثَّ أثرها^٤
ومن أفانين صُنِعَ كلُّها نعم
من أيِّ قَطْرٍ يَكْرُ الخَطْبُ تصدمه^٥

ومنها^٦ :

لولاك لم تنتظم في السلكِ لؤلؤة
ولا غدا الشعب منه جدٌ ملتئم

١ ط د : بنت .

٢ د : الوفر ؛ ط . الور .

٣ م س : جفاه .

٤ ط د م : بالشيم ؛ س : بالشم .

٥ د : بت أثرها ؛ س : بت لشرتها .

٦ د : فكر ؛ س : قصر .

٧ م : تصرفه .

٨ د : عتلك .

٩ ومنها ؛ د : ترد في م س .

واليت^١ سعيك^٢ بالتقوى فشافه^٣
 فمجتبيك^٤ كرتاح^٥ رمى نظراً
 ومجتويك^٦ كمغور^٧ أجال^٨ يداً
 دلائل^٩ الفضل^{١٠} في السادات^{١١} واضحة
 تبلى الليالي ولا تبلى عرائيكها
 همى حياك^{١٢} فأحيا ميت^{١٣} كل^{١٤} ترى
 من لي بتأدية^{١٥} الشكر التي كتبت
 حملتني منه ما لو حل^{١٦} في جبل^{١٧}
 ما لي سوى العجز^{١٨} والتقصير^{١٩} من وزر^{٢٠}

بين الملمات^{٢١} نُجْحُ الله من أمم
 في ناضر^{٢٢} من رياض الحزن^{٢٣} مبتسم
 في مزبد^{٢٤} من عباب البحر^{٢٥} ملتطم
 منها الوفاء^{٢٦} ومنها الرعي^{٢٧} للذمم
 وربما جدده^{٢٨}تها لبسة^{٢٩} الكرم
 ولاح برقك^{٣٠} وضاحاً لكل^{٣١} عم
 جدواك^{٣٢} أسطره في صفحتي^{٣٣} عدمي
 لرض^{٣٤} رضوى^{٣٥} وآد^{٣٦} الركن^{٣٧} من لضم
 فاعذر^{٣٨} شكورك^{٣٩} بعض^{٤٠} العذر^{٤١} أو فلم

١ ط. د. س. : وانيت .

٢ م. س. : فشافه .

٣ ط. د. : فمجتبيك . كرتاح : بياض في ط. د. : كثرثار .

٤ م. س. : الدهر .

٥ د. : بتأدية ؛ م. ط. : بهادية .

٦ في النسخ : الفخر .

في ذكر الكاتب أبي الحسن صالح بن صالح الشتمري^١
وإثبات جملة من نظمه ونثره^٢

وأبو الحسن غربي^٣ النشأة ، شتمري الأفق ، شاعر^٤ نائر ، وله من المعرفة
بلسان العرب حظ وافر ، وكلامه^٥ في المماثلة والسجع ، جارٍ على الطبع .
ذاهبٌ بين الجزالة والحلاوة ، من رجل شديد الحياء . كثير الانتقاصِ
والانزواء . يرى الكتابةَ عليه من أشقِّ الأشياء . لا لنبر^٦ طبعٍ وقلتهِ أدب .
بل لضعفِ عصب ، فكان لا يكتبُ الرُّقعةَ إلا في مدّة . وكثيرٌ من الكتاب .
يشقُّ عليه الكتاب ، لزمانةٍ تكون في يده . أو إفراطٍ ضعفٍ في خطه .
وفيما^٧ أثبتُ هنا من نوعي كلامه ، في نثره ونظامه : شاهدٌ على ما وصفته
به ، ومنبّه على فهمه وأدبه .

١ انظر ترجمته في المغرب ١ : ٣٩٧ ورايات المبرزين : ٣٥ (غ) وذكر محقق المغرب أن
له ترجمة في المسالك ٨ ، الورقة ٣٣٤ .
٢ م س : نثره ونظمه .
٣ م س : عربي .
٤ ط د : ومما .

جملة من نثره

له من رقعة في استدعاء خلطة : المحاسن^١ - أعزك الله - على رُتَب وأحوال . وَصُورٍ وَأَشْكَالٍ . فَأَحَقَّهَا بِالْإِعْظَامِ وَالْإِجْلَالِ ، مَا كَانَ مِنْهَا فِي الْخِصَالِ وَالْخِلَالِ ، وَمَا يَتَلَى مِنْ آيَاتِ بَرَاعَتِكَ وَنَبْلِكَ . وَمَعْلُوتَاتِ حَسَبِكَ وَنَسَبِكَ . بَعَثَ عَلَى التَّطَارُحِ عَلَيْكَ ، وَالْحَنِينِ إِلَيْكَ ، وَكَمْ حَنَنْتُ إِلَى الْمُخَاطَبَةِ فَمَلَكْنِي عَنْهَا ارْتِيَادِي لَهَا سَبَباً^١ يُوَطِّئُ^٢ لَهَا كَسَنَفَ [١٠٨ أ] الْقَبُولِ وَالْإِرْتِضَاءِ . إِذَا الْمُهْجُومُ عَلَيْهَا عِنْدَهُمْ ضَرْبٌ مِنَ الْجَفَاءِ^٢ ، وَالْحَنِينُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ يَتَزَايِدُ وَيَتَصَاعَدُ^٣ . إِلَى أَنْ يَبْلُغَ فِي غَايَةِ مَلَكْنِي عَنِ التَّمَالُكِ ، وَأَمْسَكْنِي عَنِ التَّمَاسُكِ .

وفي فصل من أخرى : لو كان البدار^٤ إلى المخاطبة بحكم الاعتقاد ، وعلى حسب المحبة والوداد . لكنتُ أوَّلَ مَنْ أَعْمَلَ كَلِمَةً فِي مَكَاتِبِكَ ، وَأَرْسَلَ قَلَمَهُ لِمُخَاطَبَتِكَ^٥ . لَكِنَّ الْمَخَاطَبَاتِ بَيْنَ النَّاسِ قَلَّمَا تَقَعُ إِلَّا بِعِلَلٍ وَأَسْبَابٍ . كَالدَّخُولِ قَلَّمَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى بَابٍ^٦ .

١ : س : سنى : س : سنا .

٢ انظر ص : ٥٢٧ س ٦ - ٧ حيث كرر ابن بسام نفسه هذه العبارة .

٣ س : يتصاعد ويتزايد .

٤ م : البدر .

٥ م : بمخاطبتك .

٦ انظر أيضاً ص : ٥٢٧ س : ٦ .

ومن أخرى له إلى الوزير الفقيه أبي الحسين ابن سراج : مثلك - أعزك
الله - لا يُغربُ عليه بمقال^٢ . ولا يُقَعِّعُ له باحتفال^٣ ، فإنَّ العلومَ الشريفةَ
بأصلها ، والآداب الرفيعةَ بجمالها ، مشهورةٌ بروايتك ، محصورةٌ بدرابتك ،
محظوظةٌ بحِفْظِكَ لها^٤ . مَحْوَطَةٌ بِإِحْاطَتِكَ بها ، والبلاغةُ التي هيَ
أفضلُ ثمراتها . وأطيبُ طبيباتها ، لا تعزى حقايقها إلا إليك ، ولا تُلْفَى^٥
معجزاتها إلاَّ لديك ، ولا يُقْتَدَى في سُنَنِهَا إلاَّ بك ، ولا يُعْتَرَفُ فيها
بالعجزِ والتقصيرِ إلاَّ لك ، ولذلك^٦ أوجزتُ في كتابي هذا ، وتركتُ طريق^٧
السجعِ حياءً من التعرضِ لصناعةٍ قد انفردتْ أنتَ بفضلها ، وسبقتْ أهلَ
الزمانِ في ميدانها ، وأخذتْ عليهم مسالكها ، وأحرزتْ شَرَفَ الدلالة^٨
في مجاهلها .

وله من أخرى : كلُّ فَعَالٍ يَقْصِرُ عن فَعَالِيكَ ، وكلُّ إِجْمَالٍ
يَنْزُرُ عِنْدَ إِجْمَالِكَ ، وإنك فاضلٌ أَهْلُ زَمَانِكَ ، ومقالةٌ عَيْنِ أَوَانِكَ ،
فلو خاطبتُكَ بلسانِ الوائليِّ والإياديِّ^{١٠} مخاطبةً جريتُ معها طَلَقَ الْجَمُوحِ ،

١ له : زيادة من م س .

٢ ط د : يعزب عليه مقال .

٣ م س : باحتفال

٤ لها : سقطت من م س .

٥ ط د س : تلقى .

٦ ولا يقتدي ولذلك : سقطت من س م .

٧ م س : طريقة .

٨ س م : الأدلة ؛ د : الدالة .

٩ ط : عن ؛ د : عنه .

١٠ الوائلي : سعيان وائل ، والإيادي : قس بن ساعدة .

وهيبتُ لها هُبوبَ اليمانيةِ النفوحِ^١ ، وشحنتها بفصولِ الإعظامِ والإجلالِ ،
وبلغتُ بها غايةَ^٢ الاحتفالِ ، سعايةً في الوصولِ إلى قضاءِ حَقِّكَ ، وعنايةً
بأداءِ الواجبِ المتعينِ لك ، لكنكُ في ذلكِ كمنِ جالِ في مناكبِ الأرضِ
يرومُ الإحاطةَ بساحتها ، والوقوفَ على حقيقةِ مساحتها .

وإذا كانَ التطويلُ : لا يُبْلَغُ معه المأمولُ ، فالإضرابُ^٣ أجملُ ،
والخطابُ دونهُ أسهلُ ؛ بهذهِ العينِ نظرتُ ، بعدَ ما صدرتُ ، ولذلكِ ما
قَصَّرتُ واختصرتُ ، فحبستُ العنانَ في أولِ الطَّلَقِ ، وصرفتُ العنايةَ
لها إلى الأحقِّ بها والأخلاقِ ، وصرفتُها إلى أنِ جمعتُ بينِ الاختصارِ والاعتذارِ ،
وتشفَّعتُ بالاقرارِ إلى الاغتفارِ^٤ ، وإنَّ ذلكَ لما يجعلُ المَعذرةَ في حيزِ
الاعتذارِ . لا سيَّما عندَ مَنْ أصلُهُ أَصْلُكَ ، وفضْلُهُ فَضْلُكَ . ممَّنِ إذا
تُشفَّعَ إليه ، ورُغِبَ فيما لديه ، جاءتِ الشفاعةُ بينَ قريبتينِ : من شرفِ
قديمٍ^٥ ، وسلفِ كريمٍ ، ومعونتينِ : من سريرةٍ جميلةٍ ، ونحيزةٍ نبيلةٍ .

وفي فصلٍ له من أخرى : ومن الحقائقِ التي بَرِحَ فيها^٦ الخفاءُ ، واستوى
في علمها العلماءُ والجهلاءُ ، وأقرَّ لها الأعداءُ والأولياءُ^٧ ، أني متى أهبتُ
بك إلى الإخاءِ . وهزرتُكَ بِوَصْفِ ما أنا عليه في الخلوصِ والصفاءِ ، فإنَّما

١ النفوح : سقطت من س م .

٢ م س : أبعد غاية .

٣ ط : فالاضطراب .

٤ س : الاعتذار

٥ قديم : زيادة من س م .

٦ س : معها .

٧ س م : وأقر بها الأعداء كما أقر بها الأولياء .

أهبتُ بمن له في الكرم ، شهرةُ العَلَمِ ، وفي السؤدد ، منزلةُ الفَرْقَدِ ،
ويأبى - لا محالة^١ - ذلك الكرمُ الراسخُ ، والشرفُ المنيفُ الباذخُ ، إلاَّ
أن يبلِّغاني من ودك أملي ، ويعطيني من جميلِ اعتقادك حتى أقولَ :
بِجَلِّي ، وينقلاني من الوقوفِ على فضلكَ بالأخبارِ ، إلى الوقوفِ عليه
بالاختبارِ ، فيصيرَ علمي بكَ علمين ، و يقيني بكَ يقينين ، لا زال الزمانُ
يُبْدي من أسرارِ فضائلك ، ويُهْدي من أزهارِ شمائلك ، ما يَصُورُ^٢
القلوبَ^٣ إليك ، ويطلبُ الألسنةَ بالدعاءِ لك والثناءِ عليك .

وله من رقعة عتاب : إنَّ الله ، لقد غرقتُ من غيشكَ في بحرٍ عميقٍ^٤ ،
وامتحنيتُ منكَ بعدوَّ في ثيابِ صديقٍ^٥ :

ومن نكدهِ الدنيا على الحرِّ أن يرى عدوًّا له ما من صداقته بُدُّ^٦

وقد كنت خاطبتك - لا مَسَّكَ خَطْبٌ ، ولا فُلَّ لكَ غَرْبٌ ، جارياً
- علم الله - إلى التحقيقِ ، آخذاً بما يلتزمهُ الصديقُ للصديقِ ، [١٠٨ ب]
غيرَ ملتفتٍ إلى تلك البوادرِ التي كانت الدعابةُ تجريها ، وإدلالُ الودادِ السببَ
فيها : وما كان في كتابي شيءٌ يَتَّهمُهُ مَنْ أخلَصَ نيَّةً ، وأوى إلى حُسْنِ

١ ط د : ويأبى ذلك لا محالة .

٢ ط س : يصون .

٣ م : القلب .

٤ ط م س : غميق .

٥ من قول أبي نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

٦ للمتنبى ، انظر دهباه : ١٨٤ .

طويّة ، اللهم إلا إن كان ما ضمّنته من التبجيل ، قد حرّفتهُ عن الوجه الجميل ، وتأولتّه أقبح التأويل .

قال ابنُ بسّام : ومما لوّح فيه بالعتاب ، وزخرف بالتصنّع ظاهر الخطاب ، رقعةٌ خاطب بها منٌ أحوجته الأيامُ إلى مصانعه ، وقد بدت منه بوادٍ صوّب فيها وصعد ، وقام وقعد ، قال^٢ فيها :

معلومٌ - أعزك الله - أن لكلِّ مقامٍ مقالاً ، ولكلِّ حالٍ تناولاً وحوالاً ، وكما لا يصلحُ الإكثار في كلِّ خطاب ، فكذلك الاختصارُ لا يسوغُ في كلِّ كتاب ، وفي النفسِ كرامنٌ لا يمكنُ تبيينها عليك ، وتقريرها لديك ، إلا بالتطويل ، وإن أصر إلى التثقيب ، وأنت بعُلاك تصرفُ إليها بالك . لما وهبَ لنا أيها العمادُ من عرفانِك ما وهبَ ، وسبّبَ من التعلقِ بك ما سبّبَ . رأيتني قد رقيتُ إلى جوار الأفلاك ، وجعلتُ الأخمصَ على ذروة السّمك ، لما رجوتُ من الاعتزاز بجانبك العزيز .

وفي فصل منها : ولاني بحمدِ الله لمئن إذا علّمَ أكرمٍ ، وإذا جرّبَ قرّب ، وإذا خبيره ادّخيره ، أما الإكرام فلما أحمله من الأدب ، الذي به يرتقى إلى عليّات الرُتب ، وأما الادّخار فلاعتمالي في أحوالي ، وثقة جعلها الله من خلالي ، وعندني من الآلات التي تبعثُ على اتخاذي واستعمالي :

١ ط م س : بوداد (واقراً : بودار) .

٢ موضع قال : بيّض في ط .

٣ م س : وان لكل .

٤ م : وحذالا ، س : وخطالا .

٥ ط د : أخبر .

أني أقولُ من الشعر أبدعهُ ، ومن النثر أرفعه ١ ، وأنقدُ النقدَ الذي قلُّ
من يجاريني فيه ، ويباريني ٢ في التكلّم على معانيه . وإن كان خطّي
لا يلحقُ بالخطوطِ القوية الكتابية فإن ضعفهُ لثيمتهُ على جيدٍ لفظي ،
ونميتهُ على ذكاءٍ فهمي واتساعِ حفظي ؛ فمن المعلوم المعروف . أن العلماء
مخصوصون بضؤولة الخطوطِ ولطافة الحروف ، فكلُّ ٣ يشهدُ أنني أنهضُ
إلى المطولات ، وأقدرُ على المخاطبات السلطانيات ، وما أنا ممّن يفتخر
بخدمته الزمام ، ويجعلها ذريعةً ٤ إلى الإكرام :

معاذٍ إلهي إنني وعشيرتي بنفسيّ^٥ عن ذاك المقامٍ لراغبُ

ولكنني أفخرُ - عند الاضطرار إلى الافتخار - أني حاملُ رواياتٍ ،
وحافظُ لغاتٍ ، وذو شمائلٍ تُنسبُ إلى مكرماتٍ ، وما تطارحتُ قطُّ
على زاهدٍ فيّ ، ولا أظهرتُ حرصاً على غيرِ حريصٍ عليّ ، بل كنتُ
أقابلُ الإباءِ بنظيره ، وأظهر الاستغناء بظهيره ، وأنشد :

ولستُ بساقطٍ في قِدرِ قومٍ وإن كرموا ، كما يقعُ الذبابُ
ورائي مذهبٌ عن كلِّ ناءٍ بجانبه إذا عزَّ الذهابُ

ولست أضربَ المثلَ في سقوطي عليك ، وانجذابي إليك ، ولكنني أقول :

١ د : أسعته ؛ ط : أبد (ثم بياض) .

٢ ط : ويماريني ؛ د : ويماريني .

٣ م س : وكل .

٤ ذريعة : سقطت من ط : وفي م : ضريعة .

٥ م : ونفسي .

إني أسقط^١ سقوطَ الطلِّ على الرياض ، وأتزيّن^٢ بخدمتك تزيّنَ الجمالِ
بالبياض .

وله فصل في صفة القلم : بخطِّ البراعة ، يُنالُ حظُّ البراعة ، وأفضلُ
أقلامِ الكتاب ، المنتخبة للكتاب ، ما لم يكن في طوله تعوّج ، ولا في صلابته
ترجُّجٌ ، وكانت خصوصيةُ العنصرِ الذي نماه ، وسجيةُ المنبتِ الذي إليه
متماه ، قد أخذتْ به ما بين الدقّةِ المتناهية التي لا تُستَحسَنُ ، والغِلَطِ
المفرطِ الذي يُستَحسَنُ ، وأقرّته^٣ على المقدارِ الذي لا يقعُ اختيارُ الكاتبِ
على سواه ، ولا يتعدّاهُ اقتراحهُ ولا يتخطّاهُ ، ثم انتحى برّيه^٤ ذو يمينٍ
رفيقة ، وسكّين رقيقة ، فأجاد الشقَّ وأحكم القطّ ، وجاء به غير شاقّ
ولا عاق^٥ ، سلس الجريان إذا أرسل ، موافقاً للبنانِ إذا أعْمِل ، مُعْطياً ،
لقيامه . غيرَ بخيلٍ بمداهه ، تبتناه^٦ الأناملُ فترامهُ^٧ ، [١٠٩ أ] وتواصلُ
العملِ به فلا تسأمهُ .

قال ابن بسّام : ومن البديع في وصف القلم ما حكاه العتّابي عن نفسه
قال^٥ : سألتُ الأصمعيّ فقال : أيُّ الأنابيبِ أصلحُ للكتابةِ وعليها أصبر ؟
قلت : ما تشيف بالهجير^٦ ماؤه^٧ ، وستر^٧ عن تلويحه غشاؤه ، من التبريّةِ

١ إني أسقط : زيادة من م س .

٢ م س : وأقر به .

٣ ط . شان ولا عان .

٤ ط د : معط .

٥ زهر الآداب : ٦١٩

٦ م س : في الهجير .

٧ زهر : وسيره .

القشور ، الدرّة الظهور ، الفضيّة الكسور ؛ قال : فأَيُّ نوعٍ من البرّي
أَكْتَبُ وَأَصُوبُ ؟ قلت : البرّيّة المستويّة القطّ ، عن يمين سنّها بريّة تَأْمَنُ
معها المَجّة عند المطّ ، الهوائُ في مشقّها فتيق ، والريحُ في جوفها خريق ،
والمدادُ في خرطومها رقيق . قال : فبقي الأصمعي شاخصاً إلي ضاحكاً لا يبحر
مسألةً ولا جواباً^١ :

وهذه أيضاً^٢ قطعة من شعره

قال يتغرّل^٣ :

أملي من الدنيا تيسّرُ خَلْوَةٌ أبكي بها وأبثُ سرّ هواكِ
حولي وحولك أعين ومسامعٌ أخفي الهوى عنهنّ عند لقاءك^٤
حذراً عليكِ فديتِ بي وبخافة^٥ أن يقصروك^٦ ويحببوا مرآك^٦
لولا الحياءُ وأنّ تشيع سريرتي لنترت^٧ شمل الدمعِ حين أراك

ومن شعره الطيار المليح ، المتناهي في خفة الروح . قوله^٨ :

١ لا يبحر . . . جواباً : سقط من م س .

٢ أيضاً : سقطت من م س .

٣ انظر المغرب ١ : ٣٩٧ .

٤ المغرب : إذ ألقاك .

٥ س : يبصروك .

٦ ط د : مأواك .

٧ المغرب : بددت .

٨ البيتان في المغرب ، وقد وردا في الذخيرة ٣ : ٤٩٠ ونسبهما صاحب الذخيرة له هناك أيضاً ،

وصرح ابن سعيد بأنهما قد ينسبان أيضاً لأبي محمد ابن سارة .

أسنى ليالي الدهر عندي ليلة
فرقتُ فيها بين جفني والكرى
لم أخلِ فيها الكأس من إعمالِ
وجمعتُ بين القرطِ والخلكخالِ

وقوله :

للحسنِ في خَلْقٍ من أهوى خلائقهُ
فالجيدُ سوسنة والعينُ نرجسةُ
روضِ بهيِّ بسيفِ اللحظِ محميُّ
والحدُّ وردٌ وذاك الخالُ خيرِي

وقال :

لله ما صنع الحياءُ بصفحةٍ
كان البياضُ بها بلحياً خالصاً
لم تُبقِ عندي للتجلدِ مذهباً
فأحاله فغداً بلحياً مذهباً

وقال :

أبدى الحبيبُ تعجباً من طولِ مكِ
لم يدري أنَّ دوامهُ في منزلي
ث الوردِ عندي عندما أهداهُ
من أجلِ أنَّ مدامي سقيه

وقال :

وصافيةٍ كعتقدِ الصديقِ
كأن بكأسها ما تشكيه^٢
لها في الكأسِ إيماضُ البروقِ
قلوبُ العاشقين من الحريقِ
رأيتَ له أناملَ من عقيق^٣
يعللني لماه على الرحيقِ
إذا قبضتُ يدُ الساقِ عليها
شربتُ وصاحبي عذبُ الثنايا

١ د : فقدي .

٢ م س : تشكبه .

٣ ط : عقوق .

وقال :

وصهباء لم تُنْسَسْ بنايٍ ولم تُذَلْ بعَصْرِ ولم ١ توَهَنَ قواها ٢ بماءٍ
لخاني عليها مَنْ لَخَا فزجرتهُ وقلت له : مَهْ لست من قُرْنائي
سأشربها ما سَوَّغَ الدهرُ شربها وعفُو إلهِ العالمين ورائي

ومما أبهم فيه ، وإنما يكني عن قَدَحٍ فخَّارٍ مزفتٍ ٣ قد اتخذ للمشروب :

وخلٌ ٤ إذا قلَّ المَجِيون لم يزلُ إلى كلِّ ما أَدْعُو إليه مجيبي
غدوتُ أخا التوفيقِ لما اتَّخَذتُهُ أديبَ السَّجايا وفقَ كلِّ أديب
تخبرتهُ من نَجْرِ آدمَ خالصاً فكان أخي في نَجْرِهِ ونسيبي [١٠٩ب]

وله يمازحُ بعضُ إخوانه :

خُذْ ما أتاك من الزمانِ ولا تُطِيلُ في إثرِ ما قد فاتك البُرْحَاءُ
ماذا ترى في فلذة ٤ رشراشة ورُقاقة ٥ ورقيقة ٥ صفراءَ
إن كان عندك ما ذكرونا كلُّهُ وبعثتُ فينا لم تَخَفُ إبطاءَ

وقال :

ألا يا خيرَ مَنْ يُبَغِي نِداه وَيُسَعِي نحو منزله وَيُمشي
تحنُّ إلى بناتِ البحرِ نفسي وأكرهُ أن تموتَ لديَّ عطشى

١ ط د : ولا .

٢ اقرأ الألف الأخيرة من « قواها » بالقصر .

٣ مزفت : زيادة من م س .

٤ س م : بلدة .

٥ م : ورقيقة ؛ س : وفريقة .

وله يفتخر من كلمةٍ طويلة^١ :

خليليّ ليس المجدُ إلاّ لعالمِ
أخوالعلم حيثُ احتلّ أضحيّ مكرّماً
وذوالجهل معدود^٢، وإن كان سيّداً
وإني لمنن فاز بالعلم قدحهُ
ولي قلّم^٣ قد شرفَ الله شأنهُ
خليليّ ليس الخطأ ما قد عنيتهُ
ولكنه لفظٌ إذا ما وشيتهُ
بلى إن خطي فيه ضعفٌ وإنّما
إذا شئتُ نرأ كنتُ أنثرَ نائِرِ

ومنها :

تكلّمني الخوّباءُ لا درّ درّها^٤
تقولُ أحبُّ ذا قرينٍ وصل^٥ ذا وسيلة
أمّا إنني لو نلتُ أيسرَ نزرّة^٥
فآه^٦ لعصرٍ مثلِ أهليه جاهلِ

١ منها أبيات ثلاثة في الفيتّ المسجّم ١ : ١٣٧ .

٢ هـ مش ط : معدوم .

٣ به : م تردد في ط ؛ د : عل .

٤ م س : لله درها .

٥ الفيتّ : يسرة .

٦ الفيتّ : فآها .

٧ م : المودة .

وله من أخرى يصف شروط المروعة ومكارم الأخلاق^١ :

أحبُّ من الأَقوامِ كلَّ نَجيبٍ^٢ شريفٍ زكيٍّ الوالدينِ حَسِيبِ
وإني للنو علمٍ صحيحٍ يقينُهُ بأنَّ صديقَ الصدقِ غيرُ غريبِ
ومن خلَّعتني إذا ما وجدتهُ شدتُ عليه منه كفٌّ رَغِيبِ
وإنَّ نصيبَ الجارِ عند احتياجه إلى العونِ في مالي لمثلُ^٣ نصيبي
وإنَّ بعيدَ القومِ ينزلُ ساحتي ويأوي إلى ركني لمثلُ قريبِ
أهينُ له مالي وأحفظُ ماله وآتية من برِّي بكلِّ عَجِيبِ
وألقي الخطوبَ السودَ في الذبِّ دونه لقاءَ أخي صدرٍ لمن رَحِيبِ
وجدك لو كان الزمانُ مساعدي وكان الذي في راحتي يغي بي
لأنفيتي جمَّ الفضائلِ منعماً كثيرًا إلى الفعلِ الجميلِ هبوبي [١١٠ أ]
تجودُ يدي قبلَ السؤالِ وتمتري طلبَ الندى جدوايَ غيرَ طلبِ
لما الله وهاباً بطيئاً جاوزهُ يجيء الذي يُعطيه بعدَ لغوبِ
ولكنَّ وهاباً يهبُ إلى الندى كما هبَّ غضبٌ في يمينِ ضروبِ
يحاذرُهُ أحداثُ الليالي وقلمًا خلا من توقيهنَّ قلبُ لبيبِ
ويرتابُ^٤ بالأيامِ عند سكونها وما ارتابَ بالأيامِ غيرُ أريبِ
وما الدهرُ في حالِ السكونِ بساكنٍ ولكنَّه مستجمعٌ لوثوبِ
لقد عاينَ الأيامَ منْ خافَ غدرها بعيني بصيرٍ بالأمرِ طيبِ

١ منها ثلاثة أبيات في الفَيْث المَجْم ٢ : ١٩٨ .

٢ ط د : محيب .

٣ ط د : بمثل .

٤ م : مالي .

٥ الفَيْث : تحاذر : م : يحادث .

٦ الفَيْث : وترتاب .

وقال في مثل ذلك :

حبيبٌ إليّ الدهرَ إعطاءُ سائلي
أهزُّ طباعي بل طباعي تهزني
وراح كما أفرَّ الصباحُ سبأها
نضوتُ بها عنه جلايبَ ليلِهِ
وما زلتُ أسقيه وأشربُ فضلهُ
إلى أن تنهى طيبهُ ونعيمهُ
فوطأتُ مئوى جنبهِ وكنتتُهُ
وقلتُ له لما تعاضمَ عندهُ
حلمتُ بنا ليلاً وقد قُسمَ القرى
أقيمُ عندنا تستوفِ ما أنت أهلهُ
ولاني لمن تعربه كتابةُ
ولاكرامُ قُصَّادي وعونُ خليلي
إلى الجودِ لا أرضى طباعَ بخيل
لطارقِ ليلٍ ما عليَّ جليل
فعمَّوضَ من تعريسه بمقيل
وكأسُ الكريمِ الفضلِ ذاتُ فضول
ومالتُ به الصهباءُ كلَّ مميل
بضافٍ لصنبرِ الشتاءِ قتل
صنيعي به ، هذا أقلُّ قليل
فلم يبقَ منه مَنعٌ لأكيل
فأنتَ لدينا أهلُ كلِّ جميل
إذا آذنتُ أضيافهُ برحيل

وهذا من حرِّ الكلام ، وجزَلِ النظام ، وسجِّة حاتمية ، وشنْشنة
أعرابية ، وإنما احتذى أبو الحسن في هذا قول أبي عامر بن شهيد القرطبي
في أبيات ، وقد تقدّم إنشادها ، أولها ١ :

ولما رأيتُ الليلَ عسكَرَ قمرهُ وهبَّتْ له ريحانِ تلتطمانِ

١ الذخيرة ، القسم الأول : ٣١١ وديوان ابن شهيد : ١٦٣ وجواب « لما » قوله :
ومعت الساري الليل نار بن فارتأى شعاعين تحت النجم يلتقيان
وسائر القصيدة في الخفوة بالضيف على نسق شبيه بما أتى به الششمري .

فصل في ذكر الوزير أبي الحكم عمرو بن مدحج وأبي الوليد ابن عمه ، ابني حزم ، وإيراد بعض ما لهما من ملح النظم

وأبو الحكم^١ منهما في وقتنا شقيق الوفاء ، وخاتمة^٢ مَنْ حَمَلَ هذا الاسم من النجباء ، وكان نادرة الوقت لمن اتخذ الإحسان قبلةً ، وَحُجَّةً على من جعل النقصان جبلةً ، إذ عن كلِّ قوسٍ من الفخر نزع^٣ ، وفي كلِّ أفقٍ من علوِّ القدر طلع ، أول ما نشأ بدرَ فلك ، ومسحةً ملك ، وإكليلاً على جبين ملك ، قلّما عنّ لنظر إلا راقه ، ولا اختلج ذكره في قلب بشرٍ إلا شاقه ؛ وإياه يعني الوزير أبو الحسن بن سعيد البطليوسي [١١٠ ب] وقد غلب على لبّه ، وأخذ بمجامع قلبه ، عجباً منه أو عجباً به^٤ :

رأى صاحبي عمراً فكلفَ وَصَفَهُ^١ وحمّلني من ذلك ما ليس في الطوقِ
فقلت له عمرو كعمرو فقال لي صدقت ولكن ذلك شبّ عن الطوقِ

وفيه أيضاً يقول الوزير أبو محمد بن عبدون من جملة أبيات^٤ :

١ ترجمة أبي الحكم عمرو بن مدحج بن حزم الاشبيلي في المغرب ١ : ٢٣٨ والمساك ١١ : ٤٣٢

وله شعر في النفع ٣ : ٤٧١ .

٢ نزع : سقطت من ط د .

٣ انظر نفع الطيب ١ : ٦٣٦ ، ٣ : ٤٧٠ والمغرب والمساك ؛ وفي س م أنه أبو الحسن

ابن السيد ، وهو خطأ ، لأن ابن السيد كنيته أبو محمد ، وأما ابن سعيد هذا فترجمته تجمي

في هذا القسم من الذخيرة .

٤ نفع الطيب ٣ : ٤٧٠ .

يا عمرو رُدَّ على الصدورِ قلوبَها من غيرِ تقطيعٍ ولا تحريقٍ
وَزُرِ الثريَّا وهي نحنُ بكوكبٍ لولا العقوقُ لقلتُ بالعيوقِ
وأدرُ علينا من خلاليكَ أكوساً لم تألُ تسكرنا بغيرِ رحدٍ
رفيه أيضاً يقول أحدهما ١ :

قل لعمرو بن مذحج خاب ما كنتُ أرنجي
شاربٌ من زبرجدٍ ولميٍّ من بنفسج

فلما همَّ ليلُهُ بنهاره ، ودبَّ على سيفٍ وجنته فرندُ عذاره ، راع المجدَّ
بجزمٍ وكرمٍ ٢ ، ونبوة٣ سيفٍ وقلمٍ ، ممَّنْ سارى نجومَ الليلِ : واحتلَّ ٤ صهواتِ
الخيلِ ، وعلى ذلك كلُّه فلم ينسَ مكارمَ الأخلاقِ ، ولا خلا ذِكرُهُ من
قلوبِ العشاقِ ؛ وله في الأدبِ سَبَقُ سَلَفٍ ، ومنه بيتُ شرفٍ ، وله شعرٌ
مطروحٌ قلَّما يغبه البديعُ ، وقد أتيتُ منه بفصولٍ ، تشهد له بالتميزِ ٥ .

- ١ نفع الطيب ٣ : ٤٧٠ والمسالك ونسبهما العمري لابن عبدون .
٢ س ط د والمسالك : بحر كرم ، وأثبت ما في المغرب .
٣ ط س : وأسوة ؛ والمسالك : وأسرة .
٤ ط د : وأصل ، وبهامش ط : لعله : وأسهل ؛ المغرب : وتقلب في ؛ س
والمسالك : وأمل .
٥ وفيه أيضاً يقول الوزير . . . بالتميز : سقط من م وحدها .

جملة من شعره في أوصاف شتى

كتب إليه الوزير أبو محمد عبدون بأبيات قال فيها ^١ :

سلام^٢ كما هبت من الحزنِ نفحة^٣ تنفسَ قبل^٤ الفجر في وجهها الزهرُ
من الوارف^٥ الفينان وشتت برودة^٦ ذراع^٧ من الليث ، الثريا له شبر^٨
ولاء^٩ يد^{١٠} حزيمة مذحجية^{١١} تقشع عنها مذحج^{١٢} فانهمى عمرو
فجاد على تلك الأجارع والرّبي رواعده^{١٣} وعد^{١٤} وبارقه^{١٥} بشر
أبا حكم^{١٦} أبلغ سلام^{١٧} فمي يدَي^{١٨} أبي حسن^{١٩} وارفق^{٢٠} فكلتاها بحر
ولا تنس^{٢١} يملك^{٢٢} التي^{٢٣} هي^{٢٤} والندی

فراجعه أبو الحكم بأبيات منها ^{٢٥} :

أنى النظم^{٢٦} كالنظم الذي تردهي به عروس^{٢٧} من الجوزاء إكليلها لبدر^{٢٨}
تجلت^{٢٩} لنا^{٣٠} منه بخطك^{٣١} رقعة^{٣٢} هي الروضة الغناء كللها الزهر

١ النفع ٣ : ٤٧٠ - ٤٧١ .

٢ النفع : عند .

٣ ط : الوافر .

٤ م : الميث ؛ ط : ستر .

٥ ط د : وارفقي .

٦ م : ولا تنس لي تلك التي .

٧ انظر النفع ٣ : ٤٧١ والمسالك ١١ : ٤٣٢ - ٤٣٣ والمغرب ١ : ٢٣٨ .

٨ ط م : تجلت .

تخيّر ذهني في مجاري صفائهِ فلم أدّر شعراً ما به فهت أم سحر
فان قلتُ شعراً فالقلوبُ شعارهُ وإن قلتُ سحرّاً فهو سحرٌ ولا كفر
أرى الدهرَ أعطاك التقدّمَ في العلا وإن كان قد أوفى أخيراً بك الدهر
لئن حازتِ الدنيا بك الفضلَ آخراً ففي أخرياتِ الليلِ ينبلجُ الفجر

قول أبي محمد: «... أبلغ سلام فمي يدي» ... ، معنى قد كرره في
مواضع من شعره كقوله في المتوكل :

إن كنت من أصلي ومن عصبي أو كنت من فرعٍ نأى ومجدُ
ببلغُ سلام فمي يدي ملكٍ غابَ الملوكُ عن العلا وشهدا

وحسان بن المصيصي القائل من شعر قد تقدّم إنشاده^٢ : [١١١]

من مبلغُ يدهُ أني نظمتُ لها شكراً جعلتُ قوافيه من القبلِ

وقال أبو الحكم في صديقٍ كان له به هوى يسمّى باسمه :

يا مَنْ شكا فشكا جسمي بشكواه الله يكلاّني فيه وبرعاهُ
ربا ضنى جسدي بالله صيلُ جسدي ونخلٌ عنه ولا تُلميمٌ بمشواه
عمرو بصروٍ ولكن في مُحتملٍ لما تجشّمه من برحِ بلواه
الحمدُ لله حتى السقمُ نافسي فيه فأضحى كما أهواه يهواه
عينُ الكمالِ أصابتي ولي كبدِ مصدوعة فيه إن لم يدفعِ الله

١ ورد البيت في هذا القسم : ٤٤٢ .

٢ انظر ما تقدم ص : ٤٣٩ .

وله فيه وقد سقط عن دابته ووئيت رجله ١ :

لقد أسرع فيك العيون وإنما جميل دفاع الله عنك التمام
وما أنت إلا البدر طارت بسرجه عقاب لها الريح^٢ الخريق قوادم
ولا غرو أن طافت برجلك وثأة^٣ لها المجد خفاق الجناحين حاتم
فقد ترجف الأفلاك في دورانها وتنقض^٤ أعلام^٥ النجوم العواتم

وكتب إلى الوزير أبي محمد بن عبدون ٤ :

زرتي فديتك يا زعيم الناس لرى بدوراً من كبار أناس
أنت الهزبر وهم جاذر جاسم^٥ قد خيموا من منزلي بكناس
من كل من أثوابه مزرورة منه بغصن البانة المياس
يا راضعاً در المكارم قف بنا « ما في وقوفك ساعة من باس »^٥

وله في عمرو المتقدم الذكر :

يا عمرو إنك لعبة من سكر^٦ فإذا مررت بسكر فتذكر
ما شان وجهك نمشة في صفحة فبذاك يوصف كل بدر أزهر
يحمز أحياناً فأحسب أنه^٦ ورد ينتقط صفة بالعينر

١ انظر المغرب ١ : ٢٣٨

٢ ط د : الجو .

٣ ط د : قائم .

٤ المسالك ١١ : ٤٣٣ .

٥ صدر بيت لأبي تمام (ديوانه ٢ : ٢٤٢) وعجزه : نقضي دمام الأربع الأدراس .

٦ ط : في .

أضمرتُ فيك صبايتي فوشى بها دمع فككتُ به صحيفةً مضمرة
من ذا يفرقُ بيننا وجلالنا متكافئ في المنتهى والعنصر

وكتب إلى الوزير أبي العلاء بن زهر :

يا من نضا العزمُ منه صارماً ختدِ ما توشح المرهفين السيفَ والقلما
أفرش^١ بمغدىّ ومسرّى حرّاً أوجهنا وبعدها فانتعلُ أبصارنا أدماء
وما بأنفسنا بجل عليك فقد سارت أمامك تعدو البعدَ والأما
أبا العلاء ابنِ للعليا تشيد ما أضاع منه بنو التضييع فأنهدما^٢
لا زال شَمْلُكَ في وِردٍ وفي صدرِ على اقتراحِ المعالي فيك منتظما

وله فيه^٣ :

ضَحَّ الرحلَ في حمصٍ بأيمنِ طائر ووالِ اصطناعَ الخيرِ فيها وظاهرِ
فما هو إلا السَرُّو بين موارد تصاحبه طولَ المدى ومصادرِ [١١١ب]
لعمرُ العلاء لولا أبوها، وذكره^٤ لما شاقني برقُ بيسرقةٍ صادرِ
ولا بتُ والظلماءُ إثمُدُ مقلي يؤرقها بيضُ النجومِ الزواهرِ
وهبتُ فؤادي للبشيرِ بأوبه^٤ سليماً ولم أبخلُ عليه بناظري
وأصغرُ بموهوبٍ وإنْ جلَّ قدره يقضي به الأحرارُ حقَّ الأكابرِ
وإني وإعظامي لسؤدده الذي يعظّمه أهلُ النهى والبصائرِ
لألحى الليلي إنهنَّ قعدنَ بي

١ د : اسرف .

٢ لم يرد البيت في ط د .

٣ منها ثلاثة أبيات في المسالك ١١ : ٤٣٣ .

٤ م : أبوه .

فلو نهضتُ بي قدرة هزرتُ في
وما ليَ مركوبِ سوى رجليَ التي
غمامِ عدائي عن غمامِ كلاهما
وله فيه :

متى نجتلي منك ابنَ زُهريَ نواظري
فقد دَويتُ شوقاً إليك جوانحي
وأعجبُ مني كيف أصبحتُ جارَ من
وله ٢ :

قدمتَ علينا والزمانُ جديدُ
وعيشِ العلالولا مراتبُك العُلى
فيا ناهضاً والجِدُّ والجَدُّ صحبهُ
لقيتَ أميرَ المسلمين وظلُّهُ
فقمْ بالمعالي واستقلْ بملكها
ولو حوا بني زهر فانَّ وجوهكم
وله فيه ٤ :

١ ط د : وحياء .

٢ منها ثلاثة أبيات في النفع ٣ : ٤٧١ .

٣ النفع : وحق .

٤ منها بيتان في المغرب ١ : ٢٣٩ .

يا جالياً وجه السعادة^١ واضحا
صبرٌ مجنكَ صفحتي قمر الدجى
الله يعلمُ أنَ بينَ جوانحي
دمٌ للعلاء أبا العلاء مصاحباً
ومقلّباً طَرْفَ النباهة طامحا
وسِنانَ رايتكَ السماءَ الراحما
قلباً إليكَ مدى الليالي جانحا
واقْتدُ زمانكَ ساحماً لا جامحا

وله فيه وقد جاز البحر معه ، فقال ٢ :

يا ابنَ زُهْرٍ طأ الثريا عبيراً
وتلقَ الهواءَ وهو طليق
ما ترى الريحَ كيف هبّتَ رخاءً
وَضَحَى البحرُ هيبَةً لكَ لَمّا
عَمَرَتْهُ من راحتيكَ بحار
فَرِقَ اللُّجُ منك حتى استطارت
جزءهُ يا ابنَ الكرام أرضاً ذلولاً
وانتضِ الحزمَ حيثُ كنتَ حساماً
وتفياً علاكَ ظلاً ظليلاً
وحصى البيدِ لؤلؤاً وعقيقا
كمحيّكَ حين تلقى الصديقا
لكَ بعد الهبوب ريحاً خريقا
جئتُهُ سالكاً عليه طريقا
صاح من موجها^٣ الغريقَ الغريقا
منه أحشاؤه فريقا فريقا
أوفقتُهُ إن شئتَ طرفاً عتيقا [١١٢أ]
واصحبِ النُججَ حيثُ كنتَ رفيقا
وتنشقُ ذكراكَ مسكاً فتيقا

وكتب إلى أبي الوليد ابن عمّه ، فقال ٤ :

لاني لأعجبُ أن يدنو بنا وطنٌ
ولا يُقَصّي من اللقيا لنا وطراً .

١ م : السيادة .

٢ فقال : زيادة من م س ؛ وانظر المسالك ١١ : ٤٣٣ .

٣ المسالك ؛ من بعدها ؛ م : وجهها .

٤ فقال : زيادة من م س ؛ ومنها بيتان في المسالك وثلاثة في النفع .

لا غرو أن بَعُدَت دَارُ مِصَابِقَةٍ
فمَحَجِرُ العَيْنِ لَا يَلْقَاهُ نَاطِرُهَا
صَبْرًا جَمِيلًا وَإِنْ أَبَدَى الزَّمَانُ لَنَا
وَيِنْنَا فِقْرٌ يَجْرِي المِزَاحُ بِهَا
نُثْرًا وَنِظْمًا مِنَ الآدَابِ بَيْنَهُمَا
بنا وجدَّ بنا في الحضرة^١ السفر
وقد توسَّع في الدنيا به النظر
غيرَ الجميل فلنا معشرٌ صَبْرٌ
كالغُنْجِ في أعينِ مرضى بها حور
سحرُ البلاغةِ منظومٌ ومنتثرٌ

بيته الثالث من هذه يتطرف قول الآخر :

كَم وَالِدٍ يَحْرِمُ أَوْلَادَهُ
كَالعَيْنِ لَا تُبْصِرُ مَا حَوْلَهَا
وَخَيْرُهُ يُحِطِّي بِهِ الأَبْعَدُ
وَلِحَظِّهَا يَدْرِكُ مَا يَبْعَدُ

وكتقول الآخر أيضاً :

كَتَجَاوِرِ العَيْنِينَ لَا يَتَلَاقِيَا
أَبْدًا وَبَيْنَهُمَا قَصِيرٌ جِدَارٌ^٢

ومن جواب أبي الوليد له^٣ :

لَبَيْتِكَ لَبَيْكَ أَنْتَ السَّمْعُ وَالبَصْرُ
إِيَّاهُ أبا حَكَمٍ فَالوَدُّ مُقْتَرِبٌ
لَا عَتَبَ فَالوَدُّ يَمْحُو مَا أَتَيْتَ بِهِ
يَنبُو لِسَانِي عَنِ العَتَبِ الصَّالِقِ وَمَا
وإن أتتْ دونك الأحداثُ والغيرُ
وإن تباعدتِ الأشخاصُ والصورُ
حسبي من الذنبِ تجنيه وأعتذر
أزرى بِغَرَبِيَّتِهِ لَا عِيٌّ وَلَا حَصْرُ

١ النفع : للحضرة .

٢ م : قصيد حداد .

٣ انظر المسالك ١١ : ٤٣٣ - ٤٣٤ .

ضئانةٌ بخليلٍ ١ أنْ أفارقهُ
 أراعَ سربكَ يا ابنَ العمِ أنْ درستُ
 إنْ يرفعَ الدهرُ يوماً من خسيستهمُ
 فالدهرُ كالبحرِ تطفو فوقه جيفُ

ما القوسُ إنْ لم يكنْ يوماً لها وتر
 سُبُلُ الوفاءِ فلا عينٌ ولا أثر
 وحطَّ منا ونحنُ الأنجمُ الزهر
 وتستقرُّ بأقصى قعره الدرر

وقدم أبو الحكم من بعض أسفاره ، فكتبت إليه أنا بأبيات منها ٢ :

بني قدومك كلاً يا أبا الحكم
 مذ غبت ما رتقت عيني إلى سنة
 إن كنت من تغلب في بيت سؤدها
 فلم يضيرنا تثنائي النسبتين وقد
 والعدرُ في زمنٍ أنْ جئت في أممٍ
 لا الجليلُ جيلك فاعذرهم ولا تلم

يا دوحةَ العلمِ والآدابِ والحكمِ
 يا عمروُ إلا لكي ألك في الحلمِ
 وكنت من مذحجٍ في السؤدد العمم
 رحنا نسيبين في علمٍ وفي فهم
 لا الجليلُ جيلك فاعذرهم ولا تلم

في أبيات غير هذه ، وعاتبْتُ فيها بعض إخوانه ، فراجعني بأبيات منها

قوله ٣ : [١١٢ ب]

يا مَنْ تناول حُرَّ اللفظِ من أممٍ
 لو أنْ لفظك تُهديه إلى حجَرٍ
 هذي جوارحُ جسي كلُّها أذنُ
 حاشا لنيلك أنْ تخفى معالمهُ

بذي غرارين مثل الصارم الخدمِ
 لما استجيز عليه الوصفُ بالصممِ
 مذ جاء منك بأذني لؤلؤ الكلم
 وهنَّ أشهرُ من نارٍ على علم

١ م س والمسالك : بخليل .

٢ المسالك ١١ : ٤٣٤ .

٣ المصدر نفسه .

٤ المسالك : جاز .

إنْ كان للنبلِ عرنينٌ تُدِلُّ به
 ارددٌ أنوفَ الليالي وهي راغمةٌ
 من تغلبِ أنتِ في علياءِ مركزها
 قومٌ أراد ابنُ هندٍ أن يضيئهمُ
 ماثرٌ قُسمتْ بين الوري وغدا
 رأيتُ نفثةً مصبورٍ بعثتَ بها
 لم تفضِ مني بالشكوى إلى طَلَلِ
 سافر بطرفٍ أو انظر هل ترى يقظاً
 حوادثٌ لم تزل بالحرا لاعةً
 وبيننا قرابةٌ ليست أوامرها
 حُسناً فأنتِ به أبهى من الشمم
 ما لم تكنْ لك في الإذعانِ كالخدم
 فمن يباريك في مجدٍ وفي كرم
 فأوطأوا الرأسَ منه أخصمَ القدم
 للتغليبين منها أوفرُ القِسمِ
 مني إلى متلظي الصدرِ محتدم
 ولم تبتِ عاكفاً مني على صنم
 يحلُّ من طَلَبِ الأيامِ في حرم
 كما تلاعبتِ الأيسارُ بالزلم
 ما بين آدابنا مجفوةَ الرحم

ومن أبناء هذه القبيلة ، وشعراء هذه البيتة الأصيلة ،

ابن عمه أبو الوليد محمد بن يحيى بن حزم^٢

أحدُ أعيانِ أهلِ^٣ الأدب ، وأجلى الناس شعراً لا سيما إذا عاتب^٤
 أو عتب ، جعل هذا الغرض هجيراً ، فقلماً يتجاوزهُ إلى سواه ، وكلما
 أبدأ فيه وأعاد ، أحسنَ ما شاء وأجاد ، وفي كلِّ معنى يُحسِنُ ،

١ م س : بالراء .

٢ انظر ترجمته في المغرب ١ : ٢٣٩ والمسالك ١١ : ٤٣٤ ونفح الطيب ٣ : ٤٧٢ .

٣ أهل : سقطت من م .

٤ م : عابث .

أكثر مما يمكن ، ولكن رأيت في باب العتاب يعلن بأمره ، ويُعْرِبُ عن ذاتِ صدره ، وقد أجريتُ من شعره في هذا المعنى وسواه ، ما يصرح عن مغزاه ، ويشهد على بعد مداه .

جملة من شعره في أوصاف شتى في النسيب وما يناسبه

قال ٢ :

أتجزعُ من دمعي وأنت أسلتهُ ومن نارِ أحشائي ومنك ٣ هيبها
وتزعم أن النفسَ غيركَ علّمت وأنت ولا من ٤ عليك حبيبها
إذا طلعت شمس عليّ بسلوةٍ أثار الهوى بين الضلوعِ غروبها

وهذا البيت الأخير ينظر إلى قول مجنون بني عامر ٥ :

نهاري نهار الناسِ حتى إذا دنا لي الليل هزّني إليك المضاجعُ
وقال أبو الوليد ٥ : [١١٣ أ] .

وطارحك الواشون عني سلوةٌ مغالطةٌ هيبات ذاك بعيدُ

١ م : جواب .

٢ الأبيات في النفع ومنها اثنان في المسالك وفي معاهد التنصيص ١ : ٣٧٢ .

٣ النفع : وأنت .

٤ ديوان المجنون : ١٨٥ .

٥ . فيها ثلاثة أبيات في المسالك .

وكيف سلوي عن هواك وإنه
 إذا ما ثناه الناسُ عنك لوتُ به
 ليبتلي فؤادي وهو فيك^١ جديد
 علائقُ حبٍ فيك ليس تبيد
 تذكُرُ أيامي بكم فأعود
 بلى إن عرتني^٢ فترةُ الصبرِ هزني

وقال وهي من حسنات شعره ، وآيات ذكره^٣ :

وكم ليلةٍ ألفتُ بالني	فقتُ أبادرُ إلفاتها
بشمسٍ ؛ إذا ما تأملتُها	رددتَ على الشمسِ أوصافها
بفترةٍ ° لحظِ كأنَّ الكرى	أعانَ عليها وإنْ خافها
وإني وإن عفتها مُعلنًا	لأعدلُ في السرِّ مَنْ عافها
وهبتُ علينا صبا رطبةً	وقد عابثَ الطلُّ أعطافها
وقد بشها الروضُ هجر الحيا	فجرتَ على النورِ أطرافها ^٤
وتخيَّلُ الظلامَ أمامَ الصباح	والركضُ قد ضمَّ أجوافها
وقد فضضَ الفجرُ أذيالها	وزادَ فذهبَ أعرافها
وكاثرتِ البدرَ شمسٌ بدت	فمدتَ على الأرضِ أكتافها
وغاضبتِ السُّحبَ ^٥ فيها الرياح	فصرتَ من الغيظِ أخلافها
وذكُرني بإدارات الحمام	حمائمٌ تندبُ الألفها

١ م : فيه .

٢ المسالك : علتني .

٣ انظر المسالك ١١ : ٤٣٥ ومنها بيتان في المغرب .

٤ م : وشمس .

٥ ط : لمزة ؛ د : لفترة .

٦ سقط البيت من س م .

٧ ط د : الصبح .

وقال من أخرى^١ :

كم قلتُ فيكَ معرّضاً ومصرّحاً
ومنيّتَ من خلطائهِ بعصابةٍ
هيهاتِ لولا غنّج^٢ لحظّ محمد
ولقد بعثتَ على السلوِّ لو أنّ لي
فجعلتُ ثوبَ الصبرِ فيه بصيرةً
ونبذتُ حلمي والتفتُ إلى الصبا
لله أيام على وادي القرى
إذ نجّني في ظلّه ثمّ رمّ المنى
والشمسُ ترمقُ من محاجر أرمدي
والراحُ تأخذُ من معاطفِ أغيدٍ
حتى إذا ضرب الظلامُ رواقه
ملنا نوملٌ غيرَ ذلك متزلاً
ويرومُ قولَ أبي الوليد وربّما
ثمّ احتلّلنا والوشاةُ بمعزلٍ
والبدرُ يرميني بمقلةٍ حاسدٍ
حتى إذا نشر السرورُ بساطه
أهوى يقبلُ راحتيّ توددًا

أكذا علقّت ضلالةً بفلان
خلطتُ بها شُبّهًا من البهتان
ما كنتُ نُهزّةً أعين الغزلان
قلباً يطاوعني على السلوان
وثنيتُ عن علمٍ إليه عناني
ويدُ العفافِ تضمُّ من أرادني
سلفتُ لنا والدهرُ ذو ألوان
والطيرُ ساجعةٌ على الأغصان
والظلُّ يركضُ في النسيم الواني
أخذ الصبّا من عطفِ غصنِ البان
وخشيتُ فيه طوارقَ الحدّثان
والراحُ تقصرُ خطوه^٣ فيُداني
كثبتُ مكانةً لأمه الووان^٤ [١١٣ب]

وقد التقتُ في جفنه سينتانِ
لو يستطيعُ لكان حيث يراني
وطوى بساطَ شكيتي لأوان
ويشدُّ عقدَ بنانه بيناني

١ انظر المسالك أيضاً .

٢ المسالك : غنّج فاتر لحظه .

٣ المسالك : خطونا .

٤ ورد البيت في القسم الأول : ٣٠٩ وروايته « كتمت » .

ويقول إشفاقاً عليَّ ورحمةً
هاك^١ اغتتمها من زمانك خلصة
تسفي غليلَ فؤادك الهيمان
فلثمتُ فاه والتربنتُ عناقتهُ
ويدُ الوصالِ على قفا الهجران
ومرقتُ من ظنِّ الأعادي عفةً
والليلُ مشتملٌ على الكتمان

وقد كرر هذا المعنى في موضع آخر فقال^٢ :

فاطلعُ طلوعَ الشمسِ أو معها
فَيَدُ^٣ السرورِ على قفا الحزنِ
في ساعةٍ سمحَ الزمانُ بها
فكأنما هي الذَّةُ الوَسَنُ

وقال^٤ :

وكم ليلةٍ كاد الهوى يستفزني
وفي ساعدي بدرٌ على غُصْنِ بانهٍ
ولا رقبةٌ دون الأمانِ ولا سِنْرُ
وفي لحظةٍ كالسُّكْرِ لا مِينُ مدامةٍ
يودُّ مكاني بين لبَّاتِهِ البدرِ
وقد سلبته الراحُ سَوْرَةَ كِبْرِهِ
ولولا اعتراضُ الشكِّ قلتُ هو السكرُ
وبين ضلوعي يعلمُ الله حاجةً
وما على عطفيه وانقطع العنبرُ
فلم يك إلا ما أباح لي التقى
طواها عفافي لا كما زعم الغدرُ
ولم يبق إلا أن تحلَّ لي الخمرُ

١ م : هات .

٢ هما في المسالك ١١ : ٤٣٦

٣ م : بيد .

٤ منها أربعة أبيات في المسالك .

٥ سقط البيت من س .

وله في مثله ١ :

وكم ليلة ظافرت^٢ في ظلها المنى
وفي ساعدي حللوا الشمائل مترف^٣
أطارحُه حُلُو العتابِ وربّما
وفي لفظه من سَوْرَةِ الكَأْسِ فِرة^٤
وقد عابثتُه الرّاحُ حتّى رَمَتْ به
على حاجةٍ في النفسِ لو شئتُ نلتها
وقد طرّفت^٣ من أعينِ الرقباء
لعوبٌ بيّاسي تارة^٥ ورجائي
تفاضبَ فاسترضيتُه بيكائي
تمتُ إلى الحَظِّه بولاء
لقى بين ثنبي بردقي وردائي
ولكن حمّتي عفتي وحيائي

قوله : « وفي لفظه من سورة الكأس » . . . البيت ، مما فتن فيه أبو
الوليد فتنة لا يحسنها السامري ، بل سحر سحرًا لا تتعاطاه الحبال ولا العصي .

وقال من أخرى :

لاح العذارُ فلاح عذريّ فيه
وقضى عليّ ومرّ يسحبُ ذيله
وفجعت سادة مذحج بزعيمها
هيهات لو ملك القضاء سبيلها
لكن حمّاك الحسن من سطواتهم
وسقى ومن عينيه ما يسقيه^٥
أكذا سفكت دمي ولست تديه
وأمنت من أشباعه وذويه
لثني عنان جماحه^٦ ثانيه
ومن الذي ترنو فلا تصبيه [١١٤أ]

١ انظر المسالك أيضاً .

٢ المسالك : ضافرت .

٣ م : وكم طرفت .

٤ س والمسالك : لحظه .

٥ سقط هذا البيت والذي يليه من س .

٦ ط د : حمامه .

ولقد أتاح لك الهوى من معشري
وهويته عذبَ الشمائلِ مرفأ^١
كالغصنِ غازلت الصبا أعطافه
أطوي الهوى شحاً عليه ورقة
يجني فأضمرُ هجره لا عن قيلي^٢
ولكم صدّدتُ فعارضتني سورة
كم ليلةٍ ضمّنتُ عليه ساعدي
والبدرُ من حسدٍ يمجّمُ قوله

وقال أبو الوليد من أخرى :

وتشتُ بهواهُ مقلتي ولساني
فلمّا تناهى الشوقُ واستحكم الهوى
نأى عن مكاني حين لا لي حياة^٣
وصدّ على عمّدٍ لبشرك في دمي
ومن عجبٍ أني إذا رُمّتُ سلوة^٤
أبا قاسمٍ خذّهما شكايته واجدي

وقال^٢ :

أساكنَ قلبي والمقامُ كما ترى^٣
لعلك تصغي ساعةً فأقول^٤؛

١ ط د م س : مترف .

٢ المغرب ١ : ٢٤٠ .

٣ المغرب : والحوار حفيظة .

٤ سقط البيت من ط

أعيدك^١ من أقوال قوم وربّما^١ فكم قمرٍ غطى عليه أفول^١
وكم أمّلوا لا بلّغوا^٢ فيك خطّة^٢ وحاشاك منها والحديث يطول
ومستكشف لم يدر ما بين أضلعي^٣ يعرض^٣ بي واللوم فيك ثقيل
فصكّت^٤ لساني يعلم الله سكتة^٤ لها في جناني زفرة^٤ وعويل
وسدّ طريقَ اللحظِ دمع^٥ كأنما تشحط^٥ من جنني^٥ فيه قتيل

وهذا البيت مما أحسن فيه ، ولكن ابن الرومي زاد عليه بحسن الاستعارة
والتشبيه ، وهو قوله ^٥ :

رسمُ الكرى بين الجفون محيل^٦ عفى عليه بكأ عليك^٦ طويل^٦
يا نظرة^٦ ما أقشعت^٦ لحظاتها حتى تشحط^٦ بينهن^٦ قتيل

ونسب هذين البيتين صاحبُ « العمدة »^٦ لأبي نواس .

وقوله : « فصكّت لساني » البيت يشبه قول حبيب^٧ :

ولّى وقد أفحَمَ الخطي منطمة^٧ بسكتة^٧ تحتها الأحشاء في صخبِ

وقال أبو الوليد من أخرى :

١ المغرب : مربية .

٢ ط د : يبلغوا .

٣ المغرب : تعرض .

٤ المغرب : فشدت .

٥ البيتان لأبي نواس في ديوانه : ٣٨٨ ، وكذلك نسبهما له صاحب زهر الآداب : ٢٤١ .

٦ العمدة ٢ : ١٢٠ .

٧ ديوان أبي تمام ١ : ٧٢ .

وكم معشرٍ لاموا عليك رددتهم
ومالوا إلى رجمِ الظنونِ وبيننا
ولما بدتُ أشياءُ منكَ تريبني
وشاركني فيك الذين علمتهمُ
تجافيتُ عن حظي لهم فيكَ عنوةً
إذا عرضوا أوليتهمُ فيك سكتةً
وأكبادهمُ غيظاً عليّ تذوبُ
إذا ما خَلَوْنَا للعفافِ رقيب
وأكثرَ فيها مخطيءُ ومصيب
ولم يكُ لي إلاّ السلوُ طيب
وقد يتجافى الشيءُ وهو حبيب [١١٤ب]
ويَعْرِضُ دمعِي دونهم فيجيب

وقال ١ :

لما استمالك معشراً لم أرضهمُ
داريتُ دونكَ مهجتي فتماسكتُ
فأذهبُ فغيرُ جوانحي لكَ منزلُ
والقولُ فيك كما علمتَ كثيرُ
من بعدِ ما كادتُ إليكَ تطير
واسمعُ فغيرُ وفائكَ المشكور

وقال ٢ :

يقول وقد لمتُهُ في هوى
أتحسني ؟ قلتُ : لا والذي
فكيف وقد حُلَّ ذاك الحمى^٢
فلان وعرضتُ شيئاً قليلاً
أحلتُك في الحبِّ مرعىً وبيلاً
وقد سلكَ الناسُ تلكَ السبيلاً

وقال :

-
- ١ الأبيات في المغرب ١ : ٢٤٠ والنفع ٣ : ٤٧٢ .
٢ الأبيات في النفع ٣ : ٤٧٢ .
٣ النفع : ذاك الجنب .
٤ م س والنفع : ذاك .

أبلغ فلاناً وإن كنتُ الضنينَ به
 أنتي تركتُ الحمى عن غير مقليةٍ
 وصنتُ وجهَ عفاي عن تبدُّله
 يا أملحَ الناسِ إلا ريبةً عرضتُ
 ما الذنبُ عندك إلا عفةً صرفتُ
 وباحتُ عن غرامي فيك قلتُ له
 ويلى عليه وويحي من تبدُّله
 قولاً تطاير من أرجائه الشررُ
 لمعشرٍ وردوا قبلي وما صدروا
 حتى سلا القلبُ عنه وارعوى البصر
 تكادُ من ذكرها الأحشاء تنفطر
 يدَ الهوى عنك إلا ما جنى النظر
 عني إليك فلا عينٌ ولا أثر
 وطالما صننتُهُ لو ساعدَ القدر

ومن شعره في العتاب

قال من كلمة ٢ :

مقالٌ يطيرُ الجمرُ من جنباته
 أحياناً نبتتُ الناسَ إلا علالةً
 وذنبتُ بما تهوى هدىً وضلالةً
 سرتُ لك في أفياءِ ظليّ قولةً
 فهلاً على حالٍ وفيت لمن وقتٌ ٣
 وحاشاك أن تُعزّي إلى المجد خطة
 ولكن أبي إلا إليك التفاتةً
 ومن تحته قلب عليك يذوبُ
 من الحسن يدعو ناظري فيجيب
 وما الناسُ إلا مخطيءٌ ومصيب
 لها بين أحناءِ الضلوعِ ديب
 سجيتهُ حيثُ الوفاءُ غريب
 تجشمه داءً وأنت طيب
 فؤاد عليه من هواك رقيب

١ م س : وويلى .

٢ بضر أبياتها في المسالك ١١ : ٤٣٤ : ٤٣٧ ومنها بيت في المغرب .

٣ وقت : سقطت من م .

وودٌ وإن أُحترّموه مقدّم
وكم بيننا إن كنتَ تحفظُ ما مضى
وقد قام في وجه النسيم غزيرٌ
وسدَّ طريقَ الشمسِ بدرٍ إذا بدا
يديرُ علينا السحرَ ملءَ جفونه
وتحت جناحِ الغيمِ أحشاءُ روضةٍ
وللزهرِ في ضمنِ الرياضِ تبسمٌ
وقد شملتنا يعلمُ الله عفتُ
أما والذي أعطاك شاحخةَ العلا
لقد علقتُ كفأك مني كوكباً
حنانتيك لا تحمدهُ بعد توقدُ
وخذها وإن صدت قليلاً بوجهها

وَصَدْرٌ وَإِنْ أُحْرَجْتُمُوهُ رَحِيبٌ
إِذَ الْعَيْشُ غَضٌّ وَالزَّمَانُ قَشِيبٌ
تَغَاوَزُ عَطْفِيهِ صَبَابٌ وَجَنُوبٌ
أَهَاءَتْ عَيْونٌ بِالهُوى وَقُلُوبٌ
فَكَلَّ بَرِيءٌ عِنْدَ ذَاكَ مَرِيبٌ
بِهَا لِحْفُوقِ الْعَاصِفَاتِ ضُرُوبٌ
وَالطَّيْرِ مِنْ فَوْقِ الْغُصُونِ نَحِيبٌ
عَلَى مَا تَرَى وَالْعَاشِقُونَ ضُرُوبٌ [١١٥أ]
فَزَلَّ شَبَابٌ عَنِ مَدَاكِ وَشَيْبٌ
لَهُ فِي سَمَاءِ الْمَكْرَمَاتِ ثُقُوبٌ
فَرَبَّتَمَا عَلَّ الطُّلُوعُ غُرُوبٌ
فَفِي صَدْرِهَا شَوْقاً إِلَيْكَ لَهِيْبٌ

قوله : « وقد قام في وجه النسيم غزيرٌ » من براعة الشعراء الحلوة ؛
وأنشدت لأبي بكر بن سعيد البطلبوسي^٢ :

عندي قُطَيْعٌ^٣ قهوةٍ ومودتي وأبو الحسين

وقال أبو الوليد من أخرى^٤ :

١ س م وأصل ط : عل ؛ ط : الضلوع .
٢ هو أبو بكر عبد العزيز بن سعيد أحد بني القبطورنة، وسترده ترجمته في هذا القسم : ٧٥٣ .
٣ القطيع : الزجاجاة الصغيرة .
٤ منها أربعة أبيات في المسالك .

ولقد منحتك مهجتي لبصيرة
فلو اطلعت على فؤادي لم تجد
وهوى لطيف الكشح ذا جبرية
كالغصن غازلت الصبا أعطافه
وكأنما غمر الكرى أجفانه
فكأنما^٢ لبس الملاحة حلة
يروى ترابك من مدامة ريقه
فلئن هممت فغير مشدود الحبي^٣
ولقد قنعت فلا قنعت بزورة^٤
فأبحت سرح اللهو مرتاد الهوى
لاحت لقلبي في إخوانك أو عمى
إلا لك فيه ما أجل وأعظما
إلا عليك فما أحن وأرحما
نشوان يعبث بالنفوس وربما
فتصرجت وجناتة منها دما
ولقد خجلت لقولتي فكأنما^٥
وسواك يهلك لا سواي من الظما
ولئن عفت فغير ممنوع اللمي
ولقد نجوت فما نجوت مسلما
ومنعت طير الوجد أن يترتما

قوله: « يروى ترابك » . . . البيت ، ذهب إلى قول الآخر :

أمنع ريقك المعسول عني وأنت على التراب به نجود

إلا أن هذا زاد عليه ، لبعض حاجته إليه ، ولكنه والله دعا الإحسان
فأسمع ، وجادت نفسه فأقنع ، حيث يقول بعده :

وأنت لو اقتصرت عليه جدنا^٥ ولكن قد علمنا ما تريد

- ١ المساك : غمز ؛ م س ط : عمر .
٢ م س : وكأنما . . . وكأنما .
٣ م ط د س : الحيا .
٤ د : ولقد قنعت بزورة من طيفه .
٥ م : حرنا .

وقوله : « ومنعت طيرَ الوجدِ أن يترنما » ، من لطيف الاشارة ، ومليح الاستعارة . أو ما به إلى الكتمان ، إيماءً يأخذ بمجامع البيان .

وقال من أخرى^١ :

خذها أبا العباسِ قولَةَ مُخْلِصٍ إنْ وافقتْ من مِسْمَعَيْكَ قبولا
تظني ويمنهما^٢ الحياءُ وربَّما^٣ مالَ العتابُ بها عليك قليلا
واضيعتا للودِّ عند معاشرٍ لا يهتدون إلى الوفاءِ سبيلا
فارغبُ بنفسك عن معاريض العدا لا زال دونك حدُّهم مفلولا
وانظرُ فربما ضاللتَ وكم فتى^٤ لعبَ السَّرابِ بناظريه طويلا
وأصبحُ فغيري من يسوعك غيبه^٥ وسوايَ من رضيَ الودادِ عليلا
وارفقْ فثمَّ وإن صدرت^٦ بقية^٦ تأبى على رغم السلوِّ رحيلًا [١١٥ب]
فلطالما أجريتَ أجفاني دماً وملأتَ أضلاعي جوِّ وغليلا

وله من أخرى إلى أبي الحكم ابن عمه^٧ :

أعمروُ كم أطامنُها حياءَ فتتطنغيها معاتبه الأماي
وإن وقفَ الغرامُ بها قليلاً فعذرُ أخيك في جفسي فلان

١ منها أربعة أبيات في المسالك ١١ : ٤٣٧ .

٢ م س : تصني ويحفظها ؛ المسالك : ويحفظها .

٣ ط د : وإنما .

٤ ط د : فانظر .

٥ ط د : طولاً .

٦ م س : صدت .

٧ منها بيتان في المسالك : ٤٣٧ .

أَتَنِي قَوْلُهُ هَجَمَتُ فَكَادَتْ
وَلَمْ أَرْتَبْ وَمَجْدِكَ غَيْرَ أَنِي
أَرْحَلُ وَالنَّوَى قَدَقْتُ وَرَحَلِي
أَمَا رَأَى الْأَمِيرَ وَلَمْ أَرْجَمُ
يُعِينُ عَلَى الْمَكَارِمِ عَاشِقِيهَا
وَيَتَنِي الدَّهْرَ طَوْعَ يَدِي حَتَّى
وَإِنْ سَدَّ الْقَضَاءُ سَبِيلَ سَعِي

تَغْلُ يَدِي وَتَعْقُدُ مِنْ لِسَانِي
كَلِيمٌ مِنْ مَقَارَعَةِ الزَّمَانِ
كَمَا تَدْرِي مَظَاهِرَةَ الْحِرَانِ
ظَنُونِي فِي التَّبَاعِدِ وَالتَّنَادِي
وَإِنْ عَزَّتْ مَصَافَاةُ الْحَسَانِ
كَأَنَّ الدَّهْرَ كَفَيْتِي أَوْ بَنَانِي
فَلَيْسَ جَمِيلٌ سَعِيكَ لِي بَدَانِي

فأجابه أبو الحكم بأبيات منها :

أَمَّا وَعَقِيلَةٌ لَكَ غَازِلَتْنِي
لَقَدْ أَهْدَيْتَ لِي مِنْهَا عَرُوسًا
جَلَسْتُ مِنْ رَقَةِ التَّعْرِيفِ صَحْفًا
وَأَخْشَى أَنْ أَكُونَ لَهَا ظَلُومًا
بِنَفْسِي أَنْتَ قَوْلُ النَّاسِ رِيحٌ
أَنَا لَكَ حَيْثُ كُنْتَ أَخٌ أَمِينٌ
الْأَلِيَّةُ الْقَبُولَ غَدَّتْ بِسَرَجِي
فَأَلْمَحْ مِنْكَ أُرُوعَ أَرِيحِيًّا

بَغْنُجِ السَّحَرِ مِنْ جَعْنِي فَلَانِ
مُعَرَّسَهَا سُوَيْدَاءُ الْحَنَانِ
أَرَقَّ مِنْ الْحَسَامِ الْهِنْدَوَانِي
إِذَا سَمِيَتْهَا سَحَرُ الْبِيَانِ
يُوَافِقُ مِنْكَ رَكْنًا مِنْ أَبَانِ
إِذَا مَا خَانَ إِخْوَانُ الْعِيَانِ
إِلَى لَقِيَاكَ مَطْلَقَةَ الْعِنَانِ
تَبَوَّأَ ذُرُوعَ الْحَسَبِ الْهَجَانِ

ولأبي الوليد إلى أبي بكر ابن عمه ١ :

١ أبو بكر محمد بن مذجع : أخو أبي الحكم عمرو ، انظر المغرب ١ : ٢٣٩ ونفع الطيب ٣ : ٤٧١ ؛ ومنها بيتان في المسالك : ٤٣٧ .

إليكَ وإن أصبحت عني بمعزل
عتاباً كحدِّ السيف إلا بقيَّةٌ
وأعدده للدهر جُنَّةً واثقٍ
وأرسلته سهماً سديداً على العدا
أريشٌ ويبري أعظمي غير مُقصرٍ
وأخفقَ ظنِّي في هواك ولا أدري
عليك ولولاها لساءك ما يفري
فألفيتهُ سيفاً عليّ مع الدهر
فأخطأهم عمداً وعاجاً إلى نحري
فيا ليت شعري كم أريشٌ وكم يبري

ومن جواب أبي بكر له ٣ :

ولمّا رأى حمصَ استخفّتْ بقدره
تحمّلَ عتها والبلادُ عريضةً
فيا أيها المهدي ليليّ صوارماً
أني الحقُّ أن يحظي بقربك معشرٌ
على أنها كانت به ليلةَ القدر
كما سلّ من غمد الدّجى صارمُ الفجر
من العتبِ يفري حدُّها جننَ الصبر [١١٦أ]
قليلو الحجى ليسوا بجلّ ولا خمر؟

ومنها ٤ :

ألсна من القوم الذين سمّوا * بنا
فكم جعلوا عبساً يطولُ عبوسها
إلى حيثُ لا تسري النجومُ التي تسري
وكم صبّحوا بتكرراً براغيةَ البكرِ

وقال أبو الوليد من قصيدة ٥ :

١ المسالك : إلى .

٢ س والمسالك : وعاد .

٣ منها بيتان في المسالك والفتح .

٤ ومنها : زيادة من م س .

٥ م : ملوا .

٦ البيتان في المسالك ١١١ : ٤٣٧ - ٤٣٨

وإذا الزمانُ رمى إليك مسالماً وأمينتهُ فاحذرُ من الإخوانِ
وسجيتي ما قد علمتَ وربّما صدىءَ الحسامُ من النجيجِ القاني

ومعنى البيت الأول كأنه يشير إلى ما قال الفقيه منصور^١ :

لو قيلَ لي خُذْ أماناً من حادثِ الأزمانِ
لما أخذتُ أماناً إلاّ من الإخوانِ

والبيت الثاني كقول ابن الملح من شعر وقد تقدّم^٢ :

والعصبُ يستره القرابُ وربّما خَشِئْتُمْ مضارِبُهُ الرقاقُ من الصدا

ولأبي الوليد^٣ من قصيدة^٤ :

حبيبٌ إليه الوِرْدُ ، والمنهلُ الردى
إذا نال غاياتِ المكارمِ والعلا
يسيرٌ عليه الخطبُ ، أهونُهُ القتلُ
فلا أسعدتْ سَعْدِي ولا أجملتْ جملُ

ومنها^٥ :

١ هو أبو الحسن منصور بن اسماعيل بن عمر التميمي المصري الضرير (- ٣٠٦) ،
وقد ذكرت ترجمته في القسم الأول : ٨٨٣ والمصادر ، ويمكن أن يضاف إليها معجم
الأدباء ١٩ : ١٨٥ والمغرب (قسم مصر) ١ : ٢٦٢ والمنتظم ٦ : ١٥٢ وحسن
المحاضرة ١ : ١٦٨ ومعجم المرزباني : ٢٨٠ . وجمع الجواهر : ١٢٠ - ١٢٢ ولم يرد
البيتان في المصادر المذكورة هنا أو في القسم الأول .

٢ انظر ص : ٤٥٤ فيما تقدم .

٣ م س : ولأبي بكر .

٤ منها بيتان في المسالك .

٥ ومنها : لم ترد في م س .

نبذت^١ إليك الناس لا غادراً لهم ولا طالباً جدواك إن خيمَ المحلُ
ونكبتُ عن قومٍ مضوا وبودهم لو أن ثرى رجلي لأجفانهم كُحلُ

وهذا كقول بعض أهل عصري :

وكم رافعٍ لي بالعداوةِ صوتهُ يود لو أنني بين أضلاعِهِ قلبُ

ولأبي الوليد من مرثية^٢ :

بأيِّ مقالٍ من لساني أرتبهُ وأيِّ دموعٍ من جفوني أبكيهُ
وقد جلَّ رزئي فيه حتى كأنما رزايا جميعِ الناسِ مجموعةٌ فيه

ومنها :

فترَوْضُ سروري بعد يومك قد ذوى وعارضُ حزني فيك حلَّتْ عزاليهُ
ولو كنت أدري أين ثاري نلتُهُ ولو حلَّ ما بين الكواكبِ جانيهُ

ومنها :

وإن كنت أوتيتَ السيادةَ ناشئاً فذلك فضلُ الله من شاء يؤتیه
وما باختياري عشتُ بعدك ساعةً فلي أجلُّ يُغني سوادي وأفنيه^٣
فيا قبرةُ ماذا تُجینُ من العلا ويا يومهُ ماذا نعي فيك ناعیه

وله مما كتبت على قوسٍ وأخبر عنها :

١ ط د : تبدت .

٢ منها بيتان في المغرب ١ : ٢٤٠ .

٣ الشطر الثاني من هذا البيت اقترن مع الشطر الأول من البيت السابق في ط د .

إننا إذا رُفِعَتْ سماءُ عجاجةٍ والحربُ تقعدُ بالردى وتقومُ
وتمردَ الأبطالُ في جنباتها والموتُ من فوق النفوسِ يحوم
مرقتُ لهم منا الخوفُ كأنما نحن الأهلهُ والسَّهامُ رجوم
ولكم دمٍ عزَّ القضاءَ ورودهُ فتروينَ منه والعوالي هييمُ

في ذكر الأديب أبي بكر يحيى بن بقي^١ وإثبات جملة من سري نظامه ، وحررّ كلامه

[١١٦ ب] وأبو بكر في وقتنا هذا على صغر سنه شهابُ فهم ونبل
قلما يخلو شعره من بديع ، وأخرجته فتنة طليطلة - جبرها الله - الآتي خبرها
في القسم الرابع من هذا المجموع ، ولما يسطع بعد ضوءه ، ولا نشأ نوءه ،
فاحتلَّ اشبيلية ، فمن ثمَّ شرَّقَ وغرَّبَ ، وأحزن ذكره في البلاد وأسهب ،
ولذلك نسقته في حررها ، وأثبتته أثناء حجولها وغررها ؛ وقد أخرجت من شعره
ما يشهد بما أجريت من ذكره ، ويبرأ من الإطراء ، ويسري أني ربما قصرتُ
في الثناء .

١ أبو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي (وعند السلفي يحيى بن حكيم بن بقي وعند ابن
الأبار يحيى بن أحمد) الشاعر الوشاح ، سرقسطي النسب (وقيل طليطلي) اشبيلي الأديب ، ملوي النسب ،
وادياشي العطب ، أي أن أصله من سرقسطة (أو طليطلة) وتأدب باشبيلية ، واكتسب المال
بمدينة سلا ، وتوفي بوادي آش سنة ٥٤٠ (أو ٥٤٥) ؛ قيل إن له ما ينيف على ثلاثة آلاف
موشحة ومثلها قصائد ومقطعات ، وله مدائح كثيرة في بني عشرة أعيان سلا (انظر ترجمته
في القلائد : ٢٧٩ وعن المطمح ترجمة منقولة في نفع الطيب ٤ : ٢٣٦ - ٢٤٠ ؛
وفيات الأعيان ٦ : ٢٠٢ والسلفي : ٥٠ - ٥١ ومجموع الأدباء ٢٠ : ٢١ والمسالك ١١ :
٢٨٠ والحريدة ٢ : ٣٠٨ ونفع الطيب ٣ : ٢٠٩ ، ٣٤٧ ، ٤٠٤ ، ٤٣٩ ، ٤٤٨ ،
٤ : ١٣ ، ١٥٥ ، والمطرب : ١٩٨ وله موشحات في دار الطراز وجيش التوشيح .)

جملة من شعره في أوصاف شتى

استهدى من بعض إخوانه أفلاماً ، فبعث إليه منها بثلاثٍ من القصب ،
وكتب معها إليه :

خُذْهَا إِلَيْكَ أبا بكرٍ العلاءِ قصباً كأنما صاغها الصوّاعُ من ورَقه
يُزْهِى بها الطرسُ حسناً ما نثرتَ بها مسك المدادِ على الكافور من ورقه
فأجابه أبو بكر بأبيات منها قوله :

أرسلت نحوي ثلاثاً من قنأ سُلْبِ متآدة تطعنُ القرطاسَ في درَقه
فالحظَّ ينكرها والخطَّ يعرفها والرَّقُّ يخدمها بالرقِّ في عنقه
فكان بعض من حضر سماع شعره حسده عليه ، ونسب الانتحال
إليه ، فقال أبو بكر يخاطب صاحبه الأول من جملة أبيات :

وجاهلٍ نَسَبَ الدعوى إلى كلمي لمّا رماهُ بنبلِ النبلِ في حدّقيه
فقلتُ من حنقٍ لمّا تعرّض لي من ذا الذي أخرج اليربوعَ من نفقه
ما ذمّ شعري وأيمُ الله لي قسمٌ إلا امرؤٌ ليستِ الأشعارُ من طرّقه
الشعرُ يشهدُ أني من كواكبه بل الصباحُ الذي يستنُّ في أفقه

وله من كلمة في الوزير أبي العلاء ٢ :

١ لم يرد هذا البيت في ط د .

٢ يعني أبا العلاء ابن زهر ، الذي تقدمت ترجمته ص : ٢١٨ .

عَلَّقَتْهَا مِنْ رَبِّ رَبِّ الْعَفْرِ
 لَا تَلْتَمِحْهَا رَبِّمَا سَلَّيْتُ
 وَأَذْهَبْ بِشَأْنِكَ إِنَّ مَقَلَّتْهَا
 سَلُّ بِالْعِيُونِ فَيَّ أَصِيبُ بِهَا
 مِنْ السُّيُوفِ مِنَ الرَّدَى طَبَعَتْ
 لَكِنَّهَا عَرِيَّةٌ النَّجْرِ
 مِنْكَ الْفَوَادِ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي
 سُقَيْتُ^٢ بَابِلَ قَهْوَةَ السَّحْرِ
 مِثْلِي لِتَعْلَمَ صِحَّةَ الْأَمْرِ
 تَبْرِي الْقُلُوبَ وَقَلَّمَا تُبْرِي

ومن المدح :

مَنْ جَدُّهُ كَعْبُ بْنُ مَامَةَ قَدْ
 هُوَ آثَرَ النَّسْرِيِّ صَاحِبَهُ
 وَأَسَاهُ حَتَّى مَاتَ مِنْ ظَمَأٍ
 وَأَرَاكَ يَا زُهْرُ اقْتَدَيْتَ بِهِ
 زُهْرُ الْكَوَاكِبِ كُلِّهَا شَهَدْتُ
 ذَرَّ حَاتِمًا يَشْجَى بِكِعْبِكُمْ
 وَأَفْخَرَ بِنَفْسِكَ لَسْتَ دُونَهُمْ
 حَازَ النَّدَى بِالطَّيِّ وَالنَّشْرِ
 بِالْمَاءِ فِي دَوِيَّةِ الْقَفْرِ
 ثُمَّ انْطَوَى وَالْجُودَ فِي قَبْرِ
 فِي صَبْرِهِ وَنَوَالِهِ الْغَمْرِ
 أَنْ السِّيَادَةَ فِي بَنِي زَهْرٍ
 وَأَفْخَرَ بِدَعْمِي^٣ عَلَى عَمْرٍو
 وَلَثْنِ سَكْتٍ^٤ فَخِيفَةَ الْكَبْرِ

وله من أخرى < فيه > :

أَفْخَرَ عَلَى النَّاسِ مَلَأَ الْأَرْضَ مِنْ شَمَمٍ
 هَلْ يَسْتَوِي النَّاسُ قَالُوا كَلَّنَا بَشْرًا
 الْعَزِزُّ أَعْمَسُ وَالْآبَاءُ أَنْجَادُ [١١٧أ]
 فَالْمَنْدَلُ الرُّطْبُ وَالطَّرْفَاءُ أَعْوَادُ

١ بعد هذا البيت في م س : ومنها .

٢ سقيت : سقطت من ط د .

٣ دعمي الذي يعنيه هنا من إياد قبيلة كعب بن مامة وهو أخو زهر القديم (انظر كاسكل ١ : ١٧٤) .

٤ ط م س : سكتت .

وهذا يشبه قول أبي الطيب^١ :

فان تفقر الأنام وانت منهم فان المسك بمض دم الغزال

وقال المصري :

أبا بكر أن أصبحت بعض ملوكهم فان الليالي بعضها ليلة القدر

ومنها :

يا زهر زهر إياي لا كما زعت
حقاً سلكت إلبنا كل موحشة
يجب فيها الصدى من ليس يسأله
وينضب الماء وهو اللحم مورده
والمروني الحرّة الرجلاء قد حيت
من شراً ما طرقت الأرقام من نوب
يخرجن من جنبات النعم طائفة

زهر النجوم فما للصيد أنداد
تبهاء ساكنها ظبي وفياد
ويقتل الجوع فيها من له زاد
[...] الرمل رملاً وهو أعقاد
كأنهن من العشاق أكباد
وخير ما ارتاده للنجع مرتاد
كأنهن سقوط وهي أرناد

ومنها :

ولوا جميعاً بما في الدهر من حسن لا عيب في القوم إلا أنهم بادوا

وهذا كقول أبي تمام حيث يقول^٢ :

١ ديوان المتنبي : ٢٥٨ .

٢ بياض في ط د س وموضعه كلمة غير واضحة في م ، ولعلها « ويحشد » .

٣ م س : كقول أبي حاتم من قصيدة : وانظر ديوان أبي تمام ١ : ١٩١ .

وما كان بين الهَضْبِ فرقٌ وبينهم سوى أنهم زالوا ولم يَزُلِ الهَضْبُ

ولأبي بكر من قصيدة :

لم أعلمِ الشوقَ إلاّ من مطوّقةٍ
لا مثلها وسقيطُ الطلِّ يضرُّها
تذكرتُ ساقَ حرٍّ وهي تندبُهُ
كأنهنَّ بأعلى الدوحِ إذ سجعتُ
والنجمُ منهزمٌ أولى كئيبِهِ
والروضُ يرشفُ ريقَ الطلِّ عن ترفِ
دعِ المنى ربما نلتُ بلا طلبِ
فهمتُ عنها الذي قالت ولم تُبِنِ
في عاتقِي حلّةٌ من سندسِ اليمنِ
بالأخضرين من الظلماءِ والفسنِ
رومٌ ترأطنُ بالألفاظِ من قدنِ
والصبحُ يغسلُ ثوبَ الليلِ من درنِ
وليت لي مثله ممّن يعذبني
وربّما وقع الحرمانُ في المهنِ

ومنها في وصفِ طيرفٍ :

لكن على سابعِ نهدٍ مراكبُهُ
أقام في الحيِّ أحوالاً وآونةً
فجاء إذ صنعوه وهو مضطمرٌ
يهوي من الأرض أنى شاء راكبُهُ
مؤلّلِ الجيدِ والأرساغِ والأذنِ
يُسقَى الخليطينِ من ماءٍ ومن لبنِ
سامي التليلِ مُمرّاً الخلقِ كالشطنِ
وتركُ الريحِ في الآريِّ والرسنِ

قوله : « والصبح يغسل ما في الليل من درن » . يشبه قولَ بعضِ أهلِ

العصر : [١١٧ ب] .

شهمٌ له نظرةٌ في كلِّ مشكلةٍ يكادُ يغسلُ ما في الطينِ من درنِ

وقلبه من قول المعري^١ :

فإن كان يكتبه كاتبٌ فقد سوّد الصبحَ مما كتبُ

وقال أبو بكر من قصيدة :

أقبلتَ بالهيشِ مملوماً كاتبُهُ
في قتيّةِ كسيوفِ الهندِ أنحلّهمُ
وتيسّماً بعيونٍ غيرِ فائرةٍ
إنّ لا تكنُ أعيناً نجلاً فانّ لها
كأنّكَ البدرُ تحتَ العارضِ المَطِيلِ
حبُّ الصوارمِ والخطيّةِ الذبيلِ
من الأسنّةِ لم تهجعِ مع المقلِ
في أضلاعِ القومِ مثلَ الأعينِ النجلِ

وما أحسن ما أتى بهذا المعنى ، وإنما ذهب إلى قول^٢ أبي الطيب^٣ :

أثبتُّ عينكِ في حشايَ جراحةٍ فتشابهها كلتاها منجلاءُ

وقال :

« عليهنّ من وقعِ السيوفِ حواجبُهُ »

ومن قصيدة أبي بكر :

ترى السماءَ دخاناً مثلما خلقتُ والأرضَ قد شرقتُ بالحيلِ والإبلِ

١ اللزوميات ٤٧ / أ : ١ : ١٢٦ .

٢ م س : ذهب بقول .

٣ ديوان المتنبي : ١١٥ .

٤ الديوان : مثلت .

٥ وقال . . . حواجب : لم يرد في م س ؛ ولا يعرف إلى من يعود الضمير في « وقال » .

تمشي بها الخيل لا جرد مطهمة
من كل مضطمر الكشحين حافره
يا معشر الروم قد شالت نعمتكم
لم يكسكم من ثياب الخزي أسبعها
يا ويلكم معشراً بل ويل أمكم
مشي الكواعب في حلي وفي خلل
أحق من ميسم الحسناء بالقبل
إما من الحين أو من شدة الفشل
إلا اتقاؤكم للصدور بالكفل
فإنها ولدت للشكل والهبل

وهذا المعنى كثير ، ومنه قول أبي تمام ١ :

لم تبق مشرقة إلا وقد علمت
وأخذه أبو الطيب فقال ٢ :

للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا
وقال محمد بن هانيء ٣ :

لو تعلم الروم ما لاقى بطارقها
وقال أبو بكر من قصيدة :

من لي به والوغى شهباء من أسل
يردي ويصرع أقواماً ، عيونهم
بكل غصن من الخطي منعطف
في صهوة من أقب البطن منجرد
حمر من الروع لا حمر من الرمذ
بطائر من سنان ليس بالغرد

١ ديوان أبي تمام ٢ : ٢٠ وروايته « إن لم تنب » .

٢ ديوان المتنبي : ٣٠٣ .

٣ ديوان ابن هانيء : ٤٦ .

٤ الديوان : لو كان للروم علم بالنبي لقيت .

ومنها :

الدهرُ أُخُونٌ من أن يستقيمَ لكم وإنما جاد عن كثره ولم يكد
ومن تصنعٌ يرجعُ بعد آونة إلى الطباع رجوعَ العيبرِ للوتد

وهذا المعنى مشهور ومنه قول الآخر^١ :

كلُّ امرئٍ راجعٌ يوماً لشيمته وان تمتعَ أخلاقاً إلى حين

وقال آخر^٢ :

يا أيها المتحلّي غيرَ شيمته إن التخلّقَ يأتي دونه الخلقُ [١١٨أ]

وقال آخر^٣ :

ومن يتكاسفٌ غيرَ ما في طباعه يدعاهُ ويغلبهُ على النفسِ خيمها

وقال الرضي^٤ :

١ م س : الأول ، والبيت لذي الاصبع العدواني ، المفضليات : ٣٢٣ وبهجة المجالس ٢ :
١١٣ .

٢ بهجة المجالس ٢ : ١١٣ وروايته :

ما ان تخلقت إلا شيمتي خلقاً إن الخلائق يأتي دونه الخلق
وسقط البيت من م .

٣ هو كثير عزة ، انظر ديوانه : ١٤٨ وعيون الأخبار ٢ : ٥ والشعر والشعراء : ٤٢٠
واللسان (خيم) وروايته :

ومن يبتدع ما ليس من سوس نفسه (من خيم نفسه) .

٤ الرضي : سقطت من م س ، وانظر ديوان الرضي ١ : ٦٥٢

لَا تُبْدِينَ^١ لِي التَّكْلُفَ فِي الْهُوَى^١ فَضَحَ التَّطَبُّعَ شِيمَةً^٢ الْمَطْبُوعِ

ولكن^٣ أبا بكر استولى على الأمد ، ونفت بالسحر في العقد ، بقوله :
« رجوع العيبر للوند » .

وله من قصيدة :

لم أنسَ إذ ودَّعْتُهُ^٤ وقد التقت مني هناك بالبكا عينانِ
يرنو بنرجسة^٥ إلي^٦ وربما قرع^٧ الأقاح^٨ ياسمين^٩ بنان

وهذا كقول الآخر^{١٠} ، ولكن^{١١} أبا بكر نقص عنه^{١٢} :

وَأَسْبَلْتُ^{١٣} لَوْلُوًّا مِنْ نَرْجَسٍ فَسَقَّتْ^{١٤} وَرَدًّا وَعَضَّتْ^{١٥} عَلَى الْعُنَابِ بِالْبُرْدِ

وقال من أخرى^{١٦} :

وقالوا ألا تبكي وتلك مطيهم^{١٧} على الشهب يحملن الأوانس^{١٨} كالدمى
لئن نفذت^{١٩} مني الدموع تغامزوا وقالوا : سلا أو لم يكن^{٢٠} قبل^{٢١} مفرما
فهلاً أقاموا كالبكاء تنهدي^{٢٢} إذا ما بكى القمري^{٢٣} قالوا ترنما

١ الديوان : هيات لا تكلفن لي الهوى .

٢ هو الوأواء الدهشي ، ديوانه : ٨٤ .

٣ ط : تقصر منه .

٤ الديوان : وأمطرت .

٥ منها ثلاثة أبيات في كل من القلائد والحريدة وبيتان في الرايات : ٤٩ (غ) وبيت واحد في المغرب .

٦ القلائد : الحرائد .

٧ ط م د س والقلائد : بعدت ، الرايات : إن بعدت .

وهذا من حجول الكلام وغرره ، وإن لا يكن اخترع ، فما أتقن ما
اتبع !!

ومنها :

أنا وبصموتِ الحجلِ عاطرةِ الشدا مبتلة الأعطافِ معسولةِ اللمي
ألا نظرةٌ منها فتتقع غلّةٌ على كبدي ما أشبه الشوق بالظما
وله من قصيدة :

ولاني من الورقِ السواجِ بالضحى ولكتني من بينها لم أطوقِ

وهذا كقول ابن حمديس الصقلي ، وهو أبرع وأجمع وأصنع ، إلا أن
أبا بكر قلبه على ما أراد ، ونقص منه فما أخل به ولا كاد^١ :

جناحي مبلولٌ وجدي مطوقٌ وروضي مطلول^٢ فما لي لا أشدو
وله من قصيدة أيضاً^٣ :

أني به الدهرُ فرداً في فضائله وفي الفرائد ما يُربي على الجملِ
يباضُ عرضي تحامى الدمَّ جانبهُ ليس السوادُ بأبهى منه في المقلِ

والبيت الأول منها كقول بعض أهل عصرنا :

١ ديوان ابن حمديس : ٥٤٥ (عن الذخيرة) .

٢ د : مبلول ؛ ط : مطلول .

٣ أيضاً : سقطت من م س .

وقد تقتضي هذه المفردات معانٍ تقصّرُ عنها الجملُ

وله من قصيدة :

عندي حُشاشةٌ نفسٍ في سبيل ردى^١ إن شتتها اليومَ لم أمطلُ بها لِيغدي
وكيف أقوى على السلوانِ عنك^٢ وقد ربّيتُ حبكَ حتى شب في خلدي^٣
خُدّها وهاتِ ولا تمزجُ ففسدها الماءُ في النارِ أصلٌ غيرُ مطرّد

وهذا كلامٌ بديعٌ ، ونظمٌ سنيحٌ .

وقال :

جرّبْ ولا تَغْتَرِرْ بِمحمدةٍ قد يقتلُ [النورُ] وهو نفاحُ

وقال :

ولقد وصفتُ لعاذلي من حسنه طرفاً فودَّ بآته لم يَعْدُلِ
وعصيتهُ فيما مضى من عهدنا وأنا الذي أعصيه في المستقبلِ

وله من قصيدة^٤ : [١١٨ ب]

١ أصل ط : هوى .

٢ عنك : سقطت من ط د .

٣ م س : كبد (ي) .

٤ ونظم سنيح : سقط من م س ، كما سقط البيت التالي أيضاً من م وحدها ؛ ط : سنيح .

٥ ما بين مقعنين لم يرد إلا في س .

٦ منها أربعة أبيات في كل من المغرب والفلاند، وبيتان في الحريدة .

إذا ما غراب الليل مدَّ جناحا
تقلَّبتُ في طيِّ الجناحِ لعدَّتي
إلى الله أشكوها نوىً أجنبيَّةً
سلا كلُّ مشتاقٍ برؤيةٍ إليه
إذا جاش صدرُ الأرضِ بي كنتُ منجداً
أكلُّ بني الآدابِ مثلي ضائعٌ
أم الظلمُ محمولٌ عليَّ لأنَّني
لعمري أليك الخير ما أمل الغنى
ولكنَّما أمَّلتَه لصنيعةٍ
ستبكي قوافي الشعر ملءَ جفونها
ولا ذنبَ لي عند الزمانِ علمتهُ
توهَّمتهُ عمرو بنَ هندٍ وخطني

ومنها :

إليكَ ترامتُ بي قلوبُ كنبعةٍ
لعوبٍ إذا رقصُ السرابِ استفزَّها
تباري الصبأ في سيرها فكأنَّها
وما راعها إلاَّ الزمام تظنُّه

معطَّفةٌ في دقَّها والحيازِم
بييضِ الأداحي في النقا المتراكم
جبانٌ تولى في غبارِ الهزائم
إذا ما تلى حيةً في المخاطم

١ سقط هذا البيت من ط د .

٢ المغرب : الأعاجم .

٣ يشير إلى المثل : « إن الشقي وافد البراجم » . (فصل المقال : ٤٥٤ والعسكري ١ :

٨١) وكان عمرو بن هند قد آلى أن يحرق مائة من بني تميم ، فحرق تسعة وتسعين ووفى

العدد برجل من البراجم أقبل على النار يظن أنه يجد عندها طعاماً .

وهذا كقول المعري^١ :

يحاذرن من وقع^٢ الأزمّة لا اهتدى

مُخَبَّرَهَا أَنَّ الْأَزْمَةَ أَصْلَالُ

وهذا كقول بعض أهل العصر^٣ :

تخشى الزمامَ فثنى جيدها فرقاً

كأنه بين ثني حيةٍ ذكرٍ

ومن قصيدة أبي بكر :

كأني من البيداء أطوي صحيفةً
لنفسك أكرمتني ولا معاشرٍ
وميزك بي ميمز الكمي بسيفه
أحبك للعليا غصبتك بعضها
وإن كان منك الودُ فيأ أخذتهُ
وإن تصطنعني تصطنعُ ذا حفيظةٍ
له كلماتٌ كالتلائد في الطلى
يشقُّ عليها تركُ مدحك ضلّةً
يصولون مني بالمهندِ ماضياً

قد اختلفت فيها خطوطُ المناسمِ
إذا انتقيدوا كانوا زيوفَ الدرّاهمِ
وان أدركته مهنةٌ في الصوارمِ
وكلُّ كريمٍ مولعٌ بالأكارمِ
غُلولاً وحظي وافرٌ في المغامِ
شديداً على الأعداءِ صعبَ الشكائمِ
ولكنّها في أوجهِ كالمياسمِ
لمدحِ أناسٍ في عدادِ البهائمِ
وأمنسِكُ منهم بالحبالِ الرّماثِمِ

ومنها في المدح :

حمدتُ السرى عند الصباح بماجدٍ

هو الماء يُعطي ربه كلّ حاتم [١١٩]

١ شروح السقط : ١٢٥٧ .

٢ شروح السقط : من لدغ .

٣ هو الأعمى التطيلي ، انظر ديوانه : ٥١ .

رَحْسَبُكَ من قاضي الجماعة أنه
 به ثَبَّتَ الإسلامُ في مستقره
 إذا مشقتُ بمناه في بطنٍ مهترقٍ
 ولاحتُ سلجورٌ كالشبابِ حكينَ لي
 ومن لي بتقبيلِ الحروفِ فإنها
 أقلُّ أيادي كُتُبِهِ رِدْءُ عسكِرٍ
 ورثتُ العلا من تغلبِ ابنةِ وائلٍ
 وأنتى يجاريكم إلى المجدِ حاسدٌ
 وهذا بُجَيْرٌ وهو خيرٌ لداته
 ويا عجباً يُعزى إلى الجودِ حاتمٌ
 بل المثلُ المضروبُ في الجودِ للذي
 أمانٌ للذعورِ ومالٌ لعدم
 وشُلٌّ فريقٌ الكفرِ شلٌّ النعائم
 تحجبُ نوارُ الرَبِّي في الكرائم
 سلاسلُ أصداغِ الخلودِ التواعم
 ثغورُ الدُئى إلاً ايضاضَ المباسم
 وتأليفُ أشتاتٍ وسَلٌّ سخائم
 تلامدًا لها من عهدِها المتقادم
 جهولٌ بأسرارِ العلا غيرُ عالم
 سوى شِسْعٍ نَعْلٍ منكم لم يقاومُ
 وما هو منه في اللهمي واللاهزم
 يعودُ على أبناءِ كعبٍ وحاتم

وله من أخرى في الوزير أبي الحسين بن سراج :

تَشِفُّ وراءَ فطنتهِ المعاني
 وما طلب الكلامَ الحرَّ إلا
 أقام العلمُ دهرًا ليس يبدو
 وكان الناس في ظُلُماتٍ جهلٍ
 شفيفَ الراح من خَلْفِ الزجاجِ
 أتى بين انفرادٍ وازدواجٍ
 لها منه سوى نَتَفِ خِداجِ
 فما جليمتُ بغيرِ بني سراجِ

١ ط د : أنوار .

٢ يشير إلى قول مهلهل التغلبي، وقد قتل بجير بن الحارث بن عباد: « يؤبشع نعل كليب » .

٣ ط د : المجد .

٤ ط : إلى .

٥ هذا البيت والذي يليه سقطا من م س .

وقال من قصيدة :

وبناتُ أعوج قد برّمنَ بصحبي ممتًا قطنَ من اليباب المقفرِ
يبداءُ كالمحرومِ في أحواله لا ذا أنيلَ وهذه لم تعمر

أراه كأنَّ له في هذا بعضَ اللام ، بقول أبي تمام ^١ :

وإذا تأملتَ البلادَ وجدتها ^٢ تُثري كما تُثري الرجالُ وتعدمُ

ولى هذا أشار بعضُ أهلِ العصر بقوله :

حظًّا من الدين والدنيا أصبتَ به كلُّ يرزًا حتى هذه البُقَعُ

ولأبي بكر من قصيد ^٣ :

من لم يعانقُ غزالاً في مغازلةٍ ما بين ممتنعٍ طوراً ومنفعلٍ
فما قضى من لباناتِ الصبَا وطراً ولا تنزّه في روضٍ من الجذالِ
وعاذلين رأوا أنني على خطأ كما رأيتُ بأنَّ القومَ في خطلِ
هل أنكروا غير تهيامي بغانيةٍ سكرى من الدلِّ أو ألحاظها النجلِ
ما زال يحجبها الغيرانُ مذ نشأتُ لو غيرَها حجب الغيران لم أبل [١١٩ب]
في كلِّه سيراءٍ تتقي نظري يا أيها الناسُ حتى الظلمُ في الكلالِ
من لي به حيثُ لا نخشى مراقبةً ولا نبيتُ من الواشي على وجلِ
في ليلةٍ لا يلي المريخُ مدتها ولا نقيمُ بها إلا على زحلِ

١ ديوان أبي تمام ٣ : ١٩٥ .

٢ الديوان : رأيته .

٣ م س : قصيدة .

أما الرياض^١ فقد أمهرتها قدحاً من المدام نكاحاً ليس فيه ولي
عقيقة^٢ في يدي سالت وأشربها لو شعشعت بسجايا الدهر لم تسيل

وله من أخرى :

كيف صبري على الكؤوس إذا ما عثر الروض^٣ في ذبول النسيم
وهذا من المقلوب : إنما يعثر النسيم في ذبول الروض . فإن ذهب به
أبو بكر مذهب الأخطل في قوله^٤ :

* أو بَلَّغْتَ سَوَاتِيهِمْ هَجْرًا *

وشبهه فأبو بكر ممن لا يتهم أدبه . ولا يُعْجَمُ نبعه ولا غرْبُهُ .

رجع :

وقال :

ورنا نرجس^١ الربى بعيون وبدا معصم^٢ الخليج فخطت
سوف تدري الهموم^٣ أيتة راح بنت دن^٤ رعت^٣ ببيداء نفسي
وَجَلَا الْوَرْدُ عَنْ مَحِيَّتَا وَسِيمٍ فَوْقَهُ الرِّيحُ اسْطِرَّاءً مِنْ وَشُومٍ
أَخَذَتْ مِنْ أَرْوَاحِنَا وَالْجِسْمِ فِيهِ تَعْدُو بِهِ كَعَدُوِّ الظَّلِيمِ
لِكْرَامٍ فَسَمِيَتْ بِالْكَرُومِ كَرُمَتْ^٤ فِي حَدَائِقِ غَرْسُوهَا

١ م س : المليالي .

٢ ديوان الأخطل : ١١٠ وأول البيت : « على العيارات هداجون قد بلغت ، نجران أو ... الخ

٣ م س : ريقته .

٤ م س : كرامة .

طُفْتُ بِالْأَيْكِ فَاسْتَهَلَّتْ دَمْعِي لِحَمَامٍ تَبْكِي فِرَاقَ حَمِيمٍ
تَتَغَنَّى الثَّقِيلَ حَتَّى كَأَنَّ قَدْ نَشَرَ اللهُ مَعْبَدًا مِنْ رَمِيمٍ
عَجْمَةٌ أَعْرَبَتْ بِوَجْدٍ دَقِيقٍ وَكَلَامٍ مُقَطَّعٍ مِنْ كَلُومٍ

قال ابن بسّام : لو لم يتجاوز معبد الثميل إلى سواه ، لكان لأبي بكر ما
ادّعاه ، وقرب منه ما تكلفه وتعاطاه ، وأسحّر منه وأولى بالحكمة وفصل
الخطاب ، أبو العلاء حيث يقول ، يصف الأبل^١ :

كَأَنَّ الْمَثَانِي وَالْمَثَالَتَ بِالضَّحَى تَجَاوَبُ فِي غَيْدٍ رُفِعْنَ طَوَالَ^٢
كَأَنَّ ثَقِيلًا أَوْلَا تَزُدَّمِي بِهِ ضَمَائِرُ قَوْمٍ فِي الْخَطُوبِ ثَقَالِ

ولعمري لو شبه سجع الحمام ، بخفائف الغريضة وأهزاج حكم الوادي
لكان أحسن عبارة وأفتق إشارة .

وأما قوله : « كَلَامٌ مُقَطَّعٌ مِنْ كَلُومٍ » فأشفي للقلوب من اعتلال النسيم ،
وأحلى على الأكباد من محاورة الطرف السقيم .

وفي هذه القصيدة يقول أبو بكر :

أَوْضَعْتُ بِي إِلَيْهِ وَجَنَاءُ حَرْفٌ أَكَلَتْهَا السَّفَارُ أَكَلَ الْقَضِيمِ
تَرَكَ الرِّيحَ خَلْفَهَا وَهِيَ حَيْرَى بَيْنَ إِضَاعِهَا وَبَيْنَ الرَّسِيمِ
ظَلْتُ أَطْوِي الْقَفَارَ مِنْهَا بِلَامٍ طَبَعَتْهَا بِالْمِيمِ بَعْدَ الْمِيمِ

١ شروح السقط : ١١٨٨

٢ الفيد : الطوال الأعناق من الأبل .

٣ م : إثر .

فَأْتَتْهُ وَالْمَرُوءُ قَدْ نَالَ مِنْهَا فَهِيَ تَخْطُو عَلَى وَظِيفٍ رَثِيمٍ
وَقَلِيلًا تَمْتَعَتْ فِي الْفِيَا فِي بَسْنَامٍ كَالْعَارِضِ الْمَرْكُومِ
فَأَنْخَنَّا إِلَى فِنَاءِ جَوَادٍ مَالَهُ نُهْبَةٌ لِكُلِّ عَدِيمٍ^٢
فَأَكَلْنَا لُهَاهُ أَكَلَّ الضُّوَارِي وَشَرَبْنَا [...] ^٣ شَرَبَ الْمِيمِ

أما تشبيههم الخليج بالمعصم ، فطريق لم يبق له ستر محرم إلا هتك ، ولا
فيه موضع قدم [١٢٠ أ] إلا سَلِكِ ، فمن أشهره مناراً ، وأبهره أنواراً ،
قول ابن عمار :
روضٌ كأنَّ النَّهْرَ فِيهِ مَعْصَمٌ صَافٍ أَطْلَقَ عَلَى رِداءٍ أَخْضَرَا

وقوله : « فسميت بالكروم » يشبه لفظه لفظ بيت المعري ، وبينهما
من البعد ، ما بين الدرّة والحجر الصلّد ، المعري أثبت فيه قدماً ، وأمسّ
رحماً ، حيث يقول ° :

وَأنتَ أَبُوها إِنْ غَدَتْ كَرْمِيَّةٌ وَإِنْ سَكَّتْ راءٌ فوالدها الكرم^٦

وذكرت بقوله : « بلام ، طَبَعَتْهَا بِالْمِيمِ بَعْدَ الْمِيمِ » ، قول
ابن الرومي في جهة أخرى :

-
- ١ ط د : والمرء، والمر : الحجارة .
 - ٢ هذا البيت والذي يليه لم يردا في م س .
 - ٣ سقطت في ط ، وموضعها في د : « لماه » .
 - ٤ انظر ما تقدم ص : ٣٨٢ .
 - ٥ شروح السقط : ١١٥٠ .
 - ٦ شروح السقط : كرم .

يا أخوا النحورِ والمقدّمَ فيه ليمَ تَرَى اللامَ أدْغِمْتَ في الميمِ
وكتب خلف الأحمر إلى بعض المؤدبين :

أتركُ في الحلالِ مَشَقَّ صادٍ وتأتي في الحرامِ مشقَّ ميمِ
وذكر الثعالبي^٢ أنه كان للقاضي عليّ التنوخي غلامٌ وسيمٌ ، اسمه
نسيم ، وكان يؤثره على سائرِ غلمانِه ، ويخصُّهُ بتقريبِه واستخدامِه ، فكتب
إليه بعض إخوانِه يداعبه :

هل عليّ لامُه مُدْغِمٌ لا اضطرارِ الشعرِ في ميمِ نسيمِ

فوقع تحتَه : نعم ولیمَ لا ؟ !

وقال أبو بكر من قصيدة :

واحرَّ قلبي من خليطِ زائلٍ صبري على آثاره سيزولُ
زُمَّتْ له قُلُوصٌ يبارين الصبا ولربّما سبقَ الهبوبَ ذميلُ
همُ فارقوكَ وحملوكَ من الأسي ما ليس يحملُ شامةً وطَفِيلُ
زَرَعُوا بقلبك حَبَّةً ، ونباتُه برحُ الجوى ، لا إذخرُ وجليلُ

١ ط : لم تر ٤ م س : لن ترى .

٢ اليتيمة ٢ : ٣٣٦

٣ في هذا البيت والذي قبله إشارة إلى قول بلال بن رباح مؤذن الرسول (ص) :

ألا ليت شمري هل أبين ليلة بوادٍ وحولي إذخرُ وجليلُ
وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامةً وطفيلُ
وشامةً وطفيلُ : جبلان قرب مكة .

شيعتهم متوجهين وأدمعي ونظرت في تلك الحدوج وطيبها
حدّرت الفراقِ سوافحٌ وهمول
غزلانٌ وجرةٌ أهيفٌ وكحيل

وقال من أخرى :

لا تحملني على التسويف في هبة
فيلتقي فرحي فيها مع الأسفِ
ليس اعتذارك بالأشغالِ أقبلهُ
فان شغلكَ بي أدنى إلى الشرفِ

وهذا كقول الأول^١ :

ولا تعتذرُ بالشغلِ يوماً فإنما
تُنَاطُ بك الآمالُ ما اتّصل الشغلُ

وقال أبو حاتم الحجاري^٢ :

لاني لأعلم أن شغلك بالعلا
والمجد فاجعلني من الأشغال

وقال أبو بكر من قصيدة^٣ :

عليك أبا عبدِ الإله خلعتُها
وما هي إلاّ الدهرُ في طولِ عمرها
لها البدرُ طوقٌ والنجومُ دلائلُ
وإن لم يكن فيها الضحى والأصائل

قال ابن بسام^٤ : ويا لهذا البيت ما أحسنَ مَذْهَبَهُ، وأبدعَ متواه^٥

١ انظر الإمتاع والمؤانسة ٣ : ٢٢٩ والبصائر ١/٢ : ١٥٩ وزهر الآداب : ٢٨٦ وريبع الأبرار : ٢٥٨ ب (نسخة برنستون) .
٢ انظر الذخيرة ٣ : ٦٦٣ ؛ وسقط قول الحجاري من ط د .
٣ البيتان في تمام المتن : ٢٨٩ .
٤ قال ابن بسام : سقطت من ط د .
٥ ط د : مشواه .

وَمُنْقَلَبَهُ ، إلا أنه أتى بالدهر مسلوب الضحى والأصائل ، فلم يزد على أن جلاه في أي عاطل ، لا بل أبرزه في مسوح شوهاء ناكل ، وليت شعري أي شيء أبقى للدهر المظلوم ، بعد ضحاه الناصعة الأديم ، وأصاله المعتلة النسيم ؟ هل بقي إلا ليله الأسود الجلباب [١٢٠ب] وهجير السائل اللعاب؟! ولو قال لممدوحه: « وتلك العلا فيها الضحى والأصائل »^١ لأبرز قصيدته رفافة البرود ، شفافة العقود ، ولأفاد ممدوحه بهذه الكلمة مدحاً لا يسعه المقال ، ولا تفي به القصائد الطوال .

وله من أخرى :

وما أكثرُ الأقوامِ إلاَّ ثعالبٌ تروغُ ولا يُحلى لديها بطائلِ
يردُّونَ ذهني حائراً في طباعهمُ كأنهمُ من مُشكلاتِ المسائلِ
وأصني إلى أقوالِهِمُ فتريبي صدورٌ لهم أقوينَ مثلَ المنازلِ

وقال :

خُذْها على وجهِ الربيعِ المُخْصِبِ لم يقضِ حقَّ الروضِ من لم يشربِ
هممي سماءُ علاً وهمي ماردٌ فارجمهُ من تلك الكؤوسِ بكوكبِ
والله ما أدري ولاني واقفٌ للراحِ بين تحيرٍ وتعجبِ
أفضضت دنياً أم فككت الخدرَ عن بكرٍ تجولُ مع المنى في ملعبِ
أخت الزمانِ تكسبت^٢ من خلقه جهلَ المراهقِ واحتلاكِ الأشيبِ

وله من أخرى :

١ قارن هذا بما اقترحه الصفي من تغيير (تمام المتن : ٢٨٩ - ٢٩٠) .

٢ ط د : تكشفت .

مسومة تحكي سنايكة الصفا
نمتها إلى حرٍ كريم^١ صفاؤها
وتنقض^٢ منها بالضراغم عقبان^٣
فللنَّبَعِ أضلاع^٤ وللأسِ آذان

ومنها :

دخلتُ عليها خيمة^٥ شرفاتها
فقلت : ألس^٦ قلت : بل ذوصرامة^٧
إليك شققتُ الليل كالسَّيْلِ يرتمي^٨
فقلت : أقم^٩ عندي لك الوصل كاملاً^{١٠}
وأعمد^{١١}ها^{١٢} بيض^{١٣} رقاق^{١٤} وخرصان^{١٥}
تُشَبُّ على أحشائه منك نيران^{١٦}
وفيك أسغنت^{١٧} الهول والهول^{١٨} خطبان^{١٩}
على أن^{٢٠} حظ^{٢١} العين مني حرمان^{٢٢}

ومن قوله^٥ :

عاطيته^{٢٣} والليل^{٢٤} يسحب^{٢٥} ذيله^{٢٦}
حتى إذا مالت^{٢٧} به سِنَّة^{٢٨} الكري^{٢٩}
زحزحته^{٣٠} عن أضلع^{٣١} تشتاقه^{٣٢}
صهباء^{٣٣} كالمسك^{٣٤} الذكي^{٣٥} لناشق^{٣٦}
باعده^{٣٧} شيئاً ، وكان معانقي^{٣٨}
كي لا ينام^{٣٩} على وساد خافق^{٤٠}

١ س م : النجار .

٢ ط د : وأغادها ؛ م س : وأعهدا .

٣ م س : والخطب .

٤ س م : أفق .

٥ انفردت س م بهذه المقطوعة ، وهي من قصيدة اشتهرت عند المشاركة ، ووجدت استحساناً ومعارضات ، ومنها بيت في القسم الأول من الذخيرة : ٨٢٣ وقد ذكرت بمض مصادرها هناك ويضاف إليها : الرايات : ٤٨ (غ) والمسالك : ٢٨٠ ورفع الحجب ١ : ٥٩ ومماهد التنصيص ٣ : ٨٠ والقلائد : ٢٧٩ ومطلعها في المقتضب من تحفة القادام : ٨٤ . وانظر أيضاً نفع الطيب ٣ : ٢٠٩ والفيث ١ : ١٨٦ والمسلك السهل : ٣٢٩ .

٦ في أكثر المصادر : الفتيق .

٧ في رواية : باعدته .

في ذكر الأديب أبي الحسن بن هارون الشنتمري^١

قال ابن بسّام : وأبو الحسن هذا سهل الكلام ، بارع النظام ، ممّن اغترف من بحر الكلام بكلتا يديه ، وجذب ثوبَ البيان من كلا طرفيه ؛ جدّه^٢ لأمه أبو الحسن بن الاستحي المتقدّم الذكر^٣ ، فأما سلكه من قبل أبيه فقد اتخذ لهم الزمان بُرَيْهَةً^٤ ، وهينمَ بأسمائهم هنيهة ، بشتتمرية الغرب إلى أن نبّه الدهرُ الغافلُ على^٥ أمرهم ، وأسكت من ذكرهم ، على يدي المعتضد عباد بن محمد مُخَلِّي الأوطان ، وملحق الأقران بالأقران ؛ وقد ذكر ابن حيان ذلك ، وألمت أنا بطرف مما وقع لهم معه هنالك .

ومن شعر أبي الحسن المعرب عن أدبه ، والشاهد لما وصفته به ، قوله :
يصف صدودَ غلامٍ كان له به كَلَفٌ ؛

عادتُ إلى أديانها هَيْفٌ^٥ واطّرد الإسرافُ والحَيْفُ

١ هو علي بن محمد بن سعيد بن هارون، وقد كان أهله يحكمون في شتتمرية الغرب حتى انتزعتها منهم المعتضد بن عباد سنة ٤٤٤ (انظر الحلة السيرة ٢ : ١٧ - ٢٠ والمغرب ١ : ٣٩٥ والمسالك ١١ : ٤٣٨) .

٢ انظر ص : ٢٠٠ من هذا القسم .

٣ ط د : عن .

٤ الحلة ٢ : ١٩ .

٥ من المثل : «ذهبت هيف لأديانها» (العسكري ١ : ٦٠ تحقيق أبو الفغل، وفصل المقال : ٣١٣ والميداني ١ : ١٨٧) يضرب مثلا لركوب الرجل رأسه ، والهيف : الريح الحارة ؛ الأديان : العادات .

وامتنع الأصبغُ من وصلنا
شتتريُّ الأفقِ اِغريبهُ
وزاد حتى امتنع الطيف
وربما حنَّ له الخيف
رحماً وإلا فهَيَّ السيف

وأنشدت له ٢ :

يا ليلةَ العيدِ عُدتِ ثانيةً
إذ أقبل الناسُ ينظرون إلى
وفيهمُ من أحبِّه وأنا
فقلتُ لا مؤمناً بقولي بل
أثرَ شهرُ الصيامِ فيك أبا
بل أثرَ اليومِ في هلالكمُ

وقال ٥ :

وحديقةٍ شَرِقتْ بغمراً نعيمها
تُجْري المياهِ بها أسودٌ أحْكِمَتْ
يحكي صفاءَ الجَوْ صَفْوُ غديرها
من خالصِ العقيانِ في تصويرها
وكانَ وقعَ الماءِ صوتُ زئيرها

١ س م والحلة : القطر .

٢ انظر الحلة ٢ : ١٩

٣ في النسخ : ناحل .

٤ م س : انظر وهو في السماء ينظر .

٥ الحلة ٢ : ٢٠ والمسالك والمغرب .

٦ ط د : بدير ؛ الحلة : بعد ؛ وما أثبتته رواية م والمغرب ؛ وفي س : شربت بغمراً .

وقال ١ :

انظر إلى ثابتٍ على طِرْفِهِ قد سلَّ سيفَ المنونِ من طِرْفِهِ
وهزَّ من قدِّهِ لواءَ ردِّي يُدْنِي الصَّحِيحَ السَّليمَ من حَتْفِهِ
يطوفُ بالحجِّ ٢ مِنْهُ بدرِ دجِّي على جوادِ كالبرقِ في خَطْفِهِ
يكادُ من لينِهِ ونعمتِهِ يُعَمِّدُ عَقَدَ العنانِ في نصفِهِ
فلا ترى غيرَ باهتِ فَرَقٍ بين يديه منَّا ومن خلفِهِ
ومن مشيرٍ له باصْبَعِهِ ومعلنٍ بالسَّلامِ من كَفِّهِ

فصل يشتمل على ذكر الكتاب الوزراء وأعيان الأدباء الشعراء ،

ممن نشأ في المدة ٣ المؤرخة بحضرة بطليوس ،

وسائر بلاد البحر المحيط الرومي ٤ ،

والأخذ بطرف من نوادر أخبارهم ، وشوارد أشعارهم .

قال ابن بسام : قد قدّمت في صدر هذا القسم أنّ هذا الجانب الغربي من الجزيرة . لأوّل تلك الفتنة المبيرة ٥ ، الواقعة بقرطبة في آخر دولة بني عامر ، اشتمل على بيبيّ حسب ، وجمهوريّ أدب : مملكتان من لحم وتجبب .

١ سنّها أربعة أبيات في المسالك

٢ كذا في الأصول .

٣ المدة : سقطت من ط د .

٤ زاد في م س : والأندلس .

٥ م س : المثيرة .

٦ ط د س : ابن أبي .

فَوَقَدَ عليه لذلك كلُّ أديب، واستوطنه كلُّ أغرَّ نجيب. وقد جثتُ بجملةٍ موفورة، لطوائف كثيرة، وجماعة أعداد، كانوا بدولة بني عباد، من أرباب هذا الشأن، فلنذكر الآن من نشأ من أرباب المنثور والمنظوم، بعقر هذا الإقليم، ولنقدّم منهم من تقدّم في الزمان.

وقاعدة بلاد هذا الساحل من الجانب الغربي بطليوس، ورئيسها في أكثر المدة المؤرخة - كان - .

المظفر أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الألفس^١

أديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع، وله التصنيف الرائع والتأليف الفائق، المترجم بـ «التذكرة» والمشتهر اسمه أيضاً بـ «كتاب المظفر»^٢، في خمسين مجلدة، يشتمل على علوم وفنون من مغاز وسيّر، ومثّل وخبّر، وجميع

١ جد بني الألفس عبد الله بن محمد بن مسلمة - فيما يقول ابن حيان - من فحوص البلوط وكان من أهل المعرفة والدهاء والسياسة، استطاع أن يملك بلاد غرب الأندلس : بطليوس وشترين والأشبونة وتوفي سنة ٤٣٧ هـ فخلفه ابنه محمد الملقب بالمظفر وكان أديباً عالماً، وأقام ملكاً عظيماً بالثغر الجوفي ضاهى فيه ابن عباد وابن ذي النون، وكانت بين هؤلاء حروب وغارات، وقد كان محمد المظفر يدفع الاتاوة للأذفونش، وبقي في حكمه حتى سنة ٤٥٦ هـ (انظر البيان المغرب ٣ : ٢٣٦ والحلة ٢ : ٩٦ والمغرب ١ : ٣٦٤ والتكملة ٣٩٣ (وفيه نقل عن الذخيرة) وأعمال الاعلام : ٢١٢ وصفحات متفرقة من نفع الطيب وتاريخ ابن خلدون ٤ : ١٥٩ وابن الأثير ٩ : ٢٨٨ والمعجب : ١٢٧ وشرح البسامة ودوزي Spanish Islam : ٦٣٤ وابن خلكان ٧ : ١٢٣).

٢ المشهور فيه : «المظفر» وكذلك هو في التكملة ويقال إنه لم يستعن فيه بأحد من العلماء إلا بكتابه أبي عثمان سعيد بن خيرة (البيان المغرب ٣ : ٢٣٦) وفي م س : بكتاب ابن المظفر.

ما يختصُّ به علم الأدب ، أبقاه^١ في الناس خالداً . وليس بمعدود في الشعراء والكتّاب ، فأفرد له فصلاً من هذا الكتاب ، ولو كان مجموعنا هذا في طبقات العلماء ، لكان قطبَ أفقه ، وغايةَ طَلَبِهِ . وكان ينكر الشعر على قائله في زمانه ، ويفيّلُ رأيَ مَنْ ارتسمَ في ديوانه ؛ حدثني من سمعه يقول : من لم يكن شعره [١٢١ ب] مثلَ شعر المتنبي أو شعر المعريّ فليسكتُ ، لا يرضى بدون ذلك .

وقد ذكر أبو مروان بن حيان خبره في جملة ما شرح من قصص ملوك الطوائف في ذلك الأوان ، وشرح كيف غرَّ سراًبُهُمْ ، وطَنَ ذبايهم ، فقال^٢ : كان عبد الله بن مسلمة رجلاً من مكناسة ، وكان سابور العامري أحدُ صبيانِ فاتقِ الخادم ، فتى الحكم ، قد انتزى بببليوس وثغرِ الغرب من عمل الحاجب ابن ميتويه^٣ ، فصجبه عبد الله وظاهره^٤ ، ورمى إليه بأموره ، فدبَّرَ أعماله وتزيّد في الغلبة عليه ، حتى صار كالمستبدّ به ، فلما هلك سابور ورث سلطانهُ بعده ، فاستولى على الأمور وتلقب بالمنصور ، ثم أفضى الأمرُ لابنه محمد وتلقب بالمظفر .

قال ابن حيان : ومن النادر الغريب انتماؤه في تجيب ، وبهذه النسبة مدحته الشعراءُ إلى آخرِ وقتهِ ، منهم ابن شرف القيرواني حيث يقول^٥ :

١ م س : أبقاه الله .

٢ النص في الحلة ٢ : ٩٦ وانظر البيان المغرب ٣ : ٢٣٧ .

٣ ط م د س : مينويه .

٤ م س : وصاهره .

٥ انظر أبياتاً منها في المسالك ١١ : ٢٤٠ .

يا ملكاً أُنسِتَ تَجِيبُ به تحسد قحطانَ عليه نزارُ
لولاك لم تشرفَ معدٌ بها جَلَّ أبو ذرٌّ فجَلَّتْ غفار

انتهى كلام ابن حيان .

قال ابنُ بسّامٍ : وأوَّلُ قصيدةِ ابنِ شرفِ هذه في المظفرِ قوله ^١ :

زار وقد شمَّرَ فَضَّلَ الإزارُ جُنْحَ ظلامٍ جانحٍ للفرارِ
وروضةُ الأنجمِ قد صَوَّحَتْ والفجرُ قد فَجَّرَ نَهْرَ النهارِ
قلت له : أهلاً بطيفِ دنا من نازحِ الدارِ بعيدِ المزارِ ^٢
كيف خطوتَ الشرَّ ثم الشرى وابنُ هلالٍ والقنا والشِّفارِ
أصهوةَ الغبراءِ أم داحساً ركبْتَ حتى خَضَّتْ ذاك الغمارِ
وجئتَ بالخطارِ أم أعوجٍ جنيبةٌ معتدَّةٌ ^٣ للخطارِ
وهل تقلَّدتَ لدفعِ الرديِّ حمائلَ الصمصامِ أم ذي الفقارِ
وأنتَ زيدُ الخليلِ أم عامرٌ ومالكُ بنُ الربيعِ أم ذو الخمارِ
فقال لا هذا ولا ذا ولا بل كنتُ عنهم قمرًا في سرارِ

ومنها :

١ قوله : سقطت من م س .

٢ قبل هذا البيت في س م ط : ومنها .

٣ م س : معدة .

٤ المسالك : الأذى .

٥ عامر بن مالك أبو براء ملاعب الأسنة أو عامر بن الطفيل .

٦ ذو الخمار : لقب عوف بن الربيع ذي الربيعين (التاج : خمر) ، وانظر فيما يلي (ص :

٦٤٦) تعليق ابن بسام فهو خطأ ، لأن الإشارة هنا إلى فارس لا إلى فارس .

سيري فلم نَقْدِفْكَ في مجهلٍ
حيث علوق^٢ العلمِ مطلوبةٌ
خذها أبا بكرٍ غريبيةً
ليست من الشعرِ القصيرِ الخطي
قدّمَتها قبلِ قدومي كما
ولا ضربنا بكِ ضَرْبَ القمارِ^١
يوافقُ السوقَ كرامُ التجارِ
سرى بها الودُّ إليكمُ وطار
ولا من المسروقِ والمستعارِ
قدّمَتِ الحُجَّاجُ رميَ الجمارِ

ومنها :

أقمتَ للعلمِ مناراً وما
فما نداماك سوى أهليهِ
مَيِّزُكَ ميزانُ عقولِ الورى
تبدو لك الهجنةُ في لحظةٍ
من لفظهمُ تَعْرِفُ ما هم وفي
فما رأيتك العينُ تصغي إلى
أظنُّ في الدنيا لعلمٍ منار
وكلُّهمُ بين ندامى العقارِ
وفهمك العدلُ لكلِّ عيار
وتعرفُ الأسنانَ قبل الفِرارِ
جحفلةٍ العائِرِ يبدو العثارِ
مُحالٍ^٣ عجلِ سامريِّ الخوارِ [١٢٢أ]

وكان ابن شرف كتب بهذه القصيدة من طليطلة إليه . فوصله بمائه مثقال من ضرب السكّةِ لديه .

قوله : « زار وقد شمّر فضل الإزار ، جنح ظلام » أشار إلى أنه زار آخر الليل كما قال أبو تمام^٤ :

١ من قول أبي الطيب :

ضربنا بها التيه ضرب القمار فإما لهذا وإما لذا

٢ ط د : علوم .

٣ في النسخ : مجال .

٤ ديوان أبي تمام ٣ : ١٨٥

زار الخيال له^١ لا بل أزاركه^٢ فكر^٣ إذا نام فكر^٤ الخيلو لم ينم^٥
ظبي^٦ تقنصنته^٧ لما نصبت له في آخر الليل^٨ أشراكاً من الحلم

وقد عاب الأمدى هذا عليه فقال^٩ : وإذا زاره بالفكر فقد زار ، فلا
معنى للاستدراك ؛ ثم اعتذر له فقال : الاستدراك صحيح لأنه إذا قال زار
الخيال احتمال زيارة الاختيار ، من غير بعث باعث ، واحتمل وقوع الزيارة
عن حمل حامل ، فأزال هو^{١٠} الإبهام بقوله : « لا بل أزاركه فكر » ؛
وقوله : « لم ينم » لم يرد حقيقة النوم بل كما يقال : لم ينم فلان عن هذا
الأمر . وقال : « آخر الليل » ولم يقل أوله ، لأنه أنبأ أنه يسهر ، وإنما يهوم
في آخره تهوياً فيطرقة الخيال في ذلك الوقت ؛ وقيل وجه آخر ، وهو أن
الخيال لا يطرق في العادة إلا مع وفود النوم ، وهذا إنما يكون في آخر الليل
مع استمرار النوم وطول زمانه .

وقال أبو الطيب :

لا الحلم جاد به ولا بمثاله لولا ادكار^{١١} وداعه وزيباله
إن المعيد لنا المنام خياله كانت إعادته خيال خياله

يقول : التمثيل والتخييل له في اليقظة إعادة خياله في المنام ، فكان الخيال
الذي في النوم خيال الخيال الذي تصور في اليقظة ؛ وأظهر من هذا قول أبي

١ الديوان : لها .

٢ الموازنة ٢ : ١٦٧ وفي النص اختلاف كثير .

٣ م س : هذا .

٤ ديوان المتنبي : ٢٧٤ .

تمام المتقدم^١ ، وإنما أخذه من قول جران العود^٢ :

حيثُ طيفك من زورٍ ألم^٣ به حديثُ نفسك عنه وهو مشغولُ

فقوله : « وهو مشغول » أي لم يزر على الحقيقة ؛ فبنى حبيب من هذا قوله : « وما زارك الخيال »^٤ ، وبنى من قوله : « حديث نفسك » قوله : « ولكنك بالفكر زرت طيف الخيال »^٥ .

وقال الكمي^٦ :

ولما انتبهتُ وجدتُ الخيالَ أمانِيَّ نفسٍ وأفكارَهَا

وقد أعاد حبيب لفظ جران العود فقال^٧ :

استرارته فكري في المنام فأتاني في خفيةٍ واكتنامِ
يا لها لذةٌ تنزهتِ الأرُوحُ فيها سرّاً من الأجسامِ
مجانسٌ لم يكن لنا فيه عيبٌ غير أننا في دعوةِ الأحلامِ

١ المتقدم : سقطت من م س .

٢ - الموازنة ٢ : ١٦٨ وديوانه : ٥٥ وحساسة ابن الشجري : ١٧٧ .

٣ الموازنة : أهلا بطيفك . . . أتاك به ؛ الديوان : سقياً لطيفك .

٤ ط م س : طيف الخيال ، وهو خطأ ، انظر التعليق التالي .

٥ الإشارة هنا إلى بيتين لأبي تمام حذفهما ابن بسام أو سقطا من النسخ ، وأوردتهما الآمدي ، وهما :

عادك الزور ليلة الرمل من رملة بين الحمى وبين المطالي

ثم فما زارك الخيال ولكنك بالفكر زرت طيف الخيال

٦ الموازنة ٢ : ١٦٩ وديوانه ١ : ٢٢٢

٧ الموازنة ٢ : ١٦٩ وديوان أبي تمام ٤ : ٢٦٢

وعيب عليه « دعوة الأحلام » ، لأنها من ألفاظ العوام ، وصفة طيف الخيال باب ممتد الأطناب ، لا يتسع له عرض هذا الكتاب .

وقول ابن شرف: « وأنت زيد الخليل أم عامر... البيت ، أراه مما وهم فيه ، وذو الخمار فرس مالك بن نويرة ، حكاه المبرد^١ وأنشد قول جرير^٢ :
عتيبة والأحيمر وابن عمرو
وعتّاب وفارس ذي الخمار

جملة من نثر المتوكل وشعره^٣

من ذلك رقعة خاطب بها وزيره أبا الوليد بن الحضرمي^٤ وقد صرفه عن خدمته قال فيها : ولما رأيتُ الأمر قد ضاع والإدبار قد انتشر وذاع ، أشفقتُ من التلف ، وعدلتُ إلى ما يُعقِبُنَا — إن شاء الله — بالخلّف ، وأقبلتُ أستدفعُ مواقع أنسي ، وأشهد ما ضيّعتهُ بنفسِي . فلم [١٢٢ ب] أر إلاّ لرجاً قد تورطتها ، وغمراتٍ قد توسّطتها^٥ ، فشمرتُ عن السّاقِ

١ انظر الكامل ٣ : ٤٠٠ و فرس مالك يعرف حقاً بنبي الخمار ، ولكن ابن شرف لم يقع في الوهم ، كما ظن ابن بسام ، إذ أن « ذو الخمار » أيضاً لقب عوف بن الربيع ، كما تقدم ص : ٦٤٢ وكان يحارب في خمار امرأته ، فإذا سئل المطعون : من طعنك ؟ قال : ذو الخمار .

٢ ديوان جرير : ٨٥٥ .

٣ هو عمر بن المظفر محمد الذي حاصره المرابطون في بطليوس وقتل هو وابناه ذبحاً سنة ٤٨٧ . (انظر الحلة ٢ : ٩٦ والمعجب : ١٢٧ وأعمال الاعلام : ١٨٥ والقلائد : ٣٦ والمغرب

١ : ٣٦٤ والقوات ٣ : ١٥٥ والخريدة ٣ : ٣٥٦ والنفح ١ : ٦٦٣ « نقلا عن القلائد » .

٤ انظر التعريف به فيما تقدم ص : ٣٩١

٥ م س : غرقتها .

للّجتها ، وخدمت النفس بمهجتها^١، حتى خُضتُ البحر الذي أدخلني رأيك^٢،
 ووطئتُ^٣ الساحلَ الذي كاد يحولُ بيني وبينه فعلك ، فننفسك^٤ لُم^٥،
 وبسوء صنيعها ألميم^٦ واعتصم^٧، وإن متت^٨ بجميل اعتقاد، ومحض وداد،
 فأنا مقررٌ بذكره^٩، معترف بقله وكثره^{١٠}، لكنك كنت كالمثل السائر:
 « شوى أخوك حتى إذا أنضحَ رمد^{١١} »^{١٢} حتى أطمعت في العدو^{١٣}، وليست
 لأهلِ حضرتي الاستكبارَ والعتوّ، واستهنتَ بجيرانك، وتوهمتَ أن^{١٤}
 المروعة التزامُ زهوكَ وتعظيمُ شأنك، حتى أخرجتَ النفوسَ عليّ^{١٥} وعلبك^{١٦}،
 فانجذب مكره^{١٧} ذلك إليك، ومع ذلك فليس لك عندي إلا حفظُ الحاشية ،
 وإكرامُ الغاشية .

واتصل بالمتوكل أيامَ سلطانه بياطرة^{١٨} أنه قدح فيه ، بمجلس المنصور
 يحيى أخيه^{١٩}، فكتب إليه : كلُّ صديقٍ - أيدك الله - إذا خاطب صديقه ،

.....

- ١ ط د : مهجتها .
- ٢ م : وواطيت ؛ س : وواطأت .
- ٣ م س : ألم .
- ٤ ط د : بغره ؛ وفي م س : منر بذكره .
- ٥ د : بقلك وكثرك ؛ ط : بقله وكثرك .
- ٦ فصل المقال ١ : ٢٤٣ يضرب لمن يفسد اصطناعه بالمن .
- ٧ وعلبك : سقطت . ن ط .
- ٨ ط د : بيانورة (اقرأ : بياطرة) ؛ وياطرة (Evora) بلدة في جنوب البرتغال (الروض
 المعطار ، الترجمة الفرنسية : ٢٣٩) .
- ٩ تولى يحيى الملك في بطليوس بعد أبيه المظفر سنة ٤٥٦ ؛ وتلقب بالمنصور ، أما المتوكل فأعطي
 يابطرة .

فأغربُ ما يُطَنَّبُ به عليه، ويسهبُ فيه لديه^١، أن يقول: أنا كأخيك،
 محبةٌ فيك، فإذا كتبت إليك، فأني غريبة أوردُ عليك؟ ونحن منتهى كُتُوبِ
 المتخاطبين^٢، وغاية آمال المتحابين؟! غير أنه جرى في ناديك - لا زال
 معموراً بمعاليك - أنني أبيع^٣ الأحرارَ والحرائرَ، وأستصغر المعاصي^٤، والكبائرَ،
 واللهُ نزهني عن هذا وأبعدني عنه، فلا قدرةَ لبشرٍ أن ينيطه^٥ بي ويدنيني منه.

ثم ختم الرقعة إليه بشعر أثبتناه، على ما ذكرناه، من رواية أشعارِ الحلقة
 والأعيان، على قدم الزمان، وهو^٦:

فما بالهُم^٧ لا أنعمَ اللهُ بهم
 يسيئون في القول جهلاً وضيلاً
 طغامٌ لثامٌ أو كرامٌ بزعمهم
 لئن كان حقاً ما أذاعوا فلاخطت^٨
 يُنيطون^٩ بي ذمّاً وقد علموا فضلي
 ولاني لأرجو أن يسوءهم^{١٠} فعلي
 سواسية ما أشبه الحولَ بالقُبل
 إلى غايةِ العلياءِ من بعدها رجلي

١ م س : عليك . . . لديك .

٢ ط د س : المخاطبين .

٣ م : أني أسمع .

٤ ط د : الصغائر .

٥ ط : يلبطه (اقرأ : يلبطه) .

٦ الحلقة ٢ : ١٠٤ والفوات ٣ : ١٥٦ والقلائد : ٤٠ والخريدة ٣ : ٣٥٧

٧ م س : فما لهم .

٨ الحلقة : ينوطون .

٩ ط د : يسيئهم .

١٠ م س : طعام ليال أم .

١١ القلائد والخريدة والفوات : فلا مشت .

ولم ألق أضيا في بوجه طلاقة
وكيف وراحي درس كل غريبة
ولي خلقت في السخط كاشري طعمه
« ولاني وإن كنت الأخير زمانه »
وما أنا إلا البدر تنج نوره
فيا أيها الساقى أخاه على النوى
لنظفي^٢ ناراً أضرمت في نفوسنا
ألسن الذي أصفاك قدماً وداده
وصبيرك الذخيرة الغبيطة لدهره
وقد كنت تشكيني إذا جئت شاكياً

ولم أمنح العافين^١ في زمن المحل
وورد^٣ التقى شمسي وحرب العدا نقلي
وعند الرضى أحلى جنى من جنى النحل
لأت بما أعيأ الصناديد من قبلي
كلاب عدي تأوي اضطراباً إلى ظلي
كؤوس القلى مهلاً رويدك بالعل^٤
فمثلي^٥ لا يقلى ومثلك لا يقلى
وألقى إليك الأمر في الكثير والقلى^٦
ومن لي ذخراً غيرك اليوم لا من لي
فقل لي لمن أشكو صنيعك بي قال لي^٧

نفثت - أيدك الله - نفثة مصدر انتهى الجفاء به^٧ متناه ، وبلغ به
أقصى مداه ، فان ظهر زكلك^٦ فضلك في ستره على المعهود منك قديم الزمان ،
لا على المنفصل عنك الآن ، والله يقاسب القلوب ، ويصلح العيوب ، ويبلغنا
الأمل والمرغوب .

وقد ذكر ابن حيان بعض ما كان شجر بين المتوكل وأخيه في ذلك الأوان

١ القوات : ولم أسخ للعافين .

٢ م س : تلمح .

٣ م س : لتظفي .

٤ ط د : فمثلك .

٥ م س : يغلى . . . يغلى .

٦ انفردت م س بإيراد هذا البيت .

٧ م س : به الجفاء .

فقال : وفي صدر سنة إحدى وستين ، نشأ من تلقاء ثغر غربي الأندلس المشغور عارضٌ هم ضاعف الإشفاق ، وأكد التوقع بانكشاف خبر الاختلاف الواقع بين أميريه : يحيى وعمر ابني المظفر بن الأفطس ، [١٢٣ أ] واهتدى الطاغية اذفونش بن فرذلند المتحرس^١ بجماعة ملوك الطوائف بالأندلس ، إلى شب نار الفتنة بينهما كباداً للمسلمين^٢ ، فبدأ بالاعتلال على يحيى صاحب بطليوس منهما ، يسومه الزيادة في مال جزيته التي كان فارق أباه الهالك عليها بوساطة^٣ المأمون بن ذي النون بينهما ، فانتقض على هذا الغلام لوهي في جبلته ، وطماعية في إتيانه من قبل أخيه ، فأظهر له يحيى العجز عن الزيادة في الجزية ، فجرت بينه وبين الطاغية في ذلك خطوب^٤ اغتدى بها بلد بطليوس وثرغره ثغوراً ، فأقام يحيى منهما على ولاية المأمون بن ذي النون وحليفه ورائته^٥ عن أبيه المظفر ، ومال أخوه عمر إلى المعتضد ، وتأتت بين هذين الأخوين في أثناء ذلك هدنة على دخن ، لم يتم معها أنس ولا تمكنت لهما طمأنينة ، وما زالت السعاية^٦ تقدح بينهما نار العداوة . حتى أورت نار فتنة^٧ ضرمت البلاد ، وأجاحت الرعية ، وثلمت ثغرها وضاعفت البلية ؛ انتهى كلام بن حيان .

قال ابن بسام : ثم استوسق الأمر للمتوكل بموت يحيى أخيه^٧ ، وحصلت

١ ط د : المتورس

٢ م س : للإسلام

٣ م س : بوساطة .

٤ م س : اعتدى .

٥ م س : وارثه .

٦ س : أضرمت .

٧ ط د : أخيه يحيى .

له جميعُ بلادِ أبيه ، واحتلَّ حاضرةَ بطليوس ، وجعل ابنه العباس في يابورة^١ واتفق أن خرج طلحة بن عبيد الله^٢ مستوحشاً عنه لأمر بلغه عنه . ولحق ببلد المعتمد . فكتب العباسُ إلى أبيه معذراً عن فراره ، ويقسم أنه ما خرج إلا باختياره . فأخبرني الوزير الكاتب أبو المطرف بن الدباغ قال : إني لمسائر المتوكلَ خارجَ حضرته ، بطليوس ، حين ورودِ تلك الرقعة من ابنه العباس عليه . فبلغ منه الضجرُ منتهاه . وتجاوز مداه ، واستدعى وهو على ظهر دابته دواةً ، ووقعَ في ظهر الرقعة يومئذ فصلاً قال فيه — دون عنوان ولا دعاء ولا سلام ، وأنا أتعجب في كَتْبِهِ تلك الفقار ، مع فرط الضجر^٣ — : قبولي لتصلِّيكَ من ذنوبك موجبُ لجراءتك عليها ، وعودتك إليها ، واتصلَ بي ما كان من قبيلِكَ في خروج طلحة بن عبيد الله عنك . ولم تثبَّت في أمره . ولا تحققتَ صحيحَ خبره . حتى قرَّ بنفسه عن أهله ووطنه . والعجلةُ من الشيطان . ولا يُحتمدُ قبل النضجِ بُحْران . وهو الذي أوجبه إعجابك بأمرك . وانفرادك برأيك ، ومتى لم ترجع إلى ما وعدت به من نفسك^٤ . وصدَّرتَ به كتبك فأنا المريحُ والله نفسي من شغْبِكَ ، وإن تكنِ الأخرى فهو لك الحظُّ الأوفى . فاختر لنفسك أيَّ الأمرين ترى .

وأخبرني الوزير أبو طالب بن غانم قال : لا أنسى والله خطَّ المتوكل بهذين

١ م س . يابورة

٢ م س : عبيد الله (حينما وقع)

٣ فصلاً قال . . الضجر : سقط من م س .

٤ ط : عودت به نفسك .

البيتين في ورقة^١ بَقْلَةَ الكرنب^٢ وقد كتب إلي^٣ بهما من بعض البساتين^٤:

انهض^٥ أبا طالب^٦ إلينا واسقط^٧ سقوط^٨ الندى علينا
فنحن عقد^٩ بغير^{١٠} وسطى^{١١} ما لم تكن^{١٢} حاضراً^{١٣} لدينا

في ذكر الوزير الكاتب أبي عبد الله محمد بن أيمن^{١٤} ، واجتلاب جملة مما بلغني من ترسيبه

وكان أبو عبد الله محمد بن أيمن بأفقتنا أعجوبة الدهر ، وفريد العصر ،
وفارس ميدان النظم والنثر ، اشتهر في حَمَلَةِ الأَقلام ، اشتهارَ البدرِ في
السما ، وتلاعبَ بفرائبِ الكلام ، تلاعبَ الأفعالِ [١٢٣ ب] بالأسماء .
ولما صرف المتوكلُ ذا الوزارتين أبا الوليد بن الحضرمي عن خدمته ، وقبض
يَدَهُ عملاً كان يتصرف فيه من تدبير دولته ، لم يفوض^{١٥} بعده إلى وزير ،
ولا ألقى إلى أحد بأزمنة ذلك التدبير ، غير أن أبا عبد الله بن أيمن هذا كان
من وزرائه ، وصَحْبَتَهُ بمنزلة الرقيب من الحبيب ، لا يحظى بشراً بنواله ،

١ في ورقة : سقطت من م س .

٢ ط : يقلب الكرب ؛ د : بقلة الكرب ؛ وانظر الحلة ٢ : ١٠٧ .

٣ القلائد : ٤٦ ؛ والمغرب ١ : ٣٦٥ وأعمال الاعلام : ١٨٥ والحلة ٢ : ١٠٧ والنفح ١ :
٦٦٦ ، ٣ : ٣٢٩ ؛ ٤ : ١٥٥ ونسبهما في الموضع الثاني إلى المعتصم بن صمادح ، وانظر
بدائع البدائنه : ٣٧٤ والمقتطف : ٣٢ والفوات ٣ : ١٥٦ وفيه أن الوزير هو أبو غانم وهو
يخطبه بقوله : انهض أبا غانم الخ .

٤ انظر ترجمته في المغرب ١ : ٣٦٦ وذكر المحقق هناك أن له ترجمة في مسالك
الأبصار ٨ : ٣٢٢ .

ولا يطعمُ أحدٌ معه في وصاله ؛ ولما احتلَّ الوزير الكاتبُ أبو المطرفُ ابن
الدبَّاغِ حضرة بطليوس - جسبما سنشرحه^٢ - خاف ابنُ أيمن أن
يمحوَ سناه ، ويستولي على مداه ، فاشتعلتَ بينهما نارٌ ملأ الآفاقَ شعاعُها ،
وأخذ بعنانِ السماء ارتفاعُها ، وأحسبُ ذلك كان سببَ ارتحالِ أبي المطرف
عن حضرتهم ، وخروجهِ من جملتهم ، وسنأتي بذكره في القسم الثالث من
هذا المجموع ، إن شاء الله .

وقد أخرجت من كلام ابن أيمن ما يأخذ من البلاغة باليمين ، ويشهد
له بالمكان المكين .

فصل من ترسيله

لما اشتدَّ يومئذ كَلَبُ الروم ، بهذا الإقليم ، على ما تقتضيه شهادةُ
المنثور والمنظوم ، بلسان من اندرج ذكره في هذا الديوان من كلِّ زعيم ،
استصرخَ ملوكُ الطوائف بأفئتنا أميرَ المسلمين وناصر الدين أبا يعقوب
يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، وقد ألقوا بأيديهم ، فكتب أبو عبد
الله بهذه الرسالة عن صاحبه ، وأراها كانت ثلاثة المفاصلة ، أو ثانية
المداخلة^٣ ، وهي :

لما كان نورُ الهدى - أيدك الله - دليلك ، وسبيلُ الخير سبيلك ،

١ م س : أبو المظفر .

٢ ورد مشروحاً في القسم الثالث : ٢٥١ .

٣ عن صاحبه . . . المداخلة : سقط من م س .

ووضحت في الصلّاح معالمك ، ووقفت^١ على الجهاد عزائمك ، وصحّ العلم بأنك لدعوة الإسلام أعزُّ ناصر، وعلى غزو الشرك أقدر قادر، وجبّ أن تُستدعى لما أعضل من الداء ، وتستغاث لما أحاط بالجزيرة من البلاء ، فقد كانت طوائف العدو المطيفة بها - أهلكهم الله - عند إفراط تسلطها واعتدائها^٢ ، وشدّة كلبها واستشرائها ، تُلطف بالاحتيال ، وتُستزك بالأموال ، ويُخرج لها عن كل ذخيرة ، وتسترضى بكل نفيسة خطيرة ، ولم يزل دأبها التشطط والعداء ، ودأبنا الإذعان والانقياد ، حتى استُصفي الطريف والتلاد ، وأتى على الظاهر والباطن النفاذ ، وأيقنوا الآن بضعف المينن ، وقويت أطماعهم في افتتاح المدن ، واضطرت في كل جهة نارهم . ورويت من دماء المسلمين أسنتهم وشفارهم ، ومن أخطأ القتل منهم فإنما هم بأيديهم أسرى وسبايا ، يمتحنونهم بأنواع المحن والبلايا ، وقد همّموا بما أرادوه من التوثب ، وأشرفوا على ما أمّلوه من التغلب^٣ ، فيا لله ويا للمسلمين ! ! أيسطو هكذا بالحقّ الافك ، ويغلب التوحيد الشرك . ويظهر على الإيمان الكفر ، ولا يكتنف هذه الملة النصر؟! ألا ناصر لهذا الدين المهتمّ : ولا حامي لما استبيح من حيمي الحرم! ! وإنّا لله على ما لحق عرشه من ثلّ ، وعزه من ذلّ ، فإنها الرزية التي ليس فيها عزاء ، والبليّة التي ليس مثلها بلاء .

١ م س : ووقف .

٢ م : واغترابها

٣ قوله : ولم يزل دأبها . . . من التغلب : انظر ما تقدم ص : ٢٤٨ - ٢٤٩ حيث

اقتبسه ابن بسام كأنما هو من إنشائه .

٤ عرشه : يعني عرش الدين .

ومن قبل هذا ما كنتُ خاطبتك - أيديك الله - بالنازلة في مدينة قورية - أعادها الله - وأنها مؤذنةٌ الجزيرةَ بالخلاء، ومن فيها من المسلمين بالخلاء، ثم ما زال ذلك التخاذلُ يتزايدُ، والتدابيرُ يتساندُ، حتى تخلصت القضية، وتُعجّلت البليّةُ، وحصلت في يد العدو - قصمه الله - مدينةٌ سرّته^١ وعليها قلعةٌ تجاوزت حدَّ القلاع، في الحصانة والامتناع، وهي من المدينة كمنقطة الدائرة وواسطة القلادة، يُدركها من جميع نواحيها، ويستوي [في]^٢ الاستضرار بها قاصيها ودانيها^٣؛ وما هو إلا نفسٌ خافت، ورمقٌ زاهق، إن لم تبادروا بجماعتكم عجالاً، وتنداركوها رُكباناً ورجالاً، وتنفروا نحوها^٤ خفافاً وثقالاً. وما أحضركم^٥ على الجهاد بما في كتاب الله تعالى، فإنكم له أتلى، ولا أحرّضكم^٥ على [١٢٤ أ] التسرع إليه بما في حديث رسوله عليه السلام، فإنكم إلى معرفته أهدى.

وكتابي هذا جُملةٌ^٥ : الشيخُ الفقيه الواعظُ يفصلها، ومشمّلٌ^٥ على نكتةٍ هو يوضحها ويبينها، فإنه لما توجه نحوك احتساباً، وتكلّف المشقةَ إليك طالباً ثواباً، عوّلتُ على بيانه، ووثقتُ في عرض الحال عليك بفصاحة لسانه؛ وأنت بفضلِكَ تستوعبُ ما يؤدّيه استيعابَ المستوفي، وتصفي

١ ذكرها الادريسي (نزهة المشتاق - قسم الأندلس والمغرب : ١٧٥ ، ١٩٦ تحقيق دوزي) وذكر أن بينها وبين شقورة مرحلتين كبيرتين ، وأنها مدينة متوسطة القدر حسنة البقعة كثيرة الخصب .

٢ ط : ويستوي .

٣ قارن بما ورد ص : ٢٤٩ .

٤ نحوها : زيادة من م س .

٥ ط س : يحمله ؛ م س : حملة .

إلى ما يُنْهيه إصغاءَ الواعي ، وتجد منه مفضّـ المرتعض ، وتنحركُ له تحركَ
المرتعض .

ثم لم يزل يستشري الداء، ويعمُّ أقطارَ الجزيرة البلاء، وأميرُ المسلمين وناصر
الدين - رحمه الله - مشغولٌ ببقية حرب طوائف البرابرة المتغلبين - كانوا -
على أقطار العدو ، فلم يزل يميّطُ أذاها ، ويصرحُ قذاها ، حتى سَلِكَ آ
سبيلها ، وطاب مُسْتَقَرُّها ومَقِيلها . وكان من أشدّ تلك الطوائف أبدأ ،
وأمتنّها كيداً ، العزّ بن سقوت^٢ ، المتغلب - كان - على مدينة سبتة وما والاها ،
فإنه جاهرَ بالخلاف سَماعاً وِعياناً ، وشغل أميرَ المسلمين - رحمه الله - عن
تلافي هذه الجزيرة زماناً ، إلى أن بلغ الكتابُ أَجَلَهُ ووقته ، وفُتِحَتْ على
يديه سبتة ، حسبما نلخص الخبر عنها .

١ م س : سلكت .

٢ د م : سكات ، وهذا وجه من وجوه كتابة هذا الاسم (انظر الجذوة : ٣٣) وهو أيضاً
سكوت ، وسواجات ، وفي أخباره راجع البيان المغرب : ٢٥٠ وأصمالات : ١٤١
وروض القرطاس : ١٠٤ وابن خلدون ٦ : ١٨٤ ؛ وقد كان الحموديون استخلفوا على
سبتة شخصاً اسمه رزق الله (أبو العطف) فقتله سقوت سنة ٤٥٣ وحكم سبتة وتسمى
« المنصور » وهو والد الحاجب العز ، الذي دخل المرابطون سبتة في أيامه .

إيجاز الخبر عن فتح مدينة سبته وتلخيص التعريف بأولية أمرها^١

كان سقوت بن محمد المتغلب عليها قد جرى عليه سباء ، واستبد^٢ به ولاء ، ففاز به^٣ قِدْحُ علي^٤ بن حمود أَيْسَامَ امْتَرَى أخلاقَهَا ، واعرورى شقاقها^٥ وخلافها ، ومن هالته طلع هلالاً^٦ وبدراً ، وبين باطله وبطلته عتق خلاً^٧ وخمراً ، وعليه^٨ جيب رحاها ، وإليه كان مسجراها ومرسأها ، حتى عُدَّتْ^٩ أيامه ، واشتهر مقامه^{١٠} ، وملاً أجزاء الزمان وصدر الأوان بأسه وإقدامه^{١١} . ولما أفضت الدولة الحمودية إلى سِقْط زَنْدِهَا ، ومنتهى جهدها ، يحيى بن علي - المتقدم الذكر - ألقى بمقاليد سبته إلى هذه الأفعى الجارية ، والشعلة الوارية ، سقوت المذكور ، فأقام به عمودها ، وأطعمه قائمها وحصيداها ، وطفق لأول حينه يخلق ويفري ، ويحمر لأبعد شئونه ليسير ويسري^{١٢} ، وقد كان يحيى بن علي^{١٣} أشرك معه في عمالتها مولى^{١٤} آخر من مواليه يكنى أبا العطف ، أخذ أجذال الطعان ، وكفأة الأقران ، فأقاما بقية أيام يحيى بن علي^{١٥} يتجاذبان أهدابها ، ويتعاطيان

١ م س : أميرها .

٢ به : سقطت من ط د .

٣ م س : ثقافها .

٤ م س : وعنه .

٥ ط : غدت .

٦ وطفق . . . ويسري : سقط من ط د .

أفداحها وأكوابها ، إلى أن وقع من مقتله^١ سنة سبع وعشرين ما فرغنا من ذكره ، ونبئنا على مستودع مستقره ؛ ولما أفضت دولة آل حمود إلى ابنه إدريس بن يحيى بن علي سما سقوت بن محمد فأخذ بيلقَم الطريق ، وطلع لمغبونه إدريس من ثنايا العقوق ، وأول ما بدأ به من ذلك الفتكُ بشريكه الحاسر ، بحيلة خفية ، تمخضت له بميتة^٢ وحية ، في خبر طويل ، تركتهُ تخفيفاً للتثقيل ، فأصبح بعده سقوت بن محمد قد حلت شمسُ سلطانِه بالحمل ، وقام وزنُ زمانِه فاعتدل^٣ ، وتسمى لأوّل وقته يومئذٍ من الأسماء السلطانية بالمنصور المعان ، وقد عرض له ابن حيان ببعض أوابده ، وفصل بذكره سلكَ مُقيّداتِه وشوارده ، وأنا أذكر من ذلك ما وفي به وسُعي ، وكان من شرطِ جَمعي .

قال ابن حيان^٤ : وهذه نادرة من طخيات^٥ هذه الفتنة^٦ الميرة ، أن تخطت أرضَ هذه الجزيرة ، إلى ما وراء بحرِها الزقاي الذي كان منه دخول العرب أيام فتحهم لهذا الصُّقُع ، هاجتها^٧ أسبابُ المنافسة الفادحة ، لامتعاض حسيب الأملك النبيه الأبوة الشاغبة ، عبّاد ، من هضم جاره الخارجي سقوت

١ يعني مقتل يحيى الحمودي .

٢ م س : بموتة .

٣ م س : واعتدل .

٤ نقل بعض هذا النص في كتاب مفاخر البربر : ٤٥ مع بعض اختصار وتغيير في الترتيب وخلط بكلام ابن بسام نفسه ، وانظر مخطوطة الرباط (رقم : 1275) ص : ٨٣ .

٥ ط : طخيات ؛ م : ضحياة ؛ س : صخياء ؛ مفاخر : هيجان (وفي المخطوطة : طخليات) والطحية : الظلمة أو السحابة .

٦ زاد في المفاخر : البربية .

٧ م س والمفاخر : هاجها .

مولى ابن ١ حمود - بزعمه - الناهض الجند بأنقص ٢ الخلال : من مَعَقَّة المولى وَخَتَرَ الرقيق ٣ واهتضام الحقوق ، والترقي إلى أعلى مراتب السلطان ، حتى تسمى بالمنصور المعان ، لقبين في قران ، أغمض له عليهما [١٢٤ ب] الزمان ، فساء غلظته في نفسه ، واضطره القدر أن تمرس بجاره ٥ عباد صير في ٦ الفتنة الذي لا ينام على دمنة ، كان سبب ذلك باعتقال عباد لرجل من تجار سبته في شيء حضره بحضوره ، فاعتدى عليه سقوت فاعتقل له عدة تجار ٧ ، فنشأت لذلك بينهما ٨ وحشة سنة سبع وخمسين ، امتطيا لها ظهر اللجاج ، على ما بينهما من التظام اللجاج ، فتهاوتا على القطيعة واجتمعا على عقد البحر بينهما ، فتلقت فيه رؤوس أموال ، وهلكت من أجلها نفوس رجال ، يطول في صفتها المقال ، إلى أن أكل عباد من أسطول أنشأه نحواً من ثمانين قطعة ، فأجراها إلى سبته ، فخرج عليها ١٠ أسطول لسقوت ، فكان الظهور لابن عباد ، ثم افرقت الأساطيل بعد حروب وسقوت

١ م س : آل .

٢ م : بأنقص ؛ س : فانقص .

٣ م س : وخبر الرقيق .

٤ م س : لأعلى موارب (س : موازب)

٥ م س : يجاه .

٦ ط : صيفري ؛ م : صرفي .

٧ ط : رجال .

٨ م س : بينهما لذلك .

٩ ط د : عقل ؛ س : عقر .

١٠ م س : إليها .

دماء ، وانقطع بحر الزقاق بينهما مئة^١ استهما اجتراراً منافعِهِ فيها ؛ انتهى
ما نخصته من كلامه .

قال ابن بسام : ثم غلظ أمر سقوت ، حتى أخاف^٢ القريبَ والنَّازح ، واقتاد
الحرونَ والجامع ، وانبثت^٣ سراياه في البحر والبرِّ ، فأدرك المطلوبَ والطالب ،
وتصيد الطافي والراسب ، ونجم^٤ في لمتونة أمير المسلمين وناصر الدين أبو
يعقوب يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، فأحاطت دولته بالفرق ، إحاطةً
القلادة بالعتق^٥ ، ودبَّت في ممالك العرب والعجم ، دبيبَ البرِّ في السَّقم ،
وظفق يتبع آفاقَ جَوْرِهِمْ بالعدل ، تتبع الديمة آثارَ المحل ، ويسبق قولَهُمْ
بالعمل ، سَبَقَ السيفِ العَدَلُ ، وتجاروا إلى مصارعهم ، حتى لحق متبوعُهُمْ
بتابعهم ، وانتظم دانيهم بشامعهم ، ودارت النوبة على سقوت بن محمد ،
فتطرف^٦ أمير المسلمين - رحمه الله - بلدَه للفراغ ممن شدَّ عنه من ذؤبانِ
زَنَاتة ، وقد التفؤوا بأحد محاش^٧ الفتنة ، وألوا إلى موضع يعرف^٨ بالدمنة ،
فتزل بساحتهم أمير المسلمين ، سنة إحدى وسبعين ، على مقربة من بلاد
سقوت^٩ ، فهم^{١٠} بالأنحياش إليه ، فقد كان آلَ ولَّيلَ عليه ، فنهاه حزبُه
الذميم السَّعي ، وثناه ابنه الفائل الرأي ، فقد كان هذا الفتى على بعدِ

١ ط د م س : احترام .

٢ أخاف : سقطت من م س .

٣ من هنا يبدأ النقل في كتاب مفاخر البربر : ٥٤ ومخطوطة الرباط : ٨٧ .

٤ م س : بالفراق . . . بالأحناق .

٥ مفاخر والمخطوطة : فتطوف .

٦ م س : يدعى .

٧ زاد في المفاخر : فتضيفه لا من خلة ، وأراد أن يكثر به لا من قلة .

مراميه ، ولو ذعيبة - زعموا - كانت فيه ، يذهب مذهب الجبابرة من ملوك الطوائف عندنا ، من الإعراض عن العواقب ، وأخذ الشاهد عياراً على الغائب ، أين ما هو فيه . لا يحفل بشيء يذره ولا يأتيه ، ووضحت لأمر المسلمين - رحمه الله - السبيل إلى حربه ، لما كان من نفاذه عن قُربيه ، وانتبأه لأول وهلة عن حزبه ؛ فلما أوقع بأهل الدمنة ، رمى سقوت ابن محمد بأقماره ونجومه ، وأحله وجوه هيممه^١ وهمومه ، والبلاد تنقاد لحكمه ، والمنابر تكاد تهل^٢ باسمه ، وسمع الرعية بمقدمه ، فاثالوا عليه اثيال الجياح على الوليمة ، وتباشروا به تباشراً البلد^٣ بالديمة . وخرج سقوت بن محمد في عديده وعدده ، للذب - زعم - عن رعيته وبلده ، وعساكر أمير المسلمين يومئذ على مقربة من مدينة طنجة ، وعليها من قبله ابنه المسمى بضياء الدولة ، فلقي عساكر المرابطين وقد سالت بها سيولهم . وشارفها لواؤهم ورعيهم . فأقام بإزائهم يومين والأجل يُقحمه ، والخيال تُسلمه ، إلى أن طحنته رحاهم . وسالت نفسه على أستهم وظاهم ، يوم الكسوف الشمسي الكلي من العام المؤرخ ، ودخل المرابطون طنجة ذلك اليوم .

وأفضت الدولة البرغواطية إلى الحاجب العز ابنه ، شهاب أفلاكها ،

١ م س والمفاخر : همته .

٢ م : تهذ ؛ س : تمد .

٣ زاد في المفاخر : التيهام (وفي المخطوطة : التمية) .

٤ زاد في المفاخر : وأقسم أن لا يسمع قرع طلبه (طلبه ؟) في ملكه .

٥ يمعي : وعلى طنجة من قبل سقوت . . .

٦ م : وطار بها ؛ س : وشان بها .

وخيرة أملاكها ، هبّ للأدب ريحاً ، ونفخت دولته في أهله روحاً ،
 أعرض^١ به الشعراء وأطالوا ، ووجدوا به السبيل إلى المقال فقالوا . وممن
 خيّم في ذراه ، ونال الحظّ الجسيم من دنياه ، الحصريّ الضريّر ، فإن^٢
 له فيه^٣ ما أذهل الناظر عن الرقاد ، وأغنى المسافر عن الزاد ، والحاجب^٤
 يكحل عينيه بزينة دنياه ، ويفتق لهاته بمواهبه ولهاه ، وكان سهل الجانب
 للقصد ، طلق اليد بالمواهب الأفراد ؛ من رجل [١٢٥ أ] استعان بالشر ،
 وتهاون بالأمر ، لا يجي إلا من غلول ، ولا يجيش إلا إلى ابن سبيل ،
 لا سيما البحر فإنه أضرم لججته ناراً ، ولقي ريجه إعصاراً ، أخذ كل^٥
 سفينة غضباً ، وأضاف إلى كل رعب رعباً ، فضجّت منه الأرض والسماء ؛
 والتقت الشكوى عليه والدعاء ، وأذن الله لأمر المسلمين وناصر الدين
 - رحمه الله - فأناخ بعقوته ، وحكّم مداه بين سنّاميه وذروته .

وكان من الاتفاق العجيب أن أنشأ المعتمد سفينة ضاهى بها مصانع الملوك
 القاهرين بعد العهد بمثلها : شدة أسير ، وسعة بطن وظهر ، كأنما
 بناها على الماء صرحاً مرّداً ، وأخذ بها على الريح ميثاقاً مؤكداً ، ووجهها
 على مدينة طنجة لتمتار ، وقد أنجد أمر الله وغار : ولما رأى أمير المسلمين
 وناصر الدين - رحمه الله - تلك السفينة ، خاطب المعتمد في ذلك ، فشجنت
 على سبته موتاً ذريعاً ، وأقيمت بإزاء أسوارها حصناً منيعاً . فلما كان يوم

١ مفاخر : أعوص .

٢ ط د : فبان .

٣ في النسخ : فيها .

٤ ط د : ومنعة .

٥ م س : إلى .

٦ م س : سورها .

الخميس من صفر سنة ست وسبعين ، قدّمَ أمير المسلمين لقتالِ سبتهِ أسطولاً فخماً ، رجم به مرّدةً عفاريتها رجماً ، ولقيه العزّ بن سقوت ببقيةِ جمّةٍ من أسطولٍ طالما أوسع البلادَ شراً ، وملاً قلوب أهلها ذعراً ، فكان لأوّلِ ذلك اليومَ ظهوراً^١ على أسطولِ المرابطين حتى أخذ منه قطعةً جليلة المقدار ، ظاهرة الحماة والأنصار ، فكان من إذلال الله للعزّ بن سقوت يومئذٍ أنْ بخلَ على أخذِها^٢ ، وتكلّمَ بكلامٍ أنكر عليه فيه ، وارتاعت محلة المرابطين لأخذِ تلك القطعة ، حتى همّوا بالإحجام ، وقوّضوا بعضَ الخيام . وغضب أمير المسلمين وناصر الدين — رحمه الله — إحدى غضباته فكانت إياها ، وفغرت المنايا^٣ على سبتهِ فإها ، وتقدّمت تلك السفينة حتى أطلّت على أسوارها ، ورفعت صوتها بيوارها ، وأفضت بدولة صاحب سبتهِ إلى سوءِ قرارها ، ليلة الجمعة من صفر المؤرخ ، ولجأ العزّ بن سقوت في نُفَيْرٍ من أصحابه إلى البحر ، فهمّ بركوبه ، فأعوزه الفرار ، ودقّعَ في صدره المقدار ، وكرّ راجعاً ، فدخل داراً تعرف بدار تنوير^٤ . وبدر به جماعة من المرابطين ، فاقتحموا عليه بعد مرامٍ بعيد ، وقاتل شديد ، حتى ضاق اضطرابه ، وفرّ عنه أصحابه ؛ ولما أحسّ بالشرّ دفع ذخائراً كانت عنده إلى أحد من وفي له من رؤوسِ حمايته . فبلغني أنه عثِرَ عليها ووُجِدَ فيها جوهرٌ كثير . ونشَبُ من نشَبِ

١ م س والمفاخر : ظهر .

٢ ط : أخذها .

٣ ط د : المنية .

٤ م س : أظلت أسوارها ؛ ط د : طلت على . . .

٥ مفاخر : شوير (وفي المخطوطة : تنوير) . . .

٦ م س : دنابير .

المملوك^١ خطير ، وَوَجِدَ في جملتها خاتم يحيى بن علي بن حمود . وخرج العزّ بن سقوت حين وضح الفجر من ليلته تلك . فلقبه المعزّ ابن أمير المسلمين^٢ — رحمهما الله — فجلّله الحسام ، وحكّم فيه الحمام ، تعالى من لا يُردُّ قضاؤه ، ولا تبيد آلاؤه .

ومن ترسيل ابن أيمن أيضاً رقعة^٣ عن المتوكل إلى المعتمد في معنى خروج أبي المطرف ابن الدبّاغ عنه^٤ إليه ، قال فيها : من تخيّرَكَ — أيدك الله^٥ — على سواكَ : وأرادك^٦ وترك وطنه هجرةً إلى ذراك ، وأسرعَ تلبيةً إلى دواعي سرّوك وعلاك : فمجدك يقضي له — وإن أزعجتهُ عنك بحكم الاضطرار ، صروف الأقدار — أن تستمرّ عليه النعمى ، وتطرّدَ لديه^٧ العارفةُ الحسنى ، وينتظم بدءُ الصنيعة فيه بالعقبى ، فالفضلُ على علمك بتمامه ، والطولُ باختتامه ، والبرّ بمقتضاه^٨ ، والمنُّ بأخراه .

وهذه — أدام الله تأييدك — حالُ فلان ، فإنّه هجر إليك الورى ، وركب

١ م س : المملك .

٢ كان المعزّ وليّ عهد يوسف بن تاشفين ، لكنه توفي في حياة أبيه فقدم يوسف ابنه علياً لولاية العهد ، وفي مفاخر البربر أن المعزّ طلب إلى ابن سقوت أن يعطيه المال فقال له : « خازن أبيك كنت نجمع لك المال ؟ » فجلّله الحسام . . . الخ .

٣ ط د : ومن ذلك رقعة . . .

٤ عنه : زيادة من م س .

٥ م س : أدام الله تأييدك .

٦ وأرادك : سقطت من م س .

٧ م س : عليه .

٨ م س : بمقتضاه ؛ ط د : بمقتضاه .

نحوك أعناقَ الأملِ والهوى ، وقد كان ظفراً بالحظ^١ من ذنياه ، واعتلقَ منها السببَ الذي لا تُنتَقِضُ مِرْرُهُ ولا تتكثُر^٢ قواه . إلاَّ أنَّ الزمانَ من بت^٣ العِصَمَ : وإحالةِ النعم ، والقَطْعِ بذوي الآمالِ والهَمَمِ ، جارٍ في سَنَنِهِ الذمِيمِ ، على القديمِ ، وحينَ جَدَّ به^٤ الجُدُّ العائرُ - أسعدَ اللهُ جدودك ، وأدامَ تَأْيِيدَكَ - في الانزعاجِ من جنابك ، ومفارقةِ النعمةِ من ملازمةِ ركابك ، وَخِدْمَةِ مَتِّهِ بِابِكَ ، لحقِّ بمحضرتي - طَاعَتِكَ - يعْتَقِدُ - وحق^٥ [١٢٥ ب] ما اعتقده - أنه لم ينفصلْ عن جماعتِكَ ، ولا تحوَّلَ إلاَّ إلى أعمالك ، ولا انتقل من يمينك إلاَّ إلى شمالك ، وعنده تذكُّرٌ لحُسْنِ معاهدِهِ لَدَيْكَ ، وطيبِ مشاهدِهِ بين العزيزتين يديك . ما ليس مثله إلاَّ عند معتقدِ أيامِ الصِّبَا ، ومستعيدِ عَشِيَّاتِ الحَمَى . وأما شُكْرُهُ لِسَوَالِفِ نَمَلِكَ ، ونشرُهُ لمطاويِ مَنَارِعِكَ الجَمِيلَةِ وَهَمَمِكَ ، وإشادَتُهُ بِسَنَائِكَ ، وإبداؤُهُ وإعادَتُهُ فِي حُسْنِهِ آثارَكَ وَأَنْبَائِكَ ، فبِحَيْثُ لَوْ جَازَ أَنْ تُتَقَلَّدَ مَقَاوِمُهُ فِي ذَلِكَ لِعَطَّلْتَ الحَلِي ، أَوْ تُتَوَرَّدَ لَشَفْتُ مِنَ الصَّدَى ، أَوْ تُتَرَشَّفَ لِأَغْنَتْ عَنِ بَرْدِ اللَّيْلِ ، أَوْ تُقَطَّفَ لَكَفَّتْ مِنْ يَانَعِ الجَنَى . ومن فارقك - أَيْدِكَ اللهُ - وَتَحَرُّقُهُ لِبَعْدِ عَنكَ تَحَرُّقُهُ ، وَتَحَقُّقُهُ بِالتَّشْيِيعِ لَكَ تَحَقُّقُهُ ، فَفَضْلُكَ البَاهِرُ يَأْبَى أَنْ تَنْقَطِعَ عَنْهُ عَوَارِفُ الإِجْمَالِ عَلَى النُّوَى ، وَلَا سِيَّما

١ م : بالحظ فيه ؛ س : بالحد فيه .

٢ م س : ينتقض . . ينتكث .

٣ م س : الزمن من بت .

٤ م س : جذبه .

٥ م س : تحسین .

وقد وسّدتُ مع القُرْبِ جوازيءُ أُماليهِ أبردَيّ ظلالِهِ^١ ، وأوردتُ على
الدنوِّ ظامنةً ذمامِهِ النميرَ العذبَ من جِمامِهِ ، وقد كان لحقهُ عند انزعاجه
عن حضرتك - والله حراسَتُها ، ولك رثاستُها - ما الفضلُ له متألّم ، والمجدُ
منه متذمّم ، ممّا أعلم - والله - عِلْمَ اليقين أن سيادتكَ تأتي مسموعهُ ،
ولا ترضى وقوعهُ ، وإنما أتى ذلك التعديّ - لا محالة - من جهة المتولّي ،
لأنّ قَدْرَكَ - رفعه الله - مُنزّهٌ عن ارتجاعِ موهوبٍ ولو عظم ، ومعاملة
خادمٍ باستصفاءٍ مكسوبٍ وإن ظلّم ، وعند الوزير الكاتب أبي طالب من
بَسَطِ هذه النكتةِ ما أنت بمعاليك تقتضيه منه وتستوفيه ، وتأتي متفضلاً من
الإيجاب فيه ، بما يليقُ بسؤددك الأثيل ، وقَعْدُكَ الجليل ، ومعتقدك
الحسنِ الجميل ، واضعاً بذلك عندي بدأ تشفُّ على متقدّم أخواتها ، وتهتفُّ
بالتعجيزِ عن معارضتها من جميع جهاتها .

وله^٢ : الفضلُ - لا زلتَ له أهلاً ، وبه أولى - عن شرف حامليه مُوضح ،
« وكلُّ إناءٍ بالذي فيه ينضح » ؛ وورد كتابك - لازالت المسارُ^٣ تَرِدُكَ ،
والأقدارُ تُسَعِّدُكَ - بوصول فلان إلى حضرتك - ضاعفَ الله جلالها ،
وبسطَ ظلالها - ، وما كان مِن أخذِهِ عند مثوله ، بكرمٍ^٤ فرعِهِ التابع
لطيب أصوله ، في وصفي بما والله قَطَعَنِي على البعد ، وقنَعَنِي حياءً من
المجد ، فإني ما رأيتُ مثله سواه ، والله يغفرُ له ما أتاه ، ذكّرَ الجودَ والبحرُ^٥

١ ط د : ظلّه ؛ وهذا من قول الشاعر :

إذا الأوطى توسد أبردیه حدود جوازیء بالرهل عین

٢ وله : سقطت من ط د ، واتصلت هذه الرسالة بما قبلها .

٣ م س : المسرات .

٤ م س : بكریم طبعه .

٥ ط د : والمجد .

شاهد ، وأسهمَ في الفضل وربُّهُ واحد ، وإذ لا أستجيز موافقةَ جفائه ،
بالاعتراضِ على تقرُّبِته وثنائه ، فلا بدَّ أن أعتذر مما استكثر ، وأتدممَ مما
استعظمَ ، وأقول : إني ما عدوتُ في تلقيه ببعضِ حقوقه ، استرسالَ الصديق
مع صديقه ، ولو ذهبتُ إلى معارضةِ فضله ، وتوفيتُ واجبِ مثله ، لضعفتُ
عن ذلك أسبابُ المقدرة^١ ، ووضحتُ بوقوع العجزِ وجوهُ المعذرة ، وهو
وليُّ البرِّ والإجمالِ ، فيما عرضه وحسنه من الحال ؛ وهكذا من شرف
اللهُ محتده^٢ ، وأطاب^٣ مشهده ، ومن زكا عنصره ، وكرمَ محضره .

وذكرتُ في الكتابِ الكريمِ ، عقبَ هذا الفصلِ ، بل ساينغِ الفضلِ ، أن
ما نقله فلان المذكور إليك ، وأورد عني عليك . مما وافق مرادك ، وطابق
غرضك واعتقادك ، ولا غرو فاتفقُ المذاهبِ والآراءُ تبعُ لتمازج^٤
النفوسِ والأهواءِ ، ونحن بحمدِ الله في الاتصالِ يدٌ وساعدٌ ، وفي الانتظامِ
جسمانِ والروحُ واحد .

وتقدّمتُ كتبي إليك بما كان من تطرُقِ خيلِ العدوِّ — بدّها الله —
جهاتي^٥ ، طاعتك ، حتى كادت تتركها خلاءً ، وتعيدها عفاءً ، وأنبأتك
أن ذلك لا يثبتُ معه سلّمٌ ، ولا يرقأُ عليه ككلمٌ ، ولا يطيبُ معه معتقِدٌ ،

١ ط : المقدرة .

٢ م س : من شرف محتده وطاب .

٣ ط د : لتنازع .

٤ جهاتي : وضعها بياض في م س .

٥ ط د : وتوعدّها .

ولا يصبرُ عليه أحدٌ ؛ والآن فقد ورد ما هو أشدُّ ، وطاع ما هو أشنعُ وأفظعُ ، وذلك ضَرْبُ الخيلِ من قبل فلان على تلك الجهات ، وبلوغها في النكيات أقصى الغايات ، فِعْلَ العدوِّ المحاربِ ، وعمَلِ الضدِّ المطالبِ ، لا يمرُّ بحصنٍ إلاَّ أناخَ بجياله ، وجدَّ في قتاله ، وهذه حالٌ ليس وراءها إلاَّ الاستئصالُ ، فمذهبُ القومِ في حيزِ الجلي^١ [١٢٦ أ] الظاهر ، وقد وضح الصبيحُ لذي ناظرٍ ، وأهلُ تلك الجهاتِ مُظهِرو القلقِ ، من اتصال هذا التطرُق^٢ ، مُعْدِنُو الشكوى ، بتجاوزِ هذه العدوى ، فكيف يسوغُ لي - وجهاتُهُمْ مباحةً ، وأحوالهم مُجتاحةً ، طَلَبُهُمْ بما تعرَّفُهُ ، والاستعانةُ بهم على ما نُكَلِّفُهُ : أليس ذلك في حدِّ الامتناعِ ، وجانبِ الأمرِ غيرِ المستطاعِ ؟ !

فصلٌ في ذكر الوزير الكاتب أبي محمد عبد المجيد بن عبدون^٣ ، وسياقة فصول من غرائب نثره ونظمه .

وأبو محمد هذا في وقتنا سرُّ الدهرِ المكتوم ، وشرفُ فيهِرِ الحديثِ والقديم ،

١ م : الخلا .

٢ ط د : هذه الطرق .

٣ كان ابن بسام يعتقد أن المميزين من كتاب عصره أربعة كلاعيان وفهريان ، فالكلاعيان هما ابن القصيرة وابن عبد الغفور ، والفهريان أبو القاسم ابن الحد وأبو محمد ابن عبدون ، (إحكام صنعه الكلام : ١١٠) وكانت صلة ابن بسام بابن عبدون وثيقة وقد صور اللقاء الأول بينهما في القسم الأول والثالث ١ : ١٤٤ - ٣ : ٤٩٨ (وانظر إحكام صنعة الكلام : ٢٦٠) ؛ كما أن ابن عبد الغفور سور علاقة ابن عبدون بأبيه (إحكام : ١٤٨) وكيف تصافيا بعد خصام ، وأبرز اعتداد ابن عبدون بنوع من النثر يقال له المبتدع (١٥٧) .
ولابن عبدون ترجمة في القلائد : ١٤٥ والخريدة ٢ : ١٠٣ (وكناه مرة أبا بكر ومرة =

لسانٌ صِدْقُهَا فِي الْآخِرِينَ ، وَقَمَرٌ أَفْضِيهَا الَّذِي مَلَأَ الصَّدُورَ وَالْعِيُونَ ،
 وَدِيوانٌ عِلْمُهَا الْمَذالُ وَالْمَصُونُ ، وَمَسْتَرْقٌ كَلِمُهَا الْمَشُورُ وَالْمُوزُونُ ، أَعْجُوبَةٌ
 اللَّيالي ، وَذُرُوءُ الْمَعالي ، ذُو لسانٍ يَفْرِي ظِبَةَ السَّيفِ ، وَصَدْرٌ يَسعُ رِجْلَةَ
 الشِّتاءِ وَالصَّيفِ ، أَفْصَحُ مِنْ صَمْتٍ وَنَطَقَ ، وَأَجْمَحُ مِنْ صِلَى وَسَبَقَ ، عَوَّلَ
 مِنْ مَلُوكِ الطَّوائِفِ عَلى رَئِيسِ بِلدِهِ الْمُتَوَكَّلِ ، فَعَلِيهِ نَثْرَةُ الدَّرَّةِ الثَّمِينِ ، وَبِاسْمِهِ
 حَبْرٌ وَشِيبَةُ الْمَصُونِ ، وَقَدْ رَجَلَ إِلى الْمُعْتَمَدِ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ قَبُولاً ، وَلَا وَافِقَ
 مِنْهُ رَأياً جَميلاً ، وَأَراهُ إِنا ما أَتَى مِنْ اذْوَارِ جِانِبِهِ ، وَبُعْدِ مَطالِبِهِ ، فَلَمَّا
 صَمَتَ ذَكَرُ مَلُوكِ الطَّوائِفِ بِالْأَنْدَلُسِ ، طَوى الشَّعْرَ عَلى غَرَّةٍ^١ ، وَبَرىءَ
 مِنْ حُلُوهِ وَمِرَّةٍ ، إِلا نَفْثَةَ مَصْدُورٍ ، أَوْ النِّفْثَةَ مَذْعُورٍ ، وَهُوَ اليَوْمَ بِبِلدِ يابِرةٍ
 يَرْتَشِفُ^٢ فَضْلَ ثَمادِهِ ، وَيأْكُلُ مِنْ بَقِيَّةِ زادِهِ ، وَقَدْ أَثَبَّتَ مِنْ نِظْمِهِ الرِّيقَةَ
 حَواشِيهِ ، الرَّائِقَةَ أَعْجازُهُ وَهُوادِيهِ ، وَنَثْرَةَ الغَضَّةِ بِجانيهِ ، الْمَبْيُضَةَ بِجاليهِ ،
 ما يَشْهَدُ لَهُ بِالْفَضْلِ ، شَهادَةَ الْبَرهانِ عَلى الشَّكْلِ .

.....

= (أبا محمد) والمغرب ١ : ٣٧٤ والرايات : ٣٢ (غ) وبغية الملتبس رقم : ١٥٦٧ (وقال
 إنه كان في حدود الأربعمائة فوهم أو عنى شخصاً آخر) وصللة الصلة : ٤٢ والتكملة : ٤٠٧
 (وذكر أن وفاته كانت بعد ٥٢٠) والمعجب : ١٢٨ ، ٢٢٨ ، (وأورد له رسالتين لم
 يوردهما ابن بسام) والمطرب : ١٢٧ ، ١٨٠ والفروات : ٤ : ٣٨٨ والزرركشي : ٢٩٨ وأورد
 ابن بشكوال ترجمة في الصلة : ٣٦٩ لمن سماه عبد المجيد بن عبد الله بن عبد ربه الفهري
 وذكر أنه توفي سنة ٥٢٧ ؛ وانظر صفحات متفرقة من إحكام صنعة الكلام ومن نفع الطيب
 (وفي ج ١ : ٦٧٣ نقل لترجمة ابن عبدون عن القلائد) والريحان ١ : ٨١ ب - ٨٦ / أ .

١ الأصل في النثر أنه كسر الثوب ، يقال طويت الثوب على غره أي على كسره الأول .

٢ م : يرشف .

نسخة^١ له خاطب بها الوزير أبنا^٢ القاسم بن الجلد يخطب فيها وده^٣ ،
ويستجلب ما عنده ، قال^٤ فيها : يا راية مجد رفعت ، فان تلقيتها باليمين ،
وأعطيتها الثناء الثمين ، شددت عليها يد الضنين ، وشريعة فضل على
ماثها ؛ أحلقت وأحوم ، وبصفتها أجده^٥ وأهميم ، وفي ابتغائها أقعد وأقوم ،
فلو وصل رشائي بباع ، من رجع جواب واجتماع ، لبردت غلثة ذلك
الاشتياق والالتباع ، وإن تعذر لقاء ، فقد انتشر ثناء ، امتلأت الأرض
منه والسما ، ووصف عز الأوصاف وغلبها ، وهز الأعطاف وجذبها ،
وذكر ملاء الأذان حلياً ، والآناف ريباً ، والأفواه أرياً ، ونبل جلت
مطالعه دياجي الأوهام ، وصقلت^٦ مواقعه صوادي الأفهام ، ومجد رد
الليالي الدهم زهراً ، والمساعي البهيم غراً ، فوددت أن أعار جناحي
طائر ، فأكون لكعبة ذلك الجلال أول زائر ، فأقرن هناك حجة بعمره ،
وأفوز من عمادي - وصل الله علوه - بنظرة ، توسع عيني قرّة ، ووجوهي
نصرة ، وأعشوا لي ذلك الضياء ، وأرى محلي من تلك السماء ؛ والله دهر
أطلعك أفقه ، ووقت وسعك طلقه ، ما أكرم طبيعته ، وأضحخم دسيعته ،
وأشرف في الأوقات خيمته ، وأعبق في الآناف شميمه ، وأرق على
الأنفاس نسيمه ! وبحقك أقسم ، وألتزم من ذلك ما ألتزم ،

١ م س : نسخة رقعة .

٢ م س : أبو .

٣ قال : زيادة من م س .

٤ ط د : ثنائها .

٥ ط د : وبصفتها أحدو .

٦ م س : وروت ؛ وعلى هذه القراء تكون « صوادي » بمعنى « عطاش » ؛ أما على القراءة
المشبهة فإن « الصوادي » تعني التي أصبحت صدمة تحتاج إلى صقل .

لقد أظهر بك شرفه^١ وبيّن^٢ ، وأخذ منك زخرفه^٣ وازيّن^٤ ، وجعلك
غرة^٥ بهيمه ، وغارة^٦ [١٢٦ ب] مليمه ، والحجة^٧ على خصومه^٨ ،
وأبدى سرّاً طالما كتبه وأخفاه ، وشرح معنى شدة ما أهبه وعمّاه ، فلو
كنت في الأزمان السالفة لوددت أن يتقدّم^٩ دهرى فألقاك ، أو في الأوقات
المستأنفة لحمدت أن يتأخّر^{١٠} عمري فأراك ، فكيف وقد ضمّني معك عصر^{١١} ،
وجمعي وإياك فيهر^{١٢} ، وأنا أخطب^{١٣} إلى عمادي - أدام الله عزته - مودّته^{١٤}
عقيلة^{١٥} ، وأجعل^{١٦} رحمتي الأدب والنسب وسيلة ، وأبذل^{١٧} من تحلية حمدي
وشكري مهراً ، وأبني لها بين سحري ونحري قصرآ ، وأسدل^{١٨} عليها من
الإشاعة والإذاعة سترآ ، وأحليها^{١٩} من مشدود موائق ومعاهد ، بمسرود
مخائق وقلائد^{٢٠} ، والله جلّ وعلا يعيني^{٢١} على فرضه أوذيه ، وقرضه أفضيه ،
ومن^{٢٢} جزيل تحيي^{٢٣} ، على سيدي الأعظم وإمامي ، ما ينعّم^{٢٤} ريتاه الخافقين^{٢٥} ،
ويُقبر^{٢٦} مرآه كلّ عين ، ينقاد من غير قائد ، وينساق من غير سائق ، إذا
انتهت أولاه ، عادت أخراه ، وإذا صدّقت^{٢٧} تابشيره^{٢٨} ، برّقت^{٢٩} أساريره^{٣٠} ،
يُحيي^{٣١} مغناه ، عند^{٣٢} سروبه وسراه .

فراجعه الفقيه^{٣٣} أبو القاسم بما نسخته : يا روضة أدب غديت برهم^{٣٤}

١ ط : وعذرة ؛ س د : وغدرة .

٢ ط : خصومه .

٣ م : وأحليها .

٤ ط د : يميننا .

٥ من هنا حتى آخر الرسالة ورد غير منسوب في إحكام صناعة الكلام : ٨٣

٦ عند : سقطت من ط د .

٧ الفقيه : سقطت من م س .

الفهيم ، وسقييت بديسم حُسن الشيم ، ما أدمت رباك ، وأطيبَ شذاك ،
وأزكى قرارك ، وأذكى عرارك ! لقد شَرِقتُ بأزهارك^١ زهُرُ النجوم ،
ولبستُ من الكَمَدِ والحسدِ زِيَّ الوجوم ، وبَطَلتُ لنفحات^٢ شذاك ورياك
أرج^٣ العبير ، وتعطلت لِمَا وَشَتَ يداك واكتسى ثراك نسيجُ الحبير ، لله
در^٤ تحفة أهديت^٥ من تحفك ! ما أنضرت جناها ، وأزهرت سناها ، وأبهر
لفظها ومعناها ! ! لقد ضُمَّنت من بدائع الكلم فقراً شوارداً ، وقُلدت من
نواصع الحكم درراً فرائداً ، وَخَلَعَت^٦ عليَّ خلعة نبل لو كسي مثلها
أويس^٧ لا هترَ طرباً ، أو سُلِّيَ بشبهها قيس^٨ لعاد نبعُ وَجَدِهِ غَرَباً ،
لاجرم أنها حلاك ، تبرعت بها علاك ، وصفاتك ، تجافت عنها مصافاتك ،
فيا لها منة لا يكافئها ثمن ، ولا يسمحُ بمثلها زمن ، ومنحة تتضاءل لها
بيضُ النعم ، وتتقاصرُ عنها حُمُرُ النعم .

وما زلت أستشقُ من عَرَفِ أنباك ، ما يُرغِبُ في اقتنائك ، وأتحقق
من قِلَّةِ أنداك ، ما يبعثُ على خِطْبَةِ وداك ، لا سيما وقد جمعتنا
عناصرُ ، وضممتنا من سهمِ الأدبِ والنسبِ أو اصيرُ ، لكن تحاميتُ المفاخرة
هيبَةً لبراعةِ إحسانك ، وبلاغةِ يدك ولسانك ، ومن ذا ينازعُكَ رتبةَ

١ م س : بأزهارك .

٢ م : نفحات .

٣ م س : ريج .

٤ در : سقطت من م س .

٥ م س : أهديت لي .

٦ م : وجعلت .

٧ أويس القرني مضرب المثل في الزهد، توفي في خلافة عثمان (سنة ٣٧ هـ) انظر طبقات ابن سعد

٦ : ١١١ وحلية الأولياء ٢ : ٧٩ ؛ وقرن - بفتح الراء - بطن من مراد .

البيان ، ولو سَحَبَ ذِيولَ سحبان ، أو نطق بلسان حَسَّان ؛ وإن كانت للكلام إِمارةٌ فأنت فارسٌ مُنابرها ، وطاعنٌ مُحابرها ، ومقلِّداً عَلمها ولوائها ، ومذللٌ صَعَرها والتوائها ، ولكن كنتَ - أعزك الله - من غرائب المغرب ، لقد زُهَيْتَ بك المشارق ، وحليتَ بجواهرِك ونوادِرِك المهارقُ ، ولدنًا صحَّ لك فَضْلُ التقدُّمِ إلى صلةِ الأسبابِ ، ومفاتيحِ هذا البابِ ، تعيينَ الجوابِ^٢ ، وإن أنبِطَ من حِسِّي بكي ، وقلب غير ذكي ، وناهيك من خَجَلٍ من يقيس الصُّفْرَ بالذهب ، ويعرِّضُ الخمودَ للهب ، فتكلفتُ المراجعةَ اضطراراً ، واستشعرتُ اعترافاً بفضلِك^٣ وإقراراً ، وأنت بيسرٍ وكَ تصفحُ عن هَنَاتِها ، وتقيمُ أودَّ قناتها ؛ ولولا حقُّ الاقتضاء ، والثقةُ بكرم الإخاء ، لأحجمتُ ذُعراً ، وقدمتُ عُذراً .

وأما المودَّةُ التي خطبتَ بفضلِك بِكرِّها ، واستوجبتَ حَمْدَها وشكرها ، فقد زَفَفْتُها إليك مُشْرِقةً الجبين ، بنور الحقِّ المبين ، ضاحكةً الترائبِ ، على حُسْنِ الضرائبِ ، تتأوَّدُ في حُلُلِ الثناءِ^٥ ، تأوَّدُ الكاعبِ الحسناء ، وتحملُ من نُطْفِ الصِّفاءِ ، ما يُزِرِّي على الديمةِ الوَطْفَاءِ ، فإن وافقتُ لديك وجهاً خصيباً ، واستحققتُ من رضاك وقبولك نصيباً ، فقد فاز قِدْحُها ، ووَرِي قَدْحُها ، ولم يخبُ سعيها وكَدْحُها . وظنَّي أنها ستسعد بارتضائك ، وتهترُّ في يد انتضائك ، وتأنسُ بجوارك ، وتسكنُ إلى جوارك ،

١ م : ومتقلد .

٢ الجواب : سقطت من م .

٣ م : لنفسك .

٤ م : بجلى حسن ؛ وسقطت « حسن » من ط .

٥ في . . . الثناء سقطت من م .

[١٢٧ أ] والله تعالى يبقيك ، مرغوباً فيك ، وأقرأ على سيدي سلاماً دائماً
الاتصال ، عَطِرَ البُكْرِ والآصال . يتكررُ تكررُ الأنفاس ، ويخضرُ دائماً
اخضرار الآس .

وكتب أيضاً أبو محمد^١ إليه برقعة قال فيها : يا أعظمَ مَنْ لو سريتُ
بأنواره لاهتديت ، وأفخمَ مَنْ لو اقتديتُ بآثاره لا كتفيت ، ومن أبقاه الله
لفخر آبائه يُفضلهُ لإامن بنيه ، وَلِستَرِ إغضائهِ يَسُدُّهُ على مستحقِّيه ،
ولِعُدْرِ أوليائهِ يَقبله على ما فيه ، كتبتُ عن قريحةِ حمداً^٢ طيبها ،
ونحيزةِ ركدةِ هبوبها ، وذهنِ امتحتِ أضواؤه . وطبع أخوتِ أنواؤه .
وجنانِ فلَّ ظبتهِ^٣ الكسلُ ، ولسانِ عقدةِ عدبتهِ الخجلُ ، ندبتهِ إلى
الاحتفالِ فانقطع ، وبعثتهِ على الاسترسالِ فامتنع ، وقال : في كلِّ حينٍ
تعرضني على العيون ، بوجهٍ مجدورٍ ، بكلِّ نَجْهٍ جديرٍ . فقلتُ : لا عليك .
ولتتَّسبُ نفسُكَ إليك ، العذرُ إن شاء الله بين يديك : حاملُ الرقعةِ إلى
عمادي — وليته لم يحمائها إليه ، ولم يُطلِعها عليه^٤ . ولم يضعها بين الكريمتين^٥
يديه — حفزني أشدَّ حفزٍ ، واختطفها^٦ من يدي اختطافَ الذئبِ داميةِ العنز ،
ومنعني من النظرِ فيها ، وتصفَّحَ ألفاظها ومعانيها . فأسقطتُ لفظتين . كانتا

١ م س : أبو محمد أيضاً .

٢ إلا من . . . حمد : سقط من م .

٣ م س : الطيبه .

٤ م س : نجد .

٥ ولم يطلعها عليه : سقطت من ط .

٦ الكريمتين : زيادة من م .

٧ م : واستخطفها .

بين سطرين ، فاتفق بذلك نوعاً من الإغراب ، لم يقع في بابٍ من الإعراب ، ولا سُمِعَ من العرب ولا من الأعراب ، ولم يقع في حساب . فكيف في كتاب؟! ولئن عَشَرَ قلبي وما أولاه بالتعثير . وغيرَ قلبي وما أجدَرَهُ بالتغيير ، ما بهَرَ من جلالك ، وتعيَّنَ من إجلالك ، فمن رام الصعودَ إلى السماء زلَّ ، أو المكائِرةَ بالهباءِ قَلَّ ، أو المظاهرةَ على الرؤساءِ ذلَّ ؛ وبين يدي نجواي صدقةٌ على الكتابِ أقدمُها ، وكلمةٌ من الصوابِ أغنمُها : مَنْ طَمَعَ في مجاراتِكَ قَطَفَ^١ ، ولو ركب البرقَ ، ومن دفعَ إلى مباراتِكَ تَحَلَّفَ ، ولو سبق الخلقَ ؛ وإن وصلتَ تلك الرقعةُ تنعُثِرُ ألفاظها في معانيها ، وتبرأ هواديا من تواليها ، ووافتك ترسُفُ من مهابتك في عقال ، وتقفُ من سيادتِكَ بين انقباضٍ واسترسال ، فلك - أدام الله عزك - شرفُ الاهتبالِ وكرمُ الإجمالِ ، في إرخاءِ سترٍ وإسدالِ سجنفٍ ، على ما فيها^٢ من خفاءِ بَشْرٍ وإخلالِ حَذْفٍ ؛ فقبَّحَ الله العجلةَ فما أسوأ آثارها ، وأكثرَ عثارها وأكبرَ شئارها ، وأوحشَ غَلَطَها ، وأفحشَ سَقَطَها! وقد يما تخامتها الحكماءُ ، وتبادرتها العقلاءُ ، من اركبها لم ينجُ - لو أقيلا - من عثار ، ومن صحبها لم يخلُ - لو قُبلا - من اعتذار ، والله جلَّ وعلا يُعلي قَدْرَ عمادي على الأقدار ، ويجعلُ إليه وفي يديه مقاومَ الليل والنهار ، ويدمِغُ سِتْرَ إغضائه ، على أودائِهِ وأوليائه ، ويزيلُ وحشةَ أرضِهِ بتأنيسِ سمائه .

وكتب^٣ إليه أيضاً برقعة ثانية يقول فيها : يا حامل يراعي

١ قطف : مشى بهبطه .

٢ عند هذا الحد تنتهي النسخة م .

٣ تنفرد س بهذه الرسالة ، ولرداءة هذه المخطوطة فإن إقامة نص صحيح تماماً منها أمر بالغ العسر .

الأعظم ، ومعوّل انقطاعي الأقوم ، ومعقل امتناعي الأعصم ، ومن لا زال جناحه للأمطار رضيعا ، وبابه للأوطار شفيعا ، ترشح فيه نعم الأيام ، وتقسم أزواق الأنام . سلام الله ورّوحُ رحماه ، ونفح سقياه ، عليك من روضة نجد ، وزهرة حُسْنٍ لا زهرة حَزْنٍ ، ما أغدق صوبها ، وأغزر شربها ، وأرسخ وهاد مطاويها الشريفة ، وأشمخ نجاد مبادئها المنيفة ، وأشهر بغرر المجد وحجوله بطونَ مجانيها ، وأغمر بدر الرشد وسيوله ظهور روائبها . وأصفق غيوم كرم تسقيها ، وأرق نسيم شيمٍ يجري فيها . وآثق تسبيح لسانها ، وأعقب رائح أنفاسها ، وأخلص شذاها إلى الأرواح ، وأعرض ريبًاها على الأفواح . وأضحك ثغور أقحوانها ووارف نورها . على رقصِ قدودِ أغصانها وغناء طيرها ، لقد حيتًا بها نفوسنا فشفاهها ، وكساها من حرّ أزاهر الكرم ما كساها ، وحلاها من درر نواذر الحكم بما حلاها ، وأجرى هوامي الخير والحمد من أصولها وفروعها . وأبدى مطاوي النور من كمونها وبروعها ، فهامُ رعانها محلاةُ الأكاليل بمحاسن من المفاخر العظام ، وأجسام غيظانها موشاة السراويل بتزايين من المآثر الجسام . وأبقى من أرواحها ، في رؤوس أدواحها . ألسنًا تشني عليك بالجميل . ودموع أندائها تخلق في وجوه مائتها نوالك بالقبول ، فلا لحقَ أزهارَ خِلالِكَ ذبول ، ولا طرّقَ أنوار خصالكَ أفول . ما مشى بالقسيم ، بريد النسيم ، بين الأزاهر والحياشيم .

يا مرادي الحفيّ . ومن أعلى الله أمره السنيّ ، وصلني كتاب كريم ، طلعت عليّ منه نجوم . أستغفر الله تعالى بل رجوم ، هوت من أساطيري على شياطين فأحرقتها بنور الحق المبين . ومحقتها مَحَقَّ ضياء اليقين ظلام الشكّ الظنين . وتلقفتها تلقفَ عصا موسى جبال المُلقِينَ . وقبل نظري إليه وفيه . قبَلتُ يدَ مَوْشِيهِ ومهديه ، وخفتُ أن أمحوَ سطره تقبيلاً .

فوضعت له لرأسي إكليلاً ، وصرتُ به على الدهر أميراً ، وكيف لا و [قد]
ملاً عيني نوراً وقلبي سروراً ، ويدي مسكاً وكافوراً ، وداخلتُ نفسي
منه قوة لا أعرفها ، فكيفَ أصفُها ، ولا أدريها ، فكيفَ أحكيها ؟ وهي
— أظن — ما يداخل المُضِلَّ إذا أنشدَ فوجد ، والمقلَّ إذا استعدى على
الدهر فأعدي بنُغْبَةِ الحيا ، فقال : يا رِفَاهَ ، فرحاً بسقياه ، وأنا أقول ذلك
ألفاً ، وأضحُ خدّاً وأرفعُ كفاً ، فرحاً بما أولى عمادي — أعلى الله
قدره — من مسارٍ متناصرة ، ومبارٍ متظاهرة ، لا ينبري إليها شكر ، ولا
يحتوي عليها حُضْر ، ولولا رجائي — إن اختارني — بلقائه ، واعتزائي إلى
ولائه ، ما حاسنتُ البقيعَ المزهَرَ بشجرة ، ولا ماتنتُ الربيعَ المخضرَّ بقطرّة ،
وأرجو أن يسمح بالعمو ، ويصفح عن الهفو ، وبلقي عليه سترَ معروفة ،
ويغطيه بسجفٍ من سجوفه ، والله تعالى يقيه ويبقيه ، مشكوراً أياديه
ومساعيه ، قريرةً عيون أودائه وأوليائه فيه ؛ ومن سلامي على عمادي
المعظّم ، وإمامي المقدّم ، ما لا يخلف مكانه قطر ، ولا ينوب منابه زهر ،
ولا يقوم مقامه عنبر ، ولا يشق قنامه مسكٌ أذفر ، يلوحُ بلغة لكلِّ رامق ،
ويفوحُ عبقة لكلِّ ناشق ، ما أدبل غاربٌ لشارق ، وساربٌ بطارق ، والسلام .

فكان من جواب الوزير الفقيه أبي القاسم له على ذلك ما نسخته : تَمَهَّدتُ
لك يا عمادي أكتافُ المهم ، ودرتُ عليكَ أخلافُ النعم ، وألقتُ إليك
مكونَ ضمائرها ومَصُونِ جواهرها أصدافُ الحكم ، فما أتمَّ فضائلك
وشمائلك ، وألمَّ^١ بأنوارِ المحاسنِ خَمَائِلِكَ ، وأسمعَ بكلِّ جوهرةٍ
ثمينة ولؤلؤةٍ نفيسة بحارك ، وأنفحَ بأنفاسِ الآدابِ بل بأرواحِ الشبابِ أصائلكَ

١ س : وأنم .

وأسحارك ! ! وأكرم بخطابين لك تسابقا إليّ وتلاحقا لديّ ، كما لحق
المصلّي السابق ، وتطلّع الضحى غبّ الشارق ، وتدفقّ الحيا إثر البارق ،
أو كما شفع المولي الطوق بالسّوار ، وجمع العروسُ بين بهنجة الحلّي
ونفح الصوار^١ ، وأنجد البطل^٢ المبارز بالفارس المغوار ، فما طويّت
للمتقدّم مطارف ، حتى نُشِرت من المتأخّر رفارف ، وما انحسرت عن محاسن
الأول معاجيرُ ، حتى سحّرت من براقع الآخر محاجر . وقد كان في السابق
منهما^٣ ما يملأ بهراً مدارج نفسي ، ويملكُ دهرأ أعنة خروسي ، ويوسعُ لساني
وجناني إفحاماً ، ويوجب لدواعي الانقطاع بين يديّ ازدحاماً ، فكم تقلّد
من درّة فكر لفظها بحرك العذب الزلال ، ونفث فيها سحر ك الحلو الحلال ،
فلم تنزع لغامر [١٢٧ ب] بحره ، وباهر سحره ، حتى شدّدت عرى
أواخيه ، بقوى أخيه ، وأمدّدت مذانب سربه ، بتلاع تربيّه ؛ فلئن كان
الأولُ قد استعار من الجوزاء ميرطاً ، لقد استمنح الآخرُ من الثريا قُرطاً ،
ولئن وردَ السابقُ من موارد النشرة نُغباً ، لقد شرب اللاحقُ من ماء
المجرة نُغباً ، فهلا كفت استنان خيلك ، وأمسكت قليلاً عنان سبيك ،
وثبتت من غرّب غرائبك ، وجريت على سجّاحة ضرائبك .

وقد كان من حق الإخاء أن لا تُهبّ عواصفك على نسيم عليل ،
وتجهزّ كتابك إلى عددٍ قليل ، وحدّ قليل ، وبدون هذا كنت أواليك
مبايعاً ، وأعطيك صفقة يدي بالعجز طائماً ، فلست ممن يعارضُ قوة البرهان
بضعف الإقناع ، ويشتبه عليه فرقُ ما بين الإمكان والامتناع ، وإني لأعلم

١ الصوار : وعاء المسك .

٢ البطل : سقطت من س .

٣ في الأصول : منها .

ممرّ سَهْمِي فَأَقْفُ وَأَنْصَرَفُ ، ومنتهى علمي فَأَنْصِيفُ وأَعْتَرَفُ ؛ وأما العذرُ
الذي بَسَّطْتَهُ في معنى الوهم ، فقد كنتَ غَنِيًّا عن مدِّ أَوْضَاحِهِ ، وحرِيًّا
باطِّرَاحِهِ لَا تَنْضَاحِهِ ، وهيهاتَ أَنْ يَلْتَبَسَ عَلَيْكَ الْغَرِيبُ ، فكيفَ القريبُ ؟ !
أو يشْتَبِهَ لَدَيْكَ الْخَفِيُّ ، فكيفَ الْجَلِيُّ ؟ ! وما حَسْبَتْهُ إِلَّا تَمِيمَةٌ في صدرِ
الكتاب ، تصرفُ عنكَ أَعْيُنَ الْكِتَابِ .

وبعدُ - باعدتكِ الأسواءُ - فإنَّ رسمي في صناعةِ الكتابةِ قد دثر ،
ونظمي في ضَبْطِ معانيها قد انثر ، ولم يبقَ عندي منها إِلَّا أُنْثَرُ خِرَابٍ ، أو
لمعُ سَرَابٍ ، فإذا امْتَرَيْتُ خَلْفَهَا دَرًّا بَعُسْرٍ ، وعلى قَسْرٍ ، وتَحَلَّبَ رِيسْلُهُ
بِضَجْرِ ، كأنما يتفجَّرُ من حَجَرٍ . وهي خَطَّةٌ مَدَّ أَرْهَاقَهَا عَلَى الْإِقْبَالِ ، وفراغِ
البالِ ، وزمَامُهَا في يَدِي الشَّبَابِ ، مع توكُّدِ الأسبابِ ؛ وأنا - أغزك اللهُ - قد
عَطَلْتُ صَهْوَةَ جَوَادِمِهَا ، ونزلتُ عن ذرْوَةِ أَعْوَادِهَا ، فلا تُرْهِقْنِي فِيهَا
عُسْرًا ، ولا تَحْمِلْنِي من مَنَاهِضَتِكَ إِصْرًا ، وتوَخَّ بِفَضْلِكَ مَعِي جَانِبَ التَّرْفِيهِ
والتَّخْفِيفِ ، وتَقَبَّلْ مِنِّي عَقْمَ الْيَسِيرِ اللطيفِ ، وأقرأ عليك من سلامي ما
يُرْبِي عَلَى الْقَطْرِ ، وَيُزْرِي بِعَنْبَرِ الشَّحْرِ ، وَيَبْقَى مِيسْمُهُ في صفحةِ
البدرِ .

قال ابن بسّام : قول أبي القاسم : « وما حسبته إلا تميمة » في صدر الكتاب
احتذى في ذلك حذو أبي المغيرة بن حزم ، في فصل مخاطب به ابن عمه الفقيه
أبا محمد بن حزم في حرفِ هَمْزِهِ ، مما لا يهمز ، فقال له ^١ :

ومن أين نفلدَ بصركَ حتى هَمَزْتَهُ هَمْزَتَهُ هَمْزَ عَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ ، قِرْنَتَهُ في

١ انظر القسم الأول من الذخيرة : ١٦٣ - ١٦٤ .

سواد الليل ، وما أظنك جعلتها إلا تيميةً ، لتلك القطعة الكريمة ، وامثالاً
لقول القائل :

ما كن أحوجَ ذا الكمالِ إلى عَيْبِ يوقيه من العَيْنِ

فصول من ترسيل أبي محمد

فصل له من رقعة عتاب : سلام على من نظر بقلبه لا بعينه ، وحكمَ
بيئته لا بظنه ، ونطقَ بعقله لا بهواه ، وأخذ من دنياه لأخراه ، ولم يستفزه
قال ولا قيل ، ولم تهزه تلك الأباطيل . وبلغني قول من قضى عليّ بالظنة ،
وحكم بالشبهة ، وللمقولات طُرُق لا يتعداها متعدياً إلاً وكان وبأل
ذلك راجعاً عليه ، ولا يتجاوزها متجاوز إلا نُسبَ زيغها إليه ، لا سيما في
ضربةٍ توجبُ حدّاً ، وتُضرعُ حدّاً ، وتَقُلُّ من فاضلٍ حدّاً ، لم يطلع
مُشيعهاً منّي على ريبة ، ولا وقفَ مذيعها على حقيقة ، بل افتراءً من
مُفتري ، وادّعاءً من مدّعي ، في تلك التي لا أسميها ، فلإني طلقتها قبل
الدخول ثلاثاً ، « ونقضتُ حبيلَ وصاليها أنكاثاً » ، قبل هذا الزمانُ مساعد ،
والسلطانُ مهاود ، فكيف بها الآن ، وقد علّت الإنسانَ أبهةً [الكبير] ١
ووظفته ٢ واعظةً القتير ، وردّ ما استعار من الشباب إلى المعير ، وهجرَ
كلَّ المهجر من ذاقها شميماً ، ورفضَ كلَّ الرفض من لم يكن إلاً على

١ الكبير : زيادة من س .

٢ كذا في النسخ ، ويمكن أن تقرأ أيضاً « ووعظته » .

الحديث نديماً^١ . وأقسمُ وأعرفُ بما أقسم ، وألتزمُ من ذلك ما ألتزمُ ، لقد تركتها خوفاً للمعاد ، لا رياءً للعباد ، إذ الصيانة أذكى عتاد ، فكيف وأنا تحت نعم من الله ضافية ، ونوافل متوالية ، وفواضل رائحةٍ وغادية ؟ ! فلا تظنَّ أنَّ تنصلي لمعذرة أريدُ [١٢٨ أ] قبولتها ، وأحب تبليغها وتوصيلها ، لا والذي صيرَ العقلَ لصاحبه خصماً ، وجعل بعضَ الظنِّ إثمًا ، ولا قصدتُ مَنْ قصدتُ إلاَّ تطوعاً ، ولا زرتُ مَنْ زرتُ إلاَّ تبرُّعاً ، ولقد أذهبُ بنفسي عن كلِّ طمع ، وأرغبُ بها عن كلِّ حرصٍ وجشع .

وله من أخرى : كتبتُ والعهدُ يرفُ ماؤه ، ويشف ضياؤه ، وتأتقُ غرتهُ ، وتشرقُ أسرتهُ ، والودُّ كما تدريه ، لا مزيدَ على ما تعلم فيه ، وإن كانت القلوبُ تتاجى على البعاد ، بألسنِ الوداد^٢ ، وتراءى على القراق ، بأعين الوفاق ، فربما أحوجتُ هواعي الأيام ، إلى المفاوضة^٣ بالأقلام ، لضرورةٍ لا بدَّ من الإفصاح عنها ، والخروج شفاهاً^٤ منها .

وغاب فلان - أعزه الله - وأنت تواليه وتناصره ، وتؤاخيه وتظافره ، فلك الفضلُ في إيصالٍ أحرقي ، والعذر على^٥ تخلّتي ، فكان يجب أن أزوره^٦

١ في إشارته إلى ترك الخمر يومئذ إلى قول أبي نواس :

أيها الرائحان باللوم لوما لا أذوق المدام إلا شميما

فأصرفها إلى سواي فإني لست إلا على الحديث نديما

٢ ط د : المداد .

٣ ط د : المعارضة .

٤ ط د : شفاهاً .

٥ ط د : وتواضبه ؛ س : وقواضيه (اقرأ : وتواضبه)

٦ س : عن .

ولو على قدمي ، ولا أخاطبُهُ إلا بقمي لا بقلمي ، لكن هي الأيامُ وعوادياها ، والأقدارُ ومجاريها ، ولو أعطيتُ أعتةَ الاختيار ، لطرتُ إلى جنبابه كلَّ مطار ، ولكنني في بابه أوثقَ مسمار ، وإن كانت مهلةُ انحرشتُ في زمرته ، وتشرفتُ بخدمته .

وله من أخرى : لو أنَّ جهتي غضةٌ على مطاويها ، لم تؤثر أيدي الغيبر فيها ، ولا تحيقتها الفتنُ بحوادثها ، ولا نظرتُ إليها المحنُ بكوارثها ، لوجب عليَّ المبادرةُ إلى الهجرة ، والنحولُ إلى الحضرة ، التي الفقيهُ الأجلُّ القاضي سيّدُ الأمة فيها ، ويديه أزمةُ أوامرها ونواهيها ، ولحقَّ عليَّ مثلي الانحيازُ إلى فيثته ، والانحشارُ في زمرته ، والانحياشُ إلى جنته ، ولكانَ تنقُّلي لذراه ، لتفقيُّلِ بعضِ سجاياه ، على حسب قدرتي ، ومبْلَغِ منِّي ، ومنتهى قوّتي ، ولعدتُ بعلاه من أن أرجعَ أعرابياً بعد الهجرة ، وبدويّاً بعد لزوم الحضرة ، فكيف وأنا آخذٌ من اجتنائه بأوفرقسم ، وأضربُ في ولائه بأوفر سهم ؟ ! وجهتي خاويةٌ على عروشها ، خاليةٌ من أنيسها ، فينهما وبين النصارى ، أقصرُ من لبهامِ الحبارى ، هي مَجْرَى عواليهم ، ومَجْرَى مذاكيهم ، وموردُ ضادهم ، وموقِدُ صاليهم ، ومَخْفَقُ أعلامهم ، ودَرِيَّةُ سهامهم ، ومسرحُ جيادهم ، ومركزُ صيغادهم : الخروجُ عنها غنيمَةٌ ، والسلامةُ فيها هَضِيمَةٌ ، ومن تفرَّدَ بالجلالةِ تفرَّدَ عمادنا ، وتوحدَ بالسيادةِ توحدَ مصادنا ، استجنى مؤمِّلُهُ من اللبالي والأيام ، ثمرةَ بسوقِهِ على الأنام ، ولم يزلُ يستنشي هبَّةَ تلك المخايلِ الراجعةِ البارقة ، ويقتضي عِدَّةَ تلك الشمايلِ الصادقة . وها أنا بين يدي اختباره ، فليُجدُ في اختياره ٢ ، فان رأى

١ أقصر من . . . سهامهم : اقتبس ابن بسام بعضه : ٣٧٤ س : ٩ - ١١ .

٢ ط : اختاره .

موضِعاً لجميلِ رأيه أقدم^١ ، وإن أُلْغِيَ مضطجعاً بأعباءِ وِلايِهِ صَمِّمَ ،
ولا رغبةَ إلاّ فيما يُزْلِفُ لديه ويقرَّبُ منه ، دافعَ اللهُ للمجدِ والسُّرورِ عنه :
وما أسْتَفِي إلا على فَوْتِ رتبةٍ عليها مضى قومي ولم أكُ تاليا
وأنت على رفعي ووضعي حُجَّةٌ^٢ فكنْ لي على أولاهما بكَ جاريا

وله من أخرى : كتابي عن عهدِ طال زمانهُ ، واستطال سُلْطانهُ ،
ووقتٍ لا يَحْزِرُهُ حسابٌ ، ولا يَحْضُرُهُ كتابٌ ، ولا يحويه حدٌّ ولا
يجمعه ، ولا يحصيه عددٌ^٣ ولا يسعه . وحالت بيننا في الأكثرِ أقاليمٌ ، لا
يقطعها الإيجافُ ولا الرسيمُ ، ولا تهدي في طُرُقِها النجومُ ، لا أقولُ :
مجاهلٌ ومعالمٌ ، بل أقاليمٌ وعوالمٌ ، لا يُفْهَمُ الحدّاتُ فيها إلاّ التراجمُ^٤ ،
ولا تقطعها الجيادُ بِشَدِّها ، ولا الركابُ بوخْدِها ؛ فهنيئاً للحضرةِ وجميعِ
أهلِ الملةِ حضورُك ، وفي مقامِ المجدِ مُقامُك الميمونُ ومَسيرُك ،
ولولا آمٌ تناوبتُ ، وأسقامٌ تعاقبتُ ، لتلقيتُ أوْبَتَكَ السعيدةَ بقدمي ،
ألا بمداديِ وقلمي ، والله يملّي الاسلامَ عمركَ ، ويحملُ عَنّا - معشرَ
أوليائِكَ - شُكْرَكَ .

١ ط د س : أ قام .

٢ ط : ولا يجمعه عدد .

٣ من قول المتنبي (ديوانه : ٣٧٦) :

تجمع فيه كل لسن وأمة فما تفهم الحدّات إلا التراجم

٤ س : سبيل .

ما أخرجته من شعره الرائع ، الكثير البدائع

له من قصيدة في المتوكّل^١ : [١٢٨ ب]

واقاك من فلقِ الصباحِ تبسّمُ^١ وانجاب من غَسَقِ الظلامِ تجهّمُ^١
والليلُ يُنْعَى^٢ بالأذانِ وقد شدا بالفجرِ طيرُ البانةِ المترنّمُ^١
ودموعُ^٣ طلُّ الليلِ تخلقُ أعيناً يرنو بها من ماءِ دجلةِ أرقمُ^١
يا صاحبي بين الصّراةِ ودجلةِ ودعا العلاقةِ مُسْعِدِ ومتميمُ^١
هل في لحاظك إنما هي عطفةٌ^٤ زهرٌ على خضرِ الرُّبى أو أنجمُ^١
بيضٌ^٥ كما ضحكتُ حواشي روضةِ وشى السماكُ ملاءها والمرزمُ^١

ومنها :

خَبَطَتْ بنا ورَقَ الظلامِ سوابجُ^١ ملءُ النواظرِ سيرهنَّ توهّمُ^١
فإذا سَرَتْ فالليلُ منهمُ أبيضُ^٢ وإذا غَدَتْ فالصبحُ منها^٣ أدهمُ^١
من كلِّ هفاهِ العنانِ كأنه^٤ نفَسُ المشوقِ تعاورتهُ اللومُ^١
يبني وبين الدهرِ يومٌ مثلهُ^٥ والبيضُ تشهدُ والصوارمُ تحكمُ^١
ومن المشاهدِ كالشهودِ سوامعُ^٦ ومن الأستهِ ألسُنُ تتكلمُ^١

وهذا من الكلام الذي لا يجهل مناره ، ولا يشقّ غباره .

١ منها ثلاثة أبيات في الفوات ٢ : ٣٩١

٢ ط د : يبني ؛ س : تنفى ، والتصويب عن الفوات .

٣ ط : منهم .

ومنها :

سامتُ لساني فيك يا ابنَ محمدٍ
ومحبةٌ موروثةٌ مكسوبةٌ
وليلك من بنتِ الضميرِ حديقةٌ
طبقتُ آفاقَ الكلامِ فلم أدعِ
وحدوت من غررِ البديعِ بأينتى
وتركتُ أرضَ الغربِ وهي كأنما
ورحمتُ في الآدابِ كلَّ مُسفسفٍ
والفهمُ قد غارتُ نجومُ سماءه
لله دركٌ هل لمجدك غايةٌ
وعلاك لي رداءٌ وجودك في يدي
هزتك أرواحُ السماحةِ بانه
وتعلمت منك الغمامةُ شيمةً

مقّةٌ إذا كُتيمَ الهوى لا تُكَنَم
بُدَىءَ الزمانُ بها وعنهما يُختم
غناءً تُنجدُ بالرواةِ وتتهم
زَهراً يرفُ ولا جُماناً يُنظَم
أنا خلفها بادي العروقِ محرم
بي عالجٌ أو ضارجٌ أو زمزم
يشغو إذا هدرَ الفنيقُ المقرم
والعلمُ وحيٌ والطروسُ تترجم
إلا وأنت بها معنَى مغرم
ماضٍ كرايك في الخطوبِ مصمم
ومن الرجاحةِ في حماك يللم
تهبي وفيها للبروقِ تبسم

قوله : « من كل هفاهف العنان » . . . البيت ، أخذه من قول بشار ،
حيث يقول ٢ :

• ثم اثنت كالتفّس المرتد •

وقوله : « وإذا سرت فالليل منهم أبيض » ، من قول محمد بن هانيء ٣ :

١ ط : بالدوات ؛ د : بالدوا .

٢ ديوان بشار : ٨٥ (جمع العلوي) .

٣ ديوان ابن هانيء : ١٩٠ .

قد أطلعوا بالشهبِ صُبْحَهُمْ فلوأ عقدا نواصيها أعادوا الغيها

وَألمَ بعضَ ألام ، بقولِ أبي تمام ٢ :

* كظلمة ٣ من دخانٍ في ضُحى شحب ٤ *

ولأبي محمد من قصيدة أولها :

لمن أينقُ تأكلُ الأرضَ وخدا تُرني العوالي إلى الغربِ تُحدَى

وفي قصيدته هذه بيت يُستظرفُ فيما وصف من طعنة غلا في سعتها
حتى أدخل عليها الفيل ، [١٢٩ أ.] وأراق من دمها ما يُرني على النيل ، فقال :

له طعنة يدخل الفيلُ منها إذا الطعنُ مزقتِ الرغفَ نقدا

ومن الإفراط في وصفها قولُ قيس بن الخطيم ٥ :

طعنتُ ابنَ عبدِ القيس طعنة نائِرٍ لها نصدُّ لولا الشعاعُ أضاءها

وذكرتُ بنجرٍ هذه الطعنة قولَ رجلٍ من شيبان ٦ :

١ الديوان : واستأنفوا بشياتها فجراً فلو .

٢ ديوان أبي تمام ١ : ٥٩

٣ الديوان ، وظلمة .

٤ ط د : سرب .

٥ ديوانه ٧ والمعاني الكبير : ٩٧٨ والسمط : ٨٩٤ والمختار : ٩١

٦ هو ثعلب (أو ثعلبة) بن عمرو الشيباني ، انظر فصل المقال : ١٥٧ والسمط : ٥٣ والحماسة

شرح التبريزي ١ : ٢٢٠ والمرزوقي : ١٤٦

فَأَتْبَعْتُهُ طَعْنَةً ثَرَّةً يَسِيلُ عَلَى النَّحْرِ مِنْهُ سَبِيبٌ
فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَلَمْ أَرْقِهِ ۱ وَإِنْ يَنْجُ مِنْهَا فَجَرُّ غَيْبٍ

يقول ٢ : إِنْ قَتَلْتَهُ الطَّعْنَةُ فَلَمْ أَدْعُ جِهْدًا ، وَإِنْ سَلِمَ تَرَكْتُ بِهِ
جِرْحًا رَغِيْبًا ، أَيْ وَاسِعًا .

وقوله : « لَمْ أَرْقِهِ » ، كَانُوا يَزْعَمُونَ أَنَّ الطَّاعِنَ إِذَا رَقِيَ الْمُطْعُونَ
بِرِيءٍ ، كَمَا قَالَ زَهْرِي ٣ :

عَشِيَّةَ عَاوَدْتُ الْحَلِيْسَ كَأَنَّمَا عَلَى النَّحْرِ مِنْهُ لَوْنٌ بُرْدٍ مَجْبَرٍ
فَلَمْ أَرْقِهِ إِنْ يَنْجُ مِنْهَا وَإِنْ يَمُتْ فَطَعْنَةٌ لَا غُسٌّ وَلَا بِمَغْمَرٍ
وَقَالَ حَاتِمُ الطَّائِي ٤ :

سَلَاحُكَ مَرِيٌّ فَلَا أَنْتَ ضَائِرٌ عَدُوًّا وَلَكِنْ وَجْهَ مَوْلَاكَ تَحْمَشُ
وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِوْنٍ مِنْ قَصِيْدَةٍ ٥ :

مَضُوًّا يَظْلُمُونَ اللَّيْلَ لَا يَلْبَسُونَهُ ۱ وَإِنْ كَانَ مَسْكِيًّا الْجَلَابِيْبِ ضَافِيَا

١ السط : فلم آله .

٢ متابع للسط : ٥٤

٣ هو زهير بن مسعود كما في السط : ٥٥ وفصل المقال : ١٥٧ والألفاظ : ١٤٣ والجمهرة

١ : ٩٣

٤ السط : ٥٥ ؛ ويروى : مولاك تقطف (اللسان والتاج : قطف)

٥ انظر الفوات : ٢ : ٣٩١ وقد استخدم ابن عبدون بعض أبيات هذه القصيدة في رسالة ،

(انظر لإحكام صنعة الكلام : ٢٤٧)

يؤمنون بيضاً في الأكمة لم تزل^١
وأغربة^٢ الظلماء تنفض^٣ بينهم^٤
إذا مرقوا من بطن ليل رقت^٥ بهم
وإن زرععتهم روعة^٦ ززعوا الدجى
ولو أنها ضلت^٧ لكان أمامها
وصلت^٨ به الهيجا عليه وسلمت^٩
همام^{١٠} أقام الحرب وهي قعيدة^{١١}
شريف^{١٢} المطاوي تحت ختم ضلوعه
إذا قرئت^{١٣} لا بالنواظر طبقت^{١٤}
وهدي^{١٥} لو استشفى المعنى بروحه
ورقة^{١٦} طبع لو تحلى بها الهوى
إليه أكلت^{١٧} الأرض بالعيس^{١٨} نائراً
حواف^{١٩} لا ينعلن^{٢٠} والبعد^{٢١} آذن^{٢٢}
فجاءته^{٢٣} لم تبصر^{٢٤} سوى البشر^{٢٥} هاديا

قلوبهم^{٢٦} حباً^{٢٧} عليها أدا^{٢٨} حيا^{٢٩}
قواد^{٣٠} ممتها^{٣١} مبلولة^{٣٢} والخوافيا^{٣٣}
إلى ظهر يوم عزمة^{٣٤} هي ما هيا^{٣٥}
إليها^{٣٦} كمة^{٣٧} والرياح^{٣٨} مذا^{٣٩} كيا^{٤٠}
سنا^{٤١} عمر^{٤٢} في فحمة^{٤٣} الليل^{٤٤} هاديا^{٤٥}
فما^{٤٦} ارتضيا^{٤٧} حاشاه^{٤٨} ساقاً^{٤٩} وساقيا^{٥٠}
وروى^{٥١} القنا^{٥٢} فيها^{٥٣} وكانت^{٥٤} صواديا^{٥٥}
تميمة^{٥٦} تقوى^{٥٧} ردت^{٥٨} الدهر^{٥٩} صاحيا^{٦٠}
سرى^{٦١} أختها^{٦٢} ذات^{٦٣} البروج^{٦٤} مساعيا^{٦٥}
لما^{٦٦} كان^{٦٧} بالوجد^{٦٨} المبرح^{٦٩} صالحيا^{٧٠}
لأعدى^{٧١} على^{٧٢} عصير^{٧٣} الشباب^{٧٤} البواكيا^{٧٥}
وقد^{٧٦} أكلت^{٧٧} منها^{٧٨} الذرى^{٧٩} والحواميا^{٨٠}
على^{٨١} نفسه^{٨٢} إلا^{٨٣} الوجى^{٨٤} والدياجيا^{٨٥}
وسلته^{٨٦} ولم^{٨٧} يسمع^{٨٨} سوى^{٨٩} الشكر^{٩٠} حاديا^{٩١}

١ ط د : حنا عليها جاحيا ؛ س : جناجيا

٢ الفوات : فيهم .

٣ ورد البيت في إحكام صنعة الكلام : ١٤٧ مع تغيير في الرواية .

٤ ط د : كما تأتي الرياح .

٥ الفوات : طبقت .

٦ ط د س : سوى .

٧ ط د : الدجى .

٨ رواية البيت في إحكام صنعة الكلام :

فجاء ولم يبصر كوجهك هاديا إليه ولم يسمع كشكرك حاديا

هوادٍ على أعجازها قيمُ الندى
أليكني أليكني والسيادةُ بيننا
إلى أمرٍ في الدهر ناهٍ ، إذا قضى
وحيثوهُ لا راجينَ رَجَعَ تحيةُ
إليك ابنَ سيفي بعْدَ رُبُوفٍ خاطري
وإني لأستحي من المجد أن أرى
وأنتى وقد أسلفتني قبلَ وقتهِ
وأيقظت من قدرى وما كان نائماً
ولكن نبا من حُسنِ رأيك في يدي
ولولم يكن ما خفت لا خفت لم أجدُ
إلى من إذا لم تُشكني أنت والعلا
وأنت على رفعي ووضعي حُجةٌ
وما أسقي إلا على فتوتِ رتبةٍ
وكونِ مكاني من سمائك عاطلاً^١؛
وإن كسادي ، رأسَ ألفِ صناعةٍ

فأريجُ بنامشيري حمدٍ وشارباً [٢٩١ب]
إلى مَوْلَعٍ بالحمد يشربه غالباً
على كلِّ من فيها أطاعوه قاضياً
وإن كان جوداً لا ينجبُ راجياً
عقائلَ لا ترضى البروجَ مغانياً
عليّ للممولِ سواك أبادياً
من البرِّ ما حازت^١ خطاه الأمانياً
وأبعدت من ذكري وما كان دانياً
أظن حساماً لم يجديني تالياً^٢
على غير ما أخذتنيهِ الليالياً
أكونُ بما ألقى من الدهر شاكبياً
فكنُ بي على أولاهما بك جارياً^٣
عهدتُك فيها بادياً ومبادياً
ولولا مكاني الدهرَ ما كان حالياً
ليتركُ وسماءً^٤ في السيادةِ بادياً

قال ابن بسام : أبو محمد بن عبدون لمكانه من صنعة الكلام ، وسبقه
— زعم — في غايته النثر والنظام ، أقامها مقام ألفِ صناعةٍ ، وكفى بها واحدةً

١ كذا في الأصول ، وربما كان الأصوب « جازت » .

٢ الفوات : نابياً ؛ س : تافياً .

٣ ورد هذا البيت والذي يليه فيما تقدم ص : ٦٨٣ وقد تغير الشطر الثاني من البيت الثاني .

٤ ط د : يكون . . . عاطل .

ه ط د : رسماً .

عن جماعة ، كما قال الأول :

يا عين بكّي خالدا ألفاً وَيُدْعَى واحدا

وفي هذه القصيدة يقول أبو محمد ، وهو من حرّ النظام ، وجزل الكلام :

فردّ المني خضراً ترفُّ غصونُها بمبسوطةٍ تندى ندىّ وعواليا
عوالٍ إذا ما الطعنُ هزَّ جذوعها تساقطت الهيجا عليك معاليا
وعاوينُ على استنجازِ طَبْعِ بهيةٍ^١ ترقص في أفاظهن المعانيا
وأجعلُ أرضَ الرومِ تجلو تلاعها عليك زروداً والحمي والمطاليا^٢
وقد نَشَرَتْ من ذي القُروحِ وخاله وعمرو بن كلثومٍ عظاماً بواليا
وقيل لهم من ذا لها فتخيروا^٣ أخيراً يبدؤ القائلين الأواليا
فإن نُسِقُوا على الولاء ولم يكن بذلك فاجعلُ منه ظلكَ عاريا
وعزَّ على العلياء أن يُلْقِي العصا مقيماً بحيثُ البدرُ ألقى المراسيا
ومن قام رأيُ ابنِ المظفرِ بينه وبين الليالي نامَ عنهنَّ لاهيا

ضجر أبو محمد من سكنى وطنه يابرة ، وهو يكرر هذا في شعره ،
كقوله فيه في قصيدة أخرى :

١ د : بهمة .

٢ هذه مواطن في بلاد العرب ، والحمي والمطالي قد جمعهما الشاعر في قوله :

« ألا حي ليلي والحمي والمطاليا »

٣ ط د : فتخيروا .

٤ ط د : البدو .

٥ س د : قام .

أنا يا ابن^١ سيفي يعرّب سيفك الذي إذا شِمتَهُ لم ينبُ واخبرهُ تَعَلَّمِ
هجرتُ إليك الأقربين مهاجراً ولم أرضَ أوضاً كلُّ ساكنها عمٍ
فعارٌ على العلياءِ سكتاي بلدةٌ كَبَلْدَةُ علي الأفقِ من دون أنجم^٢ [١٣٠أ]
فلو أنَّ غيلاناً حوتَهُ ديارها تغنى بمي^٣ بينهم غيرَ معجم^٤
وقوله : « قوادمها مبلولة والخوافيا » ، ينظر إلى قول أبي الحسن^٤ بن
حصن في سحابة^٥ :

بَكَرَتْ سُحْرَةَ قَبِيلِ الذَّهَابِ تَنْفُضُ الْمَسْكَ عَنِ جَنَاحِ الْغُرَابِ
وقوله : « إليه أكلتُ الأرضَ » . . . البيت ، نَسَخَتْهُ من قول حبيب ،
ونقص عنه^٦ :

من القلاص اللواتي في حقائبها بضاعةٌ غير مزجاةٍ من الكلمِ
وأبو تمام إنما نظر في هذا المعنى إلى قول الأعشى^٧ :

فإن عتاقَ العيسِ سوف تزوركم ثناء على أعجازِهِنَّ مُعَلَّقُ

١ ط د : أنا ابن .

٢ البلدة : من منازل القمر ، يقال أنها لا نجوم فيها البتة .

٣ غيلان : هو ذو الرمة ، وفي البيت إشارة إلى قوله في مية :

أحب المكان القفر من أجل أنني به أتغنى باسمها غير معجم

وفي ط د : وحته في موضع « حوته » .

٤ ط د : أبي الحصن ؛ س : أبي الحسين .

٥ انظر ما تقدم ص : ١٥٩ .

٦ ديوان أبي تمام ٣ : ١٨٦

٧ ديوان الأعشى : ١٤٩ واللسان (غرب) وفيه : يزوركم ثنائي .

أراد المدح الذي تحدى به من ورائها كما أن الهادي من أمامها ، وهذا كقول الآخر^١ :

سأرفعُ قولاً للحصين ومنذرٍ يطيرُ به الغربان شَطَرََ المواسمِ
وتَرَوَى به الهيمُ الظَّماءُ وتلتقي بأمثاله منهنَّ سَجَعَ الحمام^٢

ويعني بالغربان أوراك الابل ؛ وقوله : « تروى به الهيم الظماء » يعني أن الماتح يتغنى به ، فينشطُ ويقوى على سقي لبله .

وقوله : « ولولا مكاني الدهر ما كان حالياً » ، كقول القسطلي^٣ :

غريبٌ تحلّتْ بأدابهِ بلادٌ تواصتْ بتعطيلهِ

وقوله : « ترقصُ في ألفاظهنَّ المعانيا » من سرقاته الغربية ، واختلاساته العجيبة ، تدقّ عن أعدادٍ من المباني ، وأنها من خفيات المعاني ، وأراه أنا من قول ادريس بن اليماني ، فإياه أراد ، وإن كان ملح وزاد، حيث يقول^٤ :

ثقلتُ زجاجاتُ أتنا فرغاً حتى إذا ملئتُ بصرفِ الراحِ
خفتُ فكادت تستطير بما حوتُ وكذا الجسومُ تخفُّ بالأرواحِ

قوله : « وأيقظت من قدري » . . . البيت ، هو لفظ أبي نُخَيْلَةَ^٥ :

١ الأول منهما في اللسان (غرب) والمعاني الكبير : ٢٥٧ وهما في الحيوان ٣ : ٤١٨ - ٤١٩

ورواية الأول في المعاني والحيوان : للحصين ومالك .

٢ روايته في الحيوان : ويعطبي ، بأمثاله الغازين سجع . . .

٣ ديوان القسطلي : ٥٤٥ (عن الذخيرة) .

٤ الذخيرة ٣ : ٣٤٤

٥ الأغاني ١ : ٢٤٤ .

ونبّهت من ذكري^١ وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر أنبه^٢ من بعض
وكشف أبو تمام هذا وحسنه ، فقال^٣ :

لقد زدت أوضاحي امتداداً ولم أكن^٤ بهيماً ولا أرضي من الأرضِ مجهلاً
ولكن أيادي صادفتني جسامها أغرّ^٥ فخلتني^٦ أغرّ^٦ محجلاً

وقوله : « ولكن نبا من حسن رأيك » . . . البيت ، مصراعه الأول
من قول أبي فراس^٤ :

ولكن نبا منه بكفتي صارم^٥ وأظلم في عيني^٦ منه شهاب^٦
أخذ هذا البيت بجملته ابن عمار :

أبْظَلِمَ في عيني كذا قمر^٥ الدجى وتنبو بكفتي شفرة^٦ الصّارمِ العصبِ
ولأبي محمد من قصيدة أخرى في المتوكل أولها :

هل عمّروا الأفق بالآرام والعقير^٥ أم كحلّوا الشهب بالتفتير^٦ والخور
والنقع قد مدّه^٥ جُنْحَ الليلِ فوقهم أم عينُهُم^٦ لا ترى التضيير في الشعر [١٣٠ب]
يا ليل^٥ هل صاحب^٦ في البيد غيرك لي فالنجم^٥ معي عن الإدلاج^٦ والسهير

١ الأغاني : ونوهت لي باسمي .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٩٩ .

٣ الديوان : فأوفت بي .

٤ ديوان أبي فراس : ٢٤ .

٥ ط د : صرمد ؛ س : مرمد .

٦ س : مؤنس .

أسري وأسربُ لا مستصحباً أحداً
أدورُ فيهم وعمرانُ يخاطبُهُمْ
شادٍ وليس لسانُ الرعدِ ذا لسنٍ
كأنما الليلُ زار الأرضَ ذا شَغَفٍ
كأنها عبلةٌ والليلُ عنترَةٌ
والأرضُ قد لبستُ أذراعَ أبحرها
من كلِّ درعٍ نسيمُ الريحِ غضنُّها
ما كان في هيئةِ الأرضِ القيامُ لنا
مَنْ مَجْدُهُ خَصَّ قحطاناً وأنعمه
أكسى من الكعبةِ الزهراءِ من نشبِ
بسيفهٗ ؛ انتاشَ سَيْفُ جَدِّهِ يَمناً
أتمَّ عَتَى مُسْلِمٍ يا آلَ مَسْلَمَةٍ
ولم يُردْ مَطَرًا جدَّ اليزيدِ وا
لولاكمُ أهلكَ الناسَ استواؤُهُمْ

١ يعني عمران بن حطان ويقال إنه نزل في تنقله بروح بن زنباع وزفر بن الحارث ،
وكان إذا خاف انكشاف أمره ارتحل متنكراً وادعى لنفسه اسماً ونسبة غير اسمه ونسبته
(انظر شعر الخوارج : ١٦١ - ١٦٥)

٢ ط د : اغتاض .

٣ لم يرد هذا البيت في ط د .

٤ ط د : لسيفه .

٥ يريد مسلم بن الوليد في مدحه يزيد بن يزيد الشيباني ، ويشير إلى قوله (ديوانه : ٧) :

سل الخليفة سيفاً من بني مطر أقام قائمه من كان ذا ميل

وفي ط د : على مسلم ؛ وصوبته بحسب المعنى .

كم في سُرادقكم^١ من ماجدٍ عَمَمٍ يُعْطِي الجَزِيلَ وَمَأْوَى الخائفِ الحذرِ
لَمَّا رَأَوْا أَنَّهُ لَا عَيْبَ يُدْرِكُهُ^٢ عابوه وهو الكبيرُ القدرِ بالقصرِ
والصبحُ مبدئِ ربِّي نجدٍ وإن صغرتِ والليلُ يسترُ لَبْنَانًا على الكبرِ

وقوله : « بسيفه^٢ انتاش سيفُ جدِّه^٣ يمناً » ، يريد سيف بن ذي يزن ،
حين استنقذ من أيدي الحبشة ملك اليمن ، في خبر معروف ، خارج عن غرض
هذا التصنيف . ووهرز — يقال بالراء والزاي^٣ معاً — وهو الذي أنقذه كسرى
أبرويز مع سيف بن ذي يزن ، أميراً على من كان في سجنه ، بإشارة مرابته
فكان من أمره ما كان .

وله فيه من أخرى :

مالي إذا نَفَسُ مُعْنَى قَدِّسَتْ وَسِرْتِ
أنت الذي باهتِ الأَرْضُ السَّمَاءَ بِهِ
أحومُ حَوَلَ حِيَاضٍ مِنْ رِضَاكِ وَمَا
راعوا قَدِيمَ ولاءٍ يالَ مَسْتَلِمَةٍ
تفري أدبِي اللَّيالي غيرَ مَبْقِيَةٍ
وإذني في مَوَالِيكُمْ كَمَلِكِكُمْ^٤

في جسمٍ لفظُ مُسَوَّى الخلقِ من مثلِ
ولا لها بكَ إن باهتَكَ من قبلِ
لي بالورودِ إذا حُلَّتْ من عملِ
وما اطرَدَتْ بكم في المدح من مثلِ
عليَّ ما اللَّيالي ويلهنَّ ولي
بين الممالكِ ، والإسلامِ في المللِ

وهذا كقول ابن الرومي^٤ :

تلوحُ في دُوَلِ الأيامِ دولتكم
كأنها ملَّةُ الإسلامِ في المللِ

١ وقمت لفظة « ومنها » بعد هذا البيت في س .

٢ ط د : لسيفه .

٣ ط د : والزاء .

٤ الذخيرة ٣ : ٣٤٢ .

وله فيه من قصيدة اندرج له بعضها في رسالة موشحة ، عارض البديع
بها في بابه ، وَصَبَّ فِيهَا عَلَى قَالِبِهِ ، مِنْهَا : [١٣١ أ]

دوحةُ فرعها على الشُّهْبِ موضوعٌ وأصلٌ قد غاصَّ تحتَ النجومِ
شُهْبٌ زَيْتَتْ سماءَ المعالي وحمتها من بيضه برجوم
يردون الظُّبَا ورودَ القَطَا والموتُ قد غَضَّ بالقَنَا المحطوم
أوقعوا بالمجوسِ ما يعلمُ اللهُ وثَنُوا من بَعْدِهَا بالرومِ
سُوددٌ حارٌ فيه وصفِي فما أسطِيعُهُ بالمشورِ والمنظومِ
وإذا ما هزُّوا صدورَ القَنَا الصمِّ فما صدرُ فيلقِ بسليمِ
زعزعوها فليس تدري سوى عهدهمُ في حديثها والقديمِ
كلِّموا اللهُ بالندى في المالِ نادى مالي وللتحكيمِ
مثلما حَكِّمُوا اللهُ بالندى في الأخذِ بالإختبارِ في المحكومِ
ما على البيضِ غيرَ أن تدعَ الهامَ بهمُ مثلَ الهاءِ في الترخيمِ
صوتُها في أسماعِهِمْ كالمثاني والمثاليثِ في سماعِ النديمِ
ليس إلا الظُّبَا لهمُ زَهْرٌ والدَّمُ خمرٌ لكنْ بلا تحريمِ
فثناءٌ منِّي أرفرفُ بُرْدِيهِ وَمِنْهُمْ إدمانُ برِّ عميمِ

قوله : « خمرٌ لكنْ بلا تحريم » من الاستدراك البديع ، والتخلص المطبوع .
وقوله : « كلما حكّموا اللهى » . . . البيت ، يشبه قول أبي محمد بن صارة
الشنتريني^٢ :

خُلِقُ الوَازِيرِ أَبِي العَلاءِ خَوارِجٌ لَكنها لَيسَتْ تَدْرَى التَحَكِيمَا

١ ط د : متى .

٢ ط : الشنتريني ؛ وترجمة ابن صارة ترد في ما يلي : ٨٣٤ .

وله أيضاً من قصيدة^١ :

سقاها الحيا من مغانٍ فساح
وحلّى أكاليلَ تلك الرّبّي
فما أنسَ لا أنسَ عهدِي بها
فكم لي في اللهو من طيّرةٍ
ويومٍ على حَبيراتِ الرياضِ
بِحَيْثُ لم أعطِ النهى طاعةً
وليلٍ كرجعةٍ لحظ^٢ المريبِ
كعُمُرِ عُفَاتِكْ؛ يومَ الندى
إليكَ رمى أملي بي ولا
أقول لراجي الحيا وهو دان
إذا عُمُرٌ هَطَلَتْ كَفُهُ
من النافذي الطعنِ تحت العجاج
من القومِ ينزلهم خَضْدُهُمْ^٣
وعنهم تكوّن رفع العلا
وقادوا الزمانَ إلى اليوم وهو

فكم لي بها من معانٍ فصاحِ
ووشّى معاطفَ تلك البطاحِ
وجرّي فيها ذبولَ المراحِ
عليها بأجنحةِ الإرتياحِ
تُجاذبُ برديّ أيدي^٤ الرياحِ
ولم ألقِ سمعاً إلى لَحْيِي لاحِ
لم أدْرِ له شَفَقاً من صباحِ
وعُمُرِ عِدَاتِكْ يومَ الكفاحِ
هويّ مصفّقةٍ بالجنّاحِ
مدّاهُ وجدواهُ من كلِّ راحِ
فلا حَمَلَتْ سَحْبٌ من رباحِ
بين الدلاصِ وبين الرماحِ
عن الموتِ شوكِ القناني البراحِ [١٣١ب]
سماءً على عمدٍ من صفاحِ
رقيقُ الحواشي صَقِيلُ النواحي

١ الفوات ٢ : ٣٩٣ والقلائد : ١٤٦ والمغرب ١ : ٣٧٥ والنفح ١ : ٦٧٤

٢ القلائد والنفح والمغرب : مر الرياح .

٣ في المصادر : طرف ، وكذلك خ بهامش ط .

٤ الفوات : عِدَاتِكْ (جمع عدة) .

٥ الفوات : بالرياح .

٦ ط : بزلم خضرمهم ؛ د : بزدمهم حصدمهم ؛ س : ينزلهم حصدمهم .

وله من أخرى ، وهي قصيدة فريدة فضح بها الأوائل ، وصرح فيها
عن كل طائل ، والمرءُ محبوبٌ تحت لسانه ، وشرفهُ بنفسه لا بزمانه ،
أولها ١ :

ساروا وميسكُ الدياجي غيرُ منهوبِ ٢
على ربي لم يزلْ شادي الذبابِ بها
كالغيد في قَبَبِ ٣ الأزهار أذرُعُهُ
والغيمُ تنثرُ منه راحةٌ خَضِبَتِ ٤
فرحتُ أستخبرُ الأنفاسَ لا الطُّسْمَ ٥
وأشتفي بسؤالِ الريحِ مُخْبِرَةَ
هيئات لا أبتغي منكم هوى بهوى
فما أراحُ لذكرى غيرِ عالية ٦
ولا أصالحُ أيامي على دَحْنِ
يا دهرُ إن توسع الأحرارَ مظلمةً
مهلاً فدرعُ حويلي غيرُ مُحْتَنَةِ
ولا تخلُ أني ألقاك منفرداً

وطرَّةُ الشرقِ غُفْلٌ دون تذهيبِ
يلهي بآنقِ ملفوظٍ ومضروبِ
قامتْ له بالثاني والمضارِبِ
بالبرقِ فوقَيَ درأً غيرَ مثقوبِ
أدراسَ عن موعدٍ في الحميِّ مكذوبِ
عنهم ولو أنها تهفو بتأنيبي ٧
حسي أكونُ محبباً غيرَ محبوبِ
ولا ألدَّ بحبِّ دونَ تعذيبِ
ليس النفاقُ إلى خلُقِي بمنسوبِ
فاستثنني إن غَيَّلي غيرُ مقروبِ
عجباً وسيفِ عزيمي غيرُ مقروبِ ٧
إن القناعة جيشٌ غيرُ مغلوبِ

١ منها بيتان في الغيث ٢ : ٢٣٢ والريحان : ١٥٦ / وثلاثة في رفع الحجب ٢ : ٣٦ .

٢ الريحان : موهوب .

٣ س : كالقيد في قلب .

٤ س : خضلت .

٥ ط : بتأنيب .

٦ س : عالنة .

٧ سقط البيت من د س .

ما كلُّ مَنْ سِيمَ خَسِيفاً عَافَ مَورِدَهُ
 وَكَمْ تَأَزَّرَتِ الْغَيْطَانُ لِي كَرَمًا
 أَمْشِي الْبَرَازَ وَلَا أَعْفِي بِهِ أَثْرِي
 وَرَبِّ عَاوِي عَلَى لِثْرِي بُلَيْتُ بِهِ
 أَسْكَنْتُ عَنْهُ وَلَوْلَمْ يَزِدْ جِرْغُضِي
 سَوَيْتُ أَشْبَاحَ الْفَاطِي وَقَدَّسَ أُر
 أَوَانِسُ أَذِنْتُ لِي وَالنَّوَى قَذَفُ
 سَمَا بَذَكْرِي إِلَى أَسْمَاعِهِمْ أَدْبِي
 وَطَارَ بِي أَذْنُهُ فِي أَفْتَى حِرْصِهِمْ
 لَا يَنْظُرُونَ إِلَى شَخْصِي كَمَا نَظَرْتُ
 مِنْ كُلِّ مُطَلِّقِ قَيْدِ الْحَرْبِ عَنِ الْجَبِ
 يَمْرُ مَرَّ الْعَمَامِ الْجَوْنِ يَتَّبِعُ مِنْ

إِنَّ الْإِبَاءَ لَظَهْرٌ غَيْرُ مَرْكُوبٍ
 وَاسْتَشَقْتَنِي أَنْفَاسُ الشَّخَابِ
 حَسَبُ الْمَرْيَبِ رُكُوبُ الْقَاعِ ذِي اللَّوْبِ
 بَتْلَاءَ لَيْثِ الشَّرَى فِي اللَّيْلِ بِالذِّبِ
 وَشِمْتُ صَارِمَ تَأْنِيْبِي وَتَرْيَبِي
 وَاحَ الْمَعَانِي لَهَا نَقْدِي وَتَهْدِيْبِي
 عَلَى عِلَاقِ كُلِّ صَعْبِ الْإِذْنِ مَحْجُوبِ
 مَسْرَى النَّسِيمِ إِلَى الْآنَافِ بِالطَّيْبِ
 عَلَى قَوَادِمِ تَأْهِيلِي وَتَرْحِيْبِي
 بِيضُ الْخُدُورِ إِلَى الْقَفْرَا مِنْ الشَّيْبِ
 قَيْدِ الْأَسْوَدِ عَلَى طَيْرِ السَّرَاحِيْبِ
 لَحْمِ أُبَارِيْقِ تَرْغِيْبِ وَتَرْهِيْبِ

مدح بهذه القصيدة المعتمد بن عبّاد .

قوله : « حسبي أكون محبباً غير محبوب » لفظ أبي الطيب ٣ :

أنت الحبيب ولكنني أعودُ به من أن أكون محبباً غير محبوب [١٣٢أ]

وقوله : « ولا أصالح أيامي على دخنٍ » ؛ لفظه أيضاً ٤ ، وقوله :

١ علا : سقطت من ط .

٢ ط : القفرا ؛ د : القفرا .

٣ ديوان المتنبي : ٤٤٩ .

٤ يريد قول أبي الطيب :

فلا أحارب مدفوعاً على جدر ولا أصالح مغروراً على دخن

« إن غيلي غير مقروب » ، لفظ [بيت] الجميح^١ .

* تسكن غيلاً غير مقروب *

وقوله : « أمشي البراز » . . . البيت ، عكس قول امرئ القيس^٢ :

* على أثرينا ذيلَ مِرْطٍ مرحلٍ *

وأخذه ابن المعتز فقال^٣ :

فظلتُ أبسطُ خدّي في الترابِ له ذُلاًّ وأسحبُ أذيالي على الأثرِ

وقوله : « لا ينظرون إلى شخصي كما نظرت » . . . البيت ، كقول

محمد بن هانيء الأندلسي^٤ :

همُ لحظوكم والنبوةُ فيكمُ كما لحظت شيبَ الكبيرِ الفواركُ

وأصله من قول امرئ القيس^٦ :

أراهنَّ لا يُحِبِّبُنَ من قلَّ مالُهُ ولا من رأينَ الشيبَ فيه وقوَّسا

١ س ط د : الجمحي ، والجميح لقب لشاعر اسمه منقذ بن الطماح ، وبيته هذا من قصيدة

له مفضلية ، وهي الرابعة في الترتيب : (شرح ابن الأنباري : ٢٥ - ٢٩) :

أبا إذا حردت حردتي فمجرية جرداء تمنع غيلاً غير مقروب

٢ ديوان امرئ القيس : ١٤ ، وصدوره : « خرجت بها تمشي تجر وراءنا » .

٣ ديوان ابن المعتز ٣ : ٥٠ .

٤ ديوان ابن هانيء : ١٠٤ .

٥ الديوان : كما لحظ الشيب النساء .

٦ ديوان امرئ القيس : ١٠٧ .

وللوزير أبي محمد عبد الغفور من أهل وقتنا فصل* يتعلق بهذا المعنى من رقعة ، قال فيه : كنت^١ قبيل هذا المشيب الذي علا ، والشباب الذي تولّى ، كريماً على ذوات الطلّي ، لا يتعرّضنّ في مكان القلّة^٢ يَلَوّلا ؛ ولما أطار غرابَ الشباب بازُ المشيب ، ورُحّت رثّ الجلباب بعد كلّ شَخْتِ قشيب ، سمعتهنّ حيناً يتبرّمنّ ، وحيناً يترنّمنّ ، إلاّ أنهنّ يُجمّجنّ ولا يُترّجنّ ، وبفضل حاستي - والله الفضل - ما فهمتُ الوزن ، فلما استقرّيتُ لتعرفِ حُرُوفِهِ السَّهْلَ والحَزْنَ ، عرّ لهجتي في تَطَلُّبِ تلك الضالة بلعلّ وعسى ، بقول الملك الضلّيل : « ألما على الرّبّعِ القديمِ بعسعا » ولم أزل بعدُ مُحَدِّثاً مُوسُوساً ، حتى سقط بي اليقين على قوله « وقوسا » وفي صدر هذا الروي « أراهن لا يُحْبِبُنّ من قلّ ماله » ، وإذا قوس ظهر المرء فقد استحال جماله ، فإذا قاتلنّ الله يُحْبِبُنّ القبيحَ ذا المال ، والفقيرَ ذا الجمال .

وصفة ابن عبدون للذباب : أجاد فيه ما أراد ، وقد تناول هذا المعنى أبو بكر بن سعيد البطليوسي ، فقال من قصيدة^٣ :

كأنّ أهازيغَ الذبابِ أساقفٌ لها من أزاهير الرياضِ محاريبُ
وأخذه ابن عبدون من قول ابن الرومي يصف روضاً^٤ :

١ ط : كتبت .

٢ ط : القلت .

٣ بيت البطليوسي في رفع الحجب ٢ : ٣٦ .

٤ زهر الآداب : ٧٤٢ وديوان المعاني ١ : ٣٦١ والسمط : ٤٨٦ وتشبيهات ابن أبي عون

وغرّدَ رِبْعِيُّ الذبابِ خلاله كما حثحثَ النشوانُ صنْجَامِشَرَّعَا
وكانت أهازيجُ الذبابِ هناكمُ على شَدَوَاتِ الطيرِ ضَرْباً موقعا

ولنما اخترعه أولاً عنرة بقوله^١ :

فترى الذباب بها يُغَنِّي وحده هَزَجاً كَفِعَلِ الشاربِ المترتم
غَرِدَاً يَحْكُ ذراعَهُ بِذراعِهِ فِعَلْ المَكْبُّ على الزنادِ الأجدم

وهذا من التشبيه الذي ما له شبيه ، ولم يجسر عليه أحد ، غير أن ذا الرمة
نقل معنى الصفة إلى الجندب فقال^٢ :

كانَ رجله رجلاً مُقْطِيفِ عَجَلٍ إذا تجاوزَ^٣ من بُرْدَيْهِ ترنيم

[١٣٢ ب] والمُقْطِيفِ : راكبُ الدَّابَّةِ القُطوفِ ، فنقلَ صفةَ يدي
الذبابِ إلى رجلِ الجندبِ فأحسنَ الأخذَ ، وكأنه لم يَعْرضْ لعنرة في
معناه .

وقال السلمي في صفة زنبور^٤ :

إذا حكَ أعلى رأسِهِ فكأنَّما بسالفتيه من يديه جوامعُ
قُباعدِ عنرةٍ في الصِّفَةِ ، وإن قاربه في الموصوفِ ، وتعلَّقَ في اللفظِ

١ زهر الآداب : ٧٤٠ والحيوان ٥ : ٥١٣ وتشبيهات ابن أبي عون : ٣٨٩ وديوانه :

١٩٧ - ١٩٨ ، وابن بسام يتابع في هذه القطعة ابن رشيقي في قراضة الذهب : ٦٩ - ٧٠ .

٢ ديوان ذي الرمة ١ : ٤١٩ وقراضة الذهب : ٦٩ .

٣ ط د س : تجاذب .

٤ البيتية ٢ : ٤٢٠ وقراضة الذهب ٦٩ .

بصرىع الغواني إذ يقول في النساء^١ :

فغطت بأيديها ثمارَ نخورها كأيدي الأسارى أثقلتها الجوامعُ

وقد قال بعضُ أهلِ أفقنا ، وهو يوسف بن هارون الرمادي :

وكأسٍ كريقِ الإلفِ شععتها به وعيشيَ من هذا الشرابِ المشعشع
على روضةٍ قامتْ لنا بدرانكٍ وقام لنا فيها الذبابُ بمسمع
إذا ما شربنا كأسنا صبَّ فضلها على روضنا للمسمع المتخلع
وهذا مما أغربَ فيه الرمادي .

وقد قال الجاحظ^٢ : وجدنا المعاني تُقلَّب ويؤخذ بعضها من بعض
إلاَّ قولَ عنترَةَ في الذباب ، وقولَ أبي نواس في تصاوير الكأسِ ، حيث
يقول^٣ :

قرارتها كسرى وفي جنباتها مهأ تدريها بالقسيِّ الفوارسُ
فللراح ما زُرت عليه جيوبُها وللماءِ ما دارتْ عليه القلائسُ

يريد أن حدِّثَ الخمرَ بلغِ نخورَ هذه الصور ، وزيد الماء فيه فانتهى الشراب
إلى فوق رؤوسها ، وفائدة هذا معرفةُ حدِّها صرفاً ، من حدِّها ممزوجةً .

١ ديوان مسلم : ٢٧٣ وزهر الآداب : ٩٩٦ وقراصة الذهب : ٧٠ .
٢ ورد هذا القول في زهر الآداب : ٧٣٩ - ٧٤٠ وانظر تعليق الجاحظ على شعر عنترَةَ في
وصف الذباب في كتاب الحيوان ٣ : ٣١١ - ٣١٢ .
٣ ديوان أبي نواس : ٢٩٥ وزهر الآداب : ٧٤٠ .

قال ابن بسام : وقد ذُكِرَ أنَّ الحسن ولّد هذا المعنى من قول امرئ القيس^١ :

فلمّا استطابوا صُبَّ في الصحنِ نصفه وشُجِّتْ بماءٍ غير طَرَقٍ ولا كدرٍ

فجعل الشراب والماء نصفين^٢ ، لقوة الشراب ، فتسلّق الحسنُ عليه ، وأخفاه بما شغل به الكلام ، من ذكر الصورة المنقوشة في الكأس ، إلا أنّها سرقةٌ مليحة . وكرّر أبو نواس هذا المعنى عجباً به في مواضع كقوله^٣ :

بيننا على كسرى سماءَ مدامةٍ مكلّلة حافاتُها بنجومٍ
فلوردٌ في كسرى بن ساسان روجه إذن لاصطفاني دونَ كلِّ نديمٍ

وأخذه الناشيء وولّد معنى زائداً فقال^٤ :

في كأسها صورٌ تُظنُّ لحُسْنِها عرباً برزناً من الحجال وغيدا
وإذا المزاجُ أثارها فتقسّمت ذهباً ودرّاً توأمًا وفريدا
فكأنهنَّ لبسنَ ذاك مجاسداً وجعلنَ ذا لنحورهنَّ عقودا

وقال ابن المعتز^٥ :

وكأس^٦ من زجاجٍ فيه أسدٌ فرائسهنَّ ألبابُ الرجالِ

١ ديوان امرئ القيس : ١١ .

٢ س ط : قسيمين .

٣ زهر الآداب : ٧٤٢ .

٤ زهر الآداب : ٧٤٠ .

٥ زهر الآداب : ٧٣٨ وديوان ابن المعتز ٣ : ٩٧ والأوراق : ١٩٩ .

٦ الديوان : بغاب .

وَألمَّ بهذا المثلث بن بطل البطلوسي^١ فقال :

وغابٍ من الأكواسِ فيها ضراغمٌ من الراح ألبابُ الرجالِ فريسيها
قدَرَعَتْ بها سِنَّ المموم فأقلعت وقد كاد يسطو بالفؤادِ رسيها

[١٣٣ أ] وقال بعض أهل عصرنا ، وهو أبو تمام بن رباح^٢ :

وكأسٍ بدا كسرى بها في قرارةٍ غريقاً ولكنْ في خليجٍ من الخمرِ
وما صورتهُ فارسٌ عبثاً به ولكنهمْ جاءوا بأخفى من السحرِ
أشاروا بما دانوا له في حياته فيؤمى إليه بالسُّجودِ وما يدري

ومثل هذه المعاني التي ذكروا مما انفرد به كل واحد من الشعراء ، لا يكاد يتناولها حاذق إلا قصر ، إلا أن يزيدَ زيادةً تظهر ، ولذلك ما تحامى الناس أشياء كثيرة من المعاني التي أخذت حَقَّها من اللفظ ، ولم يبق فيها فضيلةٌ تُلتمس ، والقرائح تتفاضل ، ألا ترى إلى قول جميل في وصف امرأة فاجأها^٣ :

غدا لآعبٌ في الحبيِّ لم يدْرِ أننا نمرٌ ولا أرضٌ لنا بطريقِ
فلما انتحيناها ؛ اتقانا بِكُمهٍ وأعلننْ من روعاتنا بشهيقِ

١ هوسليمان بن محمد بن بطل ، أبو أيوب : كان فقيهاً مقدماً وشاعراً محسناً قريباً من الأربعمائة (انظر ترجمته في الجذوة : ٢٠٦ وبغية الملتبس رقم : ٧٦٢ والنفع ٣ : ٢٩٢ ، ٤٥٠٠ وله مقطعات كثيرة في كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس) .

٢ ترجمته في القسم الثالث : ٨٢١ .

٣ لم يرد هذا الشعر في ديوان جميل ؛ ولكن ابن بسام يتابع هنا ما يقوله ابن رشيق في قراضة الذهب : ٥٧ .

٤ القراضة : افتجيناها (ولا أراه صواباً) .

كيف وصَفَ حَقِيقَةَ الحَالِ الَّتِي صَوَّرَهَا تَصْوِيرًا ، مع حَسَنِ لَفْظٍ ،
وليس مع ذلك ببالغ قول النابغة^١ :

سَقَطَ النِّصِيفُ ولم تُرِدْ إسْقَاطَهُ فتنَاوَلتَهُ واتَّقنَا باليدِ

رجع

وقال ابن عبدون من قصيدة :

لولا المؤيدُ ، مدَّ اللهُ مُدَّتَهُ ،
فلم أكنُ وسوى بغداد^٢ لي أملٌ
وإن نبتَ حمصُ بي واللهُ يعصمها
وللمؤيدِ ، مدَّ اللهُ مُدَّتَهُ
لم ينتقبُ وجههُ للسُّمْرِ مشرعةً
يشأى المُسَاجِلَ في بأسٍ وفي كرم
تراهُ إن تدعُهُ يَوْمِي^٣ ندى ووغى
إليكَ منِّي ، أعزَّ اللهُ نَصْرَكَ ما
جاءتُكَ تَرْقُصُ أردانُ الكلامِ به

وله في المعتمد من قصيدة :

إنَّ الممالكَ والسيوفُ شهودُ لكمُ إماءُ والملوكُ عبيدُ

١ ديوان النابغة : ٣٤ وقراءة الذهب : ٥٧ .

٢ بغداد : سقطت من ط د .

٣ ط د س : يوماً .

شامتكمُ في المكرماتِ عزائمُ
وعُلاًّ نشأَنَ مع النجومِ وقبلها
من معشرٍ أخذوا بأطرافِ العلا
جادوا فبانتُ في البسيطةِ أنجمُ
يا روضةً وصفَ النسيمِ أريجها
ما لي أرفرفُ حولَ دَوْحِكَ ضاحياً
لا ذنبَ للآمالِ إلاّ أنّها
ركبتُ إليكَ جناحَ كلِّ عزيمةٍ
أُكَلِّتُ إليكَ الأرضَ وهي بحسبها
جارٍ على أحكامها التأييد
ولهنّ من بعدِ النجومِ خلود
والأفقُ غُفْلٌ والليالي سود
وسَطَّوْا فثارتُ في السَّماءِ أسود
رِفِّي أرفرفُ حولَ دَوْحِكَ ضاحياً
أصفُ الأوارِ ٢ وماؤها مورود
شهبٌ لها من أن تراكِ سعود [١٣٣ب]
قرب الردى من خلفها مزمود
إنّ لم تعقها من ثناك قيود

قوله : « وعلاًّ نشأَنَ مع النجومِ وقبلها » ، مأخوذ من قول المعرّي ،
وله فيه زيادة ، تجاوزت الغاية في الإجادة ، وخرقت في الإحسان كلّ عادة ،
وهو قوله يصف خيلاً ٣ :

نَشَأَنَ مَعَ النِّعَامِ بِكُلِّ دَوْ
فَقَدَا أَلْفَتَ نَتَائِجِهَا الرِّثَالُ
ولعلّ هذا تواردٌ من الطباع ، وبحسب القريحة يكونُ الإبداعُ والاختراع .
وقوله : « يا روضةً وصفَ النسيمِ أريجها » ، من قول اسحاق

١ ط : رقي .

٢ لعل الصواب : « الأوام » .

٣ شروح السقط : ٤٥٤ .

٤ نشأَنَ : الضمير يرجع إلى بيت ذكر فيه السوابق ، أي وقعت الألفة بين المهار والرثال

وهي أولاد النعام .

الموصلي^١ :

يا سَرْحَةَ الماءِ قد سُدَّتْ موارِدُهُ^٢ أما إليكِ طريقٌ غيرُ مسدودِ

ولا بنِ عبدون من قَصيدة في الرشيد نقلتها من مبيضاته ، ولم يعرضها
عليه ، ولا أوصلها إليه ، أو لها^٣ :

عزيمٌ لا يُسدُّ عليه بابٌ وقلبٌ لا يُقلُّ له ذُبابٌ

ومنها :

مضى في نائباتِ الدهرِ صلداً^٣ فلم يُثَلِّمَ^٤ وقد طال الضرابُ
وقد زَرَّوا الضلوعَ على قلوبِ لو انتضيتْ لقطاً بها الرقابُ
وسرتُ ومن كواكبه حُلبيّ عليّ ومن غياهيهِ قرابُ
ولو بسوى الرشيد جعلتُ هديي لضلَّ الركبُ فيها والركابُ
من النَّفَرِ الألى طلَعوا نجوماً فمن أنوائهم فينا انسكابُ
إذا هزَّتْهُمُ نَعَمُ العوالي فليس سوى النجيعِ لهم شرابُ
وباءَ فقلتُ في الغبراءِ برجٌ وثارَ فقلتُ في الخضراءِ غابُ
وقد عمِدتُ حباهُ على خلالِ ظُباهُ لا تهابُ كما تهابُ
وطبقَ مَقْصِلَ العلياءِ بنفَسِ مآثرها تراثٌ واكتسابُ
كانَ عداه في الهيجا ذنوبٌ وصارمهُ دعاءٌ مستجابُ

١ الأغاني ٥ : ٣٥٠ ورفع الحجب ١ : ٤١ ونهاية الأرب ١ : ٢٧٩ والذخيرة ١ : ٨٦٣ .

٢ منها ستة أبيات في الريحان ١ : ١٥٥ ب .

٣ الريحان : فرداً .

٤ الريحان : عطفوا .

وهذا ممّا أغرب فيه ، ولم أسمع له بشييه ، ولعلّه أميرُ شعره ، ونتيجة
فكره ؛ وفيها يقول :

إليكَ أبا الحسين ركبْتُ عزمًا يضيقُ برحبِ مسعاه الطّلابُ
رمتُ في البحرِ منك ولم تعرّجُ على أرضٍ بقيعتِها سرابُ
وقد مرّقتُ إليكَ من الدجى بي أعاريبٌ تحبُّ بها عرابُ
هفتُ بي والدجى يهفو حشاه كما كسّرتُ على خُزّزِ عقابُ

قول أبي محمد : « وسرتُ ومن كواكبه حُلِيٌّ » . . . البيت ، سلك
فيه سبيلاً من البديع لا تُسَلِّكُ ، واستولى منه على غاية من الكلام المطبوع
قلّما تُدرِك .

وأما قوله : « كما كسّرتُ على خُزّزِ عقابِ » فما أولاه عليه بالعقاب ،
لإذ نسخَ لفظَ أبي الطيب كما تراه ، وقصّرَ أكثرَ مما شاء عن معناه ، وهو :

يهزُّ البليشُ حولك جانبيه كما نفّضتُ جناحها العقابُ
على أنّ أبا الطيب إنما تطرّفَ قولَ طرفة ٣ :

بكتائبٍ تردى كما تردى إلى البليفِ النَّسورُ

[١٣٤أ] ولكن المتنبي طار في السماء مع العقاب ، وترك طرفة في
الأرض على التراب .

١ وقع هذا البيت آخرأ في س .

٢ ديوان المتنبي : ٣٧٠ .

٣ لم يرد في ديوان طرفة .

وكان أبو محمد حين استوحش من المنصور بن المتوكل^١ ، ولحق بأشبيلية ،
كتب إلى الوزير الأجل أبي بكر بن زيدون بهذه الأبيات :

لك الخيرُ من مثيري اليدين من العلا إذا تَرَبَّتْ أَيْدِي النَّوَى وَالتَّطَوَّلُ
بما كان بين الماضيين من الذي إليه استنادي^٢ أو عليه مُعَوَّلِي
ولم تمسكُ بالمؤيد لي يدٌ وقد زهفت^٣ رجلي عن المتوكل
وله أيضاً يقول :

قل للوزير أدام الله عزتهُ والجاهُ يَفْتَنِي وَقَوْلُ الدَّهْرِ مَفْهُومُ
لئن نبت بي حمصٌ وهي قد فعلتُ فليس تنبو بي السَّبْعُ الأقاليم
لي في مناكب أرضِ الله مُضْطَرَبٌ إن ساحتُ بي النَّوَى لحمٌ ومخزوم

ثم انصرف إلى حضرة المتوكل ببطليوس ، ودفع إليه قصيدةً أولها :

خَصَمْتُ الظُّبَا عَنْكُمْ عَلَى أَتْهَا لَدُ بقرعٍ له في كلِّ بارقة رَعْدُ
بِزُرُقٍ بما خَلَّفَ الضُّلُوعِ بِصِيرَةٍ على أَتْهَا مما بكتُ حَدَقٌ رُمْدُ
تَرَكْتُ لِمَنْ هَزَّ الأَسِنَّةَ رَأْيَهُ وقلتُ لغيري الخَفْضُ والعَيْشَةُ الرُّغْدُ
وطار جناحُ الليلِ مِنِّي بأجدَلٍ إذا ما الظُّبَا فاضتُ ففِيهَا له وِرْدُ
منيرُ أساريِرِ الرُّثاسِ إذا سَرَى وشتُ بسُراهِ البِيدُ واللَّيْلُ مسود

١ كذا في النسخ ، والمنصور هو أخو المتوكل لا ابنه ، وقد ولي بطليوس بعد وفاة أبيه المظفر
(سنة ٤٦٠) ؛ وأما ابنا المتوكل فهما الفضل والعباس ولا أعرف إن كان أحدهما لقب
بالمنصور ، وقد قتلا مع أبيهما (سنة ٤٨٧) .

٢ س : اجتهادي .

٣ ط د : زهقت ؛ س : زلقت ؛ وزهفت : خفت وعجلت .

٤ س : بالنوى .

وفيها من عتابه للمتوكل :

أفألاّنَ لَمّا مَلّيتي وَمَلّيتُهُ
وباضتْ على رأسي السنونَ وفرختْ
طمعتْ بِمحصٍ أن تلينَ لمطلي
ولي، فأسأتُ ، الذنبُ في ذلك لا لها
طلابُ لوى عن نيله الزمَنُ الوغدُ
وما لي حَلٌّ في الأمورِ ولا عقد
ولا عَجَبٌ قد يرشحُ الحجرُ الصلْدُ
فمذ توجَدُ الجُعْلانُ لم ينفقِ الوردُ

ما أخرجته من سائر مقطوعاته الاخوانيات

من ذلك ما أنشدنيه لنفسه ، مما خاطب به الوزراء الكتاب بني سعيد
ابن القبطورنة ، حين خرج عن بطليوس مستوحشاً ، حسبما وصفته ^١ :

أخلاقِي وفي قُرْبِ الصدورِ
وقد ضمّتْ جوانِحُنّا ^٢ قلوباً
إذا الكرماء نامتْ فوق ضيمٍ
فقبلُ أبي الدنية قيسُ عبسٍ
لئن عثروا وليس لعمّ جوابٌ
ولا سمعوا بها إلاّ بصمٌ
ظبا تقضي ^٣ على قممِ الدهورِ
أبتْ غيرَ القصورِ أو القبورِ
فما فضلُ الكبيرِ على الصغيرِ
ولم يُصغي إلى قولِ المشيرِ
فلا علقَتْ بطونٌ من ظهورِ
ولا نظروا بها إلاّ بعورِ

١ منها أربعة أبيات في القلائد : ١٤٦ .

٢ القلائد : تمضي .

٣ س : جوانحها .

٤ القلائد : باتت تحت .

٥ القلائد : المشير ؛ وقيس عبس هو قيس بن زهير الذي هاجر قومه بعد حرب داحس والغبراء
وأوى إلى عمان .

ومنها : [١٣٤ ب]

ودلّتهني فراقُ بني سعيدٍ فما أدري قبيلًا من دَير

وبات بطريقه هناك على وادي آنة بقريّة لبّ ، فقال :

عذيري إلى المجدِ من كَوْنِ مثلي بآنةٍ أو من مبيتي بلبّ
وبغدادُ لو هتفتُ بي هلمَّ هلمَّ لما كنتُ ممّن يلبّي

وأنشدني أيضاً له مما خاطب به بعض الأعيان :

سوى ذا الحظّ من أيدي الزماعِ	سأطلبُ لا بالسنّةِ اليراعِ
ووجهُ الموتِ محذورُ القناعِ	وأخبطُ بالسرى ورَقَ الدياجي
كما مرقُ الهلالِ من الشعاعِ	وأمرقُ من أساريِرِ المواضي
خبيراً فاقضِ حقَّ الإستماعِ	فسلني عن ملوكِ الأرضِ تسأل
لأوضحِ غبْنَهُمْ عندَ البياعِ	عرضتُ عليهمُ نَفْسِي ونفسي
ولا سلكوا سبيلاً في اصطناعي	فما اتبعوا دليلاً في اجتنابي
على ضمّدٍ ^١ ورأسٍ في صداعِ	كأعضاءٍ بها ألمٌ فقلبُ
شكّتْ بسكونها نُحْلُ ^٢ النخاعِ	ومن عَصَبٍ إذا سلتَ حراكاً
ولا تُصْفِي المودّةَ للذراعِ	ويعني لا تجودُ على شمالِ
وأذنٌ لا تألّمُ من قذاعِ ^٣	وعينٌ لا تغمّضُ عن قبيحِ
وتنقلُ الطبعِ ليس بمستطاعِ	فما أبقتوا ولا همّوا ببقيا

١ الضمد : الحقد .

٢ التحل بمعنى التحول ، وهو من النادر في الاستعمال .

٣ ط د : قرأع .

فلو سَقَّتِ السماءُ الشريَّ أرياً لما احلوتُ مراعيه لراع
 بدهرٍ ضاعتِ الأحسابُ فيه ضياعَ الرأيِ في السرِّ المذاع
 فبعثهمُ بتاتاً لا بِشُنِيئاً ولا شرطٍ ولا دركٍ ارتجاع
 ولم أجعلُ قرابي غيرَ بيتي فحسبي ما تقدّم من قراع^١

قوله : « كأعضاء بها ألم » . . . البيت ، مع الذي بعده ، أراه فيما انتحاه
 سلك سبيلَ أبي نصر المعافى^٢ ، من أناشيد الثعالبي^٣ ، حيث يقول :

لما رأيتُ الزمانَ نِكْساً وفيه للرفعةِ اتضاعُ
 كلُّ رئيسٍ به^٤ مَلالٌ وكلُّ رأسٍ به صداع
 لزمتُ بيتي وصننتُ عرضاً به عن الذلّةِ امتناع
 أشربُ ممّا ادّخرتُ راحاً لها على راحتي شعاع
 لي من قواريرها ندامى ومن قراقيرها سماع
 وأجنتي من ثمارِ قومٍ قد أقفرتُ منهم البقاع

وقول أبي محمد : « كما مرَّقَ الهلالُ من الشُّعاعِ » ، معنى متداول
 إلاّ أنّ قولَ أبي محمد أولى بالتقديم ، ومنه قول بشر بن أبي حازم^٥ :

١ س : نزاع

٢ هو أبو نصر المعافى بن هزيم الهزيمي من أبيورد ، وكان يكثر المقام ببخارى ويخدم رؤساءها
 (اليتيمة ٤ : ١٢٩ - ١٣٣ وأبياته هذه ص : ١٣٢) .

٣ اليتيمة : له .

٤ اليتيمة : عقول .

٥ ط : أبي بشر بن حازم ، د : بشر بن حازم ؛ س : بشر أبي حازم ؛ وليس البيت في
 ديوان بشر ، وقد جاء في اللسان (ودق) منسوباً لزيد الخليل .

ضربنَ بغمرةٍ فخرجنَ منها خروجَ الودقِ من خَلَلِ السحابِ

وقال المتنبّي^١ : [أ١٣٥]

وضاقتُ خُطّةً فخلصتُ منها خلوصَ الخمرِ من نَسجِ الغمامِ

وقال أبو تمام^٢ :

فخرجتَ منها كالشهابِ ولم تزلْ مد كنتَ خراجاً من الغمامِ

وقال أبو الحسن الرضي^٣ :

مرقتُ منها مروقَ النجمِ منكدرأ وقد تلاقى مصارعُ الردى دوني

وقال ابن مقبل^٤ :

خروجُ من الغمى إذا صكَّ صكّةً بدا والعيونُ المستكفة تلمحُ
إذا امتحتته من معدّ عصابةً غدا ربهُ قبل المفيضين يقْدَح

والغمام^٦ : هاهنا جماعة القداح .

١ ديوان المتنبّي : ٤٧٧ .

٢ ديوان أبي تمام : ١٩ .

٣ ديوان الرضي : ٤٤٦ .

٤ ديوان ابن مقبل : ٢٩ ، ٣٠ والعمدة ٢ : ٢٨٨ والميسر والقداح : ٦٥ واللسان (غمم)
وفي الأصول « الغما » حذفتمزته ، وهو عندئذ يفتح الغين ؛ وفيه يجوز القصر والمد .

٥ يصف القدح ؛ الغمى : الشدة والضيق ؛ العيون المستكفة : المحيطة به .

٦ كذا ورد أيضاً بالمد ، ورواية الديوان بالقصر وضم الغين .

وأول من نطق بهذا المعنى امرؤ القيس بقوله^١ :

إذا ما ركبنا قال ولدانُ أهلنا تعالوا إلى أن يأتي الصيدُ نحطِبِ

فنقله ابن مقبل إلى صفة القدح ، وقال : إذا امتحنه ممتحنٌ غدا يقدحُ
ناراً قبل الإفاضة به ثقةً بفوزه ، ونقله ابن المعتز إلى صفة جراح فقال^٢ :

قد وثق القوم له بما طَلَبَ فهو إذا جلتى لصيدٍ واضطربُ

عَرَوُا سكاكينهمُ من القُرْبُ

وأنشدني أيضاً لنفسه ممّا خاطب به الوزير أبا القاسم ابن الجلد^٣ :

سجيري^٤ من فهر لا تخمشن^٥ وجه الإخاءِ بظُفْرِ العَدَلِ
فأقسمُ أني أجيبُ الصِّبا إذا ما دعيتني إليه المقل
وما أنس ليلتنا والعناقُ قد مزَجَ الكلَّ منا بِكُلِّ
إلى أن تقوَسَ ظهرُ الظلامِ واشمطَ عارضُهُ واكتهل
ومسَّ رقيقَ رداءِ النسيم على عاتقِ الفجرِ بعضُ الليل
وسبَحَ رعدُ المثاني بحمدِ بني يعربٍ في سماءِ الجدل
إذ الدهرُ ميتُ الخطى واللحاظ عنّا وأحداثُهُ في غفل
وللطير في الورقِ النضيرِ شدو^٥ كشدو القيان عليها الكلال

١ ديوان امرؤ القيس : ٣٨٩ والعمدة ٢ : ٢٨٨ .

٢ ديوان ابن المعتز ٤ : ٧ والأوراق : ٢٠٩ .

٣ منها ثلاثة أبيات في كل من المغرب ١ : ٣٧٥ والخريدة ٢ : ١٠٦ والقلائد : ١٤٧ .

٤ د : مجيري ، والسجير : الخليل والصفي .

٥ المغرب : في عاتق الليل ؛ الخريدة والقلائد : على عاتق الليل .

فأبتُ وذنبِي أميرُ الذنوبِ ودولته فوق تلك الدول

أشار في هذا البيت الأخير إلى قول أبي الطيّب^١ :

أميرة^٢ اللحظِ في الأُلحاظِ مالكةٌ لمقلتيها عظيمُ المُلْكِ في المقلِ

وقال أبو نواس^٣ :

أصبني منك يا أملي بذنبٍ تيمهُ على الذنوبِ به ذنوبي

وأنشدني أيضاً لنفسه^٤ :

هل تذكرُ العهدَ الذي لم أنسهُ ومودتي^٥ ومجدومي^٥ بصفاءِ
والأنسُ قد خَلَعَ العذار^٦ فبيننا برُّ البنينَ ورقةُ الآباءِ
ومبيتنا في نهرِ حمصٍ والحجى قد حُلَّ عَقْدُ جباهِ بالصهباءِ [١٣٥ب]
ودموعُ طلِّ الليلِ تُخلِّقُ أعيناً^٧ ترنو إلينا من عيونِ الماءِ

وأنشدني أيضاً لنفسه^٨ :

١ ديوان المتنبي : ٣٢٩ .

٢ الديوان : مطاعة ؛ ط د : أسرة .

٣ ديوان أبي نواس : ٤٢٨ .

٤ منها ثلاثة أبيات في كل من القلائد : ١٤٧ والمغرب ١ : ٣٧٥ والخريدة ٢ : ١٠٦ .

٥ س : ومودة .

٦ س : الوقار .

٧ تكرر هذا الشطر من قبل ص : ٦٨٤ س : ٥ .

٨ انظر القلائد والخريدة والقوات والمطرب .

وما أنسَ بين النهر والقصرِ وقفةً
رمىْتُ بلحظي رميةً سمحت به^١ فلم أثنِه إلا ومحرابها^٢ قلبي
وأنشدني أيضاً لنفسه قصيدة أولها :

دَعَتِكَ ومن سجيَّتِكَ البدارُ رؤوسُ أينعتُ منها ثمارُ
ومنها في وصف السيوف :

فيوردها ظمَاءٌ وهي ماءٌ وَيُصْدِرُهَا رِوَاءٌ وهي نارُ
ويقرضها أعاديه بلحياً وترجعُ وهي لو سلمتُ نضارُ

بيته الأوسط منها نَقَلَهُ من قولِ أبي الشيص ، إلا أنه زاد عليه ،
واستلبه من يديه ، وهو^٣ :

فأوردها بيضاً ظمَاءٌ صدورها وأصدرها بالريِّ ألوانها حُمْرُ
وهذا المعنى كثير ؛ وبيته الثالث نسخ بيت أبي الطيب ، ونقله من الوادي
إلى السيف ، وهو^٤ :

ركض الأميرُ وكاللجينِ حبابُهُ وثني الأعنة وهو كالعقيانِ
وقال أيضاً أبو الطيب^٥ :

١ القلائد : بيئي رمية جمحت به ؛ الخريدة : سخت به .

٢ القلائد والخريدة : ومجروحها .

٣ لم يرد في ديوان أبي الشيص المجموع .

٤ ديوان المتنبي : ٤١٤ .

٥ ديوان المتنبي : ٣٩٠ .

ولا تردُّ الغدرانَ إلا وماؤها من الدم كالريحانِ تحت الشقائقِ

وقال محمد بن هاني^١ :

لا يوردونَ الماءَ سُنْبُكَ سابِحٍ أو يكتسي بدمِ الفوارسِ طُحْلُبًا

وأشهر موضع نقله منه قول السناط^٢ :

فخذْ ذهباً وردَّ لنا لجيناً تكنُ في الناسِ أربَحَ صيرفي^٣

إلا أنَّ قول ابن عبدون قد^٣ سلم من الحشو الذي لا يحسنه إلا من
أدمنَ محاولة مضايق المقال فاقتحمها، واعتري بفجاج السحر الحلالِ فتسنمها،
وما أشبهه في لين المهزَّ ، وإجادةِ المحزِّ ، بقول ابن المعتز^٤ :

صبينا عليها ظالمين سياطنتا فطارتُ بها أيدي سراعٍ وأرجلُ

وأنشدني له من قصيدة^٥ :

مررتُ على الأيامِ من كل جانبٍ أصعدُ فيها تارةً وأصوبُ
ينمُّ بي الثغرانِ : صُبْحٌ وصارمٌ ويكتمني القلبانِ : نَمْعٌ وغيبُ
وقد لفظتني الأرضُ إلا تنوفةً يحدّثني فيها العيانُ فيكذبُ

١ ديوانه ابن هاني : ١٨٩ .

٢ هو أبو علي الحسن بن حسان ، قرطبي عاش في زمان عبد الرحمن الناصر وأصله من وادي

الحجارة وقد عرفت به وبمصادر ترجمته في القسم الأول : ٥١٢ وببته هذا في المغرب ٢ : ٣٧

والقسم الأول من الذخيرة : ٣١٢ ، ٥١٢ .

٣ ط د : لو .

٤ زهر الآداب : ٣١٠ ونهاية الأرب ١٠ : ٥٩ .

٥ انظر القلائد والمطرب .

وهذا كقول المتنبي^١ :

وغادر الهجرُ ما بيني وبينكم يهماءَ تكذبُ فيها العينُ والأذنُ

ومن شعر ابن عبدون في الرثاء والتأبين قوله مما أنشدنيه في أخيه عبد

العزیز يرثيه :

رويدكَ أيُّها الدهرُ الخؤونُ ستأكلنا وإياكَ المنونُ
تعللنا الأمانى وهي زورٌ وتخدعنا الليالي وهي خونٌ [١٣٦أ]
وكم غرَّتْ بزبرجها قروناً فما أبقتُ ولا بقتُ^٢ القرونُ
فُجِعْتُ بزاهريٍّ من سِرِّ فهرٍ كبدِ التيمِّ هالتَهُ عرينُ
بأروعَ ملءِ عينِ الحُسنِ قيدا^٣ إذا أخذت مجاريها العيونُ
منيرِ العريضِ فضفاضِ المساعي طويلِ الباعِ ناديه رزينُ
سمتُ فوق السماءِ به ظهورٌ وما حطَّتْهُ إذ حطَّتْ بطونُ
فأنضبتِ المنايا منه بجرأً جواريه صفونٌ لا سفينُ
وأغمضتِ البسيطةُ منه نصلاً طوابعهُ قبولٌ لا قيونُ
مضى مَنْ لو سبقتُ لما تعزى ولا جقتُ له بعدي جفونُ
وأبقتني يدُ الأيامِ فرداً كما غدرتُ بيسراها اليمينُ
وهل يبقَى على غيرِ الليالي شفيقٌ أو شقيقٌ أو قرينُ

وقال يرثي ذا الوزارتين أبا محمد بن خلدون^٤ ، وكان استشهد يوم الجمعة

المشهور :

١ ديوان المتنبي : ٤٦٨ .

٢ س : أنت .

٣ ط د : قيد .

٤ ذكره في النسخ ٣ : ٢٤٢ وأنه كان مع أبي الوليد ابن زيدون وابن عمار ، وانظر بدائع

البدائه : ٢٢٥ - ٢٢٦ .

ملكت فأسجج لا أبالك يا دهرُ
 رثتهُ فقلنا إنها لتماضراً^١
 مضى لم يرث عنه الرئاسة وارثُ
 وما كان إلا الغيث أقلع جُمَّلةً
 فيا ليتي بين العوالي وبينه
 لأطبق منه بالعشا حدقَ القنا
 أي كل عام في العلا فتكة بكرُ
 وان ابن خلدون لسمفوقدها صخر
 ولولا المساعي الزهر لا تقطع الذكر
 فلم يك منه لا غدير ولا زهر
 وقد ملكتني من أعنتها فهرُ
 ضرابي وإن كانت لها العين الخزر

فيا لأبي محمد بن عبدون في الحرب الزبون ، مجنأ ليس بحصين ، ليته
 كلما شهد وقية كان كجج^٢ ابن أبي ربيعة ، حسبه الكتب من الكتاب ،
 وكفاه اعتناق القصب من خرط القواضب ، وأرى فهراً لو ملكته يومئذ
 أعنتها ، وجعلت إليه سيوفها وأسنتها ، لمات ميتة ضحاكية^٣ ، أوحى
 حياة فهرية قطنية^٤ ، ونخر البيت وعموده^٥ ، وضاع الرعيل^٦ ومن يقوده .
 وقال من قصيدة له فريدة ضمنها من أباده الخلدان ، من أكثر ملوك
 الزمان^٥ :

١ تماضر : الخنساء .

٢ ط : كجر ؛ د : كجد ؛ س : كحق ؛ والإشارة إلى قول عمر بن أبي ربيعة :

فبات محني دون من كنت أتقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

وقيل ان يزيد بن معاوية عرض جيش أهل الحرة فمر به رجل من الجند معه ترس خلق ،

فقال له يزيد : ويحك ، ترس عمر بن أبي ربيعة كان أحسن من ترسك (الأغاني ١ : ٩١) .

٣ أي مات كما مات الضحاك بن قيس الفهري .

٤ أي طالت حياته كما طالت حياة عبد الملك بن قطن الفهري والي الأندلس (ابن عدي

٢ : ٣٢) .

٥ وردت مشروحة ، شرحها ابن بدرون (ونشرها دوزي ، ونشرت بمصر ١٣٤٠) وهي

في المطرب والمعجب والقوات والنفع ونهاية الأرب ٥ : ١٩٠ وبعضها في المغرب والرايات :

٣٢ (غ) والوأي للرندي : ١١٦ وساقارن نصها في الذخيرة بالقوات .

الدهرُ يَفْجَعُ بعدَ العَيْنِ بالأثر
 أَنهَآكَ أَنهَآكَ لَا آلُوكَ موعظةً ١
 فالدهرُ حربٌ وَإِن أَبدى مسأمةً
 فلا تَغْرَنكَ من دُنْيَاكَ نومتها
 مَا لليالي أَقَالَ اللهُ عثرتنا
 تَسْرُءُ بالشَّيْءِ لَكِنِّ كِي تَغْرَأُ به
 كَم دولةٍ وليتِ بالتَّصْرِ خدمتها
 هوتِ بداراً وقلَّتْ غَرْبَ قَاتِلِهِ
 واسترجعتْ من بني ساسانَ مَا وهبتْ
 واتبعَتْ أختها طسماً وعادَ على
 وَمَا أَقَالَتْ ذوي الهَيْثَاتِ من يَمَنِ
 ومزقتْ سباً في كلِّ قاصيةٍ
 وأنفدتْ في كلِّ سبِّ حُكْمِهَا ورمتْ
 ودَوَّخَتْ آلَ ذِيانٍ وجيرتهم
 وَمَا أعادتْ على الضِّلِيلِ صِحَّتَهُ
 وألحقتْ بعدي بالعراقِ على

فما البكاءُ على الأشباحِ والصُّورِ
 عن نومةٍ بين نابِ الليثِ والظَّفْرِ
 والسُّودِ والبيضِ مُثلُ البيضِ والسُّمْرِ
 فما سجيَّةٌ ٢ عينيها سوى السهرِ
 من الليالي وخانتها يدُ الغيرِ ٣
 كالأبسمِ ثارِ إلى الجاني من الزهرِ
 لم تُبْقِ منها وسَلَّ ذَكَرَكَ من خبيرِ
 وكانَ عَضْباً على الأملاكِ ذاًثرِ [١٣٦ب]
 ولم تدعُ لبني يونانَ من أثرِ
 عادٍ وجُرْهُمَ منها ناقضُ المررِ
 ولا أجارتْ ذوي الغاياتِ من مضرِ
 فما التقى رايحُ منهمُ بمبتكرِ
 مهلهلاً بين سَمْعِ الأرضِ والبصرِ
 لَحْماً وعضتْ ٥ بني بدرِ على النهرِ
 ولا ثننتْ أسداً عن ربِّها حُجْرُ
 يدِ ابنه أجمَرَ العينينِ والشَّعْرِ

١ د والفوات : معذرة .

٢ الفوات : صناعة .

٣ س وأصل ط : القدر .

٤ د : منها .

٥ ط : وعضت .

٦ أحمر العينين والشعر : وصف النعمان بن المنذر ؛ وقد سُمِّيَ في قتله زيد بن عدي بن زيد
 ثأراً لأبيه (شرح البسامة : ١٢٨ وما بعدها) .

وبلّغَتْ يزدجردَ الصينَ واختزلتْ
 ولم تكفّ مواضي رستمٍ وقنا
 ومزقتْ جعفرًا بالبيض واختلستْ
 وأشرفتْ بِخُبَيْبٍ فوق قارعةٍ
 وخضبتْ شَيْبَ عثمانٍ دمًا وخطتْ
 ولا رَعَتْ لأبي اليقظانِ^١ صحبته
 وأجزرتْ سيفَ أشقاها أبا حسن
 وليتها إذ فَدَتْ عمرًا بخارجةٍ
 وفي ابنِ هندٍ وفي ابنِ المصطفى حسنٍ
 فبعضنا قائلٌ ما اغتاله أحدٌ
 وأردتْ ابنَ زيادٍ بالحسينِ فلمْ
 وعممتْ بالظبا فودّيَ أبي أنسٍ
 وأنزلتْ مصعباً من رأسِ شاهقةٍ
 ولم تراقبْ مكانَ ابنِ الزبيرِ ولا
 ولم تدعْ لأبي الذبّانِ ماضيةً^٣
 وأظفرتْ بالوليدِ بنِ اليزيدِ ولم
 ولم تعدُّ قُضْبُ السفّاحِ نايبةً

عنه سوى الفرسِ جَمَعَ التركَ والخزر
 ذي حاجبٍ عنه سَعْدًا في ابنةِ الغير
 من غيله حمزةَ الظلامِ للجزُر
 وألصقتْ طلحةَ الفيّاضِ بالعقرِ
 إلى الزُّبيرِ ولم تستحي من غمر
 ولم تُزَوِّدْهُ إِلَّا الصَّيْحِ فِي الغمر
 وأمكنتْ من حسينٍ راحتي شمر
 فَدَتْ عليّاً بمن شاءتْ من البشرِ^٢
 أتتْ بمعضلةِ الألبابِ والفكر
 وبعضنا ساكتٌ لم يؤتَ من حصر
 يبؤُ بِشَيْخٍ له قد طاحَ أو ظفُر
 ولم يَرُدَّ الرّدى عنه قنا زفر
 كانتْ به مهجةُ المختارِ في وزر
 رعتْ عيادتهُ بالبيتِ والحجر
 ليس اللطيمُ لها عمروٌ بمتصرٍ
 تُبْقِي الخِلافةَ بين الكأسِ والوتر
 عن رأسِ مروانٍ أو أشياعهِ الفجر

١ أبو اليقظان : عمار بن ياسر (شرح البسامة : ١٥٤) .

٢ ورد في طراز المجالس : ١٣٢ .

٣ شرح البسامة : قاصية ؛ د : قائمة ، وأبو الذبان هو عبد الملك بن مروان .

٤ ط د : بمتنجر (اقرأ : بمتنجر) ؛ س : بمتنجر ؛ واللطيم هو عمرو الأشدق بن سعيد بن العاص .

وأسبلت دمعاً الروح الأمين على
وأشرفت جعفرأ ، والفضل ينظره
وأخفرت في الأمين العهد وانتبذت
وما وقت بعهود المستعين ولا
وأوثقت في عراها كل معتمد
وروعت كل مأمون ومؤتمن
وأعرت آل عباس لعلهم
بني المظفر والأيام ما برحت
سحقاً ليومكم يوماً ولا حملت
من للأسرة أو من للأعنة أو
من للبراعة أو من للبراعة أو
أو رفع كارثة أو دفع آزفة
ويح السماح ويح الجود لو سلما
سقت ثرى الفضل والعباس هامية
ثلاثة ما رقى النسران حيث رقوا
[ثلاثة ما رأى العصران مثلهم
ومر من كل شيء فيه أطيبه
من للجلال الذي عمّت مهابته

١ ط د : يسح ؛ والمقتول بفتح هو الحسين بن علي بن حسن بن حسن ، واستشكل ابن بدرون
هنا على الشاعر لقوله « وأسبلت دمعاً الروح الأمين » إذ أن دمعاً الروح الأمين لم تسيل على
قتيل فبح وإنما على الحسين بن علي نفسه (انظر ص : ٢٢٠ من شرح البسامة) .
٢ من هنا حتى آخر القصيدة لم يرد إلا في س .
٣ زيادة لاتصال السياق .

أين الإباءُ الذي أرسوا قواعدهُ
 أين الوفاءُ الذي أصفوا شرائعهُ
 كانوا رواسيَ أرضِ الله منذ نأوا
 من لي - ولا من - بهم إن عطلت سنن
 من لي - ولا من - بهم إن طبقت عن
 على الفضائل - إلا الصبر - بعدهم
 يرجو عسى وله في أختها أمل

على دعائم من عزٍ ومن ظفر
 فلم يردُّ أحدٌ منها على كدر
 عنها استطارت بمن فيها ولم تفر
 وأحضيت ألسن الأيام والبشر
 ولم يكن وردها يفضي إلى صدر
 سلامٌ مرتقبٌ للأجر منتظر
 والدهر ذو عقب شتى وذو غير

وقد سلك بعض أهل عصرنا هذه السبيل ، وهو أبو جعفر الكفيع
 التطيلي ، فقال ١ :

خذنا حدثاني عن فلٍ وفلانٍ
 وعن دولِ جُسنِ الديارِ ، وأهلها
 وعن هرَميِّ مصرَ الغداة أمتعا
 وعن نخلتي حلوانَ كيف تناءتا
 وطال ثواءُ الفرقدينِ لغبطة
 وزايلَ بين الشعريينِ تصرفٌ ٣
 فإن تذهب الشعري العبورُ لسانها
 وجُنَّ سهيلٌ بالثريّا جنونه

لعلي أرى باقٍ على الحدثانِ
 فنين ، وصرفُ الدهرِ ليس بفان
 بشرخِ الشبابِ أم هما هرمان
 ولم تطويا كشحاً على شأن ٢
 أما علما أن سَوَفَ يفترقان
 من الدهرِ لا وانٍ ولا متوان
 فإن الغميصا في بقيّةِ شان
 ولكن سلاه كيف يلتقيان

١ ديوان الأعمى التطيلي : ٢٢٤ ومر منها بيتان ص : ٤٨٧ .
 ٢ نخلتا حلوان اللتان ذكرهما مطيع بن اياس في شعره ، وقيل انه قطع للرشيدي جمار إحداهما
 فماتت ، انظر ثلاثة شعراء عباسيون : ٦٩ .
 ٣ الديوان : مصرف .

وهيئات من عدل القضاء وجوره
فأجمع عنها آخر الدهر سلوة
وأعلن صرّف الدهر لابني نويرة
وكانا كندمانني جذيمة حقة
فهان دم^١ بين الدكادك واللوي^٢
وضاعت دموع^٣ بات يبعثها الأسى
ومال على عبس وذبيان^٤ ميلة
فعوجا على جفر الهباءة^٥ فاعجبا
دماء^٦ جرت منها التلاع^٦ بملتها
وأيام^٦ حرب لا ينأدي وليدتها
فآب الربيع^٦ والبلاد^٦ تهرة^٦
وأنحى على ابني^٦ وائل^٦ فتهاصرا
تعاطى كليب^٦ فاستمر^٦ بطعنة^٦

شامية^١ ألوت^١ بدّين^١ يمان
على طمع^١ خلاه^١ للدبران^١
بيوم^١ تناء^١ غال^١ كل^١ تداني
من الدهر^١ لو لم تنصرم^١ لأوان^١
وما كان^١ في أمثالها^١ بمهان
يهبّجه^١ قبر^١ بكل^١ مكان
فأودى^١ بمجني^١ عليه^١ وجاني
لضيعة^١ أعلاق^١ هناك^١ ثمان^١
ولا ذحل^١ إلا^١ أن جرى^١ فرسان^١
أهاب^١ بها^١ في الحي^١ يوم^١ رهان
ولا مثل^١ مود^١ من وراء^١ عمان
غصون^١ الردي^١ من كزة^١ ولدان
أقامت^١ لها^١ الأبطال^١ سوق^١ طعان

١ الدبران : نجم يدبر الثريا ، بينها وبين الجوزاء .

٢ إشارة إلى قول متمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك (المفضلية : ٦٧)

وكانا كندماني جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

وندمانا جذيمة هما عقيل ومالك اللذان يقول فيهما أبو خراش الهذلي :

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خليلا صفاء مالك وعقيل

٣ إشارة إلى قول متمم :

وقالوا أتبكي كل قبر رأيت له قبر ثوى بين اللوي فالدكادك

٤ جفر الهباءة : مستنقع ببلاد غطفان قتل فيه عدد من بني فزارة ، أخذوا على غرة .

٥ الاعلاق الشمالي رهن من بني عبس قتلهم حذيفة بن بدر في اليمعرية قبل جفر الهباءة .

٦ هو الربيع بن زياد العبسي .

وبات عدي^١ بالذنائب يصطلي
فذلّت رقاب^٢ من رجال^٣ أعزّة
وهبوا يلاقون الصّوارم والقنا
فلا خدّ إلا فيه حدّ مهند
وطال على الجّونين بالشعب فانثى
وأمضى على أبناء قبيلة^٤ حكمته
ولو شاء عدوان الزمان ولم يشا
وأى قبيل لم تُصدّع جميعهم
خليلي^٥ أبصرت الردى وسمعته
خذنا من فمي هلاّ وسوف فلاني
ولا تعداني أن أعيش إلى غد^٥

بنار وغى^١ ليست بذات دخان^١
إليهم تنهى عز كل زمان
بكل جبين واضح ولبان
ولا صدّر إلا فيه صدّر سنان
بأسلاب مطلول وربقة عان^٢ [١٣٧ب]
على شرس أدلّوا به وليان
لكان عذير الحي من عدوان^٣
بيكر من الأرزاء أو بعوان
فإن كنتما في مريّة فسلاني
أرى بهما غير الذي تريان
لعل المنايا دون ما تعداني

وقد تقدّم أيضاً إلى هذه الطريقة جماعة^٥ من المتقدمين والمتأخرين^٥ ،

- ١ عدي : هو مهلهل بن ربيعة أخو كليب ، والذنائب : اسم موضع يذكره مهلهل في قوله :
فإن يك بالذنائب طال ليلى فقد أبكي من الليل القصير
وفي ط : علي .
- ٢ الشعب : شعب جبلة ، وفيه يوم من أيامهم ، والجونان : عمرو ومعاوية ابنا شراحيل ابن
الجون وقد أسرها بنو عامر يوم الشعب (شرح النقائض : ٤٠٧) .
- ٣ ابنا قبيلة : الأوس والخزرج .
- ٤ عدوان : قوم ذي الأصبع ، تفانوا ، وفيهم يقول ذو الأصبع :
عذير الحي من عدوان كانوا حية الأرض
بنى بعضهم بعضاً فلم يبقوا على بعض
وانظر ما تقدم ص : ١٢
- ٥ والمتأخرين : سقطت من ط .

قال أبو العلاء المعري^١ :

أصاب الأخصين بصيرُ خطبٍ
وَعَمِيلَ المازنيُّ من الليالي
وللجرميِّ ما اجترمتُ يداه
وأما فترخه^٢ فبلا جناحٍ
وما نفع المبرِّدَ من حميمٍ
وَصَادَتْ ثعلباً نُوبٌ ضَوَارٍ
بزنديٍّ من خطوبِ الدهرِ واري
وحَسْبُكَ من فلاحٍ أو بوارٍ
يطيرُ بحملِ أقلامِ جوارٍ

وقال^٣ :

أصحابُ أليكة^٤؛ أهلكوا بظهيرةٍ
كسرى أصابَ الكسرُ جابرَ ملكه
وَالْقَصْرُ كَرٌّ عَلَى تَطَاوُلِ قَيْصِرٍ
حَمِيَّتْ وَعَادٌ بِالرِّيَّاحِ الصَّرَصِرِ

وقال^٥ :

أعيا سوارُ الدهرِ كلَّ مساورٍ
فاحذرْ وإن بَعَدَتْ غُرَاتِكَ فِي العدا
جرتِ القضايا فِي الأنامِ وَأَمْضِيَتْ
ورمى الخليلَ بأسهمِ الأسوارِ
قَدَّرَأْ أغارَ على أبي المغوارِ^٦
صدقا بأسوارٍ ولا أسوارِ^٧

١ اللزوميات : ١٤٢ / أ / ١٤٤ : ٣٢٨ .

٢ فرخ الجرمي : كتابه ، كان يسمى فرخ سيويه .

٣ اللزوميات ١٤٢ ب / ١٤٤ : ٣٣٠ .

٤ اللزوميات : أصحاب ليكة .

٥ اللزوميات ١٤٤ / أ / ١٤٤ : ٣٣٤ .

٦ أبو المغوار أخو كعب بن سعد الغنوي ، وقد رثاه كعب بقصيدة مشهورة .

٧ ط د : بأسرار ولا أسرار ؛ والأسوار في القضايا المنطقية مثل « كل » و « بعض » فإذا عريت منها فهي بلا أسوار .

في ذكر الأديب أبي جعفر
أحمد بن عبد الله بن هريرة القيسي الأعمى التطيلي^١

له أدبٌ بارع ، ونظرٌ في غامضهٍ واسع ، وفهمٌ لا يجارى ، وذهنٌ لا يبارى ، ونظمٌ كالسحر الحلال ، ونثرٌ كالماء الزلال ، جاء في ذلك بالنادر المعجز ، في الطويل منه والموجز ؛ نظم أخبار الأمم في لبّة القريض ، وأسمع فيه ما هو أطرفٌ من نغم معبّد والغريض . وكان بالأندلس سرّ الإحسان ، وفرداً في الزمان ، إلاّ أنّه لم يتطلّ زمانه ، ولا امتدّ أوانه ، واعتُبطَ عندما به اغتبط ، وأضحّت نواظرُ الآداب لفقده رَمِدةً ، ونفوسُ أهله متفجّعة كدة . وقد أثبت ما يشهدُ [له] بالإحسان والانطباع ، ويثني عليه أئمة السماع .

١ ذكر الصفي (نكت المهيمان : ١١٠) أنه توفي سنة ٥٢٥ ، وترجمته في المغرب ٢ : ٤٥١ والمسالك ١١ : ٣٨٩ (وفيها نقل عن الذخيرة) والقلائد : ٢٧٣ والخريدة ٣ : ٥١١ (قسم المغرب) وبغية المنتس رقم : ٤٢٩ والسلفي : ١٦ وله ذكر في الروض المعمار : ١٣٣ ، ١٩٦ وبدائع البدائ : ٢٤٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٤ والنفع (انظر الفهرست تحت : الأعمى التطيلي) وقد ورد اسم أبيه في نسخة حلّيم من الدليل والتكملة (الورقة : ١٦٧) « عبيد الله » وترد له كنيّتان أبو جعفر وأبو العباس ؛ وقد كنت نشرت ديوانه اعتماداً على نسختين خطيتين (بيروت ١٩٦٣) وصدرته بمقدمة في دراسة حياته وشعره ، وضمت إلى الديوان موشحاته من دار الطراز وجيش التوشيح وغيرهما ، ولكن هذه الترجمة التي أوردتها ابن بسام (والتي انفردت بها النسخة س) قد احتوت شعراً لم يرد في ديوانه ونثراً لم تورده المصادر الأخرى ، إلا أن انفراد « س » يحمل بعض القراءات أحياناً غير دقيقة ، بكل أسف .

فمن ذلك رقعة كتب بها إلى بعض إخوانه يعاتب : شاكرك أو شاكيك ،
من لا يحمد ولا يذم الأيام فيك ؛ يا سيدي - كناية عن ذكره ، لا توخياً
لبره ، وإحياء رغبة في إنصافه . لا طمعاً في استعطافه - الذي عاطيته كأس
الوداد فأمرها . وزففتُ إليه بنتَ الفؤاد فأضرَّ بها وأضرَّها ، ومن أطال
الله بقاءه ممتعاً بظلِّ السلطان . وإقبالِ الزمان ؛ فإنَّ الرجلَ بسطانه ، لا
بإخوانه ، وباقبالِ زمانه ، لا بإحسانه ، إني - أعزَّك الله - وإن كان الدهرُ
وضعني ورفعتك ، وضاق عني ووسعتك ، بين جنبيَّ نفسُ عصام ، وبين
فكيَّ صارمُ بسطام ، إذا ضيمَ الرجالُ فلستُ بالمضروب زيد ، وإذا
تكلَّم القول فلست بسعيد بن حميد :

« الشجرُ شجوي والعويل عويلي »

لا أستعير عيناً للبكاء ، ولا أبتغي بكبدي كبداً سليمة من الأرزاء .

وإنك أعزَّك الله - لما تكلَّمتَ بلسانِ سهل بن هارون . وجلستَ مجلسَ
الفضلِ من المأمون . وخدمك الدهرُ ، واثالثتُ في يدك الأنجُم الزهر ،
قلت : أحمد وعلِّي . وإن لم يكن شيعُ فري^٢ . أسواء من أعتق أو نصرت ،
وأين من ولي حلب ممن ولي حمص ؛ وعلى رسلك : ما كنت أنا الغلط في
مثلك . إني أبيت ظمآن ، ولا أبيتُ خزيان . وأحتملُ الحرمانَ ، ولا أحتملُ
الهوان . وليتَ هذا الأمرَ وقلبك لي معمور . وأنت بزعمك إليَّ فقير .
وأنا أظنُّ أني سأولتي وأعزل . وأحدث في كنفك وأعدل . فما هو إلا

١ شطر بيت فرمادي - وقبله : « من حاكم بيبي وبين عدولي » .

٢ يشهر إلى شعر لامرئ القيس جاء فيه :

فتملاً بيتنا أقطاً وسمناً وحسبك من غنى شيع وري

أنْ نَبَّتَ قَدَمَكَ . وَخَفَقَ عِلْمَكَ . وَوَابِتَلَ قَرطاسَكَ وَقَلَمَكَ ، [حتى]
اِخْتَصَرْتَ شَطْرَ السَّلَامِ ، وَدَفَعْتَ فِي صَدْرِ الْقِيَامِ . وَغَزَلْتَ فَلاناً قَبْلَ
الوَلَايَةِ ، وَاقْتَصَرْتَ بِأَبِي الْأَصْبَغِ دُونَ الْغَايَةِ ، هَيْئَةً أَنَا كُنْتُ مَعْنَاهَا ، وَكَأْسُ
لِي شَعَشَعَتَ حُمِيَّاهَا ، وَوَلَايَتِكَ خَطَرَ ، وَفِي عَمَلِكَ نَظَرَ . إِنَّمَا هُوَ ظَلَّ
عِمَامَةً . وَمَبِيضَ حِمَامَةٍ : ثُمَّ تَعَوَّدُ إِلَى اسْتِحْلَاسِ الْبَيْتِ . وَأَكْلِ الْخَبْزِ
بِالزَّيْتِ .

وَكُتِبَ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ بِياعٍ^١ بِهَذِهِ الرِّسَالَةَ وَالشَّعْرَ الَّذِي بَعْدَهَا : يَا
عِمَادِي الَّذِي شَفَّ قَدْرُهُ عَلَى الْأَقْدَارِ . شَفُوفَ الضُّحَى عَلَى الْإِبْدَارِ ،
وَسَرَى ذَكَرَهُ بِأَطْيَبِ الْأَخْبَارِ . مَسْرَى النِّسِيمِ بِالْأَزْهَارِ . وَامْتَرَجَ حَمْدُهُ
وَشَكَرَهُ بِالْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ . امْتَرَجَ الْمَثَانِي بِالْأَزْيَارِ .

وَفِي فَصْلِ مَنُهَا : وَإِنْ كُنْتُ ضَيِّقَ الْبَاعِ مَزْجَى الْبِضَاعَةِ . فِي غَيْرِ
وِرْدٍ وَلَا صَدْرٍ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ ، فَانِي أَقُولُ بِفَضْلِهَا : وَأَعْرِفُ الْحَسْنَ
مِنْ أَهْلِهَا . وَأَعْرِضُ بِنَفْسِي - فَادِيَتِكَ - لِلالْتِقَافِ فِي حَبْلِهَا . وَالتَّصَرُّفِ
بَيْنَ جِدِّهَا وَهَزْلِهَا ؛ وَلَمْ أَزَلْ مِنْذُ تَخَيَّلَ جَنَانِي . وَتَقَوْلَ لِسَانِي : وَأَدْبَرَ
مَلَكِي أَوْ شَيْطَانِي : أَلْتَمَسُ مِنْ أَهْلِ هَذَا الشَّانِ إِمَاماً أَسْعَى بِاسْمِهِ وَأَحْفَدُ .
وَأَقْبِسُ عَلَى حُكْمِهِ وَأَقْلُدُ ، وَأَحِلُّ بَيْنَ تَهْمِهِ وَأَعْقُدُ . وَالنَّاسُ كَثِيرٌ .
وَالنَّاقدُ بَصِيرٌ ، وَلِلْأُمُورِ أَعْجَازٌ وَصُدُورٌ . فَكَيْفَ تَرَانِي اتَّخَذْتُكَ خَلِيلاً ،

١ ذكره ابن بسام في الفخيرة ١ : ٧٦ وأورد له بيتاً على وزن قصيدة الأعمى التالية ورواها
وجاء عند السلفي ذكره عرضاً (ص ١٢٢) واسمه علي بن بياض (كما سيحيى في القصيدة)
وهو سبني النسبة ، وقد نقل بعض شعره وشعر غيره من المغاربة أبو عمران السبني وأنشده
السلفي .

وَذَخَرْتُكَ عَلَى الْإِيَّامِ عَهْدًا مَسْؤُولًا . وِبَايَعْتُكَ عَلَى الطَّاعَةِ وَالسَّمْعِ .
وَشَايَعْتُكَ سِرِّيَ الْإِسْطَاعَةَ وَالْوَسْعَ ، فَعَرَّوْتُ عَلَيْكَ كَعْبَةً أَوْلَتْي وَجَهِي شَطْرَهَا ،
وَأَسَدْتُ لِيْلِكَ هَضْبَةً إِنْ خَشِيَ سِوَايَ وَعَرَهَا . لِأَكُونَ قَدْ قَدَّرْتُ
هَذِهِ الصَّنَاعَةَ قَدْرَهَا . وَأَبْلَغْتُ نَفْسِي فِي ظَلْمِهَا وَالتَّلَقُّ بِسَبَبِهَا عُدْرَهَا .

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : وَكَتَبْتُهَا عَنْ جَنَانٍ بِلِقَائِكَ صَبًّا . وَلِسَانٍ بِشُكْرِ آثَاكَ
رَطْبًا ، وَشَاهِدٍ سَرِيرَةٍ وَإِعْلَانٍ لِأَوَايَاكَ نَهْبًا . وَعَلَى أَعْدَاكَ لِئْسَبًا .
وَعِنْدِي مِنَ الْقَوْلِ بِإِمَامَتِكَ . وَالْحِرْصِ عَلَى سَلَامَتِكَ . وَالشُّكْرِ لِأَيَادِيكَ .
وَمِنَافَسَةِ أَهْلِ ذَلِكَ الْقَطْرِ فِيكَ . مَا لَا يَسَعُهُ نَظْمٌ وَلَا نَثْرٌ . وَلَا يَحِيطُ بِهِ
عَدْتُ وَلَا حِصْرٌ .

وَفِي فَصْلِ : وَمَا حَجَبَ سَنَاكَ . وَنَظَرْتَ لِيْلِكَ نَظَرَ الْمُنْهَزِمِ إِلَى السَّلْمِ .
وَتَنَكَّبَ الْحَادِي ذِرَاكَ . وَقَرَّبْتُ مِنْكَ بِمَكَانِ الدَّبْرَانِ مِنَ النُّجْمِ . وَاسْتَمَرَّ
الزَّمَانُ عَلَى عَادَتِهِ فِي إِمَالَةٍ حَالِي . وَظَفَرَ بِإِرَادَتِهِ مِنْ عَكْسِ أَرَاغِيٍّ وَأَمَالِي .
خَاطَبْتُ الْخَضِرَةَ الْبَهِيَّةَ الْمَزْدَانَةَ بِمِثْلِي - دَامَ عَزَّهُ - بِأَيَّاتٍ مِنْ ذَلِكَ الْهَدْيَانِ .
الْحَالِي إِلَّا مِنَ الْبَيَانِ . أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ : بِلِ لَهْمَاتٍ مِنْ ذَلِكَ الْبِرْسَامِ . الْمَتَوْلَّدِ
عَنْ عَكْسِ الْإِحْتِدَامِ . وَهِيَ عَلَى حَالِهَا نَاطِقَةٌ بِلسَانِ شُكْرِهَا . سَافِرَةٌ
عَنْ وَجْهِ عُدْرَهَا . وَقَدْ زَفَقَتْهَا إِلَيْكَ . وَاسْتَسَبَّحْتُهَا عِنِّي فِي الْمَثْوَى بَيْنَ
يَدَيْكَ . غَيْرَ - وَاللَّهِ - مَبَاهٍ لِيْكَ . وَلَا مَتَشَبَهٍ بِكَ . وَلَا طَمَعًا فِي إِقْتِفَاءِ آثَارِكَ .
فَضْلًا عَنْ شِقِّ غِبَارِكَ . وَلَكِنْ تَعَنَّمًا لِمَسْرَتِكَ . وَاعْتِلَاقًا بِمِهْرَتِكَ . وَخِدْمَةً
لِلْعَلِيَّةِ حَضْرَتِكَ . وَلِتَرَى أَيْنَ أَقَعُ . بِمَا أَصْنَعُ . وَلَوْ لَا أَنْ أَعْدَيْتُ طُورِي .
وَأَحْوَرَ بَعْدَ كَوْرِي . لَقَلْبْتُ : إِنْ تَفَضَّلَ سَيِّدِي وَإِمَامِي بِجَوَابِ عَزِيزِ لَيْسَطِ
نَفْسِي ، وَبِرْدِ شَارِدِ أَنْسِي . فَعَلَّ .

وأول الشعر ١ :

أبا حسنٍ دعاءٍ أو حينياً
أناذنُ في التظلمِ من زمانٍ
ولو أن الخيال يتوبُ عني
ولولا أن أدلّس في التلاقي
فلم ترَ بيننا وأبيك فرقاً
ذكرتك ذكراً جَدَبَتَكَ نحوي
وأعلمُ أنها كهواك سحر
بلى إن يدنُ طيفُك من وسادي
وكيف يحسُّ طيفُك أو يراه
معنى لا يزالُ سميرَ شوقٍ
يؤرقُه بعددك كلَّ ليلٍ
كانَ نجومه أقداحُ شربٍ
أبا حسن وأينُ الحسنُ مما
لك الفضلُ الذي هو فيك طبعٌ
قتلت حقائقَ الأشياءِ علماً
نمّتك إلى المكارمِ والمعالي
صقورٌ أو بدورٌ أو بحورٌ
إذا شهدوا القتاراً فسوف تدري
بنو الهيجاء طاروا في وغاها

ولا آلوك إن كانت خبالا
عدا تلك الزيارة والوصالا
لأبْلَغَكَ الكرى قصصاً طوالا
لزرتك حيثُ تعرّف الخبالا
سوى أني أحنُّ إذا أحالا
فهل أحسنتُ نقلاً أو نقالا
ولكن كيف تستهوي الجبالا
فقد سمّيتها السحرَ الحلالا
ولو نصبَ الجبالَ والجبالا
عهدتَ لبرحه ألا يزألا
توهّم طولَ زفرته فطالا
إذا زيدت هدىً زادت ضلالا
تشيرُ به فعلاً أو مقالا
إذا احتقبوه غصباً وانتحالا
كفاك البحثَ عنها والسؤالا
إذا نجم تكارم أو تعالي
وإن لم تلقَ مثلهم رجالا
لأبنة علة شهدوا القتالا
وإن كانت حلومهم نقالا

١ انظر الديوان : ٢٤٣ .

٢ الديوان : القتال .

إذا زَبَنَتْهُمْ شَنُوا عليها
 ونعم النازلون على الروابي
 إذا اكفَتِ الرِّيحُ بحيث تدعو
 ولو أني أشاءُ لأبْلَغْتَنِي
 قلائصُ ما رحلناهنَّ إلاَّ
 كأنصافِ البرى وتدقُّ عنها
 إذا انبعثت رأيتَ قسيَّ نبعٍ
 تناسبُ شدِّقماً أو أذكرته^٤
 [تراع من السقاب إذا رأتها
 وقد ألفتُ بناتِ القفر حتى
 إذا لمع السرابُ تبادرته
 وبين جفونها منه نطافُ
 لعلك يا عليُّ لها معاذُ
 وتبسَطَ أو تمدَّ لها يميناً
 أبيعك يا ابنِ بياعِ فؤادي
 وأصفيك الودادَ وغيرُ ودِّي
 إليك هوي تكرمه وبراً

جيداً ضميراً وقناً طوالا
 إذا ما الشمسُ أحرقتِ الظلالا
 بصوبِ المزنِ خالقها ابتهاالا
 ذراك ، ولو أسيءُ بها فعالا
 رأيتَ بينَ عُصمًا أو رثالا
 شواها دقةً تسعُ الخلالا^٢
 وتحسبها إذا بركت سخالا^٣
 وصار لها السرى عمًا ونحالا
 وتشتاق الأزمة والرحالا^٥
 حسبت الغولَ يجلوها النعالا
 فأحسبها تريدُ به اشتمالا
 إذا سمع الغليلُ بينَ خالا
 فتسقيها بحاراً^٦ أو سجالا
 غدا نوءَ السّمكِ لها شمالا
 وغيري من إذا ندمَ استقالا
 إذا حالتُ صروفُ الدهرِ حالا
 إذا كان الهوى قيلًا وقالا

١ الديوان : التقت .

٢ ورد البيت في الذخيرة ١ : ٧٦ .

٣ الديوان : إذا بلغت محالا .

٤ الديوان : أنكرته .

٥ زيادة من الديوان لاستكمال المعنى .

٦ الديوان : غماراً .

ومعذرةً تشيرُ بناتُ صدري
 عدا بي أن أزوركَ صرفُ دهرٍ
 وهمٌ من همومي^١ لو توخى
 إذا أغفيتُ راعَ إليّ منه
 يُخَصِّصُ مدمعي ويخوضُ فيه
 ودونكها وأنتُ أجلُّ قدرًا
 فإن ضاعت لديدك فأنتُ شمس
 وإن حظيتُ وأرجو أن ستحظى
 على خطرٍ أو آنَّ الليلُ منه
 وغبَّ تعقبٍ لو كان منه

إليكَ بها اختصاراً واحتفالا
 ألحَّ فما أطيق له احتيالا
 طريقَ الریح كان لها عقلا
 محبٌّ لا يُمَلُّ إذا أطلالا^٢
 فما يدع المصونَ ولا المذالا
 ولكن عادة حُدِيتُ مثالا
 يشبُّ تعسُّفي فيها الذبالا
 فإنَّ الشمسَ نورَتِ الهلالا
 لعاد شبابُ راکبه اكتهالا
 فرند السيفِ ما قبيلَ الصقالا

١ الديوان : هموم .

٢ هذا البيت والتالي له لم يردا في الديوان .

ومن شعره في النسيب وما يناسبه

قال ١ :

هو الهوى وقديماً كنت أحذرُهُ السقيمُ مورده والموتُ مصدرُهُ
يا لوعةً أجلاً من نظرةٍ أملٍ ٢ الآنُ أعرفُ رشداً ٣ كنتُ أنكره
جيدٌ من الشوقِ كان الهزلُ أولَهُ أقلُّ شيءٍ إذا فكرتُ أكثره
ولي حبيبٌ دنا لولا تمنعُهُ ٤ وقد أقولُ نأى لولا تذكره

وله في قينة كانت تسمّى للذيدة ٥ :

يا قلبُ ذُبْ من أسيٍّ أو لافلا تذبِ ما من تحبُّ وإن تحرصُ بمقتربِ
ركبتَ هولَ الهوى عن غيرِ تجربةٍ وراكبُ الهولِ محمولٌ على العطبِ
قد صابَ طعمُ الهوى من بعد ما وضحتُ منه ضروبٌ منى أحلى من الضربِ
لبيتَ داعيه لما أن دعاكَ وما دعاك داعي الهوى إلا إلى الشجبِ
حتى إذا نلتَ من تلك المنى جعلت تدعو عليك بطول الويل والحربِ
أيا للذيدُ ولا والله مذ حجبت غني لعيني في اللذاتِ من أربِ

١ الديوان : ٢٤٠ وانظر بغية الملتبس : ١٧٥ والقلائد : ٢٧٤ والخريدة ٢ : ٥١٩

والمسالك ١١ : ٣٩٠ والمغرب ٢ : ٤٥٢ .

٢ الديوان : يا لوعة هي أحلى من جنى أمل ؛ المسالك : قربت من نظرة أجلا .

٣ الديوان : شيئاً .

٤ الديوان : وان شط المزار به .

٥ منها أبيات في الديوان : ٢٤٧ .

تفديكِ أُمِّي من صَرَفِ الردى وأبي
 والعينُ في لُجَّةٍ من دمعها السَّرب
 وقد تخوّفتُ يوماً أنْ تَواخَذَ بي
 حتّى يُعاقبَ ذاكَ الحسنُ من سببي
 على مراقبةٍ من أعينِ الرقب
 وغابتِ الشمسُ أو كادت ولم تغب
 وأدمعي بين منهلٍ ومنسكب
 بمن أراكَ أسيرَ الوجد والطرب
 كتمتِ سِرِّي لم أكتُمك كيف سُبِّي
 ظناً ، أيجملُ هذا من ذوي الأدب
 والمرءُ وقفَ على الأرزاءِ والثوب
 ولا نصيبَ له منها سوى النَّصَب
 شتَّانَ والله بين الجِدِّ واللعب
 رَمَتْهُ أُخرى إذْ نُ لاشكَّ لم تصب
 ترهبُ فلن تبلغَ الآمالَ بالرهب
 وقد يكونُ الهوى أعدى من الحرب
 إلا أشارَ إليَّ الموتُ من كتب
 فقد أوْلَفُ بين الماءِ واللهب
 لازلتُ في غِبطَةٍ ممتدَّةِ الطنب
 يهفو إليك وأضحى جيداً مكتتب
 خيرٌ من الجهدِ في جيدٍ وفي تعب
 منها حنانَ الرضى أو جفوةَ الغضب

تركتني يا حياتي للردى غَرَضاً
 يَصَلِّي فؤادي سعيراً من صبابته
 يا ربّ قد سفكتُ أمُّ الوفاءِ دمي
 وقد وهبتُ لها قلبي ، وما خَطَرِي
 نسيتُ إلا تدانينا وموقفنا
 لما التقينا وقد قيل المساءُ دنا
 وأضلعي بين مُنقَدِّ ومُنقَصِفِ
 تأملني أختُ المجدِ قائلةً
 فقلت قلبي مسبيٌّ وإنك لو
 فأعرضتُ ثم قالت قد أسأت بنا
 فقلت إني امرؤٌ لَمَّا لقيتكمُ
 سببتُ فؤادي ذاتُ الحالِ قادرةً
 أشقى بها وهي عني في بلهنيّةِ
 أصابتِ القلبَ لما أنَ رَمَتْهُ ولو
 فقالت أشكُّ إليها ما لقيت ولا
 عسى هواكَ سيَّعديها فينصّبها
 فقلتُ أعظمها بل ما أكلتمُها
 قالتُ أنا أتولّي ذاكَ في لُطْفِ
 فقلتُ مثلكَ مَنْ يَرجى لمعضلةِ
 قالت لها يا لذيذَ الحسنِ صاحبنا
 صليهِ أو فاقتليه فالحمامُ له
 فلو تراني قد استسلمتُ مرتقباً

والقلبُ مهما أرمُ تسكينه يُجيب
إليّ تضحكُ بين العجب والعجب
إذ اجتمعنا ولم نأثمُ ولم نحب
من المعالي وأناها عن الريب
فلم يدعني له ديني ولا حسبي

حتى إذا ما ألانتُ تلك جانبيها
طفقتُ أَلثمُ كفيها وقد جنحتُ
ثم افترقنا وما ساءتُ حفاظنا
لله مثلي ما أدنى سجيتهُ
كم مأثمٍ مُستلذٍ قد هممتُ به
وله فيها أيضاً ١ :

إن كنتَ تجهد في نقصي فلا ترد
بالقلب ذكراك إلاّ بتّ في عضد
وقد حلت محلّ الروح من جسدي
شوقاً نقيّ جلكدي لا بل سبي خلدي
أنّي ووجدني بكم باقٍ على الأبد
والناسُ قد فتنوا بالمال والولد
لم يخلّ قلبي من خبيلٍ ومن كبّد
إلا على مفيئها : الدمع والشهد
بي أنها نقتت بالسحر في العقد
ولا سبيل إلى عقلٍ ولا قود
فإنه في فمي أحلى من الشهد
والموتُ أروحُ من سقمٍ بلا أمد
وما يعطفك من عطفٍ ومن أود
بالشوق مرتهم بالحنن منفرد

يا حُبّ لذةٍ قد أدنفت فأتد
ويا لذيدة لا والله ما خطرت
أتحسين فؤادي عنك منصرفاً
بينتم فخلد عندي وشك بينكم
هيات يسلو فؤادي عنكم أبداً
أمّ الوفاء لحيّني ما فتت بكم
الله يعلم أني مذ عرفتكم
ولا اتكّال لعيني بعد فرقتكم
تري جفونك أرضاها الذي صنعت
أترك الناس صرعى لا حراك بهم
من كان يقطعُ طعام الموت في فمه
فإن سقمي أضحي ما له أمد
بما بلحظك من غنجٍ ومن حورٍ
حيّني على هائمٍ بالحب مختبيلٍ

١ منها أبيات في الديوان : ٢٤٨ .

أضحى أسيرَ صدودٍ بل قَتِيلَ نوى
يخشى على حُبِّكَ الحَسَادَ تفضحه
وإن بكى فبدا لعاذليه فعن
أما كفى حزناً أن قد ظمئتُ وقد
قد أرهفتُ دونه سيفان من دمع
ورْدٌ شهى حماه الموتُ مُنصَلتاً
وما عجوزٌ لها ابنٌ واحدٌ بصرتُ
يوماً بأجزعٍ مني يومَ قولهمُ
أضحت على الأجدِ الأقوادِ باكيةً
لقيتُ فَعَلَّةً واللذاتُ قد زهيتُ
غنتُ فلو أن ميتاً كان يسمَعُها
فهل يسكنُ عذابي وإن جهدوا
يا لُدُّ مالكِ في قتلي بلا سبٍ
رفقاً بقلبي يا قلبي فإنك قد
لم تنطقي قطُّ إلا ظلتُ أفرقُ من
ولا مَدَدتِ يداً للعودِ عامدةً

وله فيها أيضاً :

رَمَتْهُ منها بسهمٍ عنه لم يَحِدِ
فما يبوحُ به يوماً إلى أحدٍ
غير اختيارٍ ولكن عادةً الكمدِ
عابنتُ عَذَبَ الحيا يجري على البردِ
بلحظِ أحوى رهيفِ القَدِّ ذي غيدِ
فظلتُ حيرانَ لم أصدُرُ ولم أُرِدِ
به يخوضُ الردى في ملتقى كبدِ
أصخُ لداعي تنائينا غداةَ غدِ
فلم يتلَّ أحدٌ ما نلتُ في الأحدِ
بنا وقد مات صرفُ الدهرِ من حسدِ
لعاد حياً كأن لم يتردِ يوم ردي
ما حرَّكتُ حرَّكَ الأوتارِ في كبدي
وأنت سؤلي في قُربٍ وفي بُعدِ
أسكنتُ حيثُ الأسى في اللَّبِّ والخلدِ
أن أستطارَ فلم أبدىء ولم أعِدِ
إلاَّ وضعتُ عليه أن يدوبَ يدي

من ذا ينامُ وقلبه يتصرَّمُ
رتقُ ووجهُ الدهرِ جهنمُ مظلمُ
والوجدُ يُنجِدُ في الفؤادِ ويتهمُ

النومُ بعدكمُ عليَّ محرَّمُ
ماءُ الحياةِ وقد نأيمُ آسنُ
قد بانَ عني الصبرُ لما بنتمُ

١ منها أربعة أبيات في الديوان : ٢٤٧ .

أَجْرَيْتُمْ دَمِي دَمًا لِفِرَاقِكُمْ
 مَا كَانَ أَكْتَمَنِي لِسْرِي قَبْلَ أَنْ
 فَإِذَا شَهِدْتُ جَمَاعَةً وَعَتَادِي
 فَبِحَقِّكُمْ مِنْ ذَا يَعَايُنُ أَدْمِي
 حَمَلْتُمُونِي نَقْلَ بَيْنِكُمْ أَلْمُ
 عَاقَبْتُمُونِي فِي الْهَوَى بَدْنُوبِكُمْ
 أَتَظَلَّمُونَ وَتَظَلَّمُونَ مَحَبَّتِكُمْ
 أُعْتَبْتُمْ فَعْتَبْتُمْ وَأَطَعْتُمْ
 قَدْ كَانَ لِي فِي هَجْرِكُمْ لَوْ أَنِّي
 وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي قَدْ رُمْتُهُ
 أَنْتُمْ مَنَائِي وَفَيْتُمْ أَوْ خَتَمْتُمْ
 يَا حَبِذَا أُمَّ الْوَفَاءِ وَإِنْ جَفْتُمْ
 وَهِيَ الَّتِي انْفَرَدَتْ بِوَدِّي كُلَّهُ
 ظَلَمًا وَقَلْتُمْ مَا لَهُ لَا يَكْتُمُ
 تَكْفِيفَ الدَّمِوعِ كَأَنَّمَا هِيَ عِنْدِي
 تَذَكَرْتُكُمْ فَاضْتَدْمَعِي تَسْجَمُ
 تَنْهَلُ إِلَّا قَالَ هَذَا مَغْرَمُ
 تَتَبَّعْتُمُونِي أَلْمُ الْحَنِينِ فَتَرَحَّمُوا
 لَقَدْ اسْتَطَلْتُمْ إِذْ قَدَّرْتُمْ فَاعْلَمُوا
 وَمِنْ الْعَجَائِبِ ظَالِمٌ مَتَظَلَّمُ
 فَعَصَيْتُمْ وَوَصَلْتُمْ فَهَجَرْتُمْ
 أَقْوَى عَلَيْهِ مِنَ السَّلَامَةِ سَلِّمْ
 فَضَعَفْتُ عَنْهُ فَافْعَلُوا مَا شِئْتُمْ
 وَلَكُمْ هَوَايَ دَنُوتُمْ أَوْ بِنْتُمْ
 وَتَغَيَّرْتُ فِيهَا الَّتِي لَا تَسَامُ
 وَلَطَالَمَا قَدْ كَانَ وَهُوَ مَقْسَمٌ

ومن شعره في المديح

له في محمد بن عيسى الحضرمي^١ :

عَتَابٌ عَلَى الدُّنْيَا وَقَلَّ عَتَابُ
 وَقَالَتْ وَأَصْغِينَا إِلَى زَوْرِ قَوْلِهَا
 وَغَمَّتْ^٢ عَلَى أَبْصَارِنَا وَقَلُوبِنَا
 رَضِينَا بِمَا تَرْضَى وَنَحْنُ غَضَابُ
 وَقَدْ يَسْتَفْزُ الْقَوْلُ وَهُوَ كَذَابُ
 فَطَالَ عَلَيْهَا الْحَوْمُ وَهِيَ سَرَابُ

١ الديوان : ٨ .

٢ الديوان : وغطت .

ودانت لها أفواهنا وعقوبنا
 وتلك لعمرُ الله أمّا ركوبها
 نلذُّ ونلهو والأعزّة حولنا
 وتخذعنا عمّا يراد بنا مني
 ونغتنم الأيام وهي مصائب
 بكت هندٌ من ضحك المشيب بمفرقي
 وقالت غبارٌ ما أرى وتجاهلت
 هل الشيب إلا الرشدُ جلّي غوايتي
 وأصبح شيطاني يعصُ بنائه
 أغفو لصف الدهر عن هفواته
 وأتركه يمضي على غلواته
 برئت من العلياء إن لم أزدّه
 وإن لم أنهته من شباه بعزّمة
 وقائلة ما بال حمص نبت به
 نبت بي فكنت العرف في غير أهله
 وتالله ما استوطنتها قانعا بها
 أيغضب حسّادي قيامي إلى العلا
 هم حسدوني لا لوفري وقبرته
 وأروع لا ينأى على عزّماته

وهل عندها إلا الفناء ثواب
 فهلّك وأما حكمها فغلاب
 رفاتٌ ونبي والديارُ خراب
 لبحر المنايا دونهنّ عباب
 لمن علينا جيئةٌ وذهاب
 أمّا علمت أن الشباب خضاب
 وليس على وجه النهار نقاب
 فأصبحت لا يخفى عليّ صواب
 وقد لاح دوني للقتير شهاب
 على حين لا يأبى عليّ عقاب
 وقد عزّ^٢ إعتابٌ وطال عتاب
 ولي ظفرٌ قد عاث فيه وناب
 تدلّ لها الأشياء وهي صعب
 وربّ سؤال ليس عنه جواب
 يعود على مؤليه وهو تباب
 ولكنني سيفٌ حواه قيراب
 وقد قعدوا عما ظفرت وخابوا
 ولكن شهدت المكرمات وغابوا^٣
 ترام ولا يخفي سناه حجاب

١ الديوان : يأتي .

٢ الديوان : قل .

٣ لم يرد هذا البيت في الديوان .

من الحضرميين الأولى أحرزوا العلا
من المانعين الدهرَ حوزةً جارهم^١
هم عرّضوا دون المعالي فأصبحت
وهم جأجأوا^٢ بالمعتفين إلى ندى^٣
مضوا إن تسممهم خطّة الضيم يأنفوا
سجايا على مرّ الليالي كأنما
تخوفني ريب^٤ الزمان وقد حدت
إذا الله سنّي لي لقاء محمد
فني لم تسافر عنه آمل^١ أمل
ولا ظمئ العلم المضيع أهله^٢
له همم في الجود والبأس لم تزل^٣
وأقسم لولا ما له من مآثر^٤
مآثر هنّ المجد لا كسب درهم^١
يفيظ العدا منه أغرّ حلاحيل^٢
ولا عيب فيه لامرئ غير أنه^٣
هو الأسد الورد الذي طال ذكره^٤
تبوا من دار الخلافة مقعداً
وباغت به منذ استقل^١ بأمرها

بنتوا فأطالوا أو رموا فأصابوا
وأشلاؤه بين الخطوب نهاب
مطالب لا يدنو بهنّ طلاب
هو القطر لا يأتي عليه حساب
وإن يدعهم داعي السماح أنابوا^٢
هي المزن فيه رحمة وعذاب
برحلي إلى ابن الحضرمي ركاب
تفتح دوني للسماحة باب
وكان لها إلاّ إليه إياب
فساغ له إلاّ لديه شراب
لها فوق أتباج النجوم قباب
لأصبح ربع المجد وهو يباب
وهنّ المعالي لا حلّ وثياب
أشم طوال الساعدين لباب
تعاب له الدنيا وليس يعاب
وليس له إلاّ البسالة غاب
له فيه عن حكم القضاء مناب
كما تنهادى للجلاء كعاب

١ الديوان : جنحوا .

٢ لم يرد في الديوان .

٣ الديوان : صرف .

٤ الديوان : والبأس والندى .

سلِّ الدينَ والدنيا هل ابتهجا به
نضاه أميرُ المسلمين مهتداً
له المثلُ الأعلى معاداً ومبدءاً
ألانت لك الأشياءَ وهي صليبةٌ
إليك آياتاً من الشعر صُغْتُها^١
فإن تَتَقَبَّلُها فتلك طويّتي^٢
وهل أنا إلا الروضُ حيَّاك عرْفُهُ
ومن يُثْنِ بالصنعِ الجميلِ فإنَّهُ
وهل أنا إلا عبدٌ أنعمَكَ التي
وهل شهد المجدُ الذي أنت سرُّه
وها أنا يا رضوانُ باسمك هاتفُ
وهل يدركُ الحسادُ غوركَ في العلا
إذا قايسوكَ المجدَ كنتَ غضنفرأ
وما احمرَّ إلا من صيالك معرَّك^٣

كما انجاب من ضوءِ النهارِ ضباب
له الحلمُ متنُّ والمضاءُ ذباب
وللحاسدِ العاوي حصيُّ وتراب
عزائمُ في ذاتِ الإلهِ صلاب
بودِّي لو أني بهنَّ كتاب
فيا من رأى خطباً ثناه خطاب
وقد باكرتهُ من نذاكِ سحاب
شكورٌ ولا مثلَ المزيدِ ثواب
هي الشهدُ إذ كلُّ المواردِ صاب
بأنك بحرٌ والكرامُ شعابُ
فهل لي إلى دارِ المقامةِ باب
وإن طال مكرٌ منهمُ وخلاب
إذا زار لم تثبُتْ عليه ذئاب
ولا اخضرَّ إلا من نذاكِ يباب

وقال أيضاً يمدح ذا الوزارتين أبا جعفر بن أبي رحمه الله^٤ :

فؤادٌ على حُكْمِ الهوى لاعلى حكيمٍ يهيمُ على إثر البخيلةِ أو يهيم

- ١ الديوان : المؤمنين .
- ٢ الديوان : قلتها .
- ٣ الديوان : وتلك مطيقي .
- ٤ الديوان : سراب .
- ٥ الديوان : نافسوك .
- ٦ انظر الديوان : ١٧٥ .

متى أشتفي من لوعتي أو أطيقها
هنيئاً لسلمي فرطُ شوقي وأني
غداً وقفنا نقسمُ الشوقَ بيننا
وقد طلعتُ تلكَ الهوادجُ أنجماً
فأبنتُ بدمعي لؤلؤاً فوق نحرها
خليلي هل بعد المشيبِ تعليةً
وهل راجعُ عيشٍ لبسناهُ أنفأ
وهل لي حظٌ من موأاةِ صاحبِ
بدتُ رقةُ الشكوى على غضباته^٢
كما اضطرب الخطيُّ في حومةِ الوغى
رمانى على فوّتِ الشبابِ وإنما
ولم يدرِ أني لو أشاءُ ختلتُهُ
ووكّلَ عينيه باتلافٍ مهجتي
أبا جعفر هذي المكارمُ والعلا
أرى الناسَ قد باعوا المرّواتِ فاشترى
وأنت أحقُّ الناسِ بالخزمِ فأتته
وأنت بعيدُهم مقربُ الجدا
أبى إذا لم يدفعِ الضيمَ دافعُ
وأكرمُ من يُرجى لدفعِ ملمةٍ

إذا كان يجنيها فؤادي على جسمي
ذكرتُ اسمها يوم التوى ونسيتُ اسمي
على ما اشترطنا وارتضتُ سنةَ القسم
تركنَ جفوني في الكرى أسوةَ النجم
وآبت بما في مقلتيها من السقم
لذي الجهل أو في الحبّ شغلٌ لذي الحلم
كيومِ يزيدٍ في بيوت بني جرّم^١
له قدرةُ القاضي وموجدةُ الخصم
ورابتك في أعطافه قسوةُ الظلم
وصمُّ المنايا في أناييه الصم
تعرضَ لي لما رأيَ لا أرمي
على رسله إن الحبالَةَ كالسهم
سيعلمُ إن لم يستجرُ بي من الغرم
دعاء بحقٍّ وادعاء على علم
وقد ضيعوا ما كان من حسبٍ فاحم
وصونُ العلا بالمالِ أشبهُ بالخزم
كريمُ السجايا ماجدُ الخالِ والعم
بغيرِ الحديثِ الإفكِ والحليفِ الإثم
إذا الطفلُ لم يسكنْ إلى لطفِ الأم

١ يعني يزيد بن الطثيرة وقد دخل حمي بني جرم وانصرف من عند النساء مدهوناً مثقلاً بالهدايا

(الأغاني ٨ : ١٥٨ : ١٦١)

٢ الديوان : حركاته .

وأهفي بألباب الرجال من الهوى
وأحبي لحوزات المعالي من الردى
وذو عزّات لو تُساوى بها الرُّبى
ولم أر أحبا منك وجهاً ولا يداً
وأصبر في ظلّماءٍ كلّ كريمةٍ
إذا الخليلُ عامت في النجيج وألحمت
ولم تر إلاّ عاثراً بدمائه
ولا حصن إلاّ السيف في يد ماجدٍ
هنالك حدثت عن أبيّ وأحمدٍ
تسميت بالفضل الذي أنت أهله
وألبيست من مشنى الوزارة حلةً
وتنميك من سعدٍ العشيرة أسرةً
بهاليلٍ أبطالٍ ججاجحُ سادةً
إذا ركبوا الجرد الجياد إلى الوغى
سيأتيك شعري ذاهباً كلّ مذهب
جزاءً بشعماك الجزيلة لاني
فكم لك عندي من يدٍ ملأت يدي
هنيئاً لك العيد الذي أنت عيدُهُ
نأى الحجرُ الملتوم فيه فأحظني

وأخفي وراء الحادثات من الوهم
وأسخى بآمال النفوس من الحلم
لطأطأها بين المذلّة والرغم
إذا استأثر الحرُّ المرمق بالطعم
بجيثُ يكونُ الصبرُ أفرج للغم
يسُمرّ العوالي وهي تطغى على الاجم
يحاذرُ كلّمأ أو يدافع عن كلم
يرى الموت دون المجد غنماً من الغنم
وعبد المليك الشمّ في الرتب الشم
ومعناه ، والمذموم^٢ أجدر بالذم
تقوم لها تلك المآثر بالرقم
هل الفخر إلا ما نمته وما تنمي
كأسد الشرى في الحرب كالمزن في السلم
رأيت الأسود الضاريات على العصم
على شيهتم من خطة أو على شهيم
تكرمت عن شين الصنعة بالكتم
ومن نعمة أولى بشعري من نعم
وعيدٌ لما حاكوا من النثر والنظم
بيمناك واجعل لي سبيلاً إلى الشم

١ الديوان : وجعفر .

٢ س : إن الدم .

وقال أيضاً يمدح الوزير أبا العلاء بن زهرا :

يفديك كلُّ جبانٍ في ثياب جري
لما رأى الخُبْرَ شيئاً ليس يُنكره
ولَّ السُّهى ما تولَّى من تكذِّبه
وهي الشَّفَارُ إذا الإقدام جرَّدها
والناسُ كالناسِ إلا أن تجرَّبَهُمْ
كالأيكِ مشتبهاتٌ في مناقبها
ولَّى رجالٌ غضاباً حين سُدَّتْهُمْ
واستشرفوا كلما أحرزت طائلةً
طولوا وإلا فكفُّوا من تطاولكم
مللتُ حمصٍ وملتني فلو نَطَقَتْ
وسوَّلتُ لي نفسي أن أفارقها
هيهات بل ربما جنى الرحيلُ غنىً
كم ساهرٍ يستطيلُ الليل من دنْفِ
أما اشتفتُ منِّي الأيامُ في وطني
ولا قضتُ من سواد العين حاجتها

نازعتَهُ الورْدُ واستأثرت بالصدْرِ
أحال بالدين والدنيا على الأثر
إن المزيَّة عند الناس للقمر
ألوتُ بما يدعِّيه العُشْيُ للشفر^٢
وللبصيرة حكمٌ ليس للبصر
وإنما يقعُ التفضيل بالشمر
لا ذنب للخيل إذ لا عُدْرَ للحمر
وللسنان مجالٌ ليس للابر
إن المآثر أعوانٌ على الأثر
كما نطقتُ تلاححيتنا على صدر^٣
والماء في المزن أصفى منه في الغدُر
بالمالِ أجني به رغداً من العمر
لم يدري أن الردى آتٍ مع السحر
حتى تضايق في ما عنَّ من وطر
حتى تكرَّر على ما ظلَّ في الشعر

١ الديوان : ٤٨ وبعضها في المسالك والنفح والوافي والمغرب والشريشي ١ : ١١٠ وطرار

المجالس : ١٢٤ ورفع الحجب ١ : ١٤٠ والذخيرة ١ : ٣١٢ .

٢ الديوان : العين للسهر .

٣ هذا البيت والذي يليه في الرايات : ٩٠ (غ) .

٤ الديوان : أحبي به فقرأ .

٥ الديوان : كان .

كم ليلة جُبْتُ مثنى طولها بفتى
 حتى بدأ ذنبُ السرحانِ لي وله
 في فتيةٍ يُنهبون الليلَ عزمهمُ
 لا يترحّضون دجاءَ كلما اعتكرتُ
 لهم همومٌ تكاد العيسُ تعرفها
 باتتُ تخطى النجومَ الزهر صاعدةً
 القائلين اقدمي والأرضُ قدر جفتُ
 والهامُ تحت الظُّبا والبيضُ قد حميتُ
 أثناء كلِّ ستانٍ عُدَّ^١ في زردٍ
 والخليلُ شعثُ النواصي فوقها بهمُ
 شابتُ من التقعِ وارتاب الشبابُ بها
 والشيبُ مما أظنُّ الدهرَ صحفَه
 لو يعلمُ الأفقُ أنَّ الشيبَ منقصةُ
 وليس للمرءِ بعد الشيبِ مُقتبَلُ
 أما ترى العرمسَ الوجناء كيف شككتُ
 تسري ولو أنَّ جَوْنَ الليلِ معركةُ
 باتت توجى وقد لانت مواطنها
 تخشى الزمام فتثني جيدها فرقاً
 من كلِّ ناجيةِ الآصالِ قد فصلتُ

شتى المسالك بين النفع والضرر
 كأنما هو زندٌ بالصباح يترى
 فليس يطرقهمُ إلا على حذر
 إلا بمالٍ ضياعٍ أو دمٍ هدر
 وربما اشتملت بالحادث التكرُّ
 كأنما تفتليها عن بني زهر
 إلا ربِّي من بقايا البيض والسمر
 فما تطايرُ إلا وهي كالشرر
 كأنه جدولٌ أفضى إلى نهر
 حُسنُ العزائمِ والأخلاقِ والمرر
 فغيّرتُ من دم الأبطال بالشقَر
 معنى من النقص عمّاه عن البشر
 لم تسرِ أنجمه فيه ولم تسرِ
 نهايةُ الروضِ أن يعتمَّ بالزهر
 طول السفارِ ولم تعجزُ ولم تخز
 ترى الردى كاشراً فيها عن الظفَر
 كأنها إنما تخطو على الإبر
 كأنه بين ثني^٢ حيةٍ ذكر^٣
 من الردى فحسبتها من البكر

١ الديوان : عل .

٢ الديوان : من ثني .

٤ الديوان : الآمال .

٣ مر قبلا ص : ٦٢٧ .

بهيمة^١ لو توفى كنهه شرتها^١
 تجري فللماء ساقا عائم^٢ درب^٢
 قد قسمتها يد^٢ التقدير بينهما
 أما إباد فنالت كل^٢ مكرمة^٢
 وأوقدوا ونجوم الليل قد خمدت^٢
 ألقى المراسي والتجت غياطله^٢
 وأترع الوهد من إزباد بلخته^٢
 فالأرض ملساء لا أمت ولا عوج^٢
 أفادني حبك الإبداع مكتهلاً^٢
 إذا رميت القواني في فرائصها^٢
 أين ابن بابلك أو مهبأر من مدح^٢
 أشدو فيلتي ابن حجير بالمقالدي^٢
 أبا العلاء وحسي أن تصيخ لها^٢
 أنا الذي أجتني الحرمان من أدبي^٢

لفاتت الخيل في الأحجال والغرر^١
 وللرياح جناحا طائر^٢ حذر^٢
 على السواء فلم تسبح ولم تطر^٢
 لولا مكان رسول الله من مضر^٢
 في لج^٢ طام من الصنبر معتكر^٢
 على ذكاء فلم تطلع ولم تغر^٢
 بالبرس يلبث بين القوس والوتر^٢
 كنتقطه من سراب القاع لم تمر^٢
 وربما نفع التعليم في الكبر^٢
 لم أرمها متلجاً كفي في قتر^٣
 نسفتها فيك نسق الأنجم الزهر^٣
 والدهر يعلم أن الدر للحجر^٣
 إقرار جان وإن شئت اعتذار بري^٣
 إن النواظر قد توتى من النظر^٣

وله في القاضي ابن حمد بن رحمهما الله يستعينه ويستعطفه :

١ س : اثرتها .

٢ الديوان : ذكر .

٣ . إشارة إلى قول امرئ القيس (ديوانه : ١٢٣) :

رب رام من بني ثعل متلج كفيه في قتره

وأتلج الكفين : أدخلهما ، والقتره : بيت الصائد الذي يكمن فيه .

٤ ابن بابل : أبو القاسم عبد الصمد بن منصور من شعراء اليتيمة ؛ ومهبأر الديلمي تلميذ الشريف

الرضي (تاريخ بغداد ١٢ : ٢٧٦)

٥ الديوان : ٤ .

أَغْمَزُ جُفُونِ^١ وَأَنْكَسَارُ حَوَاجِبِ
سَرَى وَسَرَى طَيْفُ الْخِيَالِ كِلَاهِمَا
وَفِي مَضْجَعِي أَخْفَى عَلَى اللَّيْلِ^٢ مِنْهُمَا
لَقَمِي غَيْرِ نَفْسِ حُرَّةٍ نَازَعَتْ بِهِ
مُعَوَّدَةً^٣ أَلَّا تَطْبِقَ رَوْعَةً
إِلَيْكَ ابْنَ حَمْدِينَ وَإِنْ بَعُدَ الْمَدَى
صُبَابَةٌ وَدٌّ لَمْ يَكْدُرْ جَمَامَةً
وَذَكَرَى عَسَاهَا أَنْ تَكُونَ مَهزَّةً
بِأَيِّ مَا كَانَ الْهُوَى مُتَقَارِبًا
أَمْخَلِفَةً^٤ تِلْكَ الرِّسَالِ بَعْدَمَا
وَكَمْ غَدْوَةٌ لِي فِي رِضَاكَ وَرُوحَةٌ
لِيَالِي لَمْ تَمْسُرِ الْأَخَابِيثُ^٥ بَيْنَنَا
وَلَمْ يَزْحَفُوا فِي نَقْضِ مَا كَانَ بَيْنَنَا
وَأَيَّامَ لَمْ يَجْنِ الدَّلَالُ عَلَى الْهُوَى
أَفَالَانَ لَمَا كُنْتُ أَحْكَمَ قَادِرٍ
وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا نَزْعَةٌ تَرْتَقِي بِهَا
أَضَعْتُ حَقُوقِي أَوْ حَقُوقَ مُودَتِي

أَمْ الْبَرْقُ فِي جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ رَاتِبِ
يُودٌ لَوْ أَنَّ اللَّيْلَ ضَرْبَةٌ لِأَزْبِ
وَأَثْقَبُ فِي أَجْوَازِ تِلْكَ الْغِيَاهِبِ
نَجُومَ الدُّجَى مَا بَيْنَ سَارٍ وَسَارِبِ
بِهَا مَذْهَبًا . وَالْمَوْتُ شَتَّى الْمَذَاهِبِ
وَإِنْ عَزَبَتْ بِي عَنْكَ إِحْدَى الْعَوَازِبِ^٣
مَرُورُ اللَّيَالِي وَازْدِحَامُ الشَّوَابِ
تَرْدٌ عَلَى أَعْقَابِهِ كُلِّ شَاغِبِ
وَخَطُوبِي فِيهِ لَيْسَ بِالْمُتَقَارِبِ
شَدَدْنَا قَوَاهَا بِالنَّجُومِ الثَّوَابِ
عَلَى مَنَهْجٍ مِنْ سُنَّةِ الْبَرِّ لِأَحِبِ
بِمَا كَادَ يَسْتَهْوِي حُلُومَ الْأَطْيَابِ
بِصِيَابَةٍ يَنْمُونَهَا وَأَشَابِ
هَنَاتِ جَنَّتِ عَتَبًا عَلَى غَيْرِ عَاتِبِ
وَسَرَّكَ أَنِّي جُنْتُ أَصْدُقَ تَائِبِ
شَيَاطِينُ تُخْشَى الْقَذْفَ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
فَدُونُكَهَا أَعْجُوبَةٌ فِي الْأَعَاجِبِ

١ الديوان : عيون .

٢ الديوان : على العين .

٣ الديوان : غربت . . . الغوارب .

٤ الديوان : الأخابيث .

٥ الديوان : تماصد .

وفجعت بي حياً نوابد كلما
وقال العدا ليلُ الحمولُ أجنهُ
وأصبحتُ لا يرتاعُ من خوف سطوتي
ولا تتباهى بي صدورُ مجالسِ
وما تلتاقاني^١ العفاةُ كأنمًا
ولا أمري أخلافَ كلِّ مشيئةٍ^٢
أعابُ إدلالاً وأعتبُ طاعةً
أبوءُ بذنبي ليس شعري بمقتضى
ولكنه ما أستطيعُ وعودةً
ويجحدك الحسادُ أنك سدّتهم
وقد وقفوا دون المدى غيرَ خلوةٍ
غضاباً على من ناكر الدهرَ بينهم
سراعاً إلى الدينار حيث بدا لهم
إذا المرءُ لم يكسب سوى المالِ وحده
عجبتُ لمن لم يقدر التربّ قدره
ومن لم يوطنُ للنوائبِ نفسهُ
أعدتُ نظرةً فيهم وفي حرّمتهم
وكُنْ بهم أدنى إلى الرشدي منهم
لعلهمُ والدهرُ شتى ظروفه
قد انصرفتُ تلك المهمومُ لواغباً

تذكرني أسعدنَ غيرَ نوابد
على رسلهم لاني عياضُ بن ناشب
عدوي ولا يرجو غنائِي صاحبي
أسركُ فيها أو صدورُ مواكب
أهابوا بمنهلٍ من الغيث ساكب
بأيدي صبا من عزمي وجنائب
وحسبك بي من مُعتبٍ أو معاتب
علاك ولو ققيتهُ بالكواكب
لفضلك إلاّ تمنحُ ذنبي تقارب
على شاهدٍ مما انتحيتَ وغائب
بأنفسهم أو بالظنون الكواذب
وقد عرفوه بين راضٍ وغاضب
ولو أنه بين الظبا والضوارب
فالأمُ مكسوبٍ للألمِ كاسب
وقد تاهَ في نقد النجوم الثواقب
وقد لجّ في تعريضها للنوائب
وإن لم يعيدوا نظرةً في العواقب
تكنُ هذه إحدى علاك العجائب
ومجدك أولىَ بارتقاء المراتب
إلى المقصد الأدنى وغيرَ لواغب

١ الديوان : ولا تلتاقاني .

٢ الديوان : مرنة .

وثابت حلوم^١ ربما زال يذبل^٢
وأيقن قوم^٣ أنها هي ترتمي
وألقوا بأيدي صاغرين وأخلصوا
وأهون^٤ مغلوب^٥ على أمر^٦ نفسه
إليك ابن حمدين نصيحة مشفق^٧
برغمي ورغم المكرمات تقضبت^٨
ورغم رجال علمتهم ذنوبهم^٩
قضوا نجبهم إلا أسي^{١٠} غير نافع^{١١}
يلوذون منه بالخضوع مردد^{١٢}
فإن تنتصف منهم فأعذر^{١٣} آخذ^{١٤}

وزال سهيل^{١٥} وهي غير ثواب
بهم بين مجنوب^{١٦} إليك وجانب
ضمائر^{١٧} مكذوبي المني والتجارب
من الناس من لا يتقي بأس غالب
تنخلها أثناء تلك الغرائب^{١٨}
جبال^{١٩} بأيدي الحادثات القواضب
حذار^{٢٠} الأعادي واحتقار^{٢١} المصائب
على ذاهب^{٢٢} من أمرهم غير ذاهب
إذا عزهم فيض^{٢٣} الدموع السواكب
وإن تداركهم فأكرم^{٢٤} صاحب

ومن شعره ، في التآبين . قصيد له بعزي ابن مرتين : أوله ٢ :

على مثله فلتبك إن كنت باكيا
وقد أجمعوها آخر الدهر رحلة^{٢٥}
سفار تداعوا من نواهم بطيبة^{٢٦}
أفي كل يوم أودع الأرض صاحباً^{٢٧}
وأحسب أنني لو غدوت مكانه^{٢٨}
ولو أنني أحبته الحب كله^{٢٩}
وقل غناء عنه إسبال^{٣٠} عبدة^{٣١}
وعدي له الأيام لا أنا واهم^{٣٢}

فقد عهد الأحباب^{٣٣} ألا تلاقيا
يذم^{٣٤} إليها العيس من كان ثاويا
تساقوا بكأسها الفراق تساقيا
أريق^{٣٥} به في التراب ماء شبابيا
لعز^{٣٦} عليه أن أكون مكانيا
لأنبعت^{٣٧} نفسي وأهلي وماليا
إذا ابتدرت ككفتها بردايا
ولا أنا ثان^{٣٨} من عنان رجائيا^{٣٩}

١ الديوان : النوائب .

٢ لم ترد هذه القصيدة في الديوان .

٣ قراءة تقديرية غير دقيقة للبيت كله .

وحفظي له بالغيب حتى كأنه
وقولي لا تبعد وقد حال دونه
خليلي قد أفنيتُ سهدي وأدمعي
خليلي مَنْ يطمعُ بشيءٍ فلإني
وليست حياتي غير شجو مردّد
صلاةٍ ورضوانٍ وروحٍ ورحمةٍ
على الجذث المحبوب خالط تربه
على جدث ما ضرَّ إنسانَ مقلتي
طوى الحسن والإحسان والدين والحجى
وشخصاً لو أن الفضل أعطيَ حكمتهُ
من الخفرات البيض ما انفكّ دونها
أنت دونها الآمالُ مختومةٌ فما
تخطى إلينا يومها كلّ شائحٍ
على كلّ طاوٍ طالما جشم الورى
من اللائي يدعون الردى أو لحينه
إذا أقبلوها الروحَ خلت رقابها
حصونٌ لو أن الرزقَ معتصمٌ بها
أمصغيةٌ حيّ تبثك شجوها
إذا استشعرتُ ذكراك أنهبت الأسي
وملآن من عطفٍ عليك ورقّةٍ
يراك بعينيني شوقه وادّكاره
تتهيجُ له ذكراك أنة ضائعٌ

بجيثُ أراه أو بجيث يرانيا
كثيبٌ تهاده الرياحُ تهاديا
وعيني فما لي لا أرى الوجدَ فانيا
نفضتُ به لا بل نفضتُ فؤاديا
عهدتُ له الألاً الذئ حياتيا
وكلُّ سحابٍ لا أخصُّ الغواديا
سنا البدر تماً أو شذا المسكِ ذاكيا
وقد بان عنها لو غدا فيه ثاويا
وبيضَ الأيادي يكتنفن الأياديا
لكان له مما هنالك واقيا
مرامٌ تحاماه الخطوب تحاميا
تحدّثُ عنها الشهب الا تناجيا
يكفكُ غضباناً ويكفيك راضيا
كفيلاً بأن لا يصبح الموتُ طاويا
عوادي يحملن الأسود عواديا
عوالي مما يتبعن العواليا
لأعيالك إلا أن تمسّنى الأمانيا
حوائم لم تعهد كواديه واديا
عيوناً رواءً أو قلوباً صواديا
غدا منك مأهولاً وإن كان خاليا
فيا دانياً هلا كما كنت دانيا
فتضنيه مدعواً وتعنيه داعيا

عزاء بني مرتين ما أحسب الأسي
أبت هذه الأيام إلا طباعها
وقد أمكتكم وهي نخون غواذر
إليك عبيد الله والبعده بيننا
وليك قد أسمعتني وإن التوت
ولا بد من أن أنتحيك بهذه
أبتك حالي لا لأنك جاهل
وأدلي بعذري ثم رأيتك بعدها
صدقتك عن نفسي على القرب والنوى
وكنت قديماً [قد] أعرض بالهوى
وإني لأستحيك من حيث بعني
وما كنت أخشى أن أبيت بليلة
ولكنها لما استخفت مدائحاً
وكنت أراني ربما اسودّ موضعي
فان يرع الأحياب طول تلملي
وان يطمع الأعداء فرط تذلي
ووالله ما بي أن تضيع مودتي
وما لتوت الأيام ديتي لعلتي
عزاءك قد أبلغت نفسي عذرها
أرى هذه تفي ويفي متاعها

لذي اللب إلا آسياً أو مؤاسياً
وإن هي دارتكم هوى أو تداها
فإن شتم لم تركوها كما هيا
هوى بات يرمي بي إليك المراميا
بعزمي هموم لا نجيب المنايا
خليلاً صفيماً أو عدواً مداجيا
بحالي ولكن ربما كنت ناسياً
أميراً ومأموراً وخصماً وقاضياً
وقلت لعلتي أو لعل اللياليا
لتدنو فما تزداد إلا تنائيا
رخيصاً على أنني اشتريتك غالباً
من الدهر لا أهدي إليك القوافيا
حذرت عليها أن تضيع مراثيا
يسيراً فما ظني به اليوم قانيا
فاني سليم لم أجد لي راقيا
فحاشاك معزولاً وعتباك واليا
لديك ولكن أن يضيع وفائيا
ولكن لعلتي قد أسأت التماضيا
ودهرك غدار فما لك واقيا
ويأبى عليها الناس إلا تغانيا

ويأبى معز الشيء إلا ارتجاعه^١ فيا أدعياء السرو ردوا العواريا
تساوى الورى قبل الحياة وبعدها فما بال قوم ينكرون التساويا
وقال الفتى أهلي ومالي ضلّة^٢ وأين به عن نسبي^٣ وماليا

الوزير الكاتب أبو بكر عبد العزيز بن سعيد البطليوسي^٤

أحد فرسانِ الكلوم والكلام ، وحملةِ السيوفِ والأقلام ، من أسرةِ
أصالة ، وبيتِ جلالة ، أخذوا العلمَ أولاً^٥ عن آخر ، ورووه كابرأ عن كابر ،
ولله درّه فانه ، وأخويه أبا محمد طلحة وأبا الحسن محمداً ، منتهى قولِ

.....

١ س : مثني .

١ هو أحد ثلاثة أخوة يعرفون ببني القبطونة (أو القبطورنة أو القبطورنية) والأرجح أن هذه التسمية مركبة من كلمتين هما caput وتعني رأس و torno بمعنى مستدير ، فيكون معناها : « ذو الرأس المستدير » (انظر وثائق تاريخية جديدة للدكتور محمود مكّي ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ٧ : ١١٧ الحاشية رقم : ٣) . وهؤلاء الاخوة الثلاثة هم أبو بكر عبد العزيز وأبو محمد طلحة وأبو الحسن محمد .

أما أبو بكر عبد العزيز بن سعيد فقد كان من جلة الأدباء ورؤسائهم ، كاتباً مترسلاً ، كتب للمتوكل ابن الأفلح ثم لابن تاشفين من بعده وتوفي بعد ٥٢٠ وذكر مؤلف إحكام صنعة الكلام (١٣٧) أن أبا بكر كان من رؤساء العصر في صنعة النظم والنثر ، وأنه كانت بينهما مراسلة سنة ٥٠٧ أورد ذكرها في كتابه « ثمرة الأدب » . (وانظر التكملة رقم : ١٧٤٣ ورسالة له في الريحان ١ : ٩٢ ب) .

وأما أبو محمد طلحة بن سعيد فقد أخذ عن مشيخة بلده ، وكان أحد الأدباء الأذكياء وكان صديقاً لأبي بكر بن العربي وتوفي في حياة أخيه أبي بكر (التكملة : ٢٣٧) وكان لأخيهما محمد بن سعيد مكانة مشابهة ، إذ كتب أيضاً للمتوكل ابن الأفلح ، ولكن المصادر لا تدين شيئاً واضحاً عنه . (انظر تراجم الثلاثة في المغرب ١ : ٣٦٤ والإحاطة ١ : ٥٢٨ وفيه نقل عن الذخيرة) والقلائد : ١٤٨ والخريدة ٣ : ٤٢٢ والمطرب : ١٨٦

القائل ، وأعجوبة الأواخر والأرائل ، ثلاثة كهتمة الجوزاء ، وان أربوا على الشمس في السنّ والسناء ، امثروا أخلاف الفخر فأمطرتهم شعباً وريّاً ، وهزواً بجنود النظم والنثر فاستأققت عليهم رطباً جنياً ، ولم يحضرنى من أشعارهم ومستظرف أخبارهم حين إخراجي هذه النسخة من هذا المجموع إلاّ ما أثبتّه لأبي بكر منهم خاصة ، وهو علكم بُردِهم ، وواسطة عقدهم .

فمن ذلك رقعة خاطب بها الوزير أبا الحسين ابن سراج قال فيها ^١ :

لولا أنّ عوائق الزمان - أدام الله عزّك - تعوقُ ، وبنائق مساعدته
على الأحرار - بعلمك - تضيق ، لساعدت إليك نزاعي ، وانقذتُ في
جبل تشوّقي ^٢ واطّلاعي ، ولطرت بجنّاح ، وامتنطيت أعناق الرياح ،
ولاستبطأت السلاهيبي ، واستهجنّت الجرد اليعايب ، ولم أرضَ بالتي تنفخُ
في البرى ، واستقصرتُ بريدَ السرى ، بالليل من خيل بربرا ^٣ ، ولارتحلتُ
الكوكبَ ، وحملتُ إليك قلباً كقلب العقرب ، ولاتخذتُ المجرةَ سبيلاً ،
وسهيلاً دليلاً ، ولقدتُ البدرَ المنير ، [١٣٨ أ] وركبتُ الشعري العبور ،
وامتنطيتُ الأفلاك ، وترسّستُ بالثريّا وطعنتُ بالسّمّاك ؛ هذا لو أردت
البرّ ، ومقاساة السهلِ منه والوعر ، وإلاّ اتخذتُ السمكةَ سفينةً ، وأقمتُ
ها النعائم ألواحاً ، وعطارداً ملاحاً ، وقيرتُ بالغيوم ، وسمرتُ بالنجوم ،

١ ورد بمض هذه الرسالة في إحكام صنعة الكلام : ١٣٦ وقد اعتمد ابن عبد الغفور فيها الحذف

والإيجاز ، كما جاءت قطعة منها في تمام المتون : ٢١٨ .

٢ س والاحكام : شوقي .

٣ من قول امرئ القيس (ديوانه : ٦٦) :

عل كل مقصوص الذنابي معاود بريد السرى بالليل من خيل بربرا

وجدتُ بالفرقدين ، وحملتُ من آمالي فيها من كلِّ زوجين^١ اثنين ،
واعتصمتُ بالقوَّةِ والحولِ ، وتخلَّفتُ^٢ كلَّ مَنْ سبق عليه القول ،
واستعدتُ من شيطانِ الكسلِ وهو رجيم ، وقلتُ ﴿ باسمِ الله مجراها ومرساها
إنَّ ربِّي لغفورٌ رحيم ﴾ (هود : ٤١) حتى أخطَّ في واديك ، وأعرض
نُسْخَةَ مذاهبي في ناديك ، فأرتسمَ في الجملة ، وأصلَّي إلى تلك القبلة ،
وأسعدتُ بتلك الغرَّة ، وأقضي من لقائه الحجَّ والعمرة ، وأطوفَ بذلك المقام ،
وأذكرَ الله عند المشعر الحرام ، وعسى ذلك الحينُ يحين ، وجوانبُ الأيامِ
أن تلينَ ، فقد تأسو إثر ما تجرح ، والصعبُ يتقاد^٣ بعدما يجمع ، والشوكُ
بالمنِّ يسمع .

وفي فصل منها : ومؤدِّيه حملته من عقوق زماني ما ليس بيُنكر ،
ومن عثراتِ أيَّامي ما لم يكنْ بيكر ، وعودنني - دام عزك - الأخذَ
بيدي عند العثار ، والنهوضَ بي على رغم أنفِ الليل والنهار ، فلك الفضلُ
الذي عودتَ ، والطَّوْلُ الذي أسلفت ، في التهمُّ برداً لحظةِ العناية
إلى ما يُعينُ على صلاحِي ، وَيُعِيدُ بعضَ الريشِ بلخاحي ، جارياً على
عادتيك ، وعاملاً على شاكلتك ، والله يبقيك للمنن تتقلدُها^٤ ، والمكارمِ
تشيدها ، وأقرأتك^٥ من أثناء تلك الدولة والاشتياق ، سلامَ حبيبٍ على

١ ط : من كل زوج .

٢ تمام المتون : وخالفت .

٣ س : يمكن ، وهو أقرب إلى قول بشار :

عسر النساء إلى مياسرة والصعب يمكن بعد ما جمعا

٤ ط د : بود .

٥ س د : تقلدها .

٦ س : وأقربك .

الحسن بن وهب والعراق^١ ، وإن بكيتَ عني مع إخواني فطالما كنتُ
أعير الدموعَ للعشاق^٢ .

وله من أخرى : لا معنى — دام عزك^٣ — لذكرٍ ما أنا عليه من التعظيم
والتأميل ، ولا لتجميل وجهِ حالي معك وهو الحسنُ الجميل ، فضعيفُ
هوى يُبغى عليه دليل^٤ ، واعتراضي تدرية إليك ، وتعويلي تعلمهُ عليك ،
وأني لك أنتسب في ودادي ، وبك أتحملي في النادي ، إن لمحتُ عيني نظرتُك ،
أو خلدتُ رجلي ذكرتك ، لا أفخرُ إلاً بولائك ، ولا أقيرُ إلاً لنعماثك ،
ولا أتمنى إلاً كان المنى في لقائك . وهذا الباب لو أفنيتُ فيه الأيامَ ،
والقراطيسَ والأقلامَ ، لم أبلغُ فيه بعضاً ، ولا أدبنتُ فرضاً ، فأنا أقتصرُ
منه على ما في ضميرك ، وأقنعُ منه بتذكيرك ، والله تعالى يُبقيك لي ويُعليك ،
ويعين^٥ على شكر أياديك .

وموصلهُ ناصحٌ — مملوكك — حرّكه ما حرّكه^٦ ، وتوجهَ لأمرٍ أرجو
بعزتك دَرَكَه ، وذلك أن أختاً لي ، أمتك ، لا باكيةَ لي سواها ، كان

١ إشارة إلى قول أبي تمام (ديوانه ٢ : ٤٢٥) :

سلام ترجف الأحشاء منه على الحسن بن وهب والعراق
على البلد الحبيب إلى غوراً ونجداً والفقى الحلوى المذاق

٢ من قول الشريف الرضي (ديوانه ٢ : ٧٩) :

وابك عني فطالما كنت من قبل أعير الدموع للعشاق

٣ س : ادام الله عزك .

٤ من قول المتنبي : ضعيف هوى يبغى عليه ثواب .

٥ ط د : ويعينك ؛ س : ويعينني .

٦ ما حرّكه : سقط من ط .

لها ابنٌ من ابن فلان ، فعرض له^١ فاختلسه ، وقربته إلى الحضرة المزدانة بك ، فتمثّل ما شئت من كدها ، واحترق كبدها ، وتذكّر قوله عليه السلام : « لا تُولِّهُ والدةٌ على ولدها » ، وانظر سوءَ فعل هذا المعاند ، وتدرّي وجَدَ ثكلي أصيبت بواحد ، وهو وإن كان غير واضح فهو عندها عرار^٢ ، وفي عينها ديتار^٣ ، وإن كان كما سترى ، فكلُّ شيءٍ يحبُّ ولده حتى الجباري^٤ ، والولد - كما في علمك - فتنة ، والخنفساء في عين أمها رامُشنة ، وستراه - إن شاء الله - وترى أباه ، فتعلم الإقرار^٥ من حيث أتاه ، وترى تلك المخايل ، وتعرف فيه من أبيه شمائل^٦ ، وتنحقق به المشابهة والمناسيب ، وتتشد :

وانّا نرى أقدامهم في نعالهم وأنفهم بين اللّحي والحواجبِ

وترى فيه من علامات الكرام ، لأنّه شبيهٌ لأمير المؤمنين هشام ، وانه متخازر ، وأنّ اسمه عبدُ الله بن طاهر ، وهذا هزلٌ كلّهُ جيدٌ ، ومزحٌ تحقيقهُ عمُدٌ ، فهو على كلِّ حالٍ ولدٌ ، وقطعةٌ من كبد ، وأنّت [١٣٨ب]

١ ط د س : ابن من ابن فلان يعرض عليه .

٢ من قول عمرو بن شأس (الحماسية رقم : ٨٤) :

وإن عراراً إن يكن غير واضح فإني أحب الجون ذا المنكب العمم

٣ إشارة إلى قصة أعرابي كان ينشد ابناً له ضل فلما سئل أن يصفه قال : كأنه دينير ، وكانت

الصفة بميدة عن الواقع .

٤ انظر الميداني ٢ : ٦٢ .

٥ الاقرار من قبل الفحل أي حين يكون الأب هجيناً غير عربي .

٦ من قول امرئ القيس (ديوانه : ١١٣) :

وتعرف فيه من أبيه شمائلًا ومن خاله ومن يزيد ومن حجر

وليُّ النعمةِ في جبره عليها ، وردَّ نومها به إليها ^١ ، والتطول في تأنيسي بأحرف كريمة تنضمَّنُ حالك ومجاريها ، ومصانعَ الله الجميلة عندك فيها ، والله يُطلعي منك المبهج ، ويُسْمِعني عنك الطيب الأريج ، وأقرئك سلاماً كودِّي كريماً ، وكندي ^٢ المسك شميماً ، وإن مننتَ بإبلاغه إخواني بإخائك ، وكواكبي في سمائك ، أو وسَّعتَ فيه نفسك وإيَّاهم ، وخصصتَ به الوزراء مفردهم ومثناهم ، وأخبرتَهم أني عبدٌ ودَّهم ، وشاكرٌ عهدهم ، والباكي دماً من بعدِهم ، أنعمتَ وتطولتَ .

وعرَّضتُ عليه بعض تلك الرسائل التي تقدمت في صفة الزرزور فكتب في ذلك رقعة : أمَلَّكَ أبا الحسن ^٣ الأحرارُ ، وأمَلَّكَ الكبارُ ، وانتجعت قُطْرُك الأقطارُ ، وشكرتُك حتى بترجيحها الأطيَّارُ . ويصلُّ به — وصل الله سعودك ^٤ — من الطير نطَّاق ، من غير ذوات الأطواق ، يمسُّ من المسك في حبرة أو طاق ، صغَّروه على جهة التعجب والإشفاق ، كما صغَّروا سهيل ، وذؤيب وهذيل ، وقيل العذيق والحنذيل ، وكما صغَّروا العذيب ، وقال عمر — رضي الله عنه — أخافُ على هذا العُريب ، وكقولهم يا سُمَيْراء ، وكقوله عليه السلام لعائشة : يا حُمَيْراء ، مهَّدتَهُ العذارى الحجور ، وألحفتَهُ الشعور ، وربَّتهُ بين الترائب والنحور ، وعلَّنتَهُ بالرُّضاب ، وسقته بأفواهها العذاب ، فما خلع الشَّكير ، حتى رفض الصَّفير ، وهجر

١ ط د : عليها .

٢ ط : وتندي ؛ س : وبندی .

٣ اعتقد أن صوابه « أبا الحسين » أي ابن سراج ، لأنه هو الذي أثار هذه الرسائل الكثيرة حول الزرير .

٤ س : سعادتك .

الراء الدائمة التكرير ، وتحلّى في المنطق بحلية الإنسان ، ودخل في من
 عليم البيان ، وزايل عميمة البلبل والورشان ، وأفصح تسييحاً وتكبيراً ،
 وخرج من جملة من قال تعالى فيه ﴿ ولكن لا تفقهون تسييحهم ﴾ لأنه كان
 حليماً غفوراً ﴿ (الإسراء : ٤٤) فإن طلبت - أعزك الله - اسمه مكبراً ،
 وجدته لفظاً من الزيادة مكرراً ؛ أقام عندنا زماناً . لا يتألف إلا رنداً
 أو باناً . ولا يلتقط إلا عناباً أو سيسباناً^١ ، يتدرج في البساتين ، يتطلب العنب
 المنتقى والتين ، فذكرت له يوماً والحديث ذو شجون ، منسبته الزيتون ،
 وأرضك الميثاء ذات الشجر والعيون . وأطيار محامدك فيها السنح
 الميامين . فصفت جناحاً ، واهتز أرتياحاً ، وحن إلى ذلك القطر . وانتفض
 كما^٢ بلله القطر^٣ . ورجع اطراباً ، وسألني إلى مجدك كتاباً . فأناثته ما
 ابتغى ، وقلت : سلمت أخوا البيغا . من المنسر الأشغى . وبلغت المدى .
 وجنبت من حزة^٤ المدى^٥ ، وعوفيت من كل حية صفراء . ترنو
 إلى الطائر في السماء ، بمقلة سريعة الاقضاء ، ولقيت الوفاء ، غير اللفاء ،
 وخولت حتى من التبن والحلفاء^٦ ، فانه يسبد^٧ ريشك . ويرد عشوشك ،

١ ط د س : سبتانا .

٢ س : كأنما .

٣ من قول مجنون ليلى (ديوانه : ١٣٠) :

وإني لتعروني نذكراك هزة كما انتفض المصفور بلله القطر

٤ ط : حدة .

٥ انظر الذخيرة ٣ : ٤٧٥ حث ورد :

نوقت دقراط الطيور تطباً إذا عالج البرسام أو أبرأ الرس

من المنسر الأشغى ومن حزة المي ومن يندق الرامي ومن قصة اللقص

٦ س : وحوشيت سن من الدق وحلاء .

٧ سبد الفرخ : إذا بدا ريشه وشوك .

فاهض^١ فقد لقيت معمراً^١ ، وما شئت منتهراً ومصفراً^٢ ، ورعييت ريفاً ، ونزلت بجرأ وريفاً^٣ ، فأخذ الكتاب بمنقار ، وصفق من ريش الجناحين سروراً وطار ؛ ومن ركب - أعزك الله - الجناح ، وامطى الرياح ، طوى البراح ، وهو آتيك كالبرق في لمعة^٤ ، تصفيقة الطائر المستحري^٥ سرعة ، فإن حلَّ البساط فابنُ سُرينج والغريص ، وإن احتفل السماط^٥ فأبو جلدة وابنُ بيض^٦ . وأنت بسيادتك تبسطُ له في بساتينك ، وتفرش^٦ له من وردك وياسمينك ، حتى تلبس من أغاريد الخلل المنشرة ، وينشر على منابر أدواحك شيبياً وابن لسان الحمرة^٧ ، وتنبت أرضك مندلاً ، وجوئك صندلاً ، وثرارك خزامى وقرنفلاً ، وتهب له ريحك جنوباً ، ويحق

١ المعمر : المنزل الواسع .

٢ اشارة إلى رجز ينسب لطرفة أو لكليب (الخزائن ١ : ٤١٧ وفصل المقال : ٣٦٤) :

يا لك من قبرة بممر خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري

٣ ط : ورقا . . . وريقا .

٤ استحر الطائر : غرد بسحر .

٥ ط د : السماك .

٦ ط د : فابن جلدة ؛ وأبو جلدة البشكري شاعر من شعراء الدولة الأموية من شاكني الكوفة خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج ، وكان معاقراً للخمر (انظر أخباره في الأغاني ١١ : ٢٩١ - ٣١٢) وأما ابن بيض فهو حمزة بن بيض الحنفي ، وهو أيضاً شاعر أموي كوفي سائر القول في المجون ، توفي سنة ١٢٠ (انظر معجم الأدباء ١٠ : ٢٨٠ والأغاني ١٦ : ١٤٣ والفوات ١ : ٣٩٥) .

٧ شبيب بن شيبه من خطباء تميم ، يتردد ذكره في البيان والتبيين أما ابن لسان الحمرة فاسمه عبيد الله بن حصين أو ورقاء بن الأشقر (القهرست : ٩٩) وهو أعرابي نسابه أدرك الدولة الأموية .

لشأسِ أمّكهِ من نذاك ذنوباً^١ ، حتى يرجع بتطريب ، وينشد في الخفيف
الأول لحبيب^٢ :

وما يلحظُ العاني جذاك مؤملاً^٣ سوى لحظةٍ حتى يعود مؤملاً
وأهدبك وداداً مزج باشتياق ، وأقرئك سلاماً ينسبي سلام حبيبٍ
على الحسن بن وهب والعراق^٤

وله فصل من رقعة خاطب بها أبا بكر بن قزمان^٥ : [١٣٩] المجد
— أعزك الله — سباق^٦ ، وللفضائل استحقاق ، وأنا أردد قولهم فيها بالحدود ،
وأقول :

* لأمر ما يسود من يسود *

وأعتقد أنه ما رفعت راية لمجد إلا كنت عرابة^٧ ، ولا أخذ حمد
بشمن بها ربيع إلا كنت ابن الاطنابة^٨ .

١ إشارة إلى قول علقمة بن عبدة يشفع في أخيه شأس وكان أسيراً عند الفساسنة (ديوانه : ٤٨) :

وفي كل حي قد خبطت بنمة فحق لشأس من نذاك ذنوب

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٩٩

٣ قد مرت الإشارة إلى ذلك ص : ٧٥٦ .

٤ ترد ترجمته في ما يلي من هذا القسم : ٧٧٤ .

٥ إشارة إلى قول الشماخ (ديوانه : ٣٣٦) :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

٦ يشير إلى قول ابن الاطنابة (الكامل ٤ : ٦٨) :

أبت لي عفتي وأبي بلائي وأخذي الحمد باليمن الربيع

وله من أخرى على لسان من استعفى من ابنه إلى السلطان: معلوم - أيّد
الله الأمير الأجل - أنّ العقوق تُكَلُّ مَنْ لَمْ يُثَكَّلْ ، وأنّ العاقّ إن
عاش نغص . وإن مات نقص ، وأنّ الناس بأزمانهم ، أشبهُ منهم بآبائهم ،
ولا يشفع في ابنِ أبٍ ، وإنّ المرءَ لا يَهْدِي من أحبّ ، ولو كان في يد
الإنسان من ابنه شيءٌ أو إليه ، لكان أولى الأمة نوحٌ صلى الله عليه ، ولما أضلَّ
ابنُه المرشدَ والمصالحَ ، حتى ^١ قال الله تعالى ﴿ إنه ليس من أهلِكَ لأنه
عمَلٌ غيرُ صالحٍ ﴾ (هود: ٤٦) ولوليك ابنٌ سلكَ هذه السبيل ، واتبع
هذا الدليل ^٢ ، ولما أريته طُرُقَ التبصير والتسديد ، وقلت له : يا بني مَنْ
وُعِظَ بغيره فهو السَّعِيدُ ^٣ ، ولم يُغْنِ الوعدُ ولا الوعيد ، تبرأتُ منه إليك ،
وقلت له : لا تجنِ يا بنيَّ عليَّ ولا أجنِي عليك ، وإنه للفلذة من كبدي ،
وآخرُ ولدي ، ولكن لم أجِدْ فيه صنيعاً . و ﴿ لو يشاءُ الله لهدى الناسَ
جميعاً ﴾ (الرعد : ٣١) وفي الخبر أنّ الإمامَ العادلَ إذا دعا أجيبتُ دعوته ،
ووليُّك يَرغبُ في دعوةٍ تنفعه ^٤ ، أو زجرةٍ تَرُدُّه ^٥ .

وله من أخرى : والفقيه الأجل الحافظ - زاده الله من التوفيق - بيني
وبينه العهدُ المصون ، وليالٍ قطعناها « عند أصلِ القناة من جيِّرونِ » هو
يسألُ ثراها ، ولا ينساها ، ويستنقذني من أنيابٍ ^٥ قد قتلتني بعضها ، وعساهُ

١ حتى : سقطت من ط د .

٢ واتبع هذا الدليل : سقط من ط د .

٣ من المثل : السعيد من وعظ بغيره ، فصل المقال : ٣٢٧ والميداني ١ : ٢٣٢

٤ ط : يسأل ؛ س : يقل .

٥ ط : أينات ؛ س : أبيات .

يذبح لي بقرة^١ من علمه فيضرب نفسي ببعضها^٢ ، ويردّها^٣ وقد بلغت التراقي ، ويحييها بياسر^٤ من ذلك العلم الرقيق العراقي ، فجرّد لي من سيفه القاطع ، واغرف لي من بحره الواسع .

وله من أخرى على لسان من فرّ من موضع اعتقال الأمير - أيده الله - حرّك إلى ظلمي فسكن ، وجاءه عنّي فاسق نبأ فأخذ بأدب الله تعالى وتبين ، وأنا رعيت فارتعت ، وقرأت قوله تعالى ﴿ ففررت منكم لما خفتكم ﴾ (الشعراء : ٢١) فاتبع ، وبحقّ نصرت فنصرت ، وأوعدي أبو قابوس ففررت :

* ولا قراراً على زار من الأسد * .

وقد قيل : لا تقرب البحر إذا ماج ، ولا السلطان إذا هاج ، وقديماً اتبع السلطان فوعيت^٥ ، ورأيت من الديكة في السفايد ما رأيت ، ولم يكن فراري نفاقاً ولا إباقاً ، إنما أردت إظهار برّاعي ، وتطهير ساحتي ، فأزلت قدري بجعلها^٦ ، وأطفأت ناري في موضع إشعالها ، وطلبت طالبي ، وقرعت باب ظالتي ، ودعوته إلى الخصام ، وأبرزتها إلى الحكّام ، ورفعتها إلى القاضي

١ إشارة إلى ما جاء في سورة البقرة : ٧٣ (قلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى) .

٢ ويردها : سقطت من نس .

٣ س د : بياس .

٤ صدر البيت : نبئت أن أبا قابوس أوعدي (ديوان النابتة : ٢٥) .

٥ ط : فرعيت .

٦ الجعال : ما تنزل به القدر من حرقه أو غيرها .

محمد بن حمد بن حمدين^١ ، وإلى محمد بن شبرين^٢ ، ولو وجدتُ على القافية غيرهما لدعوتها إليه ولو كان محمد بن سيرين ، فأحقَّ الله حقِّي تحقيقاً ، وأزهقَ باطلها ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء: ٨١) ، وما أنا معها في بساط واحد ، وبين يدي ملك راشد ، أرفلُ في الأمان ، وقديماً استُعِيدَ من شرِّ النسوان ، ومن لم يُبَيِّتَنَّ قبلي على أسفٍ ، وهنَّ عوادي يوسف^٣ ، وقد قال عليه السلام فيهن ما قال وأنذر وأعذر ؛ ولولا أن للنساء أبناء^٤ ، ويطولُ استقصاءُ الأحاديثِ والأنباءِ ، لذكرتُ ما أحدثن من بلوى ، وجلبنَّ من شكوى ، وسقتُ من بين دنيا - وهي ظالمتي هذه - إلى عَصْرِ أُمَّنا حواً ، رضي الله عنها ، ولكنْ تركُ ذلك أولى ، وأنا أكثرُ فيه يميني وأصيرُ مع مولاي إلى فصيلتي التي تؤويني ، وأعرضُ عليه أمري في معرضه ، وأتحقُّ أسودَه من أبيضه .

وله من أخرى^٥ : لا غرو - أعزك الله - وقد غطَّاني من إنعامك الرَّغْدِ ما غطَّى ، وتوطأ بي من كنفك المهد ما توطأ - أن أسأل شَطَطاً ، وأذهب فُرطاً ، وأتكلم منبسطاً ، وأبين غرضي كله ومذهبي ، وأتحكم

١ قد مر التعريف به .

٢ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن شبرين ، استقضى باشبيلية وحدث سيرته ، وكانت وفاته سنة ٥٠٣ (الصلة : ٥٣٨) .

٣ من قول أبي تمام (ديوانه ١ : ٢٢٣) :

هن عوادي يوسف وصواجه فمزماً فقدماً أدرك السؤل طالبه

ط : أنباء .

ه وردت عبارات قليلة منها في تمام المتون : ٣٢٧ .

على مكارمك تحكّم الصبي^١ ، وأبلغ بك إلى كل^٢ أمثل^٣ [١٣٩ب] وأرب ،
وأملأ دلوي في جاهك إلى عقْدِ الكَرْبِ ، فإنك سببت لي ذلك ، وأرعيتني
الروضَ الأُنْفَ من جاهك ومالك ، وحررتني ولا حرّاً بوادي عوف^٤ ،
وأنعت عليّ نعمة الله على قريش وأطعمتني من جوع وآمنتني من خوف^٥ ،
إلا أنه يلزم من النجم أن يسرج ، ومن اعتمر أن يتم الحج ، ووعد
الكريم مطلوب^٦ ، وانتزاع العادة ذنب محسوب ، فجردني صارماً في ساعدك ،
وارم بي سهماً مسموماً في كبد حاسدك ، وهو الوسع المجهود ،
* والجود بالنفس أقصى غاية الجود * .

وهذه أيضاً قطعة من شعره

كتب إليهم الوزير أبو محمد بن عبدون أبيات منها * :

سُئِوني بني عبد العزيز وما أنا بناب إذا التفت عداً ونواب
لعم لسرور لم يقم منكم به محيي على طول المدى أو مخاطب
ولم تكتبوا حرفاً إليّ وأنتم ثلاثة كتّاب وما أنا كاتب

١ انظر تفسير قولهم « أعطي حكم الصبي على أهله » في تمام المتن : ٣٢٥ - ٣٢٨ وثمار

القلوب : ٦٧٠ .

٢ هذا مثل ، انظر فصل المقال : ١٢٩ ، ٣٣٦ والميداني ٢ : ١٢٤ والمسكري ٢ : ٢٧٥

والفاخر : ١٧٨ .

٣ انظر السورة : ١٠٦ (وهي سورة قريش) .

٤ صدر البيت : « يجود بالنفس إذ ضن البخل بها » وهولسلم بن الوليد في ديوانه : ١٦٤ وجمهرة

المسكري ١ : ٩٥ (تحقيق أبو الفضل) وانظر التمثيل والمحاضرة : ٣٠٧ .

٥ س : أبيات قال فيها .

وكان أبو محمد قد خرج من وطنه يابرة مستوحشاً وقت حلول الفارقة
بالرؤساء ، فأجابه أبو بكر منهم بأبيات ، منها :

تباعِدُ في طولِ المدى وتُقاربُ وتذنبُ في بابِ الجفا وتعاتبُ
بمجدك^١ أرشدنا إليك ودلنا عليك من الدنيا وخذنا نكاتب
ومن خرقَ الآفاقَ يبغى بنفسه مساحةَ وجهِ الأرضِ أين يُخاطبُ
دُعَيْمِصُ رَمَلٍ حينَ يمشي وحرثُ ضحىً وعديٌّ في الزَّمَاعِ وحاجبُ
تري لم تُصبِ في آلِ بدرٍ فتتي تَري نائِرٍ أو يلتقي بكَ طالبُ
وإن تَنَسَّبَ يوماً تُردُّكَ طفاوةً لتطفو على الدنيا وتأباكَ راسبُ
لك الخيرِ ملَّتْ رحلكَ العيسُ ، حُطَّةُ قليلاً ، وعرسٌ قد شكَّتكَ السبابُ
على أنَّ للأبيامِ فينا وقائماً نبا شاعرٌ فيها وأفحِمَ^٢ كاتبُ
وأما امرؤ القيسِ السَّواري فإنه رأى الدربَ حقاً فابكِه أنت صاحبُ
يغنيهِ غرِيدُ الدجى^٣ فإذا ونى يغنيهِ ساقٍ من دمِ الساقِ شاربُ

قوله : « امرؤ القيس السواري » يعني أبا بكر بن سوار الأشبوني^٤، وكان
أسيرَ في طريق قورية ، وبقي بها إلى أن منَّ الله بإطلاقه ، من وثاقه ،
وأشار بذكر الدرب إلى قول امرئ القيس^٥ :

* بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونهُ *

١ ط : لمجدك .

٢ س : وأنجح .

٣ ط د : الوحي .

٤ تأتي ترجمته ض : ٨١١ .

٥ عجز البيت : وأيقن أنا لاحقان بقيصرا .

وقال الوزير أبو بكر يخاطبُ جماعةً من إخوانه بحضرة قرطبة:

يا سيدي وأبي هدىً وجلالةً
عرجٌ بقرطبةٍ إذا بلّغتها
فإذا سعدتَ بنظرةٍ من وجهه
واذكرُ له شوقي ووجدي^٢ مُجتملاً^١
بتحيةٍ تُهدّي إليه كأنمًا
وأشيمٌ منها المُصْحَفِيُّ على النوى
وإلى أبي مروانٍ منها نفحة
وإذا لقيتَ الأخطي^٤ فسقته
وأبو عليٍّ بلٌّ منه ربّعه^٣
واذكر لهم زمناً يهبُ نسيمه^٥
بالحير^٥ لا عبستَ عليه غمامة^٥
يوماً وليلاً كان ذلك كله
مولى ومولي نعمته وموالي^٦
ورسولَ ودّي إن طلبتُ رسولا
بأبي الحسين ونادهِ تمويلاً
فاهدِ السلامَ لكفتهِ تقيلاً
ولو استطعتُ شرّحتُهُ تفصيلاً
جرّرتُ على زهرِ الرياضِ ذيولاً
نفساً يُنسي السوسنَ المبلولاً [١٤٠أ]
تجني^٣ له روضَ الربى مطلولاً
من صفو ودّي قرّقفاً وشمولاً
مسكاً بماءِ غمامةٍ محلولاً
أصلاً كتفقتِ الراقباتِ عليلاً
إلاّ تضاحكٍ إذخرأً وجليلاً
سحرأً وهذا بكرةٌ وأصيلاً
وأخا إخاءٍ خالصاً وخليلاً

١ انظر القلائد والنفح ١ : ٦٣٤ : ١٥٦ ، وفي القلائد أنه يخاطبُ أبا الحسين ابن سراج ، وذلك واضح في البيت الثاني من القصيدة ، ثم ذكر أسماء عدد من أصدقائه .

٢ القلائد : وشكري .

٣ القلائد : تهدي .

٤ القلائد : الأخطبي

٥ س : بالحير : د : بالحي ؛ والحير : هو حير الزجالي خارج باب اليهود بقرطبة (انظر التعريف به في القلائد والنفح) .

٦ القلائد : وكرامة .

لا أدركتُ تلك الأهلّةُ دهرَها^١ نقصاً ولا تلك النجومُ أفولا

وله يخاطب بعض إخوانه وهو عليل :

كباري وساداتي إليكم تحيةً تفتحُ سوساناً وتنجي رباحينا
ومعذرةً مني إليكم بعلّةٍ برّرتني ولا لدناً من الخطّ مسنونا
كأنتي فيما اشتكي ابنُ علمٍ سقاماً ولكن لستُ أشكو الثمانينا^٢

وقال :

إليك وإن كنتَ قطبَ الوفا أبا عامرٍ والأريبَ الأديبا
تكونُ بجمصٍ ثلاثين يوماً وأصبحُ منك القصيَّ الجنيبا
نسيتَ ودادي وحرَّ اعتقادي وجمعي بأفقي عليك القلوبا
وهبّك تناسيتَ حرَّ الوفاء ولم ترَ لي في ودادٍ نصيبا
فهلاً رعيتَ جزيلَ الثواب وعدتَ العليلَ وزرتَ الغربا^٣
وتدري الحديثَ وماذا عليه عائدُ ذي السقمِ حتى يؤوبا
ولكنها شيمةٌ للزمان أن لا صديقَ وأن لا حيبا

وله يصفُ بقرةً أخذها الريقُ^٤ الطاغية صاحب قلمرية^٥ :

١ ط د : دهرنا .

٢ إشارة إلى قول عوف بن علم : « إن الثمانين وبلغتها . . . البيت » .

٣ س : القريبا .

٤ الريق أو الرنق هو الفونسو هنريكز (Alphonso Henrices) صاحب قلمرية

(Coimbra) وكانت حينئذ عاصمة البرتغال .

٥ انظر الإحاطة ١ : ٥٣٠ وهي هناك شديدة التصحيف والتحريف .

وأفقدنيها الريق أمّا حَقِيبةٌ
تعنّفني أمّي على أنْ رَتَيْبُها
لها الفضلُ عندي أرضعتني أربعاً
إذا هي ضُمَّتْ أَلْفَتُ بين رَفْدَيْنِ^١
بشعري وأنْ أتبَعْتُها الدمَ من عيني
وبالرغم ما بَلَّغْتَنِي رأسَ عامينِ^٢

وله فيها :

وفجعتني ذا الريق لا درّ درّه
ترى فخذها يَحْمِلَانِ خِزَانَةَ^٣
بأمّ عيالٍ ما عرفنا بها الجلبدا
إذا فَتَحَتْهَا إصبعاً ملأتُ وطبا

وقال يستهدي المنصور بازيّاً^٤ :

يا أيّها الملك الذي آباؤه
حلّيتَ بالنعمِ الجسامِ^٤ سماحةً
وامننْ به ضافي الجناحِ كأنّما
أغدو به عَجَباً أصرّف في يدي
شُمُّ الأنوفِ من الطرازِ الأوّلِ
عُنْفِي فَحَلَّ يدي كذاك بأجدلِ
حُدَيْتُ قواده بريحِ شمالِ
ريحاً وآخذ مُطلقاً بمكبَلِ [١٤٠ب]

وله في دنّ خمرٍ تَحَلَّلَتْ له :

أبا حسنٍ إني فجعتُ بصاحبِ
غَدَتِ بنتُ بسطامِ بنِ قيسِ بدنّها
أنيسٍ يُنْسِيّ الهمَّ عندَ احتلالِهِ
وأمنستُ كجسمِ الشنْفَرِي بعد خاله

١ ضفت : حلبت باليد كلها لفخامة الضرع (ط د س : صفت) والرغد : القتح الفخم .

٢ س والإحاطة : حولين .

٣ النفع ٤ : ٣١٣ .

٤ د : الحسان .

أشار إلى قول الشنفرى^١ :

* إنَّ جسمي بعد خالي نحل * .

وكنى بنتِ بسطام عن الخمر لأن بسطاماً كان يكنى أبا الصهباء .

وقال في مثله وعرض بأبي سلمة الخلال :

فإذا الوزيرُ وزيرُ آلِ محمدٍ شانيكمُ ، لا كان ، فيها طافي

وهذا كقول الآخر^٢ :

ختمتها بنتَ بسطامٍ لها أرجٌ ثم افتضضتُ ختاماً عن أبي سلمة

وبعث إلى بعض إخوانه بخرشف وكتب معها :

بعثتُ بها عشرًا بناتِ شياهمِ مكلَّمةً هاماتها بمباضعِ
تراها بها الأعداءُ فوق جفونهم نهاراً ، وليلاً تحتهم في المضاجعِ
وإنْ مدَّ مولانا لها يدَ قابلٍ فلإنِّي فيها باسطٌ خدَّ ضارعِ

وكان ابن رشيق قد أنزل على أموالم^٣ وقت حلول الحوالة ، فكتب

إليه أبو بكر ، وأخذتها عنه :

١ وقيل هو لابن أخت تأبط شرا يرثي خاله ، وصدر البيت : « فاسقنيها يا سواد بن عمرو »

انظر الحماسية رقم : ٢٧٣

٢ ورد البيت في الشريشي ٢ : ٢٩٢ (بولاق) .

٣ ط د : أحوالم ؛ س : أحوالم .

بني رشيقي أما لي عندكم سعة*
أما يشقُّ عليكم شربُ صافيتي
أرعى الخزامى وأنتم في بلنسية^١
ملاً استحيتم* وقتلتم إنَّ ذا كَدَرٌ
فتُحضِرُوني ولو ملّقتي نعالكم*
وتظفرون بما تهوون من أدبٍ

وأشدني أيضاً له :

وأحورَ حياً بنارنجة
مخمّشةُ الوجهِ مرشومة
تضرمَ نصفُ اسمها في البدن*
كما عُصْفِرَت كُرّةٌ من سَقَن^٢

وأشدني له قوله :

قريبٌ على عزمي بعيد^٣ المطالب
وما الشعرُ من همّي ولكن خواطري
أقلُّلُ منه مازحاً غيرَ طالبٍ
وسهل* على مجدي لحاقُ الكواكب
تغاليبي فيه وهنّ غوالي
وأكثرُ فيه فاخراً غيرَ كاذبٍ

وأشدني أيضاً لنفسه من قصيدة ، أولها :

لعينك^٤ وعدٌ من فؤادي مكذوبُ
مضى عزمه^٥ إلا سهاد^٦ وتعذيب^٧

١ س : بلهنية .

٢ س : موشومة ؛ ط : موشامة ، والمرشومة : التي فيها برش ؛ السقن : جلد خشن غليظ .

٣ س : قريب .

٤ ط : بعينك .

٥ س : جهده .

٦ د : سناد ؛ ط : سعاد .

٧ س : وتكذيب .

ومنها :

ومن شقَّ هُدُبَ الليلِ عن شهلةِ الضحى يبرقُ على ثوبِ الدجى^١ منه تكتيب

ومنها^٢ :

كانَ أهازيجَ الذّبابِ أساقفٌ لها من أزاهيرِ الرياضِ محارِبُ

وأُنشدني لأخيه أبي الحسن وقد رمد ، يستهدي المتوكلَ كحلاً : [١٤١أ]

يا ملكاً آمَنُ ما يُخشى ونيراً أوضَحَ ما أعشى
شاعرِكم كانَ زهيراً وقد أصبحَ ممّا ناله الأعشى
يقرأُ والشمسُ على رأسِهِ تنيرُ ﴿ والليلِ إذا يغشى ﴾

ولأخيه أبي حمّد :

يا سائلي عن علوةٍ وجمالها أغنتَ محاسنها عن التبيينِ
هيَ درهمُ البخلاءِ يُلقى^٣ دونها قُفْلٌ وفوقَ القفلِ طابعُ طينِ
هي روضةُ الآمالِ إلاّ أنّها لم تخلُ من أفعى^٤ ومن تتينِ

وله يرثي الفضل بن المتوكل ، ويشير إلى أنه قتل ولم يدفن ، من جملة

قصيدة :

١ ط : الرجا .

٢ مر هذا البيت ص : ٧٠١ من هذا الجزء .

٣ ط د : تلقى .

٤ ط د : يفع

وواعجبا للأرض حين ملكتها وميتاً ولم يستترك من عرضها شبراً
فليتك من قلبي وعيني^٢ صيانة^١ تؤوبُ إلى قبرٍ إذا لم يكن قبرُ
فيرعاك مني مشفقٌ ذو حفيظةٍ عليك إذا لم يرعك الذئبُ والنسر

وباتوا^٣ ثلاثهم ببعض المواضع ، تنجافي جنوبهم عن المضاجع ،
ويتعاطون أدباً كالراح ممزوجة بماء الوقائع ، والمدام لهم نقل ، والزمانُ
لولا هم غُفِل إلى أن غازلت السنّةُ أجزانهم ، وأجمت قليلاً أذهانهم ؛
فانتبه أبو محمد منهم والصبح قد ومض ، والعصفور قد انتفض ؛ فقال :

يا شقيقي وافى الصباح بوجهٍ سرّ الليل نورهُ وبهاؤه
قاصطبحُ واغتئمُ مسرةً يومٍ لستَ تدري بما يجيء مساؤه

ثم استيقظ أبو بكر فقال :

يا أخي قم ترّ النسيمَ عليلاً باكر الروض والمدام شمولا
لا تنمُ واغتئم مسرةً يومٍ إن تحت الترابِ نوماً طويلاً

ثم هبّ أبو الحسن من مرقده ، بأذكي ذهن وأوقده ، فقال :

يا صاحبي ذرا لومي ومعتبي ولنصطبج خمرة من خير ما ذخروا
وبادرا غفلةً الأيامِ واغتئما فاليومُ خمرٌ ويبدو في غدٍ خبرٌ

١ س : بعضها .

٢ س : عيني وقلبي .

٣ من هنا حتى آخر الترجمة تنفرد به س ؛ وانظر القلائد : ١٥١ والمغرب ١ : ٣٦٧ والإحاطة

١ : ٥٣٠ .

٤ رغم أنه متصل بقول امرئ القيس « اليومُ خمرٌ وغداً أمرٌ » فإنه من صياغة بشار بن برد
إذ يقول :

اليومُ خمرٌ ويبدو في غدٍ خبرٌ والدهر ما بين إنعام وإيأس

في ذكر الوزير الكاتب أبي بكر بن قزمان^١

وسياقه جملة من نظمه ونثره^٢

وأبو بكر أيضاً من كتاب الوقت والأوان ، ومن أهل البلاغة والبيان^٣ ، والمتوكل أول من اتخذ كاتباً ، واقتدح زنده فأورى شهاباً ثاقباً ، وله محتد^٤ كريم ، ولسلفه تقدم^٥ معلوم ، ورسائله جلائل ، إلا أنه لم يحضرني منها عند نقلي هذه النسخة إلا فصول قلائل ، لا تفي بقدره ، وفيما كتبت منها أنموذج يُعَرَّبُ عمّا أُجريتُ من ذكره .

فصول له من رقعة عتاب ، خاطب بها بعض الوزراء الكتاب ، قال فيها :
ما أكثر الأشياء الجامعة لنا : أدب كروض الحزن ، وود كصوب
الزن ، وأولية كرم تاريخها واتصلت أسانيدها ، لا يُنكر فضلها ولا
تُدم عهودها ، وأسلاف سلفت بينهم صحبة حميدة ، وأذمة وكيدة ،
مثلها نهج إحاء ، وأورث صفاء ، ونظم أهواء وآراء^٤ . ومازلت على
تراخي المزار ، وتنازع الأقطار ، أودك كل الوداد ، وأعتقدك أصح

١ ترجمته في القلائد : ١٨٧ والخريدة ٣ : ٤٦٥ والمغرب ١ : ٩٩ والصلوة : ٥٤٠ وهذا هو محمد بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان (عم ابن قزمان الزجاج) ، وكانت وفاته سنة ٥٠٨ ودفن بمقبرة أم سلمة ، وقد وهم المقرئ حين نقل ترجمة الوزير وترجمة الزجاج ظناً منه أنهما شخص واحد ، في نفع الطيب ٤ : ٢٤ .

٢ س : نثره ونظمه .

٣ والبيان : سقطت من ط د .

٤ وآراء : سقطت من ط د .

الاعتقاد ، والحظك بعين الإعظام ، وأقترح لقاءك على الأيام ، معرفةً
بسببك ، وتوفيةً لحقك ، وتوقاً إلى مطالعة تلك الطباع الرقيقة ، ومباشرةً
تلك الآداب الأنيقة ، إلى أن وقع ما وقع ، وأتيح من التداني ما لم يُتوقع ،
وهي الأقدارُ ، وليس عليها الخيار .

وقد كنتُ أعلمتُ بسؤالك - بفضلك - عني ، ونزاعك نحوي ، وغرضك
إلى لقائي ، واعتذارك بخفاء مكان نزولي ، وغموض موضع حلولي ، ولقيتُ
فلاناً فعرض عليّ من قصدك ما فتى^١ إليه حدّ المسابق ، لو^٢ أفرجت لي
عنه العوائق ، فأريته من اختلال الحالِ الباعثِ على الانقباض ، وتجنّب
الاسترسالِ المخوفِ من الإعراض ، ووقوع الإخلالِ ما رآه ، فأحسبته
وكفاه ، وتلقاه عذراً واضحاً يلقيكهُ فتلقاه ، ثم ما زال يفتل في الذرّوة
والغارب ، حتى أجبته التزاماً لما لم يلتزمني إلاّ بحكم جلالتك ، وشرطِ
المتعيّن من استمالتك ، فوافقيننا منزلك ذات يوم بُعيّد العصر ، وعلى
بابه غلامٌ ، سأله عنك فقال : هو ينام ، فطوبنا آثارنا ؛ وأعلمني بعدُ
باجتماعكما من الغد ، وأنه^٣ عرّفك بذلك المقصد ، فسألك أن لم تعلم ،
وعزّ عليك الالتقاء أن لم يتم ، ودعاني إلى المعاودة . [١٤١ ب] فلم يسعني
ولم يسع لي ، ومضت على ذلك أياماً إلى أن دخلت على فلان ومعه فلان ،
وأنت حاضرهما ، فحين لمحتك عرفتك ، بما كان ثبت عندي من صفتك ، وتقرّر
لدي من سميتك ، وعند أخندي لمقعدني رأيتك قد وحييت إلى من كان

١ ط د س : كنت .

٢ ط د : ولو .

٣ س : وأعلمني بهيد اجتماعكما من الغد أنه .

يليك ووَحَى إِلَيْكَ ، فانشيتَ وقد زَوَيْتَ ما بين عينيك ، وشمّرتَ أنفك ،
 ومَعَرَّتْ وجهك ، وضممتَ إليك من ثيابك ، وقاربتَ بين أجزاءك ،
 فقلتُ : أراهُ أزدري طَلْعَتِي ، وتقذّرَ هِيأَتِي ، وخشيَ أنْ أعديبهُ بسوءِ
 حالتي ، وقد قال عليه السلام : « لا عَدُوِي » ، وقال : « فمن أعدي
 الأول » ، وإن اعترض علينا بحدِيثه الآخر : « لا يُورَدَنَّ مُجْرِبٌ على
 مُصِحِّحٍ » ، ودفعنا من صحيح التّأويل ، وأوضح الأقاويل ، بما لا مدْفَع
 فيه ، مما أنت أعلمُ به وأذْكَرُ له . وأمّا الازدراء والانتخاء ، والتقدّر
 والتعذّر ، مع علمك بالحال وأولها ، وتمكنها وتأثّلها ، وبحال الأيام وتقلّبها ،
 وتعاوُرِ أقطارها وتناوبها ، ومع ذكرك قولهم : « ليست العزّة في حُسْنِ
 البزّة » وقول من قال : « ليست العبادةُ تكلمكَ إنما يكلمك من فيها » ،
 وقول بعضهم ٢ :

ليس الجمالُ بمتمزّرٍ فاعلم وان رُدّيتَ بردا
 إن الجمالَ مآثرٌ ومناقبٌ أورثَ حمداً

وقول غيره :

وفضل الناس في الأنفسِ ليس الفضلُ في المالِ

فشيءٌ خرّقتَ به عادةَ أمثالك ، وخالفتَ فيه سيرةَ نظرائك وأشكالك ،
 وكفى بالمثل المضروب بفرحة الأديب بالأديب ، وقولهم : « الأدبُ بين
 أهله نسب » ، وقول الطائي الأكبر ٣ :

١ شمر : قلص ؛ ولعل الصواب : وأشمت أنفك ، وذلك كناية عن الكبر .

٢ هو عمرو بن معد يكرب ، انظر الحماسية : ٣٤ .

٣ ديوان أبي تمام ١ : ٤٠٧ .

إن نفرق نسباً يؤلفُ بيننا أدبُ أقمناه مقامَ الوالدِ

وقول الأصغر^١ :

ان كنتَ من فارسٍ في بيتِ سؤدها وكنتُ في بَحْرٍ في البيتِ والحسبِ^٢
فلم يَضِرْنَا تنائي المنصبين وقد رُحْنَا نسيبين في علمٍ وفي أدبِ

وإن كنتُ أكثرُ الاعتزاءِ إلى النسبِ الكريمِ ، وأعتدُّ من أهلهِ في
الصميمِ ، وأزاحمهم بمنكبِ واهنِ ضعيفِ ، وأمتُ إليهم بسببِ سَحِيلِ
سخيفِ ، ثم أرجعُ عندَ الامتحانِ ، وإلتي منكم كِلالُ السَّقْبِ من ولدِ الأتانِ^٣ ،
فقد قال عليه السلام : « من كثرَ سوادِ قومٍ فهو منهم » ، وعسى أن يبدوَ
لي ما يستنكرُ ويستكثرُ لمثلي ، فأكونَ عباسَ بنِ الأحنفِ ويكونَ كبشَّارَ ،
إذ يقولُ^٤ : « ما زال غلامٌ من بني حنيفةٍ يُدخِلُ نفسه فينا ويخرجها حتى
قال :

١ ديوان البحري : ٢٥٤ .

٢ الديوان : ان كان من فارس . . . طيء . . . في الحسب .

٣ خلط هنا بين بيتين أحدهما لحسان (ديوانه : ٣٩٤ والحيوان ٤ : ٣٦٠) وهو :

لممرك إن إلك من قريش كإل السقب من رأل النمام

والثاني هو قول الشاعر :

وأشهد أن رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الأتان

وهذا البيت الثاني يروى لميد الرحمن بن الحكم (الحيوان ١ : ١٤٦ ، ٧ : ٧٣

والخزائة ٢ : ٥١٨) كما ينسب لابن مفرغ (الشعر والشعراء : ٢٧٩ ووفيات الأعيان

(٣٥٠ : ٦

٤ انظر الأغاني ٥ : ١٩٣ .

نزف البكاءُ دموعَ عينك فاستعزُ عيناً لغيرك دَمْعُهَا مِدْرَارُ
من ذا يُعبركَ عينهُ تبكي بها أرايتَ عيناً للبكاءِ تُعار

فتتصلَ حينئذِ رَحِيمٌ لا تُخْفَى ، وتحصلَ قرابةٌ لا تُجْفَى ؛ وإن
كنتَ نكرتَ ما نكرتهُ ، ونظرتَ ما نظرتَه ، من ابتدائك بالتسأل والتكليم ،
وترفعتي إياك ما لا أدعِيه فضلاً عن أن أقتضيه من الترفيع والتقديم ، بخمولي
ونباهتك ، وذليّ وعزّتك ، وبُعدي عن بلدي وعددي ، وكوني في طينتك
ومدينتك ، وبين قبيلتك وفصيلتك ، وجبرتك وعشيرتك ، وحاشيتك
وغاشيتك ، وصنائعك وتوابعك ، فقد قال ابن عباس ، رضي الله عنه : « إن
لكلِّ داخلٍ دهشةً فابدأه بالتحية » ، وإذا أطلق الحكم بهذا للبعيد والقريب ،
فما ظنُّكَ بالغريب مثلي المنكوب ؟ !

ونتركُ ما استمرَّ إلى هلمَّ جرّاً ، وأطولُ به دهرأ ، فربما تلاقينا ،
وكأنا ما تراءينا ، لا كلامَ بينت شفة ، ولا إيماءَ بطرف أنملة ، واللومُ
في هذا كله يسقطُ عني ، كما يضيقُ العذرُ عنك ، بقضيةِ سنّةِ الإسلام
في السلام ، في أني ألقاك راكباً وأنا ماشٍ ، وأنت بحمد الله طائر ، وأنا
— ولا كفران بالله — واقع [١٤٢ أ] وعلى الطائر أن يغشى أخاه . وإن طمح
بك ، وحطَّ من قدرِي عندك ، إدبارُ الأمرِ عني وإقبالهُ عليك ، ففيها ما
فيها ، وما أرضاها لكَ طريقةً ، فالكريمُ يُجلُّ الكرام ، وإن قلتَ : إني
أدعو إلى مباعدي ، وأبعثُ على مقاطعتي ، باستبهام خُلُقي ، وإظلام أفُقي ،
وثقل حواسي ، وقلَّة استثناسي ، فهذا من لم تغره رقة الحضر اللطيف^٢ ، وقد

١ ط د : مثل .

٢ ط : تقده رقة اللطيف .

قال عليه السلام: « من بدا جفا » . على أنني أتكبر على المتكبرين ، ولا ألين لمن لا يبتغي ليني^١ ، ولولا أن يدال القربُ بالبعد ، دون أن يقع عتبٌ ويشرع وداد ، ويكشف يوماً على هذا التهاجر الغريب . والتنافر العجيب . ولا يعرف من الظالم منّا من المظلوم ، ولا من المحكوم عليه من المحكوم له . لأضربتُ عنها صفحاً ، وطويتُ دونها كشحاً : ولسدتُ عليها أذني ، وسايرتها ساحباً رستي ، ولقد لقيتُ بعدُ فلاناً فذكر بصفاتك ، وأنى باتساع آدابك وكثرة أدواتك ، وسألني عن الخلة ، وأشار إلى هذه السمة بيننا والوصلة . فقلت : لا خلة ولا خلل ، ولا وصلة ولا اتصال . فكأنه أنكر ذلك : وهذا هو الذي أثار من هذا الكتاب ، ما لم يكن في الحساب ، ودونكه هراءً غثاً ، وهباءً منبثاً . وهاك إليه^٢ ما يوازيه^٣ عن الموازنة والمقاربة لوماً ودقة .
وركاكة لا رقة :

أبا أيوبَ والأيامُ لا تبقى على حالٍ
وأصبحتُ مقللاً رهناً إذلالٍ وإقلالٍ
لئن رحمتَ رخيَّ البالِ ذا جاهٍ وذا مالٍ
ومركوبٍ وغاشيةٍ وأكمامٍ وأذبالٍ
فإنكَ حدُّ أشكالي وأشباهي وأمثالي
بحكمِ الأدبِ العالِيِّ الحنيفِ المونقِ الحالي
ولكني أنا التالي وأنت السابقُ العالِي

١ من قول ذي الأصبح العدواني (شرح ابن الأنباري : ٣٢٥ ، المفضلية : ٣١) :
لا يخرج الكره مني غير مأبية ولا ألين لمن لا يبتغي ليني
٢ وهاك إليه : سقطت من ط .
٣ ط : يوازيه ؛ د : يوارثه .

فكم خيَّمتَ من قلبي بدارٍ منك محلال
وقد كان التلاقي من أمانِيٍّ وآمالي
فلما أن تلاقينا على ما قد تصدَّى لي
فلم تبدأ بتسليمٍ ولم تنشطُ لتسالي
كما يلزمُ أمثالكَ تأنيساً لأمثالي
تَقاصَلتْنا على الحين وكلُّ ذاهلٍ سالي
ولولا طيبُ نفسٍ قلتُ كلُّ شائءٍ قالي
وقد كنَّا كما أنتم ولا بأسَ على حال
وقد يُعقَّبُ وادي القوم خصباً بعد إجحال

وكأني بك قد قلتَ عند تصفح هذه الرقعة : هذان حمارا العبادي كُسيَّرٌ
وَعَوِيَّرٌ ، وكلُّ غير خير^١ ، ثم ثبتت بقولهم : « مَنْ يَسْمَعُ يَخَلُّ »^٢ ،
وثلثت بقول من يسمع :

سبكتاه ونحسبُهُ بلحينا فأبدي الكيرُ عن خببَت الحديد^٣

فمهلاً : فمن أنباكَ أني أتشبعُ بما لا أملك ، فأقول : مَنْ عبدُ الحميد
وابن العميد ، ومن الوليد وابن الوليد ، لاها الله !! إني لأرعبُ على ظلمي
وأعلمُ قصرَ باعي ، ولا أجهل سقوطَ بضاعتي ، وهل غيرُ الفاظٍ لفقتها

١ انظر المثل في جمهرة السكري ٢ : ١٥١ (تحقيق أبو الفضل) والفاخر : ١٧٨ والسان
(دور) ، ومثل العبادي عن حمارين له أيهما أردأ فقال : هذا ثم هذا .
٢ المثل في فصل المقال : ٤١٢ والميداني ٢ : ١٦٩ والسكري ٢ : ٢٦٣ (تحقيق أبو الفضل) .
٣ التمثيل والمحاضرة : ٢٨٨ (دون نسبة) .

بمبلغ علمي ، عبّرتُ بها عن ذات نفسي ؛ وأما إن سُمّيتني في هذا الباب
مدّآك ، ورمت مني ما لا يتعاطاه سواك ، فمن للسُّها بتمام القمَر ، ومن
للدّادي بأنوار العُشْرَا وأوضح الغُرْر ؟ ! فأرشدنا ، أكرمك الله ،
وسدّ دنا ، يرحمك الله .

وانفح علينا من كلامك نفحةً إن كانت الأخلاقُ مما توهبُ

وبعد فاني :

أناقشكم ووراءَ النقاش أنفُ العَلوقِ ورثمانه^٢
وأهجركم هَجْرَ مُستعْتَبٍ وكم وامقٍ طالَ هجرانهُ

وكُلِّفَ مخاطبةَ عروسٍ فكتب رقعةً قال فيها^٣: الكلفةُ بيننا - أعزّك
الله - جدُّ ساقطة ، والحال الجامعةُ لنا في أقصى حدِّ المؤانسةِ والمباسطة ،
فلا نُكْثِرُ أن نثباتَ السرِّ المحجَّب ، ولا غرّوهُ أن نتكاشفَ المغيَّب ، واتصل
بي دخولُك بعقيلة أترابها ، وبيضة خدرها وربّة محرابها ، تشاطرُك نَسْلُك ،

١ الدّادي : ليالي أواخر الشهر ، والعشر : ثلاث من ليالي الشهر بعد التسع ، وفي ط د س : ومن
لروادي

٢ أراه أخذهُ من قول الشاعر (السان : رثم ، والخزانة ٤ : ٤٥٥) :
أم كيف ينفع ما تعطي العلوق به رثمان أنف إذا ما ضن بالبن
والعلوق التي لا ترأم ولدها ولا تدر عليه ، والرثمان : عطفها ومحبتها ، وهذا البيت
مثل يضرب لكل من يمد بلسانه كل جميل ولا يفعله لأن قلبه منطو على ضده .

٣ وردت الرسالة في المعطاء الجزيل : ١١٢ .

٤ ط د : السحر .

٥ من والمعطاء : ولا عجب .

كما شاطرتك أصلتك ، التي [١٤٢ ب] لم تكن تصلحُ إلا لها ولم تكن تصلحُ إلا لك ، فخذمتك بالنية ، وحضرتك على بعد المشقة وتقاذف الطيبة ، وسألتُ الله أن يبارك لك وبارك عليك ، ويجمع بينكما في خير وعافية ، على أسعد أجدد وأيمن الطير إلى آخر القافية ؛ ثم ترقبتُ كتابك مؤدعاً من وصف حالك ، ما ينيء فحواه عن اجتماع شملك ونعمة بالك ، فرابنى التواؤه ، وقَدَحَ في نشاطي توقفه وإبطاؤه ، وتسَلَطَت عليّ الظنون ، وخفتُ ما عسى أن لا يكون ، وساءني أن أستمطر من الأمل جهاماً ، وأستنصر^٢ لدى ذلك العمل كهاماً ، ويجيد صاحبك معرّداً^٣ عن المناجزة ، [لائداً بالمحاجة] منقطعاً في موضع الحجج^٤ ، مُبْدِعاً به^٥ عند مُسْتَقْبَلٍ^٦ مفرقٍ الطريق ولتقم المنهج :

تريدُ جواً ويريدُ برّاً كأنما أسعطَ شيئاً مرّاً

ثم قلت : لعله قد حظي بما جُنِيَ له ، فافتح الحصن الذي نازله قسراً ، وتخالله كيف شاء مجالاً ومكرراً^٨ ، وأفضى به انصداعُ ما صدعه إلى

١ ط د : ولا .

٢ ط : ويستنصر .

٣ العطاء : مفرداً .

٤ زيادة من العطاء الجزيل .

٥ ط د : الحجج .

٦ مبدع به : مخدول منقطع .

٧ العطاء : عندما استقبل .

٨ ط : وأكدا ؛ د : وكدا ، وأثبت ما في س والعطاء .

التثام ، وانشعابُ ما شَعَبَهُ إلى انتظامٍ والتحامٍ ، وَلُهْيَا^١ بتوابع هذه الحال التي هي أخت^٢ الامرة ، وجامعةُ أفانينِ المسرةِ ، عن صديقٍ يصله بكتابٍ إليه يعلمه ، وإن يكن ذلك فهناك ، وظَفِرَتْ يداك ، وإن يكن ما عداه ، ويكفي الله ، فمعَ اليومِ غدٌ ، وفي اللَّسَمِ خلالَ ذلك متعلِّلٌ^٣ ، ثم لا يشغل عن الكتابِ جدَلٌ ، ولا يحولُ دونه حَجَلٌ .

جوابها من إنشائه أيضاً^٤ : الكلامُ مأثورٌ ، والإفراطُ في الانبساطِ حِجْرٌ محجورٌ ، وقديماً جَرَّ على أهليه ، وأثار عليهم التقاطعَ من مجامعهم وأبرزه من مطاويه ، فسبيل ما وردني الآن كتابك المقتحِمُ هذا الباب المتحامى ، إلا أن ما عولت عليه ، وأسندت إليه ، من تمكُّنِ الألفةِ ، وارتفاعِ الكلفةِ ، سوَّغَ بعضَ المغزى . وقد وقفتُ على مَقْطَعِهِ ، وعجبتُ من التفرغِ لمودعته ، فلئن كنتَ مندراً فليخفَ وَقْعُكَ^٥ ، أو حذرْ رَأْيَ الحقيقةِ فليُفْرَخِ رَوْعُكَ ، فالحدُّ بحمدِ الله ماضٍ ، وكلا الفريقين راضٍ ، على عُنْفِ التقاضي ، ثم لا بأسَ ولا إبلاسَ لو عرَّتْ نبوة ، وعرَّضَتْ^٦ دونَ المرامِ كبوة ، فربما خان الثقاتُ ، في بعضِ الأوقات :

١ س : والتهى .

٢ أخت : سقطت من س .

٣ ط د : متقلد .

٤ وردت في العطاء الجزيل : ١١٣ .

٥ العطاء : فان .

٦ ط : فلخف رقمك .

٧ العطاء : وعدت .

وسيف بني عبسٍ وقد كان صارماً نبا بيدي ورقاءٍ عن رأسِ خالدٍ^١

وأرجع^٢ فأقول بحكمِ الحالِ ، وعلى شرطِ الاستنامةِ والاسترمالِ :
لله أخوك ، الذي لا فرق عندك ما بين ما يعروه ويعروك ، فلقد افترَّ عن
بازل ، وجردَ عن قاصل^٣ ، وزمى بلا أفوقَ ناصل ، ولو لقيت أعداءك
بمثلِ صاحبه مضاءً وإقداماً ، وتسرعاً واستقداماً :

طَعَنَتْهُمْ سُلُوكِي وَمَخْلُوجَةٌ لَقَيْتَكَ لَامِينَ عَلَى نَابِلٍ^٤

قال ابن بسّام : وينظر من معنى هذا الخطاب والجواب أبياتٌ خاطب بها
بعض أهلِ عصرنا أحدَ إخوانه وقد ابنتى بزوجة ، قال فيها ، وضمن
بيتَ ابنِ حجّاج :

أبا بكر اسمعها وراجع مؤنساً ولو بقسيمٍ أو بمصرعٍ قافيه
فإنا دخلنا بالفتاة ولم يكن هنالك واشٍ غير مسكٍ وغاليه
وكنّا رجونا وصلّ الأسبوع كلّه لننعم فيه فابتلينا بداهيه
ببيضٍ تمادى فامتنعت لحرمني فدمعة أيري فوق خصييه جاريه
« إذا لم يكن للأير بختٌ تعذرت عليه وجوه النيك من كل ناحيه »

١ البيت لفرزدق يقوله متذراً عن نبو ضربته حين أمره سليمان بن عبد الملك بقتل أحد الأسي
(انظر شرح النقائض : ٣٨٣ - ٣٨٤) وورقاء هو ابن زهير بن جذيمة العبسي ، ضرب
خالد بن جعفر ، وخالد مكب على أبيه زهير ، فلم يصنع سيف ورقاء شيئاً ، وانظر ثمار
القلوب : ٢٢٠ - ٢٢٢ .

٢ س : وأنا أرجع .

٣ ط : فاضل .

٤ البيت لامرئ القيس (ديوانه : ١٢٠) وروايته : نعلمهم .

قال فأجابه الآخر بهذه الأبيات : [١٤٣]

لك الخير لا تعجل فإنك مُقْسَمٌ وفي الليل ما تسريه إن كنت ساريه
طعنت الفتاة البكر طعنةً نائراً بمثل ذراع البكر شدةً بأخيه
حسبت النجيجَ القانيءَ اللونَ حنيضةً وما كان إلا العودَ في الحينِ ثانيه
غدوتَ على شكلٍ تدانت طبوقه^١ فباعدتَ من أقطاره المتدانيه
ولو كنتَ من أهلِ المساحةِ لم تدعُ مكسرةً أضلاعه المتساويه
ولكنْ له قُطْرٌ يقوم مقامه هو الشكل إلا أنه منه زاويه
وإن لم يكن إلا الذي كان فاتتدُ فإنك باقٍ عندها وهي باقيه

ومن شعر أبي بكر بن قزمان مما أنشدنيه لنفسه ، قوله^٢ .

ركبوا السيولَ من الخيولِ وركبوا فوق العوالي السمرِ زرقَ نطافِ
واستودعوا الخللَ الجداولَ واصطفوا بيضَ الرؤوس من الحباب الطافي
وتجللوا الغدرانَ من ماذيهم مرتجةً إلا على الأكتاف

وأنشدني أيضاً لنفسه :

قلت للعينِ حين أذرتَ على الخدِّ دموعاً لا تستفيق^٣ انهمالا
جزعاً من صلودِ أجورِكم حبيرَ بالاً وكم جنى بلبالا
لا ترومي مثالَ ما لن تنالي^٤ والمحيه كما رأيتِ الهللا

١ س : شخوصه .

٢ منها بيتان في القلائد والحريدة ٣ : ٤٦٦ والمغرب والنفح .

٣ س : ما تستين .

٤ ط : أن تنالا .

فأجابتُ لقد أحلتَ مثلاً^١ هو أنأى من الهلالِ منالاً
إن بدرَ السماءِ يطلع للأبصارِ مُمنىً ومُصباحاً وزوالاً
وإذا ما استسرَّ آبَ وقد ذابَ اكتاباً من أن يُغبَّ وصالاً
وهوَ البدرُ قد أجدَّ ملالاً واجتناباً كما أجدَّ كمالاً
يتوارى من العيونِ نهراً ومع الليل لا يزور خيالاً

وأشدني له أيضاً :

لا تظمننَّ إلى أحدنَّ وأحذر وشمرنَّ واستعدنَّ
فالكلنَّ كلبنَّ مؤسدنَّ إلا إذا وجدوا أسدنَّ

في ذكر الأديب أبي زيد عبد الرحمن بن مَقَنَا الأشبوني^١

من شعراءِ غربنا المشاهير ، وله شعرٌ يُعربُ عن أدبِ غزير ، تصرفَ
فيه تصرفَ المطبوعين المجيدين ، في عنقوان شبابه وابتداء حاله ، ثم تراجع
طبَّعهُ عند اكتهااله .

أخبرني الوزير الفقيه أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الفهري^٢ المقتول بالأشبونة

١ له ترجمة في الجذوة : ٢٦٠ (بغية الملتصم رقم : ١٠٤٤) والمغرب ١ : ٤١٣ والرايات :
٦٢ (٣٣ غ) وأشار في النفع ١ : ٢١٤ إلى مدحه إدريس بن يحيى الحمودي صاحب
مالقة ، وأورد قصيدته النونية في مدح ادريس ١ : ٤٣٣ وذكر في ٣ : ٢٦٤ اجتماعه
مع ابن الشقاق عند ابن دري ببيان (وانظر أيضاً مسالك الأبصار ١١ : ٤٣٨ وبدائع البداهة :
٣٦٥ - ٣٦٦) وابن الشقاق هذا هو المنفلت ، وقد مرت ترجمته في القسم الأول ص : ٧٥٤ .
٢ قد مرت الإشارة إلى قتله في هذا القسم ص : ٣٧٨ والقسم الثالث ص : ٧٥٤ .

— رفع الله منزلته ، وقتل قَتَلَتَهُ — قال : كان أبو زيد بن مقانا قد انصرف شيخاً إلى وطنه عندنا ، بعد أن جال أقطارَ الأندلس على رؤساء الجزيرة ، قال : فمررت به يوماً بقريته التي تدعى بالقبذاق^١ من ساحل شِنْتَرَةَ^٢ ، ويده مزبرة^٣ ، فلما رأته ملت إليه ومال إليّ ، وأخذ يدي [١٤٣ ب] وجلسنا ننظر في حَرَاثٍ يحرثُ بين يديه ، فاستنشدته فأنشدني ارتجالاً لوقته :

أيا عامرَ القبذاقِ لا تخلُ من زرعِ	ومن بَصَلِ نزرٍ وشيءٍ من القسْعِ
وإن كنتَ ذا عزمٍ فلا بدَّ من رحيٍّ	سحائيةٍ لا تستمدُّ من النبعِ
فما أرضُ قبذاقٍ وإن جادَ عامها	بموفيةٍ عشرين من حزمِ الزرعِ
وإن أنجبتَ شيئاً وزادت تواترتُ	إليها خنازيرُ المفاوزِ في جمعِ
بها قلّةٌ من كلِّ خيرٍ ونفْعَةٍ	كقلّةٍ ما تدري لديّ من السمعِ
تركتُ الملوكَ الخالعينَ برُودهمُ	عليّ وسيري في المواكبِ والنقعِ
وأصبحتُ في قبذاقٍ أحصدُ شوكتها	بمزبرةٍ رعشاءَ نايبةٍ القطعِ
فإن قيل تهجوها وأنت تحبها	فقلْ إنَّ حُبَّ الخلِّ من شرفِ الطبعِ
وحبُّ أبي بكرٍ المظفرِ قادني	وإحسانُهُ حتى انصرفتُ إلى ربي

وهذا من الشعر النازل البارد ، عند ما له من القصائد القلائد . ووصف

١ في د : الفيذاق ، وفي ط : القيداق ، الفنداق ، وفي س : القيزان ؛ العيران ، القيدان ، وقد أثبتتها محقق المغرب (١ : ٤١٣) « القبذاق » .
٢ شِنْتَرَةَ (Cintra) من مدن البرتغال (الروض المطار رقم : ١٠٢) .
٣ المزبرة : المنجل ، أو المنجل الصغير (ملحق دوزي) .
٤ ط : قلت .

نفسه بقلّة السمع ، لأنه كان كما زعموا كذلك . وهو القائل من جملة
أبيات :

سمعتُ الكَنَكَّ^١ يصرُخُ في الربيعِ على ما بي من الصَّمَمِ الطبيعي

جملة من شعره في أوصاف شتى

من ذلك من قصيدة في مندر بن يحيى صاحب سرقسطة :

لمن طَلَلٌ دارسٌ باللوى	كحاشية البردِ أو كالردا
رمادٌ ونؤيٌّ ككُحْلِ العروسِ	ورسمٌ كجسمِ براهُ الهوى
غداً موسماً لوفودِ البلى	وراحٍ مراحاً لسرْبِ المها
عجبتُ لطيفِ خيالِ سرى	من السِّدْرِ أنَّى إليَّ اهتدى
وكيف تجاوزَ جَوَزَ الحجازِ	وَجَوَزَ ^٢ الخميسِ وسدَرَ المنى
ولم يثنه حرٌّ نارِ الضلوعِ	وبجرُّ الدموعِ وريحُ النوى
فذكرَ أيامَنَا بالعقيقِ	وليلتنا بهضابِ الحمى
وقولي وصيفي بالمنصقيين	وقد نقش ^٣ الصبحُ ثوبَ الدجى
أسرَبُ العذارى بسقطِ اللوى	مشى الخيزلى أم نجومُ السما
برزنَ لنا عاطراتِ البليوبِ	ينازِعنَ في الحُسنِ شمسَ الضحى

١ لعله يريد الكنكلة وهي آلة موسيقية (ملحق دوزي) ، أو الجنك (وجيمه وكافه صجيتان)

ويطلق على الدف الذي يضرب به ، ثم عرب بالميم والكاف العربيتين ، وفي س : الكد .

٢ س : حوز البحار وحوز .

٣ ط : نفس ؛ س : نفس .

خماصَ البطونَ مراضَ الجفونَ
لدانَ القلودَ حسانَ الخدودَ
عذابَ الثغورَ لطافَ الخصورَ
مشينَ الهوينا ووادى الخزامى
فما زلنَ يرفُفنَ حتى إذا
أقمنَ الشعورَ مقامَ الرُدا
صغارَ النهودَ طوالَ الطللى
خفافَ الصدورِ ثقالَ الخطى
يودُ من البشرِ أنْ لو مشى
عقدنَ لواءَ الهوى باللوى

وفيها يقول :

وقد أغتدي في سبيل العلا
بهم بذي همة نازح
كأنَّ فوادي بوادي الغضا
كأنَّ عقائلَ برقٍ^٢ الدجى
ويهدأ طوراً كغمزِ العيونِ
إذا قلقلَ الرعدُ من فوقه^٣
كأنَّ السحابَ في سَيْرِها
نجيبٌ نجيبٌ إذا استُصْرِخَتْ
ففى يقرعُ النبعَ بالنبعِ لا
لو الفلَّكُ انخرَ من فوقه
حَمولٌ لأعباءِ هذا الزمانِ
بذي مَيْعَةٍ من نِتاجِ الصِّبا [١٤٤أ]
براه السرى مثلَ بري الطِّبا
وقلبَ الدليلِ جناحُ القطا
خلالَ الحبيِّ بريقُ الطِّبا
فيلتاعُ من لوعتي ما هدا
تقلقلَ قلبي له والحشا
بنودُ المظفرِ يومَ الوغى
وفارسُها البطلُ المنتهى
جبانَ الجنانِ ولا مزدهى
عليه بأقطاره ما شكا
ولا يرهبُ الموتَ عندَ اللقا

١ سقط البيت من ط د .

٢ د : بدر .

٣ س : في برقه .

إذا سار يحيى إلى غارة فويل* لأعدائه أينما
بجيشين : جيش يهد الرئي وجيش يظلمه في هوا
مطاعمها من شغاف القلوب ومشربها من نجيع الدما
إليك ابن منذر المنتقمى قرعت يد الخطب قرع العصا
فقال مناديك لي مرحباً وقالت أياديك لي حبدا
دعوت فأسمعت بالمرهفات صم الأعادي وصم الصفا
وشمت سيوفك في جلتى فشامت خراسان منها الحيا

قال ابن بسام : جلتى واد بشرق الأندلس ، فكذبة أبي زيد في هذا
البيت أشنع من كذبة مهلهل في قوله ٢ :

فلولا الريح أسمع أهل حجر صليل البيض تُقرع بالذكور

وخرج أبو زيد يوماً من بلنسية إلى طرطوشة ليلقى صاحبها مقاتلاً^٣ الفتي ،
فلما ورد عليها ، مُنع الجواز ، فكتب إلى مقاتل :

إن كان واديك نيلاً لا يُجازُ به فما لنا قد حرّمنا النيّل والنيلا
إن كان ذنبي خروجي من بلنسية فما كفرت ولا بدلتُ تبديلا
« هي المقادير تجري في أعنتها » ليقضي الله أمراً كان مفعولا

١ ط : واينما .

٢ الأغاني ٥ : ٣٥ .

٣ ط د : مقاتل ، ومقاتل خلف لبيباً الفتي في رياضة طرطوشة وتسمى بسيف الملة ، وكان عنده
من المال والكتاب ما لم يكن عند غيره ؛ ولما توفي ولي طرطوشة الفتي نبيل ، وفي سنة ٤٥٢
خرج عنها وأسلمها للمقتدر بن هود (البيان المغرب ٣ : ٢٢٤ . ٢٥٠) .

وله القصيدة المشهورة في ابن حمود يتداول القوالون أكثر أبياتها ، لعدوية
ألفاظها وسلاستها وهي التي أولها ١ :

أَلْبِرْقِ لَانِحٍ مِنْ أَنْدَرِينَ ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ بِالْمَاءِ ٢ الْمَعِينِ
لَعَبْتُ أَسْيَافَهُ عَارِيَةً كَمَخَارِقَ بِأَيْدِي اللَّاعِبِينَ
وَلصوتِ الرعدِ زَجْرٌ وَحِينِ وَلِقَلْبِي زَفَرَاتٌ وَأَنْيُنِ
وَأُنَادِي ٣ فِي الدُّجَى عَاذِلِي وَبِكَ لَا أَسْمَعُ قَوْلَ الْعَاذِلِينَ
عَيَّرْتَنِي بِسِقَامٍ وَضَنَى إِنَّ هَدِينُ لَتَزِينُ الْعَاشِقِينَ

ومنها : [١٤٤ ب]

قَدْ بَدَأَ لِي وَضَحُ الصَّبْحِ الْمَبِينِ فَاسْقِنِيهَا قَبْلَ تَكْبِيرِ الْأَذِينِ
سَقْتِيهَا مِزَّةً صَافِيَةً عَتَّقْتَهُ فِي دَنْهَا بَضْعَ سَنِينِ ٥
نَثَرَ الْمَرْجُ عَلَى مَفْرَقِهَا دُرَّراً عَامَتْ فَعَادَتُ كَالْبُرِينِ
مَعَ فَتْيَانِ كِرَامٍ نُجِبِ يَتَهَادَوْنَ رِيَاحِينَ الْمَجُونِ
وَعَلَيْهِمْ زَاجِرٌ مِنْ حِلْمِهِمْ وَلَدَيْهِمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنِ
شَرَبُوا الرَّاحَ عَلَى خَدِّ قِي ٦ نَوَّرَ الْوَرْدُ بِهِ وَالْيَاسْمِينَ

١ انظر أبياتاً منها في النفع ١ : ٤٣٣ والمغرب والمسالك والرايات ومنها بيتان في الواني

للرندي : ١١٠ .

٢ المغرب : بالدمع .

٣ النفع : وأناجي .

٤ النفع والمغرب : مشمولة لبثت .

٥ سقط هذا البيت من س .

٦ المغرب والنفع والرايات : رشا .

رَجَلَتْ دَائِبُهُ^١ عَامِدَةً
 لَوَتْ الصُّدُغَ عَلَى حَاجِبِهِ
 فَتَرَى غَضِنًا عَلَى دِعْصٍ نَقَاً
 وَيُسْقَمُونَ إِذَا مَا شَرَبُوا
 وَمَصَابِيحُ الدَّجَى قَدْ أَطْفِئَتْ
 وَكَأَنَّ الظِّلَّ مَسَكٌ فِي الثَّرَى
 وَالنَّدَى يَقَطُرُ مِنْ نَرَجِسِهِ
 وَالثَّرِيَا قَدْ عَكَتْ فِي أَفْقِهَا
 وَانْبَرَى جُنْحُ الدَّجَى عَنْ أَفْقِهِ
 وَكَأَنَّ الشَّمْسَ لَمَّا أَشْرَقَتْ
 وَجْهٌ لِإِدْرِيسَ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ
 خَطَّ بِالْمَسْكَ عَلَى أَبْوَابِهِ
 وَيُنَادِي الْجُودَ فِي آفَاقِهِ
 نَلِكٌ ذُو هَيْبَةٍ لَكِنَّهُ
 وَإِذَا مَا رُفِعَتْ رَايَتُهُ
 وَإِذَا أَشْكَلَ خَطْبُ مُعْضِلٍ
 وَإِذَا رَاهَنَ فِي السَّبْتِ أُنَى

سَبَّحَ الشَّعْرَ عَلَى عَاجِ الجَبِينِ
 ضَمَّةَ اللّامِ عَلَى عَطْفَةِ نُونِ
 وَتَرَى لَيْلًا^٢ عَلَى صُبْحِ مَبِينِ
 بِأَبَارِيقِ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينِ
 فِي بَقَايَا مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ جُونِ
 وَكَأَنَّ النَّوْرَ^٣ دُرٌّ فِي الْغُصُونِ
 كَدَمُوعٍ أَسْبَلْتَهُنَّ الْجَفُونِ
 كَقَضِيبِ زَاهِرٍ مِنْ يَاسْمِينِ
 كَغَرَابِ طَارَ عَنْ بَيْضِ كَنِينِ
 فَانْتَبَتْ عَنْهَا عَيُونُ النَّاطِرِينَ
 بِنِ حَمُودِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 ادْخَلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ
 يَمْتَمُوا قَصْرَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ
 خَاشِعٌ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 خَفَقَتْ بَيْنَ جَنَاحِي جَبْرَائِيلِ
 صَدَعُ الشُّكِّ بِمَصْبَاحِ الْيَقِينِ
 وَيُحْمِنَاهُ^٤ أَوَاءُ السَّابِقِينَ

١. المغرب : دَائِبَتُهُ : الرايات : وجلت آياته (وهو خطأ) .

٢. الرايات : قَانِئِي : ويبدأ ليل .

٣. النفع : الظل .

٤. الرايات : هَوَتْ مِنْ أَفْقِهَا .

٥. الرايات : صَبَحَهُ

يا بني أحمدَ يا خيرَ الوري لأبيكم^١ كان رفاً المسلمين
نزل الوحي عليه فاحتبي في الدجى فوقهم^٢ الروح الأمين
خلقوا من ماءِ عدلٍ وتقى^٣ وجميع الناس من ماءٍ وطين
انظرونا نقبَس^٤ من نوركم إنه من نورِ ربِّ العالمين

قوله : « والندى يقطر من نرجسه » . . . البيت ، أخذه من قول ابن
الرومي ، ونقص منه وقصر عنه حيث يقول^٥ :

كأنَّ تلكَ الدموعَ قَطَرُ ندىٍ يقطرُ من نرجسٍ على ورد

وقوله : « وانبرى جنح الدجى » . . . البيت ، مأخوذ من قول يزيد
ابن الطرية^٦ حين حلق أخوه لمتته فقال^٧ : [١٤٥ أ]

وغودر رأسي كالصُخيرةِ أشرفتُ عليها عِقَابٌ ثم طارت عِقَابُها

وقوله : « وإذا ما رفعت رأيتَه » . . . البيت ، حسد ابن هانيء في
هذيانه ، وتقبَّله^٨ حيث يقول في خذلانه^٩ :

١ النفع : وفد .

٢ ديوان ابن الرومي ٢ : ٧٦٧ والمختار : ٢٤٥ وزهر الآداب : ٥٣٠ .

٣ هو يزيد بن سلمة بن سمرة بن عامر بن صمصمة يعرف بابن الطرية ، كان شاعراً مطبوعاً
من شعراء العصر الأموي ، وقد جمع شعره أبو الفرج الأصفهاني والطوسي ، وقتل مع الوليد
بن يزيد سنة ١٢٦ (ابن خلكان ٦ : ٣٦٧ والشعر والشعراء ٣٤٠ والأغاني ٨ : ١٥٧
والسمط : ١٠٣) .

٤ الأغاني ٨ : ١٨١ .

٥ ديوان ابن هانيء : ١١٩ .

أمديرها من حيث دار لظالما زاحمت تحت ركابه جبريلا

وقوله في صفة الثريا : « كقضيبي زاهري من ياسمين » من أحسن ما سمعته في تشبيه الثريا مجرداً ، وإن كان قد تقدم في تقسيم التشبيه وأحسن ما شاء فيه حيث يقول :

في الغرب كأس* وفي مطالعها قرط* وفي أوسط السما قدم*
وقد قال الناس في الثريا فأكثروا ، وأول من سمع له في ذلك الملك الضليل ، حيث يقول ١ :

إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل
وقد قيل : إن الثريا لا تعرض ، وإنما تعرض الجوزاء ، ولم تتزن له ، أو وهم ، وقال ذو الرمة ٢ :

قطعت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء محلق
وقال أيضاً ٣ :

أقامت به حتى ذوى العود في الثرى وساق الثريا في ملاءته الفجر

١ ديوانه : ١٤ ومغني السكري ١ : ٣٣٤ وتشبيهات ابن أبي عون : ٤ والأزمنة والأمكنة

٢ : ٢٣٤ .

٢ ديوانه ١ : ٤٩٠ والأنواء : ٤٠ والأزمنة والأمكنة ٢ : ٢٣٤ واللسان (عسف - حلق)

وتشبيهات ابن أبي عون : ٥ .

٣ ديوان ذي الرمة ١ : ٥٦١ وزهر الآداب : ٩٧٨ والأنواء : ٣٠ .

وقال التهامي^١ :

وللثريّا ركودٌ فوق أرْحُلِنَا كأنّها قطعةٌ من فروةِ الشميرِ

وقال محمد بن هاني^٢ :

وولّتْ نجومٌ للثريّا كأنّها خواتمٌ تبدو في بنانٍ يدٍ تحفني

وكرر هذا التشبيه في موضع آخر فقال^٣ :

وحتى أرى الجوزاءَ تنثرُ عقدها وتسقطُ من كفِّ الثريّا الخواتمُ

وقال آخر :

إلى أن تولّتْ والثريّا كأنّها على حلّةٍ زرقاءٍ جيبٌ مدنّرٌ

وقال ابن المعتز^٤ :

وكأنّ البدرَ لمّا لاح من تحتِ الثريّا

ملكٌ أقبلَ في تا جٍ يفتدى ويحيّا

وقال المعري^٥ :

١ ديوان التهامي : ٤٢ .

٢ ديوان ابن هانيء : ٢٣٩ .

٣ ديوان ابن هانيء : ٢٨٨ .

٤ ديوان ابن المعتز ٣ : ١٢٣ والأوراق : ٢٠٦ - ٢٠٧ .

٥ شروح السقط : ٢١٤ - ٢١٥ .

وقد بسطت إلى الأرض^١ الثريا^١ بدأ غلقت^٢ بأنمائها الرهان^٣
كان^٤ يميته^٥ سرتك شيئا^٦ ومقطوع^٧ على السرقي البنان

ومما قيل في ذكر الثريا ، وإن لم يكن فيه صفة تشبيه ، قول الآخر^٨ :

خليلي^٩ إني للثريا لحاسد^{١٠} وإني على ريب الزمان لواجد^{١١}
أبجمع^{١٢} منها شملها وهي سبعة^{١٣} وأفقد^{١٤} من أحبته^{١٥} وهو واحد

وقال المعري^{١٦} :

والثريا رهينة^{١٧} بافراق^{١٨} الشمل^{١٩} حتى تبعده^{٢٠} في الأفراد

ولأبي زيد بن مقانا ، مما يتعلق بذكر الثريا من جملة قصيدة في مجاهد
العامري ، قال فيها^{٢١} :

ولما سقتنا من أبريقها^{٢٢} لثمنا يدتيها وخلخالها
وبتنا وباتت على ساقها تصفق^{٢٣} للشرب جريالها
كان^{٢٤} نجوم^{٢٥} الدجى روضة^{٢٦} تجر^{٢٧} بها السحب^{٢٨} أذيالها
كان^{٢٩} الثريا بها راية^{٣٠} يقود^{٣١} الموفق^{٣٢} أبطالها

١ شروح السقط : الغرب .

٢ شروح السقط : بدأ لها .

٣ هولابن طباطبا في اليتيمة ١ : ٤٢٩ وانظر سرور النفس : ١٣٩ وشروح السقط : ١٠٠١

٤ شروح السقط : ١٠٠١ .

٥ شروح السقط : باجتماع .

٦ المسالك ١١ : ٤٤٠ .

٧ س و المسالك : بابريقها .

في ذكر الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل القرشي الأشبوني^١

قال ابن بسّام : وكان يعرف عندنا بالطيطل ، ممّن نظم الدرّ المفصّل ، لا سيما في الزهد ، فإن أهل أوانه ، كانوا يشبهونه بأبي العتاهية في زمانه .

أنشدني الوزير الفقيه أبو عبد الله بن إبراهيم [١٤٥ ب] قال : أنشدني أبو الحسن الطيطل لنفسه يصف نملة^٢ :

و ذات كسح أهيف شخّنت كأنّما بولغ في التحت
زنجية تحمل أقواتها في مثل حدّي طرف الجفت^٣
كأنّما آخرها قطرة^٤ صغيرة من قاطر الزفت
أو نقطة جامدة خلفها قد سمّطت من قلم المفتي
تسري اعتسافاً ولقد تهدي في ظلّمة الليل إلى الحرّت^٤
تشتدّ في الأرض على أرجل كشعرة المخدج في التبت
تشهد أنّ الله خلّاقها رازقها في ذلك السمّت

- ١ أشبوني شقباتي الأصل ، قرأ العلم بقرطبة وأخذ عن طائفة من علمائها وأكثر من حفظ الآداب والأشعار حتى ليقال إنه حفظ شعر عشرين امرأة ، وكان مشاركاً في الحديث والفقه ، ثم مال إلى النسك والتقشف ونظم أشعاراً في الزهد ، واتخذ لنفسه رابطة في رقعة من جزة على بحيرة شقبات عرفت برابطة الطيطل ولزم بها العبادة إلى أن توفي (انظر الذيل والتكملة ٥ : ١٩٥ والجنوة : ٢٩٤ وفيها « الطيطن » والبنية رقم : ١٢١٢ والمسالك ١١ : ٤٤٠) .
- ٢ الجنوة والبنية والذيل والتكملة ٥ : ١٩٦ والمسالك .
- ٣ الجفت : قشرة رقيقة تكون بين اللب والقشر في البلوط (تحفة الأحباب : ١٣ وأمثال الزجالي رقم : ٢١٣٠) .
- ٤ الحرّت : ثقب الابرة .

سبحان مَنْ يَعْلَمُ تَسْيِيحَهَا
 فنسبتي منها لفرطِ الضنى
 كلاً ولو حاولتُ من رقة
 أرقاً من هذا وأضنى ضنى
 لكن نفسي واعتلا همتي
 ووزنها من زينة البُخْتِ
 نسبتها منه بلا كت^١
 لجلتُ بين الثوب والتخت
 رقة ذهني وضنى بجتي
 نجم ليذخت كبيذخت

وهذا من قول المتنبي^٢ :

وعزمة بعثتها همة زُحَل
 من تحتها بمحل^٣ الترب من زُحَل

وأشدني أيضاً له في الزهد :

يا غافلاً شأنه الرقادُ
 والموتُ برعاك كل حين
 فهي زادا وزد مزاداً
 إذ سَقَرُ الموتِ فيه شَحَطُ
 ما حالُ سَقَرٍ بغير زادٍ
 ضميرُ جواداً ليومٍ سَبَقِ
 أين فلانٌ وكم فلانٍ
 لا تبغِ دنيا فإن عنها
 فابن لها بالتقى بروجاً
 كأنما غيرك المرادُ
 فكيف لم يَجْفُكَ المهاد
 فقد طوى عمركَ النِّفَادُ
 والقربُ منه هو البعاد
 والأرضُ قفرٌ ولا مزاد
 مثله يُرْفَعُ الجواد
 قد غيَّبوا في الثرى فبادوا
 المؤمنُ المتقي يناد
 تأمن إذا رُوِّعَ العباد

١ الكت : الإحصاء ؛ ط د س : كفت .

٢ ديوان المتنبي : ٢٦٥ .

٣ الديوان : بمكان .

واعتبر الأرضَ كيف مُدَّتْ فهي لهذا الوري مهاد
ثم السماءَ التي أظلت قد رُفِعَتْ ما لها عماد
كما بناها بيني سواها كما بدانا كذا نُعاد

في ذكر الأديب أبي عبد الله محمد بن البين^١

أحد الشعراء المجيدين - كان - بحضرة بطليوس ، مستظرف الألفاظ والمعاني ، وكان يميل إلى طريقة محمد بن هاني ، على أن أكثر أهل وقتنا وجمهور شعراء عصرنا ، إليها يذهبون ، وعلى قلبه وجدتهم يضربون ، ومن أحسن شعر أبي عبدالله قصائده التي على حروف المعجم ، في أبي الأصبغ بن المنخر أيام استوزره المنصور يحيى بن المظفر ، [١٤٦ أ] ووصله عليها بمائة مثقال .

فصل له من نثر جعله مقدم^٢ تصنيفه ، وصدر تأليفه

قال فيه : وما اختصاصته بالثناء تشيخاً للاخاء ، ولكن لما قلتُ فيه :
تشيختُ فيه للحقائقِ والعلا وما أنا فيه للهي متشيخُ
ولقولي فيه^٣ :

١ له ترجمة في المغرب ١ : ٣٧٠ ورايات المبرزين : ٦٠ (٣١ غ) وذكر في النفع ٣ : ٤٥٣
وانظر المسالك ١١ : ٤٤٠
٢ نثر ... مقدم : سقط من ط د .
٣ المسالك ١١ : ٤٤١ .

لم أرضَ إلا فيه نظمَ بدائعٍ حَسَدَتْهُ في منظومها الأمراءُ
مالت إليه بها حقائقُ سُودِدِ لا كالذي مالتُ به الأهواءُ
أهلُ المدائحِ سالكُ في منهجِ سلكتُ به من قبله^١ الآباءُ

ولما قال أبو الطيب^٢ :

أحبُّكَ يا شمسَ الزمانِ وبدرَهُ وإن لآمني فيك السُّها والفراقُ
وذاك لأن الفضلَ عندك باهرٌ وليس لأن العيشَ عندك باردُ
فإيه أبا الأصبحِ ، وفدتُ عليك ، وصرتُ إليك ، وإن كنتُ قد أهديتُ
التمرَ إلى هجرٍ ، وحاسنتُ بقباحي القمرِ ، فقد تُمطرَ الدأماءُ^٣ ، وللشاكرين
على الله ثناء .

ومن تلك القصائدِ قصيدة مهموزة أولها^٤ :

هل في الغمامِ العادة الحسناءُ أسرتُ عليها الكَلَّةُ الخضراءُ
يقول فيها :

أسرى بها الخيَّرانُ في أفقِ الدجى فتضوَّعتُ عن عرَّفها الأنواءُ
هل كان يطعمُ بالسُّرى في خفية ما للبدور إذا سرَّين خفاه
كيف الخفاءُ^٥ وللشروقِ مجامرٌ في جانبيك وللنسيمِ كباءُ

١ ط د : قوله .

٢ ديوان المتنبي : ٣١٤ .

٣ الدأماء : البحر ؛ ط د : الدماء .

٤ منها أبيات في المسالك .

٥ المسالك : النجاء .

يومَ النوى ومحلِّها الأحشاء
ليثاً وأنتِ الظبية العفراء
والسمهرية عَيْشُكَ النجلاء
فيسرى لديدك كما لديه حباء
فالأرض منه منيرة زهراء
فيشيعه مناً عليه ثناء
مليست بها الخضراء والغبراء
وعليك من نور الفخار رداء
فله هنالك في العلا نظراء

يا ربّة الخدر التي أضللتها
لم كان والدك الطويل نجاده
أشبهته في فتكه يوم الوغى
وكما حكيت البأس فاحكيه الندى
أخفى السرى وأذاعه إشراقه
وكأنه عيسى يكتّم جودة
نشرت محاسنه قصائد جمّة
أقصائدي جوبي البلاد بذكره
أمي النجوم فخبّري عن مجده

وله فيه من أخرى أولها :

أم احتملت فيها جاذر وجرة
تولى جميل الصبر يوم توتت
فأرسلت دراً العين حين تجلت [١٤٦ب]
ستعرف في أنفاسها حرّ لوعتي
ستشكر في سلسالها طعم عبرتي

أفي كيلل الأظعان غزلان رملة
ولمّا توتت بالجمال جمالهم
بوادى الكرى لاقيتها وهي عاطل
إذا نسّمت ريح الصبا في جنبها
وإن وردت ماء الفرات فلأنها

وهذا كقول أبي الطيب :

أوما وجدتم في الشراب^٢ ملوحة
مما أرقق في الفرات دموعي

١ ديوان المتنبي : ٣٤ .

٢ الديوان : الصراة .

وقال مهيّار الديلمي^١ :

بكيتُ على الوادي فحرّمتُ ماءَهُ
وكيف يحلُّ الماءُ أكثرُهُ دَمُ

وقال ابن البين من أخرى^٢ :

غَصَبُوا الصبَاحَ فَقسَّمُوهُ خُدودَا
ورأوا حَصَى الياقوتِ دونِ محلِّهم
واستودعوا حِذْقَ المِها أجناتِهِمْ^٣
لم يكفِ أنْ خلفوا؛ الأسنَّةَ والطِّبَا
وتضافروا بصفائِرِ أبدوَا لنا
واسترففوا^٣ قُضِبَ الأركِ قُدودَا
فاستبدلوا منه النجومَ عقودَا
فسبوا بهنَّ ضراعِماً وأسودَا
حتى استنابوا^٤ أعيناً وخدودَا
ضوءَ النهارِ بليها معقودَا

ومنها :

صاغوا الثغورَ من الأفاحةِ^٥ بينها
ماءُ الحياةِ لو اغتدى مورودَا

ومن المدح :

أبني السيفِ المشرفيةِ نجدةً^٦ وبنِي^٧ السحابِ المستهلةِ جودَا

١ تجيء ترجمة مهيّار في القسم الرابع من الذخيرة ، وانظر ديوانه ٣ : ٣٤٤ .

٢ وردت الأبيات في المغرب والنفع والمسالك .

٣ المغرب والمسالك : واستوهبوا ، النفع : واستنهبوا .

٤ المغرب : ان سلّبوا ؛ النفع : لم يكفهم حمل ، المسالك : أن جلدبوا .

٥ المغرب والمسالك : استمانوا ؛ النفع : استماروا .

٦ س : الأفاحي .

٧ ط د : أثنى . . . وثنى .

الدهرُ عندكمُ طريفٌ مُحدَثٌ وفخاركم ما زالَ فيه تليدا
عطرتمُ نَفَسَ الزمانِ فأصبحت آثاركمُ في الجيدِ^١ منه عقودا

في ذكر ذي الوزارين أبي محمد بن هود^٢

كانت قد أزاحتَهُ عن حضرة أسرته سرقسطة ، أسبابٌ غابَ عني
شرحها ، فتجولَ على رؤساء أفقنا ، واتخذ آخر أمره حضرةً بطليوس
وطناً ، فرحبَ به المتوكلُ فأواه ، وأجزل قراه ، وولاه مدينة الأشبونة ،
ثم صرفه عنها ، وصدرَ محمودَ السيرة منها ، وكان ممن تندرُ له الأبياتُ ،
وتستظرف له بعضُ المقطوعات ، كقوله وقد سئل عما اكتسبه في ولايته ،
فقال^٣ :

وسائلٍ ليَ لَمَّا صدرتُ عمّا وُلّيتُ
ما نلتَ ؟ قلتُ : ثناءً يبقى معي ما بقيت
وإنّ أمتَ كان بعدي مخلدًا لا يموت
عفتُ الفضولَ لعلمي أنّ ليس يُعْدمُ قوت
وصنتُ قدرِي منها تجملاً فغنيت

١ المسالك : للعطف .

٢ الأمير أبو محمد بن هود وإسـمه عبدالله (وقال ابن الأبار : لم أقف على اسمه ، الحلقة : ١٦٥)
نفاه ابن عمه المقتدر عن الثغر (سرقسطة) فقصده طليطلة حضرة ابن ذي النون ثم مل الإقامة
هنالك ، فجعل يضطرب ما بين ملوك الطوائف إلى أن استقر عند المتوكل ابن الأفتس (المغرب
٢ : ٤٣٩) ثم ولاه المتوكل الأشبونة (المغرب ١ : ٤١١) ثم صرف عنها محمود السيرة
(وانظر المسالك ١١ : ٤٤١ ، والحلـة ٢ : ١٦٥ - ١٦٦) .

٣ الحلقة : ١٦٦ .

وهو القائل وقد خرج عن سرقسطة^١ :

ضللتكم جميعاً يالَ هودٍ عن الهدى وضيعتمُ الرأيَ الموقَّعَ أجمعا
وشتتمُ يمينَ الملكِ بيَ فقطعتُمُ بأيديكمُ منها وبالغديرِ إصبعا
وما أنا إلاَّ الشمسُ غيرُ^٢ غياهبِ دَجَّتْ فأبتُ لي أن أنيرَ وأسطعا
وإن طلعتُ تلكَ البدورُ أهلةً فلم يبقَ إلاَّ أن أغيبَ وأطلعا
فلا تقطعوا الأسبابَ بيني وبينكم فأنفكمُ منكمُ وإن كانَ أجدعا^٣

واحترق له بيت أيام مقامه بطليطلة ، فقال^٤ : [١٤٧ أ]

تركتُ محليَ جنةً فوجدتها^٥ على حُكْمِ أيدي الحادثاتِ جهنماً
لتصطنع^٦ الأيامُ ما شئتُ آخرأ فما صنعتُ بي أولأً كانَ أعظما

وأنشدت له مما نقش على رثاسِ سيف للمتوكل ، وأخبر عنه^٧ :

لا تخشَ ضيماً ولا تُمنس^٨ أخا فرق إذا رثاسيَ في يُمئتيَ يدبكَ بقي
أصبحتُ أمضى من الحيينَ المتاحِ فصلُ على الكمامةِ وبي عند الوغى فثيقِ
لولا فتورُ بالحاظِ الظباءِ إذن لقلتُ إنِّي أمضى من ظببَا الحدقِ

١ انظر المغرب والمساك والحلة .

٢ المغرب : عند .

٣ هو من المثل : أنفك منك وإن كان أجدع .

٤ الحلة ٢ : ١٦٦ .

٥ الحلة : فوجدته .

٦ الحلة : لتصنع بي .

٧ هي في الحلة ومنها بيتان في المساك .

٨ الحلة : تصيح .

ويتطرف هذا المعنى قول ابن شرف^١ :

لم يبق للظلم في أيامهم أثر إلا الذي في عيون الغيد من حور

ولابن هود في المتوكل أيام سلطانه بيابرة^٢ :

يا خائف الدهر يسم أرض يابرة
تأمن وتكفي الذي تخشى من الحذر
وواصف البحر في شتى عجائبه
حدثت بلا حرج عنه وعن عمر
وكم سمعنا قديماً عن مكارمه
حتى رأينا فأزرى الخبر بالخبر

في ذكر الشيخ الأديب أبي عمر فتح بن برئوصة البطليوسي^٣

من نبهاء العصر المقلين في الشعر ، إلا أن أبياته نوادر سوائر ، وهو
القائل في ابن برد^٤ :

إن ابن برد لفتى ماجد
ونفسه بالجوذ مفتونه
مددت كفتي نحو بلطوطه
فقال : دعها وأخذ التينه

وأنشدت له :

وشادن طلبته مقلتي بدمي
فأطلعت لي في خديته منه أثر

١ قد مر في ما تقدم ص : ١٥٨

٢ منها بيتان في الحلة ٢ : ١٦٦ أكثرهما مطموس .

٣ انظر مسالك الأبصار ١١ : ٤٤٢ .

٤ أوردها في المسالك .

وقام بين يديه الخالُ يعذرنِي وقد تعمَّمَ بالاظلامِ^١ فوق قمر
كأنما حلَّ جيشُ الحسنِ صَفْحَتَهُ وكرًّا لليلِ فيه فارسٌ فأسر

وأخبرني غيرُ واحدٍ من أدباءِ عصرنا ، قال : دخل لمةٌ من الأدباءِ
دارَ الأديبِ أبي مروانِ بنِ الصيقلِ اليابري ، فرأوا في بيته سيفاً معلّقاً ،
فقالوا له : أيُّ شيءٍ تصنعُ بهذا السيفِ ؟ فقال : أعددتُه للمخانيثِ العتاةِ
نظرائِكُمْ ، فاهتبل بعضهم غرَّتَهُ حتى أخذ السيفَ ، ثم قاموا به عليه
وقالوا : والله لنقتلنك أو تكتبَ لنا كتاباً بخطِّ يدك ، يتضمنُ أنا هتكنا
حريمك ، وَعَجَمْنَا ميمَك ؛ ولما رأى الجِدَّ . ولم يجدْ من بُدِّ . كتب
لهم بذلك خطّاً اليد ، فخطب أبو عمر هذا بهذه الأبيات بعض^٢ إخوانه :

زُرْنَا أبا مروانَ شيخَ المجونِ ونحن لاندري سوى الظرفِ دين^٣
فقام يدعونا إلى نَفْسِهِ بدمعٍ^٣ جارٍ وصوتِ حنين
قلنا له قد يرفع الدهر من آهِ وندريك رقيق^٤ اللدين
وممكن^٥ أن تتناسى^٦ لنا ذلك أو تُلْفِي من الجاحدين
اكتبْ لإخوانك رفقاً بهم صكاً بما عندك يستظهرون [١٤٧ب]
فإذ قضانا صكنا وانحى قمنا على منبره منشدين
سبحانَ مَنْ سخرَ هذا لنا منه وما كُنَّا له مُقْرَين

١ ط : بالإطلاق .

٢ س : أحد .

٣ ط : بدمع .

٤ ط د : فقلنا .

٥ د : رقيق .

٦ ط : تناسى .

فقال أبو مروان بن الصيقل في ذلك :

يا رَبِّ مفعولين قالوا أعطنا خطِّ يدٍ في أننا فاعلون
قلتُ لهم خطِّي مباحٌ لكم أكتبُ فيه كلَّ ما ترغبون
فمَن رأى الخطَّ الذي همُّ به قبلَ اشتهاهِ الأمرِ مستظهرون
يشهدُ بأن الخطَّ واللفظَ لي وأنَّهم في قولهم يكذبون

وانتهت الأبيات إلى الفقيه أبي عبد الله^١ بن القلاص فكتب إلى ابن الصيقل
بأبيات منها :

قل لأبي مروانَ شيخَ المجونِ شاعرِ ذا العصرِ العزيزِ القرينِ
قال ابن فتحٍ إنه كان قد ولم يقلْ أكثرَ للمخبرينِ
وقد حكى أنْ له شاهدَيَّ عدلٍ على ذاك من الصالحينِ
فإن يكن حَقًّا فلا تكتسبُ إبليسَ جانٍ مثلَ ذا كلِّ حينِ
فالعزم أن تقصده ضارِعاً إليه سِرّاً فعساه يلينِ
واسأله أن يسترَ ما جاءه فان أبي فاجحدُ وزدّه يمينِ

فأجابه ابن الصيقل بأبيات منها :

أهكذا يفعلهُ الصالحون تقبل أيماناً من الفاسقين؟ !
لا تعتقدُ من شاعرٍ لفظَةً ولو غدا من أزهدِ الزاهدينِ
يريد أن يُخفيَ صباحاً وهل يخفى سنا الصبحِ على الناظرينِ
إن كان غرَّتكَ يمينُ له واحدةٌ خُدني بألفي يمينِ

.....
١ س : أبي عمر .

في ذكر الأديب أبي عمر يوسف بن كوثر الشنبريني^١

أنشدت له من كلمة أولها :

ألا لا يُفَنِّدُ عاشقاً مَنْ له ذِهْنٌ فوالله لولا العشق ما عُرِفَ الحسنُ

ومنها في أحد تلامذ عصره^٢ :

مررت به يوماً يغازل مثلهُ فقلتُ اجمعا بالوصلِ رأيكما فما عسى الصبُّ يقضي اللهُ بينكما له فجاههما دُبُّ فأحرزَ ذا وذا وهذا على ذا بالملاحة يَمْتَنُّ^٣ لمثلكما كان التفزُّلُ والمجنُّ بخيرٍ فقالا لي اشتهى العَسَلَ السمنُ وما لامرئٍ من ريبِ أيَّامِهِ أَمُنُّ

وأنشدت له في كلمة أولها :

حلٌّ لسيوفِ الحبِّ دمي وفؤادي فيه يساعفها^٤ ما مثلي منه بمخترم^٥ ويربها اللذةَ بالألم [١٤٨أ] فمتى لحظتُ بشراً^٥ حسناً تلتذُّ بصورته بهم^٦

١ ذكره في النفع ٣ : ٥٨ وأورد له ثلاثة أبيات ، وفي المسالك ١١ : ٤٤٢ وأورد له بيتاً واحداً .

٢ منها ثلاثة أبيات في النفع .

٣ ط د : بمخترم .

٤ د س : يساعدها .

٥ د : شيئاً .

٦ ط د : يلتذ ... بهم .

يا أملحَ معشوقٍ نعتاً واسماً فلنعتك أنت سمي
شعشعُ بوصالكِ كأسَ دلا لكَ تُطْفِ بِذلك منْ ضرمي

في ذكر الأديب أبي الوليد المعروف بالنحلي^١

كان باقعة^٢ دهره ، ونادرة عصره ، ولم يصدْ دراهمَ ملوكِ عصرنا
إلاَّ بجرّ النادرة والتوقيع ، وقد اندرجت له عدّةُ مقطوعات في تضاعيف
هذا المجموع ، وكان يُضحِكُ مَنْ حَضَرَ ، ولا يكاد يتبسّم هو إذا نَدَّر ،
وهو القائل يصف طلوع الشمس ومقابلة القمر لها :

أما ترى الشمسَ وهي طالعةٌ تمنعُ عنها إدامةَ النظرِ
حمراء صفراء في تلوّنها كأنّها تشتكي من السهر

١ يتفق نفع الطيب (٣ : ٢٣٣) وبدائع البدائه (١١٤) وتحفة العروس (١١٣) في إيراد
قصة المعتمد مع إحدى حظاياها وما كان من شعر النحلي فيها ، ويورد النفع والبدائع قصة في
وصف فرس للمتوكل كان في كفله ست نقط (النفع ٣ : ٣٣١ والبدائع : ٢٦٩ وهي عن
الدخيرة ٢ : ٤٦٥) . وكذلك يوردان قصة شربه عند ابن طوفان (النفع ٣ : ٣٣١
والبدائع : ٤٠) وينفرد النفع بإيراد نادرة ماجنة له (٣ : ٢٣٤) وشعره في مغنية (٣ :
٤٤٥) وتدل قصة (٤ : ٩) على أنه كان لدى ابن صمادح ثم سار عنه إلى اشبيلية فملح
المعتمد وغمز من ابن صمادح بقوله :

أباد ابن عباد البربري وأفنى ابن معن دجاج القرى
ثم نسي ما قاله فلما حل بالمرية ، أحضره ابن صمادح لمناذته ، وأحضر للمشاء موائد
ليس فيها إلا لحم الدجاج ، فلما احتج النحلي على ذلك أفهمه ابن صمادح أنه أراد تكذيبه في
ما قال ، فطار سكره وجعل يعتذر ، فعفا عنه ابن صمادح ، ولكنه فر عن المرية وندم بعد
ذلك .

٢ س : نابغة .

مثل عروسٍ غداةَ ليلتها تُمسِكُ مرآتها من القمر
أو صورةَ المجد وهي ماثلةٌ تنظرُ قُدَّامها إلى عمر

ومن أحسن ما سمعت في وصف^١ الشمس قول متوكل بن أبي الحسن^٢:

كأنما الشمسُ مرآةٌ مجردةٌ وقد غدا المغربُ الأقصى لها سَفَطًا

ومن نوادر^٣ الآفاق ، الحلوةِ المساقِ ، الغربيةِ الاتفاقِ ، خبرُ النحليِّ

مع المعتمد بن عباد ، وذلك انه مشى بين يديه يوماً بعضُ نسائه ، في غلالة

لا تُكادُ تفرق بينها وبين جسمها ، ولها ذوائب تخفي إياةَ الشمس في مدغمها ،

فسكب عليها إناءَ ماورد فامتزج الكلُّ ليناً واسترسالاً ، وتشابه طيباً وجمالاً ،

فأدركت المعتمد أريحيةُ الطرب ، ومالت بعطفه راحُ الأدب ، فقال :

وهويتُ سالبةَ النفوسِ عريرةً تختال بينَ أسنَّةٍ وبواتيرِ

ثم تعذّر عليه المقال ، أو شغلته تلك الحال ، فقال لبعض الخدم القائمين

على رأسه : سر إلى النحليِّ وخذْهُ باجازه هذا البيت ، ولا تفارقه حتى

يفرغَ منه ، فأضاف النحليُّ إليه ، لأوّلِ وقوعِ الرقعةِ بين يديه ، هذه

الآبيات^٤ :

١ س : صفة .

٢ س : الحسين .

٣ وردت هذه النادرة في النفع وبدائع البدائع وتحفة العروس والمسلك السهل : ٤٦٣ .

٤ هي في النفع وبدائع البدائع وانظر الإعلام ٢ : ٣٢٦ وفي ط د : « هذين البيتين » في موضع

« هذه الآبيات » ولهذا لم يرد منها سوى الأول والثالث ، إلا أن سائرهما مثبتت بهامش ط بغير

خط الأصل .

راقت محاسنها ورقٌ أديمها فتكادُ تبصرُ باطناً من ظاهر
وتمايلتُ كالغصنِ في دعصِ النقا تلتفُّ في ورقِ الشبابِ الناضر
يندى بماءِ الوردِ مُسبَّلُ شعرها كالطلِّ يسقطُ من جناحِ الطائر
تزهي برونقها وعزِّ جماها زهو المؤيدِ بالثناءِ العاطر
ملك تضاءلت الملوكُ لقدره وعنا له صرْفُ الزمانِ الجائر
وإذا لمحت جبينهُ ويمينه أبصرتَ بدرأً فوق بحرِ زاخر

فلما قرأها المعتمد استحضره وقال له : أحسنت . أو معنا كنت ؟
فأجابه النحلي بكلام معناه : يا قاتل المحل . أو ما تلوت ﴿ ﴿ وأوحى ربك إلى
النحلِ ﴿ (النحل : ٦٧)

في ذكر الوزير الكاتب أبي بكر محمد بن سوار الأشبوني^٢

[١٤٨ ب] وأبو بكر في وقتنا واحد عصره . وله عدَّةُ قصائدٍ في
ملوك قطره . قالها تحبباً لا تكسباً ، وعمر مجالسهم بها وفاءً لا استجداءً .
فلما خلَّع ملوكُ الأندلس حالت به الحال . وتقسَّمتْ الإديار والإقبال .
ثم أسره العدو بعقب محنةٍ ، وبين أطباقِ فتنه . وقيدتْ بقوريةً من عمل
الطاغية ابن فرذلند . ثم خرج من وثاقه . خروجَ البدر من مُحاقه
وتردَّد في بلاد أفقنا يحمله قربٌ على بعد . ويكله سعيُّه إلى سعد . حتى

١ زاد في ط بغير خط الأصل : نراد المعتد هذا الجواب عجباً ، واهتز له استغراباً وتعجباً ، وقرب
النحلي وأدناه . ووهب له من المال ما أرضاه به وأغناه .

٢ له ترجمة في المغرب ١ : ٤١١ ومسالك الأبحصار ١١ : ٤٤٣ والمحمدون من الشعراء : ٣٥٩
والرواي ٣ : ١٤٣ .

ضاقَتْ عنه الخطوب، وملَّه السَّرى والتَّأويب، واتفق له أن أسمع الله صوته من وراء البحر المحيط الفقيه الأجل قاضي القضاة بالمغرب، وسلالة الأَطيب فالأَطيب، أبا الحسن علي بن القاسم بن عشرة، فأجابه وأباه^١، وجذب بِضْبَعِهِ واستدناه، فأعاد هلاله بدرأ، وصيَّر خَلَّه خمراً، ولبنى القاسم^٢ في الجود خيم كَرِيم، ولهم تقدُّمٌ مشهورٌ معلوم؛ بلغني أن جدَّهم الأكبر أحمدُ بن المدبر، حاملُ تلك الفضائل، وصاحبُ الأعمالِ الجللائل، إذ كان أحدَ نجومِ تلك الآفاق، ببلاد الشام والعراق، واشتهار معرفة قدره، بمنعُ عن ذكره، لكنِّي ألمع هنا بلمعة من أمره.

قرأت في الكتاب الكبير لليعقوبي في الدولة العباسية قال: كان لأحمد ابن المدبر منزلةٌ عند المتوكل جعفر، وكان قد قلَّد ديوان الضياع لإبراهيم ابن العباس الصولي، قال وهب بن سليمان بن وهب: وكنت أكتبُ له، وكان رجلاً بليغاً، ولم يكن له في علم الخراج تقدُّمٌ، وكان بينه وبين أحمد ابن المدبر تباعد، وكان أحمد نسيجَ وَحْدِهِ، فدخل على المتوكل وقال له: قلَّدت ديوان الضياع لإبراهيم بن العباس فضاع، فقال له المتوكل جعفر: غداً يحضر، وتكلَّم في أمره بما يظهر؛ فبلغ ذلك إبراهيم فاغتم لمعرفة أنه لا يفي بابن المدبر، وحضرا من الغد، فقال له المتوكل^٣: تكلم يا أحمد

١ واتفق . . . وأباه : زيادة عن س و المسالك .

٢ بنو القاسم هم بنو عشرة من أعيان سلا، وقد كانوا مقصد الشعراء في عصرهم، أو كما يقول ابن الأبار « رباب السماع وأرباب الأمداح » (اعتاب الكتاب: ٢٢٤) وللدكتور محمد بن شريفة بحث عن أسرة بني عشرة (مجلة البحث العلمي، السنة الرابعة، العدد العاشر ص: ٦٥-١٠٢؛ ١٩٦٧).

٣ ط د : المتكلم .

فذكر أشياء صدقَ فيها ، وابراهيم ساكت ، فقال له المتوكل : يا ابراهيم
ألكَ جوابٌ على كلامه ؛ قال : جوابي يا أمير المؤمنين في بيتي شعر إن أذن
لي قلتها ، قال : قل ، فأنشد^١ :

ردّ قولي وصدقَ الأقوالا وأطاعَ الرشاةَ والعدّالا
أتراه يكونُ شهرَ صدومٍ وعلى وجهه رأيتُ الهلالا

فقال المتوكل : زاه زاه ! ! أحسنتَ والله ، إيتوني بمن يلحنُ هذا ،
وأحضِرُوا الندمان ، ودعونا من أخبار الديوان ، وخلق على ابراهيم .

وخلا المتوكل يومه بلهوه ، وبقي ابراهيم مغموماً في منزله ، فقيل
له : هذا يومٌ سرورٍ بما جُدّدَ عليك من النعمة ، وخصّصتَ به من الكفاية
بدل النعمة ، فقال : الحقُّ بمثلي أولى وأشبه ، وما أدفعُ أحمد بن المدبر ،
ولا كذبَ في شيء مما ذكره ، ولا أنا ممّن يعشره في الخراج ، كما لا
يعشرني في البلاغة ، وإنما ظهرت عليه في يومي هذا بالهزل ، فما لي لا
أبكي فضلاً عن أن أغتم ، من زمان يُدْفَعُ فيه الحقُّ بالباطل ؟ ! وسيكونُ
لهذا وشبهه نَبأٌ بعدُ .

وقال يوماً يحيى بن أكرم القاضي لابن المدبر بحضرة المتوكل جعفر :
أنت كاتبٌ تفقهٌ وتذكرُ أنك لا تُلتزمُ الناسَ الأموال إلا بحجج فقهية :
مَنْ كتَبَ للنبيّ عليه السلام ؟ قال أحمد : ليس على الكاتب عِلْمٌ ذلك ،
ولا تعلّمهُ أيضاً على الفقيه ، إذ لا يحلُّ حلالاً ولا يحرمُ حراماً ، وقد روي أنّ

١ ديوان ابراهيم الصولي (الطرائف الأدبية) : ١٤٩ والأغاني ١٠ : ٥٩ وفيه طرف من حكاية
الصولي مع ابن المدبر .

عثمان وعلياً وزيد بن ثابت وحنظلةَ ومعاوية وغيرهم كتبوا له صلى الله عليه وسلم ، ولكن من الذي عمل على عهده عمالك فأمر بقتله ؟ !
يعرضُ له بما كان يُنسبُ لابن أكرم من اللواط - فحجل ، واستفرغ
ضحكاً المتوكل ، فكان ذلك سببَ العداوة بينهما ؛ وأخباره كثيرة مأثورة .

جملة من شعر أبي بكر بن سوار في أوصاف شتى

[١٣٩ أ] له من قصيدة أولها ١ :

إيَّاكَ من ظبيةٍ في ذلك الكنسِ فإنها أختُ ذاك الضيغمِ الهريسِ
كم نمَّ بي جرسٌ قُرطِيها وساعدني ما في الخلاخلِ من صمْتٍ ومن خرسِ
ما ظبية المكنس العفراء همتُ بها وإنما تيمتني ظبيةُ الأنسِ ٣

ومنها ٤ :

ما يُعرَفُ العَرَفُ في المسواك من سببِ إلا من الشنْبِ المعطارِ واللَّعْسِ
يا ربَّةَ الخدرِ حيثُ النجر من أسدٍ ٥ والموجُ من زَرَدٍ والسيْفُ من فرسِ
رسومُ داركِ في يبرينَ دارسةً وفي الحشا لكِ ربعٌ غيرُ مندرسِ
قس ما تشاءُ تجدُ بي مثلهُ عَوْضاً وبالزمان الذي ولّى فلا تنقسِ

١ منها أبيات في المحمدون والمسالك .

٢ ط د : بي .

٣ سقط هذا البيت من ط د ، وهو ثابت في س والمحمدون من الشعراء .

٤ منها : سقطت من س .

٥ ط د : البحر (دون اعجام) من أمد ، وأثبت ما في س والمحمدون .

ألستَ تذكر يوماً حين زُرْتَهُمُ والدهرُ يخرجُ من عيدٍ^١ إلى عرس
نزلت في موضعٍ حَفَّ الغديرُ به كما يحفُّ اخضرارُ الليل بالغلس
> تريك دائرةَ الدينارِ صفحتهُ^٢ فإن تهادى قليلاً صار كالترس <^٢
ترى بها الحوت حول الماء جثته [. . .] ما يرمي من النفس^٣
كأنَّ جودَ عليٍّ؛ جاد بلجتهُ^٤ فليس يخشى عليه آفةُ الدرس
مطهرٌ لم يُدَسَّ عرضهَ بخَلِّ^٥ وجوهرُ الشمسِ معصومٌ من الدَسِّ

وكان أسر علي ما ذكرته ، وبقي معتقلاً بمدينة قورية ، إلى أن خرج من وثاقه ، وقال في ذلك قصيدةً يصفُ كيفيةَ القبضِ عليه ، قال فيها^٦ :

وليلٍ كهَمَّ العاشقين قميصُهُ ركبْتُ دياجيهِ ومركبها وعَرُّ^١
سريتُ وأصحابي يُميلُهُمُ الكرى فهمُ منه في سُكْرِ وما بهم سُكر
رमितُ بجسمي قلبه فنفدتهُ^٢ كما نفذ الإصباحُ إذ فتقَ الفجر

١ المسالك : حزن .

٢ زيادة من المسالك .

٣ سقط البيت من ط د ، كما سقط البيتان التاليان له من س .

٤ هو علي بن القاسم بن محمد بن موسى بن عيسى ، أبو الحسن ابن عشرة ، كان فقيهاً حافظاً سري أهل بلده ، وجيهاً فيهم نبيه القدر ، رئيساً جواداً ، دخل الأندلس غازياً وامتدحه بها طائفة من أديائها وشرق حينئذ ورجع ثم عاد إلى بلاده ؛ وتوفي بسلا سنة ٥٠٢ وممن امتدحه من جلة الشعراء ابن حمديس وأبو الوليد اسماعيل بن ولاد وله في مدحه ومدح ابنه أبي العباس مجموع سماه «نزهة الأدب» (الذيل والتكملة - قسم الغرباء ، الورقة: ١٠ من مصورة الخزانة العامة بالرباط) ومن مداحه أيضاً الأعمى التطليلي وابن بقي وغيرهما (انظر مقالة الدكتور بشريفة عن بني عشرة) .

٥ ط : تخفى .

٦ منها أبيات في مسالك الأبصار .

ولما بدا وجهُ الصباح تطلَّعتْ
فقلت لهم : خيل النصارى فشمروا
وكانت حَمِيًّا النومِ قد صرعتهم
وأفردتُ سهماً واحداً في كنانة
وكنت عهدت الحرب مكثراً وخدعة
فطاعتُهم حتى نخطمت القنا
أضرج أثوابي دماً رثيابهم
وأحدق بي والموت يكشر نابه
فأعطيتها وهي الدنية صاغراً
فطاروا وصاروا بي إلى مستقرهم
فقال العذارى حرَّقوه مقارضاً

ومنها :

فجاءوا بأنواع الكبول ونظّموا
وساقوا كلاباً كالفحولة أجسماً
فقالوا أعطنا ألفاً فقلت مضاعفاً
فسبحان ربي ما أجلّ جلاله
فضاقتُ عليّ الأرض حتى كأنها
فناديتُ في حول من الدهر كامل
وإنّ وراء البحر أروع ماجداً
ألا خبّراني ابني أبي هل أتاكما

خيول من الوادي محجلة غر
إليها. وكروها هنا يحسن الكر
فقلّوا وولّوا مدبرين وما قروا
من الحرب لا يخشى على مثله الكسر
ولكن مع المقدور ما لا مريء مكر
وضاربتهم حتى تكسرت البشّر
كأن الذي بيني وبينهم عطر
ومنظره جهّم وناظره شزر
وقد كان لي في الموت لو يدّني عذر
يصاحني ذلّ ويصحبهم فخر
فمن قتله الفتیان عطّلت البكر

سلاسل في جيدي كما ينظّم الدر
لها أعين خضر ملاحظها شزر
[]
تخلّصني منها له الحمد والشكر [١٤٩ب]
بما رحبت ما كان في طولها فتر
ألا رجل حرّ ألا رجل حرّ
بغرته الغراء يُستنزّل القطر
وشيكا عن القاضي أبي حسن ذكر

١ زيادة من س ؟ والشطر الثاني بياض . وهذا البيت يرد في القصيدة التالية .

سلا عن سلا هل من علي حقيقة
 ألا إنما الدنيا علي وقربه
 بعدل علي تعمّر الأرض كلها
 حنيني إليه موثقاً ومسرّحاً
 فانتني في أحشاء قورية سر
 وإلا فان الأرض عامرها قفر
 وتتسع الدنيا ولو أنها قبر
 كما حن للبر الذي يغرق البحر

وله من قصيدة في قاضي الجماعة أبي عبد الله بن حمدان :

من معشر حمدوا فأحمد سعيهم
 مضت القرون ومرّت الدنيا ومن
 لله درك أيها القاضي فما
 ولقد ذكرتك والعدو بعصتي
 يوم العذاب وللكلاب تصور
 وتوهموني بالغى وأضر بي
 قالوا : أعطنا ألفاً فقلت مضاعفاً
 فبقيت عاماً في الإسار مصفداً
 لما يست ولم تكن لي حيلة
 وتركته بيد العدو موثقاً^٢
 وردت رسائله علي فتارة
 ولنا أخيات وأم أئكليت
 قلوبهم كالقلب في خفقانه
 فأتيت نحوك والرجاء يتودني
 فلذلك ما سموا بني حمدان
 فيها وما جاءت لهم بقرين
 حبيل الرجاء لديك غير متين
 واللعج يلطم صفحتي وجيني
 حولي ونشاب الردى ترميني
 مال الذي أخذوه إذ أخذوني
 لما رأيت الموت ملء جفوني
 بسلاسل ضرباً من التنين
 أرسلت في ابن أبي فكان ضميني
 في ذل أغلال وضيق سجون
 يشكو إلي وتارة يشكوني
 وأخاف قبل الجمع وشك منون
 وعيونهم في جربها كميون
 وجميل ذكرك خلفه يحدوني

١ شر البيت ص : ٢٢٢ .

٢ س : مثقفاً .

وله من أخرى في القاضي أبي الحسن بن القاسم^١ :

ساروا وحبَّلُ وصالهم مَبْتُوتُ
بانوا وروحي عندهم وَحُشَّاشِي
أسفي على وادي الأراكِ وإنما
أنحي على الأقراطِ ناطقةً ولا
لا تأخذوا في اللوم لستُ بسمعٍ
هذا فؤادي إنْ وجدتمْ غَيْرَهَا
فلسوا نجومَ الليل كيف أبيتُ
وتظنُّ أنهمُ مَضَوًا وبقيت
يتأسفُ المحزونُ وهو يموت
أنحي على الخلخالِ وهو صموت
إنَّ الملامةَ في الهوى تعنيت
في طيِّهِ فالنَّارُ والكبريت

ومنها في المدح : [١٥٠ أ]

لو أنَّ رِفْقَكَ في القلوبِ مُرَكَّبٌ
ولقد حملتَ من الوقارِ سَكِينَةً
لم يلتقمْ في البحرِ يونسَ حوت
لم يحملها قبلك التابوت
وله فيه من أخرى أولها :

من لظي قلبي اقتدحُ لا من زنادِ
اصرفوا نومي ليدني طيفكم
أنتمُ الأحبابُ في حُكْمِ الهوى
جسدي أنحل من سرِّكم
تكننُ الشَّحْناءُ في أحشائهم
يحمدُ النجمُ الثريا ألفي
ما مرادي أن أرى منفرداً
لا سقى الروضَ غمامٌ ساكب
ودموعي استسقى لا صوبَ الغوادي
وهنيئاً ما غصبتمُ من فؤادي
فارفقوا لا تفعلوا فعلَ الأعادي
في تناجيكم به يومَ البعاد
ككمونِ الحمرِ في جَوْفِ الرماد
ولقد يبكي سُهَيْلٌ لانفرادي
ربَّ محمولٍ على غير المراد
ليس يَسْتَفِي مَعَهُ شوكَ القتاد

١ منها أبيات في مسالك الأبصار .

ومن المدح :

إنَّ من بعدِ بني القاسمِ لا
نَسَبَ مُطَرِّدٌ من شرفِ
وقبيلٍ كُلهُ من عِزَّةِ
وبنو عَشْرِ ذُو العِباءِ لم
وعِفافٍ واعتِفافٍ وتقى

وله فيه من أخرى :

بَدَتِ الغِزَالَةُ والغِزَالَةُ وجِهها
خالِستُها وتبَسَّمتُ فَظَنَنْتُها
فَنشَابَتْ مِنْهَا الثَّلَاثَةُ أَضْرَبُ
لو كانَ مَرِيئاً جُمانُ حَديثِها
ومضتُ تَجْرُ وراءَها شِعْرًا كما
يَمحو مَواقِعَ إِثرِها فَكأنَّه
والمسكُ فوقَ التُّرْبِ من أَرْدانِها
ما لي وما لك يا غِيورُ^٢ تَسومِني
هَلَاةً التَّقِينا حَيْثُ تَنْتَثِرُ^٣ الظُّبَا
والبَحْوُ أَدكنُ بالِغبارِ قَميصُهُ
وكانَ يَومَ الحِشْرِ يَومُ^٤ جَموعِنا

وتكَلَّمَتُ فَسَمِعْتُ ظِيباً يَبغِمُ
عَن مِثْلِ ما في نَحْرِها تَبسِمُ
عَقْدُ وِثْغَرٍ طَيِّبٌ وتكَلَّمُ
لرأيتَ مِنْهُ أَجَلَ شَيْءٍ يُنظَمُ
أعطاكِ جَانِبَهُ الغِرابُ الأَسحَمُ
يخْفِيهِ عَن عَيْنِ الرَقِيبِ وَيكْتُمُ
خَطَّ كَمَا رُقِمَ الرِّداءُ المَعْلَمُ
خَطَطَ الرَدِي وَأنا المَعْنَى المَغْرَمُ
والهَامُ تَسقُطُ والقِنا تَتَحطَّمُ
والجِيشُ أَرعَنُ والحَمِيسُ عَرْمَرَمُ
وكانَ غَلِيَّ الحَرْبِ فِيهِ جَهَنَمُ

١ منها أبيات في الوافي والمسالك .

٢ ط د : عيون ، والتصويب عن المسالك .

٣ ط : ينتثر .

٤ الوافي : فيه .

وكان كل كمي حربٍ ماردٌ
 ومدربين على الطعان لقيتهم
 لبسوا جلود الرقم واعتقلوا القنا
 حتى علواهم بكل مهند
 ذو خبطة في الهام يُسمع صوتها
 ولقد سلمت من الصوارم والقنا
 أعلي يا ابن القاسم بن محمد
 ردّ الحية مثل ودّي غضة
 ولقد كتبت وأدمعي منهلة
 أمن السوية أن أكون كما أنا
 والله يرضى عنك من حكّم فقد
 إن بنت عنك ولم تُردهُ فإنه
 ولقد ندمت على فراق سلا كما

تهوي إليه من الأسنة أنجم
 وكانهم في الشمس ليل مظلم [١٥١ب]
 فرأيت كيف يجرُّ أرقم أرقم
 يبكي فتحسبه لهم يرحم
 في كل قطرٍ وهو لا يتكلم
 لو كنت من فتكات رميك أسلم
 بيني وبينك عروّة لا تفصم
 لأنني عليك مع النسيم مسلم
 والقلب فيه جدوة تتضرم
 فيفوز غيري بالنعيم وأحرم
 وافيت حكّم الله فيما تحكم
 بعضي لبعضك في فراقك يخضم
 ضعف الندامة حين أهبط آدم

وهذا كقول الآخر :

كأدم حين عصي ربه عوّض بالدنيا من الآخرة

قوله : « يجرُّ أرقم أرقم » ، كقول ابن اللبابة ، وقد تقدّم ٤ :

١ وردت لفظة « ومنها » بعد هذا البيت في س .

٢ وقعت لفظة « ومنها » بعد هذا البيت أيضاً في س .

٣ قرأها الأستاذ بنشريفة : « طعم » ، وهي قراءة جيدة .

٤ انظر ما تقدم ص : ٧٨ .

• فقلتُ الصلُّ أتبع ضيغما •

وقوله : « والمسكُ فوق التراب » . . . البيت ، كقول ابن شهيد :
وولتُ والمسكِ من ذيلها على الأرضِ خطَّ كظهر الشجاعِ ١

وله فيه من قصيدة أولها :

إلى ضوءِ ذاك البارقِ المتعالي
تألتُ يزجي عارضاً مثلَ أدمعي
فلولا شمالي في زمامِ شملتةٍ
إلى مسقطِ الغرس الذي كان غرسها
ولم تُنسها الأرطى رياضاً ترودها
وحببَ للإنسانِ أولُّ موطنِ
همُ بعثوا طيفَ الخيال الذي سرى
وأقبل من تلقائهم فكأنه
حننتُ وحثتُ ٢ أينقي وجمالي
ويحكي فؤادي خفقهُ المتوالي
لطارت إليه في صباً وشمال
به لا إلى سدرٍ هناك وضال
لدى موردٍ عذبِ المياه زلال
وإن كان في حاشاه ناعمَ بال
فعانقَ جسماً مثلَ طيفِ خيال
مخلفتهُ أعطافهُ بغوالي

ومنها :

فيا دارهم بالحزنِ حُزني مُجددٌ ٣
أرى أعيناً صوراً إليّ كثيرة
وأبيضُ هنديٌّ كأنَّ بجده
عليك ، وقلبي ليس عنك بسالي
ومن دون أن ألقاك سورُ عوالي
مُطارَ ذبابٍ أو مدبَّ نمال

١ لم يرد من البيت في ط إلا قوله : « كظهر الشجاع » .

٢ د : وحشت ؛ س : وحمت .

٣ ط د س : مجرد .

٤ سقط البيت من س .

جری فوقه ماءُ الفرندِ وتحتہ
وقد أظهرت فيه المنايا نفوسها
وجال على متنيه كلَّ مَجَالِ
كما خَوَّضَتْ لُجَّ السرابِ سَعَالِي

ومن المدح^١ :

ولم يتحكّم صوب الحيا لکن اغتدى
وجاءوا على جيد الزمانِ قلائدًا
أقاموا لواءَ المكرماتِ وخيّموا
إذا احتجّبوا لم يسترِ الحجبُ نورهم
أو انتسبوا في المجدِ كان انتسابُهُم
وان ورثَ العلياءَ عنهم عليّتها
سكيتتهُ من أعفَر^٢ ويلعلم
إليكَ رمنا العيسُ حتى كأنّها
من الوهنِ أقواسُ رَمَتِ بنال
بما فيهمُ من شيمةٍ وخلال
وأفعالُهُم فيها ضروبُ لآلِ [١٥١]
من المجدِ والعلياءِ تحتَ ظلال
وإن طلّعا كانوا بدورَ جمال
لأعظمِ عمٍّ أو لأكرمِ خال
فلا بدعٍ في حالٍ ورائةُ عال
وبعضُ رجالٍ في سكونِ جبال
من الوهنِ أقواسُ رَمَتِ بنال

وهذا لفظ أبي العرب الصقلي^٣ . وهو معنى قد نبّهتُ عليه في تضاعيف

هذا التأليف :

وحطّ بنا عن ناجياتِ كأنّها قسيٌّ رَمَتِ منّا البلادَ بأسنهمِ

وكذلك قوله : « جرى فوقه ماء الفرند » لفظ ابن المعتز^٤ :

جرى فوق متنيه الفرندُ كأنّما تنفسَ فيه القيسينُ وهو صقيلُ

١ س : ومن مدح هذه القصيدة .

٢ أعفر : جبل في بلاد الشام (معجم ما استعجم ١ : ١٧١)

٣ ترجمته في القسم الرابع من الذخيرة . الورقة : ١٠٩ ويرد البيت هناك .

٤ زهر الآداب : ٧٧٦ .

وفي أشعار أبي بكر تليفق كثير ، على تدفق نحيزته ، وقوة غريزته ،
كقوله في قصيدة ، منها :

وفتية من أعراب كأنهم
لا يلبسون جلود الرقم سابقة
ولا تبيت على قرب محلثهم
يا كم مضيت وغول الهول يتبعني
مُلبساً ما تراه العين مُلتبساً
وأطرقُ الفتيات البيض لابساً
والقرطُ كالقلب من خوفٍ ومن حذر
لم آتيا قط إلا نم بي وبها
ولا انتهيت إلى أطناب قبَّتها
بأبيض بدم الأجساد مغنسل
والطبع أكرم في تركيب خلقته
إن كنت يا دهر لم تحسن معاشرتي
أجربُ الناس في ضيق وفي سعة
وما على العود أن يهدي نوافحه
ويطلب الجود من قوم وجود بني
محاسن ثقفت منها أوائلهم

أسدٌ على أعوجيات سراحيب
حتى تُخاط بأحداق العاسيب
إلا يبيت حماهم غير مقروب
وكم سریت وسيل الليل يرمي بي
ليلاً مع الليل أو ذنباً مع الذيب
بيض الجلايب في سود الجلايب
كأنه هو في خوفٍ وتعذيب
واش من الحلبي أو واش من الطيب
إلا على ظهر مطعون ومضروب
وأسمر بدم الأكباد مخضوب
من أن أكون محباً غير محبوب
فيما مضى فلقد أحسنت تأديبي
والناس صنفان في حد التجاريب
إلا على لهب بالخمير مشبوب
عشرٍ يجيئك عفواً دون مطاوب
كما تشقّف أنبوب أنبوب

وقال من أخرى ، وذكر حمامة :

١ ط د : وحول .

٢ س : خفق .

بكت لم تُسَلِّ دمعاً ولا هيَ أعربت
ولم أرَ أشجى من بكاءِ بَعَثْنَهُ
نوائحُ ما غاضتْ دموعُ جفونها
وما ذلك المحمرُّ فيهنَّ خلقة

ولا أفصحت معنىً بلحنٍ كلامٍ
فزدن به في لوعتي وغرامي [١٥١ب]
على السكِّبِ إلا والضلوعُ حوام
ولكنها^١ مما بكين دوامي

ومنها :

سقى منزلاً بالغرب مُنْسَكِبُ الحيا
بجيثُ بنو عَشْرِ تَئيرُ وجوهُهُمْ
فما أكثرُ المثني عليهم سَجِيَّةٌ
رعى الله فيكم ذمَّةَ المجد والعلا

وجاد عليه كلُّ أسحمٍ هامٍ
كما طَلَعَتْ ليلاً بدورُ تمام
وما أشبهَ النعْمى بطوقِ حمام
فلا خَلَقَ أرعى منهمُ للذمام

وله فيه من أخرى^٢ :

إذا نزلَ العافون في عَقْرِ دارِهِ
بجيث حياضُ الجودِ^٣ زُرُقُ مياهُها
وللغيثِ أوقاتٌ يفاجىءُ صَوْبُهُ
أغرُّ طليقُ الوجهِ يهتَرُ للندى
فما لعلِّي في البريَّةِ مُشْبِه
فلو أني في الوصفِ لم أذكرِ اسمه

فقد نزلوا في غبطةٍ وأمانٍ
وَمَزُنُ العطايا دائمُ الهطلانِ
ونائلُهُ ينهلُ كلَّ أوانٍ
كما اهترَّ مصقولُ الفرندِ يماني
وما لعلِّي في الأنامِ بثاني
دَرَوَهُ وقالوا : ذي صفاتُ فلان

١ ط : ولا كنف .

٢ من أخرى : زيادة من س .

٣ س : الموت .

وله فيه من أخرى عند صدّره من حضرة أمير المسلمين :

مضيتَ بوجهِ السَّعدِ وهو طليقُ
لقيتَ أميرَ المسلمين مقرباً
رآك وللإسلام نُصْحُكَ كُلُّهُ
تلقّاكَ بالبشر الذي أنتَ أهلُّهُ
وأبتَ بثوبِ النججِ وهو يروقُ
كما يتلاقى شائق ومشوق
وعهدُكَ في ذاتِ الإله وثيق
فقالوا : أب حانِ عليه شفيق

ومنها :

ولما طغى قوم وقرتَ لحومهم
وَضَلَّتْ حلوم^١ بالجهالةِ مثلما
وجاعوك بالمكرِ الكريه وإنّما
أراهم مكانَ الفضلِ منك فرُوعوا
وفرّوا ولولا حُسْنُ رأيكَ فيهمُ
فلا عدَمُوا منك الذي عهدوا فما
توسَّعتَ فضلاً في وليٍّ وحاسدٍ
كرمتمُ فروعاً في المعالي حميدةً
فجاجَ فريقٍ واستقامَ فريقُ
أضلَّ سواعٍ معشراً ويَعُوقُ
بصاحبه^٢ المكرِ الكريهُ يحيق
كما انتشقتُ ريحَ الغضنفرِ نوق
لما حملتهمُ بعدَ ذلك سوق
بغيرك غفرانُ الذنوبِ يليق
ولم يكُ في باعِ المكارمِ ضيق
وطابتُ أصولُ منكمُ وعروق

وله فيه من أخرى ، وكتب إليه^٣ بها من تلمسان وأولها^٤ :

لعلَّ إيابَ الظاعنين قريب
فترجعُ أيامُ الحمى وتؤوبُ

١ ط : نجوم .

٢ ط : لصاحبه .

٣ إليه : زيادة من س .

٤ وردت أبيات منها في الوافي للصفدي وبيتان في المغرب .

مغاني تلاقينا وعهدُ اجتماعنا
وأيامنا بيضُ الليالي ودَهْرُنَا
بها كان يدعوني الهوى فأجيبُهُ
وأرمي المها عن ناظري فتصيبها
وفي الخدرِ مكحولُ الجفونِ صفاته
إذا ما أدارا الكأسَ من مثل ريقه
فأجفانهُ سَكْرَى ونحن وقدُهُ
ويهترُ نوارُ الملاحَةِ حوله
على مثلِ أيام الزمان الذي مضى

ومنها :

أمثلَ عليَّ تطلبُ العينُ أن ترى
فتيَّ يهبُ الدنيا ويرتاحُ للندى
وتأتي عطاياها أطرادَ خصاله
وإن كنتُ قد أضربتُ عن مدح غيره
أحبُّ سَلاَ من أجلِ كونك في^٣ سلا
لصيرتِها مصراً فَنَيْلُكَ نيلها

ومثلُ عليَّ في الملوكِ غريب
كما اهترَّ غصنُ البانِ وهو رطيب
كما اطَّردتُ للسمهريِّ كهوب
فليس له في العالمينِ ضريباً
فكلَّ سلاويِّ إليَّ حبيب
وكفأكَ بطحاها وأنت خصيب

١ ط د : أراد .

٢ وقعت لفظة « ومنها » بعد هذا البيت في س .

٣ المغرب : من .

وقد كرر هذا المعنى فيه أبو بكر ، في مواضع من شعره ، منها قوله
من قصيدة ١ :

يقولُ رجالٌ غيرَ ما يفعلونهُ وإنَّ عليّاً قائلٌ وفعولُ
فلا تطلبوا في ساحةِ الأرضِ مثلهُ فمثلُ عليٍّ في الملوكِ قليلُ
ولولاك ما كانت سلا دارَ هجرتي ولا كان لي عمّنْ أحبُّ رحيلُ
فألفيتها مصرّاً وأنتَ خصيبها وكفّك بطحها ونيلُك نيلُ

ولما توفي سنة اثنتين وخمسمائة قال فيه يرثيه :

العيشُ بعدك يا عليُّ نكالُ لا شيءَ منه سوى العناءِ يُنالُ
يا عثرةَ عثرِ الزمانِ بأهلهِ ليتَ الزمانَ من الزمانِ يقالُ
يا عصمةَ الفقراءِ بل يا مالههمُ هيات ما للناسِ بعدك مالُ
أبكيك بالدمِ لا بدمعي إنّه يبكي سواي به وذلك محالُ
دنيا ظفرت وما متاعك كلُّهُ إلاّ سَرابٌ يضمحلُّ وآلُ
قد كنتُ مشغولاً به متوقفاً ولذي الوفاءِ بغيره أشغالُ
فالآنَ ها أنا لا أبالي عن أسيِّ وقع التوقُّعُ فاستراح البالُ
قد كنتَ آمالي التي أنا طالبُ جهدي ومتّ فمات الآمالُ
لا الظلُّ ظلُّ بعدَ فقدك يا أبا حَسَنٍ ولا الماءُ الزلالُ زلالُ

ومنها :

كنتُ الصَّفوحَ عن المسيءِ ولم يكنُ إلاّ الجميلُ لديك والإجمالُ
حُطُّوا عن الأكوارِ قد مات الذي يتحمَّلُ الأعباءَ وهي ثقَالُ

١ زاد في س : « تقدمت » .

٢ ط د : كيف .

مذُ ودَعَّ القَوَّالُ والفعَّالُ ما
وتهدمُ الجبلُ المنيفُ فزلزلت
فلاجلنُ حجِّي لقبركَ إنه
كلا عيالكَ لكن [. . .]
أين العزاءُ فقد أدبيلُ بأحمدِ
في الأرضِ قَوَّالٌ ولافعَّالٌ^١ [١٥٢ب]
رُتَّبُ العلا ومن الرجال رجال
للخيرِ فيه وللتَّقَى أوصال
فجميعنا لك يا عليَّ عيال^٢
دُوْلُ الأفاضلِ بالبنينِ تَدال

ومنها :

طَوَّقْتَنِي النعمى فصرتُ حمامةً
وإذا الأيادي لم تكنُ مشكورةً
تشدو وغصنكُ ناضرٌ مِيَالُ
للمنعمين فإنها أغلال

ومن مدائحه في الفقيه القاضي أبي العباس ابنه^٣ ، له من قصيدة أولها^٤ :

بَعَثَتْ إِلَيْكَ مِنَ البَرائِ خيالتها
هل ينكرُ الغيَّرانُ مني وَقْفَةً
في ليلةٍ عبثَ المحاقُ بيدرُها
سوداءُ أشرقَ نجمها فلو أني
ولقد فتكتُ بقُرطها وبمرطها
فأراك شكلكُ حاملاً أشكالها
وقفتُ أمانِيُ النفوسِ حياها
غصباً فقصرَ عُمُرَهُ وأطاطها
أجري على فَلَكَ لكنتُ هلالها
حتى هتكتُ حجولها وحجالها

١ وقمت لفظة « ومنها » بعد هذا البيت في س .

٢ زيادة من س .

٣ أبو العباس أحمد بن علي بن القاسم ، ولي قضاء سلا بعد أبيه ، ويصفه الفتح بأنه « فخر بني القاسم » وفي مدح التطيلي له يلقبه « قاضي قضاء الغرب » ، وعنده نزل ابن تومرت ، وكانت

وفاته بعد سنة ٥١٥ (انظر بحث بشريفة : ٧١ - ٧٤ ، ٨٧)

٤ وردت ثلاثة أبيات منها في الوافي ومثلها في المسالك .

ومن المدح :

ما الخطةُ العلياءُ زانته ، بلى^١ ويشقُّ ماءُ العتقِ صفحةَ خدّه
وبأحمدِ بنِ عليٍّ بنِ القاسمِ بنِ هو لفظةٌ من منطقِ الدنيا بها
من كلِّ مكتهلِ الوقارِ وأزهريِّ يمشون فوق الأرضِ تحت حلومهم
لولا همُ لتحركتُ جنباتها

هو زانها حتى أتمَّ كالمها
شقَّ النرندِ من السيوفِ صقالها
محمدِ درتِ المكارمُ حالها
فخرَ الزمانِ على بنيه فقالها
لبسوا الشبيبةَ فاكسوا سربالها
فتخالهم أوتادها وجبالها
من رجفةٍ ولزلت زلزالها

وله من أخرى^٢ :

أمعاهد المدح^٣ الذي غادرتهُ
وادي إذا ضرب المجيرُ رواقهُ
إن كانت الأرواحُ من ماءٍ فمن
فأنتُ تقبلي فقلت لها أمسكي
فمضتُ وقد أخرجلتها فتبسَّمتُ
حتى إذا ما الروضُ نبَّه الندى

مغدَى لبارقة المها ورواحا
أهدى إلى مُهَجِّ القلوبِ رواحا
ذاك المجاجِ تكوَّنتُ أرواحا
عني فإني لا أقاربُ راحا
فرايتُ في أرضِ العقيقِ أقاحا
فتحتُ عيوناً كالعيونِ ملاحا

ومن المدح :

١ ط د : بل .

٢ منها أربعة أبيات في المسالك .

٣ كذا ولعل صوابها : المرح .

٤ سقط هذا البيت والذي يليه من س : وجاء في موضعها « ومنها » .

طالبتها أدباً فسأل توقداً وطلبتة كرمأ فذاب سماحا

وله فيه من قصيدة كتب بها إليه من تلمسان ، أولها :

على طول ما أبكي تعاتيني غتبا
سرى جانب من جانب الغرب خافق
فما قنعت في الحرب بيض صوارم
فيا ليت شعري هل يكون لها عتي
خفوق فؤاد الصب قد فارق الحببا
بأيدي كماء يكثر بها الضربا

ومنها :

تكلتني نظم النجوم قلائداً
وهبك ملكت الشمس والبدر في يدي
إذا لم أعلتها على جيد أحمد
صبا بالغواني من صبا وهو لم يزل
فتي يهب البيض الكواعب كالدمى
لقد وهب الله الجمال لأحمد
موفق آراء القضاء كأنما
إذا اكتسب الناس الدنانير عدة
كذلك متت في السالفات جدوده
لعمري لقد كلفتني مرتقى صعبا [١٥٣أ]
وسقت إلى جنبيهما الأنجم الشهبا
فلا جيد في الدنيا يكون لها حسبا
ببنت المعالي هائماً كلفاً صبا
وبيض الظبا والسمر والضمير القبا
وشرف منه الخلق والخلق العذبا
بصيرته في الغيب تخترق الحجبا
فأحمد لا يرضى بغير العلا كسبا
كما مر كعب الرمح مطرداً كعبا

وله فيه :

يا راقداً الليل التمام جفونه
لاني لأرحم خصره من رقة
وغدا يطمعني الوصال تمنياً
ولبست أثواب الملاحة مثلما
لاني بجبك ساهر ما أرقد
وأرق للغصن الذي يتأود
لاني سأهلك قبل أن يدنو غد
لبس السماحة والرجاحة أحمد

لو كان خُلِّدَ فاضلٌ لفضيلةٍ فيه لكان على الزمانِ يُخَلِّدُ
 المجدُ والشرفُ المؤثِّلُ والندى والجلودُ والعليا له والسؤدد
 وبلاغةٌ لم أدرِ حين سمعتها أفصاحةٌ أم لؤلؤٌ متبدد
 لا ناطقٌ عَجَلُ الكلامِ بها ولا متوقِّفٌ فيها ولا متردّد
 من معشرٍ طابوا مناصبَ في العلا وإذا يطيبُ الأصلُ طاب المولد

جملة من مرثيه

له من قصيدة في تأبين أمير المسلمين ، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين
 رحمه الله ، قال فيها ، وأنشدها على قبره :

ملكَ الملوكِ وما تركتَ لعاملٍ عملاً من التقوى يشاركُ فيهِ
 يا يوسفُ ما أنتَ إلا يوسفُ والكلُّ يعقوبُ بما يطويه
 اسمعُ أميرَ المسلمين وناصرَ الـ مدين الذي بنفوسنا نفديه
 جُوزيتَ خيراً عن رعيتك التي لم ترضَ فيها غيرَ ما يُرضيه
 أمّا مساعيك الكرامُ فإنّها خَرَجَتْ عن التحديد والتشبيه
 في كلِّ عامٍ غزوةٌ مبرورةٌ تُرْدي عديدَ الرومِ أو تُفنيه
 تصلُ الجهادَ إلى الجهادِ موفّقاً حتّمَ القضاء بكلِّ ما تقضيه
 ونجّي ما دبّرتَهُ كنجيةً فكأنَّ كلَّ مغيبٍ تدرّيه
 متواضعاً لله مُظهِراً دينه في كلِّ ما تخفيه أو تبديه [١٥٣ب]
 ولقد ملكتَ بحقِّكَ الدنيا وكم ملكَ الملوكُ الأمرَ بالتمويه

لو رامت الأيام أن تُحصي الذي
 إنا لمفجوعون منك بواحد
 وإذا سمعت حمامة في أيكَة
 ومضى قد استرعى رعيته ابنه
 وإذا هزبر الغاب ضرى شبله
 وإذا علي كان وارث ملكه
 فعَلت سيوفك لم تكن تحصيه
 جمعت خصال الخلق أجمع فيه
 نبكي الهديل فإنما^٢ ترثيه
 فأقام فيهم حق مسترعيه
 في الغاب كان الشبل مثل أبيه
 فالسهم ملقى في يدي باربه

وله من مرثية :

وناع نعي والقلب كالقلب خافق
 بكت رحمة لي عين كل غمامة
 فيا مزن لا [تؤذن]^٣ بتسكاب أدمعي
 فلولا التهاب النار ما بين أضلعي
 دعوني أشكو الدهر للدهر معتباً
 فما فوق هذا الرزء رزء وإنما
 مضى بابن عشر كابن عشر وأربع
 مضى بفتى تزري أسرة وجهه
 مروع ومما راني لم أصدق
 وساعدني نوح الحمام المطوق
 فلي مدمع من لجة الحزن يستقي
 لأصحت في بحر من الدمع مغرق
 على أنني أشكو إلى غير مُشفق
 رمى كبد العلياً بسهم مفوق
 فهلاً هلال مثل نون معرق
 بضوء الصباح المشرق المتألق

وله فيه :

- ١ ط د : التي .
 ٢ س : فإنها .
 ٣ زيادة من س .
 ٤ ط : معنياً .

ما كنت أعلمُ علّةَ الزّهرِ الندي
خَطَبُ ثِي وَجَهَ الصّباحِ كأنّه
ورزيّةُ نزلتْ بِألِ مُحَمَّدِ
حتى نوى في القبرِ جسمُ محمدِ
بالخزنِ من قِطْعِ الظلامِ الأربدِ
خَصَّتْ وَعَمَّتْ آلَ دِينِ مُحَمَّدِ

وله فيه ٢ :

الصبرُ أجملُ عند كلِّ مُلِمَّةٍ
قمرانِ غُيِّبَ بالكسوفِ سناهما
من قاضيين موفّقين كأنّما
لم يَعدُوا نهجَ السبيلِ وإنّما
بنقيّةٍ من صحّةٍ ، وسجّيّةٍ
ورويّةٍ من حكمةٍ ، وقضيّةٍ
لكن على فقديهما لم يجملِ
لا تُخسِفُ الأعمارُ إن لم تكملِ
هذا شُرَيْحٌ في القضاءِ وذا علي
[.....]^٤
من روضةٍ ، وسكينةٍ من يذبلِ
من فطنةٍ ، وبديهةٍ من منصلِ

١ ط د : الدهر .

٢ منها بيتان في المسالك .

٣ س : ما لم .

٤ زيادة من س : والشطر الثاني فيها بياض .

الأديب أبو محمد عبد الله بن صارة الشنريني^١

ناثر وشاعر مُفْلِح ، وشهاب متألق ، نَشَرَ فسحر ، ونظّم فنمنم ، وأولع بالقصار فأرسلها أمثالاً ، ورشق بها نبالاً ، لا سيما قوارعُ كَدَرَهَا على مَرَدَّةِ عصره ، وسم بها أنوف أحسابهم ، وتركها^٢ مثلاً في أعقابهم ، وأوصاف أبدع فيها ، واخترع كثيراً من معانيها ، ومُلِحَ في شكوى زمانه ، دلَّ بها على علوِّ شأنه ، حتى لو أنَّ أبا منصور الثعالبي رآه ، أو سمع شيئاً مما نحاه ، لأضربَ عن ذكر كثير ممن به أغرب ، كابن سُكْرَةَ وابن لنكك ، ومن سلك ذلك المسلك .

وكان أبو محمد على جودة شعره . وشفوفه^٣ على [١٥٤ أ] أهل قطره ، ضيَّقَ المجال ، زُحِّلِيَّ الانتقال ، لم يسعه مكان ، ولا اشتمل عليه سلطان ،

١ عبد الله بن محمد بن صارة (أو سارة) البكري الشنريني الأصل ، نزل اشبيلية وسكنها وتعيش فيها بالوراقة ، وتجول في بلاد الأندلس شرقاً وغرباً للتعليم بالعربية ، وسكن المرية وغرناطة وامتدح الولاة والرؤساء ، وكان حسن الخط جيد النقل قائماً على جمهرة من اللغة والنحو ، وكانت وفاته سنة ٥١٧ (انظر التكملة : ٨١٦ والسلفي : ١٥ والقلائد : ٢٦٠ والخريدة ٢ : ٣١٥ وبنية الملتبس رقم : ٨٩٦ والمغرب ١ : ٤١٩ والرايات : ٣٥ (غ) والمطرب ٧٨ ، ١٣٨ والإحاطة : ٢٤٠ (النسخة الكتانية) والمسالك ١١ : ٣٨٣ وبنية الوعاة ٢ : ٥٧ (نقلا عن الوافي للصفدي) والشذرات ٤ : ٥٥ وزاد المسافر : ٦٦ ووفيات الأعيان ٣ : ٩٣ وانظر ٦ : ٢٥٢ وصفحات متفرقة من نفع الطيب ، وبدائع البدائه : ٣٧٦ وشرح المقامات للشريشي ، وقد مر ذكره في مواطن من القسم الأول ، انظر مثلاً ١ : ٧٩ ، ١٤٧ ، ٣٧٩ .

٢ المسالك : وغلدها .

وكانت قصاراه تتبع المحقّرات ، وبعدَ لأيٍ ما ارتقى إلى كتابةٍ بعضِ الولاة ، فلما كان من خلع الملوكِ ما كان ، أوى إلى إشبيلية أوحشَ حالاً من الليل ، وأكثر انفراداً من سهيل ، وتبلغ بالوراقةِ وله منها جانب ، وبها بصّر ثاقب ، فانتحلها على كساد سوقها ، وخلو طريقها ، وفيها يقول ^١ :

أما الوراقة فهي أيكّة حرفةٍ أوراقها ^٢ وثمارها الحرمانُ
شبهتُ صاحبها بصاحبِ إبرة تكسو العرّاةَ وجسمها عريان

ولقد رأيت له عدّةً مقطوعاتٍ في الهجاء ، تُرّبي على حصّى الدهناء ، وهو فيه صائبُ السهم ، نافذُ الحكم ، طويتُ عليه كشحاً ، وأضربتُ عن ذكره صفحاً ، وربّما ألمتُ منه بالأقلّ ، ل ترى فتستدلّ ، ولو استجزتُ أن أثبتَ في هذا الكتابِ ، بعضَ ما له في هذا الباب ، لتحققتُ أنه بالجملة بائقةٌ محاجاة ، وصاعقةٌ مهاجاة ، وقد كتبتُ من ذلك في كتابي المترجم بـ « ذخيرة الذخيرة » جملةً موفورة ، له ولطوائف كثيرة . وفيما أوردت مع ذلك هنا من شعره ، لما أجريت من ذكره ، حجة فصل ، وشاهد عدل .

١ البيتان في القلائد والمسالك وبغية الوعاة وابن خلكان والإحاطة والشذرات والثاني في

طراز المجالس : ١٤١ .

٢ س : أغصانها .

جملة من شعره في النسيب وما يناسبه

قال في غلامٍ أزرق^١ :

ومهففٍ أبصرتُ في أطواقِهِ قمرًا بأفاقِ المحاسنِ يُشرقُ
تقضي على المُهَجَّاتِ منه صَعْدَةٌ متألِّقٌ فيها سنانِ أزرقِ

وهذا كقول السلامي ، من أناشيد الثعالبي ، حيث يقول^٢ :

أعانقُ من قدّه صَعْدَةٌ ترى اللحظَ منها مكانَ السَّنانِ

وأبو محمد يتسلَّقُ على أشعارِ البيّمة ، تسلَّقَ القاضي الغشوم ، على مالِ
اليتيم . وفي ذلك يقول عبد الجليل :

قدّهُ مهما تشنى صَعْدَةٌ والسَّنانُ الذَّلْتُ فيها طَرَفُهُ

ولابن رباح في غلامٍ أزرق :

عيني رأتهُ أغربَ شيءٍ يَرى منزَّهاً عن كلِّ تشبيهِ
غصن من البلّورِ أعطافُهُ تريك ليناً في تشبيهِ
يسفرُ للياقوتِ في حمرةٍ وإن رنا عن زرقَةٍ فيه

١ انظر القلائد والحريدة وابن خلكان والمسالك والشذرات .

٢ البيّمة ٢ : ٤٠٣ .

وقال أبو محمد أيضاً ١ :

أعندك أن البدرَ كان ضجيجي جعلتُ ابنةَ العنقود بيني وبينه
فقضيتُ أوطاري بغير شفيحٍ فكانتُ لنا أمّاً وكان رضيحي

وقال ٢ :

ومعذري رقتُ حواشي حُسْنِهِ لم يكسُ عارضهُ السوادُ وإنما
فقلوبنا وجدأ عليه رفاقُ نخرتُ عليه صباغها الأحداق

وقال ٣ :

قاسيتُ جبكَ منذ حولٍ كاملٍ فحرمتُ منكَ بلوغَ ما أملتُهُ
وطيورُ آمالي عليك تحومُ أشقى البريةِ عاشقٌ محروم

وقال ٤ :

يا من تعرّضَ دونه شحطُ النوى فاستشرفتُ لحدِيثِهِ أسماعي
لإني لمن يحظى بقربك حاسد ونواظري بحسُدُنَ فيك رقاعي
لم تطوكَ الأيامُ عني وإنما نقلتُكَ من عيني إلى أضلاعي

١ انظر المطرب والمساك والنفح ٣ : ٤٥٨ .

٢ البيتان في القلائد والمطرب والمساك والرايات وابن خلكان وشذرات الذهب والقسم الأول من الذخيرة : ١٤٧ .

٣ انظر المساك .

٤ الأبيات في القلائد والنفح ٤ : ٣٠١ .

وهذا المعنى كثير ومنه قول المعتد^١ :

أغائبة عني وحاضرة^٢ معي كأنك من عيني نُقِلتِ إلى كبدي^٣

وقال العباس بن الأحنف^٤ :

تالله ما شطتْ نوى ظاعنٍ صار من العينِ إلى القلبِ

وقوله : « إني لمن يحظي بقربك حاسد » ، كقول محمد بن أبي أمية^٥ :

قد رأها الرسولُ حين^٥ رأها ليت عيني مكانَ عينِ الرسول

وقال^٦ :

ومهفّفٍ يختالُ في أبراده مَرَحَ القضيّبِ اللدنِ تحتَ البارحِ

عائنتُ في مرآةٍ وهي خدّهُ فحكيتُ فعلَ جفونهِ بجوانحي

لا غرّو إن جرحَ التوهّمُ خدّهُ فالسّحرُ يفعلُ في البعيدِ النازحِ

وبيته الثاني من هذه كقول القائل ، إلا أن أبا محمد زاد فيه ، وهو :

فقتلتني وجرحتُ خدكِ ظالماً ما كان أغنائي وما أغناكِ

١ ديوان المعتد : ٦

٢ الديوان : لئن غبت عن عيني فإنك في كبدي .

٣ لم يرد في ديوان العباس .

٤ كان محمد بن أبي أمية (أو ابن أمية) كاتباً شاعراً ظريفاً من ندماء إبراهيم بن المهدي وهو ممن كان يصاحب مسلم بن الوليد وأبا العتاهية (انظر الأغاني ١٢ : ١٣٩ - ١٥٠) والبيت

الوارد هنا في الأغاني ١٢ : ١٤١ .

٥ الأغاني : وإذا جاءها الرسول .

٦ الأبيات في القلائد والحريدة والمسالك .

وقال ١ :

أيُّ امرئٍ يُعصَمُ من فتنةٍ بشادنٍ لإبليسٍ من جندهِ
جبينهُ المشرقُ من وصلهِ وفَرَعُهُ الخالكُ من صدّه
ملَكْتُهُ رَقِيٍّ ولا رَقَّةً يحظى بها قلبي من عنده
وسطوةُ الهنديِّ في لحظه وعطفةُ^٢ الخطيِّ في قدّه

وقال ٣ :

ماءُ الجمالِ بخدّه مَترقُ والشمسُ منه تعومُ في ضحضاحِ
ما خدّه جَرَحْتَهُ عيني إنما صَبَّغَتْ غَلالَتَهُ دماءُ جراحِ
رشاً له خدُّ البريء ولحظه أبدأ شريكُ الموتِ في الأرواحِ
ذو طرّةٍ سَبَّجِيَّةٍ ذو غرّةٍ عاجيةٍ كالليلِ كالإصباحِ
لله راءُ زبرجدٍ في عَسْجَدِ في جوهرٍ في كوثرٍ في راحِ
أتراه يعلمُ أنّ قلبي عنده رَهْنُ الهوى يهفو بغيرِ جناحِ
مازحْتَهُ ولم أدر ما حدُّ الهوى حتى قدحْتُ زنادَهُ بمزاحِ
لولا العيونُ لكان من دون الهوى وقلوبنا قُفْلٌ بلا مفتاحِ
قامت عليَّ شواهدٌ من حُبّه فأرى الكنايةَ فيه كالإفصاحِ

١ في هامش ط هنا تعليقات بخط غير خط الأصل ، وأكثرها شعر منقول عن القلائد .

٢ س : وسطوة .

٣ منها في المسالك أربعة أبيات .

ومن شعره في الأوصاف

قال في النارج^١ :

أجمر على الأغصان زادت^٢ غضارة^٢ به أم حدود^٢ أبرزتها الهوادجُ
وقضب تشنت^٢ أم قدود^٢ نواعم أعالج من وجدني بها ما أعالج
أرى شجرَ النارج أبدي لنا جني^٢ كقطرِ دموعٍ ضربتها اللواعج
جوامد^٢ لو ذابت لكانت مُدامة^٢ تصوغُ البرى فيها الأكفُ المواج
كرات^٢ عقيق^٢ في غصون^٢ زبرجد بكف^٢ نسيم^٢ الريح منها صوالج
نقبلها طوراً وطوراً نشمتها فهن حدود^٢ بيننا ونوافج

وقال :

رخم^٣ من النارج خمسيه^٣ وقل^٣ نار على الإطلاق ليس تُكذبُ
عجبا^٣ لدوحته^٣ ترف^٣ غضارة^٣ والجمرُ في أغصانها يتلهب
كالغيد لا تشقى بنار^٣ حدودها وقلوبنا في حره^٣ تتقلب

وهذا كقول بعض أهل عصرنا^٣ :

١. انظر القلائد والحريدة والمغرب والرايات ، ومنها أربعة أبيات في المسالك واثنان في النفع ٣ :

٤١٤

٢. القلائد : أبدي .

٣. هو عمر بن الشهيد كما في النخيرة ١ : ٦٩١ .

وتحت البراقع مقلوبها
تسلم من وطئت خدّه
تدب على ورد خد ندي
وتلدغ قلب الشجي الأبعد

وقال أبو محمد^١ :

أهدى الشاء إلى زمانٍ مشرقٍ
قامت فرادى فوق سوقٍ زبرجدٍ
أهدى إليك شقائق النعمانِ
صيغت عليه جمائم العقيانِ
يهفو بها مرّ النسيم كأنها
حمرّ البنودِ نُشِرْنَ في الميدانِ

وقال^٢ :

وحديقةٍ في نرجسٍ وبهارٍ
فكأنما هذا ضحىً متهللٍ
رفعت لواء الحسِنِ للنظارِ
وكأنما هذا أصبلُ نهارِ
أخوانٍ أمهما معاً شمسُ الضحى
شرباً سلاف القطرِ حتى عربدا
وتراجما بكواكبِ الأزهارِ
فأذاع ما كتما من الأسرارِ
فبكى الندى لهما ضحياً ، والندى
مذ كان للأزهارِ أكرمُ جارِ

ومنها :

نمت زجاجتها بها فحسبها
رام المديرُ بأن يسكنَ فورها
ماءٌ يحيطُ بجنوةٍ من نارِ
فتقاذفت جنباؤها بشارِ

١ ورد في المسالك بيتان منها .

٢ منها أربعة أبيات في المسالك .

حتى إذا ما ابنُ الغمامةِ شجَّها نثارَ الحبابِ مُطالباً بالثارِ
في درعٍ نضناضٍ كأنَّ أديمهُ يرنو بأحداقٍ بلا أشفارِ

ألم في هذا بقول المعري وقصر عنه^١ :

كأثوابِ الأرقامِ مزَّقَتْها فحاطتها بأعينها الجرادُ

وكذلك قوله : « أخوانٍ أمهما معاً شمس الضحى » ، من قول ابن

الرومي^٢ :

هذي النجومُ هي التي ربَّتْها بجيا السحابِ كما يربِّي الوالدُ

وقال^٣ :

وبستانٍ وردٍ في مطارفِ سندسٍ يرفُّ على غيدِ السَّوالفِ مُيِّدٍ
نظرتُ إليه في الكمامِ فَخَلَّتْهُ ذوائبُ تبرٍ عُمَّتْ بزبرجدِ

وله يستدعي إلى مجالس الأُنسِ :

أيا تاجاً بهامِ المعلِّواتِ وياوُسْطَى نظامِ المكرماتِ [١٥٥ب]
ومن طَلَعَتْ مآثرُهُ نجوماً بأفلاكِ السعادةِ نيراتِ
أرى ديماً تحثُّ إلى مدامِ يشيعها النديمِ بِخُذْهُ وهاتِ

١ شروح السقط : ٣٠٥ ، يصف الدرع ويشبها بجلد الحية ، وقد شبه المسامير فيها بعيون الجراد .

٢ ديوان ابن الرومي ٢ : ٦٤٤ والمختار : ٢٣٧ وأما القالي ١ : ٢٧٠ .

٣ البيتان في المسالك .

٤ ط : فخذ .

وعندي من بنات الكرم بكر
يطوف بكأسها ساق نبيل^١
يكرُّ إليكَ ألاحظاً مراضاً
يخفّرها ملاحظةُ السّقاء
مليحُ الوصفِ مقبولُ الصفات
كانَ بها بقايا من سنات

وقال :

أيا من جارت العلياءُ فيه
بجيد النّبلِ منّا عقيدُ أنس
فما تدري له العلياءُ كُنْها
أقام بغير واسطةٍ فكُنْها

وقال يصف سحابة :

أعاذكَ الله من ليلٍ بُليتُ به
وأفاني السّحر الأعلى بساريةٍ
هللتُ منها وقد هبت صواعقها
الله من عارضٍ ضاقَ الفضاءُ به
تلاًلاً بالحوّ من نيرانٍ بارقه
وقلتُ إذ قصفتُ للرعدِ قاصفةً^٢
كأنّه بغتةُ المقدورِ إذ طرقا
كادت تُعيدُ صعيداً منزلي زلقا
كراكبِ البحرِ لما شارف الغرقا
طولاً وعرضاً فخلتُ البرّ قد غرقا
حتى حسبنا أديمَ الأرض محترقا
تضعضَ الفتلِكُ الأعلى أو انطبقا

ومن ملح شعره في ذكر الزمان وبنيه ، وتعذر آماله فيه ^١ :

أرى الدينار للدنيا نسبياً
هما سيّان إن صحقتَ حرفاً
رأيتُ هواهما استولى علينا
فوجدتَ الرّاء تنقصُ أو تزيد
يحيّدُ عن الكرام ^٢ كما تحيّدُ
فنحن بحكمه أبدأ عبيد

١ ورد في النّفح ٣ : ٥٦٧ خمسة أبيات منها .

٢ ط : المكارم .

يؤمّلُ أن يصيدهما فؤادي فيرجعُ عنهما وهو المصيد
فكم أصغي إلى زورِ الأمازي ويغرّيني بها الحرصُ الشديد
والمحُ من سنا الدينارِ برقاً غمامتهُ على غيري تجود
يفوزُ به الخليُّ فيحتويه ويحرمُ وصلهُ الصبُّ العميد
يجدُ فاسحَ لا تحفلُ بجِدِّ أبتُ لك صحبةً فيها الجلود
فما حسُنُ التناولِ فات سمعي ولكن فاتهُ الجلدُ السعيد
إلى كم ينفرُ الدينارُ مني ويطلبُ كفَّ مَنْ عنه يجيد
ألم أنشدهُ في وادي هيامي به لو كان يعطفهُ النشيد
« حبيبي أنت تعلمُ ما أريدُ ولكن لا ترقُ ولا تجود »
وكم غنيتُ حين تنكبتني متى شيطانها أبدأ مرید
« يريد المرءُ أن يعطى مناه وبأبي الله إلا ما يريد »

وقال وقد طلق امرأته : [١٥٦ أ]

أما الزمانُ فرقَ لي من طلّةٍ كانت تطلُّ دمي بسيفِ نفاقها
الذئبةُ الطلّساءُ عند نفاقها والحيةُ الرقشاءُ عند عناقها

وقال في هرّ له كان يسمّى رشيقاً :

تبنيتُ الهزبرَ فبات شبلي وأقصيتُ الغلامَةَ والغلاما
أوسدُ ساعدي خدّي رشيقِ وأوسعهُ اعتناقاً والتزاما
وأطوي طولَ ليلى ذكّرَ ليلى ولا أقرا على سلمى سلاما

١ الطلّة : الزوجة .

وقال في أحد الكتاب :

وأغرّ ينتحلُ الكتابةَ خطّةً متوقّدِ كالحيةِ النضناضِ
عشق السّوادَ فأصبحتُ أسنانهُ تشري السوادِ ببيع كلِّ بياضِ
فإذا شحا فاه رأيتَ خنافساً يأوين من فيه إلى مرحاضِ

وقال :

وأبخَرَ قصّ حديثاً له فقال الحضورُ فسا ذا الحدّثِ
فقلت لهم بادروا بالقيامِ فإن الفُساءَ نذيرُ الحدّثِ

وهذا كقول عبد المحسن الصوري :

حديثه كالحديثِ يرفثُ كلَّ الرفثِ

ومن غريب ما قيل في البحر قول الحصري :

أبحرُ لا يحيكُ فيه البخورُ حسدَ الغائبين فيه الحضورُ
قلت لمّا فسا بفيه علينا ما له آستُ فكذبنا الأيور

وقال آخر :

أهدى مغيثُ هرّةً لقمّةً أرسلها من فمه الأبحرِ
فبادر القطُّ إلى دفنها يحسبها من بعضِ ما قد خري

وقال أبو محمد أيضاً :

١ اليتيمة ١ : ٣١٨ .

أما الثنايا فإني لست منثنياً عن الثناءِ عليها آخَرَ الأبدِ
يبدو لطرفك منها حين تُبصرها سنٌ كمثلِ ميسنٍ الصيقلِ الفردِ
كأن جنَّ سليمانِ بنوا فمه بنيانَ تدمرٍ بالصفاحِ والعمدِ
يهدني إلى السَّمْعِ من ألفاظه نغماً كأنها نَفَسَاتُ السحرِ في العقدِ
له فمٌ كحجرٍ في شكلِ صورته « ترمي غواربهُ العبرين بالزبدِ »^١

واستجزت إثباتاً^٢ هذا إذ لم يصرحُ بأحد ، وقد قلت في غير موضع
من كتابي هذا إني نزهته عن الهجاء ، ولم أجعله ميداناً للسفهاء .

وقال من قصيدة :

أرى السيادةَ مذ صافحت هاجِسَها في كلِّ وادٍ من التقوى تهيم بكَا
فما تُلاقيك إلاَّ وهي قائلَةٌ قولَ التي شفَّها الصديقُ هيت لكَا
إنِّي خطوت إليكَ الناسَ كلَّهم ولم أزر سوقَ منهم ولا ملكا [١٥٦ب]
أشكو إليكَ ولا عارٌ بذِي وَصَبِ ألقى التداويَ من أوصابه فشكا
الخرَجُ^٣ أخرجَ رأسي من شبيبته فكلما افترَّ نغرُ الشيبِ فيه بكى
وفي الشهور إذا وافين لي شهرٌ يظلُّ عنيَ فيه السترُ منهتكَا
وما الهلالُ بمبيضٌ لدى مُقَلِّي كأنه من قنيرِ الشيبِ قد سبكا
أو من دراهمَ مذ باتت منجمَةٌ عليَّ كدتُ أسبُّ النجمِ والفلكا

١ علق ناسخ ط هنا بقوله : انظر هذا الخنا البشيع . فسبحان من قدر علي بكتبه ، فإننا لله وإنا
إليه راجعون .
٢ ط د : أبيات .
٣ ط : الحرج .

وقال أيضاً في مثله ١ :

لولا الخراجُ خرجتُ عنه ولم تكنُ
قالوا الخراجُ فقلتُ ضُمُّوا خاءهُ
نُوبُ الزمانِ خواطراً بخواطري
فهو الخُراجُ على سوادِ الناظر

وقال من قصيدة ٢ :

سافرُ فإنَّ الفتى من باتَ مفتحاً
ولا يذودنكَ عن وجهِ تصعبهِ
تنمَّرَ الدهرُ لي حتى مرقتُ له ٣
لا بدَّ أن يقعَ المطلوبُ في شركي
قاضي الجماعة في دار الإمارة لي
فلمستُ أنشد والقاضي بقرطبةِ
« جار الزمانُ علينا في تصرفهِ
ولا أقولُ وعندي من تهتمهِ
« عندي من الدهر ما لو أنَّ أسره
أصغرتُ من زمني ما كنتُ أكبرهُ »

تُفلَّ النجاحُ بمفتاحٍ من السِّفرِ
قد ينبعُ الكوثرُ السَّلْسَلُ من حجرٍ
من قسوريِّ الدجى في فروة النمرِ
ولو بني وكرههُ ٤ في دارة القمرِ
قاضي على الدهر إن لم يقض لي وطري
يُسَرُّ بالعدل والأحكام والسيرِ
وأبي دهرٍ على الأحرار لم يجرِ
ما يطردُ الهَمَّ عن نفسي وعن فكري
يُسَلِّقني على الفالكِ الدوَّار لم يدرِ
لما نظرتُ إلى آياتِهِ الكبرِ

وفيها :

وهاك بكرةً تريك الحسنَ في قحَّةِ
إذا تجلَّتْ وحسُنُ البكرِ في الحفرِ

.....

١ لم يرد البيتان في س .

٢ منها أربعة أبيات في كل من القلائد والحريدة .

٣ الحريدة والقلائد : الدهر حتى ما فرقت له .

٤ الحريدة والقلائد : داره .

لها بذكركَ أنفاسٌ مُعَطَّرَةٌ
 طالعٌ بغرتك الميمون طائرُها
 ولا تدعني في كفِّ الزمان سدىً
 وقد تلينُ الليالي بعد قسوتها
 لم ألقَ في الوردِ إلا ما أنسيتُ به
 كما تنفست الأزهارُ في السحر
 نواظراً بك في أمنٍ من الطيرِ
 كالقوس عطلها الرامي من الوتر
 ويسمحُ الوردُ بعد الشوك بالزهر
 وأنت لي وزرٌ من وحيشة الصدر

قواه : « واو بنى وكره في دائرة القمر » من قول المعري^١ :

ولو أني في هالة البدر قاعدٌ
 لما هاب يومي رفعتي وجلالي

وأظنَّ أبا ذؤيب افتتحه بقوله^٢ :

ولو أني استودعته الشمس لارتقت
 إليه^٣ المنايا عيَّنتها أو رسولها

وقال : [١٥٧ أ]

جزى الله إخواني جميلاً^٤ فإنني
 همُ وصلوا كفي فكانوا سواعداً
 أفلدُهمُ حرَّ الثناء فإنهم
 أبا بكرٍ الأولى بحمدي وبالمنى
 أهرُ حساماً من لسانك إن سَطَّتْ
 وجدتهمُ لي عُدَّةً في الشدائدِ
 ولا خيرَ في أيديِّ بغيرِ سواعدِ
 بجيدِ المعالي واسطاتُ القلائدِ
 نثرتُ على الأحرارِ دُرَّ المحامدِ
 مضاربُهُ ذلتُ رقابُ الشدائدِ

١ شروح السقط : ١٢١٠ .

٢ ديوان الهذليين ١ : ١٧٤ .

٣ ط د : استودعته . . . إليها .

٤ س : جديماً

عسى أملي يحظى بإدراكِ سُؤْلِهِ فثمراً بالإنجاز أَيْكَ المواعد

وله :

لم أكسهم مِدَاحِي إِلَّا لَأَكْسُوهُمْ من سرّوهم سُنَّةَ الأحجالِ والغررِ
ولم أزدَهُمْ بِهَا فضلاً وهل أحدٌ في وَسْعِهِ رَفَعُ قَدْرِ الشَّمْسِ والقمرِ
مِنْ كُلِّ مَنْ يَدُهُ يَمْضِي بِهَا قَدَمًا باعٌ طویلٌ وِباعُ السيفِ ذو قصرِ
بِحَرٍّ وصارمُهُ الدامي براحته نهرٌ على ضفتيه يانِعُ الثمرِ

ومعنى هذا البيت كثير ، ومنه قول المرّبي^١ :

روضُ المنايا على أنّ الدماءَ به وإن تخالفنَ أبدالاً من الزهري^٢

وقوله : « ولم أزدهم بها فضلاً » ، من السرق الواضح ، والاهتمام
الفاضح ، وهو قول أبي الطيب^٣ :

مَنْ كان فوقَ محلِّ الشَّمْسِ موضعه فليس يرفعهُ شيءٌ ولا يَضَعُ
وقال أبو محمد من قصيدة :

شاورتُ في سيري إليه عزيمةً قُرِنْتَ بسعي لا يخبُّ نجيحِ
لم أهرِ حينَ علوتُ مَتْنَهُ بِرَاقِهِ أعلى البراقِ نزوتُ أم في اللُّوحِ

١ شروح السقط : ١٥٨ .

٢ وصف السيف بأنه روض المنايا ، والدماء المختلفة فيه أنواع من الزهر .

٣ ديوان المتنبي : ٣٠٦ .

٤ ط د : تروت .

ه سقط البيت من س .

ومنها :

يَجْتَابُ أُرْدِيَةَ الْعِجَاجِ وَنَحْتَهُ
شَيْحَانٌ لَمْ يَعْرِفْ دَرِيْسُ قَمِيصِهِ
وَأَنَا الَّذِي أَخْفَيْتُ جَهْدَ خِصَاصِنِي
حَتَّى بَدَأَ مَاءُ النَّدَى مَرْتَقِرًا
وَأَجَلْتُ مِنْهُ نَوَاطِرِي فِي غُرَّةِ
قَاضِي الْقِضَاةِ الْمُجْتَبِي مِنْ مَعَشِرِ
مَمَّنْ تَرَفُّ لَهُ عَلَيْكَ جَوَانِحُ
كَمْ قَلْتُ إِذْ قَالُوا زَمَانٌ قَابِضٌ
إِنْ طَافَ مِنْ حَدَثَانِهِ الطُّوفَانُ بِي

أَشْلَاءُ ذِمْرٍ أَوْ صَفِيحُ ضَرِيحِ
عَرَفَ الْكِبَاءِ سِوَى دَخَانِ الشَّيْحِ
مِنْ بَعْدِ مَا ارْتَشَفَتْ بُلَالَةَ رُوحِي
فِي صَفْحَتِي طَلَّقَ الْبَيْدِينَ صَفُوحِ
تَسْتَنْطِقُ الْأَفْوَاهَ بِالتَّسْبِيحِ
كُسَيِّ الْمَدِيحِ بِهِمْ حُلِيَّ مَدِيحِ
فِيهَا صَحِيحُ مَوْدَّةٍ وَجَنُوحِ
مِنْهُ الْكَرِيمُ عَلَى عَيْنَانِ جَمُوحِ
فَمَكَارِمُ الْقَاضِي سَفِينَةُ نُوحِ

وله فيه من أخرى^١ :

اللَّهِ أَكْبَرُ قَدْ وَافَيْتُ قَرطَبَةَ
وَقَدْ تَهَلَّلَ بِي وَجْهُ النِّجَاحِ بِهَا
تَزْهُو الْعَلَا بِمَسَاعِيهِ إِذَا ذُكِرَتْ
لَمْ يُرْضِهِ عَرَضُ الدُّنْيَا فِجَادَ بِهِ

دَارَ الْعُلُومِ وَكَرْسِي السُّلَاطِينِ^٢ [١٥٧ب]

طَلَّقَ الْأَسْرَةَ مِنْ وَجْهِ ابْنِ حَمْدِينَ
زَهْنَوَ الْأَنْوَفِ بِأَنْفَاسِ الرِّيَاحِينَ
وَضَنَّ بِالْأَكْرَمِيِّينَ : الْعَرَضِ وَالْدِينِ

١ فيه من أخرى : سقطت من ط د .

٢ ورد هذا البيت في النفع ٣ : ٢٦ .

انتهى السفر الثاني من الذخيرة والحمد لله حق حمده وصلّى الله على سيدنا ومولانا
محمد المصطفى الكريم ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

وكان الفراغ منه عام خمسة بعد ألف في زوال
يوم الأربعاء الرابع والعشرون [كذا]
من ذي القعدة ، عرفنا الله خيره ،
ووقانا ضيره ، بمنه ويمنه

تذليل و استدراقات

تذييل

حين كان هذا القسم يكاد يشارف النهاية في المطبعة ، وصلتني صورتان عن نسختين منه^١ وإليك وصفاً موجزاً لكلّ منهما :

(١) نسخة الخزنة الملكية بالرباط (رقم : ٧٧٥٣) ورمزها (ك) ، وهي تشتمل القسم الثاني كلاًه ، وتضمّ ٢١٥ ورقة ، وفي كل صفحة من صفحاتها ٢٣ سطرأ ، ومعدّل الكلمات ١٣ كلمة في السطر الواحد ؛ مكتوبة بخط مغربي حديث ، وفي بعض سطورها تحشيات بخط أحدث ، وفي أوراقها اضطراب ، وفيها خرم ضاعت بسببه بضع صفحات .

ويمكن أن تعدّ هذه النسخة دون تردد من فئة (ط) ولهذا نجدتها تطابق (ط د) بوجه عام وربما انفردت بزيادات قليلة (وخاصة في إحدى قصائد ابن عمار وفي بعض أبيات للمعتمد) ، وهي لا تشذ عن (ط د) في القراءات حيث تكون هاتان متطابقتين . وتنفرد بعد ذلك بقراءات بعضها مرجح على ما عداه . ولهذا أثبتته في الاستدراكات التالية . وبعضها يرجح ولذلك أرجأته إلى جزء أخصصه للتعليقات العامة على جميع أقسام الذخيرة (وهو فيما أقدر سيكون جزءاً تاسعاً ، إذا وفقني الله إلى إنجازها) ، وهذا القسم المرجوح هو الذي تنفرد به (ك) عن أختيها (ط د) ، فأما ما تتفق فيه معهما فلا أرى داعياً لإثباته .

(٢) نسخة المكتبة البودليانية باكسفورد (I : 749) ورمزها (ل) ، وهي أصل

١ تلتفت الصديق الدكتور عدنان البخيت ، الأستاذ بالجامعة الأردنية . فأرسل إلي ميكرو فيلم عن نسخة الخزنة الملكية رقم 7753 كما تلتفت الابن العزيز الأستاذ رمزي بعلبكي فأرسل إلي ميكرو فيلم عن نسخة المكتبة البودليانية باكسفورد . فالصديقين ، جزيل الشكر وأوفاه .

النسخة (س - الباريسية) ولذلك تقع في فئة النسختين (م س)، إلا أنها أكمل من (م) لأن هذه الأخيرة تقف عند جانب من ترجمة ابن عبدون، وأصح كثيرًا من (س) التي تشاركها في الأخطاء الأصلية وتضيف كثيرًا من الأخطاء الجديدة. ولما كانت كذلك فإنها تتمتع بما في النسختين من زيادات أشرت إليها في الحواشي؛ وربما كان خطها المغربي الدقيق الجميل يشير إلى أنها من أقدم ما لدينا من نسخ الذخيرة. إلا أنها لا تحمل تاريخًا للنسخ. وتقع في ٢٣٠ ورقة وفي الصفحة الواحدة من صفحاتها ٢٥ سطرًا، ومعدل الكلمات في السطر الواحد ١٢ كلمة. وتحفل بعنوانات للفصول والفقرات مكتوبة بخط كبير.

وقد اعتمدت بعض قراءاتها الضرورية لقارئ هذا القسم وأدرجتها في الاستدراكات التالية محتفظًا بالمقارنة الشاملة للجزء الخاص بالتعليقات العامة.

مما تقدم يتضح أن هاتين النسختين لوقوعهما في فئتي المخطوطات التي اعتمدها منذ البداية لم ينتشلا هذا القسم من الذخيرة مما يشكوه من نقص متصل بترجمة البكري وترجمة ابن حجاج (التي لا وجود لها في المخطوطات المتوفرة لدي) - كما وضحت في مقدمة هذا القسم - ولكنهما قدّمتا بعض الفائدة في ترجيح بعض القراءات على البعض الآخر.

استدراكات^١

- ٧٤ حاشية رقم ١ : البيان المشار إليهما لا يردان في هذا القسم ، فالقول يوزودهما وهم .
- ٢٧٤ : ٨ - ٩ أن غماءهم لا تنفرج ، وظلماءهم لا تنجلي ولا تتبلج (كما قدرتُ في الحاشية رقم : ٤)

١ ميزت ما اعتمدت فيه على النسخة (ل) باثبات هذا الحرف إلى جانب القراءة المرجحة ، ومعنى ذلك أن كل ما لم يرفق به رمز فانه مستمد من (ك) . والرقم الأول يشير إلى الصفحة والثاني إلى السطر .

ومجلى دياجير الظُّلمِ والظُّلُمِ	١١ : ٢٨٦
وتعطلت أجيادُ الأنوار	٣ : ٢٩٠
من مختم الكتاب	١٥ : ٣٠١
فكيف تزلُّ (لعلها : تنزل) لي عن سهوة الابتداء	٤ : ٣٢٩
أن يشدَّ على علق مضنَّة منه يده	٩ : ٣٣٩
زاد في (ك) بعد السطر : ١٣ :	٣٤٨ :
كلام لو ان البقل أدلى بمثله رمى البقل واخضرَّ العضاء المصيف	
وابذل لها (احذف كلمة : بها)	١٢ : ٣٥٠
وأعرب عن نحيزته وانتسب .	٩ : ٣٥٤
وبعد انتبازه من منازل شلب	١١ - ١٠ : ٣٧١
أما معاني أول هذه القصيدة (كما في النسخة : د)	٢ : ٣٧٧
زاد في (ك) بعد السطر : ٦ « وقد رأيت البيت الأول منهما	٤٠٩ :
على قافية أخرى :	
أسأت إليّ فاستوحشت مني ولو أحسنت أنسك الجميلُ	
من حَفَّ أظآر العلاء في معشر	٥ : ٤٥٧
يا تربة استبقي سناه ويا بلى	١٧ : ٤٨٤
وألفاظ التأين مبنية على كثرة التفجع .	٨ : ٤٨٩
الشماثل الراجعة الصادقة .	٢١ - ٢٠ : ٦٨٢
إذا شهدوا القتال (ل = كما في الديوان)	١٩ : ٧٣٢
إذا التقت الرياح (ل = كما في الديوان)	٣ : ٧٣٣
أحبال بالدين والدنيا على الخبر (ل)	٣ : ٧٤٥

- ٧٤٦ : زاد في (ل) بعد السطر : ١٩ البيت التالي :
أجللتها فاستبانة نصف دائرة لو كلفت شأوها الأفلاك لم تسر
- ٧٤٨ : ٤ غير نفس حرة زاحمت به (ل) .
- ٧٤٩ : ٥ أهلدوا بمنهل من الغيث (ل) .
- ٧٥٥ : ١٤ ويميد بعض الريش إلى جناحي .
- ٧٥٨ : ٩ أملكَ أبا الحسين (كما قدرت في الحاشية رقم : ٣)
- ٨٧٣ : ٨ فسيل ما وردني به الآن .
- ٧٩٤ : ٣ اقرأ : « وإن كان [ابن المعتز] قد تقدم في تقسيم التشبيه . . . »
والبيت التالي في غرائب التشبيهات : ٣٦ لابن المعتز ، وينسب
أيضاً للصنوبري : انظر ديوانه : ٤٨٧ .

فهارس الكتاب

١ - فهرس الأعلام

ابن أبي (أبو جعفر) ٧٤٢ ، ٧٤٣	أ
أحمد (في شعر) ٤٠٩	آدم ١٥٦ ، ٥٨٤ ، ٨٢٠
أحمد (دون تعيين) ٧٤٤	الآمدي ٦٤٤
أحمد ابن أبي أحمد المتوكل ٢٥	ابن الأبار أبو جعفر ١٠٦ ، ١٠٨ ،
أحمد بن الحسين المنني أبو الطيب ،	١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٢٥ ،
انظر : المنني	(١٣٥ - ١٥٨) ٢٠٣ ، ٢٠٧ ،
أحمد بن صالح ٣٩٠	- ٢٠٩ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧
أحمد بن عبد الله بن هريرة ،	أبان بن عبيد ٣٩٧
انظر : الأعمى التطيلي	إبراهيم (الخليل) ٢١١
أحمد بن علي بن القاسم ، انظر :	إبراهيم الشاشي ٧٩
ابن عشرة	إبراهيم بن العباس الصولي ، انظر : الصولي
أحمد بن محمد البلخي الاشبيلي	ابن أبي ربيعة ، انظر : عمر بن
(٢١٣ - ٢١٤)	أبي ربيعة
أحمد بن المدبر ٨١٢ ، ٨١٣	ابن أبي زرعة ١٤٨
الأحيمر ٦٤٦	ابن أبي عامر ، انظر : المنصور
ابن الأنضر (علي بن عبد الرحمن)	ابن أبي عتيق ٢٢٥
٣١٠	ابن أبي قرعة اليفرني ٣٩
الأخطل الثقلي ١٤٧ ، ٥٤٤ ، ٦٣٠	أبي (والد أبي جعفر) ٧٤٤

٢٩ ، ٢٢ ، ١٩ ، ١٥ ، ١٤	الأخطلي ٧٦٧
إسماعيل بن عباد (ابن المعتضد)	الأخفشان ٧٢٧
٥٠ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٨٣ ،	ادريس بن يحيى الحمودي ٦٥٨
١٨٤	٧٩٢ ، ٧٩١
إسماعيل بن محمد الملقب بجيب	ادريس بن اليماني ١٠٦ ،
٢٠٢ ، ٢٠٠ ، (١٣٥ - ١٢٤)	٦٩٢ ، ١٣٦
الأشتر النخعي ٨٩٦	اذفونش بن فرزند ٢٤١ ،
أشجع السلمي ٤٨٤	٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،
أشعب ٤١٥	٤١٠ ، ٤٣٦ ، ٦٥٠ ، ٨١١
الأصينغ ٦٣٨	أربد (أخو لبيد) ٣٤٩
أبو الأصينغ ٧٣٠	ابن أرقم ، أبو الأصينغ ٤٦
أبو الأصينغ ابن سعيد (٢٠٩ -	ابن الاستجي ، أبو الحسن
٢١٠)	(٢٠٠ - ٢٠٦) ، ٦٣٧
الأصمعي ١١٧ ، ٢٢٤ ، ٥٨١ ،	إسحاق الموصلبي ٣٤٩ ، ٢٢٤ ،
٥٨٢	٣٨٥ ، ٧٠٧
ابن الاطنابة ٧٦١	إسحاق بن كيغنج ٣٣٤
الأعشى ٢٠١ ، ٦٩١ ، ٧٧٢ ،	إسحاق بن معلى ٤٨٧
الأعشيان ٧٢٧	الأسعد بن بليطة ٤٤
الأعدى التطيلي (أبو جعفر أحمد بن	إسماعيل البرمكي ٥٥٣
عبدالله بن هريرة) ٥٤٤ ،	إسماعيل بن عباد (جد المعتضد)
٧٢٤ ، (٧٢٨ - ٧٥٣)	٢٣٤
الأعلم (يوسف بن عيسى أبو	إسماعيل بن عباد (أخو المعتضد)
الحجاج) ٤٧٤ ، ٤٧٨ ، ٤٨٤	

الباجي (جعفر بن يوسف) ١٨٦	ابن الأفتس ٥٤٤
الباجي (سليمان بن خلف أبو الوليد) (٩٤ - ١٠٥)	ابن الأفتس (المتوكل) ، انظر : المتوكل ابن الأفتس
الباجي (عبد الله بن جعفر) ١٨٦	ابن الأفتس (المظفر) ، انظر :
الباجي (يوسف الجلد) ١٨٦	المظفر بن الأفتس
ابن الباجي (يوسف بن جعفر ، أبو عمر) (١٨٦ - ٢٠٠)	ابن الأفتس (والدة المظفر) ٢١
٣٤٢ ، ٢٦٦	امرؤ القيس ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٣ ، ٢٥٠ ، ٣٥٧ ، ٤٤٦ ،
باديس بن حبوس ٣٣ ، ٤٩ ،	٤٤٩ - ٤٥٥ ، ٥٥٠ ، ٦٩٠ ،
٢٣٧ ، ٥٠	٧٠٠ ، ٧٠٤ ، ٧١٥ ، ٧٢١ ،
باقل ١١٧ ، ١٨٢	٧٤٧ ، ٧٦٦ ، ٧٩٤
بجير بن الحارث ٦٢٨	أم الربيع (جارية المعتمد) ٤٣ ، ٤٤ ،
البحري ١٢ ، ٩١ ، ٢٢٢ ،	أم مالك ١٠٢
٣٥٤ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٤٦٩ ،	أمير المسلمين وناصر الدين ، انظر :
٤٩٢ ، ٤٩٩ ، ٥١٢ ، ٧٧٧	علي بن يوسف بن تاشفين ؛ يوسف بن تاشفين .
بديع الزمان الهمداني ٥٣٨ ، ٦٩٦	الأمين العباسي ١٥٢ ، ٧٢٣
ابن برد الأصغر ، أبو حفص	أبو أنس (الضحاك بن قيس) ٧٢٢
١٢٧ ، ٢٣١ ، ٨٠٥	أويس القرني ٦٧٢
البرغواطى ، انظر : سقوت بن محمد	ابن أيمن ، أبو عبد الله (٦٥٢ - ٦٦٨)
ابن برلوصة البطليوسي ، أبو عمر	أبو أيوب ٧٧٩
(٨٠٥ - ٨٠٧)	ب
ابن بسام الشنري ١١ ، ١٣ ،	ابن بابك ١٦٨ ، ٧٤٧

أبو بكر الخولاني المنجم	٢٤٤، ٥٦	١٨ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٨ ،
أبو بكر الداني ، انظر : ابن اللبابة		٤١ ، ٤٩ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ٦٩ ،
أبو بكر الصديق	٩٤ ، ٤٤١	٩٤ ، ١٢٧ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ،
أبو بكر ابن الاشيلي الحكيم	٣٨٥	١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٦٨ ،
أبو بكر بن سعيد البطليوسي (ابن القبطورنه)	٧٤ ، ٦٠٨ ،	١٨٦ ، ٢٢١ ، ٢٦٨ ، ٢٨٤ ،
(٧٥٣ - ٧٧٣)		٣٧٦ ، ٣٨٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ،
البكري ، انظر :		٤١٧ ، ٤٢٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٥ ،
أبو الحسن غلام البكري		٤٤٦ ، ٤٥٢ ، ٤٦٢ ، ٤٧٩ ،
أبو زيد البكري		٤٩٩ ، ٥٤٤ ، ٥٥٠ ، ٥٧٩ ،
أبو عبيد البكري		٥٨١ ، ٦٣١ ، ٦٣٤ ، ٦٣٧ ،
ابن بلبل ، انظر : أبو الصقر ابن بلبل		٦٤٢ ، ٦٥٠ ، ٦٧٩ ، ٦٨٩ ،
بلج بن بشر القشيري	١٤	٧٠٤ ، ٧٨٤ ، ٧٩٠ ، ٧٩٧ ،
ابن بياح السبتي أبو الحسن	٧٣٠	بسطام بن قيس
٧٣٣ ، ٧٣٢		٧٢٩ ، ٧٦٩ ،
ابن بيض	٧٦٠	٧٧٠
ابن البين البطليوسي	٢٢٢ ،	بشار بن برد
(٧٩٩ - ٨٠٣)		٤٢ ، ٢٢٥ ،
ت		٢٩٦ ، ٦٨٥ ، ٧٧٧ ،
٥٥٠	تبع	بشر بن أبي خازم
٨٢	الترمذي	٧١٣
٦١ ، ٧٨ ، ٩١ ،	أبو تمام	ابن بقي ، أبو بكر (يحيى بن محمد)
		(٦١٥ - ٦٣٦)
		أبو بكر
		٧٨٤
		أبو بكر (في شعر)
		٦١٨
		أبو بكر (صديق ابن بقي)
		٦١٦

ابن الجعد أبو الحسين (الحسن)	١١٥ ، ١٢٠ ، ١٤٧ ، ١٧٠ ،
(٥٦٢-٥٥٦) ، ٤٨٧ ، ٢٥٦	، ٢٥٦ ، ٢٥٤ ، ٢٤٧ ، ١٧١
ابن الجعد ، أبو القاسم (٢٨٥ -	، ٤٤٢ ، ٣٨٠ ، ٣٣٤ ، ٣٢٢
٣٢٢) ، ٣٤٢ ، ٣٤٧ ،	، ٤٩٢ ، ٤٨٩ ، ٤٦٩ ، ٤٤٣
٣٥٣ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٧ ،	، ٦٠٥ ، ٥٥٢ ، ٥١٣ ، ٤٩٣
٦٧٩ ، ٧١٥	، ٦٤٣ ، ٦٢٩ ، ٦٢١ ، ٦١٨
جذيمة الأبرش ٦٣ ، ٧٢٥	، ٦٩٣ ، ٦٩١ ، ٦٨٦ ، ٦٤٥
ابن الجراح الوزير ١٣٩ ،	٧٧٦ ، ٧٦١ ، ٧٥٥ ، ٧١٤
١٤٠	التنوخى القاضي ٦٣٣
جران العمود النميري ٦٤٥	، ٢٤٨
ابن جرج ، أبو جعفر ٤١٥	٧٩٥ ، ٤٨٨ ، ٤٨٦
البحراني النحوي ٧٢٧	ث
جرول (الخطيئة) ٥٤٤	ثابت بن أبي ثابت ١٥٤
جرير بن الخطفي ٦٣ ، ١٥٣ ،	الثعالبي ، أبو منصور ١٥٢ ،
١٨٠ ، ٢٢٤ ، ٥٣٩ ، ٦٤٦ ،	٦٣٣ ، ٧١٣ ، ٧٣٤ ، ٨٣٦
جعفر الطيار ٧٢٢	ثعلب ٧٢٧
جعفر بن يحيى البرمكي ٧٢٣	ج
أبو جعفر الكفيف ، انظر : الأعمى	جابر بن المعتضد ٥٠
التطيلي	الجاحظ . أبو عثمان ٦١ ،
أبو جعفر المحدث ٤٩٤	١١٧ ، ٢٨٥ ، ٧٠٣
أبو جلدة اليشكري ٧٦٠	
جُمَل ٦١٣	

ابن جمهور	٢٥٦ ، ٤٥٠ ، ٤٥١	حبيب الوزير (محمد بن أحمد بن عامر)	١٩ ، ٢٤
الجميع (منقذ بن الطماح)	٧٠٠	حبيب بن أوس ، انظر : أبو تمام	
جميل بن معمر	٤٥١ ، ٧٠٥	ابن حبيب ، انظر : إسماعيل بن محمد	
جنوب أخت عمرو	٥١٣		
ابن جهور	٣٧ ، ٣٣ ، ١٨	ابن حجاج البغدادي	٧٨٤
ابن جهور، أبو الوليد	١٢٧ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧	ابن حجاج ، أبو بكر	٤٦٨
الجوفان (عمرو ومعاوية)	٧٢٦	حجر بن عمرو الكندي	٧٢١
		ابن حزم ، أبو بكر	٦١١
		ابن حزم ، أبو الحكم (٥٨٨ - ٥٩٨)	٦١١ ، ٦١٠ ، ٥٨٨
حاتم الطائي	١٠٧ ، ٣٦٦ ، ٣٩٥ ، ٦١٧ ، ٦٢٨ ، ٦٨٧	ابن حزم ، أبو محمد	٩٦ ، ٦٧٩
أبو حاتم الحجاري	٤٤٣ ، ٦٣٤	ابن حزم ، أبو المغيرة	٣٢١ ، ٦٧٩
أبو حاتم السجستاني	١٣٨ ، ١٣٩	ابن حزم ، أبو الوليد	٢٢٢ ، ٥٨٨ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٨
حاجب بن زرارة	٧٦٦		(٦١٥ -)
الحارث بن بسخر	٤٠٥ ، ٤٠٦	حسام الدولة بن رزين ، انظر : ابن رزين	
الحارث بن ظالم	٧٦٦		
الحارث بن هشام	٢٤٦ ، ٢٥٠		
	٢٥١		

ابن حصن ، أبو الحسن (١٥٨)	حسان بن ثابت ، ٣٢ ، ٢٥٠ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٦٧٣
١٨٦ - (٢٠٥ ، ٦٩١)	حسان بن المصيصي ، ٢٤٨ ، ٢٧٣ ، (٤٣٣ - ٤٥١) ، ٥٩١
الحصين ٦٩٢	ابن حسداي ، أبو الفضل ٤٠١
الحصين بن الحمام المري ٣٣٣	الحسن بن حسان ، انظر : السناط
ابن الحضرمي ، أبو الوليد ٣٩١	حسن بن علي بن أبي طالب ٧٢٢
٦٤٦ ، ٦٥٢	الحسن بن عمر الهوزني ، انظر :
ابن الحضرمي ، محمد بن عيسى	الهوزني ، أبو القاسم
٣٧٩ ، ٧٤١	الحسن بن هانيء ، انظر : أبو نواس
الحكم المستنصر ٦٤١	الحسن بن وهب ، ٧٥٦ ، ٧٦١ ، ٥٩٠
حكم الوادي ٦٣١	أبو حسن ٥٩٠
الحليس ٦٨٧	أبو الحسن بن سعيد البطلبيوسي
حمدويه الأحول ٤٦٩	٧٤ ، ٥٨٨ ، ٧٥٣ ، ٧٦٩ ، ٧٧٣ ، ٧٧٢
ابن حمديس الصقلي ٧٦ ، ٦٢٤	الحسين بن علي بن أبي طالب ٧٢٢
ابن حمدين القاضي ، أبو عبد الله	أبو الحسن (غلام) البكري
٢٢٢ ، ٢٦٠ ، ٥٦٩ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٥٠ ، ٧٦٤ ، ٨١٧ ، ٧٢٢	(٥٦٣ - ٥٧٣)
حمزة بن عبد المطلب ٧٢٢	الحصري المكشوف ٦٦ ، ٦٧ ، ١٤١ ، ٥٥٧ ، ٦١٨ ، ٦٦٢ ، ٨٤٥
ابن الحنات الرعيني ١٩٥	حصى بن حذيفة ٤٨٩
حنظلة الكاتب (حنظلة بن الربيع)	
٨١٤	
أبو حنيفة الدينوري ٢٠١	
حواء ٧٦٤	

ابن حيان، أبو مروان المؤرخ ١٤ ، الخنساء (تماضر) ٧٠ ، ١٢٣ ،
 ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٤٤٩ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٧٢٠ ،
 ٣٣ ، ٤٠ ، ٢٣٣ ، ٦٣٧ ، خولة ٩ ،
 ٦٤١ ، ٦٤٩ ؛ ٦٥٠ ، ٦٥٨ ، ابن خيرة الصباغ (٢١٠) -
 أبو حية النميري ٤٧٦ (٢١٢)

د

دارا ٧٢١ ، ابن داود الظاهري ١٣٩ ،
 ابن الدب ، أبو مروان ٣٢٤ ، ابن الدباغ ، أبو المطرف ٣٩٢ ،
 ٦٥١ ، ٦٥٣ ، ٦٦٤ ، ابن دراج القسطلي ٤٦٩ ،
 ٦٩٢ ، دريد بن الصمة ٢٧٢ ، ٤٩٠ ،
 دعبل الخزاعي ٥٤٤ ، دعمي ٦١٧ ،
 دعبيص الرمل ٧٦٦ ، أبو دلامة ٥٤ ، ٥٥ ،

ذ

أبو الذبان ، انظر : عبد الملك بن

خ

خارجة السهمي ٧٢٢ ، ابن خاقان (وزير المتوكل) ٣٨٦ ،
 خالد ٦٩٠ ، خالد بن جعفر ٧٨٤ ،
 خالد بن الوليد ٨٧ ، خالد بن يزيد ١٤٧ ،
 خبيب (بن عدي الأنصاري) ٧٢٢ ،
 ابن خزرون ٣٩ ، ٢٨ ، الخصب (والي خراج مصر)
 ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ابن خلدون ، أبو محمد
 ٧١٩ ، ٧٢٠ ، خلف الأحمر ٦٣٣ ،
 الخليل بن أحمد ٧٢٧

ربيعة بن مكرم ٤٦٠	مروان
ابن رزين، حسام الدولة ٢٢١ ،	أبو ذر الغفاري ٦٤٢
٢٢٩ ، ٤٠٠	ذو الاصبح العدواني ١٢
رستم ٧٢٢	ذو حاجب ٧٢٢
الرشيد (هارون) ٣٤٩	ذو الخمار ٦٤٢
الرشيد بن المعتمد ، أبو الحسين	ذو الرمة ١٣٣ ، ١٦٩ ،
٣٨٥ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤٢٦ ،	٦٩١ ، ٧٠٢ ، ٧٩٤
٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٩٩ ،	ذو القروح ، انظر : امرؤ القيس
٥٠٠ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥٢١ ،	ذو الكلاع الأصغر ٨٢
٧٠٨ ، ٧٠٩	ذؤاب بن أسماء ٢٧٢
ابن رشيق الأندلسي ٧٧٠	أبو ذؤيب الهذلي ٤٢٢ ، ٨٤٨
ابن رشيق القيرواني ١٦٤ ،	ابن ذي النون ، انظر : المأمون
٤٣٨	ابن ذي النون
الرضي ، انظر : الشريف الرضي	ر
الرمادي (يوسف بن هارون)	الراضي بن المعتمد ، أبو خالد
١٤١ ، ١٥٦ ، ٣٧٧ ، ٤٦٧ ،	٦٩ - ٧١ ، ٢٨٥ ، ٤٢٢
٤٦٨ ، ٧٠٣	٤٢٤ ، ٤٢٨ -
رملة بنت الزبير ١٤٧	الرباب ٦٦
روح بن حاتم المهابي ٥٥ ،	ابن رباح ، أبو تمام ٤٧٠ ، ٧٠٥
٥٦	٨٣٦
روح بن زنباع ٦٩٤	الربيع بن زياد ٧٢٥
ابن الرومي ٩١ ، ١٣١ ،	

١٤٦ ، ١٥٥ ، ١٦٨ ، ٢٢٢ ، زهير الصقلبي ١٧
 ٢٥١ ، ٣٧٩ ، ٤٨٨ ، ٤٩٦ ، زهير بن أبي سلمى ٧٧٢
 ٦٠٥ ، ٦٣٢ ، ٦٩٥ ، ٧٠١ ، زهير بن مسعود ٦٨٧
 ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٩٣ ، ٨٤٢ ، زياد بن أبي سفيان ٣٨٣ ،
 ٣٩٩ ، ٥٦٣

زيد الخليل ٦٤٢ ، ٦٤٦

زيد بن ثابت ٨١٤

أبو زيد البكري ٣٦ ، ٢٣٣ ،
 ٢٣٤

ابن زيدون ، أبو بكر ٤٢٩ ، ٧١٠ ،

ابن زيدون ، أبو الوليد ٥١ ،

٥٢ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٧٣ ،

٢٣٩ ، ٣٧٨ ، ٤٦٣

س

سابور العامري ٦٤١

سالم بن عبد الله ٣٥٧

أبو سالم العراقي ٤٢٢

سحبان وائل ١١٧ ، ١٨٢ ،

٣٥٧ ، ٦٧٣

سحر (جارية المعتمد) ٤٥

سحيم (عبد بني الحسحاس) ١٥٥

١٤٦ ، ١٥٥ ، ١٦٨ ، ٢٢٢ ،
 ٢٥١ ، ٣٧٩ ، ٤٨٨ ، ٤٩٦ ،
 ٦٠٥ ، ٦٣٢ ، ٦٩٥ ، ٧٠١ ،
 ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٩٣ ، ٨٤٢ ،

ز

الزباء ٦٣

الزبرقان بن بدر ٥٤٤

الزبيدي ، أبو بكر ١٩

الزبير بن العوام ٧٢٢

الزريزير ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣ ،

زفر بن الحارث ٦٩٤ ، ٧٢٢ ،

ابن الزنجاري ٦٨

زهر بن عبد الملك ، انظر : ابن

زهر ، أبو العلاء

ابن زهر (محمد بن مروان)

(٢١٩)

ابن زهر ، أبو العلاء (٢١٨)

— (٢٣١) ، ٥٩٣ — ٥٩٥ ،

٦١٦ ، ٦١٨ ، ٦٩٦ ، ٧٤٥ ،

٧٤٧

ابن زهر ، أبو مروان (٢١٩)

سراج الدولة، انظر: عباد بن المعتمد	سراج الدولة
ابن سراج، أبو الحسين	٣٤٧ ،
٣٤٨ ، ٥٧٣ ، ٦٢٨ ، ٧٥٤ ،	٧٥٨ ، ٧٦٧
ابن سراج، أبو مروان	٤٧٤
ابن سريج (المغني)	٧٦٠
ابن سريج، أبو العباس	١٣٩
سعد (حاجب ابن خاقان)	٣٨٦ ،
٣٨٧	
سعد بن أبي وقاص	٧٢٢
أبو سعد المخزومي	٤٤٣ ، ٤٢
سعد الدولة بن لبون، أبو الأصمغ	٢٦٣
سعدى	٦١٣
سعيد بن حميد	١٣٨ ، ٧٢٩
سعيد بن هارون (صاحب اكشونبة)	٣٦
أبو سعيد الثغري	٥١٢
السفاح	٧٢٢ ، ٣٤٢
ابن السقاء (ابراهيم بن محمد)	٢٣٧
سقوت بن محمد البرغواطي (المنصور	
المعان) (٣٧ ، ٤٠ ،	
٦٥٧ - ٦٦١	
ابن سكرة	٨٣٤
السلامي، أبو الحسن	٥٠٥ ،
٧٠٢ ، ٨٣٦	
سلمى	٧٤٣ ، ٨٤٤
أبو سلمة الخلال	٧٧٠
سليمى	٧٤ ، ٢٢٤ ، ٥٥٢
سليمان بن الحكيم، انظر: المستعين	
سليمان بن داود	٤٦٣ ، ٥٠٧
٨٤٦	
السمناني القاضي	٩٩
السمهري المكي	٧٢
السناط (الحسن بن حسان)	٧١٨
سهل بن هارون	٧٢٩ -
ابن سوار الأشبوني، أبو بكر	
٢٢٢ ، ٧٦٦ ، (٨١١ - ٨٣٣)	
ابن سوار الشتريني، أبو عامر	
٤٧٩	
ابن سيرين	٧٦٤
سيف الدولة الحمداني	٢٢٦ ،

شيبان الخارجي	٥٤	٥٤١ ، ٤٩٠ ، ٢٤٦
أبو الشيص	٨١٧	سيف بن ذي يزن ، ٦٩٤ ، ٦٩٥
ص		ش
الصاحب بن عباد	٢٢٢ ، ٤٦٢	شأس بن عبدة ٧٦١
ابن صاحب الأسفيري ، انظر :		ابن شبرين ٧٦٤
ابن فتوح		شبيب بن شيبه ٧٦٠
ابن صارة الشنبريني	٦٩٦ ،	ابن شرف ، أبو عبد الله ٤٣٦ ،
(٨٣٤ - ٨٥٠)		٦٤٦ ، ٦٤٣ - ٦٤١
صاعد بن الحسين	٢٧ ، ٢١٦	ابن شرف ، أبو الفضل ١٥٨ ،
صاعد بن مخلد	٢٢٢	٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٨٠٥
صالح (النبي)	٤١٢	شريح القاضي ٨٣٣
صالح بن صالح الشتمري	(٥٧٣ -	الشريف الرضي ٣٧٩ ، ١٤٠ ،
صخر (أخو الخنساء)	١٢٣ ،	٧١٤ ، ٦٢٢
	٤٤٩ ، ٧٢٠	ابن شماخ (عبد الملك) ٤٩٤
صريع الغواني	١٣٦ ، ٤٨٦ ،	شمر بن ذي الجوشن ٧٢٢
	٧٠٣ ، ٦٩٤	شمس المعالي (قابوس) ٥٣٨
صفية بنت عبد المطلب	٤٤٠	شميسة (والدة ابن عمار) ٤١٤
أبو الصقر ابن بلبل	٣٩٩	الشنفرى الأزدي ٧٦٩ ، ٧٧٠ ،
ابن صمادح ، أبو يحيى	٢٦٢ ،	ابن شهيد ، أبو عامر ٧٢ ،
	٤٧٥ ، ٢٦٤	٤٥٨ ، ٤٦٦ ، ٥٨٧ ، ٨٢١

أبو محمد بن سعيد	الصمة القشيري ١٣٧
طلحة بن عبید الله ٦٥١	الصولي ، ابراهيم بن العباس
الطليق المرواني ٣٨٩	٨١٣ ، ٨١٢
الطماح الأسدي ٤٤٦ ، ٤٤٧	الصولي ، أبو بكر ٤٢ ، ١٣٨ ،
أبو الطيب ، انظر : المتنبي	٣٨٩
الطيطل (علي بن إسماعيل القرشي)	ابن الصيقل اليابري ٨٠٦ ،
(٧٩٧ - ٧٩٩)	٨٠٧
ابن طيفور ٢٠	
ظ	ض
الظافر بن المعتمد ١٢٣ ، ٢٧٦	ضياء الدولة بن سقوت ٦٦١
ع	ط
عامر بن الطفيل ٦٤٢ ، ٦٤٦ ،	٣٨٠ طاهر بن الحسين العلوي
٦٧٩	ابن طاهر ، أبو عبد الرحمن
أبو عامر ٧٦٨	٨٢ ، ٤١٠ ، ٤١٢
أبو عامر (صديق ابن الجلد)	أبو طاهر ٥٥٢
٣١٩ - ٣٢١	الطائي الأصغر : انظر : البحري
عائشة (أم المؤمنين) ١٧١ ،	الطائي الأكبر ، انظر : أبو تمام
٧٥٨	طرفة بن العبد ٧٠٩
عباد بن القاضي أبي القاسم محمد ،	ابن طريف ، أبو الوليد ٤١٧
انظر : المعتضد	طلحة الفياض ٧٢٢
عباد بن المعتمد ، سراج الدولة	طلحة بن سعيد البطلبيوسي ، انظر :

ابن عبد الصمد السرقسطي ٤٩٣	، ٢٦٦ ، ٧٠ أبو عمرو
ابن عبد العزيز ، أبو الأصبغ	٢٦٨ ، ٢٧٠ - ٢٧٢
(٢٠٩ - ٢٠٦) ، ٢٠٥ ، ٢٠٤	ابن عبادة القزاز ٢٤٤
ابن عبد العزيز ، أبو بكر (ابن	العباس بن الاحنف ٩٨٢ ،
المرخي) ٤١٠ ، (٥٣٣ -	١٣٧ ، ٢٢٥ ، ٥١٤ ، ٧٧٧ ،
٥٥٦)	٧٣٨
ابن عبد العزيز ، أبو مروان ٥٣٥ ،	العباس بن المتوكل بن الأفتس
٥٣٦	٦٥١ ، ٧٢٣
ابن عبد الغفور ، أبو القاسم	ابن عباس ٧٧٨
(٣٢٥ - ٣٢٣)	أبو العباس ٦١٠
عبد الغفور بن أبي القاسم ، أبو	ابن عبد البر ، أبو محمد ٩٦
محمد (٣٦٨ - ٣٢٥) ،	ابن عبد البر الشنتريني ٤٦٦
٧٠١	عبد الجليل بن وهبون المرسي ،
عبد الله (ممدوح ابن الأستجي)	انظر : ابن وهبون
٢٠٠ ، ٢٠١	عبد الحميد الكاتب ٥٣٨ ،
عبد الله بن الزبير ٧٢٢	٧٨٠
عبد الله بن الصمة ٢٧٢	عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)
عبد الله بن طاهر ٧٥٧ ، ٥٥٢	٨٢ ، ٣٩٧
عبد الله بن مسلمة ٦٤١	عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني ،
عبد المجيد بن عبدون ، انظر :	انظر : ابن مقانا الأشبوني
ابن عبدون	عبد الرحيم الوزير ٣٦
عبد المحسن الصوري ٣٨٤ ،	ابن عبد الصمد ، أبو بحر ٥٧

٧٢٢	عبيد الله بن زياد	٨٤٥	
٦٤٦	عتاب	٧٤٤	عبد الملك
٢٨٥	العتابي (كلثوم بن عمرو)		عبد الملك بن محمد بن زهر، انظر:
٥٨١			ابن زهر ، أبو مروان
٤١٧	عتاد الدولة بن سهيل	٦٣ ،	عبد الملك بن مروان
٧٩٧ ، ٦٠	أبو العتاهية	٧٢٢	
٦٤٦	عتيبة	٩٦	عبد الوهاب المالكي
٤٦٩	عثمان بن ادريس	٤٤٨	عبدة بن الطبيب
٥٦٠ ، ٤٨٩	عثمان بن عفان	٤٦٧	ابن عبدوس
٧٢٢ ، ٨١٤		٧١٩	ابن عبدون ، عبد العزيز
	عدي ، انظر : مهلهل	٣٠ ،	ابن عبدون ، عبد المجيد
٥١٣ ، ٥١٢	عدي بن الرقاع	٤٤٢ ، ٢٢٨ ، ٦١ ، ٣١	
٩٤ ، ٥٩	عدي بن زيد	٥٩٠ ، ٥٨٨ ، ٥٤١ ، ٥٣٣	
٧٢١ ، ٢٢٥		٥٩٢ - (٧٢٧ - ٦٦٨) ،	
٧٦١	عرابة الأوسي	٧٦٥ ، ٧٦٦	
٤٥٠ ،	عرار بن عمرو بن شأس	٦٩٤	عبلة
٧٥٧		٤٠٦	عبيد بن الأبرص
٨٢٢	أبو العرب الصقلي	(٢٣٢ -	أبو عبيد البكري
٤٤٨	عروة بن حزام	(٢٣٨	
٦٦١ ، ٦٥٦	العز بن سقوت	أبو عبيدة (معمر بن المثني)	
٦٦٤ ، ٦٦٣		٥١٢	
	ابن عشرة (أحمد بن علي) أبو	٤٩٦	عبيد الله

علي بن حمود	٣٨ ، ٦٥٧	المباس	٨٢٨ - ٨٣٠
	٦٥٩	ابن عشرة (علي بن القاسم) أبو	
علي بن القاسم ، انظر : ابن عشرة		الحسن	٨١٢ ، ٨١٥
علي بن مجاهد العامري	٢٩ ،	-	٨١٨ ، ٨٢٠ ، ٨٢٢ ،
	٥٢١		٨٢٤ ، ٨٢٦ - ٨٢٨
علي بن محمد الايادي	٥٠٧	أبو عطاء السندي	٢٢٤
علي بن منصور الحاجب	٢٢٢	ابن العطار اليايسي	٤٦٤
علي بن يوسف بن تاشفين (أمير		عطاف بن نعيم	١٤
المسلمين)	٧٤٢ ، ٨٢٥	أبو العطاف	٦٥٧
	٨٣٢	ابن عكاشة	٧٠ ، ١٢٣ ، ٢٦٦ ،
أبو علي	٧٦٧		٢٧٣ ، ٢٦٩
عمار بن ياسر (أبو اليقظان)		العلاء بن صاعد	٢٢٢
	٧٢٢	علوة	٧٧٢
ابن عمار ، أبو بكر	٤٦ ، ٤٧ ،	علي بن أبي طالب	٣٨٠ ، ٤٤٠ ،
	١٥٠ ، ٢٧٣ (٣٦٨ - ٤٣٣) ،		٥٦٠ ، ٧٢٢ ، ٨١٤ ، ٨٣٣ ،
	٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٤١ ، ٤٧٥ ،	علي بن اسماعيل القرشي ، انظر :	
	٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٥٥٦ ، ٦٣٢ ،	الطيطل	
	٦٩٣	علي بن الحسين	٣٥٧
عمر بن أبي ربيعة	١٤٧ ، ١٥٣ ،	علي بن حصن الاشبيلي ، انظر : ابن	
	٧٢٠	حصن	
عمر بن الحسن الهوزني ، انظر :		علي بن حمدان ، انظر : سيف	
الهوزني ، أبو حفص		الدولة الحمداني	

عياض بن ناشب ٧٤٩	عمر بن الخطاب ٩٠ . ١٧١ ،
عيسى بن الأعمى ٤٢٨	٢٥٧ ، ٧٢٢ ، ٧٥٨
عيسى بن الحسن ، أبو الأصمغ ٣٧٧	عمر بن عبد الله بن الأفتس . انظر:
عيسى بن مريم (المسيح) ٧٨ ،	المتوكل ابن الأفتس
٢٢٠ ، ٤٣٦ ، ٤٩٥ ، ٨٠١	عمر بن هبيرة ٢٢٤
غ	أبو عمر الفرضي الوزير ٤٢٣
ابن غانم ، أبو طالب الوزير	عمران بن حطان ٦٩٤
٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٦٦	عمرو ٥٩١ ، ٥٩٢
أبو (ابن) غسان المتطيب ٤٨١	عمرو الأشدق ٧٢٢
الغريض ٣١٣ ، ٦٣١ ، ٧٢٨	عمرو ذو الكلب ٥١٣
ابن غصن الحجاري ، أبو مروان	عمرو بن العاص ٧٢٢
١٩٣ ، ١٩٤	عمرو بن قميثة ٤٤٧
ابن خطمش ، أبو عمرو ٤٧	عمرو بن كلثوم ٦٩٠
غيلان بن عقبة ، انظر : ذو الرمة	عمرو بن مذحج ، انظر : ابن حزم
ف	أبو الحكم
فائق الخادم ٦٤١	عمرو بن هند ٥٩٨ ، ٦٢٦
الفتح بن المعتمد ، أبو نصر ٦٩	عمرو بن ود ٣٨٠
— ٧١ ، ٤١٦ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ،	ابن عمرو ٦٤٦
٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦	ابن العميد ٥٣٨ ، ٧٨٠
أبو الفتح البستي ٢١٥	عنان ١٥١
	عنزة ٣٨٠ ، ٦٩٤ ، ٧٠٢
	عوف بن محلم ٦٩ ، ٢٢٤ ، ٧٦٨

القاسم بن حمود ١٥ ، ١٨ ، ٣٦ ، ٣٧	ابن فتوح ، عبد الرحمن ، ٤٦٥
أبو القاسم المنيشي ١٤٥ ، ١٤٩	٤٦٨
القائم الفاطمي ٥٠٧	فخر الدولة (حفيد المعتمد) ٧٩
ابن القبطورنه ، انظر : أبوبكر بن سعيد	فخر الدولة : انظر المعتمد
أبو الحسن بن سعيد	فرتى ٦٦
أبو محمد بن سعيد	الفرار السلمي (حيان بن الحكيم)
القتال الكلابي ٣٥٨	٤٧٦
ابن قتيبة ٥٤	أبو فراس الحمداني ، ٢٤٦ ،
قدار (عاقر الناقة) ٤١١ ، ٤١٢	٦٩٣
القروي الإسلامي ٥٦٢	ابن فرج الجبائي ، أبو عمر ١٤٢
ابن قزمان ، أبو بكر ٧٦١ ،	الفرزدق ٩٠ ، ١٥٣ ، ١٨٠
(٧٧٤ - ٧٨٦)	الفضل بن سهل ٧٢٩
القس المكبي ١٣٧	الفضل بن علي بن حزم ، ١٣ ،
قس بن ساعدة ٣٤٩	١٤
قصير ٦٣	الفضل بن المتوكل بن الأفتس
ابن القصيرة ، أبو بكر (٢٣٩)	٧٢٣
(٢٨٥ -) ، ٢٩٣	الفضل بن يحيى البرمكي ٧٢٣
القطامي ٤٠٧	فعال (غلام) ٣٩١
ابن القوطية ، أبو بكر ، ٢٠٣ ،	ق
(٢١٥ - ٢١٨)	القارظان ٣٦٠
ابن القلاس ، أبو عبد الله ٨٠٧	قارون ٣٤٥
قيس ليلى ، انظر : المجنون	

ل	ك
ابن ليون ٣٩٤	قيس بن الخطيم ٦٨٦ . ٥٣
الذيذة (قينة) ٧٣٥ - ٧٣٩	قيس بن ذريح ٤٤٨
ابن لسان الحمرة ٧٦٠	قيس بن زهير العبسي ٧١١
لقمان ١١٧ ، ٥٠٢	قيس بن عاصم ٣٤٨ ، ٤٤٨ ، ٥٤٤
ابن اللبانة (أبو بكر اللداني) ٦١	قيصر ٢٠٩ ، ٤٤٧ ، ٧٢٧
- ٦٦ ، ٧٧ ، ٧٩ - ٨١	
١٤٥ ، ١٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،	
٤٦٦ ، ٥٦٣ ، ٨٢٠	
ابن لنكك ٨٣٤	كافور ٣٨٦ . ١٦٧
لوط ٣٣٥	كثير عزة ٢٢٣
ليلى ٨٤٤	كسرى ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٣٤٥ ،
ليلى العامرية ٤٣	٥٥٠ ، ٧٠٣ ، ٧٠٥ ، ٧٢٧
	كسرى ابرويز ٦٩٥
م	كشاجم ٣٨٧
المازني ، أبو عثمان ٧٢٧	كعب بن مامة ٣٩٥ ، ٦١٧ ،
مالك بن الربيع ٦٤٢	٦٢٨
مالك بن نويرة ٧٨ ، ٦٤٦	ابن الكلبي ٤٥٥
مأمون بني عباد، انظر: الفتح ابن	كليب وائل ٣٦٠ ، ٥٤٤ ،
المعتمد	٧٢١ ، ٧٢٥
المأمون العباسي ٤٤٩ ، ٥٤٤ ،	الكميت بن زيد ٦٤٥
٧٢٩	الكندي ، انظر: امرؤ القيس
	ابن كوثر الشتريني ، أبو عمر
	(٨٠٨ - ٨٠٩)

المأمون بن ذي النون	١٩٣ ،	المتوكل العباسي	٧٢٣ ، ٨١٢
٢٦٨ - ٢٧٢ ، ٦٥٠	-	٨١٤	
المبرد ، أبو العباس	١٣٨ ،	المتوكل بن أبي الحسن	٨١٠
٦٤٦ ، ٧٢٧		المتوكل ابن الألفطس	٦١ ،
المتلمس بن بطال البطلبيوسي	٧٠٥	١٥٨ ، ٣٩١ ، ٤٢٣ ، ٤٦٥ ،	
متمم بن نويرة	٧٨ ، ١٠٢ ،	٤٦٦ ، ٥٩١ ، (٦٤٦-٦٥٢) ،	
٥٦٧		٦٦٤ ، ٦٦٩ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ،	
المتنبي ، أبو الطيب (أحمد بن		٦٨٨ ، ٦٩٠ ، ٦٩٣ ،	
الحسين)	٤٢ ، ٦٠ ،	٦٩٤ ، ٦٩٧ ، ٧١٠ ، ٧١١ ،	
٦٤ ، ١٠٧ ، ١١٥ ، ١٢١ ،		٧٢٣ ، ٧٧٢ ، ٧٧٤ ، ٨٠٣ ،	
١٢٢ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ،		- ٨٠٥ ، ٨١٠	
١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٦٧ ، ٢٢٢ ،		مجاهد العامري	٢٩ ، ٣١ ،
٢٢٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ ، ٣٢٢ ،		٩٦ ، ٧٩٦	
٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٨٠ ، ٣٨٦ ،		المجنون	٤٣ ، ١٥٠ ، ٤٢٢ ،
٤٠٩ ، ٤٤٢ ، ٤٥٩ ، ٤٦٣ ،		٤٤٨ ، ٥١٤ ، ٥٩٩ ، ٦٧٢ ،	
٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ،		ابن محفور	٤١٧
٤٩٠ ، ٤٩٣ ، ٤٩٧ ، ٤٩٩ ،		محمد (ص)	٨٨ ، ٨٩ ،
٥٠٣ ، ٥١٥ ، ٥٤١ ، ٥٥٠ ،		١٠١ ، ١٠٣ ، ١٢٣ ، ١٧١ ،	
٦١٨ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٤١ ،		٢٨٦ - ٢٨٩ ، ٣٧٦ ، ٤٤٠ ،	
٦٤٤ ، ٦٩٩ ، ٧٠٩ ، ٧١٤ ،		٤٤١ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٥٦٩ ،	
٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٩ ، ٧٩٨ ،		٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٤٧ ، ٧٥٧ ،	
٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٤٩		٧٥٨ ، ٧٦٤ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ،	

محمد بن عبد العزيز بن المعلم ، انظر : ابن المعلم	، ٧٧٩ ، ٧٩٣ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨٣٣
محمد بن عبد الله البرزيلي ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٨	محمد ٦٠١ محمد بن ابراهيم النهري أبو عبد الله ٣٧٨ ، ٧٨٦ ، ٧٩٧
محمد بن عبد الله بن الجعد ، انظر : ابن الجعد ، أبو القاسم	محمد بن أبي أمية ٨٣٨ محمد بن ادريس الحمودي ٣٣
محمد بن عبد الله بن مسلمة ، انظر : المظفر بن الأفتس	محمد بن اسحاق بن الملح ، انظر : ابن الملح
محمد بن عبد الملك بن قزمان ، انظر : ابن قزمان	محمد بن ديمم الاشبيلي (٢١٢ - ٢١٣)
محمد بن علي بن حمدين ، انظر : ابن حمدين	محمد بن سليمان الكلاعي ، انظر : ابن القصيرة
محمد بن القاسم ٣٣ محمد بن مروان بن زهر ، انظر : ابن زهر	محمد بن سليمان بن خلف الباجي ١٠١
محمد بن هانيء ، انظر : ابن هانيء محمد بن هشام بن عبد الجبار ٣٨	محمد بن عباد ، انظر : المعتمد بن عباد
محمد بن يحيى بن حزم ، انظر : ابن حزم ، أبو الوليد	محمد بن عباد أبو القاسم القاضي (١٤ - ٢٣) ، ٢٥ ، ٣١ ،
محمد بن يوسف ، أبو عبد الله ٢٥٨	٢١٩ محمد بن عبد الجبار الأموي ، انظر : المهدي
أبو محمد بن سعيد البطليوسي	

مصعب بن الزبير ٧٢٢	(ابن القبطورنه) ٧٧٣، ٧٧٢، ٧٥٣
المصطفى ، انظر : محمد (ص)	المختار الثقفي ٧٢٢
مطر الشيباني ٦٩٤	ابن مرتين ، عبيد الله ٧٥٢ ، ٧٥٠
ابن المطرز ٤١١ ، ٤٠٢	ابن مرتين ، محمد ٢٦٩ - ٢٧١
ابن مطري ٥٤٤	ابن مرزقان ، أبو القاسم ٤٧٦ ،
المظفر بن الأفتس ٢٠ ، ٢١ ،	ابن المرخي ، انظر : ابن عبد العزيز
٣٣ - ٣٦ ، ٩٦ ، ٢٣٣ ،	٤٧٧ (٥٢٠ - ٥٢٢)
(٦٤٠ - ٦٤٦) ٦٥٠	مروان بن محمد ٧٢٢ ، ٩١ ، ٥٤
المعافي بن هزيم ٧١٣	ابن مزين (عيسى بن محمد) ٣٦
معاوية بن أبي سفيان ٣٩٦ ،	المستنصر ، انظر : الحكم المستنصر
٣٩٧ ، ٧٢٢ ، ٨١٤ ،	مسلم بن الوليد ، انظر : صريح الغواني
معبد (المعني) ٣١٣ ، ٣٤٩ ، ٦٣١ ، ٧٢٨	أبو مسلم الخراساني ٥٤
المعتز العباسي ٧٢٣	المستعين العباسي ٧٢٣
المعتز بن أبي عامر ١٨٧ ، ١٨٨	المستعين ، سليمان بن الحكم
ابن المعتز ٣٠ ، ١٥٥ ، ٢٢٣ ،	١٦ ، ١٧ ، ٣٨
٢٢٥ - ٢٣١ ، ٣٧٩ ،	المستعين بن هود ٥٤٥
٧٠٠ ، ٧٠٤ ، ٧١٥ ، ٧١٨ ،	ابن مسلمة ، انظر : المظفر ابن الأفتس
٧٩٥ ، ٨٢٢	ابن مسلمة ، أبو عامر (١٠٥)
المتصم العباسي ٣٥٧ ، ٤٤٤	- (١١٢) ١٢٤ ، ٢٠٦ ،
المتصم بن صمادح ٤٠٢ ، ٤٠٣ ،	٢٠٧ ، ٣٩٧
المتضد عباد ، أبو عمرو ١٩ ،	المسيح ، انظر : عيسى بن مريم
(٢٣ - ٤١) ، ٤٧ ، ٤٩ ،	المصحفي ٧٦٧ ، ١٠٩

، ٤٤٣ ، ٤٤١ ، ٤٣٧ ، ٤٣٥
، ٤٧٢ ، ٤٥٤ ، ٤٥٠ ، ٤٤٦
، ٤٩٤ ، ٤٩١ ، ٤٧٦ ، ٤٧٤
، ٥٠٣ ، ٥٠١ ، ٥٠٠ — ٤٩٦
٥٢٠ ، ٥١٧ — ٥١٥ ، ٥٠٩
، ٥٦٨ ، ٥٦٦ ، ٥٣٥ ، ٥٢٢ —
، ٦٦٩ ، ٦٦٤ ، ٦٦٢ ، ٦٥١
، ٨١٠ ، ٧١٠ ، ٧٠٦ ، ٦٩٩
٨٣٨ ، ٨١١

، المعري ، أبو العلاء ، ٩١ ، ١٦٩ ،
، ٣٧٨ ، ٣٧٤ ، ٢٤٨ ، ١٩٩
، ٤٥٧ ، ٤٠١ ، ٣٨٧ ، ٣٨١
، ٤٨٦ — ٤٨٤ ، ٤٨٢ ، ٤٥٨
، ٦٢٧ ، ٦٢٠ ، ٥٥٠ ، ٤٩٣
، ٧٠٧ ، ٦٤١ ، ٦٣٢ ، ٦٣١
، ٨٤٢ ، ٧٩٦ ، ٧٩٥ ، ٧٢٧
٨٤٩ ، ٨٤٨

معز الدولة (شمال المرديسي)
١٠٣ ، ١٠٢

٦٦٤ المعز بن يوسف بن تاشفين
، ابن المعالم ، أبو الوليد ، ٨٣
١٥٥ ، (١٢٤ — ١١٢)

، ٨٧ ، ٨٥ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٥٠
، ١١٢ ، ١٠٨ ، ١٠٥ ، ١٠٠
، ١٢٣ ، ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٨
١٥٨ ، ١٥٦ ، ١٣٥ ، ١٣٠
١٧٨ ، ١٧٦ ، ١٧٤ ، ١٧٢ ، ١٦٠ —
، ١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٨١ ، ١٧٩
، ٢٠٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٣ — ٢٠١
، ٣٧١ ، ٢٣٩ ، ٢٣٥ ، ٢٣٢
، ٣٨٤ ، ٣٨٢ ، ٣٨١ ، ٣٧٦
، ٦٣٧ ، ٥٣٥ ، ٤٦٠ ، ٤٥٦
٦٥٨ ، ٦٥٠

المعتمد بن عباد ، المؤيد ، ٢٨

، ١٢٣ ، ١٢٢ ، (٨١ — ٤١)
، ٢٢٠ ، ١٩٩ ، ١٩٧ ، ١٨٦
، ٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٥ ، ٢٢٧
، ٢٥٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٠
، ٢٧٢ ، ٢٦٩ ، ٢٦٨ ، ٢٦١ ، ٢٥٥
، ٣٦٩ ، ٣٢٦ ، ٣٢٣ ، ٢٨٥
، ٣٨٥ ، ٣٨٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧١
، ٤٠٩ — ٤٠٧ ، ٤٠٥ ، ٣٩٦
، ٤٢٤ — ٤٢٠ ، ٤١٧ — ٤١٣
، ٤٣٣ — ٤٣٠ ، ٤٢٨ ، ٤٢٧

المنصور بن أبي عامر ، ٤٠ ، ٣٧٦	أبو المغوار الغنوي ٧٢٧ مغيث ٨٤٥
المنصور (يحيى بن الأفتس) ٦٤٧ ، ٦٥٠ ، ٧٩٩	مقاتل (الدلام) ٥٤٤ ، ٥٤٥ مقاتل (نقي) ٧٨٠
المنصور (؟) بن المتوكل ٧١٠ المهدي (محمد بن عبد الجبار) ٢٧	ابن مقانا الأشبوني ، أبو زيد (٧٨٦ - ٧٩٦)
المهلب بن أبي صفرة ٥٦ مهلهل التغلبي ٥٦٧ ، ٧٢١ ، ٧٢٦ ، ٧٦٦ ، ٧٩٠	ابن مقبل ٤٨٩ ، ٧١٤ ، ٧١٥ المقتدر بن هود ، انظر : هود المقتدر بالله ابن الملح ، أبو بكر ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، (٤٥٢ - ٤٧٣) ، ٦١٣
مهيار الديلمي ٧٤٧ ، ٨٠٢ المؤتمن (يوسف بن أحمد بن هود) انظر : ابن هود المؤتمن	الملك الضليل ، انظر : امرؤ القيس ابن المناصف ، أبو القاسم ٣٠٥ ابن المنخر ، أبو الاصبع ٢٢٢ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠
موسى (النبي) ٤٥٨ ، ٤٩٥ ٦٧٦	منذر ٦٩٢ منذر بن يحيى التجيبي ٧٨٧ ٧٩٠ -
المؤيد ، انظر : المعتمد بن عباد ابن ميتويه الحاجب ٦٤١ مئة ٥٠٢ مئة (صاحبة ذي الرمة) ٦٩١	المنصور ٧٦٩ المنصور العباسي ٥٥ منصور الفقيه ٦١٣ المنصور المعان ، انظر : سقوت بن محمد
ن النايفة الجعدي ٣٥٧	

٢١١ ، ٥٤٥ ، ٧٦٢ ، ٨٥٠	النابعة الذبياني ١٤٧ ، ٢٢٣ ،
ابن نوح الدمري ٢٨ ، ٣٨ ،	٤٢٩ ، ٤٨٩ ، ٧٠٦
٣٩	الناجم ١٤٨ ، ٤٠٩
ابنا نويرة (مالك و متمم) ٧٢٥	الناشيء ٧٠٤
هـ	ناصر ٧٥٦
هارون (أخو موسى) ٤٩٥	ابن نباتة السعدي ٣٧٩ ، ٤٦٦
ابن هارون الشتمري ، أبو الحسن	النحلي ، أبو الوليد ٤٦٥ (٨٠٩)
(٦٣٧ - ٦٣٩)	(٨١١)
ابن هانء ٤٢ ، ١٢٢ ، ٣٧٨ ،	نسيم (غلام التنوخي) ٦٣٣
٣٨٣ ، ٤٣٦ ، ٥٠٦ ، ٦٢١ ،	نصر بن سيار ٩١
٦٨٥ ، ٧٠٠ ، ٧١٨ ، ٧٩٣ ،	ابن نصر الاشبيلي ، أبو بكر
٧٩٥ ، ٧٩٩ ،	(٢١٢)
أبو هاشم بن المعتمد ٧٣	أبو نصر ٢٦٨
هشام الرضي (بن عبد الرحمن)	نصيب بن رباح ٦١ ، ٢٢٥
٨٢	النعمان بن بشير ٥٤٤
هشام بن الحكم (المؤيد) ١٦ ،	النمري (رفيق كعب بن مامة)
١٨ ، ٣٧ ، ٧٥٧	٦١٧
هلال بن الأديب ٥٣٦ - ٥٣٩	أبو نواس (الحسن هانء) ٦٠ ،
هند ٧٤٠	٩٣ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ،
هند (أم معاوية) ٣٩٦	٤٣٦ ، ٦٠٥ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ،
ابن هند، انظر: معاوية بن أبي سفيان	٧١٦
	نوح (النبي) ١٥٦ - ١٥٧ ،

٤٧٢ ، ٤٧٣ (٥١٩ - ٤٧٣) ، ٥٦٣ ، ٨٦٣	ابن هود، أبو محمد (٨٠٣ - ٨٠٥)
٦٩٤ ، ٦٩٥	ابن هود ، المقتدر بالله ١٨٧ ،
	١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٠
ي	ابن هود ، المؤمن ٣٧١ ، ٣٨٨
٢٤٥	٤١٠ ، ٤١٥
٤٨٧	الهوزني ، أبو حفص (عمر بن الحسن)
يحيى بن إسماعيل بن ذي النون ١٨٧	٨١ - ٩٤ (١١٨)
٨١٣ ، ٨١٤	الهوزني ، أبو القاسم (الحسن بن عمر)
٣٩٠	٢٩١ ، ٣١٤
يحيى بن خالد البرمكي ٧٢٣	و
يحيى بن علي الحمودي ١٩ ،	واضح العامري ٢٧ ، ٣٨
٢٨ ، ٦٥٧ ، ٦٦٤	والبة بن الحباب ١٥٤
يحيى بن محمد بن بقي ، انظر :	أبو وائل الحمداني ٢٥٥
ابن بقي	ورقاء بن زهير ٧٨٤
يحيى بن مظفر بن الأفتس ، انظر :	ابن وكيع ٤٦
المنصور ابن الأفتس	ابن الوكيل ٢٦٤
يحيى بن هذيل ٤٦٩ ، ٥١٤	الوليد بن يزيد ٧٢٢
ابن يحيى (صاحب لبله) ٣٣ ،	وهب بن سليمان بن وهب ٨١٢
٣٤ ، ٣٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤	ابن وهب بن المرسي ، عبد الجليل
ابن يريم ١٩	١٤٤ ، ١٦٩ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،
يزدجرد ٧٢٢	٢٥٥ ، ٤٣١ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ،
يزيد بن الطرية ٧٤٣ ، ٧٩٣	

٢٢٠ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ — ٢٤٢ ،	يزيد بن مزيد الشيباني ، ٤٨٦ ،
٢٤٥ ، ٢٥٤ — ٢٥٦ ، ٢٦٣ ،	٦٩٤
٢٦٥ ، ٢٩١ ، ٥٠٣ ، ٥٤٦ ،	يزيد بن المعتمد أبو خالد ، انظر :
٥٤٧ ، ٥٩٤ ، ٦٥٣ ، ٦٥٦ ،	الراضي بن المعتمد
٦٦٠ — ٦٦٣ ، ٨٣١	يعقوب (النبي) ، ٤٩٦ ، ٨٣١
يوسف بن محمد بن الجلد ، انظر :	ابن يعيش ١٦
ابن الجلد أبو الحسين (الحسن)	يوسف (النبي) ، ٧٨ ، ٢٤٥ ،
يوسف بن هارون الرمادي ، انظر :	٧٦٤ ، ٨٣١ ، ٨٤٦
الرمادي	يوسف بن تاشفين (أمير المسلمين
يونس (النبي) ٨١٨ ،	وناصر الدين) ٥٧ ،

٢ - فهرس الاماكن

أضيات	٥٧ ، ٧٣ ، ٧٥ ،	ألس	٢٥٦
	٢٢٧ ، ٧٦	أبان	١٨٢ ، ٦١١
المرية	٢٤٥ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ،	أجا	٤٣٦
	٤١٩ ، ٤٧٥	أركش	٣٩
أندرين	٧٩١	الأشبونة	٢٢ ، ٣٧٨ ، ٥٤٤
الأندلس	١١ - ١٤ ، ١٦ ،		٧٨٦ ، ٨٠٣
	١٧ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ،	اشيلية	١١ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٨
	٤٠ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٩٥ ،		٢١ - ٣٣ ، ٣٥ ،
	١٢٥ ، ١٤٢ ، ١٨٧ ، ٢٣٢ ،		٣٨ ، ٤٦ ، ٥٦ ، ٧٥ ، ٧٦
	٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٩ ،		٨٢ ، ٨٣ ، ١٦٦ ، ٢٠٢ ،
	٢٨٠ ، ٤٣٨ ، ٥١٥ ، ٥٣٥ ، ٥٥٨ ،		٢٢٠ ، ٢٣٩ ، ٣٢٥ ، ٣٧١
	٦٣٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥٤ ، ٦٥٦ ،		٣٩٦ ، ٤١٥ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ -
	٦٥٨ ، ٦٦٩ ، ٧٨٧ ، ٨١١ ،		٤٧٢ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٥٣٥
أنقرة الروم	٤٤٩		٦١٥ ، ٧١٠ ، ٨٣٥ (وانظر
أونية	٢٣٣		أيضاً : حمص)
باب النخيل	٤٣٠	إضم	٥٧٣
بابل	٦١٧	أعفر	٨٢٢
باجة الأندلس	١٩ ، ٢٠ ، ١٨٧		

١٧٠	توضح	٢٤٦	بالس
٢٠٠	ثبير		بحر الروم : انظر البحر المحيط
٧٦ ، ٧٥	الثرىا (قصر)		الرومي
١٧٥	ثهلان	٦٥٠ ، ٦٥٨	بحر الزقاق
٩٩	ثهمد	١١ ،	البحر المحيط الرومي
٥٩٢	جاسم	٦٣٩ ، ٤٦٣ ، ١٨٧ ، ٢٢	
٢٧١ ، ٥٨	جامع قرطبة	٨١٢	
	الجزيرة ، انظر : الأندلس	٨٢	بريشتر
٤٠ ، ٣٦	الجزيرة الخضراء	٢٥٠	بربعيص
٥٥٨ ، ٤٨٦	الجزيرة العراقية	٢٧٩	بسطة
٧٢٥	جفر الهباءة	٢٢ ، ٣٥ ، ٩٦ ،	بطليوس
٧٩٠	جاق (واد أندلسي)	٦٣٩ ، ٤٦٥ ، ٤٦٤ ، ٢٤٣	
٨٧	جو	٧١٠ ، ٦٥٣ - ٦٥٠ ، ٦٤١	
٧٦٢	جيرون	٨٠٣ ، ٧٩٩ ، ٧١١	
٧٨٨ ، ٢٨٨ ، ٢٢٥	الحجاز	١٣٥ ، ٩٨ ، ٨٠	بغداد
٧٩٠	حجر	١٩٢ ، ٣٥٧ ، ٣٩٨ ، ٧٠٦ ،	
٢٨٩	الحرمان	٧١٢	
٣٣٥	الحساء	٣٩٣ ، ٤١١ ، ٧٩٠ ،	بلنسية
٧٢٤ ، ٥٤١ ، ٩٥	حلب	٤١٦	بياسة
٧٢٩		٨٤٦ ، ٤٦٩	تدمر
٦٩٠	الحمي	٤٧٤ ، ٤١١	تدمير
١٣ ، ١١	حمص (اشبيلية)	٨٣٠ ، ٢٥	تلمسان

٦٩	الري	١٦٦ ، ١٢٣ ، ٨٠ ، ٧٥
٢١٧	الزاب	٣٨٥ ، ٣٧٢ ، ٣٢٤ ، ١٨٦
٧٥	الزاهر (قصر)	٧٠٦ ، ٥٩٣ ، ٥٠٤ ، ٣٩٣
٧٦ ، ٧٥	الزاهي (قصر)	٧٤٠ ، ٧١٦ ، ٧١١ ، ٧١٠
٥٠٨		٧٦٨ ، ٧٤٥
٦٩٠	زرود	٧٢٩ ، ١٤
٦٨٥	زمزم	٧٦٧
٦٥٦ ، ١٢١ ، ٤٠ ، ٣٧	سبته	١٧٥ ، ١٠٢
٦٦٣	-	٦٦٣
٣٧٢	السد	٣٦٣ ، ٣٥٠
٦٥٥ ، ٢٤٩	سرتة	٩٦ ، ٢٩
٧٨٨ ، ٣٧٤ ، ٣٧١	سرقسطة	٦٨٤ ، ٥٠٥
٨٠٤ ، ٨٠٣		١٥٨
٧٦ ، ٧٥	سعد السعود (قصر)	٧٢٥
٧٨٨	سقط اللوى	٦٦٠
٨٢٧ ، ٨٢٦ ، ٨٢٠	سلا	٧٢٦
٤٣٦	سلمى	٢٢٤
٥٠٢	السند	٣٩٧
٤١٧	شاطبة	٢٧٣
٢٢٠ ، ٩٥ ، ٨٢ ، ١٤	الشام	٥٧٣ ، ١٩٧
٨١٢ ، ٣٠٧		٦٩ ، ٥٠ ، ٣٩ ، ٣٢
٦٣٣	شامة	٢٦٠
	حمص (الشام)	
	حير الزجاجي	
	الخيف	
	دار تنوير	
	دارين	
	دانية	
	دجلة	
	الدخول	
	الدكادك	
	الدمنة	
	الذئاب	
	ذو طلوح	
	ربض الرصافة	
	الربض الشرقي	
	رضوى	
	رنده	
	رومة	

٦٣٣	طفيل	٥٣٥ ، ٢١	شدونة
٢٤٩ ، ٢٤٦ ، ١٦	طليطلة	٢١٩ ، ٣٧	شرق الأندلس
٦٤٣ ، ٦١٥ ، ٢٧٩ ، ٢٧٢		٧٩٠ ، ٣٧١ ، ٢٢٠	
٨٠٤		٧٢٦	شعب جباة
٦٦٢ ، ٦٦١ ، ٦٧ ، ٦٦	طنجة	٤١٧ ، ٤١٥ ، ٤٠١	شقورة
٦٨٥	عالج	٤٢٨ ، ٤٢٣ ، ٤٢٢	
١٩٢	عدن	٣٧١ ، ٣٦٩ ، ٣٨	شلب
٨٧ ، ٨٢ ، ٧٢	العراق	٤٣٣ ، ٤٣١ ، ٤١٤	
٢٢٠ ، ١٢٤ ، ١٢٣ ، ٩٥		٢٣٤ ، ٢٣٣	شلطيش
٧٥٦ ، ٧٢١ ، ٥٣٩ ، ٣٠٧		٤١٤ ، ٤١٣	شبنوس
٨١٢ ، ٧٦١		٧٨٧	شترة
٢٨٨	عرفة	٦٣٧	شنتمرية الغرب
١٤	العريش	٦٨٤	الصراة
٧٠١	عسحس	٢٨٨	الصفا
٤٤٩ ، ٤٤٨	عسيب	٨٢	صقلية
٢٥٦	عقرقس	١٩٧	صنبر
٧٨٨ ، ١٧٠	العقيق	٢٩٠ ، ١١١	صنحاء
٣٤٩	عكاظ	٢٩٤	صول
٥٠٢	العلياء	٧٢٢	الصين
٧٢٥	عمان	٦٨٥ ، ٤٥٥	ضارج
١٩٧	غافق	٧٩٠	طرطوشة
٢٣٣ ، ٢٣٢ ، ٢٨ ، ٢٠ ، ١٤	الغرب	١٤	طشانة

٧٦٨	قلمرية	٦٨٥، ٦٥٠، ٦٤١، ٤١٤، ٢٣٩
٣٣٥	القوادم	٨٣٠، ٨٢٤، ٧٨٦، ٦٨٦
٦٥٥، ٢٤٩، ٢٤٣	قورية	٢٧٧، ٢٣٧، ٢٢٧
٨١٧، ٨١٥، ٨١١، ٧٦٦		٢٢ غليسية
٩٥	القيروان	٣٩٠ الغوير
٦٩٤	الكعبة	٧٧٧، ٧٠٥ فارس
٧١٢	لب	٧٢٣ فح
٢٣٤، ٢٣٣، ٣٥ - ٣٣	لبلة	٨٠١، ٣٩٨ الفرات
٢٨٦		٣٣٤ القاصرة
٧٢٥	اللوى	٧٨٧ القيداق
٢٦٥، ٢٦٣	لورقة	٢٧، ٢٤، ٢١ - ١٥ قرطبة
٢٦٤، ٢٦٢، ٢٢٠	لييط	٦٩، ٥٨، ٣٧، ٣٦، ٣٤
١٠٢	المأزمان	٧٠، ٨٢، ١٢٣، ١٦٦،
٥٠، ٤٩، ٤٧، ٣٣	مالقة	٢٦٦، ٢٦٠، ٢٣٤، ٢٣٣
٥١٧، ٤٣٠	المبارك (قصر)	٢٦٩ - ٢٧١، ٢٧٢،
٥٢٠		٣٩٧، ٣٨٣، ٣٥٧، ٣٠٥
٣٦	المجاز	٤٣٥، ٤٢٨، ٤٢٣، ٤١٦
٤٧٥	المحصب	٥٤١، ٥٣٩ - ٥٣٤، ٤٤٦
٨٧، ٢٧	مدينة سالم	٧٦٧، ٦٣٩، ٥٦٨، ٥٤٥
١٩٧	المنور	٨٥٠، ٨٤٧
٤٠	مراكش	٥٣٥، ٢٠ قرمونة
٢٧٣، ٨٣، ٨٢	مرسية	٢٥٧ قلعة بني حماد

٥٥٨ ، ٩٦	ميورقة	٥٥٦ ، ٤٧٥ ، ٤٠٥ ، ٣٧١	
٣٠٧	نجد	٢٨٨	المروة
٨٢٧ ، ٨٢٦	النيل	٢٨٨	المزدلفة
٦٣٠	هجر	٢١٩ ، ١٣٦ ، ٩٧	المشرق
٣٠٧ ، ٢٤٢ ، ١٣٥	الهند	٤٨٩	المشقر
٦٢٠ ، ٤٩١		١٩٢ ، ٩٥ ، ٨٢ ، ١٤	مصر
٧١٢	وادي آنة	٨٢٧ ، ٨٢٦ ، ٢٤٠	
٤٦٠	وادي الأخرم	٦٩٠	المطالي
١٦٦ ، ٣٤	وادي قرطبة	٦٧٣ ، ٨٢ ، ٦٧	المغرب
٢٥٧	وادي منى	٨١٢ ، ٨١٠	
٣٩٠	واسط	٩٢ ، ٨٢	مكة
٨٠١	وجرة	٢٨٨ ، ١٠٢	منى
٢٣٤	ولبة	منبئة الزيتون : انظر اشيلية	
٦٤٧ ، ٢٠	يابرة (يابرة)	٣٠٤	منبج
٧٦٦ ، ٦٩٠ ، ٦٦٩ ، ٦٥١		١٧٠	منعج
٣٦٣ ، ٣٥٠	بيرين	٤٠٢	المنية الصمادحية
٢٨٩	يثرب	٢٨٣	المهدية
٧٥٠	يدبل	٣٩	مورور
٦٨٥ ، ٥٦٧ ، ٥١	يلملم	٣٨٥٠	الموصل
٨٢٢		٢٠	ميرتلة
٣٣٥	يخن	٢٥٠	ميسر

٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤١ ، ٧٣	اليمن	٦٩٤ ، ٦١٩ ، ١٩٢
٧١٩ ، ٥١٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٥		٦٩٥
٤١٥ ، ٤١٤ ، ١٤	يومين	يوم الأحزاب ٤٤٠ ، ٣٨٠
		يوم الجمعة (يوم العروبة : الزلافة)

٣ - فهرس الأمم والطوائف والقبائل

بكر ٦١٢	بنو أسد ٥٦ : ٤٤٧ : ٧٢١
البكريون (بنو البكري) ٢٣٣ ،	أصحاب الأيكة ٧٢٧
٥٦٩ ، ٥٦٣	الأعراب (الأعراب) ٢١٧ ،
تجيب ١٢ ، ٦٣٩ ، ٦٤١ ،	٤٨٠ ، ٤٩١ ، ٦٧٥ ، ٧٠٩ ، ٨٢٣
٧٨٩ ، ٦٤٢	الافرنج : انظر الفرنجة
الترك ٧٢٢	الأكاسر ٤١٣
تغلب ٥٧٠ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٦٢٨ ،	بنو أمية (بالشرق) ٤٢ ، ٥٤ ،
ثمود ٩٣	٣٩٧ ، ١٨٦
بنو جالوت ٨٧	إياد ٢١٨ ، ٣٤٩ ، ٣٩٥ ،
بنو الجلد ٥٥٦	٧٤٧ ، ٦١٨
بنو جرم ٧٤٣	بنو الباجي ١٨٧ ، ١٩٧ ،
جرهم ٧٢١	بجتر ٧٧٧
جشم ٤٦٠	بنو بدر ٧٢١ ، ٧٦٦ ،
بنو جهور ٢٦٨ ، ٣٨٨	البراجم ٦٢٦
الحبشة ٦٩٥	البرابرة ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ،
الحربية (بنو حرب) ٣٩٧	٣٣ ، ٣٧ ، ٣٩٧ ، ٥٣٥
الحضرميون ٧٤١	بنو برزيل (البرازلة) ٢١ ،
بنو حمدين ٢٢٢ ، ٨١٧	٤٠ ، ٣٨

٤٦٣ ، ٦١٩ ، ٦٢١ ، ٦٥٣	الحمودية ٣٣
٦٩٠ ، ٦٩٦ ، ٨٣١	حمير ٤٥٧ ، ٢٤٥
بنو الزبيدي ١٥	بنو حنيفة ٧٧٧
زنانة ٢٢١ ، ٦٦٠	الخزرج ٧٢٢
الزنج ٢١٤	الخوارج (الشراة) ٥٥ ، ٦٩٦
بنو زهر ٥٩٤ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٧٤٦	خولان ١١١
بنو ساسان ٤٦٣ ، ٧٢١	بنو الدب ٣٢٤
سبأ ٧٢١	بنو دمر ١٧٩
بنو سراج ٦٢٨	الدولة الأموية (بالمشرق) ٧٢
سعد العشيرة ٧٤٤	الدولة البرغواطية ٦٦١
بنو سعيد (ابناء القبطورنه) ٧١١	الدولة الحمودية ٦٥٧ ، ٦٥٨
٧١٢ ، ٧١١	الدولة الديلمية ١٢
السودان المغاربة ٥٠	الدولة العامرية ١٢ ، ٥٣٥ ، ٦٣٩
الشراة : انظر الخوارج	الدولة العبادية ٢١٩ ، ٥٦٣
شيبان ٦٨٦	٦٤٠
الصفير : انظر الروم	الدولة العباسية ٨١٢
الصقالب ٤٣٠	ذبيان ٦٢١ ، ٧٢٥
الطالبيون ١٣٨	ربيعة ٦٩٤
بنو طاهر ٢٧٣	بنو رشيق ٧٧١
طسم ٧٢١	الروم ٨٢ ، ١٨٥ ، ٢٤٨ ، ٤٤٧ ، ٣٨٨ ، ٣٥٨ ، ٢٥٤
طي ٣٧٦ ، ٣٩٥ ، ٤٣٦	
عاد ٩٠ ، ٢١١ ، ٧٢١ ، ٧٢٧	

٤٤٧ ، ٤٥٥ ، ٥٣٨ ، ٥٤٠ ،	٣٨ بنو عامر (الاندلسيون)
٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٦٥٨ ، ٦٦٠ ،	٥٣٥ ، ٥٩٩ ، ٦٣٩
٦٧٥ ،	١٥٠ بنو عامر (قبيلة)
٨١٢ بنو عشرة (بنو القاسم)	٣ بنو عباد (آل عباد)
٨١٩ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤	٥٨ ، ٦١ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٣٩٦
٥١٣ بنو عقيل	٤١٥ ، ٤٢٧ ، ٤٩٢ ، ٦٤٠
١٦٧ عك	٢٥ العباسيون (بنو العباس)
٤١٢ بنو عمار	٤٢ ، ٨٠ ، ٧٢٣
١٦٨ غسان	بنو عبد العزيز (بنو المرخبي)
٦٤٢ غفار	٣٩٣ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤٢١
٧٢٢ الفرس	٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٧٦٥
٩٥ ، ٣٤ آل فرعون	٦٨٦ عبد القيس
٤٩١ ، ٤٠٥ ، ٢٧٤ الفرنجة	٧١١ بنو عيس ٢٢٣ ، ٦١٢ ، ٧١١
٧١٥ ، ٦٧١ ، ٦٦٨ فهر	٧٢٥ ، ٧٨٤
٧٢٠ ، ٦١٩	٢٥١ ، ٦٨ العجم (الأعاجم)
بنو القاسم : انظر بنو عشرة	٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٣٧٤ ، ٥٣٨
٤٦٣ ، ٤٣٩ ، ١١١ قحطان	٥٧٢ ، ٦٢٦ ، ٦٦٠
٦٩٤ ، ٦٤٢	٤٦٣ عدنان
٧٦٥ ، ٤٩٠ ، ٢١ قريش	٧٢٦ ، ١٢ بنو عدوان
٢٤٧ بنو قريظ	١٩ ، ٦٨ ، ١٨٥ ، العرب
٧٢٦ ابنا قبيلة	٢٢٤ ، ٢٣٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٥
٤٩٩ بنو كعب	٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٣٣٣ ، ٣٧٤

٢٤٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٣٧	بنو كلاب ٢٤٦
٢٦٣-٢٥٩ ، ٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٢٤٩	كندة ٥١
٦٥٠ ، ٥٤٦ ، ٢٨٣ ، ٢٧٥	لحم ١٢ ، ٧٨ ، ٢٤٥ ، ٣٧٦
٧٩٣ ، ٧٩٢ ، ٦٥٥ ، ٦٥٤	٣٨١ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٨٤
آل المصطفى : انظر آل محمد	٤٩١ ، ٤٩٤ ، ٥٠٢ ، ٥٣٣
٧٢٤ ، ٧٢١ ، ٦٩٤ مضر	٦٣٩ ، ٦٩٩ ، ٧١٠ ، ٧٢١
٧٤٧	لمتونة ٦٦٠
بنو المظفر (الأفتس) : ٧٢٣	بنو ماء السماء ٧٥ ، ٥٩
معد ٦٤٢ ، ٣٥٢ ، ٢٢٥	المانوية ٢٤٧
٧١٤ ،	المجوس ٦٩٦
مكناسة ٦٤١	المحدثون ٤٨٠
المثمون (المرابطون) ٤٠ ،	آل محمد ٧٧٠ ، ٧٢٣
٢٦١ ، ٦٦١ ، ٦٦٣	آل محمد (مرثي) ٨٣٣
ملوك الطوائف ١٦ ، ٦٦ ،	مخزوم ٧١٠
٦٥٠ ، ٢٥٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٠	منحج ٥٩٠ ، ٥٩٧ ، ٦٠٣
٦٦٩ ، ٦٦١ ، ٦٥٣	المرابطون : انظر المثمون
٣٨١ مهرة	بنو مرتين ٧٥٢
المولدون ١٩	بنو المرخي : انظر بنو عبد العزيز
نزار ٦٤٢	بنو مروان (المروانية) ١٦
النصارى ٢٤٨ ، ٧٣ ، ٢٢	١٧ ، ٣٣
٣٧٤ ، ٢٦٢ ، ٢٥٤ ، ٢٤٩	بنو (آل) مسلمة ٦٩٥ ، ٦٩٤ ، ٣٩٧
٨١٦ ، ٦٨٢ ، ٥٤٦ ، ٤٧٥ ، ٤٠٥	المسلمون ٩٢ ، ١١٨ ، ١١٩

بنو يزداد	٤٩٩	بنو (آل) هاشم	٣٧٦ ، ٥٤٤
يعرب	٤٧٥ ، ٥٠٢ ، ٦٨٩	بنو (آل) هود	٤١٠ ، ٨٠٤
	٥٩١ ، ٧١٥	هوزن	٨٢
بنو يفرن	١٧٩	وائل	٣٦٠ ، ٥٤٤ ، ٥٦٩ ،
يمن	٧٢١		٦٢٨
اليهود	٩٢ ، ٣٥٤ ، ٣٦٤٣	ابنا وائل	٧٢٥
	٥٦٢	بنو يريم	١٥
يونان	٣٣٥ ، ٤٦٣ ، ٧٢١	بنو يرفيان	١٧٩

٤ - فهرس الكتب المذكورة في المتن

- ٤٧٧ ، ٨١ الاعتماد على ما صحّ من شعر المعتمد بن عباد لابن بسام
٤٧٧ الاكليل المشتمل على شعر عبد الجليل لابن بسام
٢١٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٠ ، ١٢٥ البديع في وصف الربيع لأبي الوليد الحميري
٦٤٠ التذكرة لابن الأفطس
١٤٢ الحدائق لابن فرج
٣٩٦ ، ٢٠٦ ، ١٠٦ حديقة الأرتياح لابن مسلمة
١٥٤ خلق الانسان لثابت
٨٣٥ ذخيرة الذخيرة لابن بسام
١٤٢ الزهرة لابن داود
٤٧٧ سلك الجواهر من نوادر ترميز ابن طاهر لابن بسام
٢٩ شعر المعتضد جمعه ابن أخيه إسماعيل
٧٢٧ العمدة لابن رشيق
٨٢ كتاب الترمذي في الحديث
٨١٢ الكتاب الكبير لليقوبي
كتاب المظفر (المظفري) : انظر : التذكرة لابن الأفطس
٤٧٧ نخبة الاختيار من أشعار ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار لابن بسام
٦٢ نظم السلوك في وعظ الملوك لابن اللبانة
١٤ الهادي إلى معرفة النسب العبادي لأبي رافع بن حزم
٨٣٦ اليتيمة للثعالبي

٥ - فهرس القوافي

قافية الهمزة

٥٣	قيس بن الخطيم	الطويل	بقاءها
٦٨٦	قيس بن الخطيم	الطويل	أضاءها
٥٨٤٠	صالح الشتمري	الكامل	البرحاء
١٢٠	ابن المعلم	البيسط	هيحاء
١٢٣	ابن المعلم	البيسط	الداء
٣٥٨	—	البيسط	دعجاء
٢٢٧	المعتمد	الوافر	البقاء
٢٢٨	ابن زهر	الوافر	الشقاء
٢٥١	حسان بن ثابت	الوافر	لحاء
١٦٨	ابن الرومي	الكامل	الرقباء
٢٢٢	ابن البين	الكامل	الأسماء
٨٠٠	ابن البين	الكامل	الخضراء
٤٣٧	ابن هانيء	الكامل	شركاء
٤٧٨	ابن وهبون	الكامل	البيضاء
٦٢٠	المتنبي	الكامل	نجلاء

٣٢٤	أبو القاسم ابن عبد الغفور	الخصيف	العزاء
٧٧٣	أبو محمد البطلبيوسي	الخصيف	وبهاؤه
٥٨٤	صالح الشتيمري	الطويل	بماء
٥٩٤	أبو الحكم ابن حزم	الطويل	وحياء
٦٠٣	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	الرقباء
٢٣١	ابن برد أو ابن الرومي	مخلع البسيط	السناء
٩٣	أبو حفص الموزني	الوافر	الفناء
١١٦	عدي بن الرقاع	الكامل	الامراء
٧١٤	أبو تمام	الكامل	الغماء
٧١٦	ابن عبدون	الكامل	بصفاء
٢٢١	حسام الدولة ابن رزين	الكامل	وبدائه
٢٢١	ابن زهر	الكامل	وفائه
٢٢٧	المتنبي	الكامل	ومضائه
٤٦٦، ٣٧٩	ابن نباتة	الكامل	أحشائه
٤٦٦	ابن فتوح	الكامل	جوزائه
٤٢٠	ابن عمار	مجزوء الكامل	شراء
٢٣١	ابن المعتز	مجزوء الكامل	سمائه
١٠٦	أبو عامر ابن مسلمة	المجتث	صفاء
١٠٧	ادريس بن اليماني	المجتث	وصفاء
٤٥٢	ابن الملاح	المتقارب	الدعاء
٥٦٩	أبو الحسن البكري	المتقارب	الضياء

قافية الباء

٧١٥	ابن المعتز .	الرجز	طلب
٥٣٨	ابن بسام	المتقارب	الحسب
٥٤٠	ابن عبد العزيز	المتقارب	العرب
٦٢٠	المعري	المتقارب	كتب
٥٦٨	أبو الحسن البكري	المتقارب	القضيب
٦٨٧	ثعلبة الشيباني	المتقارب	صبيب
٤٧٠	ابن الملح	الطويل	ندويا
٤٩٢	أبو تمام	الطويل	خائبا
١٠٤	أبو الوليد الباجي	الطويل	غائبا
١٤٧	خالد بن يزيد	الطويل	قلبا
٣٣٢	المتنبي	الطويل	كذبا
٥٥٠	المتنبي	الطويل	ركبا
٥٥٤	—	الطويل	لبى
٧٦٩	أبو بكر البطليوسي	الطويل	الجدا
٨٣٠	ابن سوار الأشبوني	الطويل	عتبي
١٧٤	ابن حصن	الطويل	اصطحابها
١٦٨	ابن بابك	البيسط	لانتصبا
٢٧٠	مرة بن محكان	البيسط	الطنبا
١٦٥	ابن حصن	الوافر	النقابا
١٢٢	ابن هانيء	الكامل	شبابا
٢٢٣	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	أبا

٢٢٣	ابن زهر	الكامل	كبا
٢٢٢	المتني	الكامل	الحاجبا
٥٨٣	صالح الشنمري	الكامل	مذهبا
٦٨٦	ابن هانيء	الكامل	الغيهبا
٧١٨،٤٢	ابن هانيء	الكامل	طحلبا
٣٢٦	أبو محمد عبد الغفور	مجزوء الكامل	الكتابه
٦٧	المعتمد	مجزوء الكامل	صوابه
٢١٧	ابن القوطية	السريع	الزبابا
٤٩٤	أبو جعفر المحدث	الخفيف	الذنابي
١٥٠	ابن الأبار	الخفيف	الكثيبا
٢٣٦	—	الخفيف	طيبيا
٣٥٠	—	الخفيف	قليبا
٢١٤	البلمي	الخفيف	وغرابه
٦١	نصيب	الطويل	الحقائب
٥٨٠	—	الطويل	لراغب
٦٢٠	—	الطويل	حواجب
٧٦٥	ابن عبدون	الطويل	ونواب
٧٦٦	أبو بكر البطليوسي	الطويل	وتعاب
٣١	المعتضد	الطويل	ثواب
٤٩٤	ابن وهيون	الطويل	شباب
٦٩٣	أبو فراس	الطويل	شهاب
٧٣٩	الأعمى التطيلي	الطويل	غضاب

٥١٦	ابن وهبون	الطويل	وثوبُ
٦٠٦	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	تذوب
٦٠٧	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	ينوبُ
٨٢٥	ابن سوار الأشبوني	الطويل	وتؤوب
٣٨١	ابن عمار	الطويل	رحيب
٤٤٩	امرؤ القيس أو صخر	الطويل	عسيب
٤٤٩	امرؤ القيس	الطويل	نسيب
٧٠١	أبو بكر البطليوسي	الطويل	محاريب
٧٧١	أبو بكر البطليوسي	الطويل	وتعذيب
٢٤٨	أبو تمام	الطويل	الغرب
٦١٩	أبو تمام	الطويل	الهضب
٦١٤	—	الطويل	قلب
٦٩٣	ابن عمار	الطويل	العضب
١٦٧	المتنبي	الطويل	وأكتب
٢٤٧	المتنبي	الطويل	تكذب
٤٩٠	ابن مقبل	الطويل	تعرب
٧١٨	ابن عبدون	الطويل	وأصوب
٥٥٢	أبو تمام	الطويل	مطالبه
٧٩٣	يزيد بن الطثرية	الطويل	عقابها
٧٢	السمهري العكلي	الطويل	ذنوبها
٥٩٩	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	لهيها
٩١	البحثري	البيسط	ينسكب
٤٧٢	ابن الملح	البيسط	ينسكب

٢١٤	البلمي	البيسط	ذوائبه
١٤٦	-	الوافر	والخطاب
٤٤٢	ابن عبلون	الوافر	الرياب
٥٨٠	-	البيسط	الذباب
٧٠٨	ابن عبلون	البيسط	ذباب
٧٠٩	المتني	البيسط	العقاب
٧٨١	-	الكامل	توهبُ
٨٤٠	ابن صارة	الكامل	تكذبُ
٤٨٧	إسحاق بن معلى	الكامل	يرتاب
٩١	ابن الرومي	المجنت	سبيبُ
٢٧٢	دريد بن الصمة	الطويل	قارب
٢٨٠	ابن أبي فنن	الطويل	التاؤب
٣٨٠	المتني	الطويل	المواهب
٤٠٣	المعتصم بن صمادح	الطويل	صاحب
٤٠٤	ابن عمار	الطويل	التجارب
٤٧٣	ابن الملح	الطويل	الغياهب
٧٤٨	الأعمى التطيلي	الطويل	راتب
٧٥٧	-	الطويل	الحواجب
٧٧١	أبو بكر البطليوسي	الطويل	الكواكب
٤٩٧	ابن وهبون	الطويل	شهاب
٤٥٣	ابن الملح	الطويل	تأنيب
٣١٨	المتني	الطويل	طبيب

٥٨٤	صالح الشنتمري	الطويل	مجبى
٥٨٦	صالح الشنتمري	الطويل	حسيب
٣٣٤	امرؤ القيس	الطويل	تولب
٧١٥	امرؤ القيس	الطويل	بخطب
٤٧٥	ابن وهبون	الطويل	يعرب
٤٣	المجنون	الطويل	مغرب
١٠١	أبو الوليد الباجي	الطويل	القلب
٤٠٧	ابن عمار	الطويل	الركب
٤٠٨	المعتمد	الطويل	العتب
٧١٧	ابن عبدون	الطويل	الحب
٦٨	المعتمد	البيسط	النوب
٢٣٧	أبو تمام	البيسط	التعب
٣٨١	أبو تمام	البيسط	السلب
٤٤٤	أبو تمام	البيسط	مرتقب
٦٠٥	أبو تمام	البيسط	صعقب
٦٨٦	أبو تمام	البيسط	شحب
٢٥٦	ابن جمهور	البيسط	للعرب
٤٨٠	المتنبي	البيسط	الشجب
٥٥٨،٤٨٦	المتنبي	البيسط	الكذب
٤٩٠	المتنبي	البيسط	سبب
٧٠٦	ابن عبدون	البيسط	أرب
٧٣٥	الأعمى التطيلي	البيسط	بمقرب

٧٧٧	البحثري	البسيط	والجسب
٢١٧	ابن القوطية	البسيط	أعراب
٤٩٥	ابن عبدون	البسيط	التجاريب
٦٩٨	ابن عبدون	البسيط	تذهيب
٦٩٩	المتني	البسيط	محبوب
٧٠٠	الجميح	البسيط	مقروب
٨٢٣	ابن سوار الأشبوني	البسيط	سراحيب
٣٨٤	عبد المحسن الصوري	البسيط	مضاريه
٧١٤	بشر بن أبي خازم	الوافر	السحاب
٧١٦	أبو نواس	الوافر	ذنوبي
٦٧	المعتمد	الكامل	مذهب
١٦١	ابن حصن	الكامل	تشرب
١٦٩	المعري	الكامل	يخطب
٣٨٧	المعري	الكامل	المركب
٤٩٢	البحثري	الكامل	بالمضرب
٥٠٧	علي بن محمد الأيادي	الكامل	يركب
٦٣٥	ابن بقي	الكامل	يشرب
٥٥	أبو دلامة	الكامل	وضراب
٣٨٠	علي بن أبي طالب	الكامل	أثوابي
٢١٠	أبو الأصمغ ابن سعيد	الكامل	بمشبي
٢١٥	ابن القوطية	الكامل	شريبه
٨٣٨	العباس بن الأحنف	السريع	القلب

٤٨١	المتنبي	الكامل	كسبه
٢٢٥	العباس بن الأحنف	المنسرح	أرب
٦٩١، ١٥٩	ابن حصن	الخفيف	الغراب
٧١٢	ابن عبلون	المتقارب	بلب

قافية للتاء

٢١٠	ابن خيرة الصباغ	مجزوء الكامل	المصامت
١٦٦	ابن خضن	المتقارب	وتعنيته
١٤٨	الناجم	مخلع البسيط	عنكبوت
٨١٨	ابن سوار الأشبوني	الكامل	أبيت
٨٠٣	أبو محمد ابن هود	المجثث	وليت
٧٤	أبو الحسن البطليوسي	المتقارب	فارقتهما
٨٠١	ابن البين	الطويل	وجرة
٤٨٢	المعري	البسيط	السموات
٨٤٢	ابن صارة	الوافر	المكرمات
١٣٩	ابن سريج	الكامل	سناته
١٤٣	ابن الأبار	الكامل	لحظاته
٣٥٨	المتنبي	الكامل	سراويلاتها
٧٩٧	الطيطل	السريع	النحت
١٣٢	ابن حبيب الحميري	الخفيف	هيئاته

قافية اللثاء

٨٤٥	ابن صارة	المتقارب	الحدثُ
٤٥٣	ابن الملاح	المنسرح	انبعث
٢٠٩	ابو الأصبغ ابن سعيد	الطويل	نافثُ
٤٠٥	ابراهيم الصولي	الطويل	الحوادث
٤٠٦	ابن عمار	الطويل	الحوادث
٨٤٥	عبد المحسن الصوري	مجزوء الرجز	الرفثِ

قافية الجيم

٨٤٠	ابن صارة	الطويل	الحوادثُ
١٧٠	ابن حصن	الطويل	منهجـ
٢١٣	البلمي	الطويل	تخرجـ
٦٢٨	ابن بقي	الوافر	الزجاجـ
٥٦٢	أبو الحسين ابن الجلد	الوافر	وبالسروج
٤٥	المعتمد	مجزوء الكامل	البروجـ
٤٨٨، ٣٧٩	ابن الرومي	الخفيف	الأعلاج
٥٨٩	ابن عبدون أو أبو الحسن البطليوسي	مجزوء الخفيف	أرتجي

قافية الحاء

٢١٨	ابن القوطية	مجزوء الرجز	قرحُ
٣٦٦	—	الطويل	ألحى

١١٤	النابعة الذبياني	الكامل	نجاحا
٤٤٦	حسان بن المصيصي	الكامل	جناحا
٨٢٩	ابن سوار الأشبوني	الكامل	ورواحا
٥٩٥	أبو الحكم ابن حزم	الكامل	طامحا
٢٣٠	المرادي	الخفيف	وشحا
٤٨٩	أشجع السلمي	الطويل	الصحاصح
٥٤٩	أبو بكر ابن عبد العزيز	الطويل	صائح
٤٢٠	ابن عمار	الطويل	وأوضح
٧١٤	ابن مقبل	الطويل	تلمح
٦٩	عوف بن محلم	الطويل	ينوح
٤٨٩	النابعة الذبياني	الطويل	جنوح
٤٨٢	المعري	الطويل	روحها
٢٤٥	ابن عبادة القزاز	الوافر	الجراح
٤٤٥	حسان بن المصيصي	الكامل المرفل	سطح
٦٢٥	ابن بقي	المنسرح	نفاح
٤٤٤	حسان بن المصيصي	المقارب	الرماح
٥١٤	المجنون	الطويل	الأباطح
٧٧١	أبو بكر البطليوسي	البسيط	مقترحي
٣٨٦	البحري	الكامل	الذابح
٣٨٧	البحري	الكامل	الذابح
٨٣٨	ابن صارة	الكامل	البارح
١٠٩	أبو عامر ابن مسلمة	الكامل	جناحي

٦٩٢	ادريس بن اليماني	الكامل	الراح
٨٣٩	ابن صارة	الكامل	ضحضاح
٨٤٩	ابن صارة	الكامل	نجيح
٣٠	المعتمد	مجزوء الكامل	الأقاح
٤٠٢	ابن عمار	مجزوء الكامل	السماح
٤٠٢	المعتمد بن صمادح	مجزوء الكامل	الصباح
٢١١	ابن خيرة الصباغ	المجتث	الصبوح
٦٩٧	ابن عبدون	المتقارب	فصاح
٣٨٥	ابن عمار	المتقارب	لبارح

قافية الدال

٤٤٢	ابن عبدون	الكامل المرفل	وشهد
٥٩١	ابن عبدون	الكامل المرفل	ومجد
٢١٣	البلمي	مجزوء الكامل	البرود
٧٨٦	ابن قزمان	مجزوء الكامل	واستعد
٤٨٠	—	المنسرح	الفائد
٢٣٨	أبو عبيد البكري	الطويل	أنجدا
٤٥٤	ابن الملاح	الكامل	الورادا
٦١٣	ابن الملاح	الكامل	الصدا
١٩٨	أبو عمر الباجي	الكامل	الآسادا
٧٠٤	الناشيء	الكامل	وغيدا
٨٠٢	ابن البين	الكامل	قودا

٧٧٦	عمرو بن معد يكرب	مجزوء الكامل	بردا
٣٢	المعنضد	الهرج	عقدة
٦٩٠	-	مجزوء الرجز	واحدا
٦٨٦	ابن عبدون	المتقارب	تحدى
٤٥	المعتمد	الطويل	واجد
٤٥	المعتمد	الطويل	بارد
١٤٠	المتنبي	الطويل	راقد
٨٠٠	المتنبي	الطويل	والفراقد
٧٩٦	ابن طباطبا	الطويل	لواجد
٨٥	أبو حفص الهوزني	الطويل	أرمد
٢٢٢	ابن الرومي	الطويل	ويصعد
٥٠٦	ابن هانيء	الطويل	أسود
٨٣٠	ابن سوار الأشبوني	الطويل	أرقد
٥٠٣	المتنبي	الطويل	العقد
٥٧٨	المتنبي	الطويل	بد
٦٢٤	ابن حمديس	الطويل	أشدو
٧١٠	ابن عبدون	الطويل	رعد
٧٢	ابن شهيد	الطويل	وكبود
٩٢	أبو حفص الهوزني	الطويل	شهود
٢٢٥	أبو عطاء السندي	الطويل	بعيد
٥٩٤	أبو الحكم ابن حزم	الطويل	وتعيد
٥٩٩	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	بعيد

١١٥	المتنبي	الطويل	استجدهُ
١٢١	أبو تمام	البيسط	كبدُ
٦٢١	أبو تمام	البيسط	تلدُ
٤٨٢	المعري	البيسط	الجسد
٤٨٣	المعري	البيسط	وردوا
٥١٤	العباس بن الأحنف	البيسط	رقدوا
٤٨٣	المعري	البيسط	ميعادُ
٦١٧	ابن بقي	البيسط	أنجاد
٥٠٣	ابن وهبون	البيسط	الأناشيد
٧٩٨	الطيطل	مخلع البيسط	المراد
١٩٩	المعري	الوافر	يستعادُ
٨٤٢	المعري	الوافر	الجرادُ
٥٠٥	السلامي	الوافر	تقادُ
٣٨٨	ابن عمار	الوافر	فريد
٤٨٦	صريع الغواني	الوافر	يزيد
٧٦١	—	الوافر	يسودُ
٨٤٣	ابن صارة	الوافر	نحيد
٦٠٩	—	الوافر	تجود
١٣١	ابن الرومي	الكامل	الفاسدُ
٨٤٢	ابن الرومي	الكامل	الوالدُ
٣٩٤	ابن عمار	الكامل	نهود
٧٠٦	ابن عبدون	الكامل	عبيد
٥٦	المعتمد	الكامل المرفل	تعد

٥٩٦	-	السريع	الأبعد
٥٥٣	-	المنسرح	أحد
١٥٠	-	الخصيف	النهود
٦٠	أبو العتاهية	المتقارب	جاحد
٨٧	أبو حفص الهوزني	الطويل	ماجد
١١٧	أبو تمام	الطويل	عطار
٤٤٢	أبو تمام	الطويل	بزاهد
٧٨٤	الفرزدق	الطويل	خالد
٨٤٨	ابن صارة	الطويل	الشدايد
١٥٤	ابن أبي ربيعة	الطويل	توسد
٢٢٤	-	الطويل	يصر
٨٣٣	ابن سوار الأشبوني	الطويل	محمد
٢٣٨	ابو عبيد البكري	الطويل	الجر
٣١٩	أبو القاسم ابن الجعد	الطويل	ند
٤٥٠	ابن الملح	الطويل	الغد
٨٣٨	المعتمد	الطويل	كبدي
٨٤٢	ابن صارة	الطويل	سيد
١٠٣	أبو الوليد الباجي	الطويل	لمعاد
٥٦	أبو دلامة	البيسط	أسد
١٣٥	ادريس بن اليماني أو ابن الأبار	البيسط	كبدي
٤٧١	ابن الملح	البيسط	جسدي
٤٩٨	ابن وهبون	البيسط	الغيد

٤٩٩	ابن وهبون	البيسط	فاقتصد
٥٠٠	ابن وهبون	البيسط	الفند
٤٩٩	البحثري	البيسط	تزد
٥١٤	يحيى بن هذيل	البيسط	واكبدي
٦٢١	ابن بقي	البيسط	منجرد
٦٢٣	الوأواء دمشقي	البيسط	بالبرد
٦٢٥	ابن بقي	البيسط	لغد
٧٣٧	الأعدى التطيلي	البيسط	تزد
٧٦٣	النابة الذبياني	البيسط	الأسد
٨٤٦	ابن صارة	البيسط	الأبد
٥٧	المعتمد	البيسط	عباد
٨٠	ابن اللبانة	البيسط	عباد
٦٢١	ابن هانيء	البيسط	بمولود
٧٠٨	إسحاق الموصللي	البيسط	مسلود
٧٦٥	صريع الغواني	البيسط	الجود
١٢١	المتنبي	الوافر	فؤاد
١٤٣	ابن فرج الجياني	الوافر	الرقاد
٥٥٤	—	الوافر	عيد
٣١	—	الكامل	الأكباد
٥٨	أبو بحر ابن عبد الصمد	الكامل	عواد
٣٩٤	ابن لبون	الكامل	الوراد

٣٩٥	ابن عمار	الكامل	صعادي
٤٦٩	القسطلي	الكامل	الميام
٢٥١	الحارث بن هشام	الكامل	مزبد
٧٠٦	الناطقة الذبياني	الكامل	هاليد
٧٧٧	أبو تمام	الكامل	الوالد
٨١٨	ابن سوار الأشبوني	الرمل	الغواذي
٦٨٥	بشار	الرجز	لمرتة
٣١٤	أبو فراس	السريع	خالد
٨٣٩	ابن صارة	السريع	جندة
٧٩٣	ابن الرومي	المنسرح	ورد
٤٣٢	ابن عمار	المنسرح	نقده
٤٨٥	المعري	الخفيف	والاجداد
٧٩٦	المعري	الخفيف	الأفراد
٤٢٦	ابن عمار	الخفيف	الرشيد
٧٥	المعتمد	المتقارب	القيود
٨٤١	عمر بن الشهيد	المتقارب	ندي
٣٩٢	ابن عمار	المتقارب	ردة

قافية الذال

٢١٥	ابن القوطية	الرمل	وبذ
٢١٠	أبو الأصينغ ابن سعيد	الكامل	رذاذا
٢٣	القاضي ابن عباد	الطويل	بغتذي

١٣٣	ابن حبيب الحميري	الطويل	غذي
١٤٢	الحصري الكفيف	الكامل المرفل	فخذي

قافية الراء

٧٠٤	امرؤ القيس	الطويل	كدر
٨٠٥	ابن برلوصة	البيسط	أثر
٢٠٨	أبو الأصبع ابن عبد العزيز	مخلع البيسط	المجوهر
٢٠٩	ابن الأبار	مخلع البيسط	معدّر
٣٦٢	أبو محمد عبد الغفور	مجزوء الكامل	المجبر
٥٢١	ابن مرزقان	الرمل	البهار
٢١١	ابن خيرة الصباغ	الرمل	تغور
١٦٦	ابن حصن	السريع	القمر
٦٤٢	أبو عبد الله ابن شرف	السريع	نزار
٦٤٢	أبو عبد الله ابن شرف	السريع	الفرار
٢٣	القاضي ابن عباد	المنسرح	نضر
١٤٥	ابن اللبانة	المنسرح	غير
١٣٣	ابن حبيب الحميري	المنسرح	التظر
٦٣٨	أبو الحسن الشتمري	المنسرح	اذكر
٣٩٠	ابن فرج أو المصحفي	الخفيف	تناثر
٢٠١	—	مجزوء الخفيف	البشر
٧٣	المعتمد	المتقارب	الأوار
٩٢	ابن نباتة السعدي	المتقارب	قصر

١٥٤	أبو نواس	الطويل	صفرا
٢٢٨	ابن عبدون	الطويل	جهرا
٢٢٩	ابن زهر	الطويل	أورى
٢٥٠	امرؤ القيس	الطويل	وميسرا
٧٣	المعتمد	البيسط	مأسورا
١٩٩	أبو عمر الباجي	الوافر	نارا
١٤٨	-	الكامل	ظهورا
٣٢٢	أبو المغيرة ابن حزم	الكامل	مسكرا
٣٨٢	ابن عمار	الكامل	السرى
٦٣٢	ابن عمار	الكامل	أحضرا
٥٦١	أبو الحسين ابن الجلد	الكامل	أبصرا
١٠٤	أبو الوليد الباجي	الرجز	النيرا
٧٨٢	-	الرجز	برآ
١٠٤	أبو الوليد الباجي	السريع	جائرا
٣٣٤	أبو تمام	السريع	القاصره
٨٢٠	-	السريع	الآخره
٨٢٠		السريع	برآ
٦٤	المعتمد	الخصيف	وشكرا
٤١٥	ابن عمار	المتقارب	مشيرا
١٠٣	أبو الوليد الباجي	المتقارب	ميرَه
٦٤٥	الكميت	المتقارب	وأفكارهآ
٣٠	ابن المعتز	الطويل	جواهرُ

١٦٩	ذو الرمة	الطويل	أغبرُ
١٩٧	أبو عمر الباجي	الطويل	أكبرُ
٤٥٩	ابن شهيد	الطويل	فيثمرُ
٧٩٥	—	الطويل	مدنرُ
٦٨	المعتمد	الطويل	الدهرُ
١٣٣	ذو الرمة	الطويل	الخميرُ
١٥٤	أبو نواس	الطويل	فخر
٢٣٧	أبو عبيد البكري	الطويل	القطر
٣٢٠	أبو عامر ابن مسلمة	الطويل	الحبرُ
٣٢٠	أبو القاسم ابن الجعد	الطويل	نشرُ
٣٢٢	أبو تمام	الطويل	البدر
٣٤٠	أبو محمد عبد الغفور	الطويل	والصبرُ
٤٠١	ابن عمار	الطويل	الدهر
٤٤٣	—	الطويل	صفر
٤٩٣	المعري	الطويل	الدهر
٤٩٤	ابن شماخ	الطويل	عمرُ
٥٩٠	ابن عبدون	الطويل	الزهر
٥٩٠	أبو الحكم ابن حزم	الطويل	البدر
٦٠٢	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	سنرُ
٧١٧	أبو الشيعس	الطويل	حمرُ
٧٢٠	ابن عبلون	الطويل	بكر
٧٧٣	أبو محمد البطليوسي	الطويل	شبر

٧٩٤	ذو الرمة	الطويل	الفجر
٨١٥	ابن سوار الأشبوني	الطويل	وعر
٧٥	المعتمد	الطويل	وسرير
٧٦	ابن حمديس	الطويل	ويجور
١٦٩	ابن وهبون	الطويل	يدور
٣٣٣	—	الطويل	لكثير
٤٦٢	الصاحب بن عباد	الطويل	ضمير
١٥٣	الفرزدق	الطويل	كاسره
٤٨	المعتمد	البيسط	والخذر
١٥٠	ابن اللبانة	البيسط	ينكسر
٢٥٥	ابن وهبون	البيسط	السمر
٣٠٥	ابن وهبون	البيسط	الفكر
٢٥٦	أبو الحسين ابن الجلد	البيسط	خبر
٥٩٥	أبو الحكم ابن حزم	البيسط	وطر
٥٩٦	أبو الوليد ابن حزم	البيسط	والغير
٦٠٧	أبو الوليد ابن حزم	البيسط	الشرر
٦٣٠	الأخطل	البيسط	هجر
٧٧٣	أبو الحسن البطلبيوسي	البيسط	ذخروا
٥٨	—	البيسط	مخدور
٣١	المعتضد	البيسط	ناظره
١٤٩	المتنبي	البيسط	مآزره
٤١٠	المتنبي	البيسط	دوائره

٧٣٥	الأعشى التطيلي	البيسط	مصدره
١٦٥	ابن حصن	مخلع البسيط	والبهار
١١٠	ابن الأبار	مخلع البسيط	البلدور
١١٠	أبو عامر ابن مسلمة	مخلع البسيط	النفور
٩١	أبو تمام	مخلع البسيط	مطير
٤٩٩	المتنبي	الوافر	السوار
٧١٧	ابن عبدون	الوافر	ثمار
٤٤٨	ابن الدهقانة أو غيره	الوافر	كثير
٢١٤	البلخي	الكامل	وتمطر
٢٩٦	—	الكامل	يكدر
٩٢	العباس بن الأحنف	الكامل	الأقدار
٧٧٨	العباس بن الأحنف	الكامل	مدرار
٤٤	المعتمد	الكامل	أمور
٢٢٥	بشار	الكامل	أمير
٦٠٦	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	كثير
٣٩٢	ابن عمار	الكامل	اضراره
٤٤٩	حسان بن المصيصي	الكامل	بهاره
٧٠٩	طرفه	مجزوء الكامل	النسور
١٥٤	—	الرجز	عتوره
٨٤٥	الحصري الكفيف	الخفيف	الحضور
٤٤٠	حسان بن ثابت	الخفيف	يطير
١٧١	ابن حصن	الطويل	تصير

٦٨٧	زهير بن مسعود	الطويل	محبّر
٥٩٣	أبو الحكم ابن حزم	الطويل	وظاهر
٨٤٧	ابن صارة	الطويل	بنحو اطري
٤٣	المعتمد	الطويل	هجري
٦٩	المعتمد	الطويل	عمري
١٤٧	الأخطل	الطويل	يجري
١٦٦	ابن حصن	الطويل	والنهر
٢٧٣	حسان بن المصيصي	الطويل	بحري
٤٨٧	-	الطويل	الدهري
٦١٢	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	أدري
٦١٢	أبو بكر ابن حزم	الطويل	القدر
٦١٨	الحصري الكفيف	الطويل	القدر
٧٠٥	أبو تمام ابن رباح	الطويل	الخمر
٤٦٣	ابن الملح	الطويل	مطار
٢٠٧	أبو الأصيف ابن عبد العزيز	الطويل	منير
٢٠٨	ابن الأبار	الطويل	منير
٤٥	المعتمد	البيسط	الغبير
٧٦	المعتمد	البيسط	الشجر
١٢٦	ابن حبيب الحميري	البيسط	والخبر
١٣٧	العباس ابن الأحنف	البيسط	والبصر
١٥٥	ابن المعتز	البيسط	الجبر
٧٠٠	ابن المعتز	البيسط	الأثر

٨٠٥،١٥٨	أبو الفضل ابن شرف	البيسط	حور
٣٢٢	أبو تمام	البيسط	بالقمر
٣٧٤	المعري	البيسط	أشر
٤٥٧	المعري	البيسط	الصغير
٨٤٩،٤٥٨	المعري	البيسط	الزهر
٤٩٤	المعري	البيسط	العكر
٤٠٠	ابن عمار	البيسط	نظري
٤٨٨	التهامي	البيسط	بصري
٧٩٥	التهامي	البيسط	التمر
٧٢٧	الأعمى التطيلي	البيسط	ذكر
٧٤٥	الأعمى التطيلي	البيسط	بالصدر
٦٩٣	ابن عبدون	البيسط	والحور
٨٠٥	أبو محمد ابن هود	البيسط	الحذر
٨٤٧	ابن صارة	البيسط	السفر
٨٤٩	ابن صارة	البيسط	والغرر
٣٠	ابن عبدون	البيسط	آذار
١٥٠	ابن عمار	البيسط	بأطيار
٣٨٤	ابن عمار	البيسط	الساري
٢١٧	ابن القوطية	البيسط	بلاّ
٣٥٨	القتال الكلابي	البيسط	بالعار
١٦٩	-	البيسط	نور
٦٤٦	جرير	الوافر	الحمار

٧٢٧	المعري	الوافر	حوار
٦٢	المعتمد	الوافر	الشكور
٦٣	ابن اللبابة	الوافر	ضميري
٧١١	ابن عبدون	الوافر	الدهور
٧٩٠	مهلهل	الوافر	بالذكور
٣١	أبو تمام ابن رباح	الكامل	بشرار
٢٤٨	التهامي	الكامل	عذار
٤٨٦	التهامي	الكامل	الأشفار
٤١١	ابن عمار	الكامل	النار
٤١٣	المعتمد	الكامل	الاعصار
٥٩٦	—	الكامل	جدار
٧٢٧	المعري	الكامل	الأسوار
٨٤١	ابن صارة	الكامل	للنظار
٨١٠	المعتمد	الكامل	وبواتر
٨١١	النحلي	الكامل	ظاهري
٤٥٦	ابن الملح	الكامل	فاصدي
٥٩٢	أبو الحكم ابن حزم	الكامل	فتذكري
٦٢٩	ابن بقي	الكامل	المقفر
٧٢٧	المعري	الكامل	الصرصر
٦٣٨	أبو الحسن الشنتمري	الكامل	غديرها
٤٠١	ابن عمار	الكامل المرفل	الزهر
٥١٢	الخنساء	الكامل المرفل	الحضري

٦١٧	ابن بقي	الكامل المرفل	النجر
٢٩٦	بشار	الكامل المرفل	قدره
٩٤	عدي بن زيد	الرميل	اعتصاري
٢٣	القاضي ابن عباد	السبع	المخبر
٨٤٥	-	السريع	الأبخر
٨٠٩	النحلي	المنسرح	النظر
٢١٥	ابن القوطية	الخفيف	واقتهار
٢٣٠	ابن زهر	الخفيف	نهار
٤١٠	ابن عمار	الخفيف	بالتندير
١٦١	ابن حصن	المجث	أواري
١٤٥	أبو القاسم المنيشي	المتقارب	أمريها

قافية للزاي

٢١٨	ابن القوطية	البسيط	الخرز
١٥٥	ابن الرومي	الكامل	المتحرز
١٥٦	ابن الأبار	الكامل	معوذ

قافية السين

٢١٢	البلمي	مخلع البسيط	العس
١٣٣	ابن حبيب الحميري	المنسرح	الأنفس
١٠٩	المصحفي	الطويل	الشمسا
٤٤٧	امرؤ القيس	الطويل	تلبسا

٧٠٠	امرؤ القيس	الطويل	وقوسا
٧٠٣	أبو نواس	الطويل	الغوارس ^١
٧٠٥	المتمس البطلبيوسي	الطويل	فريسهما
١٦٢	ابن حصن	السريع	والآس ^٢
٢٣٨	أبو عبيد البكري	الطويل	والآس ^٣
٤٧	المعتمد	البيسط	حرأس ^٤
٢١٦	ابن القوطية	البيسط	مقتبس
٨١٤	ابن سوار الأشبوني	البيسط	المهرس
٢٧	صاعد البغدادي	الوافر	الرعوس
١٢٩٠٧٠	الخنساء	الوافر	نصي
٣٩١	ابن عمار	الكامل	مجلس ^٥
٥٩٢	أبو الحكم ابن حزم	الكامل	أناس ^٦
٣٩٦	الأشتر	الكامل	عبوس ^٧
٣٩٧	ابن الأبار	الكامل	ونفوس ^٨
١٥٥	والبة بن الحباب	السريع	راسي
١٦١	ابن حصن	السريع	الأنفس
٤٦	ابن وكيع	مجزوء الخفيف	دنجسي

قافية الشين

٥٨٤	صالح الشتيمري	الوافر	ويمشي
٧٧٢	أبو الحسن البطلبيوسي	السريع	أعشى
٦٨٧	حاتم	الطويل	تشمش ^٩

قافية الصاد

٤٠٧	عدي بن زيد	السريع	الحريص
١٢٤	ابن المعلم	الكامل المرفل	خرصي
١٢٤	أبو عامر ابن مسلمة	الكامل المرفل	الفرص

قافية الضاد

٢٠٢	ابن الأستحي	المجتث	أرضه
٢٠٣	ابن القوطية	المجتث	أرضه
٢٠٣	ابن حبيب الحميري	المجتث	وارضه
٢٠٤	ابن الأبار	المجتث	وافترضه
٢٠٤	أبو الاصبع ابن عبد العزيز	المجتث	غضه
٢٠٥	ابن حصن	المجتث	غمضه
٢٠٥	المعتضد	المجتث	لتمضه
٢٣١	ابن زهر	البيسط	عترض
٢٩	المعتضد	المنسرح	تبيض
٦٩٣	أبو نخيلة	الطويل	بعض
٨٤٥	ابن صارة	الكامل	النضناض
١٢	ذو الاصبع العدواني	الهجج	الأرض
٣٨٠	—	الخفيف	رياض

قافية الطاء

٨١٠	متوكل بن أبي الحسن	البسيط	سَفَطَا
٣٩٠	البحري	الطويل	ولا قَطُهُ
٢٥٠	ابن العسال	البسيط	الغَطِ

قافية العين

٥٤	(خارجي)	الرجز	الطمعُ
١١١	أبو عامر ابن مسلمة	السريع	الطاوعُ
١٥٣	امرؤ القيس	الطويل	أتلعا
٧٠٢	ابن الرومي	الطويل	مشرعا
٨٠٤	أبو محمد ابن هود	الطويل	أجمعا
٥٤١	أبو بكر ابن عبد العزيز	البسيط	موضعةُ
١٤٦	ابن الرومي	الكامل	دموعا
٦٨	المعتمد	الرملي	الطمعا
١٩٥	أبو الأسود الدؤلي	الرملي	منتزعه
٩٨	أبو الوليد الباجي	المتقارب	كساعه
٨٣	أبو حفص الهوزني	الطويل	يتوقعُ
١٧١	أبو تمام	الطويل	فيوجع
٣١٨	أبو القاسم ابن الجعد	الطويل	وأمتعُ
٧٩٩	ابن البين	الطويل	متشيع
٥٩٩	المجنون	الطويل	المضاجع

٧٠٢	السلامي	الطويل	جوامعُ
٧٠٣	صريع الغواني	الطويل	الجوامعُ
٥٦٧	أبو الحسن البكري	الطويل	سمعُ
٤٤	المعتمد	الطويل	تواقعهُ
٣٢٣	المعتمد	الطويل	متاعها
٢٤٩	ابن اللبانة	البسيط	فتنخدع
٦٢١	المتنبي	البسيط	زرعوا
٨٤٩	المتنبي	البسيط	يضعُ
٦٢٩	—	البسيط	البعقُ
٧١٣	أبو نصر المعافى	مخلع البسيط	الفضاعُ
٤٢٢	أبو ذؤيب	الكامل	تنفع
٤٦٦	ابن عبد البر الشنبري	الكامل	تسطع
٤٨٧	المتنبي	الكامل	الأدمع
٥٣	المعتمد	مجزوء الكامل	الصديعُ
٤٤	المعتمد	السريع	لماعُ
٣٧٧	عيسى بن الحسن	الطويل	وتفجعي
٥٥٠	المعري	الطويل	أربع
٧٠٣	الرمادي	الطويل	المشعشع
٧٧٠	أبو بكر البطلبيوسي	الطويل	بمباضع
٨٣٧	ابن صارة	الطويل	شفيح
٣٨٨	ابن عمار	الطويل	دع
١٦٩	المعري	الطويل	جدع

٤٤٢	—	البسيط	الورع
٥١٣	ابن فرج الجياني	الوافر	بالمطاع
١٤٢	أبو تمام	الوافر	الرقاع
٧١٢	ابن عبدون	الوافر	الزراع
٧٨٨	ابن مقانا	الوافر	الطبيعي
٨٣٧	ابن صارة	الكامل	أسماعي
٦٢٣	الشريف الرضي	الكامل	المطبوع
٨٠١	المتنبي	الكامل	دموعي
٧٢١	ابن شهيد	المتقارب	الشجاع

قافية الفاء

١٤٣	ابن الأبار	مجزوء الكامل	للارتشاف
١٧٤	ابن حصن	الطويل	تناثما
٧٩٥	ابن هاني	الطويل	تخفى
٢٠٧	أبو الأصبغ ابن عبد العزيز	مجزوء الكامل	عطفه
٦٠٠	أبو الوليد ابن حزم	المتقارب	الطاقها
٣٧٧	الرمادي	الطويل	وتتف
٩٣	أبو نواس	البسيط	تعرف
٤٧٣	ابن الملح	البسيط	منزوف
٤٠٩	الناجم	الوافر	ظريف
١٤٧	ابن أبي ربيعة	مجزوء الرجز	مهفهف
٨٣٦	ابن وهبون	الرمل	طرفه

٦٣٧	أبو الحسن الشنتمري	السريع	والحيفُ
١٦٤	ابن حصن	المتقارب	ينصفُ
٤٦٨	أبو بكر ابن حجاج	المتقارب	عرفهُ
١٤٩	أبو القاسم المنبشي	الطويل	الحشفِ
٦٣٤	ابن بقي	البيسط	الأسفِ
٤٨٣	المعري	الوافر	شعفي
٥١٢	البحري	الكامل	يشرفِ
٧٧٠	أبو بكر البطليوسي	الكامل	طائي
٧٨٥	ابن قزمان	الكامل	نطافِ
٦٣٩	أبو الحسن الشنتمري	المنسرح	طرفهُ
١٣٨	سعيد بن حميد	الخفيف	الأردافِ

قافية القاف

٥٨		الرمل	بسقُ
٥٨	المعتمد	الرمل	حقُ
١٥٦	ابن الأباد	الرمل	فاغتبِقُ
٨٤٣	ابن صارة	البيسط	طرقا
١٤٨	المتنبي	الوافر	نطاقا
٢١٢	ابن نصر الأشبيلي	الكامل	وأعتقا
١٤٨	ابن أبي زرة	الكامل المرفل	نطقا
٣٨٩	الطليق المرواني	الرمل	شفقا
٥٩٥	أبو الحكم ابن حزم	الخفيف	وعقيقا

١٧٧	ابن حصن	الطويل	أرقتق
٢٣٦	الأعشى	الطويل	وتعلق
٦٩١	الأعشى	الطويل	معلق
٤٩٧	الصابي	الطويل	أخذق
٤٩٤	ذو الرمة	الطويل	معلق
٤٢٢	المجنون	الطويل	عاشق
٣١	المعتضد	الطويل	رقيق
١٥٠	المجنون	الطويل	لصديق
٨٢٥	ابن سوار الأشبوني	الطويل	يروق
٨٥	أبو حفص الهوزني	الطويل	شرق
٦٢٢	—	البيسط	انخلق
٢١٦	صاعد البغدادي	البيسط	سراق
٣٨٥	ابن عمار	البيسط	وإسحاق
١٢٢	ابن المعلم	الوافر	البراق
٢٣٠	ابن زهر	الكامل	مونق
٨٣٦	ابن صارة	الكامل	يشرق
٨٣٧	ابن صارة	الكامل	رقاق
٧١٨، ٤٢	المتنبي	الطويل	الشقائق
١٤٠	المتنبي	الطويل	مفرقي
١٤٧	النابعة الذبياني	الطويل	منطق
٤٠٣	ابن عمار	الطويل	المنمق
٦٢٤	ابن بقي	الطويل	أطوق

٨٣٢	ابن سوار الأشبوني	الطويل	اصدق
٥٨٨	أبو الحسن البطليوسي	الطويل	الطوق
٧٠٥	جميل بثينة	الطويل	بطريق
١٣٥	—	البيسط	الحدق
١٥٨	المتوكل بن الأفتس	البيسط	الحدق
٤٧٢	ابن الملح	البيسط	والحدق
٤٦٥	ابن العطار اليايسي	البيسط	العتق
٨٠٤	أبو محمد ابن هود	البيسط	بقي
٦١٦	ابن بقي	البيسط	حدقه
٦١٦	أبو بكر	البيسط	درقه
٦١٦	ابن بقي	البيسط	ورقه
١٤٤	ابن وهبون	الوافر	اتفاق
٥٨٣	صالح الشنتمري	الوافر	البروق
٣٧٩	ابن نباتة السعدي	الوافر	الشفيق
١٣٢	ابن حبيب الحميري	الكامل	الفاثق
٤٧٠	أبو تمام ابن رباح	الكامل	تلحق
٥٠٥	ابن وهبون	الكامل	الأزرق
٦٣٦	ابن بقي	الكامل	لناشق
٥٨٩	ابن عبلون	الكامل	تحرير
٨٤٤	ابن صارة	الكامل	نفاقها
١٦١	ابن حصن	السريع	لانخلاقها
٢٥١	ابن الرومي	المنسرح	والحدق

٤٦٧	ابن عبدوس	المنسرح	يلقى
٤٨١	المتنبي	الخصيف	المذاق
٢١٧	ابن القوطية	مجزوء الخصيف	ورونق

قافية الكاف

٥٦٢	أبو الحسين ابن الجحد	مخلع البسيط	لساحتيك
١٦٧	ابن حصن	الطويل	الشركا
٨٤٦	ابن صارة	البسيط	بكا
٣٨٤	ابن عمار	الكامل	لقياكا
٧٠٠	ابن هاني	الطويل	الفوارك
١٦٤	ابن حصن	الوافر	الديوك
٥٨٢	صالح الشنتمري	الكامل	هواك
٨٣٨	-	الكامل	أغناك

قافية اللام

١٥٩	ابن حصن	المجث	يتدلل
٦٢٥	-	المتقارب	الجمل
٧١٥	ابن عبدون	المتقارب	العدل
١١٥	أبو تمام	الطويل	يتحوّلا
٦٩٣	أبو تمام	الطويل	مجهلا
٧٦١	أبو تمام	الطويل	مؤمّلا
١٣٨	-	الطويل	وعجّلا

١٨٠	ابن حصن	الطويل	وصائلا
٢١٣	ابن ديسم الاشبيلي	الطويل	عدلا
٧٩٠	ابن مقانا	البسيط	والنيلا
١٣٧	القس المكي	الوافر	قالا
٢٢٣	كثير	الوافر	المطالا
٣٧٨	المعري	الوافر	الظلالا
٧٠٧	المعري	الوافر	الرفالا
٤٧٢	ابن وهبون	الوافر	ملالا
٥٠٨	ابن وهبون	الوافر	واخلالا
٧٣٢	الأعمى التطيلي	الوافر	خيالا
٩٢	أبو تمام	الكامل	كاملا
٦١٠	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	قبولا
٧٦٧	أبو بكر البطليوسي	الكامل	رسولا
١٢١	ابن المعلم	الكامل	عليلا
٣٨٧	كشاجم	الكامل	قايبلا
٤٦٦	ابن اللبانة	الكامل	التأميلا
٥٦٢	أبو الحسين ابن الجدة	الكامل	طويلا
٧٩٤	ابن هاني	الكامل	جبريلا
٨٢٨	ابن سوار الأشبوني	الكامل	أشكالها
٣٣٢	المتنبي	المنسرح	قتلته
١١٣	المتنبي	الخفيف	بخلا
٢٢٦	المتنبي	الخفيف	معلتي

٨١٣	ابراهيم الصولي	الخفيف	والعدا
٧٨٥	ابن قزمان	الخفيف	انهمالا
٧٧٣	أبو بكر البطلبيوسي	الخفيف	شمولا
١٥٢	المفجع البصري	الخفيف	طويلا
٤١٤	ابن عمار	المتقارب	جمالا
٥١٣	جنوب	المتقارب	عضالا
٦٠٦	أبو الوليد ابن حزم	المتقارب	قليلا
٧٩٦	ابن مقانا	المتقارب	وخلخالها
١٤٨	أبو تمام	الطويل	الخلاخل
٦٣٤	ابن بقي	الطويل	دلائل
٧٨١	ابن المعتز	الطويل	وأرجل
١٠٢	ابو الوليد الباجي	الطويل	غافل
٧١	المعتمد	الطويل	كتبل
٨٨	زهير بن أبي سلمى	الطويل	قبل
٨٨	أبو حفص الهوزني	الطويل	فصل
١٣٦	صريع الغواني	الطويل	والبذل
٥٥٣	صريع الغواني	الطويل	النصل
١٤٧	الحكم الخضري	الطويل	عبل
٥٦٤	أبو الحسن البكري	الطويل	النصل
٦١٣	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	القتل
٦٣٤	—	الطويل	الشغل
٦٢٧	المعري	الطويل	أصلال

٧٧	المعتمد	الطويل	حجولٌ
٦٠٤	أبو الوليد الباجي	الطويل	فأقولٌ
٨٢٦	ابن سوار الأشبوني	الطويل	وفعولٌ
٨٢٢	ابن المعتز	الطويل	صقيل
١٢٣	ابن المعلم	الطويل	دخيلٌ
١٤٦	ابن الطّرية أو غيره	الطويل	فتيل
١٣٧	الصمة أو ابن الطّرية	الطويل	أنامله
١٧٠	أبو تمام	الطويل	خلاخله
٨٤٨	أبو ذؤيب	الطويل	رسولها
٨٩	أبو حفص الهوزني	المديد	أزلٌ
٧٧٠	الشنفري أو غيره	المديد	نخلٌ
٤٠٧	القطامي	البيسط	الزلالٌ
٤٠٧	—	البيسط	عجلوا
٤٩١	ابن وهبون	البيسط	زحلٌ
٢٩٤	حنديج المري	البيسط	صولٌ
٦٢٥	جران العود	البيسط	مشغولٌ
٩١	المعري	الوافر	الهلالٌ
٢٢٥	عدي بن زيد	الوافر	أقولٌ
٤٥١	جميل بثينة	الوافر	وبيلٌ
١٤٨	النحلي	الكامل	يحملٌ
٨٢٧	ابن سوار الأشبوني	الكامل	ينالٌ
٦٣٣	ابن بقي	الكامل	سيزولٌ

٣٣٨	—	الكامل	دليلُ
٤٦٩	يحيى بن هذيل	الكامل	أليلُ
٦٠٥	ابن الرومي أو أبو نواس	الكامل	طويلُ
١٦٥	ابن حصن	السريع	إكليلُ
٢٢٦	المتنبي	المتقارب	منصلُ
٤٤١	حسان بن ثابت	المتقارب	الأكحلُ
٥٧٠	أبو الحسن البكري	المتقارب	يعقلُ
١٤٦	امرؤ القيس	الطويل	تسهلُ
٤٤٧	امرؤ القيس	الطويل	فأجملي
٥٥٠	امرؤ القيس	الطويل	ومنزَلُ
٧٠٠	امرؤ القيس	الطويل	مرحتلُ
٧٩٤	امرؤ القيس	الطويل	المفصلُ
٧١٠	ابن عبدون	الطويل	والتطوّلُ
٦٣٥	ابن بقي	الطويل	بطائلُ
٣٦٠	أبو ذؤيب	الطويل	لوائلُ
١٣٤	أبو الوليد الحميري	الطويل	الشمَلُ
٢٩٥	أبو القاسم ابن الجدة	الطويل	يبلي
٣٧٨	ابن زيدون	الطويل	النصلُ
٦٤٨	المتوكل ابن الأفطس	الطويل	فضلي
١٤٦	امرؤ القيس	الطويل	إذلالُ
٤٦٧	الرمادي	الطويل	قتالُ
٦٣١	المعري	الطويل	طوالُ

٨٤٨	المعري	الطويل	وجلاي
٨٢١	ابن سوار الأشبوني	الطويل	وجمالي
٥٨٧	صالح الشتمري	الطويل	خليلي
٧٦٩	أبو بكر البطليوسي	الطويل	احتلاله
٤١	أبو سعد المخزومي	البيسط	وجل
١٣٥	أبو سعد المخزومي	البيسط	مكتحل
٧٩٨، ٣٢٢	المتنبي	البيسط	زحل
٦٤	المتنبي	البيسط	البلل
١٣٥	المتنبي	البيسط	والعمل
٤٤٢	المتنبي	البيسط	الحلل
٧١٦	المتنبي	البيسط	المقل
٦٩٥	ابن عبدون	البيسط	مثل
٧٩	ابراهيم الشاشي	البيسط	مرتحل
٤٣٦	أبو عبد الله ابن شرف	البيسط	والمقل
٤٣٧	حسان بن المصيبي	البيسط	الأسل
٥٩١	حسان بن المصيبي	البيسط	القبّل
٤٣٩	ابن رشيق	البيسط	والرسل
٤٦١	ابن الملح	البيسط	الطلل
٥١٥	ابن وهبون	البيسط	الجلل
٦٢٠	ابن بقي	البيسط	المطل
٦٢٠	ابن بقي	البيسط	والإبل
٦٢٤	ابن بقي	البيسط	البحمل

٦٢٩	ابن بقي	البيسط	ومنفعل
٦٩٥	ابن الرومي	البيسط	الملل
٢٤٦	أبو فراس الحمداني	الوافر	العوالي
٤٨٦	المتنبي	الوافر	الأوالي
٤٩٠	المتنبي	الوافر	بالجمال
٦١٨	المتنبي	الوافر	الغزال
٥٢١	ابن مرزقان	الوافر	المعالي
٥٢١	المعتمد	الوافر	للهملال
٥٣٤	ابن عبدون	الوافر	يسال
٧٠٤	ابن المعتز	الوافر	الرجال
٤٤	الأسعد بن بليطة	الكامل	الأصاال
١٥٠	صالح الشنتمري	الكامل	والخلخال
٥٨٣	صالح الشنتمري	الكامل	إعمال
٢٠٦	أبو الأصمغ ابن عبد العزيز	الكامل	وال
٢١٤	البلمي	الكامل	أعمال
٤٦٨	الرمادي	الكامل	مجال
٦٣٤	أبو حاتم الحجاري	الكامل	الأشغال
٧٢٩	الرمادي	الكامل	عويلي
٤٣١	ابن وهبون	الكامل	القاتل
٤٦٩	البحثري	الكامل	الأحول
٦٢٥	ابن بقي	الكامل	يعذل
٧٦٩	أبو بكر البطليوسي	الكامل	الأول
٨٣٣	ابن سوار الأشبوني	الكامل	يحمل

٤٦٨	ابن فتوح	الكامل	مجاله
٦٤٤	المتنبي	الكامل	وزياله
٤٤٣	أبو حاتم الحجاري	الكامل	زوالها
٦٧٦	—	الهمز	المال
٧٧٩	ابن قزمان	الهمز	حال
٥٩	—	الرمم	الزلال
٤٦٥	النحلي	الرمم	مهله
٤١٩	ابن عمار	السريع	المال
٧٨٤	امرؤ القيس	السريع	نابل
٤٥٣	ابن الملح	الخفيف	أبالي
٤٦٢	—	الخفيف	الصقال
٨٣٨	ابن أبي أمية	الخفيف	الرسول
١٣٤	أبو الوليد الحميري	المتقارب	مقتلي
١٦٠	ابن حصن	المتقارب	نوى لي
٢٥٥	المتنبي	المتقارب	وائل
٦٩٢	ابن دراج القسطلي	المتقارب	بتعطيله

قافية الميم

٤٦٦	ابن شهيد	مجزوء الكامل	القوائم
٦٣٣	—	الرمم	نسيم
٤٢	بشار	المتقارب	بدم
٨٦	أبو حفص الهوزني	المتقارب	تنصرم

٩٨	أبو الوليد الباجي	المتقارب	القلم
٣٨٣	ابن هاني-	المتقارب	القلم
٥٥	أبو دلالة	الطويل	نحطما
٧٧	ابن اللبانة	الطويل	نُخْتَمَا
١٣٩	ابن داود	الطويل	محرّما
٢٤٨	حسان بن المصبي	الطويل	ليكرما
٤٣٥	حسان بن المصبي	الطويل	متما
٢٥٦	أبو تمام	الطويل	مسلمما
٤٤٨	عبدة بن الطبيب	الطويل	تهدّما
٤٩٧	المتنبي	الطويل	والفهما
٦٢٣	ابن بقي	الطويل	كالدمى
٨٠٤	أبو محمد ابن هود	الطويل	جهنّما
٨٢١	ابن اللبانة	الطويل	ضيغما
١٥٦	الرمادي	الطويل	ملاهما
٧٩	ابن اللبانة	البيسط	عظما
٥٩٣	أبو الحكم ابن حزم	البيسط	والقلما
٧٧٠	—	البيسط	سَلَمَة
١٦٤	ابن رشيق	مخلع البيسط	حساما
٨٤٤	ابن صارة	الوافر	والغلاما
٤٣	المعتمد	الكامل	فتكلّمَا
٦٠٩	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	عمّى
٦٩٦	ابن صارة	الكامل	التحكّيمَا

٣٦٠	—	الرمل	سجما
٧٣	المعتمد	السريع	ترحما
٣٣٢	عبد الغفور أبو محمد	المنسرح	هدامة
١٠٨	أبو جعفر ابن الأبار	المجث	الكريمة
٢٣٠	أبو العلاء ابن زهر	المتقارب	عسى
٩١	الفرزدق	الطويل	فيفعم
٣٥٣	—	الطويل	يكرم
٥٦٦	أبو الحسن البكري	الطويل	المتبسم
٢٣٧	المتنبي	الطويل	نائم
٣٥٧	—	الطويل	المباسم
٣٧٨	—	الطويل	الحمائم
٥٩٢	أبو الحكم ابن حزم	الطويل	التمايم
٧٩٥	ابن هانيء	الطويل	الخواتم
٦٣٢	المعري	الطويل	الكرم
٨٠٢	مهيار	الطويل	دم
٦٥	المعتمد	الطويل	حرام
٦٥	ابن اللبانة	الطويل	حمام
٥٥٢	—	الطويل	وتسيم
٢٢٦	المتنبي	الطويل	لظالمه
٤٦٣	المتنبي	الطويل	كاتبه
٦٢٢	كثير عزة	الطويل	خيمها
٤٦	المعتمد	البيسط	حلم

٢٢٦	المتنبي	البيسط	والخدمُ
٧١٠	ابن عبلون	البيسط	مفهومُ
١٨٤	ابن حصن	البيسط	وتسليمُ
٧٠٢	ذو الرمة	البيسط	ترنيمُ
٩١	نصر بن سيار	الوافر	الكلامُ
٢٢٤	جرير	الوافر	البشامُ
٢٤٥	ابن وهيون	الوافر	واللنمامُ
٤٣٠، ١٦٠	أبو العتاهية	الوافر	الخصومُ
٥١	—	الكامل	ينثمُ
٥١	المعتمد	الكامل	أكرمُ
٥٢	ابن زيلون	الكامل	الأسهمُ
١٠١	أبو الوليد الباجي	الكامل	يسلمُ
٤٤٢	المتنبي	الكامل	يظلمُ
٦٢٩	أبو تمام	الكامل	وتعلمُ
٦٨٤	ابن عبلون	الكامل	نجهمُ
٧٣٨	الأعمى التطيلي	الكامل	يتضرمُ
٨١٩	ابن سوار الأشبوني	الكامل	يبنمُ
٦١٤	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	وتقومُ
٨٣٧	ابن صارة	الكامل	تحومُ
٧٩٤	ابن المعتز أو الصنوبري	المنسرح	قلمُ
٥٢	المعتمد	الطويل	ومعصم-
٤٠٩	المتنبي	الطويل	توهم-

٦٩١	ابن عبدون	الطويل	تمام-
٨٢٢	أبو العرب الصقلي	الطويل	بأسهم-
٥٨٥	صالح الشنتمري	الطويل	قائم-
١٥٣	جرير	الطويل	والمكارم-
٣٧٢	ابن عمار	الطويل	الغنائم-
٤٧٠	أبو تمام ابن رياح	الطويل	قوائم-
٦٢٦	ابن بقي	الطويل	قوادم-
٦٩٢	-	الطويل	المواسم
٤٥٥	امرؤ القيس	الطويل	طامي
٨٢٤	ابن سوار الأشبوني	الطويل	كلام-
٤٦٠	ابن الملح	الطويل	نجوم-
٧٠٤	أبو نواس	الطويل	بنجوم-
٣٩٣	ابن عمار	الطويل	وسيم-
٤٠٢	ابن عمار	الطويل	بقسيم-
٦٩١، ٦١	أبو تمام	البيسط	الكلم-
٤٩٣	أبو تمام	البيسط	الأمم-
٦٤٤	أبو تمام	البيسط	ينم-
١٠٤	أبو الوليد الباجي	البيسط	والكلم-
٥٧٢	أبو الحسن البكري	البيسط	الكلم-
١٤٠	الشريف الرضي	البيسط	قدم-
٣٧٩	الشريف الرضي	البيسط	واللمم-
٢٠١	ابن الاستحي	البيسط	اللمم-

٤٩٣	المتنبي	البسيط	الهرم-
٤٥٦	ابن الملح	البسيط	متهم-
٥٩٧	أبو الحكم ابن حزم	البسيط	الخادم
٥٩٧	ابن بسام	البسيط	والحكم-
٤٩٣	أبو الفضل ابن شرف	البسيط	منهزم-
٣٩٤	ابن عمار	الوافر	الثام-
٤٨١	المتنبي	الوافر	الرجام-
٧١٤	المتنبي	الوافر	القدام
٤٤٨	المجنون	الوافر	يوم-
٦٣٣	خاف الأحمر	الوافر	ميم-
٢٢٦	المتنبي	الكامل	الصارم-
٣٨٠	عنبرة	الكامل	المغتم-
٧٠٢	عنبرة	الكامل	المترنم
٣٨١	المعري	الكامل	تكرم-
٤٥٩	ابن الملح	الكامل	الأرقم-
٩٠	الحارث بن وعله	الكامل المرفل	ينمي
١٣٨	أبو حاتم السجستاني	مجزوء الكامل	الكلام-
١٠٥	أبو الوليد الباجي	الخفيف	الكرام-
٦٤٥	أبو تمام	الخفيف	واكتتام-
٤٩٦	ابن الرومي	الخفيف	حيزوم-
٦٣٣	ابن الرومي	الخفيف	لميم-
٦٣٠	ابن بقي	الخفيف	النسيم-

٦٩٦	ابن عبدون	الخصيف	النجوم
٨٠٨	ابن كوثر	المتدارك	بمخترم

قافية للنون

٧٩١	ابن مقانا	الوافر	المعين
٢٢٤	عوف بن محلم	السريع	ترجمان
٨٠٦	ابن بولوصة	السريع	دين
٨٠٧	ابن الصيقل	السريع	فاعلون
٨٠٧	ابن الصيقل	السريع	الفاسقين
٨٠٧	ابن القلاس	السريع	القرين
٧٧١	أبو بكر البطليوسي	المتقارب	البدن
٧٦٨	أبو بكر البطليوسي	الطويل	رياحينا
٢٩١	—	الطويل	كامنة
٧٠	المعتمد	البسيط	أحزانا
٤٦٣	ابن زيدون	البسيط	يفشينا
٦٥٢	المتوكل ابن الأفطس	مخلع البسيط	علينا
٣٧٤، ١١٥	القطامي	الوافر	ترانا
٢١٦	ابن القوطية	الوافر	العيونا
٨٠٥	ابن برلوصة	السريع	مفتونة
١٥٢	أبو نواس	الخصيف	زمانا
١٦٤	ابن أبي ربيعة	الخصيف	وغنى
٥٥٥	أبو بكر ابن عبد العزيز	الخصيف	ركنا

١٥١	أبو نواس	المجث	فعلنا
٥٥٥	—	المتقارب	مواطننا
١٠٣	أبو الوليد الباجي	الطويل	تبيانُ
٤٨٧	أبو الحسين ابن الجلد	الطويل	بهتانُ
٥٥٩	أبو الحسين ابن الجلد	الطويل	أجفانُ
٦٣٦	ابن بقي	الطويل	عقبانُ
١٨٣	ابن حصن	الطويل	تمكنُ
٨٠٨	ابن كوثر	الطويل	الحسنُ
٧١٩	المتنبي	البيسط	والاذنُ
٤٦٢	ابن الملح	البيسط	ميزانُ
٧٩٦	المعري	الوافر	الرهانُ
٧١٩	ابن عبدون	الوافر	المنونُ
٨٣٥	ابن صارة	الكامل	الحرمانُ
٣٧٨	ابن هانيء	الكامل	ظنونُ
٢٥٤	أبو تمام	الكامل	كينُ
٤٨٩	أبو تمام	الكامل	محزونُ
٣٩٢	ابن عمار	المجث	العيونُ
٧٨١	—	المتقارب	ورثماقتهُ
١٦٩	—	الطويل	عدن
٤٨٨	المعري	الطويل	الحشن
١٣٧	—	الطويل	مختلطان
١٤١	الرمادي	الطويل	أذاني

٤٨٧	الأعمى التطيلي	الطويل	وعناني
٧٢٤	الأعمى التطيلي	الطويل	الحدثان
٥١٣	—	الطويل	ويقتريان
٥٨٧	ابن شهيد	الطويل	تلتطمان
٦٠٤	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	وجناني
٨٢٤	ابن سوار الأشبوني	الطويل	وأمان
٧٦٩	أبو بكر البطلبوسي	الطويل	رفدين
٤٧٣	ابن الملح	الطويل	سيلانه
٦١٩	ابن بقي	البيسط	تُبسن
٦١٩	—	البيسط	درن
١١٥	—	البيسط	بجيران
٣٧٩	ابن المعتز	البيسط	وسنان
٤٦٩	أبو تمام	البيسط	هشمان
٧١٤	الشريف الرضي	البيسط	دوني
٢١٧	ابن القوطية	البيسط	البساتين
٦٢٢	ذو الاصبغ العلواني	البيسط	حين
٨٥٠	ابن صارة	البيسط	السلاطين
١١٢	أبو عامر ابن مسلمة	مخلع البيسط	والحمان
١١٢	أبو جعفر ابن الأبار	مخلع البيسط	وبالبيان
٢٢٣	الناطقة الديباني	الوافر	فان
٥٣٤	أبو بكر ابن عبد العزيز	الوافر	الرهان
٦١٠	أبو الوليد ابن حزم	الوافر	الأماني

٦١١	أبو الحكم ابن حزم	الوافر	فـلان
٤٠٩	—	الوافر	عـني
٧٤	المعتمد	الكامل	والأبدان
٢٢٦	المتنبي	الكامل	كالأجفان
٢٨٢	المتنبي	الكامل	جـبان
٧١٧	المتنبي	الكامل	كالعقيان
٦٠١	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	بـفـلان
٦١٣	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	الـاخـوان
٦٢٣	ابن بقي	الكامل	عـيـنان
٨٤١	ابن صارة	الكامل	الـنـعـمان
٨١٧، ٢٢٢	ابن سوار الأشبوني	الكامل	حـمـدـين
٤٢٤	ابن عمار	الكامل	يـكـفـيـني
٧٧٢	أبو محمد البطليوسي	الكامل	التـبـيـين
٦٨٠	—	الكامل المرفل	العـيـن
٦٥٢	أبو الوليد ابن حزم	الكامل المرفل	الـحـزـن
٦٠٨	أبو بكر البطليوسي	مجزوء الكامل	الـحـسـين
١٦٢	ابن حصن	مجزوء الرمل	سـنـي
٣٠	المعتضد	مجزوء الرجز	حـسـن
١١١	جعفر ابن الأبار	السريع	وإـعـلان
١١١	أبو عامر ابن مسلمة	السريع	وإـخـولان
١٤١	الرمادي	السريع	وإـسـنان
٤٩٣	ابن عبد الصمد السرقسطي	الـخـفـيف	الـجـبان

١٠٧	أبو الأصبغ ابن عبد العزيز	الخفيف	العيانِ
٦١٣	منصور الفقيه	المجث	الازمان
٦٠	أبو نواس	المجث	مهينِ
٨٣٦	السلامي	المتقارب	السنانِ

قافية الهاء

٨٤٣	ابن صارة	الوافر	كنها
٢١٥	ابن القوطية	مجزوء الوافر	ولها
٥١٣	عدي بن الرقاع	الكامل	نسجاها
١٠٨	أبو عامر ابن مسلمة	مجزوء الرمل	يحتويها
١٠٤	أبو الوليد الباجي	المنسرح	نحصبها
٥٩١	أبو الحكم ابن حزم	الطويل	ويرعاهُ
٢٢٢	البحثري	الكامل	علاهُ
٥٨٣	صالح الشتتمري	الكامل	أهداهُ
٦١	المتنبي	المنسرح	أفواهُ
٦١٤	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	ابكيه
٤٢٣	ابن عمار	الكامل	أبيه
٦٠٣	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	يسقيه
٨٣١	ابن سوار الأشبوني	الكامل	فيه
٨٣٦	أبو تمام ابن رياح	السريع	تشبيهه
٣٩١	ابن الحضرمي	المجث	عليه

قافية الواو

٤٧٩ أبو عامر ابن سوار الرمل بَنَوَا

قافية الياء

٦١	ابن عبدون	الطويل	حاديا
٦٨٣	ابن عبدون	الطويل	تاليا
٦٨٧	ابن عبدون	الطويل	ضافيا
١٢٢	المتنبي	الطويل	باكيا
٣٨٦	المتنبي	الطويل	السواقيا
١٥٥	سحيم	الطويل	تهاديا
٤٤٨	قيس بن ذريح	الطويل	صواديا
٧٥٠	الأعمى التطيلي	الطويل	تلاقيا
٧٨٤	—	الطويل	قافية
٧٨٥	—	الطويل	سارية
٨٧	أبو حفص الهوزني	الوافر	سويتا
٧٩٥	ابن المعتز	مجزوء الرمل	الثريا
٣٨٩	ابن عمار	المتقارب	الثنايا
٥٨٣	صالح الشتمري	البسيط	محمي
٤٧	المعتمد	مخلع البسيط	العشي
٢٠٠	ابن الاستجي	السريع	وفضي
٤٧	ابن عمار	مخلع البسيط	والندي

٤٨١	أبو غسان المتطبيب	الخصيف	والألمعي ^٢
١٤٧	أبو تمام	الوافر	بطي ^٢
٧١٨	السناط	الوافر	صيرفي ^٢
٣٠٠	أبو تمام	الكامل	وري ^٢

مصادر التحقيق^١

- ابن شهيد لشارل بلاّ . منشورات الجامعة الأردنية ، ١٩٦٥ .
- ابن عمار لصلاح خالص . بغداد ، ١٩٤٧ .
- الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب (الجزء الأول) .
تحقيق محمد عبد الله عنان . دار المعارف بمصر ؛ (ج ١ - ٢) . مصر ،
١٣١٩ ؛ مخطوطة المكتبة الكتانية بالرباط ، رقم : ٢٧٠٤ .
- إحكام صنعة الكلام لابن عبد الغفور الكلاعي . تحقيق رضوان الداية .
دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٦ .
- أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي . القاهرة ، ١٩٣٧ .
- أدباء مالقة لابن عسكر . صورة عن نسخة خطية خاصة بمكتبة الأستاذ
محمد المنوفي .
- الأزمة والامكنة للمرزوقي (١ - ٢) . حيدر أباد الدكن ، الهند ، ١٣٣٢
- أساس البلاغة للزمخشري . دار صادر ، بيروت .

١ قد أثبتنا في هذا الفهرست ما اعتمدناه من مصادر في تحقيق القسمين الأول والثاني ؛ وهي المصادر التي لم يرد ذكرها في تحقيق القسم الثالث من الذخيرة .

الأشباه والنظائر للخالدين (١ - ٢) . تحقيق السيد محمد يوسف . مصر .
١٩٥٨ - ١٩٦٥ .

الاشتقاق لابن دريد . تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ، ١٩٥٨ .

الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (ج ٦) . مصر ، ١٣٢٣ .

إعجاز القرآن للباقلاني . تحقيق السيد أحمد صقر . دار المعارف ، القاهرة
١٩٥٤ .

الإعلام بمن حلّ مراكز وأغمات من الأعلام للعباس بن ابراهيم
(١ - ٥) . فاس ، ١٩٣٦ .

أعمال الأعلام للسان الدين ابن الخطيب (القسم الثالث) تحقيق الأستاذين
العبادي والكتاني . الدار البيضاء ، ١٩٦٤ ؛ وأعمال الإعلام تحقيق ليفي
بروفنسال ، بيروت ١٩٥٦ .

الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي ، القاهرة .

الاكمال في رفع الارياب عن المؤلف والمختلف من الأسماء والكنى
والانساب لابن ماكولا (١ - ٥) ، بعناية عبد الرحمن اليماني . حيدر آباد
الدكن ، ١٩٦٢ - ١٩٦٦ .

الامتاع والموانسة لأبي حيان التوحيدي (١ - ٣) . تحقيق أحمد أمين
وأحمد الزين . القاهرة ، ١٩٣٩ - ١٩٤٤ .

أمالي الزجاجي . تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ، ١٣٨٢ .

- أنساب الأشراف للبلاذري (ج ٥) . تحقيق جويتاين . القلمس ، ١٩٣٦ .
- الأوراق الصولي . تحقيق هيورث دن . مصر ، ١٩٣٦ .
- كتاب البديع لابن المعتز . تحقيق كراتشكوفسكي . لندن ، ١٩٣٨ .
- البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ . تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد . القاهرة ، ١٩٦٠ .
- البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (١ - ٤) . تحقيق ابراهيم الكيلاني دمشق ١٩٦٤ - ١٩٦٩ .
- بلاغات النساء لابن أبي طاهر طيفور . مصر ، ١٩٠٨ .
- بهجة المجالس لابن عبد ربه النمري (١ - ٢) . تحقيق محمد مرسي الخولي . مصر ، ١٩٦٢ .
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ج ١ - ١٤) . طبعة مصورة عن الطبعة الأولى . دار الكتاب العربي ، بيروت
- تاريخ الحكماء للفطحي . تحقيق جوليوس ليهبرت . ليبسك ، ١٩٠٣ .
- تاريخ الطبري (ج ٢) . نسخة مصورة عن الطبعة الأوروبية . مكتبة خياط ، بيروت .
- تبيين كذب المفتري لابن عساكر أبي القاسم . ط . القدسي ، القاهرة .
- تحفة العروس للتجاني . القاهرة ١٣٠١ .

تذكرة الحفاظ للذهبي (١ - ٤) . الطبعة الثالثة ، حيدر أباد الدكن ،
١٩٥٥ .

ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (١ - ٤) . تحقيق أحمد
بكير محمود دار مكتبة الحياة ببيروت ، دار مكتبة الفكر بطرابلس - ليبيا .
كتاب التشبيهات لابن أبي عون . تحقيق عبد المعيد خان . كمبرج ،
١٩٥٠ .

التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار القضاعي (١ - ٢) . ط . مصر ؛
والتكملة (ط . مدريد - يذكر موضحاً بالرقم) .

التلخيص للعسكري (١ - ٢) . تحقيق عزت حسن . دمشق ، ١٩٦٩
تمام المتن في شرح الرسالة الجلدية لابن زيدون للصلاح الصفدي تحقيق
محمد أبو الفضل ابراهيم القاهرة ، ١٩٦٩ .

تهذيب تاريخ ابن عساكر للشيخ عبد القادر بدران (١ - ٧) . دمشق ،
١٣٢٩ - ١٣٤٩ .

تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (ج ٢) . حيدر أباد الدكن ،
١٣٢٥ .

ثلاث رسائل في الحسبة . تحقيق ليفي بروفنسال . القاهرة ، ١٩٥٥ .

الجغرافية والجغرافيون في الأندلس لحسين مؤنس . مدريد ، ١٩٦٧ .

جمع الجواهر للحصري . تحقيق علي محمد البجاوي . القاهرة ، ١٩٥٣ .

- جمهرة أنساب العرب لابن حزم الظاهري . تحقيق عبد السلام هارون .
دار المعارف بمصر : ١٩٦٢ .
- جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار (الجزء الأول) . تحقيق محمود شاكر .
القاهرة : ١٣٨١ .
- جوامع السيرة لابن حزم الظاهري . تحقيق ناصر الدين الأسد وإحسان
عباس . دار المعارف بمصر .
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية لابن أبي الوفا القرشي (١ - ٢) .
حيدر آباد الدكن ، ١٣٣٢ .
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر ، والقاهرة للسيوطي (ج ١) . تحقيق
محمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة ، ١٩٦٧ .
- حلبة الكميت لشمس الدين النواجي : القاهرة ، ١٢٧٦ .
- حلبة الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني (ج ٢) . القاهرة ، ١٩٣٨ .
- الحماسة لابن الشجري . حيدر آباد الدكن ، ١٣٤٥ .
- خاص الخاص للثعالبي . القاهرة ، ١٩٠٨ .
- الدرة الفاخرة في الأمثال لحمزة الأصفهاني (١ - ٢) . تحقيق عبد المجيد
قطامش . دار المعارف بمصر ، ١٩٧٢ .
- دمية القصر وعصرة أهل العصر لأبي الحسن الباخري (ج ١ - ٢) .
تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، القاهرة ١٩٦٨ - ١٩٧١ .

الديارات للشاهشي . تحقيق كوركيس عواد . بغداد ، ١٩٥١ .
ديوان ابن حمدنيس . تحقيق إحسان عباس . دار صادر ، بيروت ،
١٩٦٠ .

ديوان ابن رشيقي . جمع عبد الرحمن ياغي . دار الثقافة ، بيروت .
ديوان ابن زيدون . تحقيق علي عبدالعظيم . مصر ، ١٩٥٧ .
ديوان ابن مقبل . تحقيق عزت حسن . دمشق ، ١٩٦٢ .
ديوان ابن وكيع التنيسي . تحقيق حسين نصار . القاهرة .
ديوان أبي حية النميري . مجلة المورد (بغداد) العدد الأول من المجلد
الرابع (١٩٧٥) ص : ١٣١ - ١٥٢ .

ديوان أبي الحسن التهامي . الطبعة الثانية ، دمشق ، ١٩٦٤ .
ديوان أبي سعد المخزومي . جمع رزوق فرج رزوق . بغداد ، ١٩٧١ .
ديوان أبي الشيص . جمع عبد الله الجبوري . بغداد ، ١٩٦٧ .
ديوان أبي نواس . طبعة اسكندر آصاف ، مصر ، ١٨٩٨ ؛ وديوان
أبي نواس (١ - ٢) تحقيق فاجنر .

ديوان الأعمى التطيلي . تحقيق إحسان عباس . دار الثقافة ، بيروت ،
١٩٦٣ .

ديوان بكر بن النطاح . جمع حاتم الضامن . بغداد ، ١٩٧٥ .

ديوان الخليلع الحسين بن الضحاك . جمع عبد الستار فراج . بيروت . ١٩٦٠ .

ديوان دعبل بن علي الخزاعي . جمع محمد يوسف نجم . بيروت ، ١٩٦٢ .

ديوان ديك الجن الحمصي ، تحقيق أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري . بيروت . ١٩٦٤ .

ديوان سحيم عبد بني الحسحاس . تحقيق عبد العزيز الميمني . القاهرة ، ١٩٥٠ .

ديوان الشريف الرضي (١ - ٢) . بيروت ، ١٩٦١ .

ديوان الشماخ . تحقيق صلاح الدين الهادي . دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٨ .

ديوان صريع الغواني . انظر : ديوان مسلم بن الوليد .

ديوان الصنوبري . تحقيق إحسان عباس . بيروت ، ١٩٧٠ .

ديوان طرفة بن العبد . باريس . ١٩٠١ .

ديوان عدي بن زيد العبادي . جمع محمد جابر المعيند . بغداد . ١٩٦٥ .

ديوان علي بن الجهم . تحقيق خليل مردم بك . دمشق . ١٩٤٩ .

ديوان القتال الكلابي . تحقيق إحسان عباس . دار الثقافة ، بيروت ،

١٩٦١ .

ديوان مسلم بن الوليد (شرح ديوان صريع الغواني) . تحقيق سامي الدهان
دار المعارف بمصر . ١٩٥٧ .

ديوان المعتمد بن عباد . تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد .
القاهرة ، ١٩٥١ .

ديوان مهيار الديلمي (ج ٣) . دار الكتب المصرية . ١٩٣٠ .

ديوان النابغة الجعدي . طبعة المكنب الإسلامي . دمشق - بيروت ،
١٩٦٤ .

ديوان النامي . جمع صبيح رديف . بغداد ١٩٧٠ .

ديوان الوأواء الدمشقي . تحقيق سامي الدهان . دمشق ، ١٩٥٠ .

ديوان الوليد بن يزيد . جمع غابريلي . بيروت . ١٩٦٧ .

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام (ج ٤ قسم ١) ، مصر ١٩٤٥
(ج ٢ قسم ١) . تحقيق لطفي عبد البديع مصر . ١٩٧٥ ؛ (ج ١ قسم ١ - ٢)
و (ج ٣ قسم ١ - ٢) . تحقيق إحسان عباس . بيروت ، ١٩٧٥ .

الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي . (ج ١ قسم ١ - ٢) ، تحقيق
محمد بن شريفة ، بيروت ؛ (ج ٤ و ٥ و ٦) . تحقيق إحسان عباس بيروت .
١٩٦٤ - ١٩٧٣ ؛ (ج ٨) مصورة عن مخطوطة العباس بن ابراهيم (قسم
الغرباء) .

رايات المبرزين لابن سعيد الأندلسي . تحقيق غرمية غومس . مدريد،
(ورمزه غ) ؛ ورايات المبرزين (ط . مصر) .

ربيع الأبرار للزمخشري ، مخطوطة جامعة برنستون ، مجموعة يهودا
رقم : ٤٢٧٢

الردّ على ابن النغريلة ورسائل أخرى لابن حزم . تحقيق إحسان عباس .
القاهرة ١٩٦٠ .

رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة للفرناطي (١ - ٢) . مطبعة
السعادة القاهرة . ١٣٤٤ .

روض القرطاس لابن أبي زرع . فاس . ١٣٠٣ .

الروض المعطار في خبر الاقطار لأبي عبد الله الجبيري . تحقيق إحسان
عباس . بيروت ، ١٩٧٥ .

الريحان والريهان لابن خيرة المواعيني (ج ١) . مخطوطة الفاتح
رقم : ٣٩٠٩ .

كتاب الزهرة لابن داود الأصفهاني (ج ١) . تحقيق لويس نيكل
وابراهيم طوقان . بيروت ، ١٩٣٢ .

سركات المتنبي المنسوب لابن بسّام ، تحقيق ابن عاشور ، ط تونس
١٩٧٠ .

سرور النفس بمدارك الحواس الخمس للتيفاشي . نسخة عن مخطوطة أحمد
الثالث رقم : ٢٥٥٧ .

كتاب السنن الكبير للنسائي .

سيرة رسول الله لابن هشام (١ - ٤) . تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم
الإبياري وشلي . الطبعة الثانية . القاهرة . ١٩٥٥ .

سيف الدولة لكانار . الجزائر ، ١٩٣٤ .

شرح المفضليات لابن الأنباري . تحقيق كارلوس يعقوب لايل . بيروت
. ١٩٢٠ .

شرح مقامات الحريري للشريشي (١ - ٢) . القاهرة ، ١٣٠٠ ، وشرح
المقامات (١ - ٤) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

شرح نقائض جرير والفرزدق (١ - ٢) . تحقيق بينف . ليدن ، ١٩٠٥
- ١٩٠٨ .

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ج ٢) . تحقيق محمد أبو الفضل
ابراهيم . القاهرة ١٩٥٩ .

شعر الخوارج . جمع إحسان عباس . الطبعة الثانية ، دار الثقافة : ١٩٧٤ .

شعر اليزيديين . جمع محسن غياض . النجف ، ١٩٧٣ .

صحيح مسلم (١ - ٢) . القاهرة ، ١٢٩٠ .

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد (ج ٧) : وثائق تاريخية جديدة
عن عصر المرابطين لـاحمود مكى ص : ١٠٩ - ١٩٨ .

طراز المجالس للخفاجي . القاهرة ، ١٢٨٤ .

طبقات ابن سعد (ج ٣) . دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧ .

- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (ج ٢) . القاهرة ، ١٣٢٤ .
- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي . تحقيق محمود محمد شاكر .
الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٢ ؛ والطبعة الثانية (١ - ٢) ، القاهرة ،
١٩٧٤ .
- طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي . تحقيق إحسان عباس . بيروت
١٩٧٠ .
- كتاب الطبخ لمؤلف مجهول . تحقيق ل . ميراندا . مدريد ، ١٩٦٥ .
- الطرائف الأدبية . تحرير عبد العزيز الميمني . القاهرة ، ١٩٣٧ .
- العبر في خبر من غبر للذهبي (١ - ٥) . تحقيق صلاح الدين المنجد
وفؤاد السيد . الكويت ، ١٩٦٠ - ١٩٦٦ .
- العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل لمحمد بن أحمد البلوي . نسخة
الخزانة الملكية بالرباط ، رقم : ٦١٤٨ .
- عقود الجمان للزركشي . مخطوطة الفاتح رقم : ٤٤٣٤ .
- عنوان الأريب للنيفر (١ - ٢) . تونس ، ١٣٥١ .
- عنوان المرقصات والمطربات لابن سعيد الأندلسي . تحقيق عبد القادر
محداد . الجزائر ، ١٩٤٩ .
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير لابن سيد الناس (١ - ٢)
القاهرة ، ١٣٥٢ .

- الغيث المسجّم في شرح لامية العجم للصالح الصفدي (١ - ٢) . المطبعة
الازهرية المصرية . القاهرة . ١٣٠٥ .
- فجر الأندلس لحسين مؤنس . القاهرة . ١٩٥٩ .
- الفهرست لابن النديم . تحقيق رضا تجدد . طهران . ١٩٧١ .
- قراضة الذهب لابن رشيّق القيرواني . تحقيق الشاذلي بويحيى . تونس .
١٩٧٢ .
- كليلة ودمنة . تصحيح عبد الوهاب عزام . مطبعة المعارف . القاهرة .
١٩٤١ .
- كنايات الأدباء للجرجاني . مصر . ١٩٠٨ .
- اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (١ - ٣) . القاهرة . ١٣٥٦ -
١٣٦٩ .
- اللزوميات لأبي العلاء المعري (١ - ٢) . طبعة هندية . القاهرة . ١٩١٥ :
ونسخة ليدن رقم : ٩٠٦ .
- مجلة البحث العلمي المغربية (العدد ١٠) . مقالة « عائلة بني عشرة »
لمحمد بنشريفة (١٩٦٧) ص : ٦٥ - ١٠٢ .
- المحمدون من الشعراء وأشعارهم للققطي . تحقيق حسن معمري . الرياض
١٩٧٠ .
- المختار في كشف الأسرار للجويبري . دمشق . ١٣٠٢ .

المختار من شعر بشّار للتجويي بعناية محمد بدر الدين العلوي . القاهرة ،
١٩٣٤ .

مختارات ابن الصيرفي . تحقيق هلال ناجي . مجلة المورد العراقية ، المجلد
الرابع (١٩٧٥) ص : ١٠٥ - ١٣٨ .

المخصص لابن سيده (١ - ١٦) . صورة عن الطبعة الأولى . المكتب
التجاري ، بيروت .

مخطوطة الرباط ، انظر : مفاخر البربر .

المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا للنهاي . نشر ليفي بروفنسال .
القاهرة . ١٩٤٨ .

المستقصى في الأمثال للزنجشري (١ - ٢) حيدر آباد الدكن .

المسلك السهل للافراي مخطوطة الخزانة العامة بالرباط .

مشاهير علماء الأمصار لابن حبان تحقيق م . فلا يشهر . القاهرة ،
١٩٥٩ .

معالم الإيمان للدباغ (ج ٣) . تونس ، ١٣٢٠ .

المعاني الكبير لابن قتيبة (١ - ٣) . حيدر آباد الدكن ، ١٩٤٩

معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي (١ - ٤) . تحقيق محمد محيي
الدين عبد الحميد . القاهرة ، ١٩٤٧ .

معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري (١ - ٤) . تحقيق مصطفى السقا .
القاهرة ، ١٩٤٥ - ١٩٤٩ .

المغرب ، لابن سعيد الأندلسي (قسم مصر ، ج ١) . تحقيق زكي محمد
حسن وشوقي ضيف وسيدة كاشف . مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ،
١٩٥٣ .

مفاخر البربر . تحقيق ليثي بروفنسال . الرباط ١٩٣٤ ، ومخطوطة الخزانة
العامة بالرباط ، رقم : ١٢٧٥ .

المفضليات ، انظر : شرح المفضليات .

المقاصد النحوية للعيني ، على هامش خزانة الأدب ، بولاق .

المقتضب من تحفة القادم لابن الأبار القضاعي . تحقيق ابراهيم الاياري .
القاهرة ، ١٩٥٧ .

المقتطف في أزاهر الطرف لابن سعيد . نسخة مكتبة سوهاج .

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي (٥ - ١٠) . حيدرآباد
الدكن ، ١٣٥٧ .

الموازنة بين الطائيين للآمدي (١ - ٢) . تحقيق السيد أحمد صقر . دار
المعارف بمصر ، القاهرة . ١٩٦١ - ١٩٦٥ .

الميسر والقдах لابن قتيبة . بعناية محب الدين الخطيب . القاهرة ، ١٣٤٢ .

نزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي . تحقيق صلاح الدين المنجد .
بيروت . ١٩٥٨ .

نزهة المشتاق للادريسي (قسم الأندلس والمغرب) . تحقيق دوزي ودي
خوية . امستردام ١٩٦٩ .

نسب قريش للمصعب الزبيري . تحقيق ليثي بروثنسال . دار المعارف
بمصر . القاهرة ، ١٩٥٣ .

نقائض جرير والفرزدق ، انظر : شرح نقائض جرير والفرزدق .
نهاية الخلافة الأموية للصوفي الطبعة الأولى ، حلب ، ١٩٦٣ .

نور القبس المختصر من المقتبس للمرزباني من اختصار الحافظ أبي المعاسن
اليغموري . تحقيق رودلف زهايم . بيروت ، ١٩٦٤ .

الوفاي في نظم القوافي . مخطوطة الخزانة العامة بالرباط ، رقم :
١٧٣٠ .

الوساطة بين المتنبى وخصومه لعلي بن عبد العزيز الجرجاني . تحقيق محمد
أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي . الطبعة الثالثة ، القاهرة ،
١٩٥١ .

Caskel, w, *Gamharat An-nasab de Ibn Al-Kalbi* (Bl. 1-2) Leiden, 1966.

Dozy, Reinhart. *Spanish Islam*. London, 1913

Encyclopaedia of Islam (New Edition).

Hesperis Thamuda: Ibn Darraj, by Blachère (1933) pp. 99 — 121.

Lévi-Provençal, E: *Histoire de L'Espagne Musulmanne* (I-III), Paris —
Leiden, 1951 — 1963.



فهرس المحتويات

- ٥٦٣ في ذكر الأديب أبي الحسن غلام البكري
٥٦٤ جملة من شعره
٥٧٤ في ذكر الكاتب أبي الحسن صالح بن صالح الشنتمري
٥٧٥ جملة من نثره
٥٨٢ وهذه أيضاً قطعة من شعره
فصل في ذكر الوزير أبي الحكم عمرو بن مذحج وأبي الوليد
٥٨٨ ابن عمه - ابني حزم
٥٩٠ جملة من شعر أبي الحكم
٥٩٨ أبو الوليد ابن حزم
٥٩٩ جملة من شعره
٦٠٧ من شعره في العتاب
٦١٥ في ذكر الأديب أبي بكر يحيى بن بقي
٦١٦ جملة من شعره
٦٣٧ في ذكر الأديب أبي الحسن بن هارون الشنتمري

- فصل يشتمل على ذكر الكتاب الوزراء وأعيان الأدباء الشعراء
 ٦٣٥ ممن نشأ في المدة المؤرخة بحضرة بطلبوس
- المظفر أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الأفطس
 ٦٤٠ جملة من نثر المتوكل [عمر ابن الأفطس] وشعره
 ٦٤٦ [الخلاف بين المتوكل وأخيه]
 ٦٤٩ في ذكر الوزير الكاتب أبي عبد الله محمد بن أيمن
 ٦٥٢ فصل من ترسيله
 ٦٥٣ لإيجاز الخبر عن فتح مدينة سبنة
 ٦٥٧ [عود إلى ترسيل ابن أيمن]
 ٦٦٤ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي محمد عبد المجيد بن عبدون
 ٦٦٨ [مراسلات بينه وبين أبي القاسم ابن الجلد]
 ٦٧٠ فصول من ترسيل أبي محمد
 ٦٨٠ ما أخرجه من شعره الرائع
 ٦٨٤ [رسالة لأبي محمد عبد الضفور]
 ٧٠١ [التشبيهات العقم]
 ٧٠١ رجع إلى شعر ابن عبدون
 ٧٠٦ بعض مقطوعاته الاخوانيات
 ٧١١ شعره في الرثاء والتأبين
 ٧١٩ في ذكر أحمد بن عبد الله بن هريرة الأعمى التطيلي
 ٧٢٨

- ٧٢٩ [بعض من ترسيلاه]
٧٣٥ من شعره في النسيب
٧٣٩ من شعره في المديح
٧٥٠ من شعره في التأبين
- ٧٥٣ الوزير الكاتب أبو بكر عبد العزيز بن سعيد البطليوسي
- ٧٥٤ [جانب من ترسيلاه]
٧٥٨ [رسالة له في الزرور]
٧٦٥ قطعة من شعره
٧٧٢ شعر له ولأخويه أبي الحسن وأبي محمد
- ٧٧٤ في ذكر الوزير الكاتب أبي بكر بن قزمان
- ٧٧٤ [فصول من رسائله]
٧٨٥ [من شعره]
- ٧٨٦ في ذكر الأديب أبي زيد عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني
- ٧٨٨ جملة من شعره
٧٩٤ [أشعار في الثريا]
- ٧٩٧ في ذكر الشيخ أبي الحسن علي بن اسماعيل الشقباني (الطيطل)
- ٧٩٩ في ذكر الأديب أبي عبد الله محمد بن البيه
٧٩٩ فصل من مقدمة كتاب له
٨٠٠ [من قصائده في كتابه]

٨٠٣	في ذكر ذي الوزارتين أبي محمد بن هود
٨٠٥	في ذكر الشيخ أبي عمر فتح بن برلوصة البطليوسي
٨٠٨	في ذكر الأديب يوسف بن كوثر الشنتريني
٨٠٩	في ذكر الأديب أبي الوليد النحلي
٨١١	في ذكر الوزير الكاتب أبي بكر محمد بن سوار الأشبوني
٨١٤	جملة من شعره
٨٣١	جملة من مرثيته
٨٣٤	الأديب أبو محمد عبد الله بن صارة الشنتريني
٨٣٦	جملة من شعره في النسيب
٨٤٠	من شعره في الأوصاف
٨٥٥	تذييل
٨٥٦	استدراكات
٨٥٩	فهارس الكتاب
٨٦١	فهرس الاعلام
٨٨٨	فهرس الأماكن
٨٩٥	فهرس القبائل والأمم والطوائف
٩٠٠	فهرس الكتب المذكورة في المتن
٩٠١	فهرس القوافي
٩٤٥	مصادر التحقيق
٩٧١	فهرس المحتويات